صحيح
السيرة النبوية

دراسة تحليلة

لتنقية أحداث السيرة النبوية

مما علق بها من روايات غير مقبولة

والدروس والفوائد المستفادة من الأحداث

تأليف

أبي يحيى

محمد بن عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

سلطان

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

سلطان

حقوق الطبع محفوظة ،

سلطان لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه

سلطان بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي

سلطان أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه .

سلطان ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى

دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف .

سلطان

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

رقم الإيداع

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا ، مَن يهده الله تعالى فلا مضل لـه، ومَن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله ﷺ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ (النساء) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب) .

وبعد ..

فإن أصدَق الكلامِ كلامُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها ، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ نخشى على صاحِبِهَا مِنَ النَّارِ .

أما بعد ..

فكلما عظُم الرجل وسطع نجمه، كلما كانت الفوائد العظام، والمزايا،

الحسان في معرفة سيرته أكثر، ولاشك أن أعظم رجل، وأعلى رجل في بني آدم هو محمد ﷺ، فهو سيد ولد آدم، وأول شافع وأول مشفع، وأول من تنشق عنه الأرض، وهو إمام الأنبياء، وسيد الأتقياء، آدم فمن سواه من النبيين تحت لوائه، بيده لواء الحمد ﷺ،صاحب الشفاعة العظمى....

فدراسة سيرته ﷺ فيها من الدروس والعبر والعظات، لاسيما وقد تعبدنا الله تعالى باتخاذه أسوة حسنة، فقال تعالى :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب .

فكيف يأتسي المُؤتسي برجلٍ لايَعْرف سِيرَتَه؟ وكيف يَتبعُ سُنته إذا لم يكن يعرفها؟

فمعرفة سيرة الرسول ﷺ لازمة للمتَّبع.

وسيرة الرسول ﷺ فيها الآداب، والمعاملات، والمواعظ، والعقائد، والفقه، والتفسير....إلخ.

فيها ما بدأ رسول الله ﷺ به في الدعوة، وما جابهه به قومه، وبماذا ردَّ عليهم، فيها تَجَلِّي رعاية الله له وهو مستضعف .

فيها استعانته بالله، وتضرُّعه وقت البأس ...إلخ.

فمِن كل هذا يتعلم المتعلِّم ، ويسترشد المسترشد، والله الموفق والمعين .

ثم إن كُتب السيرة قد اعتراها من الضعيف الواهي الكثير؛ وسبب ذلك إرادة المؤلفين سبك القصة سبكًا متماسكًا يُشَوِّق ..كذا يريده بعض الكُتَّاب- وهو

مطلب ـ فيضطر المؤلف إلى إدخال الضعيف، والواهي بين الصحيح.

ثم إن قليلاً من المؤلفين من يعتني بالصحيح من الروايات، ويفصله عن الضعيف في هذا الباب أصلاً، إما كسلاً، وإما جهلاً بما تَتَطَلَّبُه أحداث السيرة النبوية من واجبات، وإما تساهلاً، وإما تقليداً لغيره...

وقد شجَّعهم على هذا حوافز الجائزة العالمية لمؤلِّفها، وأخذها ، مع أن في كتابته من الضعيف الكثير، لماذا؟

لاعتنائه بحسن عرض السيرة بطريقة مُشوِّقة، دون أهم شيء في ذلك، وهو الاعتناء بتمييز الثابت من الدخيل .

فاضطر لأجل هذا إلى شحن الضعيف بين الصحيح، وهو ما كان سببًا في تتابع المؤلفين والشُرَّاح على ترويج ما حقه أن يُحَذَّر منه، فنُقل الضعيف للمستفيدين على أنه مسلَّم به، وإذا راج على المُعلِّم ، فما بالك بالمتعلِّم؟

فقد ترى الشيخ من هؤلاء يظنُّ أن كل ما يُروى في كتب السيرة، والتاريخ صحيح، لاسيما إذا دوَّنه العلماء-علماء السنَّة - في كتبهم، فيظن أنهم صححوه حينما وضعوه في كتبهم !

ولذلك يحتج الرواض وأضرابهم على أهل السنة بما هو في كتبهم مما هو غير ثابت ، يقولون علماء السنة دوَّنوه في كتبهم فقد ارتضوه .

وبعضهم يُفَرِّق بين ضرورة التثبت في الحديث النبوي، وبين أحداث السيرة النبوية والتاريخ– و هما واحد - جهلاً منه .

فالدين كله إنما هو بالأسانيد، التي تميَّزت بها هذه الأمة عن باقي الأمم، وتميَّز بها أهل السنة من دون باقي فرق الأمة الإسلامية المتفرِّقة، والسيرة النبوية هي من الدين .

وطائفة أخرى هم مُقَلِّدة – مع تظاهرهم بالاجتهاد – عنده القصور، فيقلِّد غيره – وهذا فرضُه لا إشكال –ولكنه لم يراع، شروط المقَلَّد وآداب المقلِّد :من تقليد الأعلم، والرجوع عن تقليده متى وضح له الدليل أنه على خلاف ما هو عليه،وعدم الجدل والمناظرة، بل ليقف عند حَدِّه، ولا يقف ما ليس له به علم...

فلا يعارض ولا يجادل لينتصر لمقلِّده!

وأعثر من هذا مَن يدعوا إلى التقليد ، وإنها لدناءة همَّة .

وأعثر منه مَنْ يُثَبِّط الهمم عن الإدراك، ومن أبَى فالتُّهَم جاهزة !

يرى نفسه ، لا يعترف بتصحيحات أهل العلم ، لا يرى إلا تحقيقاته ، معجب بأعماله...ولا يثق إلا بما يُقرِّر ويكتب ويشرح ويقول...بدلاً من محاولة التخلِّي عن التقليد، والتحلي بالأصل المفيد الذي هو غرس العلماء المحققين .

ونعوذُ بالله من سوء الفهم، ودناءة الهمم.

فضرورة التثبت في نقل الأخبار معلومة سواء في السيرة، أو التاريخ، أو الآداب، أو المعاملات....كلٌ يُنسب إلى الدين، مع التنصيص من العلماء على أن أكثر أحداث المغازي ـ لاسيما كثير من المشهور ـ لا أسانيد لها، أو أسانيده واهية، أو مراسيل، أو مقاطيع، ـ عن عروة بن الزبير، أوالشعبي، أو الزهري،

وموسى بن عقبة، وابن إسحاق عن رسول الله ﷺ ـ أوفي كتب غير معتمد عليها، ولاموثوق بصحتها؛ لسوء أحوال مصنفيها، وعدم عدالة ناقليها، ككتاب الواقدي، وروايات أبي مخنف، وسيف بن عمر التميمي، و أشار أحمد رحمه الله إلى أن كثيراً من كتب المغازي لا أسانيد لها ، ويروِّجُها الجهل بأحوالها ، وربما الهوى، فيضرُّون بها من جهات إن أصلحت من جهة. (١)

وقد وضَّح الألباني رحمه الله شيئًا من هذه الحقيقة فقال:

« قد يظن بعضهم أن كل ما يروى في كتب التاريخ والسيرة، أن ذلك صار جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الإسلامي، لا يجوز إنكار شيء منه! وهذا جهل فاضح، وتنكُّر بالغ للتاريخ الإسلامي الرائع، الذي يتميَّز عن تواريخ الأمم الأخرى بأنه هو وحده الذي يملك الوسيلة العلمية لتمييز ما صح منه مما لم يصح، وهي نفس الوسيلة التي يميز بها الحديث الصحيح من الضعيف، ألا وهو الإسناد الذي قال فيه بعض السلف: لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء(٢).

---

(١) فقد أخرج الخطيب البغدادي في «الجامع لآداب الراوي والسامع»(١٤٩٣)، بإسناد صحيح من طريق الميموني: عَبْدَ الْمَلِكِ الْمَيْمُونِيَّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، يَقُولُ: «ثَلَاثَةُ كُتُبٍ لَيْسَ لَهَا أُصُولٌ: الْمَغَازِي وَالْمَلَاحِمُ وَالتَّفْسِيرُ ».

ويروىٰ:« ليس لها إسناد »، وقد علَّقتُ علي هذا الأثر عند شرحي لـ«مقدمة أصول التفسير» لشيخ الإسلام (١٩٠) وما بعدها.

(٢) كما أخرجه مسلم في «مقدمة صحيحه»(١/ ١٥) بسنده عن عبد الله بن المبارك قال: «الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ ».

وقد سبقه إلى ذلك المعلمي اليماني ﷺ فقال:

«وهيهات أن يعرف ما هو من الحقّ الذي بلَّغه خاتمُ الأنبياء عن ربّه عزَّ وجلَّ، وما هو من الباطل الذي يُبرَّأ عنه الله ورسوله؛ إلاّ بمعرفة أحوال الرواة.

وهكذا الوقائع التاريخية، بل حاجتها إلى معرفة أحوال رواتها أشدُّ؛ لغلبة التساهل في نَقْلها، على أنّ معرفة أحوال الرجال هي نفسها من أهمّ فروع التاريخ.

وإذ كان لا بدّ من معرفة أحوال الرواة؛ فلا بدّ من بيانها؛ بأن يخبر كلُّ مَن عَرَف حالَ راوٍ بحاله ليعْلَمَه الناسُ.

وقد قامت الأمّة بهذا الفرض كما ينبغي.اهـ[1]

قال الألباني – رحمه الله- :

« ولذلك لما فقدت الأمم الأخرى هذه الوسيلة العظمى امتلأ تاريخها بالسخافات والخرافات، ولا نذهب بالقراء بعيداً، فهذه كتبهم التي يسمونها بالكتب المقدسة، اختلط فيها الحابل بالنابل، فلا يستطيعون تمييز الصحيح من الضعيف مما فيها من الشرائع المنزَّلة على أنبيائهم، ولا معرفة شيء من تاريخ حياتهم، أبد الدهر، فهم لا يزالون في ضلالهم يعمهون، وفي دياجير الظلام يتيهون! فهل يريد منا أولئك الناس أن نستسلم لكل ما يقال:

إنه من التاريخ الإسلامي، ولو أنكره العلماء، ولو لم يرد له ذكر إلا في كتب

(١) انظر كتاب المعلمي رحمه الله « علم الرجال » (صـ٢).

العجائز من الرجال والنساء؟ !

وأن نكفر بهذه المزية التي هي من أعلى وأغلى ما تميَّز به تاريخ الإسلام؟ ! وأنا أعتقد أن بعضهم لا تخفى عليه المزية ولا يمكنه أن يكون طالب علم بَلَه عالمـًا، ولكنه يتجاهلها ويغضّ النظر عنها ستراً لجهله بما لم يصح منه، فيتظاهر بالغيرة على التاريخ الإسلامي، ويبالغ في الإنكار على من يعرف المسلمين ببعض ما لم يصح منه، بطرا للحق، وغمطًا للناس[1] والله المستعان .[2]

وقد شرع الشيخ الألباني نفسه في الكتابة في السيرة النبوية سمَّاه«**صحيح السيرة النبوية» حرَّر فيها الصحيح وزيَّف بعض الزائف** جريًا على قواعد علم مصطلح الحديث، وبيَّن نكارة أشياء كثيرة مدَوَّنة في كتب السيرة النبوية إلا أنه لم يكمل الكتاب فانتهى فيه إلى أبواب الإسراء والمعراج فلم يتم المشروع ومات رحمه الله تعالى.

وقد قال في كتابه«سلسلة الأحاديث الضعيفة»(٣):

« لا تجد من المؤلفين في تخريج الأحاديث وتمييز صحيحها من ضعيفها إلا أقل من القليل، وأما في السيرة فهو مما لم يطرق بابه أحد فيما علمت. ولقد كان قدر لي أنني شرعت في هذا المشروع العظيم وأنا بعيد عن بلدي وكتبي

---

(١) أي والله صدق الألباني رحمه الله إنهم ليفعلونه.

(٢) «السلسلة الصحيحة »(٥/ ٣٣١) .

(٣) «السلسلة الضعيفة»(١٣/ ٤٦٥). عند تحقيقه لحديث« **إِنَّ مُحَرِّمَ الْحَلَالِ كَمُحَلِّلِ الْحَرَامِ** ».

ومَراجعي، وقطعت فيه شوطاً جيداً؛ نحو الثلث، ثم لما تيسر لي العودة إلى بلدي؛ صرفني عنه مشاريعي العلمية الأخرى، ولسان حالي يقول: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ »[1]. البقرة.

فالحاصل: أن العلماء أجروا قواعد تحقيق الأحاديث النبي في العقائد والأحكاموالآداب على أحداث السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، إذ لا فرق عد من عقل، كله من الدين، وكله يشمله قول ابن المبارك رحمه الله:

« الإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، لَوْلا الإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ. وهو صحيح عنه».

ألا ترى أن العلماء حكموا على أخبار من السيرة والتاريخ، فكم ضعَّفوا أحاديث وآثار في «السيرة النبوية» و«أحداث من التاريخ» وحكموا على بعضها بالنكارة، وكم صححوا من أخبار وآثار كذلك في «السيرة النبوية» و«أحداث التاريخ»، وهذا يدل على أنهم أجرَوا قواعد مصطلح الحديث عليها.

وكم لهم من كلام حضُّوا فيه على الاعتناء بالصحيح وتمييزه عن الضعيف، فكيف عرفوا ذلك إلا بتطبيقهم لقواعد مصطلح الحديث عليها؟

وإن القول بعد تطبيق قواعد علم مصطلح الحديث على أخبار السيرة النبوية والتاريخ مدعاة للتهوين من تلك الأخبار، ومدعاة لإدخال أحاديث منسوبة إلى رسول الله ﷺ وليست من قوله.

---

(١) وليقرأ تتمة تخريجه لنفس الحديث على بعض الكتاب، وينظر هل يعتمد الألباني على إمرار قواعد علم الحديث على أحداث السيرة أم لا ؟

وما الفرق بيت أحاديثه المروية في السيرة النبوية، والمروية في الأحكام والعقائد، فكله منه خرج أو عنه يخبر، أو عن أصحابه في زمنه ﷺ ؟!

وإن كلام العلماء بضرورة التثبُّت من أسانيد المروي عن رسول الله ﷺ شاملة لما كانفي السيرة النبوية، وما كان في غيرها من فروع الشريعة، وهذا وذاك لا فرق بينه وبينه، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

فأقوالهم والنقل عنهم في ضرورة التثبُّت من أسانيد المنسوب إليه كثير متواتر حتى نجمت هذه المحدثة هذه التي هي التفريق في إمرار قواعد مصطلح الحديث علي العقائد والأحكام عن غيرها من كتب «السيرة النبوية» و«التاريخ الإسلامي» العظيم.

وقد حاولت في هذا الكتاب ـ ولله الحمد ـ أن أعتمد في هذا الكتاب على الصحيح سنداً دون الضعيف إلا ما لابد من إيراده لشهرته فأورده لأبين ضعفَه فتتم الفائدة، ويُزَال اللبس والإشكال الذي يسأل عنه القُرَّاء، ولعلهم يستنكرون عدم إيرادي له مع شهرته !

وأحياناً أُعلِّق بتعاليق مفيدة ضرورية، أو أذكر دروساً مستفادة وفوائد عقب بعض الغزوات، لكن لا أُكثر؛ لأن جُل الهدف الأسمى بالدرجة الأولى تنقية السيرة النبوية مما علق بها .

وأما الفوائد المستنبطة، والدروس التربوية من السيرة فتحتاج إلى مصنف آخر كهذا أو أكبر ما قصدتُ إليه هنا.

فاللهَ أسأل أن ينفع به، وأن يسدد أعمالنا ويغفر بها الزلل، وأن يمتعنا بالصحة

والعافية في الدنيا، وأن يعفو عنا ويغفر لنا، إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم وبارِكْ على محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعين .

كتبه
أبو يحيى محمد بن عبده
بلطيم ـ كفر الشيخ ـ مصر

التعريف بالنبي ﷺ ونسبه

هو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، بْن هَاشِمِ، بْن عَبْدِ مَنَافٍ، بْن قُصَيٍّ، بْن كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ، بْن كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ، بْن إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَبْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ(١)

هكذا وقف النسَّابون إلا بالتخرُّص.

وقد قَالَ كُلَيْبُ بْنُ وَائِلٍ: حَدَّثَتْنِي رَبِيبَةُ النَّبِيِّ ﷺ، زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: قُلْتُ لَهَا: « أَرَأَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ أَكَانَ مِنْ مُضَرَ؟ قَالَتْ: فَمِمَّنْ كَانَ إِلَّا مِنْ مُضَرَ؟ مِنْ بَنِي النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ »(٢).

وفي صحيح البخاري قول أبي سفيان لهرقل وهو يسأله عن النبي ﷺ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ فقال أبو سفيان : هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، فقال هرقل لأبي سفيان : وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا...الحديث(٣).

وهو يدل على شرفه ﷺ وشرف نسبه .

وكيف وقد اعترف بذلك خصومه الذين يكرهونه، ولو أمكنهم إدخال الكذب عليه في كلامهم لكذبوا، كما صرَّح بذلك أبو سفيان رضي الله عنه نفسُه قَبْل

---

(١) نُقل اتفاق على صحة هذا، ولا يصح النسبة إلى ما فوق عدنان .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩١).

(٣) وهذا في «صحيح البخاري» في كتاب بدء الوحي حديث (٢٩٤٠) وغيره .

إسلامه في نفس الحديث السالف فقال :

« فَوَاللهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ».

وعن وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»(١).

وقد قال ﷺ : «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »(٢).

قَالَهُ إِخْبَارًا عَمَّا أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْفَضْلِ والسُّودَد، وتحدُّثًا بِنِعْمَةِ اللهِ تَعَالَى عِنْدَهُ، وَإِعْلَامًا لأُمَّته لِيَكُونَ إيمانُهم بِهِ عَلَى حَسَبه ومُوجَبه(٣).

قال الهروي :

السيد هو الذي يفوق قومه في الخير. وقال غيره: هو الذي يفزع إليه في

---

(١) أخرجه مسلم(٢٢٧٦).

(٢) أخرجه مسلم(٢٢٧٨).

وأما لفظة: «ولا فخر»المشهورة ، فقد أخرجها أحمد (١٠٩٧٨)، بإسنادٍ فيه نظر لكن له شاهد عن حذيفة، عن أبي بكر الصديق، أخرجه ابن أبي عاصم في«السنة»(٧٥١)والبزار (٧٦)وغيرهما، بإسنادٍ يحسن، أن رسول الله ﷺ قال:« **يَا رَبِّ جَعَلْتَنِي سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وَأَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ** »، ولها شواهد أخرىٰ.

(٣) «النهاية في غريب الحديث »(٤١٧/٢)

النوائب والشدائد فيقوم بأمرهم، ويتحمل عنهم مكارههم ويدافع عنهم[١].

ونخلُصُ من هذا :

أن الصحيح من نسَبه ﷺ ما انتهى إلى معدِ بنِ عدنان، وأنه ذو شرفٍ ونسبٍ في قومه، وشهد بذلك القاصي والداني حتى خصومه، ووقد هيَّأ الله تعالى ذلك كذلك لتكمُل حُجَّة الله على خلقه، فلا يدَّعون الجهالة بحاله، أو عدم معرفة صدقه وأمانته وعفافه ... وغير ذلك مما يكون لهم عذراً في عدم الإيمان به، والتصديق لدعوته ﷺ.

(١) حاشية مسلم لمحمد فؤاد عبد الباقي يرحمه الله.

بيان منزلة صاحب السيرة

محمد ﷺ بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

لقد كان رسول الله ﷺ خير الأنبياء وأفضلهم...

وهو وإن كان النبي ﷺ قال: «**لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ**»[١].

وقال: «**لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**»[٢]

وفي صحيح البخاري[٣] قوله ﷺ: «**لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ الله ..**».

وقال أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ**»[٤].

و في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ**

(١) صحيح: أخرجه البخاري(٢٤١١) ومسلم(٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري(٣٣٩٥) ومسلم (٢٣٧٦)من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) برقم (٢٣٧٣) ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٦٩).

﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ ﴿٢٦٠﴾﴾ البقرة.

وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ ».كذا يثني عليهم .[1]

فهذه معناها :

لا تفضِّلُوني تفضيلاً فيه انتقاص لغيري من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو أنه ﷺ قاله على سبيل التواضع وهضم حق النفس، وإلا فهو يعلم ﷺ أنه أفضل منهم، وما أكرم الله نبياً غيره بمعجزة أو كرامة إلا وأعطى محمداً ﷺ مثلها أو أعظم منها في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً،بل قد يقال اجتمع فيه ما لجميعهم عليهم الصلاة والسلام،كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله.

ولا أدلَّ على ذلك من تصريحه بأنه ﷺصاحب لواء الحمد، وأول شافع، وأول مشفَّع، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، آدم فمن سواه من النبيين تحت لوائه ﷺ.

وقد صلَّى بالأنبياء جميعاً في بيت المقدس إماماً، وهذا دليل على تفضيله عليهم.

وهو صريح في ذلك ، وهو أكثرُ الأنبياء تِبعاً، وهذا يتضمَّن تعظيم أجره ورفعة درجته ﷺعليهم جميعاً، إذ أن أمته كلها في ميزان حسناته، وجاءت النصوص الصريحة بتقديمه عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

فمعجزاته ﷺوكراماته أكثر منهم جميعاً:

---

(١) في صحيح البخاري (٣٣٧٢).

❁ فقد حنَّ الجذع لفراق رسول الله ﷺ لما كان يخطُب عليه وتركه، واتخذ منبراً (١).

❁ ولقد ذكَّره الله بالعفو قبل أن يذكر له العتاب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ التوبة.

❁ ولقد جعل الله تعالىٰ طاعة رسوله محمد ﷺ طاعته فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ النساء.

❁ ولقد أرسله الله تعالىٰ آخر الأنبياء وذكره أولهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ الأحزاب.

❁ وإن أهل النار ليتمنَّون أن يكونوا اتبعوه وهم تقلَّب وجوههم في النار: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ الأحزاب.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ النساء.

❁ ولئن كان الله تعالىٰ قد أعطىٰ موسىٰ ﷺ: أن ضرب الحجر بعصاه فانفجرت

---

(١) ففي مسند أحمد (٢٢٣٦) وابن ماجة (١٤١٥) بسند صحيح عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَخْطُبُ إِلَىٰ جِذْعٍ فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ ذَهَبَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَحَنَّ الْجِذْعُ فَأَتَاهُ فَاحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ فَقَالَ: «لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

منه اثنتا عشرة عينا، فما ذلك بأعظم من نبع الماء من بين أصابعه ﷺ.

فعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ، فَأُتِيَ بِقَدَحٍ رَحْرَاحٍ، فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ» قَالَ أَنَسٌ: «فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ» قَالَ أَنَسٌ: «فَحَزَرْتُ مَنْ تَوَضَّأَ، مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ». (١)

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ حَضَرَتِ الْعَصْرُ، وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ غَيْرَ فَضْلَةٍ، فَجُعِلَ فِي إِنَاءٍ فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ وَفَرَّجَ أَصَابِعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**حَيَّ عَلَى أَهْلِ الوُضُوءِ، البَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ**» فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ وَشَرِبُوا، فَجَعَلْتُ لاَ آلُو مَا جَعَلْتُ فِي بَطْنِي مِنْهُ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ.

قُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ (٢).

وهذا - لا شك - أبلغ مما حصل من خروج الماء من الحجر لموسى ﷺ.

وقد رُوي هذا عنه من غير وجهٍ عن عدَّة من الصحابة عَدَّهم الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ثم قال:

« وَقَدْ نقل ابن عَبْدِ الْبَرِّ عَنِ الْمُزَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ نَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ أَبْلَغُ فِي الْمُعْجِزَةِ مِنْ نَبْعِ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ حَيْثُ ضَرَبَهُ مُوسَى بِالْعَصَا فَتَفَجَّرَتْ مِنْهُ الْمِيَاهُ لِأَنَّ

(١) صحيح أخرجه البخاري(٢٠٠) ومسلم (٢٢٧٩).

(٢) صحيح أخرجه البخاري(٥٦٣٩).

خُرُوجَ الْمَاءِ مِنَ الْحِجَارَةِ مَعْهُودٌ بِخِلَافِ خُرُوجِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ اللَّحْمِ وَالدَّمِ»[١].

❁ ولئن ضرب موسي ﷺ الميت ببعض البقرة المذبوحة فأحياه الله ،فلقد ضرب النبي ﷺ جملاً لجابر قد أعيا فارتدت له العافية.

ففي صحيح البخاري عن جابر رضي الله عنه :أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَعْيَا، فَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَضَرَبَهُ فَدَعَا لَهُ، فَسَارَ بِسَيْرٍ لَيْسَ يَسِيرُ مِثْلَهُ...[٢]».

وسيأتي إحياء الله الشاة المسمومة له، وإخبارها له ﷺ أنها مسمومة.

❁ ولئن كان موسى ﷺ قد ضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق من قومه كالطود العظيم، فأصبح البحر لهم طريقاً يابساً آمناً لا يخافون فيه دَرَكاً.

فليس ذلك بأعجب مما رواه البخاري عن جابر رضي الله عنه قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: «**أَنَا نَازِلٌ**».

ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ،..[٣].

❁ ولقد فُضِّل رسول الله ﷺ عليهم فأُعطى خمساً لم يُعطهن نبيٌ قبله .

ففي حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ**

---

(١)«فتح الباري»(٦/ ٥٨٥).

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٢٧١٨) ومسلم (٧١٥) .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٤١٠١).

بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي،وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً »[1].

وفي رواية:

«فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ »[2].

❁ ولم يبارك الله لنبيِّه ﷺ في تكثير الماء فحسب:

فقد صنع أبو طلحة طعاماً يكفيه هو فقط فمسَّه ﷺ فكثر حتىٰ أكل القوم.

قال أنس بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه :

بَعَثَنِي أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ لِأَدْعُوَهُ وَقَدْ جَعَلَ طَعَامًا، قَالَ: فَأَقْبَلْتُ وَرَسُولُ الله ﷺ مَعَ النَّاسِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقُلْتُ: أَجِبْ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «قُومُوا»، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا صَنَعْتُ لَكَ شَيْئًا، قَالَ: فَمَسَّهَا رَسُولُ الله ﷺ وَدَعَا فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ:

«أَدْخِلْ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِي عَشَرَةً»، وَقَالَ: «كُلُوا»، وَأَخْرَجَ لَهُمْ شَيْئًا مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَأَكَلُوا حَتَّىٰ شَبِعُوا فَخَرَجُوا، فَقَالَ: «أَدْخِلْ عَشَرَةً»، فَأَكَلُوا حَتَّىٰ شَبِعُوا،

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٣٥) وأخرجه مسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) صحيح أخرجه مسلم (٥٢٣) .

فَمَا زَالَ يُدْخِلُ عَشَرَةً وَيُخْرِجُ عَشَرَةً حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ، فَأَكَلَ حَتَّىٰ شَبِعَ، ثُمَّ هَيَّأَهَا فَإِذَا هِيَ مِثْلُهَا حِينَ أَكَلُوا مِنْهَا»(١).

❁ ولئن كان الله قد أعطىٰ إبراهيم الإمامة في الدين، فقال ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ النحل. فكان إماماً حنيفاً مائلاً عن الشرك ﷺ...قائماً بالطاعة ملازمًا لها.

فقد أعطىٰ الله نبيه محمداً ﷺ الشفاعة العظمىٰ يوم القيامة، وهي أعظم من الإمامة في الدنيا، ولقد كان رسول الله ﷺ أخشىٰ الناس وأتقاهم لله.

❁ ولئن كان الله كلم موسىٰ تكليماً، وهو علىٰ الأرض، فقد كلم الله نبيه محمداً ﷺ في السماء، ليلة المعراج، ففرض عليه الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

❁ ولئن كان الله قد أعطى موسى ﷺ أمة يهدون بالحق وبه يعدلون، قد هادوا إلى ربهم.

كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأعراف.

وأعطىٰ لكل نبي حواريين وأصحاباً يأتمرون بأمره ويستنون بسنته.

فلقد أعطىٰ الله من ذلك لنبيِّه محمد ﷺ أصحاباً سابَقُوهم في المعالىٰ صراحة وبوضوح من ذلك ما جرىٰ يوم بدر، فقالوا لنبيهم ﷺ وهو يستشيرهم في قتال

(١) صحيح وهذا لفظ مسلم (٢٠٤٠) وهو في صحيح البخاري (٥٤٥٠) بنحو من ألفاظه

الكفار الذين كانوا أكثر منهم في العدد والعتاد ، وكانوا بالعُدوة الدنيا ،والكفار بالعدوة القصوي والركب أسفل منهم

قَالَ المِقْدَادُ رضي الله عنه يَوْمَ بَدْرٍ: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنَّا لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ} وَلَكِنِ امْضِ وَنَحْنُ مَعَكَ، «فَكَأَنَّهُ سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهَّ ﷺ»(١).

وفي حديث ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال:

شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَىٰ المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لاَ نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ «فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ» يَعْنِي: قَوْلَهُ(٢).

وما فداؤهم وتضحياتهم يوم أحد وغيره منك ببعيد، حتىٰ شُلَّت يد بعضهم ، وسيأتي ذكر ذلك في موطنه إن شاء الله.

❁ بل كفاهم فخراً وكرامة أن الله تعالىٰ قد جعلهم شُهداء للأنبياء علىٰ أُممهم ،كما جعلَ نبيَّهم محمداً ﷺ شهيداً للأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنهم قد بلَّغوا أقوامهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ

(١) صحيح أخرجه البخاري(٤٦٠٩).

(٢) صحيح أخرجه البخاري(٣٩٥٢) .

شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل.

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ النساء.

❁ وهذه منزلة عظيمة له ولأمته:

أخرج البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ**: {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣] فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣] ».

وَالوَسَطُ: العَدْلُ (١).

يشهدون لتصديقهم بما أخبرهم نبيهم محمد ﷺ أنه قد بلَّغ ،وأما هم فما شاهدوا ، فلله درُّهم رضي الله عنهم ، وهذا موطن تشريف لهم .

❁ ولقد فسح الله لأمته ما لم يفسح لأمة من الأمم قبلها: في التجاوز عنهم ، وتخفيف الوطأة عليهم في طرق توبتهم ، والتجاوز عما حدَّثتهم به أنفسهم ما لم يتكلموا أو يعملوا، ووضع الإصر عنهم، وتخفيف الصلوات عنهم بتقليل عددها،

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٤٨٧).

فكانت خمساً في العمل ، وخمسين في الأجر، وتميُّزهم بخصائص....إلخ.

ولا شك أن تكريم أمته رفعة قدر له ﷺ

❁ **ومن عِظم ذلك : تلك الدعوة العظيمة التي وقى الله بها أمته من تَسَلُّط الأعداءِ عليهم** ، ومن الهلاكِ العام الذي كان الله يهلك به مَن قبلَهم من الأمم العاصية ، فلا يستطيعون توصيَة ولا إلى أهلهم يرجعون ، وهذا مع البشارة العظيمة بتمليك أمته الأرض كلها.

فأخرج مسلم عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا** - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - **حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا** »[1].

فجعل سبحانه لأمته فسحة من الوقت إذا هُم عَصَوا ليتمكنوا من التوبة .

ولذلك لا هلاك عام يأخذ هذه الأمة مع وجود جميع أنواع المعاصي التي كانت في الأمم من قبلنا :

---

(١) صحيح أخرجه مسلم(٢٨٨٩).

التطفيف في الميزان الذي كان في قوم شعيب عليه السلام، والفعلة النكراء التي كانت في قوم لوط عليه السلام، والتكذيب والسباب والاستهزاء بالصالحين الذي كان في الأمم، والسبِّ للدين، والكفر المبين، ودعاء من لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئاً من الأموات والأحجار، بل شرك عبدة الأصنام ...

كل هذا موجود في هذه الأمة لا ينكَر وجوده ، ومع ذلك لاتجد العقوبة بالهلاك العام، ولا الغرق، ولا بتسلُّط الأعداء عليهم فيستبيح بيضة الأمة بكاملها، ولا تجد صيحة، ولا رجفة، ولا مطر حجارة من سجِّيل منضوض..ولا شيئاً من هذا، فلله الحمد كله، وجزىٰ الله محمداً ﷺ علىٰ اهتمامه بهذه الدعوة العظيمة التي نفع الله بها أمته.

❁ ولئن كان الله قد أعطىٰ عيسىٰ ﷺ إحياء الموتىٰ والكلام في المهد صبياً تبرئة لساحة أمه الصدِّيقة رضي الله عنها.

قال تعالىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ المائدة.

فقد حمى الله محمداً ﷺ صغيراً لما كان صبياً يريد أن يسمَر مع الصبيان ، فضُرب عليه النعاس ونام فما أيقظه إلا حرّ الشمس، وفُتح صدره وأُخرج منه حظ

الشيطان ومُلِيء رحمة وعلماً ، وعلَّمة الله الحكمة وتلاوة الكتاب – وهي دعوة إبراهيم ﷺ كما قَالَ تعالى عنه: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ ﴾ البقرة.

فهو دعوة إبراهيم ﷺ .

❁ **ولئن كان الله** قد أعطَى سليمانَ الريحَ غُدُوّها شهرٌ وروَاحها شهرٌ، ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون بين يديه – بإذن ربه – محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدورٍ راسيات..[1].

فليس ذلك بأعجب من البُراق الذي ركبه محمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس يضع حافره عند منتهى بصره،[2] ثم صعد به إلى السَّمَوات العُلى – ثم عاد من

---

(١) فمن ذلك ما أخرجه الطبري في «تفسيره»(١٨/ ٣٠)بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ – عليه السلام- يُوضَعُ لَهُ سِتُّ مِائَةِ كُرْسِيٍّ، ثُمَّ يَجِيءُ أَشْرَافُ الْإِنْسِ فَيَجْلِسُونَ مِمَّا يَلِيهِ، ثُمَّ تَجِيءُ أَشْرَافُ الْجِنِّ فَيَجْلِسُونَ مِمَّا يَلِي الْإِنْسَ، قَالَ: ثُمَّ يَدْعُو الطَّيْرَ فَتُظِلُّهُمْ، ثُمَّ يَدْعُو الرِّيحَ فَتَحْمِلُهُمْ، قَالَ: فَيَسِيرُ فِي الْغَدَاةِ الْوَاحِدَةِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ فِي مَسِيرِهِ إِذِ احْتَاجَ إِلَى الْمَاءِ وَهُوَ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، قَالَ:

فَدَعَا الْهُدْهُدَ، فَجَاءَهُ فَنَقَرَ الْأَرْضَ، فَيُصِيبُ مَوْضِعَ الْمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ تَجِيءُ الشَّيَاطِينُ فَيَسْلَخُونَهُ كَمَا يُسْلَخُ الْإِهَابُ، قَالَ: ثُمَّ يَسْتَخْرِجُونَ الْمَاءَ. فَقَالَ لَهُ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ: قِفْ يَا وَقَّافُ، أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ: الْهُدْهُدُ يَجِيءُ فَيَنْقُرُ الْأَرْضَ، فَيُصِيبُ الْمَاءَ، كَيْفَ يُبْصِرُ هَذَا، وَلَا يُبْصِرُ الْفَخَّ يَجِيءُ حَتَّى يَقَعَ فِي عُنُقِهِ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَيْحَكَ، إِنَّ الْقَدَرَ إِذَا جَاءَ حَالَ دُونَ الْبَصَرِ ».

(٢) وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه .

ليلته إلى مكة قبل طلوع الشمس ، وسيأتي بيان ذلك في موطنه إن شاء الله تعالى .

❁ **ولئن كان الله** قد أعطى عيسى ﷺ إحياء الموتى فما ذلك بأعجب من الشاة المسمومة التي وضعت اليهودية فيها السُّمَّ للنبي ﷺ بين يديه وبينما هو يأكل منها إذ أخبرته الشاة أنها مسمومة.

فأخرج أبو داود بسندٍ حسن لشواهده عن رسول اللهَّ ﷺ: «يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ» زَادَ: فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا فَأَكَلَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ فَقَالَ: «**ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ**» فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الْأَنْصَارِيُّ فَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ « **مَا حَمَلَكِ عَلَى الَّذِي صَنَعْتِ؟**»

قَالَتْ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ فَقُتِلَتْ...الحديث .(١)

ولم يصب النبي ﷺ إلا بأثرٍ خفيف وجده في لهواته، وأخبر به في مرض موته.

❁ **ولئن كان نوح** ﷺ قد دعا على قومه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ نوح.

فإن محمداً ﷺ قد ضُرِب وأُوذي بأكثر ، وأُخرج من بلدته – وهي أحب البلاد

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥١٠) فما بعده فله طريق عن أبي هريرة رضي الله عنه اختلف في وصله وإرساله ، وآخر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وفي سنده انقطاع، والحديث بأصل وضع السُّم للنبي ﷺ في صحيح البخاري (٣١٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

إليه وإلى الله تعالى، وحاولوا قتله، وحاربوه ، وقتَّلوا أصحابه ﷺ، وكسروا رباعيته في غزوة أُحد وشجُّوا رأسه،وانكسرت حلقة المغفر في وجنته....وهو يدعوهم إلى الله.. كُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ ﷺ، وَشُجَّ فِي جَبْهَتِهِ فَجَعَلَتِ الدِّمَاءُ تَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ...

قال عَبْدِ الله بنُ شَقِيقٍ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ؟ قَالَتْ: « نَعَمْ، بَعْدَ مَا حَطَمَهُ النَّاسُ ».(١)

بل قال ﷺ: «أَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ، مِنْ أُمَّتِي، بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

وقالت عَائِشَةُ رضي الله عنها، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: **«لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ،إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا »**وسيأتي ذلك

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (٧٣٢)

(٢) هذا لفظ رواية مسلم (٢٦٠٣) .

في موطنه إن شاء الله.

ومع ذلك فإنه ﷺ ما زاد على الوارد عنه أنه قال ﷺ :« **اللهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**» [(١)].

ولم يجد ﷺ **فرصة** فيها رحمة بأحد من أمته، أو تخفيف عن مُعذَّب منهم... إلا اغتنمها ويفرح بذلك ويُسَرُّ إذا أنقذ الله به أحداً من النار[(٢)] وكان يقول لأميره :«

---

(١) وإن كان هذا قد ورد بسندٍ فيه نظر أخرجه البيهقي في «الشعب»(١٣٧٦) والضياء في «المختارة» (١٠/ ١٣).

(٢) ألا تراه يوم مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» ثُمَّ قَالَ: «**بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**». ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا**».

- ألا تراه يوم زار عمه أبا طالب وهو على فراش الموت قال له: « يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ » فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ.. الحديث أخرجه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤) من حديث المسيب رضي الله عنه.
- ألا تراه عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ**»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ،فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ:«**الحَمْدُ لله الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**»أخرجه البخاري (١٣٥٦).
- وانظر رأفته ورحمته مع الأعرابي الذي بال في المسجد ....
- ومع من خاصم معاذاً رضي الله عنه في تطويله بالصلاة....
- وفي تعليمه لمعاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه. =

انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ »[1]

فقد كان رؤوفاً رحيماً حليماً صبوراً على أذى قومه، ولو دعا عليهم لهلكوا، فبأبي هو وأمي ﷺ ماكان مثله معلماً ﷺ .

❁ **ولقد** اتبعه على قِصر عُمره وقلَّة دعوته ما لم يتبع نوحاً على طول عُمره وطولِ دعوته ، فآمن معه كثير، وأما نوح عليه السلام :فما آمن معه إلا قليل ..

❁ **ولئن** كان الله تعالى قد أعطى داود عليه السلام جمال الصوت وحسنَه مع العلم والحكمة له ولولده سليمان عليهما السلام كما قال تَعَالَى:﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأنبياء.

=

❁ وفي قوله للصحابة ﷺ كما في حديث أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاَةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلاَنٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الحَاجَةِ**» أخرجه البخاري (٩٠) ....ومن هذا كثير.

❁ ولعل من أبرز ذلك ما أخرجه ابن ماجة (٤٣١١) بسندٍ صحيح لشواهده عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ، وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ،فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتَرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ، الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ**» وخرجته في كتابي «الفوائد النيرة »برقم (٧٥٩).

(١) وهذا في حديث صحيح أخرجه البخاري(٣٠٠٩) ومسلم (٣٤٠٦) .

لقد أُعطي داود عليه السلام المنتهىٰ في حُسن الصوتِ بالقراءة،الْجِبَالُ تُجَاوِبُهُ بِالتَّسْبِيحِ يصلين معه إذا صلىٰ، والطير تسبح معه إذا سَبَّحَ ، ولكن !

ليس ذلك بأعجب من إعطاء الله لبعض أصحاب نبينا ﷺ - ليس له وحده - مثل ذلك أو نحوه.

❁ فأخرج البخاري ومسلم، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَهُ: «**يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**».(١) وهذا رجل من الأُمة !

شُبِّه حُسنُ الصوت وحلاوته بنغمةالمزمار ، وكان أبو موسىٰ صوته حسناً يشبه ما أعطيه داود ﷺ من حسن الصوت.

❁ وفي صحيح مسلم ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَبِي مُوسَىٰ: «**لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**».(٢)

زاد ابن أبي شيبة في روايته: عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ أَبَا مُوسَىٰ، كَانَ يَقْرَأُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَنِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَمِعْنَ فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «لَوْ عَلِمْتُ لَحَبَّرْتُ تَحْبِيرًا أَوْ تَشَوَّقْتُ تَشْوِيقًا»(٣).

وليس هو فحسب ، بل من أصحابه غيره من رُزِق مثله.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٨) ومسلم (٧٩٣) .

(٢) صحيح أخرجه مسلم (٧٩٣)

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١١٩) بسندٍ صحيح علىٰ شرط مسلم

❁ فقد أخرج ابن ماجة بسندٍ صحيح عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: أَبطَأْتُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةً بَعْدَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ جِئْتُ فَقَالَ: «**أَيْنَ كُنْتِ؟**» قُلْتُ: كُنْتُ أَسْتَمِعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِكَ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَ قِرَاءَتِهِ وَصَوْتِهِ مِنْ أَحَدٍ، قَالَتْ: فَقَامَ وَقُمْتُ مَعَهُ حَتَّىٰ اسْتَمَعَ لَهُ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: «**هَذَا سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَ هَذَا**». (١)

❁ **وقد أظلت الملائكة بعض أصحابه وهو يقرأ القرآن.**

ففي صحيح مسلم عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه، حَدَّثَهُ: أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ، إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَىٰ، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَىٰ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّىٰ مَا أَرَاهَا، قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي، إِذْ جَالَتْ فَرَسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ**» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ**».

قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ**» قَالَ: فَانْصَرَفْتُ، وَكَانَ يَحْيَىٰ قَرِيبًا مِنْهَا، خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّىٰ مَا أَرَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ**» (٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجة (١٣٣٨) بسندٍ صحيح على شرط مسلم

(٢) صحيح أخرجه مسلم (٧٩٦)

فكيف لو ذكرنا قراءة ابن مسعود – ابن أم عبد رضي الله عنه – ، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل رضي الله عنه وغيرهم لطال بنا المقام .

❁ **وأما قراءته ﷺ** فيصفها رجل لم يكن أسلم قبل وهو جبير بن مطعم رضي الله عنه :

فأخرج البخاري عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، رضي الله عنه ، قَالَ: « سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ} » قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ (١).

❁ **ويصف البراء بن عازب رضي الله عنه قراءته**

أخرج البخاري ومسلم عن عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ فِي الْعِشَاءِ بِـ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ. (٢)

❁ **ولئن كان الله علَّم** سليمان عليه السلام منطق الطير والنمل ولُغَة الجن ..

يخاطبهم ويعلَم لغتَهم ، ففهم لغة النملة لما قالت :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ النمل.

وفهم لغة الطير إذ كلمه الهدهد فقال له: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ

(١) صحيح أخرجه البخاري(٤٨٥٤)

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٧٦٩) ومسلم (٤٦٤).

مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ النمل .

فلقد أعطىٰ محمداً ﷺ معرفة منطق الحيوان بل الشاة المطبوخة التي سُممت له ، تكلمت وذكرت له أنها مسمومة كما تقدَّم، وكذا منطق الحيوان:

فأخرج أبو داود وغيره بسند ثابت عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه ، قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ من الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَىٰ النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: «**مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟**»، فَجَاءَ فَتًىٰ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «**أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**»(١).

❁ **ولئن أعطى الله** سليمان مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده كما أشرنا قبل ، فأعطاه ملكاً عظيماً، ومن ذلك أنه سخر له الشياطين .

فليس ذلك بأعجب مما رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ البَارِحَةَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلاَةَ، فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لاَ**

(١) أخرجه أحمد (١٧٤٥) وأبو داود (٢٥٤٩) وأصله في صحيح مسلم(٣٤٢)

يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي: «فَرَدَّهُ خَاسِئًا». (١)

وقد عرض كفار مكة علي النبي ﷺ أن يكون ملكاً عليهم، وأن يجمعوا له من المال مايستغني عنه هو وعقبه من بعده ،أو أن يجمعوا له من النساء ينكح من أيهن شاء.

فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: «قَالَ أبوجَهْلٍ وَالْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ لَقَدِ انْتَشَرَ عَلَيْنَا أَمْرُ مُحَمَّدٍ فَلَوِ الْتَمَسْتُمْ رَجُلًا عَالِمًا بِالسِّحْرِ وَالْكِهَانَةِ وَالشِّعْرِ فَكَلَّمَهُ ثُمَّ أَتَانَا بِبَيَانٍ مِنْ أَمْرِهِ فَقَالَ عُتْبَةُ لقد سمعت قول السَّحَرَةِ وَالْكِهَانَةِ وَالشِّعْرِ وَعَلِمْتُ مِنْ ذَلِكَ عِلْمًا وَمَا يَخْفَى عَلَيَّ إِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَتَاهُ .

فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ لَهُ عُتْبَةُ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ هَاشِمٌ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الله؟ فَلَمْ يُجِبْهُ قَالَ: فِيمَ تَشْتُمُ آلِهَتَنَا، وَتُضَلِّلُ آبَاءَنَا، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا بِكَ الرِّئَاسَةُ عَقَدْنَا أَلْوِيَتَنَا لَكَ فَكُنْتَ رَأْسَنَا مَا بَقِيتَ، وَإِنْ كَانَ بِكَ الْبَاءَةُ زَوَّجْنَاكَ عَشْرَ نِسْوَةٍ تَخْتَارُ مِنْ أَيِّ أَبْيَاتِ قُرَيْشٍ شِئْتَ، وَإِنْ كَانَ بِكَ الْمَالُ جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا تَسْتَغْنِي بِهَا أَنْتَ وَعَقِبُكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَرَسُولُ الله ﷺ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ.

فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.{حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ- فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ- أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ}**.

فَأَمْسَكَ عُتْبَةُ عَلَى فِيهِ وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أُن يَكُفَّ عَنْهُ وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى أَهْلِهِ وَاحْتَبَسَ

(١)أخرجه البخاري (٤٦١) ومسلم (٥١٤)

عَنْهُمْ.. الحديث. [١]

❁ **ولئن أعطى** الله تعالىٰ ذا القرنين دنيا فملكها، فهذا رسول الله ﷺ تملك أمته الدنيا.

ففي صحيح البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي** » قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا [٢]

❁ **وقد خاطب** النبي ﷺ الجماد وأمره فاستجاب، ولا يُعلم مثلها لنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وسلَّم عليه الحجر.

فعَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ أَنَسًا رضي الله عنه، حَدَّثَهُمْ قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ أُحُدًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ، وَقَالَ: « **اسْكُنْ أُحُدُ** - أَظُنُّهُ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ -، **فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ** »[٣].

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، كَانَ عَلَىٰ حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ** ». [٤]

---

(١) أخرجه ابن معين في «تاريخه »رواية الدوري(٣/ ٥) والبيهقي في «الدلائل»(٢٠٣) وغيرهما بسندٍ ثابت بطرقه .

(٢)صحيح أخرجه البخاري (٢٩٧٧) ومسلم (٥٢٣). وتنتثلونها: تستخرجونها من مواضعها.

(٣) صحيح أخرجه البخاري(٣٦٩٩) .

(٤) صحيح أخرجه مسلم (٢٤١٧) .

❁ **ولئن كان الله** قد أمسك الشمس ليوشع بن نون ﷺ.[١]

فقد فعل الله مثلها لنبينا محمد ﷺ ، ففي صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً « **فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ القَمَرِ** ».[٢]

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ الله، قَالَ: انْشَقَّ القَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فَقَالَ لَنَا: «**اشْهَدُوا اشْهَدُوا**»[٣].

وفي رواية :«فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً فَوْقَ الجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اشْهَدُوا**»[٤].

وأنزل من السماء ماءً على النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم في غزوة بدر أيضاً أنزل الماء فثبَّت به الأقدام...

❁ **ولئن كان الله قد** أعطى موسى ﷺ أمة عظيمة، سواداً عظيماً ، أمةً يهدون بالحق وبه يعدلون كما قَالَ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

---

(١) ففي صحيح البخاري(٣١٢٤) ومسلم (١٧٤٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لاَ يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا؟ وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا، فَغَزَا فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلاَةَ العَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ...**»الحديث .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤٨٦٧)ومسلم (٢٨٠٢).

(٣) صحيح أخرجه البخاري(٤٨٦٣) ومسلم (٢٨٠٠) .

(٤) صحيح أخرجة البخاري(٤٨٦٤) .

قوم هداة يهتدون بهديه ويستنون بسنته، فقد رآهم النبي ﷺ .

أعطى سبحانه لكل نبي من أمته حواريين وأصحاباً يأتمرون بأمره ويستنون بسنته. (١) فكان لرسول الله ﷺ أكثر منهم تبعاً، يباهي بهم – إن شاء الله – الأُمَم يوم القيامة(٢).

فقد أخرج البخاري عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه : قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ : « **عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ** ». (٣)

وأخرج مسلم عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**». (٤)

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :«**أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ**

---

(١) كما جاء نصه ﷺ على ذلك في صحيح مسلم رقم (٤٩)

(٢) ففي صحح البخاري(٤٩٨١) ومسلم قوله ﷺ «**وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وفي سنن أبي داود (٢٠٥٠) بسندٍ حسن قوله ﷺ: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ**».

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٣٧٠٥) ومسلم (٢٢٠).

(٤) صحيح أخرجه مسلم (١٩٦).

صَفٌّ، أَنْتُمْ ثَمَانُونَ صَفًّا». (١)

وفي حديث ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ». (٢)

وفي حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ «أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ». (٣)

❁ ولئن كان الله تعالى ألان لداود الحديد كما

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ سبأ.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ سبأ.

فكان يصنع الدروع والمسامير والحلَق، فلا يدقُ المسمامير لأن المسمار لين له يصنعه بسهولة...

فقد ألان لمحمد ﷺ الجماد وتقدم استجابة الجبل لأمره بالهُدُوء، لما كانوا عليه.

بل إليك ما هو أبلغ من ذلك:

❁ أخرج مسلم عن جابر ﷺ قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ نَزَلْنَا وَادِيًا

(١) وهو حديث صحيح لشواهده التي بينتها في كتابي «الفوائد النيرة»(٨٨٤)

(٢) وسنده صحيح أخرجه الترمذي (٢٥٤٦)وقد خرجته في كتابي «الفوائد النيرة »(٨٨٥)

(٣) أخرجه الترمذي(٣٠٠١) بسندٍ حسن

أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ الله**» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ، الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ:

«**انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ الله**» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمُنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا، لَأَمَ بَيْنَهُمَا - يَعْنِي جَمَعَهُمَا - فَقَالَ: «**الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ الله**» فَالْتَأَمَتَا، قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ الله ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ - وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ - فَيَتَبَعَّدَ فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ الله ﷺ مُقْبِلًا، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَقَفَ وَقْفَةً، فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا - وَأَشَارَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بِرَأْسِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا - ثُمَّ أَقْبَلَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ قَالَ:

«**يَا جَابِرُ هَلْ رَأَيْتَ مَقَامِي؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**فَانْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، فَأَقْبِلْ بِهِمَا، حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ**»، قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجَرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَسَرْتُهُ، فَانْذَلَقَ لِي، فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجُرُّهُمَا حَتَّى قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ الله ﷺ، أَرْسَلْتُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِي، ثُمَّ لَحِقْتُهُ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ، يَا رَسُولَ الله فَعَمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: «**إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَأَحْبَبْتُ، بِشَفَاعَتِي، أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا، مَا دَامَ**

الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ»[١]

❁ أضف إلى ذلك أن الله تعالى لم يعط نبياً من الأنبياء حوضاً إلا نبينا ﷺ[٢] وهو الكوثر الذي وعده الله نبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ الكوثر.

يغتُّ فيه من نهر في الجنة، قال رسول الله ﷺ «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا..»[٣]

❁ وفي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ،...»[٤]

❁ وفي الصحيحين من حديث ابن عمرو رضي الله عنه «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»[٥]

وقد ورد في الحديث أنه سئل: «....مَا سِعَةُ حَوْضِكَ؟ قَالَ: «كَمَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عُمَانَ فِيهِ شِعْبَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ» قِيلَ: فَمَا حَوْضُكَ؟ قَالَ: أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مَذَاقَةً مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا

(١)صحيح أخرجه مسلم (٣٠١٢)

(٢) وقد ورد أن لكل نبيٍ حوضاً ولكن لا يصح من ذلك شيء كما حرَّرتُ ذلك في غير هذا المقام.

(٣)صحيح أخرجه مسلم (٢٢٩٩) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٤) صحيح أخرجه البخاري (١٣٤٤) ومسلم (٢٢٩٦)

(٥)صحيح أخرجه البخاري (٦٥٧٩) و مسلم (٢٢٩٢)

أَبَدًا ، وَلَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ أَبَدًا »[١].

وحسبك بنهر قد أعدَّه الله ، وهو عطيَّته لخليله ﷺ يتحفه بها كيف تكون ؟!

❁ **ولئن كان الحجر تحرَّك لتبرئة ساحة نبي الله موسىٰ عليه السلام مما قال عنه** بنو إسرائيل ، وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللهَّ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللهَّ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا} »[٢].**

ولئن كان الجبل الجماد قد ارتفع فوق قومه، رفعه الله كأنَّه ظُلَّة حتىٰ ظنُّوه واقعاً بهم، لمخالفتهم لأمر نبيهم موسىٰ ﷺ .

فليس ذلك بأعجب من إتيان الله بالمسجد الأقصىٰ إلىٰ مكة لتبرئة ساحة نبيه

---

(١) كما في رواية الطبراني في «مسند الشاميين »(٩٥٤)

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٤٠٤) ومسلم (٣٣٩)

ﷺ من تُهمة الكذب، أنه أُسري به إلىٰ المسجد الأقصىٰ،ينظر إليه ويصفه لهم.

❁ أخرج البخاري ومسلم عن جابربْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الحِجْرِ فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»(١).

❁ وفي رواية مسلم (٢): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ الله ﷺ: « لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: « فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ...»الحديث.

كذا برَّأه الله مما قالوا وظنُّوا، وكان محمد ﷺ عند الله وجيهاً كما كان موسىٰ ﷺ عند الله وجيهاً، برَّأهما من القول السوء والظنِّ السوء!

❁ ولئن كان الله تعالىٰ كلَّم موسىٰ تكليماً عند جبل الطور، أو في الواد المقدس طوىٰ، أو في الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ، أو كما في مثل قوله تعالىٰ ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ طه.

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٧١٠) ومسلم (١٧٠).

(٢) برقم (١٧٢) .

فهذا كان في الأرض، وليس ذلك بأعظم من كلام الله لنبيِّه محمد ﷺ في السماء في مكان مُقَرَّب في العُلا،في مكان يسمع فيه صريف الأقلام ليلة الاسراء والمعراج، ففرض عليه الصلاة: أعظم الأركان بعد الشهادتين ..

وهذا سيأتي في موطنه إن شاء الله .

❁ ولئن كان الله اتخذ إبراهيم ﷺ خليلاً كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ النساء.

فقد اتخذ الله محمداً ﷺ خليلاً

فقد أخرج مسلم في «صحيحه» عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ الله رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ الله**».(١)

فالناس في أرض المحشر يَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَىٰ فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهَّ، فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَىٰ فَإِنَّهُ رُوحُ اللهَّ، وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي، قال ﷺ: فَأَقُولُ: **أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا**

(١) صحيح أخرجه مسلم (٢٣٨٣).

رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي،.... الحديث.(١)

ولقد أعطى الله تعالىٰ محمداً ﷺ علماً عن وصف الدجال - لعنه الله - لم يعطه نبياً منهم، مع أنه ﷺ قال: «**مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ..** »الحديث زاد ﷺ :« أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ» (٢).

وفي صحيح البخاري عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما : قَامَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَىٰ عَلَىٰ اللهِّ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «**إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ** ».(٣)

مَيَّز الله نبيَّه ﷺ عنهم حتىٰ بمعرفة أوصاف الدجال منه، مع أن كلَّهم حذَّروا أممهم منه لعنه الله.(٤)

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ، نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ**

(١) وهذا في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣) .

(٢) وهو في الصحيحين .

(٣) وهذا في صحيح البخاري (٣٣٣٧).

(٤) وقد بيَّنت وصف الدجال كأنك تراه في غير هذا الموطن .

النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ ».(١)

❁ ومَيَّزه الله ﷺ بما لم يميِّز به نبياً قبله بهذا القرآن المحفوظ المعجز للخلق، أن يأتوا بمثله، تلك المعجزة الخالدة .

ومنه انفراده بنزول ما لم ينزل على غيره .

من ذلك ما رواه مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: « **هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ** ».(٢)

فبأبي هو وأمي ﷺ لو لم يجالس إلا كفؤاً ما جالسَ أحداً، ولو لم يتزوَّج إلا كفؤاً ما تزوَّج ، ولولم يواكل إلا كفئاً ما أكل مع أحد .

ولكنه ﷺ جالس وواكل أصحابه، وتزوَّج إلى الناس، وركب الحمار، وأردف خلفه، ولاعب الصبيان، وسلَّم عليهم،ومازحهم، وتواضع معهم، ووضع طعامه على الأرض تواضعاً منه ﷺ ....

---

(١) وهذا صحيح أخرجه مسلم (٢٩٣٤).

(٢) صحيح أخرجه مسلم (٨٠٦) .

فاللهم اجزه عنا خير ما جازيت رسولاً عن رسالته، ونبياً عن دعوته ،وارزقه المقام المحمود الذي وعدته، وأوردنا حوضه، واجعلنا في الفردوس الأعلىٰ معه، وارض عن أصحابه جميعاً، واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .

والمقصود:

أن صاحب السيرة محمداً ﷺ هو خير الرسل وسيدهم، وأمته خير أمة أُخرجت للناس، والذي قال:«**لاتفضِّلوني على الأنبياء**» ونحو ذلك من الأحاديث هو الذي ذكر وجوه التفضيل المتقدمة لنفسه .

ولكن لا يجوز تفضيل النبي محمد ﷺ تفضيلاً يؤول إلىٰ ازدراء بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فنكون بذلك خالفناه ﷺ، إذ المؤمن لا يكون مؤمناً إلا إذا آمن بالأنبياء جميعا، وكرَّمَهم بلا استثناء، عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

ويدل على هذا كله سبب ورود الحديث المذكور في نهيه ﷺعن تفضيله علىٰ غيره، فلهم جميعا المكارم والإجلال ...وإن كان بينهما تفاضل.

ما أخرجه البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: يَا أَبَا القَاسِمِ ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ: «**مَنْ؟**»، قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: «**ادْعُوهُ**»، فَقَالَ: «**أَضَرَبْتَهُ؟**»، قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، قُلْتُ: أَيْ خَبِيثُ، عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ ضَرَبْتُ وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى**

آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي، أَكَان فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى». (١)

قصة حفر زمزم وتشريف عبد المطلب جد النبي ﷺ باختصاصه بذلك

عن عبد الله بْن زُرَيْرٍ الْغَافِقِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه يُحَدِّثُ حَدِيثَ زَمْزَمَ حِينَ أُمِرَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِحَفْرِهَا، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي لَنَائِمٌ فِي الْحِجْرِ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ: احْفِرْ طَيْبَةَ(٢).

قَالَ: قُلْتُ: وَمَا طَيْبَةُ؟ قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي فَنِمْتُ فِيهِ، فَجَاءَنِي فَقَالَ: احْفِرْ بَرَّةَ(٣) قَالَ: وَمَا بَرَّةُ؟ قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي فَنِمْتُ فِيهِ، فَجَاءَنِي فَقَالَ: احْفِرْ الْمُضْنُونَةَ. (٤)

قَالَ: فَقُلْتُ: وَمَا الْمُضْنُونَةُ؟ قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي فَنِمْتُ فِيهِ، فَجَاءَنِي فَقَالَ: احْفِرْ زَمْزَمَ(٥). قَالَ: قُلْتُ: وَمَا زَمْزَمُ؟

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٢٤١٢).

(٢) طيبة: أي المكان الطيب ، ومنه قيل للمدينة المنورة :«طيبة».

(٣) برة: من البر وهو المكان الذي يأتي منه البر والخير.

(٤) المضنونة: أي التي يُضَنُّ، بها، يبخل بها، ومنه قوله تعالى :﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ التكوير.

(٥) سميت زمزم لكونها لها زمزمة، وهو الصوت الذي لا يُفهَم .

قَالَ: لَا تَنْزِفُ أَبَدًا وَلَا تُذَمُّ [١]، تَسْقِي الْحَجِيجَ الْأَعْظَمَ، وَهِيَ بَيْنَ الْفَرْثِ وَالدَّمِ، عِنْدَ نُقْرَةِ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ [٢]، عِنْدَ قَرْيَةِ النَّمْلِ. [٣]

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [٤]:

فَلَمَّا بُيِّنَ لَهُ شَأْنُهَا، وَدُلَّ عَلَى مَوْضِعِهَا، وَعَرَفَ أَنَّهُ صُدِّقَ، غَدَا بِمِعْوَلِهِ [٥] وَمَعَهُ ابْنُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَيْسَ لَهُ يَوْمَئِذٍ وَلَدٌ غَيْرُه، فَحَفَرَ فِيهَا. فَلَمَّا بَدَا لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ الطَّيَّ [٦] كَبَّرَ، فَعَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ حَاجَتَهُ، فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: يَا

---

(١) لا تذم أي لا تنزف، أو لا يفرغ ماؤها ولا يُلحق قعرها، فلا انقطاع لها، ومنه قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الصافات، وقوله سبحانه: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

(٢) الغراب الأعصم : وَهُوَ الأَبيض الرِّجْلَيْنِ أَو الجَنَاحَيْنِ راجع «لسان العرب»(١١/ ١٤٥)

(٣) قرية النمل :هي المكان الذي يسكن أو يجتمع فيه النمل .

(٤) من هنا إلى بقية الخبر مرسل، هذا واضح إلا أن يُقصد روايته بالسند المروي به ما سبق والله أعلم. وهذه القصة إلى هذا القدر: رواها ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية »لابن هشام (١/ ١٤١)، والسند حسن و هو عند ابن إسحاق في«السيرة»، فإذا في السند إليه ــ كما في بقية المصادر التي وقفت عليها «كدلائل النبوة» للبيهقي (١/ ٣٩) ـ أحمد بن عبد الجبار، وهو وإن كان ضعيفاً إلا أن العلماء قالوا : سماعه للسيرة صحيح، وصرَّح ابن إسحاق بالسماع، وله طريق آخر مرسل بنحو منه أخرجه عبد الرزاق (٩٧١٨)، ولكن ليس بهذا السياق المفصَّل .

(٥) المعول : هو الفأس .

(٦) الطي : حافة البئر أو شفير البئر .

عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، إِنَّهَا بِئْرُ أَبِينَا إِسْمَاعِيلَ، وَإِنَّ لَنَا فِيهَا حَقًّا فَأَشْرِكْنَا مَعَكَ فِيهَا، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ خُصِصْتُ بِهِ دُونَكُمْ، وَأُعْطِيتُهُ مِنْ بَيْنِكُمْ، فَقَالُوا لَهُ: فَأَنْصِفْنَا فَإِنَّا غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّىٰ نُخَاصِمَكَ فِيهَا، قَالَ: فَاجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَنْ شِئْتُمْ أُحَاكِمُكُمْ إِلَيْهِ، قَالُوا:

كَاهِنَةُ بَنِي سَعْدٍ هُذَيْمُ، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَكَانَتْ بِأَشْرَافِ الشَّامِ، فَرَكِبَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ بَنِي أَبِيهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَرَكِبَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَفَرٌ. قَالَ: وَالْأَرْضُ إِذْ ذَاكَ مَفَاوِزُ.(١)

قَالَ: فَخَرَجُوا حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ تِلْكَ الْمَفَاوِزِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ، فَنِيَ مَاءُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَصْحَابِهِ، فَظَمِئُوا حَتَّىٰ أَيْقَنُوا بِالْهَلَكَةِ، فَاسْتَسْقَوْا مَنْ مَعَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّا بِمَفَازَةٍ، وَنَحْنُ نَخْشَىٰ عَلَىٰ أَنْفُسِنَا مِثْلَ مَا أَصَابَكُمْ.

فَلَمَّا رَأَىٰ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مَا صَنَعَ الْقَوْمُ وَمَا يَتَخَوَّفُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ: مَاذَا تَرَوْنَ؟ قَالُوا: مَا رَأَيْنَا إِلَّا تَبَعٌ لِرَأْيِكَ، فَمُرْنَا بِمَا شِئْتَ، قَالَ: فَإِنِّي أَرَىٰ أَنْ يَحْفِرَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ حُفْرَتَهُ لِنَفْسِهِ بِمَا بِكُمْ الْآنَ مِنَ الْقُوَّةِ، فَكُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ دَفَعَهُ أَصْحَابُهُ فِي حُفْرَتِهِ ثُمَّ وَارَوْهُ، حَتَّىٰ يَكُونَ آخِرُكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا، فَضَيْعَةُ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَيْسَرُ مِنْ ضَيْعَةِ رَكْبٍ جَمِيعًا، قَالُوا: نِعْمَ مَا أَمَرْتَ بِهِ..فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَحَفَرَ حُفْرَتَهُ، ثُمَّ قَعَدُوا يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ عَطَشًا، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: وَاللَّهِ إِنَّ إِلْقَاءَنَا بِأَيْدِينَا هَكَذَا لِلْمَوْتِ، لَا نَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ وَلَا نَبْتَغِي لِأَنْفُسِنَا، لَعَجْزٌ،

(١) المفاوز: وهي القفار التي هي مظنة عدم وجود الماء .

فَعَسَى اللهُ أَنْ يَرْزُقَنَا مَاءً بِبَعْضِ الْبِلَادِ، ارْتَحِلُوا، فَارْتَحَلُوا. حَتَّى إِذَا فَرَغُوا، وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ مَا هُمْ فَاعِلُونَ، تَقَدَّمَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا. فَلَمَّا انْبَعَثَتْ بِهِ، انْفَجَرَتْ مِنْ تَحْتِ خُفِّهَا عَيْنُ مَاءٍ عَذْبٍ، فَكَبَّرَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَكَبَّرَ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ نَزَلَ فَشَرِبَ وَشَرِبَ أَصْحَابُهُ وَاسْتَقَوْا حَتَّى مَلِئُوا أَسْقِيَتَهُمْ، ثُمَّ دَعَا الْقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: هَلُمَّ إِلَى الْمَاءِ، فَقَدْ سَقَانَا اللهُ، فَاشْرَبُوا وَاسْتَقَوْا، فَجَاءُوا فَشَرِبُوا وَاسْتَقَوْا.

ثُمَّ قَالُوا: قَدْ وَاللهِ قُضِيَ لَكَ عَلَيْنَا يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، وَاللهِ لَا نُخَاصِمُكَ فِي زَمْزَمَ أَبَدًا، إِنَّ الَّذِي سَقَاكَ هَذَا الْمَاءَ بِهَذِهِ الْفَلَاةِ لَهُوَ الَّذِي سَقَاكَ زَمْزَمَ، فَارْجِعْ إِلَى سِقَايَتِكَ رَاشِدًا. فَرَجَعَ وَرَجَعُوا مَعَهُ، وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى الْكَاهِنَةِ، وَخَلَّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا» .

قصة نذر عبد المطلب ذبح أحد أبنائه

ووقوع القرعة على عبد الله والد النبي ﷺ

أخرج الطبري في «تاريخه»بسند صحيح عن قَبِيصَة بْنِ ذُؤَيْبٍ: أَنَّ امْرَأَةً نَذَرَتْ أَنْ تَنْحَرَ ابْنَهَا عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَقَدِمَتِ الْمَدِينَةَ تَسْتَفْتِي، فَجَاءَتِ ابْنَ عُمَرَ، فَقَالَ: لا أَعْلَمُ فِي النَّذْرِ إِلا الْوَفَاءَ، قَالَتْ: أَفَأَنْحَرُ ابْنِي؟ قَالَ: قَدْ نَهَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ.

فَجَاءَتِ ابْنَ عَبَّاسٍ فقال: أمر الله بوفاء بالنذر، وَنَهَاكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ نَذَرَ إِنْ تَوَافَى لَهُ عَشَرَةُ رَهْطٍ أَنْ يَنْحَرَ أَحَدَهُمْ، فَلَمَّا تَوَافَوْا أَقْرَعَ بَيْنَهُمْ، فَصَارَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى عَبْدِ اللهِ، وَكَانَ أَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، أَهُوَ أَوْ مِائَةٌ مِنَ الإِبِلِ، ثُمَّ أَقْرَعَ بَيْنَ الْمِائَةِ وَبَيْنَهُ، فَصَارَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى الإِبِلِ، فَأَرَى أَنْ

تَنْحَرِي مِائَةً مِنَ الإِبِلِ مَكَانَ ابْنِكِ، فَبَلَغَ الْحَدِيثُ مَرْوَانَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: مَا أَرَاهُمَا أَصَابَا، إِنَّهُ لا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبِي إِلَيْهِ، وَاعْمَلِي مَا اسْتَطَعْتِ مِنَ الْخَيْرِ، فَسُرَّ النّاسُ بِذَلِكَ وَأَعْجَبَهُمْ قَوْلُهُ، وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يُفْتُونَ بِأَنَّهُ لا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ..[1]

هذا ما وقفت عليه في أمر نذر عبد المطلب، وهناك أخبار أشهر من ذلك ضمَّنتها كتب «السير» و« التاريخ» مشهورة على ألسنة القصاص ، ولكن لا تصح فأعرضنا عنها عمداً.

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه»(٢/ ٢٣٩)، بسند صحيح .

البشارة بالنبي ﷺ في الكتب السالفة

كثير من النصوص بشَّرت برسول الله محمد ﷺ:

فعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ:

لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: « أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ[١]، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ[٢]، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا[٣] ».[٤]

وصح عن كعب الأحبار أنه قال:

«نَجِدُهُ مَكْتُوبًا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا فَظًّا وَلَا غَلِيظًا، وَلَا صَخَّابًا بِالْأَسْوَاقِ

---

(١) حرزاً للأميين: حصنا للعرب.

(٢) يقيم الملة العوجاء: ينفي الشرك ويثبت التوحيد.

(٣) غلفا: غطتها ظلمة الشرك.

(٤) صحيح أخرجه البخاري (٢١٢٥).

، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ،وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَأُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ يُكَبِّرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ، وَيَحْمَدُونَهُ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، يَتَأَزَّرُونَ عَلَى أَنْصَافِهِمْ، وَيَتَوَضَّئُونَ عَلَى أَطْرَافِهِمْ، مُنَادِيهِمْ يُنَادِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ، صَفُّهُمْ فِي الْقِتَالِ، وَصَفُّهُمْ فِي الصَّلَاةِ سَوَاءٌ، لَهُمْ بِاللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجَرُهُ بِطَيْبَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ ».(١)

وقد روي بنحو من ألفاظه من قول عبد الله بن سلام – ولكن من طريق رواه عبد الله بن صالح كاتب الليث، وفيه ضعف ، فأعرضنا عنه.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها :

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ:«لَا فَظٌّ وَلَا غَلِيظٌ وَلَا سَخَّابٌ بالأسواق، ولا يجزئ بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، بَلْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ» .(٢)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف.

---

(١) أخرجه الدارمي في«السنن»(٥)، بسندٍ صحيح .

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة»(١٣٢)، وابن سعد في«الطبقات الكبرىٰ»(١/ ٢٧٢)، والحاكم (٢/ ٦٧١)، والبيهقي في«الدلائل»(١/ ٣٧٧)، بإسنادٍ حسن .

وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ الصف.

وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ رضي الله عنه، وَكَانَ، مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ، قَالَ: كَانَ لَنَا جَارٌ مِنْ يَهُودَ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالَ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنْ بَيْتِهِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِيَسِيرٍ، فَوَقَفَ عَلَى مَجْلِسِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالَ سَلَمَةُ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَحْدَثُ مَنْ فِيهِ سِنًّا، عَلَيَّ بُرْدَةٌ، مُضْطَجِعًا فِيهَا بِفِنَاءِ أَهْلِي، فَذَكَرَ الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ وَالْحِسَابَ، وَالْمِيزَانَ، وَالْجَنَّةَ، وَالنَّارَ فَقَالَ: ذَلِكَ لِقَوْمٍ أَهْلِ شِرْكٍ، أَصْحَابِ أَوْثَانٍ، لَا يَرَوْنَ أَنَّ بَعْثًا كَائِنٌ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالُوا لَهُ:

وَيْحَكَ يَا فُلَانُ تَرَى هَذَا كَائِنًا؟ إِنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ، وَنَارٌ يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ، قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَوَدَّ أَنَّ لَهُ بِحَظِّهِ مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَعْظَمَ تَنُّورٍ فِي الدُّنْيَا، يُحَمُّونَهُ ثُمَّ يُدْخِلُونَهُ إِيَّاهُ فَيُطْبَقُ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ غَدًا، قَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَبِيٌّ يُبْعَثُ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ مَكَّةَ، وَالْيَمَنِ، قَالُوا: وَمَتَى تَرَاهُ؟

قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ وَأَنَا مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ: إِنْ يَسْتَنْفِدْ هَذَا الْغُلَامُ عُمُرَهُ يُدْرِكْهُ، قَالَ سَلَمَةُ: فَوَاللهِ مَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى بَعَثَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَآمَنَّا بِهِ وَكَفَرَ بِهِ بَغْيًا وَحَسَدًا[1]، فَقُلْنَا: وَيْلَكَ يَا فُلَانُ أَلَسْتَ

---

(١) صدق الله إذ يقول ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ البقرة.

بِالَّذِي قُلْتَ لَنَا فِيهِ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: بَلَى. وَلَيْسَ بِهِ [١] .

ولا يخفى قول النجاشي حينما سمع ما قاله جعفر بن أبي طالب وقرأ عليه القرآن قال النجاشي: « **إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ** »[٢].

وقد أخبر القس صاحب عمورية سلمان الفارسي إخباره بالنبي ﷺ وأوصافه ﷺ ومكان الأرض التي سيخرج منها، واقتراب مبعثه، وسيأتي ذلك مفصَّلًا في قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه إن شاء الله تعالى.

وأخرج ابن إسحاق [٣] عن عَاصِم بْن عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ[٤] ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، قَالَ:

هَلْ تَدْرِي عَمَّا كَانَ إِسْلَام أُسَيْدٍ، وَثَعْلَبَةَ، ابْنَيْ سَعْيَةَ، وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ، نَفَرٌ مِنْ هَذْلٍ، لَمْ يَكُونُوا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ وَلَا النَّضِيرِ، كَانُوا فَوْقَ ذَاكَ؟

فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنَ الشَّامِ مِنْ يَهُودَ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْهَيَّبَانِ، فَأَقَامَ عِنْدَنَا، وَاللهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا قَطُّ لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ خَيْرًا مِنْهُ.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في«السيرة»(٨٤)، وأحمد في«المسند»(١٥٨٤١)، بإسنادٍ حسن .

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٠) بسندٍ حسن .

(٣) كما في«السيرة النبوية »لابن هشام(١/ ١٧٧)، وأخرجه البيهقي في«دلائل النبوة »(٢/ ٨٠)، من طريقه وإسناده حسن إلى عاصم.

(٤) وقد أدرك عدداً من الصحابة رضي الله عنهم :أنس، وجابر، وغيرهما، وروايته عن بعض الصحابة في الصحيح، فلا يبعد تقويته، ولعله لذلك صحح سنده الألباني رحمه الله في« صحيح السيرة »ص٦١.

فَقَدِمَ عَلَيْنَا قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ الله، ﷺ، بِسَنَتَيْنِ، فَكُنَّا إِذَا قَحِطْنَا، وَقَلَّ عَلَيْنَا الْمَطَرُ نَقُولُ: يَا ابْنَ الْهَيَّبَانِ، اخْرُجْ فَاسْتَسْقِ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ، حَتَّى تُقَدِّمُوا أَمَامَ مَخْرَجِكُمْ صَدَقَةً. فَنَقُولُ: كَمْ؟ فَيَقُولُ: صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ مُدَّيْنِ مِنْ شَعِيرٍ. فَنُخْرِجُهُ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى ظَاهِرِ حَرَّتِنَا، وَنَحْنُ معه، فيستسقي، فو الله مَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى تَمُرَّ الشِّعَابُ. قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثَةٍ.

فَحَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ. فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، مَا تَرَوْنَهُ أَخْرَجَنِي مِنْ أَرْضِ الْخَمْرِ وَالْخَمِيرِ إِلَى أَرْضِ الْبُؤْسِ وَالْجُوعِ؟ قَالُوا: أَنْتَ أَعْلَمُ.

قَالَ: إِنَّمَا أَخْرَجَنِي أَتَوَقَّعُ خُرُوجَ نَبِيٍّ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ، هَذِهِ الْبِلَادُ مُهَاجَرُهُ، فَأَتَّبِعُهُ، فَلَا تُسْبِقُنَّ إِلَيْهِ إِذَا خَرَجَ. يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ، بِسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَسَبْيِ الذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ مِمَّنْ يُخَالِفُهُ، فَلَا يَمْنَعُكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ. ثُمَّ مَاتَ. فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي فُتِحَتْ فِيهَا قُرَيْظَةُ، قَالَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ الْفِتْيَةُ، وَكَانُوا شُبَّانًا أَحْدَاثًا: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، وَاللهِ إِنَّهُ لَلَّذِي كَانَ ذَكَرَ لَكُمُ ابْنُ الْهَيَّبَانِ. فَقَالُوا: مَا هُوَ بِهِ.

قَالُوا: بَلَى وَاللهِ، إِنَّهُ لَصِفَتُهُ ثُمَّ نَزَلُوا، فَأَسْلَمُوا وَخَلُّوا أَمْوَالَهُمْ، وَأَوْلَادَهُمْ، وَأَهَالِيهِمْ .

❁ ومن تعنُّت اليهود في عدم الإيمان برسول الله ﷺ، مع شهادتهم بوجود وصف رسول الله ﷺ عندهم

ما أخرجه ابن حبان من حديث الْفَلْتَانِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَشَخَصَ بَصَرُهُ إِلَى رَجُلٍ يَمْشِي فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «**يَا فُلَانُ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟** »، قَالَ: لَا، قَالَ: «**أَتَقْرَأُ التَّوْرَاةَ؟** »، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:

«**وَالْإِنْجِيلَ؟** »، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**وَالْقُرْآنَ**»، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَشَاءُ لَقَرَأْتُهُ، قَالَ: ثُمَّ أُنْشِدَهُ، فَقَالَ: «**تَجِدُنِي فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ؟** »، قَالَ: نَجِدُ مِثْلَكَ، وَمَثَلَ أُمَّتِكَ، وَمَثَلَ مَخْرَجِكَ، وَكُنَّا نَرْجُو أَنْ تَكُونَ فِينَا، فَلَمَّا خَرَجْتَ تَخَوَّفْنَا أَنْ تَكُونَ أَنْتَ، فَنَظَرْنَا فَإِذَا لَيْسَ أَنْتَ هُوَ، قَالَ: «**وَلِمَ ذَاكَ؟** » قَالَ: إِنَّ مَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ سَبْعِينَ أَلْفًا، لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ، وَلَا عِقَابَ، وَإِنَّ مَا مَعَكَ نَفَرٌ يَسِيرٌ، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنَا هُوَ، وَإِنَّهَا لَأُمَّتِي، وَإِنَّهُمْ لَأَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا وَسَبْعِينَ أَلْفًا وَسَبْعِينَ أَلْفًا»[1].

إخبار الجن الكهان بمبعث النبي ﷺ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: مَا سَمِعْتُ عُمَرَ، لِشَيْءٍ قَطُّ يَقُولُ: إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذَا إِلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ قال :« بَيْنَمَا عُمَرُ جَالِسٌ، إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ، فَقَالَ: لَقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي، أَوْ إِنَّ هَذَا عَلَى دِينِهِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، أَوْ: لَقَدْ كَانَ كَاهِنَهُمْ، عَلَيَّ الرَّجُلَ، فَدُعِيَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ اسْتُقْبِلَ بِهِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، قَالَ: فَإِنِّي أَعْزِمُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي، قَالَ: كُنْتُ كَاهِنَهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَمَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جِنِّيَّتُكَ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا فِي السُّوقِ، جَاءَتْنِي أَعْرِفُ فِيهَا الفَزَعَ، فَقَالَتْ: أَلَمْ تَرَ الجِنَّ وَإِبْلاَسَهَا؟[2] وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا[3]، وَلُحُوقَهَا

---

(١) أخرجه ابن حبان في «الصحيح»(٦٥٨٠)، وهو حديث حسن.

وأخرجه ابن الأعرابي في «المعجم»(١٠٥)، بمثله مع مغايرة طفيفة في بعض السياق .

(٢) إبلاسها: أي تحيرها .

(٣) إنكاسها: أي انتكاسها وهو الانقلاب على الرأس.

بِالقِلاَصِ[١]، وَأَحْلاَسِهَا[٢]، قَالَ: عُمَرُ صَدَقَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، عِنْدَ آلِهَتِهِمْ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِعِجْلٍ فَذَبَحَهُ، فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ[٣]، لَمْ أَسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوْتًا مِنْهُ يَقُولُ: يَا جَلِيحُ[٤]، أَمْرٌ نَجِيحٌ[٥]، رَجُلٌ فَصِيحٌ[٦]، يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَوَثَبَ القَوْمُ، قُلْتُ: لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَعْلَمَ مَا وَرَاءَ هَذَا، ثُمَّ نَادَى: يَا جَلِيحُ، أَمْرٌ نَجِيحٌ، رَجُلٌ فَصِيحٌ، يَقُولُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقُمْتُ، فَمَا نَشِبْنَا[٧] أَنْ قِيلَ: هَذَا نَبِيٌّ »[٨].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ خَبَرٍ قَدِمَ عَلَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ امْرَأَةً كَانَ لَهَا تَابِعٌ[٩]، قَالَ: فَأَتَاهَا فِي صُورَةِ طَيْرٍ، فَوَقَعَ عَلَى جِذْعٍ لَهُمْ، قَالَ: فَقَالَتْ: أَلَا تَنْزِلُ فَنُخْبِرَكَ وَتُخْبِرَنَا؟

قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ خَرَجَ رَجُلٌ بِمَكَّةَ حَرَّمَ عَلَيْنَا الزِّنَا، وَمَنَعَ مِنَ الْفِرَارِ ».[١٠]

---

(١) بالقلاص: جمع قلوص وهي الناقة الشابة .

(٢) أحلاسها: أي جمع حلس وهو كساء رقيق يوضع تحت ما يجلس عليه الراكب على ظهر الدابة.

(٣) صارخ:أي يسمع صوته ولا ترى صورته.

(٤) جليح: اسم رجل ناداه به ومعناه الوقح الكاشف بالعداوة.

(٥) نجيح: أي من النجاح وهو الظفر بالحوائج.

(٦) فصيح: أي من الفصاحة وهي البيان وسلامة الألفاظ من الإبهام وسوء التأليف.

(٧) ما نشبنا: أي ما مكثنا وتعلقنا بشيء.

(٨) صحيح أخرجه البخاري (٣٨٦٦) .

(٩) التابع: يعني جني .

(١٠) صحيح أخرجه أحمد (١٤٨٣٥) .

تكذيب الخبر المشهور عن شقّ وسطيح الكاهنين

أنهما أخبرا ببعثة النبي ﷺ (١)

كَانَ رَبِيعَةُ بْنُ نَصْرٍ مَلِكُ الْيَمَنِ بَيْنَ أَضْعَاف مُلُوكِ التَّبَابِعَةِ، فَرَأَى رُؤْيَا هَالَتْهُ، وَفَظِعَ بِهَا، فَلَمْ يَدَعْ كَاهِنًا، وَلَا سَاحِرًا، وَلَا عَائِفًا، وَلَا منجِّما مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ إِلَّا جَمَعَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي، وفَظِعْت بِهَا؛ فأخبروني بِهَا وَبِتَأْوِيلِهَا، قَالُوا لَهُ: اُقْصُصْهَا عَلَيْنَا نخبرْك بِتَأْوِيلِهَا، قَالَ: إِنِّي إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ بِهَا لَمْ أَطْمَئِنَّ إِلَى خبركم عَنْ تَأْوِيلِهَا، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ تَأْوِيلَهَا إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَهُ بِهَا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: فَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ يُرِيدُ هَذَا فَلْيَبْعَثْ إِلَى سَطِيحٍ، وشِقٍّ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمَ مِنْهُمَا، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا، فَقَدِمَ عَلَيْهِ سَطِيح قبلَ شِقٍّ (٢)، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي وَفَظِعْتُ بِهَا، فَأَخْبِرْنِي بِهَا، فَإِنَّكَ إِنْ أَصَبْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا.

قَالَ: أَفْعَلُ، رَأَيْتُ حُمَمَةً خَرَجَتْ مِنْ ظُلُمِهِ، فَوَقَعَتْ بِأَرْضِ تُهَمِهِ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ جُمْجُمَةٍ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا أَخْطَأْتَ مِنْهَا شَيْئًا يَا سَطِيحُ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا؟ فَقَالَ: أَحْلِفُ بِمَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ مِنْ حَنَشٍ، لَتَهْبِطَنَّ أَرْضَكُمْ الْحَبَشُ،

---

(١) ولسنا ـ بفضل الله ـ في حاجة إلى النبوءات ببعثة رسول الله ﷺحتى نلجأ إلى أخبار الكُهان صدقوا أم كذبوا في قولهم ذلك.

وإنما أبرزت تكذيب ذلك حتى ينتهي عن ذكره القُصَّاصُ أصحاب التُرَّاهات، وليتعلَّموا ما صحَّ في الباب ، ففيه غنى ، والله المستعان .

(٢) وسمي شقاً لأنه كان شق إنسان.

فَلَتَمْلِكَنَّ مَا بَيْنَ أَبْيَنَ[١] إِلَى جُرَش[٢]، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ:

وَأَبِيكَ يَا سَطِيحُ، إِنَّ هَذَا لَنَا لَغَائِظٌ مُوجِعٌ، فَمَتَى هُوَ كَائِنٌ؟ أَفِي زَمَانِي هَذَا، أَمْ بَعْدَهُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ بَعْدَهُ بِحِينٍ، أَكْثَرَ مِنْ سِتِّينَ أَوْ سَبْعِينَ، يَمْضِينَ مِنْ السِّنِينَ قَالَ: أَفَيَدُومُ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِهِمْ أَمْ يَنْقَطِعُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ يَنْقَطِعُ لِبِضْعٍ وَسَبْعِينَ مِنْ السِّنِينَ، ثُمَّ يُقْتَلُونَ وَيَخْرُجُونَ مِنْهَا هَارِبِينَ، قَالَ: وَمَنْ يَلِي مِنْ ذَلِكَ مِنْ قَتْلِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ؟ قَالَ: يَلِيهِ إِرَمُ (بْنُ) ذِي يَزَنَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدَنَ، فَلَا يَتْرُكُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ، قَالَ: أَفَيَدُومُ ذَلِكَ مِنْ سُلْطَانِهِ، أَمْ يَنْقَطِعُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ يَنْقَطِعُ، قَالَ: وَمَنْ يَقْطَعُهُ؟ قَالَ: نَبِيٌّ زَكِيٌّ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ قِبَلِ الْعَلِيِّ، قَالَ: وَمِمَّنْ هَذَا النَّبِيُّ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ، يَكُونُ الْمُلْكُ فِي قَوْمِهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ[٣]، قَالَ: وَهَلْ لِلدَّهْرِ مِنْ آخِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَوْمٌ يُجْمَعُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، يَسْعَدُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ، وَيَشْقَى فِيهِ الْمُسِيئُونَ قَالَ: أَحَقٌّ مَا تُخْبِرُنِي؟

---

(١) هي منطقة جنوب المدينة .

(٢) هي مدينة كانت قديمة قرب خميس مشط الآن بالمملكة العربية السعودية.

(٣) ومن أضرار ذكر ذلك : نشر تصديق أخبار الكهان، وقد نهى النبي ﷺ عن إتيانهم، أو تصديقهم فمن صدقهم فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .

وهذه الأخبار الصادقة إنما كانوا يسترقون السمع قبل الإسلام، فيسَّمَّعون إلى الملأ الأعلى من الملائكة، فيخطفون هذه الأخبار الصادقة فيقرقرونها للساحر، أو الكاهن في أُذُنه، ويكذبون معها مائة كذبة، فليحذَّر القُصَّاص، وليحذر مستمعوهم من الضعيف، فإنه إن حمل خيراً ففي طياته شرور ، وإن أصلحت القصص المكذوبة جانباً أفسدت جوانب ، والله المستعان. .

قَالَ: نَعَمْ، وَالشَّفَقِ وَالْغَسَقِ، وَالْفَلَقِ إِذَا اتَّسَقَ، إِنَّ مَا أَنْبَأْتُكَ بِهِ لَحَقٌّ.(١)

❁ وقد بشر به عيسى ﷺ :

كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ الصف .

وقد وردت روايات فيها بشارة إبراهيم ﷺ به ، ورؤيا رأتها أمه ﷺ أنه خرج منها نور، وفي الأسانيد بذلك مقال، تتقوى بمجموع الطرق، ولعل أحسنها :

-**ما رواه الحاكم**، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُمْ قَالُوا:

يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ: «**أنا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى وَبُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ**» .(٢)

---

(١) وقد ذكرها ابن إسحاق كما ذكرها عنه ابن هشام في «السيرة»(١/ ٢٩)، ولم أقف لها على سند لا إلى صحابي، ولا إلى النبي ﷺ والله المستعان .

(٢) في «المستدرك»(٢/ ٦٥٦)، وعنه البيهقي في «الدلائل»(١/ ٨٣)، وهذا اسنادٌ صحيح عن خالد ابن معدان، علق عليه الحاكم فقال:

«خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ مِنْ خِيَارِ التَّابِعِينَ، صَحِبَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ فَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ فَإِذَا أَسْنَدَ حَدِيثًا إِلَى الصَّحَابَةِ فَإِنَّهُ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

ووافقه الذهبي ،وثم طرقٌ أخرى لهذا الأثر.

-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ البقرة .

لوفد-وفي قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه ، دلالة الراهب له على ظهور النبي ﷺ، وبيان وصف المكان الذي سيستقرّ فيه وهو المدينة، وأنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، دليلٌ على صدق الآية، ولكن اليهود قوم بُهت .

-وعَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ نَسِيتُ مِنْ رِجَالِ قَوْمِي مِمَّنْ لَا أَتَّهِمُ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ:

« إِنِّي لَغُلَامٌ يَفَعَةٌ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ، أَعْقِلُ كُلَّ مَا رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ، إِذَا يَهُودِيٌّ بِيَثْرِبَ يَصْرُخُ ذَاتَ غَدَاةٍ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ، قَالُوا: وَيْلَكَ مَا لَكَ؟ قَالَ: طَلَعَ نَجْمُ أَحْمَدَ الَّذِي وُلِدَ بِهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ »[1]

-**وأخرج النسائي** في «الكبرى»، وغيره[1] بإسنادٍ حسن، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَهُوَ مُرْدِفِي إِلَى نُصُبٍ مِنَ الْأَنْصَابِ فَذَبَحْنَا لَهُ شَاةً، ثُمَّ صَنَعْنَاهَا لَهُ حَتَّى إِذَا نَضِجَتْ جَعَلْنَاهَا فِي سُفْرَتِنَا،

---

(١) أخرج هذا البيهقي في «الدلائل»(١/ ١٠٩/ ١١٠)، وفيه أشياخ مبهمون، ولكن له طريق آخر عند ابن سعد في«طبقاته»(١/ ١٢٩)، بنحوه، فكلاهما يقوي الآخر ويصح المعني .

وخبر صفية بنت حيي مع أبيها وعمها أبي ياسر بن أخطب، حيث قال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال: نعم والله، نعرفه بعينه، وصفته، فقال: قال نعم الله....الخبر وقد خرجته في غير هذا الموطن، فلا شك في التقوية، والله أعلم.

ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ وَهُوَ مُرْدِفِي فِي يَوْمٍ حَارٍّ مِنْ أَيَّامِ مَكَّةَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَعْلَى الْوَادِي لَقِيَهُ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فَحَيَّا أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لِي أَرَى قَوْمَكَ قَدْ شَنِفُوا لَكَ**».

فَقَالَ: أَمَّا وَاللهِ إِنَّ ذَلِكَ لَبِغَيْرِ نَائِرَةٍ كَانَتْ مِنِّي إِلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَرَاهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي هَذَا الدِّينَ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى أَحْبَارِ يَثْرِبَ فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ، وَيُشْرِكُونَ بِهِ قُلْتُ:

«مَا هَذَا بِالدِّيْنِ الَّذِي أَبْتَغِي، فَخَرَجْتُ حَتَّى أُقدِمَ عَلَى أَحْبَارِ خَيْبَرَ فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ وَيُشْرِكُونَ بِهِ».

فَقُلْتُ: مَا هَذَا بِالدِّيْنِ الَّذِي أَبْتَغِي، فَخَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى أَحْبَارِ فَدَكٍ فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ وَيُشْرِكُونَ بِهِ فَقُلْتُ: «مَا هَذَا بِالدِّيْنِ الَّذِي أَبْتَغِي، فخَرَجْتُ حَتَّى أُقْدِمَ عَلَى أَحْبَارِ أَيْلَةَ فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ وَيُشْرِكُونَ بِهِ» فَقُلْتُ: مَا هَذَا بِالدِّيْنِ الَّذِي أَبْتَغِي، فَقَالَ لِي حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الشَّامِ: «أَتَسْأَلَ عَنْ دِينٍ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا يَعْبَدُ اللهَ بِهِ إِلَّا شَيْخًا بِالْجَزِيرَةِ؟

فَخَرَجْتُ فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي خَرَجْتُ لَهُ» فَقَالَ: إِنَّ كُلَّ مَنْ رَأَيْتَ فِي ضَلَالٍ إِنَّكَ تَسْأَلُ عَنْ دِينٍ هُوَ دِينُ اللهِ وَدِينُ مَلَائِكَتِهِ، وَقَدْ خَرَجَ فِي أَرْضِكَ

=

(١) برقم (٨١٣٢)، وابن أبي عاصم قي«الآحاد والمثاني»(٢٥٧)، والطبراني في «الكبير»(٥/ ٨٦)، والحاكم في «المستدرك»(٣/ ٢٢٨)، وأبو نعيم، كما قاله ابن كثير في «تاريخه»(٢/ ٢٩٦)، بإسنادٍ حسن رجاله ثقات، إلا محمد بن عمرو وهو حسن الحديث .

نَبِيٌّ أَوْ هُوَ خَارِجٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ارْجِعْ فَصَدِّقْهُ وَاتَّبِعْهُ وَآمِنْ بِمَا جَاءَ بِهِ، فَلَمْ أُحِسَّ نَبِيًّا بَعْدُ، وَأَنَاخَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْبَعِيرَ الَّذِي تَحْتَهُ، ثُمَّ قَدَّمْنَا إِلَيْهِ السُّفْرَةَ الَّتِي كَانَ فِيهَا الشِّوَاءُ فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» قُلْنَا: هَذِهِ الشَّاةُ ذَبَحْنَاهَا لِنُصْبِ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: إِنِّي لَا آكُلُ شَيْئًا ذُبِحَ لِغَيْرِ اللهِ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَا، وَكَانَ صَنَمَانِ مِنْ نُحَاسٍ يُقَالُ لَهُمَا إِسَافُ وَنَائِلَةُ، فَطَافَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطُفْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا مَرَرْتُ مَسَحْتُ بِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«لَاتَمَسَّهُ» وَطُفْنَا فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَأَمَسَّنَّهُ أَنْظُرُ مَا يَقُولُ: فَمَسَحْتُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**لَا تَمَسَّهُ أَلَمْ تُنْهَ**» .

قَالَ: فَوَالَّذِي أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ مَا اسْتَلَمَ صَنَمًا حَتَّى أَكْرَمَهُ بِالَّذِي أَكْرَمَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ قَالَ:

وَمَاتَ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ**»[1].

حال المجتمع قبل أن يبعث رسول الله ﷺ[1]

(١) وفي «صحيح البخاري»(٣٨٢٧)، قصة عن ابن عمر مفادها أنه قال:« اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ»، وسيأتي مزيد عنه عند الكلام عن البقايا التي كانت على دين إبراهيم ﷺ، وقد بوب البخاري للروايات عنه بباب، حديث عمرو بن زيد بن نفيل، وعلق إسناداً صحيحاً، أن رسول الله ﷺ، قال «**يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ**»، ووصله ابن أبي عاصم في «المثاني»(٧٧١)، وسيأتي ذكره بطوله إن شاء الله .

يقطعون الأرحام، ويسيئون الجوار، ويأكل القوي منهم الضعيف، ويعبدون الأصنام، ويئدون البنات، ويزنون بالمحارم، ومنهم طائفة لا يغارون على المحارم، يرسلها إلى غيره تستبضع منه رغبة في نجابة الولد، وفيهم الزنى الجماعي، وإن حمَلت تُقَرِّر هي أنه ابن فلان منهم، ومنهن البغايا ذوات الرايات التي تكون عَلَمـًا عليهن كبيوت الدعارة..

فقد قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي : أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ.

فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ،

=

(١) وفائدة هذا المبحث : معرفة قدر تأثير السُّنة والوحي في الباطل والجهل الذي لم تصل إليه أمة من الأمم لا قبل ولا بعد، فلو اقتدينا بالنبي ﷺ في طريقته ومنهجه، ولم نقدِّم عليها طرقاً مخترعة في الدعوة إلى دين الله، فسنؤثر في مجتمعاتنا كما أُثر منهجه قبل في الجاهلية، وهذا يحملنا علي تعلُّم طريقة الأنبياء في الدعوة إلي الله، ثم اقتفاء آثار الصحابة رضي الله عنهم ، الذين زكَّاهم نبينا ﷺ فلهم اليد الطولى في هذا الباب بعد الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، وقد جعلهم الله أماناً للأمة، وزكَّاهم، لنتبعهم ونقفوا آثارهم.

وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا...الحديث(١)

❁ ومن أمور الجاهلية – التي كانوا عليها – عبادتهم الأصنام من دون الله

فمن ذلك ما تقدم ذكره من حكاية جعفر بن أبي طالب ﷺ، ومن هذه الحجارة : حجران يقال لهما، إساف ونائلة .

أخرج ابن إسحاق(٢)، بسندٍ صحيح، عن عَائِشَةَ ﷺ تَقُولُ: مَا زِلْنَا نَسْمَعُ أَنَّ إِسَافًا وَنَائِلَةً كَانَا رَجُلًا وَامْرَأَةً مِنْ جُرْهُمٍ، أَحْدَثَا فِي الْكَعْبَةِ، فَمَسَخَهُمَا اللهُ تَعَالَى حَجَرَيْنِ ».

فكانوا يبخرون عندها، وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ ﴾ النساء.

وقد أرسل النبي ﷺ، جرير بن عبد الله البجلي ﷺ لهدمه بعد .

وذلك فيما أخرجه البخاري عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ ﷺ، قَالَ:

قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا جَرِيرُ أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ» بَيْتٍ لِخَثْعَمَ كَانَ يُدْعَى كَعْبَةَ الْيَمَانِيَةِ، قَالَ: فَنَفَرْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ، وَكُنْتُ لَا أَثْبُتُ

(١) أخرجه أحمد (١٧٤٠)، بإسنادٍ حسن .

(٢) كما في «السيرة لابن هشام»(١/ ٨٠) .

عَلَى الْخَيْلِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَضَرَبَ يَدَهُ فِي صَدْرِي فَقَالَ: «اللهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا».

قَالَ: فَانْطَلَقَ فَحَرَّقَهَا بِالنَّارِ، ثُمَّ بَعَثَ جَرِيرٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَجُلًا يُبَشِّرُهُ يُكْنَى أَبَا أَرْطَاةَ مِنَّا، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْنَاهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ، فَبَرَّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ، وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ.(١)

❁ ومن أمور الجاهلية: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والنياحة...

فعن أَبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « **أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ** ».(٢)

وهذه صور من صور أنكحتهم الخسيسة

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: إِنَّ النِّكَاحَ فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ:

فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ اليَوْمَ:

يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوِ ابْنَتَهُ، فَيُصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا.

وَنِكَاحٌ آخَرُ:

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٠٢٠) ومسلم(٢٤٧٦).

(٢) صحيح أخرجه مسلم(٩٣٤).

كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا: أَرْسِلِي إِلَى فُلاَنٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا وَلاَ يَمَسُّهَا أَبَدًا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الوَلَدِ[1]، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الِاسْتِبْضَاعِ.

وَنِكَاحٌ آخَرُ:

يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ العَشَرَةِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ، وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ:

قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ، فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلاَنُ، تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ.

وَنِكَاحُ الرَّابِعِ:

يَجْتَمِعُ النَّاسُ الكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، لاَ تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وَهُنَّ البَغَايَا، كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا، فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا، وَدَعَوْا لَهُمُ القَافَةَ، ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ، فَالْتَاطَ بِهِ، وَدُعِيَ ابْنَهُ، لاَ يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ .

---

(١) نجابة الولد من هذا الدنيء السافل المنحطّ المَشَبَّه بالتيس المستعار،فهو كالحيوان – التيس المستعار – تذهب إليه المرأة كالبقرة أو العنزة يركبها لتحمل منه بتيس كهذا الخسيس من بني آدم،انظر إلى المعايير المنتكسة !.

فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ الجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ اليَوْمَ»[١].

وكانوا يتقربون إلى الأصنام بعادات جاهلية اخترعوها .

كتسييب السوائب وغير ذلك :

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ[٢] ».[٣]

وقال سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ: « البَحِيرَةُ: الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ، فَلاَ يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَالسَّائِبَةُ: كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ لاَ يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ »[٤].

وَالوَصِيلَةُ: النَّاقَةُ البِكْرُ، تُبَكِّرُ فِي أَوَّلِ نِتَاجِ الإِبِلِ، ثُمَّ تُثَنِّي بَعْدُ بِأُنْثَى، وَكَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِطَوَاغِيتِهِمْ، إِنْ وَصَلَتْ إِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى لَيْسَ بَيْنَهُمَا ذَكَرٌ.

وقد حكى ابن إسحاق بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِأَكْثَمَ بْنِ الْجَوْنِ الْخُزَاعِيِّ: يَا أَكْثَمُ، رَأَيْتُ عَمْرَو ابنَ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفَ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ، وَلَا بِكَ مِنْهُ:

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٥١٢٧) .

(٢) أي سيَّب النوق، أنها تُترك، فلا تُركب، ولا تُصد عن ماء، أو مرعى ، لكونها أنتجت عدة أبطن.

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٤٦٢٤) عن عائشة دون ذكر، «في النار»وهو في الصحيحين البخاري (٤٦٢٣) ومسلم (٢٨٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: لفظ «في النار».

(٤) صحيح أخرجه البخاري (٤٦٢٣) .

فَقَالَ أَكْثَمُ: عَسَى أَنْ يَضُرَّنِي شَبَهُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لَا، إِنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ، إِنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ، فَنَصَبَ الْأَوْثَانَ، وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ، وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ، وَحَمَى الْحَامِي. (١)

وَالحَامِ: فَحْلُ الإِبِلِ يَضْرِبُ الضِّرَابَ المَعْدُودَ، فَإِذَا قَضَى ضِرَابَهُ وَدَعُوهُ لِلطَّوَاغِيتِ، وَأَعْفَوْهُ مِنَ الحَمْلِ، فَلَمْ يُحْمَلْ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَسَمَّوْهُ الحَامِيَ ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣ ﴾ المائدة .

وأخبارهم في ذلك فيها أعاجيب، صنم من حجارة ينحتونها تتغيَّب في الرمل، وآخر من عجوة يأكله إذا جاع...

وكان بعضهم يئد البنات خشية العار .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠ ﴾ الأنعام.

---

(١) إسناده حسن

أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (١/ ٧٥/ ٧٦)، وله إسنادٌ أخرجه الحاكم (٤/ ٦٤٧)، بسندٍ حسن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفَ أَبَا عَمْرٍو وَهُوَ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ وَغَيَّرَ عَهْدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ أَكْثَمُ بْنُ أَبِي الْجَوْنِ » قَالَ: فَقَالَ أَكْثَمُ: يَا رَسُولَ اللهِ يَضُرُّنِي شَبَهُهُ ؟ قَالَ: « لَا إِنَّكَ مُسْلِمٌ وَإِنَّهُ كَافِرٌ ».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما :

« إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ العَرَبِ، فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلاَثِينَ وَمِائَةٍ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ، {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: ١٤٠] إِلَى قَوْلِهِ {قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} [الأنعام: ١٤٠] »(١).

وسيأتي أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يحيي الموءودة.

ولك أن تتخيَّل ماذا في قلب من يقتل ابنته، خشية أن تُطعَم معه، أو خشية العار؟

أمَا كان يجد هذا وسيلة للوقاية من العار إلا هذه؟

وهذا كان طواف النساء بالكعبة :

تعرية عند البيت، وقد كانت صلاتهم عنده كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنفال .

أخرج مسلم(٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: «كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ، فَتَقُولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا، وَتَقُولُ:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري عقب حديث (٣٥٣٠)، باب جهل العرب.

(٢) برقم (٣٠٢٨).

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: ٣١]".

لقد جلَّى حذيفة ﷺ، ما كانت عليه الجاهلية من مساوئ فقال ﷺ :

«...قال قلتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»....الحديث ».(١)

بعض ما كان عليه أهل الجاهلية من مساوىء

اشتهر عند بعضهم الجود والكرم، واحترام الجوار،والتعاون على الخير أحيانـًا، وإن كانت طباع السوء في الجاهلية غالبة.

أخرج مسلم (٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: « كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ، فَتَقُولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا، وَتَقُولُ :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: ٣١] ».(٣)

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري (٣٦٠٦) ومسلم(١٨٤٧).

(٢) برقم (٣٠٢٨).

(٣) ولقد كان أهل الجاهلية يطوفون عراة ويرمون ثيابهم ويتركونها مُلقاة على الأرض ولا يأخذونها أبداً، يتركونها تُداس بالأرجل حتى تبلى، شريعة ابتدعوها، يتورَّعون – ذاك الورع الباهت – عن الطواف في ملابس عصوا الله فيها، ولا يتورعون عن عبادة الأصنام من دونه ، ولا أن تطوف المرأة بالبيت عارية، ولا عن الذبح لغيره، ولا عن تبديل شريعة إبراهيم ﷺ ، ولا وأد البنات ، ولا الكِبر والكفر المبين ،ولا مهزلة الدَّياثة المذكورة.....

لقد جمع حذيفة رضي الله عنه ما كان مجانبًا للجاهلية قبل الإسلام فقال للنبي ﷺ: «يَا رَسُولَ الله إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا الله بِهَذَا الخَيْرِ...الحديث»(١).

ووصفهم عمرو بن عبسة السُّلَمِيُّ رضي الله عنه بالضلال، وأنهم ليسوا على شيء من الحق، بل كانوا يصدون الناس عن الحير، ويحولون بين الناس وبين الحق.

فقال قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ: « كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ...الخبر»(٢).

ووصف حالهم جبير بن نفير رضي الله عنه فقال: « .. وَالله لَقَدْ بَعَثَ الله ﷺ عَلَى أَشَدِّ حَالٍ بُعِثَ عَلَيْهَا فِيهِ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي فَتْرَةٍ وَجَاهِلِيَّةٍ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ دِينًا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ فَرَقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَرَى وَالِدَهُ وَوَلَدَهُ أَوْ أَخَاهُ كَافِرًا، وَقَدْ فَتَحَ الله قُفْلَ قَلْبِهِ لِلْإِيمَانِ، يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ هَلَكَ دَخَلَ النَّارَ»(٣).

ووصفتهم أم عَبْدُ الله بْنُ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسٍ السَّهْمِيُّ فقالت رضي الله عنها: « إِنَّا كُنَّا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ وَأَعْمَالٍ قَبِيحَةٍ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري(٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧).

(٢) أخرجه مسلم(٨٣٢).

(٣) أخرجه أحمد(٢٣٨١٠) وغيره بسندٍ صحيح.

(٤) أخرجه ابن حبان (٦٢٤٥) بسندٍ حسن .

ووصفهم زيد بن عمرو بن نفيل ﷺ [١]:« لَقِيَهُ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فَحَيَّا أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا لِي أَرَى قَوْمَكَ قَدْ شَنِفُوا لَكَ» فَقَالَ: أَمَّا وَالله إِنَّ ذَلِكَ لَبِغَيْرِ نَائِرَةٍ كَانَتْ مِنِّي إِلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَرَاهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ»[٢].

ووصفت هند بنت عتبة ﷺ حبها كغيرها منهم حبهم لذلِّ أهل الخير ودعوة الحق فقالت لرسول الله ﷺ حين أسلمت:«.. يَا رَسُولَ الله وَالله، مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، وَمَا أَصْبَحَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ...»[٣].

وبنحوه قال عمرو بن العاص ﷺ واصفًا حاله التي كان عليها في جاهليته قبل إسلامه ﷺ على فراش الموت لولده عبد الله[٤].

وكذا ثمامة ابن أثال ﷺ قال للنبي ﷺ:« وَالله مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَالله مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَالله مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ..»[٥].

---

(١) أخرجه النسائي بسندٍ ثابت .

(٢) أخرجه البخاري(٣٨٢٥) ومسلم(١٧١٤).

(٣) أخرجه البخاري(٧١٦١) ومسلم (١٧١٤).

(٤) وهي في صحيح مسلم(١٢١) مشهورة.

(٥) أخرجه البخاري(٤٣٧٢) ومسلم (١٧٦٤).

بل كان بعض أئمة الكفر من اليهود والنصارى يعترفون بذلك يشهدون بضلالهم، فقد قال بعضهم لزيد بن عمرو بن نفيل وهو يبحث عن الدين الحنيف الذي لا شرك فيه: قالوا له وقد خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ، وَيَتْبَعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ اليَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ، فَأَخْبِرْنِي، فَقَالَ: **لاَ تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ الله**، قَالَ زَيْدٌ مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ الله، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ الله شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ زَيْدٌ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا، وَلاَ نَصْرَانِيًّا، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا الله، فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: **لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ لَعْنَةِ الله**، قَالَ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ الله، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِالله، وَلاَ مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا ، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا اللهَّ، فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ خَرَجَ..الأثر[1].

ألا شاهت الوجوه ورب الكون!

كم كان في الجاهلية جميعًا بما فيهم أهل الكتاب من سخف مقتهم الله تعالى جميعًا بسببه :

قال ﷺ: «**وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ**

(١) أخرجه البخاري(٣٨٢٧).

الْكِتَابِ..»[١].

كانوا – والله – على معتقدات وعادات وتقليد بلغت من السخف والانحراف ما يُضحك الثكلى.

فَعنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ الله – عليه السلام –؟ قَالَ: نَعَمْ كَثِيرًا، «كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ، أَوِ الْغَدَاةَ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ» [٢].

وأخرج البخاري[٣]عن أَبِي رَجَاءٍ العُطَارِدِيِّ[٤]قال: « كُنَّا نَعْبُدُ الحَجَرَ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَرًا هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ، وَأَخَذْنَا الآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُثْوَةً مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُفْنَا بِهِ، فَإِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَجَبٍ قُلْنَا: مُنَصِّلُ الأَسِنَّةِ، فَلاَ نَدَعُ رُمْحًا فِيهِ حَدِيدَةٌ، وَلاَ سَهْمًا فِيهِ حَدِيدَةٌ، إِلَّا نَزَعْنَاهُ وَأَلْقَيْنَاهُ شَهْرَ رَجَبٍ».

وأخرج ابن أبي شيبة[٥] بسندٍ قوي عن أبي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ،قال: كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ نَعْبُدُ حَجَرًا ، فَسَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: يَا أَهْلَ الرِّحَالِ ، إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ هَلَكَ فَالْتَمِسُوا

---

(١) أخرجه مسلم(٢٨٦٥).

(٢)أخرجه مسلم (٦٧٠).

(٣) أخرجه البخاري(٤٣٧٦).

(٤)مِنْ كِبَارِ الْمُخَضْرَمِيْنَ، أَدْرَكَ الجَاهِلِيَّةَ، وَأَسْلَمَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلَمْ يَرَ النَّبِيَّ ﷺ.

(٥) (٧/ ١٧) والدينوري في «المجالسة»(١٠٠٩).

رَبًّا ، قَالَ: فَخَرَجْنَا عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ نَطْلُبُ إِذَا نَحْنُ بِمُنَادٍ يُنَادِي: إِنَّا قَدْ وَجَدْنَا رَبَّكُمْ أَوْ شَبَهَهُ ، قَالَ: فَجِئْنَا فَإِذَا حَجَرٌ فَنَحَرْنَا عَلَيْهِ الْجُزُرَ .

وأخرج أحمد[١] بسندٍ صحيح إلى مُجَاهِدٍ، عَنْ مَوْلَاهُ[٢] أَنَّهُ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ يَبْنِي الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: وَلِي حَجَرٌ أَنَا نَحَتُّهُ بِيَدَيَّ أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَاثِرِ الَّذِي أَنْفَسُهُ عَلَى نَفْسِي، فَأَصُبُّهُ عَلَيْهِ، فَيَجِيءُ الْكَلْبُ فَيَلْحَسُهُ، ثُمَّ يَشْغَرُ فَيَبُولُ..الخبر.

ومن ذلك ما بيَّنته أم سليم للأبي طلحة حينما جاء يطلب زواجها:

أخرج ابن سعد [٣] بإسنادٍ صحيح عَنْ أَنَسٍ قَالَ:جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ يَخْطُبُ أُمَّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ: إِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَتَزَوَّجَ مُشْرِكًا.أَمَا تَعْلَمُ يَا أَبَا طَلْحَةَ أَنَّ آلِهَتَكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَ يَنْحَتُهَا عَبْدُ آلِ فُلانٍ النَّجَّارُ وَأَنَّكُمْ لَوْ شَعَلْتُمْ فِيهَا نَارًا لاحْتَرَقَتْ؟ ...الأثر.

وفي رواية [٤] بإسنادٍ صحيح عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ، خَطَبَ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ أَلَيْسَ إِلَهُكُمُ الَّذِي تَعْبُدُ خَشَبَةً نَبَتَتْ مِنَ الْأَرْضِ نَجَرَهَا حَبَشِيُّ بَنِي فُلَانٍ؟، قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: فَلَا تَصْحَبْنِي إِنْ تَعْبُدْ خَشَبَةً نَبَتَتْ فِي الْأَرْضِ نَجَرَهَا

---

(١) برقم(١٥٥٠٤).

(٢) وهو السَّائِبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ مختلف في اسمه، وقيل: هو السَّائِب بن أبي السَّائِب وكان شريك النبي ﷺ في الجاهلية.

(٣) في«الطبقات الكبرى»(٨/ ٣١٣).

(٤)أخرجها النسائي في«الكبرى»(٥٣٧٤).

حَبَشِيٌّ بَنِي فُلَانٍ إِنْ أَنْتَ أَسْلَمْتَ لَمْ أُرِدْ مِنْكَ شَيْئًا غَيْرَهُ..

وفي رواية عند ابن سعد بسندٍ مرسل: فَخَطَبَهَا أَبُو طَلْحَةَ وَهُوَ مُشْرِكٌ فَأَبَتْ. فَقَالَتْ لَهُ يَوْمًا فِيهَا تَقُولُ: أَرَأَيْتَ حَجَرًا تَعْبُدُهُ لا يَضُرُّكَ وَلا يَنْفَعُكَ أَوْ خَشَبَةً تَأْتِي بِهَا النَّجَّارَ فَيَنْجُرُهَا لَكَ هَلْ يَضُرُّكَ هَلْ يَنْفَعُكَ؟...الأثر.

وقد كان فيهم من الغل والحسد والكذب والبغي، ورؤية أنفسهم، وجدالهم بالباطل، واتباع الآباء على ضلالهم وتعصُّبهم لذلك، والرياء، ومع كل تلك المفاشد يرون أن لا عبادة أحسن من عبادة الأوثان، تالله لم يسلم منهم الأنبياء فقلوا منهم من قتلوا ، وصوَّروا نبي الله إبراهيم وإسماعيل أنهما يستقسمان بالأزلام.

ولذلك تكمن فائدة دراسة سيرة النبي ﷺ في أنه بما تركه لنا من أثر عنه قاد به أهل الجاهية الممقوتين من قبل الله لما كان فيهم من مجامع السوء والشر فحوَّلتهم بفضل الله من أراذل لا وزن لهم بين الشعوب إلى قادة أعلام تهابهم الدنيا كلها.

فلو سرنا بسيرته ﷺ وسيرة أصحابه من بعده دانت لنا الدنيا كما دانت لهم، وأصابتنا العزة كما أصابتهم، فالسوء هو السوء، والشر هو الشر، والجهل هو الجهل والسنة هي السنة، فبسيرة رسول الله ﷺ نحيا حياةً طيبة، وتأتي العزَّة ...إلخ.

بل لا شك أن حال الناس اليوم هو دون ما كان عليه أهل الجاهلية من كفر وسوء وضلال، فالإصلاح بسيرة رسول الله ﷺ اليوم أسهل بكثير، مسَّكنا الله تعالى بسيرته، وأحيانا حياة طيبة على النهج القويم.

بعض ما كان عليه أهل الجاهلية من محاسن

اشتهر عند بعضهم الجود والكرم، واحترام الجوار، والتعاون على الخير أحيانًا، وإن كانت طباع السوء في الجاهلية غالبة.

فأخرج مسلم [١] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت :قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ:«**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ** ».

وفي رواية أحمد [٢] :« **يَفُكُّ الْعَانِيَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُحْسِنُ الْجِوَارَ** ».

وما اشتهر عن المطعم بن عدي في حق النبي ﷺ معلوم، يوم أن حُصر النبي ﷺ ومن معه في شعب بني هاشم، ويأتي ذكره في موطنه من هذا الكتاب [٣].

وما كان عليه زيد بن عمرو بن نفيل، وما كان يفعله في حق الموؤدة من إحيائها، ذكرناه في موطنه .

والهادي الخريت الذي كان مع رسول الله ﷺ وأبي بكر يوم الهجرة، كان على دين كفار قريش، وهو مأمون [٤]، وشهد رسول الله ﷺ مع عمومته حِلف

---

(١) برقم (٢١٤).

(٢) برقم (٢٤٨٩٢)، وهي ثابتة خرَّجتها في كتابي«فقه التعامل مع الجار وبيان حقوقه».

(٣) وهو الذي قال عنه رسول الله ﷺ يوم أُسَارَىٰ بَدْرٍ: «**لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**» أخرجه البخاري (٣١٣٩) .

(٤) وراجع حادث الهجرة في «صحيح البخاري»(٣٩٠٥) .

المطيبين، وهو حلف الفضول وقال ﷺ: «شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ وَأَنَا غُلَامٌ وَمَا يَسُرُّنِي حُمُرُ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ».(١)

كان فيه التعاون مع بعضهم على خصال من خصال الخير.

والمقصود أنهم قد كان عندهم بعض خصال الخير، ولكن كانت حالات قليلة، وفردية، والغالب- على جملتهم- السوء.

عدد الذين كانوا على الملة الصحيحة

مع تجسيد الحالة العامة لأهل الأرض قبل مبعث محمد ﷺ

قَالَ رسول الله ﷺ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ».(٢)

من هؤلاء سلمان الفارسي رضي الله عنه، و زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه، وهو ظاهر حال ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى.

تعداد الذين كانوا على الدين الحق ومن يبحث عنه في تلك الفترة

❁ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وفيه عدة أحاديث:

---

(١) وهوعند أحمد (١/ ١٩٣)وابن أبي عاصم في «المثاني»(٢٢١) بإسنادٍ ثابت.

(٢) أخرجه مسلم(٢٨٦٥).

الحديث الأول عن عبد الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه: «أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ، وَيَتْبَعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ اليَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ، فَأَخْبِرْنِي، فَقَالَ: لاَ تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللهِ، قَالَ زَيْدٌ:

مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللهِ، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ زَيْدٌ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا، وَلاَ نَصْرَانِيًّا، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ:

لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ لَعْنَةِ اللهِ، قَالَ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ اللهِ، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللهِ، وَلاَ مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ:

مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ».[1]

الحديث الثاني عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ[2]، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الوَحْيُ، فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٨٢٧).

(٢) بلدَح: هو واد في طريق التنعيم إلى مكة.

ﷺ سُفْرَةٌ[١]، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ:

إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلاَ آكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ المَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللهِ، إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ ».[٢]

وأخرج ابن أبي عاصم [٣]عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما قَالَتْ: رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وَهُوَ مُسْنَدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا مِنْكُمُ الْيَوْمَ أَحَدٌ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَيْرِي، وَكَانَ يُصَلِّي فِي الْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: إِلَهِي إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ، وَدِينِي دِينُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ يُحْيِي الْمَوْءُودَةَ، فَيَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ: لَا تَقْتُلْهَا،ادفعها إِلَيَّ فَأَنَا أَكْفِيكَ مَؤُونَتَهَا، حَتَّى إِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ: إِنْ شِئْتَ فَخُذْهَا الْآنَ، وَإِنْ شِئْتَ فَدَعْهَا أَكْفِيكَ مَؤُونَتَهَا، وَسُئِلَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: « **يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ** ».[٤]

وتقدم ذكر خبره في بحثه عن الحقيقة، بطوله .

وهذه المشقة والعناء الذي لقيه رضي الله عنه في البحث عن الحقيقة بإنصاف وهمة عالية وتجرُّد...فـرضي الله عنه ، كم تعب كثيراً.

---

(١) السفرة : هي طعام يتخذه المسافر، وأكثر ما يحمله في جلدٍ مستدير.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٨٢٦) .

(٣) في «الآحاد والمثاني»برقم (٧٧١)، بسندٍ صحيح، وقد علقه البخاري (٣٨٢٨)، مجزوماً به.

(٤) صحيح أخرجه مسلم(٢٩٤٨).

وقد قال رسول الله ﷺ «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**».[١]

والمراد بالهرج : الفتنة واختلاط أمور الناس، وسبب كثرة أجر العبادة فيه، أن الناس يغفلون عنها ، ولا يتفرَّغ لها إلا قلَّة من الموفَّقين .

وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة في عظم الأجر على قدر المشقة :

« **وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدْرِ نَفَقَتِكِ أَوْ نَصَبِكِ**».[٢]

وكم يكون الأجر مرتين لأقوام تحمَّلوا المشاق، والله المستعان .

❁ سلمان الفارسي رضي الله عنه صاحب الهمة العالية .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ، قَالَ:

كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جَيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ[٣]، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، واَجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ[٤] الَّذِي يُوقِدُهَا لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً، قَالَ: وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي:

---

(١) أخرجه مسلم(٢٩٤٨)من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (١٧٨٧) ومسلم(١٢١١).

(٣) دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ: شيخ قريته العارف بها، بالفلاحة وما يصلح الأرض من الشجر، يُلجأ إليه في معرفة ذلك.

(٤) قطن النار: خادمها الذي يخدمها، يوقدها ويمنعها من أن تنطفئ تعظيماً للآلهة .

يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا، وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ، دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: بِالشَّامِ .

قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَلَمَّا جِئْتُهُ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ، مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ.

قَالَ: قُلْتُ: كَلَّا وَاللهِ إِنَّهُ لَخَيْرٌ مِنْ دِينِنَا، قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ، قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ:

إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا، قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟

قَالُوا: الْأَسْقُفُّ[١] فِي الْكَنِيسَةِ، قَالَ: فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ، قَالَ: فَادْخُلْ فَدَخَلْتُ مَعَهُ، قَالَ:

فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ، اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟

قَالَ: قُلْتُ أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ، قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ، فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ، قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ، أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَدْأَبُ[٢] لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ، قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللهِ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ وَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ

---

(١) الْأَسْقُفُّ: عالم النصارى الذي يقيم لهم أمر دينهم.

(٢) أَدْأَبُ: أحرص.

وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقْ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ:

أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا بِنَصِيبِينَ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَالْحَقْ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ، فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي، قَالَ: فَأَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بِعَمُّورِيَّةَ، فَإِنَّهُ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ، قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ، وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ، قَالَ:

وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ، قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللهِ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ، فَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ:

أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى:

يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغَيَّبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ، قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَاعَنِي مِنْهُ، فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا وَبَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: قُلَانُ، قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ[1]، وَاللهِ إِنَّهُمُ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ، حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي، قَالَ:

---

(١) بني قيلة : هم الأوس والخزرج، ينسبون إلى أمهم قيلة بنت كاهل بني عذرة ، وهم جماعة من أهل المدينة.

وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ؟ مَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ: فَغَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَهُ عَمَّا قَالَ: وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ قَالَ: فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**كُلُوا**» وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُهُ بِهِ، فَقُلْتُ:

إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ اثْنَتَانِ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي؟ فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ اسْتَدْبَرْتُهُ، عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي، قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ، فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَحَوَّلْ» فَتَحَوَّلْتُ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرٌ، وَأُحُدٌ، قَالَ:

ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ**» فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ، وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**أَعِينُوا أَخَاكُمْ**» فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ: الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً[1]، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، يَعْنِي: الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا**[2]، **فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ**» قَالَ: فَفَقَّرْتُ لَهَا، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي، حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعِي إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي، فَقَالَ:

«**مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟**» قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ، فَقَالَ: «**خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ**» فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللهِ مِمَّا عَلَيَّ؟ قَالَ: «**خُذْهَا، فَإِنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ**» قَالَ: فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعَتَقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ».[3]

وهذا هو الذي جعل النبي ﷺ قال عن أمثال سلمان رضي الله عنه ما قال .

---

(١) الودية : النخلة .

(٢) فقر لها : أي احفر .

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»(٢٣٧٣٧)، بسندٍ حسن، كما بينته في غير هذا الموطن .

ففي صحيح البخاري[١]، وغيره، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ:كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الجُمُعَةِ: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة: ٣] قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلاَثًا، وَفِينَا سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ، وَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «**لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ - أَوْ رَجُلٌ - مِنْ هَؤُلاَءِ**».

وكم ترفع الهمة العالية صاحبها في الدنيا والآخرة .

وقد روى البخاري[٢]، عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رضي الله عنه :«أَنَّهُ تَدَاوَلَهُ بِضْعَةَ عَشَرَ، مِنْ رَبٍّ إِلَى رَبٍّ».

أي من معلم إلى معلم، ومربّ إلى مثله، أو من سيد إلى سيد، ومن مالك إلى مالك .

حتى عدَّ السهيلي[٣] رحمه الله: أن الذين صحبوا سلمان من النصارى كانوا على الحق، على دين عيسى بن مريم، وكانوا ثلاثين يداولونه سيداً بعد سيد .

❁ عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه : كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ

---

(١) برقم(٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦)، وبوب النووي له بباب فضل فارس .

(٢) صحيح أخرجه البخاري(٣٩٤٦).

(٣) في«الروض الأنف»(٢/ ٢٢٠) .

يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «**أَنَا نَبِيٌّ**»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي اللهُ**»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟

قَالَ: «**حُرٌّ، وَعَبْدٌ**»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «**إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي**»، قَالَ:

فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «**نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ**»، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى .....الحديث.(١)

وفي هذا الباب- باب ذكر الباحثين عن الحقيقة المعتقدين لبعضها- كثيرٌ من الأكاذيب ذكر ابن إسحاق ـ وذكر أشياء، وعن الواقدي ـ وعن سعيد بن يحيي الأموي، في «مغازيه» قال:

كَانَ أَبُو قَيْسٍ هَذَا قَدْ تَرَهَّبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَبِسَ الْمُسُوحَ، وَفَارَقَ الْأَوْثَانَ،

(١) أخرجه مسلم(٨٣٢).

وَاغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَتَطَهَّرَ مِنَ الْحَائِضِ مِنَ النِّسَاءِ، وهمَّ بِالنَّصْرَانِيَّةِ ثُمَّ أَمْسَكَ عَنْهَا وَدَخَلَ بَيْتًا لَهُ فَاتَّخَذَهُ مَسْجِدًا لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ حَائِضٌ وَلَا جُنُبٌ وَقَالَ: أَعْبُدُ إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ حِينَ فَارَقَ الْأَوْثَانَ وَكَرِهَهَا، حَتَّى قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فأسلم فحسن إسلامه ، وكان شيخًا كبيراً وَكَانَ قَوَّالًا بِالْحَقِّ مُعَظِّمًا لِلَّهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِ يَقُولُ فِي ذَلِكَ أَشْعَارًا حِسَانًا...[1]

وبالجملة فالباحثون عن الحق في هذه الفترة قلَّة، ومن اهتدى منهم إلى الحق أقل، وهذا بيِّن في قوله ﷺ :

«..**إِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**...»الحديث.[2]

وتقدَّم كلام ابن الهيبان، وإخباره اليهود بظهور النبي ﷺ، ونصحهم بأن لا يسبقه إليه غيرهم، فكأنه وقف على الحقيقة، والله المستعان .

تحديد مولده ﷺ

وُلد رسول الله ﷺ يوم الإثنين، لحديث أبي قتادة رضي الله عنه ، وسئل عن صوم يوم الإثنين، قال رسول الله ﷺ :« **ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ – أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ** –

---

(١) ذكر هذا ابن كثير في «البداية والنهاية»(١/ ١٦٦)، فأحببت أن لا أخلي المقام من التنبيه على عدم ثبوته مع شهرته .

(٢) وهذا في حديث رواه مسلم في «صحيحه» (٢٨٦٥) .

» .[١]

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِالحزامي: اَلَّذِي لَا يَشُكُّ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِنَا: أَنَّ رسول الله، ﷺ، وُلِدَ عَامَ الْفِيلِ، وَبُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنَ الْفِيلِ..[٢]

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ مَوْلِدُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَامَ الْفِيلِ وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عَنِ الْجُمْهُورِ.[٣]

وقد حكى ابن كثير والذهبي عن خَلِيفَة بْنِ خَيَّاطٍ قال:

« الْمُجْمَعُ عَلَيْهِ أَنَّهُ وُلِدَ عَامَ الْفِيلِ..»[٤]

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١١٦٢).

(٢) حكاه ابن كثير في «السيرة»(١/ ٢٠٢)وقد أخذ هو هذا الكلام من حكاية البيهقي له في«دلائل النبوة»(١/ ٧٩) .

(٣) حكاة عنه ابن كثير في «البداية والنهاية»ط دار الفكر(٢/ ٢٦١).

(٤) «السيرة النبوية»لإبن كثير (١/ ٢٠٣)و«تاريخ الإسلام »للذهبي (١/ ٢٥)، وثَمَّ أكاذيب في حادث الفيل، منها لقاء بين إبرهة، وعبد المطلب، لايصح به سند مع شهرته، وليست هي من شرط الكتاب فلم أُعرِّج عليه..

تنبيه:

جمهور العلماء على أن مولد النبي ﷺ كان في الثاني عشر من ربيع الأول، وعلى ذلك أقوال واردة عن الصحابة لا أرى ما يسلم منها، وقد اختلف العلماء في مولده على أقوال ذكرها ابن كثير في«تاريخه»، هذا أحدها، والثاني:ولد لثمان خلون من ربيع الأول، حكاه الحميدي، عن ابن حزم،

وقد ظل قائد الفيل وسائسه هذا إلى زمن عائشة ﵂، فرأتهما .

فقد أخرج ابن إسحاق[١] بسند صحيح عن عائشة ﵂، قالت : «لَقَدْ رَأَيْتُ قَائِدَ الْفِيلِ وَسَائِسَهُ بِمَكَّةَ أَعْمَيَيْنِ مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ ».

❁ ما وقع من الآيات ليلة مولده ﷺ

اشتهر أن رسول الله ﷺ لما ولد : ارتجس إيوان كسرى وسقطت شُرفات منه، وخمدت نيران المجوس، ورؤيت رؤى.....إلخ.

ولم يصح من ذلك شيء، إنما هي أشياء تُحكى على ألسنة القُصاص، وبعض الصوفية .

ولكن أخرج ابن إسحاق [٢] بإسنادٍ حسن، عن حسان بن ثابت ﵁ قال:

إِنِّي لَغُلَامٌ يَفَعَةٌ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ - أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ - أَعْقِلُ مَا رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ، إِذَا بِيَهُودِيٍّ فِي يَثْرِبَ يَصْرُخُ ذَاتَ غَدَاةٍ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ - وأنا أسمع -

=

وقيل: لعشر خلون من ربيع الأول، وقيل: لسبع عشرة خلت منه، وقيل: لثمان بقين منه، وقيل ولد في رمضان....وفائدة ذكري للخلاف، معرفة أنه لو كان الصحابة يحتفلون به في يوم، أو يُمَيِّزونه بمراسم عن بقية الأيام كما يفعل أهل البدع اليوم،لعُلم هذا اليوم بالسند الصحيح.

(١) في«السيرة»(ص٦٥)وسنده حسن، ولم يأت خبر عن إسلامهما من عدمه والأظهر أنهما ما أسلما، وإلا لَذُكر، والله أعلم.

(٢) برقم (٨٤)، وفي إسناده أشياخ مبهمون، يشد بعضهم بعضاً، ولذا حسنه الألباني في«صحيح السيرة» (ص١٤) .

فقالوا ويلك مالك؟ قَالَ قَدْ طَلَعَ نَجْمُ أَحْمَدَ الَّذِي يُولَدُ بِهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ..

مرضعاته وحواضنه ﷺ

قد أرضع النبي ﷺ أكثر من امرأة وإليك عدد ما صحت به الروايات بتعداد مَن أرضعنه ﷺ:

الأولى من مرضعاته ﷺ: ثويبة مولاة أبي لهب مولاة بني هاشم

فعن زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنها: أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، أَخْبَرَتْهَا: أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، انْكِحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: «**أَوَتُحِبِّينَ ذَلِكِ**»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ ذَلِكِ لاَ يَحِلُّ لِي**».

قُلْتُ: فَإِنَّا نُحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ؟ قَالَ: «**بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ**»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «**لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا لاَبْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فَلاَ تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلاَ أَخَوَاتِكُنَّ**».[1]

فهذا دالٌ على أن ثويبة أرضعت رسول الله ﷺ، وقد ورد أن رسول الله ﷺ أعتقها بعدما كبر، وأنكحها زيد بن حارثة، وأنها توفيت بعده بخمسة أشهر. وهو عند مسلم،[2] من مرسل الزهري.

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٥١٠١) ومسلم(١٤٤٩).

(٢) عقب حديث (١٧٧١).

وعند البخاري من قول عُرْوَةُ:

ثُوَيْبَةُ مَوْلاَةٌ لِأَبِي لَهَبٍ: كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا، فَأَرْضَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرٍّ حِيبَةٍ، قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ .(١)

الثانية :أم أيمن (حاضنة رسول الله ﷺ)(٢)، واسمها: بركة، وكانت تُدِلَّ على رسول الله ﷺ.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: «انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَنَاوَلَتْهُ إِنَاءً فِيهِ شَرَابٌ» قَالَ: فَلَا أَدْرِي أَصَادَفَتْهُ صَائِمًا أَوْ لَمْ يُرِدْهُ، فَجَعَلَتْ تَصْخَبُ عَلَيْهِ وَتَذَمَّرُ عَلَيْهِ ».(٣)

أي تتذمَّر وتتكلم بالغضب؛ لمَّا ردَّ النبي ﷺ شرابها، والمعنى: تكلَّمت بالإنكار والغضب، وكانت تُدِلَّ عليه ﷺ، لكونها حضنته وربَّته ﷺ.

وقد قَالَ أَبُو بَكْرٍ، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ:

« انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ؟

---

(١) ولم أقف على شيء يصح من هذا، مع كثرة إيراده في كتب السيرة، بل هو مرسل عروة كما رأيت والله أعلم.

(٢) نص بعض العلماء، أنها كانت حاضنة النبي ﷺ .

(٣) صحيح أخرجه مسلم(٢٤٥٣).

فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا ».[١]

وقد ذُكر من مُرضعاته «حليمةالسعدية» .

وقد وردت حكايتها أخذ النبي ﷺ، وتحديثها عن البركة التي حصلت لها ولزوجها، بأخذها له ﷺ، وقول زوجها لها : لقد أخذنا نسمة مباركة .

وأنه كان يشب شباباً ما يشبه أحداً من الغلمان، يشب في اليوم شبابَ الغلام في الشهر، ويشبُّ في الشهر شباب السَّنَة، فلما أكمَل سنتين.. إلخ، وقد أشرت إلى ذلك لأبين ضعفه، وإنما ثبت فرج صدره وملئه حكمة وإيماناً.[٢]

وقد أغنى الله نبيه ﷺ من الكرمات، والمعجزات، عن المنقول بمثل هذه الأسانيد، فأعرضتُ عن ذكرأشياء وإن كانت مشهورة، ومتداولة بين أهل السير، والمغازي ، أنه كان كذا وكذا لما كان عند حليمة السعدية[٣].

---

١) صحيح أخرجه مسلم(٢٤٥٤).

(٢) قال أبو ذر عن النبي ﷺ قال:« **فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**،...الحديث »، أخرجه البخاري(٣٤٩) ومسلم (١٦٣)وسيأتي ذكر ذلك في ذكر الإسراء والمعراج إن شاء الله تعالى.

(٣) وآفة الإسناد الذي رواه ابن حبان (٦٣٣٥)، بهذ الخبر ـ وهو أحسن أسانيده ـ من طريق جهم بن أبي جهم عن عبد الله بن جعفر عن حليمة انقطاع بين عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وحليمة السعدية – التي روى عنها-.. ولم يسمع منها .

=

بل في «دلائل البيهقي»(١/ ١٣٣)، من طريق جهم بن أبي جهم قال «حدثني مَن سمع»عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال: حُدِّثتُ عن حليمة بنت الحارث أم رسول الله ﷺ، التي أرضعته ...فذكره، وهذا يدل على الإنقطاع في موضعين، فإن قيل:إنه مرسل صحابي عن عبد الله بن جعفر- فلا جواب عن الانقطاع بين جهم وعبد الله بن جعفر.

وقد أشار الحافظ ابن حجر في«إتحاف المهرة»(١٦/ ٩١٨) إلى أن هذا الانقطاع بين جهم بن أبي جهم وعبد الله بن جعفر هو علَّة الخبر.

وقال الألباني في كتابه«دفاع عن الحديث النبوي والسيرة»ص ٣٩ في معرض ردِّه على من ادَّعى إجماعًا أن بادية بني سعد بن بكر كانت تعاني إذ ذاك سنة مجدبة، وذكر خبر إرضاع حليمة لرسول الله ﷺ المشهور ثم قال:«إسناده لا تقوم به الحجة»اهـ ثم بيَّن ذلك رحمه الله.

وألخص فأقول مدار هذا الحديث على جهم بن أبي جهم ولا يُعلم فيه جرحًا ولا تعديلًا فيما اطلعت عليه.

وقد قال الحسيني في«الإكمال»(١١٦):«ذكره ابن حبان في الثقات» وهو مجهول».

وكذا جهله الحافظ في «تعجيل المنفعة»(١/ ٣٩٩) ومن قبله الذهبي في«الميزان»(١/ ٤٢٦) قال:«لا يعرف له قصة حليمة السعدية».

فأين السند الثابت بإرضاع حليمة السعدية لرسول اللهﷺ في بني بكر بن سعد؟

وقد أبعد الذهبي في«تاريخ الإسلام»(١/ ٤٢) عفا الله عنه حين قال عن الحديث:«حديث جيد الإسناد» .وكيف يجوِّد إسنادًا في«تاريخه» وقد قال هو نفسه في أحد رواته في«الميزان» «لا يعرف؟!».

شق صدره ﷺ وهو صغير

الواضح المتداول المعروف أن شق الصدر حصل لرسول الله ﷺ مرتين، مرة وهو صغير، وأخرى ليلة الإسراء، ليتأهب، للوفود إلى الملأ الأعلى، ولمناجاة الرب عز وجل، والمثول بين يديه تبارك وتعالى، كما قال الحافظ ابن كثير.(١)

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه :

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ،

=

وقد رواه أبو يعلى (٧١٦٣) وابن حبان في «صحيحه»، وليس فيه تصريحٌ بالتحديث الذي أشار إليه الحافظ في«الإصابة»(٨/ ٨٧)، حيث حكى قال: عن عبد الله بن جعفر:«حديثه عنها بقصة إرضاعها، أخرجه أبو يعلى، وابن حبان، وصرح فيه بالتحديث بين عبد الله، وحليمة ».

ثم أشار إلى رواية ابن إسحاق وهى في«السيرة»(ص٤٩)، أنه قال:« حُدِّثتُ عن حليمة »

وعلى كلٍ ما شهدنا إلا بما علِمنا، فالسند الذي وقفنا عليه لا يصح بالقصة، وطريق الطبراني في «الكبير»(٢٤/ ٢١٢)، وما بعدها رقم(٥٤٥) فيه تصريح عبد الله بن جعفر بالتحديث من حليمة، ولكن في الطريق إليه ابن إسحاق، ولم يصرح في هذا السياق بالتحديث – في هذا السند –وهو مدلِّس، فلم أقف على سند صحيح في هذا الباب– باب قصة حليمة مع إرضاعة – مع أنه ليس بمستبعد.

(١) وقصة الشق ليلة الإسراء، وأنه حشا صدره، وأغاديده ـ أي عروقه ـ إيماناً وحكمة، هي في «صحيح البخاري»(٧٥١٧) ومسلم(١٦٣)كما تقدم.

وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ »، قَالَ أَنَسٌ:«وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ». (١)

وعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ الْكُلَاعِيِّ :أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى (أَخِي) عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ الشَّامِ، اسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْمًا لَنَا، إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجًا، ثُمَّ أَخَذَانِي فَشَقَّا بَطْنِي، وَاسْتَخْرَجَا قلبِي فشقّاه، فاستخرجنا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا، ثُمَّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقَيَاهُ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ، ثُمَّ قَالَ: زنه بِمِائَة مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهِ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ، فَقَالَ: دَعه»** (٢).

وفاة أمه، وجده ﷺ

يذكر أصحاب السير، والمغازي: أن آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ توفيت في هذه المرحلة، وأنها توفيت وسنه ستة سنوات، وأنها ماتت وهي قافلة به من زيارةٍ

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٢).

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في«سيرة» ابن هشام (١/ ١٦٦)، بإسنادٍ جيد قوي، كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»(٢/ ٣٠٤)، وله شواهد أخرى بمعناه .

لأخواله من بني عدي بن النجار، والروايات التي وقفتُ عليها في هذا لا تصح؛ إلا أنه صح أن آمنة بنت وهب، وجده عبد المطلب ماتا كافرين.

وأما الأبوان فقد ذكرت دلائل موتهما على الكفر في كتابي «لمع الأدلة في بيان عقيدة أهل السنة»[١]، ففيه مبحث مُحرر في هذه المسألة، خلافًا لأصحاب العواطف الخائبة المخالفة للشرع، الذين يستنكرون كون الأبوين في النار، وكأنهم أحسن أدبًا من رسول الله ﷺ، الذي نص على أنهما في النار، [٢] .!والله المستعان.

وأما عبد المطلب فلا خلاف في موته على الكفر، ولذلك اعتُبر أبو طالب ميتًا على الكفر، لكونه آخر ما قال عن نفسه :«هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ»[٣] فدل على كفر عبد المطلب، هذا واضح.

---

(١) ولذلك في «صحيح مسلم»(٩٧٦)، قال «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**».

وقال ﷺ لرجلٍ :« **إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**». وهو صحيح أيضاً أخرجه مسلم (٢٠٣)وخرجتهما في الكلام على المسألة بتوسع، في كتابي المشار إليه، ولا يقال: هما من أهل الفترة،لأن هذا مخالف للدليل.

وقال ﷺ: «**حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ**»أخرجه ابن ماجة (١٥٧٣) وغيره بسندٍ صحيح عن ابن عمر رضي الله عنه .

و قال هذا ﷺ ردًّا على من سأله على والده: يَا رَسُولَ الله فَأَيْنَ أَبُوكَ؟فقال ﷺ حيثما مررت..الحديث.

(٢) وهذا في الصحيحين مشهور.

(٣) كما في الصحيحين.

صيانة الله تعالى لرسوله ﷺ من الزلل في صغره وتهيئته لما يُقبل عليه

الله عزوجل إذا أراد شيئًا هيأ أسبابه، فيهيئ أنبياءه، ورسله عليهم الصلاة والسلام للمهمة التي أرادها منهم منذ نشأتهم، أو قبل ولادتهم .

❁ فمن ذلك رعيهم الأغنام قبل البعثة .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ**»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ[1] لِأَهْلِ مَكَّةَ**».[2]

قَالَ الْعُلَمَاءُ :

والْحِكْمَةُ فِي إِلْهَامِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ رَعْيِ الْغَنَمِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ أَنْ يَحْصُلَ لَهُمُ التَّمَرُّنُ بِرَعْيِهَا عَلَى مَا يُكَلَّفُونَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ أُمَّتِهِمْ وَلِأَنَّ فِي مُخَالَطَتِهَا مَا يُحَصِّلُ لَهُمُ الْحِلْمَ وَالشَّفَقَةَ لِأَنَّهُمْ إِذَا صَبَرُوا عَلَى رَعْيِهَا وَجَمْعِهَا بَعْدَ تَفَرُّقِهَا فِي الْمَرْعَى وَنَقْلِهَا مِنْ مَسْرَحٍ إِلَى مَسْرَحٍ وَدَفْعِ عَدُوِّهَا مِنْ سَبُعٍ وَغَيْرِهِ كَالسَّارِقِ.

وَعَلِمُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَشِدَّةَ تَفَرُّقِهَا مَعَ ضَعْفِهَا وَاحْتِيَاجِهَا إِلَى الْمُعَاهَدَةِ أَلِفُوا مِنْ ذَلِكَ الصَّبْرَ عَلَى الْأُمَّةِ وَعَرَفُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَتَفَاوُتَ عُقُولِهَا فَجَبَرُوا كَسْرَهَا وَرَفَقُوا بِضَعِيفِهَا وَأَحْسَنُوا التَّعَاهُدَ لَهَا فَيَكُونُ تَحَمُّلُهُمْ لِمَشَقَّةِ ذَلِكَ أَسْهَلَ مِمَّا لَوْ كُلِّفُوا الْقِيَامَ بِذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ لِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ التَّدْرِيجِ عَلَى ذَلِكَ

---

(١) القيراط : جزء من الدينار أو الدرهم .

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٦٢) .

بِرَعْيِ الْغَنَمِ.

وَخُصَّتِ الْغَنَمُ بِذَلِكَ لِكَوْنِهَا أَضْعَفَ مِنْ غَيْرِهَا وَلِأَنَّ تَفَرُّقَهَا أَكْثَرُ مِنْ تَفَرُّقِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ لِإِمْكَانِ ضَبْطِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ بِالرَّبْطِ دُونَهَا فِي الْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ وَمَعَ أَكْثَرِيَّةِ تَفَرُّقِهَا فَهِيَ أَسْرَعُ انْقِيَادًا مِنْ غَيْرِهَا وَفِي ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ لِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ عُلِمَ كَوْنُهُ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عَظِيمِ التَّوَاضُعِ لِرَبِّهِ وَالتَّصْرِيحِ بِمِنَّتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاء.[1]

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَجْنِي الكَبَاثَ[2]، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالأَسْوَدِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ**» قَالُوا: أَكُنْتَ تَرْعَى الغَنَمَ؟ قَالَ: «**وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا**».[3]

❁ ومن ذلك عصمته في صغره من الزلل :

فعن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا يَهُمُّ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ كِلْتَاهُمَا عَصَمَنِي اللهُ مِنْهُمَا.**

قُلْتُ لَيْلَةً لِفَتًى كَانَ مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ فِي غَنَمٍ لِأَهْلِنَا نَرْعَاهَا: أَبْصِرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَانُ.

---

(١) انظر «فتح الباري» (٤/ ٤٤١).

(٢) أي أخذ ثمر شجر الأراك الذي يُنتجُ شِبه التين.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٠٦).

قَالَ: نَعَمْ، فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا جِئْتُ أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ غِنَاءً، وَصَوْتَ دُفُوفٍ، وَمَزَامِيرَ.

قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: فُلَانٌ تَزَوَّجَ فُلَانَةَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَهَوْتُ بِذَلِكَ الْغِنَاءِ، وَبِذَلِكَ الصَّوْتِ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَنِمْتُ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟

فَأَخْبَرْتُهُ، ثُمَّ فَعَلْتُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجْتُ، فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي: مِثْلُ مَا قِيلَ لِي، فَسَمِعْتُ كَمَا سَمِعْتُ، حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ لِي: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَوَاللهِ، مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى أَكْرَمَنِي اللهُ بِنُبُوَّتِهِ». (١)

❁ ومن ذلك صيانة عورته ﷺ.

قال جَابِر بْن عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما: لَمَّا بُنِيَتِ الكَعْبَةُ، ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلاَنِ الحِجَارَةَ، فَقَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ يَقِيكَ مِنَ الحِجَارَةِ، فَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «إِزَارِي إِزَارِي فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ». (٢) وسيأتي حديث أبي الطفيل قريبًا.

---

(١) أخرجه ابن حبان(٦٢٧٢)بإسناد حسن.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٨٢٩).

ومن ذلك ما أخرجه ابن أبي عاصم، والنسائي[١]، بسندٍ حسن، عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُرْدِفِي إِلَى نُصُبٍ مِنَ الْأَنْصَابِ فَذَبَحْنَا لَهُ شَاةً، ثُمَّ صَنَعْنَاهَا لَهُ حَتَّى إِذَا نَضِجَتْ جَعَلْنَاهَا فِي سُفْرَتِنَا، ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ وَهُوَ مُرْدِفِي فِي يَوْمٍ حَارٍّ مِنْ أَيَّامِ مَكَّةَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَعْلَى الْوَادِي لَقِيَهُ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فَحَيَّا أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ...الحديث وفيه:

وَكَانَ صَنَمَانِ مِنْ نُحَاسٍ يُقَالُ لَهُمَا إِسَافُ وَنَائِلَةُ، فَطَافَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطُفْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا مَرَرْتُ مَسَحْتُ بِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَمَسَّهُ**» وَطُفْنَا فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَأَمَسَّنَّهُ أَنْظُرُ مَا يَقُولُ: فَمَسَحْتُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَمَسَّهُ أَلَمْ تُنْهَ**» قَالَ: فَوَالَّذِي أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ.....الحديث.

❁ **ومن ذلك مشاركته لأهله فيما هو صواب قبل أن يوحى إليه توفيقاً من الله .**

فأخرج ابن خزيمة[٢]، بسندٍ حسن عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: كَانَتْ قُرَيْشٌ إِنَّمَا تَدْفَعُ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْحُمْسُ، فَلَا نَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ، وَقَدْ تَرَكُوا الْمَوْقِفَ عَلَى عَرَفَةَ قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقِفُ مَعَ النَّاسِ بِعَرَفَةَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ، ثُمَّ يُصْبِحُ مَعَ قَوْمِهِ بِالْمُزْدَلِفَةِ فَيَقِفُ مَعَهُمْ يَدْفَعُ إِذَا دَفَعُوا ».

وهذا من توفيق الله له أن يشاركهم فيما أقرَّه الإسلام، وخالف أهل الكفر في المواطن التي يتكبرون فيها والتي الأولى فيها إظهار الذُّل فيها والتواضع .

---

(١) انظر «الآحاد والمثاني»(٢٥٧) لابن أبي عاصم، و«السنن الكبرىٰ»(٨١٣٢) للنسائي .

(٢) في«صحيحه»(٢٨٢٣).

❁ ومن صيانة الله لنبيه ﷺ قبل الرسالة.

مخالفته لشرك الجاهلية، وحياطته من أقذاره، ومعايبها؛ لما يريد الله به من كرامته، ورسالته وهو على دين قومه، حتى بلغ أن كان أفضل قومه مروءةً، وأحسنهم طريقة، وأكرمهم مخالطةً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم خلقاً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانةً، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تُدَنِّس الرجال، تَنَزُّهاً، وتكرُّماً، حتى ما سمَّاه قومه إلا الأمين ....

ومن ذلك ما أخرجه البيهقي بإسنادٍ حسن(١)، عن نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرٍ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، وَهُوَ يَقِفُ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ، بِعَرَفَاتٍ، مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ، حَتَّى يَدْفَعَ مَعَهُمْ، تَوْفِيقًا مِنَ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، لَهُ.

قال البيهقي رحمه الله: قَوْلُهُ: «عَلَى دِينِ قَوْمِهِ»

مَعْنَاهُ: عَلَى مَا كَانَ قَدْ بَقِيَ فِيهِمْ مِنْ إِرْثِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، فِي حَجِّهِمْ وَمَنَاكِحِهِمْ وَبُيُوعِهِمْ، دُونَ الشِّرْكِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ قَطُّ.

كما في رواية أحمد(٢)، عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، وَإِنَّهُ لَوَاقِفٌ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ بِعَرَفَاتٍ مَعَ النَّاسِ مِنْ

(١) في«دلائل النبوة»(٢/ ٣٧)، والفاكهي في«أخبار مكة»(٢٧٨٨).

(٢) برقم(١٦٧٥٧)، بنفس الإسناد السالف الحسن، وهو عند ابن إسحاق، كما قال ابن هشام في«السيرة النبوية»(١/ ١٧٠).

بَيْنَ قَوْمِهِ حَتَّى يَدْفَع مَعَهُمْ مِنْهَا تَوْفِيقًا مِنْ اللهِ لَهُ، ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وفي صحيح البخاري[1]، عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: أَضْلَلْتُ بَعِيرًا لِي، فَذَهَبْتُ أَطْلُبُهُ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَاقِفًا بِعَرَفَةَ، فَقُلْتُ: «هَذَا وَاللهِ مِنَ الحُمْسِ فَمَا شَأْنُهُ هَا هُنَا»...[2].

والأحمس: أي الشديد على دينه، فدلَّ هذا على أن مشاركة النبي ﷺ لهم إنما كانت في الخير، لا في الشر.

ومن ذلك: تحبيب الخلوة إليه قبل الوحي، وتزوجه بمثل خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ولقائه بورقة بن نوفلٍ رضي الله عنه، وحمية عمِّه أبي طالب لدفاعه عنه، وحمايته مع كونه ليس على منهجه ولا على دينه، ولكن حمية، وكذلك إيمان أبي بكر، ثم عمرمعه في البداية، ثم في الهجرة تهيئة أشياء، وأشخاص له.....إلخ.

فعن عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ:

أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ

---

(١) برقم(١٦٦٤)ومسلم(١٢٢٠).

(٢) وتتمة الكلام زيادة من قول سفيان، كما بينته رواية الحميدي في «مسنده »عنه كما أشار الحافظ في«الفتح»(٣/ ٦٢٨)، فلم أذكرها.

حِرَاءٍ.....الحديث بطوله.[١]

فالخلوة تجلُو الذهن، وتمنعه ـ ﷺ ـ من التأثر ببعض ما يظهر من جاهلية قومه الكفار وخبثهم، فلا يأخذ من طبائعهم المنكرة .

قال الحافظ ابن كثير [٢] رحمه الله:

«وَإِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ الْخَلَاءَ وَالِانْفِرَادَ عَنْ قَوْمِهِ، لِمَا يَرَاهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ الْمُبِينِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالسُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ، وَقَوِيَتْ مَحَبَّتُهُ لِلْخَلْوَةِ عِنْدَ مُقَارَبَةِ إِيحَاءِ اللهِ إِلَيْهِ صَلَوَاتُ الله...»

❁ ومن التوطئة لنزول الوحي إستعداداً لاستقبال المهمة ، ما رواه جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**».[٣]

فأخرج الضياء في « المختارة »، [٤] بإسنادٍ حسن، عبد الله بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خَثْيَمٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: قُلْتُ:

---

(١) صحيح أخرجه البخاري، في كتاب بدء الوحي، ومسلم(١٦٠).

(٢) في«البداية والنهاية»(٣/ ٨).

(٣) صحيح أخرجه مسلم(٢٢٧٧).

(٤) برقم (٨/ ٢٢٩)،(٢٧٣)، وهو عند عبد الرزاق، وغيره، ويأتي سياقه بطوله وتخريجه، في فصل«تشريفه ﷺ في تجديد بناء الكعبة».

حَدِّثْنِي عَنْ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ قَبْلَ أَنْ تَبْنِيهَا قُرَيْشٌ قَالَ كَانَتْ بِنَاءٌ بَوَرْسٍ لَيْسَ بِمَدَرٍ تَنْزُوهُ الْعَنَاقُ وَتُوضَعُ الْكِسْوَةُ عَلَى الْجُدُرِ ثُمَّ إِنَّ سَفِينَةً لِلرُّومِ أَقْبَلَتْ حَتَّى إِذا كَانَت بِموضع ذكره فَسَمِعَتْ بِهَا قُرَيْشٌ فَرَكِبُوا إِلَيْهَا فَأَخَذُوا خَشَبَهَا وَرُومِيٌّ يُقَالُ لَهُ بَلْعُومُ نَجَّارًا فَلَمَّا أَتَوْا مَكَّة قَالُوا لَو بنينَا بَيت رَبنَا فاجتعموا لِذَلِكَ وَنَقَلُوا الْحِجَارَةَ حِجَارَةَ الضَّوَاحِي فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُهَا إِذِ انْكَشَفَتْ سؤته فَنُودِيَ يَا مُحَمَّدُ اسْتُرْ عَوْرَتَكَ وَذَلِكَ أَوَلُ مَا نُودِيَ وَاللهُ أَعْلَمُ فَمَا رُئِيَتْ عَوْرَتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ...الحديث.

❁ وقد هيأ الله رسوله ﷺ لمشاركة أهل الجاهلية فيما هو خير

فشاركهم ﷺ في بناء الكعبة، وحمل الحجارة لبنائها كما تقدم، وشارك معهم في الوقوف بعرفة أثناء الحج توفيقًا من الله، وشهدهم ﷺ في حلف المطيبين، ذلك أن فيه التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان .

وكذلك خالفهم في طباعهم المنكرة، فما كان يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، ولم يتقرب لصنمٍ، ولا شارك - ﷺ - في طباعهم السوء، ولمَّا همَّ أن يسمر كما يسمر أهل الجاهلية ممن هم في سِنِّه، فقد حال الله بينه وبين ذلك كما تقدم.

فكان رسول الله ﷺ أمينًا ولم يكن جهولاً، وقد اعترف له أجهل الناس منهم بذلك لما آذوه يومًا قال رسول الله ﷺ: « **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ إِلَّا بِالذَّبْحِ** » وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: يَا مُحَمَّدُ، مَا كُنْتُ جَهُولًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَنْتَ مِنْهُمْ** ».[1]

(١) وهذا عند ابن أبي شيبة (٧/ ٣٣١) بسندٍ حسن .

ولما دخل في قصة بناء الكعبة ما حكَّمُوه بينهم إلا لمنزلته فيهم، ورضاهم عن صفاته الممدوحة التى لم يُختلف عليها، وقد تقدم.

فكان رسول الله ﷺ مشاركًا في الخير لأهل الجاهلية، عازفًا عن الشرك وطباع السوء التي فيهم حماه الله منها.

قصة بُحيرا الراهب

رواها أبو مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ:

خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلاَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَلْتَفِتُ. قَالَ: فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ العَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ:

مَا عِلْمُكَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلاَ حَجَرٌ إِلاَّ خَرَّ سَاجِدًا وَلاَ يَسْجُدَانِ إِلاَّ لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الإِبِلِ،

قَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ القَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لاَ يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ، فَإِنَّ الرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ:

مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلاَّ بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ وَإِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ فَبُعِثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا، فَقَالَ: هَلْ خَلْفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذَا. قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ ... الحديث[1]

---

(١) أخرجه الترمذي(٣٦٢٠)، بإسنادٍ ظاهره الصحة ، عن أبي موسى الأشعري، وتمامه «وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلاَلاً وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الكَعْكِ وَالزَّيْتِ».

وفي سنده قراد بن أبي نوح، والحديث مستنكر عليه.

وهذه الزيادة المذكورة منكرة فإن أبا بكر، وبلالاً لم يكونا موجودين معه في ذلك الوقت، ولا أُنزل عليه، وتعقب الذهبيُ للحاكم(٢/ ٦٧٢)، في تصحيحه له بقوله:« أظنه موضوعاً فبعضه باطل ».

وأراد به هذا الذي تقدَّم، **ولعله لهذا قال الحافظ ابن حجر**:« الحديث رجاله ثقات وليس فيه منكر سوىٰ هذه اللفظة، فيحمل علىٰ أنها مدرجة مقتطعة من حديث آخر». حكاه عنه العجلوني في«كشف الخفا»(١/ ١٥٩).

وأبو موسىٰ إما أن يكون تلقَّاه من النبي ﷺ فيكون أبلغ، أو من بعض كبار الصحابة ﷺ، أو أن ذلك كان مشهوراً فأخذه بطريق الاستفاضة،وبالجملة فلم تُذكر الغمامة في حديث أصح من هذا، كما قال السخاوي في«المقاصد».

وقال ابن سيد الناس في «عيون الأثر»(١/ ٥٥) : «لَيْسَ فِي إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا مَنْ خُرِّجَ لَهُ فِي الصَّحِيحِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بن غزوان أبو نوح لقبه: قرَّاد، انفرد به البخاري ويونس بن أبي إسحق

شهوده ﷺ حلف المطيبين مع عمومته وهو غلام [١]

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال :

« شَهِدتُ مَع عُمومَتي حِلفَ المُطيِّبينَ، فَما أُحِبُ أنْ أَنكُثَهُ وأَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ» [٢]

وأراد حلف الفضول؛ لأن رسول الله ﷺ لم يدرك حلف المطيبين، هذا لا شك منه، وهذا حلف تحالفت تحالفت قريش على نصر المظلوم، وكف الظالم ونحوه. [٣]

=

انْفَرَدَ بِهِ مُسْلِمٌ، وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي مَتْنِهِ نَكَارَةٌ، وَهِيَ إِرْسَالُ أَبِي بَكْرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِلالا، وَكَيْفَ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَئِذٍ لَمْ يَبْلُغِ الْعَشْرَ سِنِينَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَسَنُّ مِنْ أَبِي بَكْرٍ بِأَزْيَدَ مِنْ عَامَيْنِ، وَكَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ تِسْعَةُ أَعْوَامٍ عَلَى مَا قَالَهُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ وَغَيْرُهُ، أَوِ اثْنَا عَشَرَ عَلَى مَا قَالَهُ آخَرُونَ، وَأَيْضًا فَإِنَّ بِلالا لَمْ يَنْتَقِلْ لأَبِي بَكْرٍ إِلَّا بَعْدَ ذَلِكَ بِأَكْثَرَ مِنْ ثلاثين عاماً، فإنه كان لبني حلف الجمحيين وعند ما عُذِّبَ فِي الله عَلَى الإِسْلَامِ اشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه رَحْمَةً لَهُ وَاسْتِنْقَاذًا لَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَخَبَرُهُ بِذَلِكَ مَشْهُورٌ».

والأليق بالحديث النكارة، وإن كان ظاهر الإسناد الصحة، والله أعلم .

(١) وسَمَّوه بعد: بحلف الفضول؛ لفضل ما كان فيه مما تعاقدوا عليه .

(٢) أخرجه البخاري في«الأدب المفرد»(١٦٧٦) ، وأحمد، وغيرهما، بسندٍ صحيح.

(٣) وقيل: اجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان- لشرفه- تعاقدوا:

على ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها، وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه، وكانوا على من ظلمه حتى تُردَّ عليه مظلمته .

وحلف المطيبين كانوا : هاشم، وأمية، وزهرة، ومخزوم.

وحاصل هذا التحالف:

اجتمعت قبائل من قريش في دار عبدالله بن جدعان لشرفه ونسبه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها، أو غيرهم، إلا قاموا معه حتى ترد عليه مظلمته، فسمَّت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول؛ أي : حلف الفضائل، والفضول هنا جمع فضل للكثرة . [١]

وأقرَّ الصحابة ﷺ هذا الحلف بعد وفاة النبي ﷺ

أخرج ابن إسحاق [٢] عن مُحَمَّدَ ابْن إبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّيْمِيَّ :أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَبَيْنَ الْوَلِيدِ ابْن عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ. وَالْوَلِيدُ يَوْمَئِذٍ أَمِيرٌ عَلَى الْمَدِينَةِ أَمَّرَهُ عَلَيْهَا عَمُّهُ مُعَاوِيَةُ ابْن أَبِي سُفْيَانَ- مُنَازَعَةٌ فِي مَالٍ كَانَ بَيْنَهُمَا بِذِي الْمَرْوَةِ .

فَكَانَ الْوَلِيدُ تَحَامَلَ عَلَى الْحُسَيْنِ ﷺ فِي حَقِّهِ لِسُلْطَانِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: أَحْلِفُ بالله لَتُنْصِفَنِّي مِنْ حَقِّي أَوْ لَآخُذَنَّ سَيْفِي، ثُمَّ لَأَقُومَنَّ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ لَأَدْعُوَنَّ بِحِلْفِ الْفُضُولِ. قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَهُوَ عِنْدَ الْوَلِيدِ حِينَ قَالَ الْحُسَيْنُ ﷺ مَا قَالَ:

---

(١) «عون المعبود وحاشية ابن القيم»(٨/ ١٠١) و«المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم »(٦/ ٤٨٣) نُقل عن ابن إسحاق.

(٢) كما في«السيرة»لابن هشام (١/ ١٣٤)، والأثر حسن السند .

وَأَنَا أَحْلِفُ بالله لَئِنْ دَعَا بِهِ لَآخُذَنَّ سَيْفِي، ثُمَّ لَأَقُومَنَّ مَعَهُ حَتَّى يُنْصَفَ مِنْ حَقِّهِ أَوْ نَمُوتَ جَمِيعًا. قَالَ: فَبَلَّغْتُ الْمِسْوَرَ ابْن مَخْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الزُّهْرِيَّ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَبَلَّغْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ التَّيْمِيَّ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ أَنْصَفَ الْحُسَيْنَ مِنْ حَقِّهِ حَتَّى رَضِيَ.

زواجه ﷺ من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

من إعداد الله الحَسَن لرسوله ﷺ أن زَوَّجه خديجة بنت خويلد، نفعه الله بذلك في مواطن عدَّة منها:

أنه لما رجع من غار حراء يرجف فؤاده من هول ما رأى، فقال لها:

« **لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي** » فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟

فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ**»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ،

وَفَتَرَ الوَحْيُ .[١]

فخير نسائه ﷺ خديجة رضي الله عنها[٢]

كما قال رسول الله ﷺ :« **خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ** »[٣].

ولها منزلة عظيمة في الجنة.

فقد قال عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه :«بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ » .[٤]

والنصب: المشقة والتعب

والقصب: قصب اللؤلؤ المجوَّف كالقصر المنيف.

والصخب: الصوت المختلط المرتفع.

بل إن الله عز وجل أقرأ خديجة السلام.

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:« أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣) ومسلم(١٦٠).

(٢) على خلاف في: هل هي أفضل، أم عائشة رضي الله عنها، ذكرنا الخلاف والترجيح في كتابنا «تبصير النساء » المجلد الرابع قسم النكاح.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨١٥)، في باب تزويج النبي ﷺ خديجه، وفضلها، ومسلم(٢٤٣٠).

(٤) كما في «صحيح البخاري»(٣٨١٩) ومسلم(٢٤٣٣).

عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ ».[١]

وكان النبي ﷺ يفي لها .

فكان يذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن[٢]، وفاءً لخديجة رضي الله عنها، وكانت عائشة تغار منها، وما رأتها؛ لكونه ﷺ كان يذكرها كثيراً، فكانت خير الناس لرسول الله ﷺ في هذه المرحلة، وزواجه لها من تقدير الله الحسن لرسوله ﷺ.

وأما قصة تزويجه فيها ﷺ، فلم أقف لها على شئٍ صحيح في تفاصيلها

ومن أشهر ذلك ما رواه حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - فِيمَا يَحْسَبُ حَمَّادٌ -:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «ذَكَرَ خَدِيجَةَ، وَكَانَ أَبُوهَا يَرْغَبُ أَنْ يُزَوِّجَهُ[٣]» ، فَصَنَعَتْ طَعَامًا وَشَرَابًا، فَدَعَتْ أَبَاهَا وَنَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَطَعِمُوا وَشَرِبُوا حَتَّى ثَمِلُوا[٤]، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ لِأَبِيهَا:

إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَخْطُبُنِي، فَزَوِّجْنِي إِيَّاهُ.

---

(١) صحيح أخرج ذلك البخاري(٣٨٢٠) ومسلم(٢٤٣٢) .

(٢) كما في صحيح البخاري (٣٨١٦) ومسلم(٢٤٣٥).

(٣) يَرْغَبُ أَنْ يُزَوِّجَهُ : أي يرفض أن يزوجه .

(٤) أي سكروا .

فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ فَخَلَّقَتْهُ[١] وَأَلْبَسَتْهُ حُلَّةً، وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ بِالْآبَاءِ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ سُكْرُهُ، نَظَرَ فَإِذَا هُوَ مُخَلَّقٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَقَالَ: مَا شَأْنِي، مَا هَذَا؟ قَالَتْ زَوَّجْتَنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ.

قَالَ: أَنَا أُزَوِّجُ يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ لَا، لَعَمْرِي. فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَمَا تَسْتَحِي تُرِيدُ أَنْ تُسَفِّهَ نَفْسَكَ عِنْدَ قُرَيْشٍ؟ تُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّكَ كُنْتَ سَكْرَانَ؟ فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى رَضِيَ.[٢]

وهذ الحديث أخرجه أحمد(٢٨٤٩)، وفيه شك حماد في وصله، وإرساله كما ترى، ثم قد رواه غير واحد كالطبراني (١٢/ ١٨٦)، رقم(١٢٨٣٨)، وغيره كذلك على الشك.

وقد رواه البيهقي «دلائل النبوة» (٢/ ٧٢)، من طريق حماد ابن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن عمار به، بإثبات علي بن زيد الضعيف، وهذا يدل على أن حماداً قد دلس علي بن زيد، والخبر ضعيف لايصح، وقد حكى الحافظ

---

(١) أي عطرته.

(٢) وقد طعن أعداء الملة في هذا النكاح، وقالوا زواج باطل إذ هي التي زَوَّجت نفسها، ورسول الله ﷺ يقول « **أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ**،...».

ولعمري لو صح سنده لم يكن دليلاً على هذا؛ لكون الوالد قد رضي بعد أن أفاق وزوَّجه، لكن الطعن يتوجَّه إلى خديجة : كيف احتالت بهذا ؟.

والجواب : أنى للطاعن– قبَّحه الله – أن الخمر كانت حراماً في ذلك الوقت، مع أن الحديث لم يثبت سنده كما سيأتي .

ابن كثير [١]،عن الموصلي قال:

الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ أَنَّ عَمَّهَا عَمْرَو بْنَ أَسَدٍ هُوَ الَّذِي زَوَّجَهَا مِنْهُ وَهَذَا هُوَ الَّذِي رَجَّحَهُ السُّهَيْلِيُّ.

وَحَكَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ قَالَتْ وَكَانَ خُوَيْلِدٌ مَاتَ قَبْلَ الْفِجَارِ، وَهُوَ الَّذِي نَازَعَ تُبَّعًا حِينَ أَرَادَ أَخْذَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ إِلَى الْيَمَنِ، فَقَامَ فِي ذَلِكَ خُوَيْلِدٌ وَقَامَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ رَأَى تُبَّعٌ فِي مَنَامِهِ مَا رَوَّعَهُ، فَنَزَعَ عَنْ ذَلِكَ وَتَرَكَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مَكَانَهُ.... [٢]

---

(١)في «البداية والنهاية»(٢/ ٣٩٦)

(٢) **وأما المشهور عن خديجة:** أنها كانت خديجة ابنة خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له «ميسرة»، فقبله منها رسول الله ﷺ، وخرج في مالها ذلك، ومعه غلامها ميسرة، حتى قدم الشام، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فاطَّلع الراهب على ميسرة، فقال:

من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي. .. وفيه أنه كان إذ اشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره حتى قدم مكة، وأنه ربح جداً في مالها، وحدَّثها ميسرة عن قول الراهب، وعما رأى عليه من خلال، وأنها طلبت الزواج من رسول الله ﷺ وعرضت نفسها عليه.

والمقصود : أن خديجة آمنت به وصدَّقت بما جاء عن الله تعالى مما أخبرها به ﷺ، وواسته، وآزرته على أمره، وهي أول من آمن به،..فخفَّف الله عنه بها لا يسمع شيئًا منها يكرهه ، وتواسيه على ما يسمعه من أذى يحزنه ﷺ في هذه الفترة

=

فهذا كله منكر لا يصح سند له، ولا يقبله عقل.

فلو خرج رسول الله ﷺ إلى الشام في هذه الفترة لصار حجة ـ وإن كانت واهية ـ لكفار قريش لدعواهم أنه ﷺ تلقى ما يقول به من أهل الشام فيسوغ لهم الاستدلال على ما اتهموه به من الشناعة، والكذب، والافتراء، ولو حصل ذلك لعلمت قريش وانتشر مبكراً أنه نبي ولاشتهر ذلك وما احتاجت أن تذهب به خديجة رضي الله عنها إلى ورقة بن نوفل بن أسد، تستكشف حقيقة خبر ما رأى في الغار.

ولو حصل ما احتاج رسول الله ﷺ أن يسمع أصلاً من ورقة حقيقة ما يرى لانتشار أنه نبي من زمن كما انتشر صيت عيسى ابن مريم عليه السلام وهو صغير أنه نبي، ولو حصل لاشتهر ولصار حجة على كفار قريش فيُبهَتون به مبكراً من أول افترائهم .

ولو كان ذلك كذلك ماسأله كفار قريش أن يريهم الآيات الدالة على صدقه وقد أُخبروا بالآيات التي شهد بها ميسرة قبل أن يقول ما قال...

وبالجملة: فالشرع والعقل لا يقبلان حصول ذلك، وإنما يحتاج ذلك القُصَّاص لسبك قصة حياة النبي ﷺ .

ولكن المطلوب الصدق في القول ولسنا في حاجة لسبك قَصَص إنما حاجتنا إلى معلِّم يُحَدِّث الناس بالصدق، فإن قصَّ فقصاص صدوق، الناس في حاجة إلى قصاص صدوق.

وإنما ذكره ابن إسحاق في«السيرة »(٨٢)، وعنه أخذ ابن هشام، ومنه نقل الناقلون بلا تحرير فعاد الأمر إلى أصله، لا سند صحيح بهذا، والله الموفق .

العصيبة، فكان ﷺ لا يسمع شيئاً يكرهه إلا فرَّج الله عنه بها، فثبتته وخففت عليه وأعانته على أمره ومناقبها مشهورة ليس الموطن عدّها هنا .والله لطيف لما يشاء سبحانه ، وسيأتي ذكر بعض مواقفها في حينها إن شاء الله تعالى.

تشريفه ﷺ ببناء الكعبة [١]

عن جَابِر بْن عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه ، قَالَ:

لَمَّا بُنِيَتِ الكَعْبَةُ، ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلاَنِ الحِجَارَةَ، فَقَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ يَقِيكَ مِنَ الحِجَارَةِ، فَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «**إِزَارِي إِزَارِي فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ**». [٢]

وعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ رضي الله عنه قَالَ:

«كَانَتِ الْكَعْبَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَبْنِيَّةً بِالرَّضْمِ لَيْسَ فِيهَا مَدَرٌ، وَكَانَتْ قَدْرَ مَا يَقْتَحِمُهَا الْعَنَاقُ، وَكَانَتْ غَيْرَ مَسْقُوفَةٍ، وَإِنَّمَا تُوضَعُ ثِيَابُهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ يُسْدَلُ سَدْلًا عَلَيْهَا، وَكَانَ الرُّكْنُ الْأَسْوَدُ مَوْضُوعًا عَلَى سُورِهَا بَادِيًا، وَكَانَتْ ذَاتَ رُكْنَيْنِ كَهَيْئَةِ هَذِهِ الْحَلْقَةِ.

---

(١) وهو أول بيت لله بني في الأرض ففي «صحيح البخاري»(٣٣٦٦) و«مسلم »(٥٢٠)، عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «**المَسْجِدُ الحَرَامُ**»قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ «**المَسْجِدُ الأَقْصَى**»قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الفَضْلَ فِيهِ**».

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٨٢٩) ومسلم(٣٤٠).

فَأَقْبَلَتْ سَفِينَةٌ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ حَتَّى إِذَا كَانُوا قَرِيبًا مِنْ جُدَّةَ انْكَسَرَتِ السَّفِينَةُ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ لِيَأْخُذُوا خَشَبَهَا، فَوَجَدُوا رُومِيًّا عِنْدَهَا فَأَخَذُوا الْخَشَبَ، أَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا.

وَكَانَتِ السَّفِينَةُ تُرِيدُ الْحَبَشَةَ، وَكَانَ الرُّومِيُّ الَّذِي فِي السَّفِينَةِ نَجَّارًا، فَقَدِمُوا بِالْخَشَبِ، وَقَدِمُوا بِالرُّومِيِّ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: نَبْنِي بِهَذَا الْخَشَبِ بَيْتَ رَبِّنَا، فَلَمَّا أَنْ أَرَادُوا هَدْمَهُ إِذَا هُمْ بِحَيَّةٍ عَلَى سُورِ الْبَيْتِ مِثْلِ قِطْعَةِ الْجَائِزِ سَوْدَاءِ الظَّهْرِ، بَيْضَاءِ الْبَطْنِ، فَجَعَلَتْ كُلَّمَا دَنَا أَحَدٌ مِنَ الْبَيْتِ لِيَهْدِمَهُ أَوْ يَأْخُذَ مِنْ حِجَارَتِهِ، سَعَتْ إِلَيْهِ فَاتِحَةً فَاهَا.

فَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ عِنْدَ الْحَرَمِ، فَعَجُّوا إِلَى اللهِ وَقَالُوا: رَبَّنَا لَمْ نُرَعْ، أَرَدْنَا تَشْرِيفَ بَيْتِكَ وَتَرْتِيبَهُ، فَإِنْ كُنْتَ تَرْضَى بِذَلِكَ، وَإِلَّا فَمَا بَدَا لَكَ فَافْعَلْ.

فَسَمِعُوا خُوَارًا فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُمْ بِطَائِرٍ أَعْظَمَ مِنَ النِّسْرِ، أَسْوَدِ الظَّهْرِ، وَأَبْيَضِ الْبَطْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، فَغَرَزَ مَخَالِبَهُ فِي قَفَا الْحَيَّةِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهَا يَجُرُّهَا، وَذَنَبُهَا أَعْظَمُ مِنْ كَذَا وَكَذَا سَاقِطٍ حَتَّى انْطَلَقَ بِهَا نَحْوَ أَجْيَادٍ، فَهَدَمَتْهَا قُرَيْشٌ، وَجَعَلُوا يَبْنُونَهَا بِحِجَارَةِ الْوَادِي، تَحْمِلُهَا قُرَيْشٌ عَلَى رِقَابِهَا، فَرَفَعُوهَا فِي السَّمَاءِ عِشْرِينَ ذِرَاعًا.

فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَحْمِلُ حِجَارَةً مِنْ أَجْيَادٍ وَعَلَيْهِ نَمِرَةٌ، إِذْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ النَّمِرَةُ، فَذَهَبَ يَضَعُ النَّمِرَةَ عَلَى عَاتِقِهِ، فَبَدَتْ عَوْرَتُهُ مِنْ صِغَرِ النَّمِرَةِ، فَنُودِيَ يَا مُحَمَّدُ، خَمِّرْ عَوْرَتَكَ، فَلَمْ يُرَ عُرْيَانًا بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَانَ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَبَيْنَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ

خَمْسُ سِنِينَ، وَبَيْنَ مَخْرَجِهِ وَبِنَائِهَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ».[١]

وفي روايةٍ: [٢]عَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خَيْثَمٍ الْقَارِيُّ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالِ، حَدَّثَنِي عَنْ بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ، قَبْلَ أَنْ بَنَتْهَا، قُرَيْشٌ.

قَالَ: « كَانَتْ بِرَضْمٍ يَابِسٍ لَيْسَ بِمَدَرٍ تَنْزُوهُ الْعَنَاقُ، وَتُوضَعُ الْكِسْوَةُ عَلَى الْجَدْرِ ثُمَّ تُدَلَّى، ثُمَّ إِنَّ سَفِينَةً لِلرُّومِ أَقْبَلَتْ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِالشُّعَيْبَةِ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ سَاحِلُ مَكَّةَ قَبْلَ جُدَّةَ، فَانْكَسَرَتْ فَسَمِعَتْ بِهَا قُرَيْشٌ، فَرَكِبُوا إِلَيْهَا وَأَخَذُوا خَشَبَهَا وَرُومِيًّا كَانَ فِيهَا يُقَالُ لَهُ بَاقُومُ نَجَّارًا بَنَّاءً، فَلَمَّا قَدِمُوا بِهِ مَكَّةَ قَالُوا: لَوْ بَنَيْنَا بَيْتَ رَبِّنَا. فَاجْتَمَعُوا لِذَلِكَ وَنَقَلُوا الْحِجَارَةَ مِنَ الضَّوَاحِي، فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْقُلُهَا مَعَهُمْ إِذِ انْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ، فَنُودِيَ: يَا مُحَمَّدُ، عَوْرَتَكَ فَذَلِكَ أَوَّلُ مَا نُودِيَ وَاللهُ أَعْلَمُ، فَمَا رُؤِيَتْ لَهُ عَوْرَةٌ بَعْدَهَا.

فَلَمَّا جَمَعُوا الْحِجَارَةَ وَهَمُّوا بِنَقْضِهَا، خَرَجَتْ لَهُمْ حَيَّةٌ سَوْدَاءُ الظَّهْرِ، بَيْضَاءُ الْبَطْنِ، لَهَا رَأْسٌ مِثْلُ رَأْسِ الْجَدْيِ، تَمْنَعُهُمْ كُلَّمَا أَرَادُوا هَدْمَهَا، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ اعْتَزَلُوا عِنْدَ الْمَقَامِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ فِي مَكَانِهِ الْيَوْمَ، ثُمَّ قَالُوا: رَبَّنَا، أَرَدْنَا عِمَارَةَ بَيْتِكَ. فَرَأَوْا طَائِرًا أَسْوَدَ ظَهْرُه، أَبْيَضُ بَطْنُهُ، أَصْفَرَ الرِّجْلَيْنِ، أَخَذَهَا فَجَرَّهَا حَتَّى أَدْخَلَهَا أَجْيَادًا، ثُمَّ هَدَمُوهَا وَبَنَوْهَا عِشْرِينَ ذِرَاعًا طُولَهَا.

---

(١) حسن أخرجه عبد الرزاق في«المصنف»(٥/ ١٠١رقم ٩١٠٦)،ومن طريقه إسحاق كما في «المطالب العالية» (١٧/ ٢٣٣) للحافظ ابن حجر، والضياء في «المختارة» (٨/ ٢٢٨ رقم ٢٧٢)،عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن أبي الطفيل به .

(٢) أخرجها الأزرقي في«أخبار مكة»(١/ ١٥٧).

قَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ: فَاسْتَقْصَرَتْ قُرَيْشٌ لِقِصَرِ الْخَشَبِ، فَتَرَكُوا مِنْهَا فِي الْحِجْرِ سِتَّةَ أَذْرُعٍ وَشِبْرًا ».

مكانة النبي ﷺ في كفار قريش قبل البعثة [١]
وعند من عرفه بعد من أهل الكتاب

ويدل على ذلك عدَّة روايات:

من ذلك ما رواه مُجَاهِدٌ، عَنْ مَوْلَاهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُ:أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ يَبْنِي الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: وَلِي حَجَرٌ أَنَا نَحَتُّهُ [٢] بِيَدَيَّ أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَاثِرِ [٣] الَّذِي أَنْفَسُه [٤] عَلَى نَفْسِي، فَأَصُبُّهُ عَلَيْهِ، فَيَجِيءُ الْكَلْبُ

---

(١) وكانت مكانته عظيمة حتى أنه تعجَّب لما قال له ورقة بن نوفل أنهم سيخرجوه.
فقد قال له:لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ» فتعجب!
قال نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ...وهذا في الصحيحين يأتي في موطنه
وقد اقتسموا ــ قبَّحهم الله ــ القول فيه بما لا يمكن أن يجتمع في شخصٍ إلا بطريقة الافتراء،فبعضهم يقول : كاهن. وبعضهم يقول: شاعر.وبعضهم يقول: مفتري. وبعضهم يقول: كذاب وبعضهم يقول:أفاك.وبعضهم يقول:أساطير الأولين اكتتبها،أو يعلمه رجلٌ أعجمي من اليمامة ؟
وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله.
وهذا تضارب منهم يدل على أنهم مبطلون ، فكذا الباطل يتناقض أهله.

(٢) نحته:أي سويته.

(٣) الخاثر: أي الغليظ .

(٤) أنفسه : أي أبخل به .

فَيَلْحَسُهُ، ثُمَّ يَشْغَرُ[١] فَيَبُولُ فَبَنَيْنَا حَتَّى بَلَغْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ، وَمَا يَرَى الْحَجَرَ أَحَدٌ، فَإِذَا هُوَ وَسْطَ حِجَارَتِنَا مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ يَكَادُ يَتَرَاءَى مِنْهُ، وَجْهُ الرَّجُلِ فَقَالَ: بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ نَحْنُ نَضَعُهُ.

وَقَالَ: آخَرُونَ نَحْنُ نَضَعُهُ، فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَمًا، قَالُوا: أَوَّلَ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْأَمِينُ، فَقَالُوا لَهُ، «فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ، ثُمَّ دَعَا بُطُونَهُمْ فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ مَعَهُ، فَوَضَعَهُ هُوَ ﷺ».[٢]

وواضح جداً في قول أبي سفيان بن حرب في جوابه لهرقل، وقد سأله: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فقال أبو سفيان : ـ وكان آنذاك كافراً ـ لا...إلى آخر ما قال من خلاله الحميدة عندهم .

وكان مما قال أبو سفيان بن حرب عنه: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ.[٣]

---

(١) يشغر :أي يرفع إحدىٰ رجليه علىٰ الصنم ليبول .

(٢) أخرجه أحمد (١٥٥٠٤)وغيره بإسنادٍ صحيح .

ومولىٰ مجاهد هو: قيس بن السائب المخزومي .

وله شاهد بنحوٍ من معناه حاصله : أن رسول الله ﷺ أمر بثوب فوضع فأخذ الحجر فوضعه في وسطه ،وأمر من كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فيرفعوه وأخذه رسول الله ﷺ فوضعه .

أخرجه الطيالسي (١١٥)، والطبراني في «الأوسط»(٢٤٤٢)، من حديث علي بن أبي طالب به .

ولفظ الطبراني،عن علي رضي الله عنه ،قال:لما رأوا النبي ﷺ قد دخل من الباب قالوا: قد جاء الأمين ...الحديث.

(٣) وهو في الصحيحين سيأتي .

وفي حديث ابن عباس الآتي في بداية الإعلان بالدعوة لما صعد الصفا قال لهم:«أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا...(١)

فَلعُلو قدره، وشرفه، ولصدقه في حديثه، وتميُّزه بخلال الخير لم يكن يُماري أحد في ذلك ، وهذا من حكمة الله تعالى لإلزام الخصوم بالحجة، فإن الصادق يصدق في دعواه باللازم ، هذا مما لا يَختلَف عليه العقلاء، فلوا جرَّبوا عليه كذباً لصارت حجتهم، كيف نصدقه وهو كذَّاب غير أمين،كذب في كذا يوم كذا ..وكذا .. كيف نصدِّقه وعندنا شُبهة أنه يطلب مُلك آبائه الملوك...(٢)

بل لما عرضوا عليه الدخول في البرلمانات السياسية الكفرية ـ التي يلهث مَن يدَّعون اتباعه خلفها ـ أباها ﷺ كما سيأتي .

ومن إقرارهم بأنه كان عظيماً جليل القدر، أنه لما ألقى أشقاهم سلا الجزور على النبي ﷺ وهو ساجد، فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ

---

(١) كما في صحيح البخاري (٤٧٧٠) ومسلم (٢٠٨).

(٢) ولذلك سأل هرقل أبا سفيان : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ قال : لا . فقال للترجمان : فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ...والحديث في الصحيحين .

ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ**..الحديث. (١)

فما خافوا دعوته إلا لمنزلته فيهم يعرفونها كما يعرفون أنه على الحق.

وتقدم ثناؤهم عليه بوفرة .

وفي صحيح البخاري (٢) قول سعد بن معاذ لأمية بن خلف: دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ، فَوَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ**»، قَالَ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي، فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا، فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ، أَلَمْ تَرَيْ مَا قَالَ لِي سَعْدٌ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: بِمَكَّةَ، قَالَ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ أُمَيَّةُ: وَاللهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ، قَالَ: أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ؟ فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ،.. الحديث».

وما ذلك إلا لكونه يُصدِّقه فيما يقول، وسيأتي سياق الحديث بعد إن شاء الله

وفي سنن البيهقي (٣) :

أن رسول الله ﷺ لما هاجر خرج وأقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاث ليال

---

(١) وهذا في «صحيح مسلم »(١٧٩٤)، وسيأتي سياقه بتمامه .

(٢) برقم (٣٩٥٠).

(٣) «الكبرىٰ » (٦/ ٤٧٢) وسيأتي مزيد لهذا عند الكلام عن حادث الهجرة إن شاء الله.

وأيامها قالوا: «فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَقَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ثَلَاثَ لَيَالٍ وَأَيَّامَهَا؛ حَتَّى أَدَّى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهَا لَحِقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ » .

ترى لماذا كانوا يأتمنونه على ودائعهم، بل يأتمنونه أكثر من ائتمانهم كبار الكفارالذين كانوا على ملتهم ودينهم.

وقال عتبة بن ربيعة أبو الوليد لما ذهب إلى رسول الله ﷺ يعرض عليه الملك [١] ولم يقبل رسول الله ﷺ، وقرأ عليه صدر سورة فصلت، ورجع عتبة إلى قومه يذكر لهم ما حصل، فكان أن قال مما قال : ... حَتَّى بلغ فَقد أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَة مثل صَاعِقَة عَاد وَثَمُود فَأَمْسَكت بِفِيهِ وَنَاشَدْته الرَّحِم أَن يكف وَقد علمْتُم أَن مُحَمَّدًا إِذا قَالَ شَيْئا لم يكذب فَخفت أَن ينزل بكم الْعَذَاب.. .[٢]

وسيأتي قريبًا: أن رسول الله ﷺ لما قال لأبي بن خلف: أنا أقتلك إن شاء وَقَالُوا: مَا هَذَا فَوَاللهِ مَا بِكَ إِلَّا خَدْشٌ، فَقَالَ:« وَاللهِ لَوْ لَمْ يُصِبْنِي إِلَّا بِرِيقِهِ لَقَتَلَنِي، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ: أَنَا أَقْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَاللهِ لَوْ كَانَ الَّذِي بِي بِأَهْلِ ذِي الْمَجَازِ لَقَتَلَهُمْ. قَالَ: فَمَا لَبِثَ إِلَّا يَوْمًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ إِلَى النَّارِ».

وهذا لمعرفتهم أنه إذا قال صدق، وإذا وعد لم يَخلف، بل صدَّقوه في إخباره

---

(١) الذي يقتتل عليه السفهاء اليوم، ويدَّعون أن الشريعة لا تعارضه وليست هكذا دعوة الأنبياء كما سيأتي التعليق عليها في حينها إن شاء الله .

(٢) وهذا خبر حسن لشواهده. أخرجه ابن معين في «تاريخه»(٣/ ٥٤)والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٠٢)، وتمام تخريجه في كتابي «عقيدة المسلم الصغير»(ص٩٠)، ط الأولى.

بالمستقبل.

وسيأتي في ذكر الشاة المسمومة التي أكل النبي ﷺ منها يوم خيبر، وفيه قول النبي ﷺ لليهود: «**هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ**» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا....الحديث [١].

فاعترفوا له وأقرُّوا.

وهذا حوار بين سعد بن معاذ وأبي صفوان بن أمية بن خلف الكافر يبين فيه كيف كان رسول الله ﷺ فيهم

عن عَبْد اللهِ بْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه حَدَّثَ[٢]، عَنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ صَدِيقًا لِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ، وَكَانَ سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا، فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ لِأُمَيَّةَ: انْظُرْ لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ لَعَلِّي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ، فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ:

يَا أَبَا صَفْوَانَ، مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فَقَالَ هَذَا سَعْدٌ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا، وَقَدْ أَوَيْتُمُ الصُّبَاةَ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ، أَمَا وَاللهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ:

---

(١) وهذا في «صحيح البخاري»(٥٧٧٧).

(٢) فيما أخرجه البخاري (٣٩٥٠).

أَمَا وَاللهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ، طَرِيقَكَ عَلَى المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ:

لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الحَكَمِ، سَيِّدِ أَهْلِ الوَادِي[١]، فَقَالَ سَعْدٌ: دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ، فَوَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ**»، قَالَ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي، فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا[٢]، فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ،

---

(١) كذا يمجِّد أهل الباطل بعضهم بعضاً بستار الاحترام والتقدير وعرفة حقوقهم على بعض ليغروا الناس كما يفعل الحزبيون وأصحاب الجماعات المنحرفة منهجياً، فأُمَيَّة يقول هنا: « لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَبِي الحَكَمِ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الوَادِي» وأبو جهل الخائب الخاسر هو الآخر يمجِّده ويرفع من شأنه يقول له- ليجتمع الناس معهم لحرب المسلمين- : « يَا أَبَا صَفْوَانَ، إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الوَادِي، تَخَلَّفُوا مَعَكَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حتى...»كذا يمجِّد بعضُهم بعضاً ليغروا الناس فيتبعوهم على باطلهم وضلالهم !

(٢) وفي رواية عند البخاري (٣٦٣٢)، «فَإِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدًا ﷺ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ»، قَالَ: إِيَّايَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:وَاللهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَالَ لِي أَخِي اليَثْرِبِيُّ، قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي، قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ..»، وهذا يدل على أنه كان مشهوراً حتى عند النساء أنه لا يكذب.

ورواه البيهقي في «الدلائل»(٣/ ٢٥)، من نفس طريق البخاري وفيه:«فكاد أن يُحدِث »، كذا من الحدث الخارج من السبيلين من شدة الفزع .

قال الحافظ في «الفتح »(٧/ ٣٤٨): ما أظن ذلك إلا تصحيفاً.

قلت« محمد»: رأيت الرواية في «مسند الشاشي »(٦٦٦)، من نفس الطريق بلفظ :«فكاد أن يُحَدِّثَ به امرأته...»، فالله أعلم .

قَالَ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ، أَلَمْ تَرَيْ مَا قَالَ لِي سَعْدٌ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: بِمَكَّةَ، قَالَ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ أُمَيَّةُ: وَاللهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ، قَالَ: أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ. فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ:

يَا أَبَا صَفْوَانَ، إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الوَادِي، تَخَلَّفُوا مَعَكَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ: أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي، فَوَاللهِ لَأَشْتَرِيَنَّ أَجْوَدَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ، ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةُ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ جَهِّزِينِي، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ اليَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: لَا مَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلَّا قَرِيبًا، فَلَمَّا خَرَجَ أُمَيَّةُ أَخَذَ لَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا عَقَلَ بَعِيرَهُ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبَدْرٍ».

البعثة النبوية

بعث الله نبيه ﷺ وهو ابن أربعين سنة؛ لكونها سنّ الكمال، فأنزل عليه الوحي في غار حراء، فظل ثلاثة عشر سنة في مكة، ثم هاجرإلى المدينة فمكث بها عشر سنوات، ثم توفي وسنه ثلاثة وستون عاماً،كما تفيده الروايات الصحيحة في « صحيح البخاري »وغيره.(١)

قال ابن عباس رضي الله عنه: «أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ، فَمَكَثَ بِهَا عَشْرَ

(١) انظر «صحيح البخاري»(٣٨٥١) ومسلم(٢٣٥١) وغيرهما .

سِنِينَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ ﷺ....»[١].

قال النووي في« شرح مسلم »:

«هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَنَّهُ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةٍ هُوَ الصَّوَابُ الْمَشْهُورُ الَّذِي أَطْبَقَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ ...» .[٢]

وكذا قال غيره بنحو منه والله أعلم .

بداية نزول الوحي على رسول الله ﷺ:

بدأ نزول الوحي على رسول الله ﷺ يوم الاثنين [٣]

وتروي عائشة رضي الله عنها ذلك فتقول :أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، قَالَ:

« فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا

---

(١) انظر «صحيح البخاري»(٣٩٠٢) وغيره .

(٢) « شرح مسلم »(١٥/ ٩٩).

(٣) وفي «صحيح مسلم »(١١٦٢) أنه ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ؟قال: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ- أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ** - ».

بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ العلق » فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ:

كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ:

يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ**»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ.[1]

(١) أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠).

فترة الوحي

ثم بعد ذلك فتر الوحي كما تقدم في قصته ﷺ مع ورقة بن نوفل رضي الله عنه

فكان من مهمات تأسيس النبوة فترة الوحي ليتدرَّج فيه ويُمرَّن عليه فشق عليه ﷺ فتوره .

وفي «صحيح البخاري»[1] عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: « **بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي...**» فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: ٢] إِلَى قَوْلِهِ {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر: ٥]. فَحَمِيَ الوَحْيُ وَتَتَابَعَ.

ويظهر أن ذلك من تقدير الله الحسن لنبيه ﷺ حيث يشتاق لنزول الوحي .

وقد ورد: أن ر سول الله ﷺ حَزِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهُ، تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: « **يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، فَيُسْكِنُ ذَلِكَ جَأْشَهُ، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ** »

---

(١) برقم (٤) وسلم (١٦١).

(١) .

وهذا لا يصح ولا يليق بمقام النبوة، وقد استغله أعداء الإسلام ضد رسالة نبينا ﷺ، وهم جهال لأنهم اعتمدوا على غير صحيح الرواية (٢).

واستغلَّه آخرون في الطعن على أهل الحديث فقالوا: كيف يجوز للنبي ﷺ أن يرتاب في نبوته حتى يرجع إلى ورقة بن نوفل ويشكو لخديجة ما يخشاه، وحتى يوفي بذروة جبل ليلقي منها نفسه على ما جاء في رواية معمر عن الزهري ؟

قال : ولئن جاز أن يرتاب في معاينة النازل عليه من ربه، فكيف ينكَر على من ارتاب فيما جاءه به مع عدم المعاينة ؟

فذكر الحافظ في «الفتح»(١٢ / ٤٣٨)، الجواب على ذلك في حالة صحته، فليراجعه من أراد.

والمقصود:

أَنَّ تَأْخِيرَ النُّزُولِ أَحْيَانًا إِنَّمَا كَانَ يَقَعُ لِحِكْمَةٍ تَقْتَضِي ذَلِكَ لَا لِقَصْدِ تَرْكِهِ أَصْلًا فَكَانَ نُزُولُهُ عَلَى أَنْحَاءٍ شَتَّى تَارَةً يَتَتَابَعُ وَتَارَةً يَتَرَاخَى وَفِي إِنْزَالِهِ مُفَرَّقًا وُجُوهٌ مِنَ الْحِكْمَةِ **ومِنْهَا**: تَسْهِيلُ حِفْظِهِ لِأَنَّهُ لَوْ نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً عَلَى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ لَا يَقْرَأُ

---

(١) هذا أخرجه أحمد (٢٥٩٥٩)، وهي في صحيح البخاري (٦٩٨٢)، قال الزهري فيما بلغنا ...فهذا من بلاغات الزهري ليس موصولاً، فهي ضعيفة السند لا تعلُّق لأحد بها.

(٢) فلم يثبت كما تقدم .

غَالِبُهُمْ وَلَا يَكْتُبُ لَشَقَّ عَلَيْهِمْ حِفْظُهُ وَأَشَارَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ رَدًّا عَلَى الْكُفَّارِ «**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً**» كَذَلِك: أَي أَنزَلْنَاهُ مفرَّقًا لنثبت بِهِ فُؤَادك، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى «**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ**» .

وَمِنْهَا: مَا يَسْتَلْزِمُهُ مِنَ الشَّرَفِ لَهُ وَالْعِنَايَةِ بِهِ لِكَثْرَةِ تَرَدُّدِ رَسُولِ رَبِّهِ إِلَيْهِ يُعْلِمُهُ بِأَحْكَامِ مَا يَقَعُ لَهُ وَأَجْوِبَةِ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْحَوَادِثِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَنَاسَبَ أَنْ يَنْزِلَ مُفَرَّقًا إِذْ لَوْ نَزَلَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لَشَقَّ بَيَانُهَا عَادَةً .

وَمِنْهَا: أَنَّ اللهَ قَدَّرَ أَنْ يَنْسَخَ مِنْ أَحْكَامِهِ مَا شَاءَ فَكَانَ إِنْزَالُهُ مُفَرَّقًا لِيَنْفَصِلَ النَّاسِخُ مِنَ الْمَنْسُوخِ أَوْلَى مِنْ إِنْزَالِهِمَا مَعًا.(١)

وقال تعالى ردًّا على الكفار : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الفرقان.

أي أنزلناه مفرقًا «لنثبت به فؤادك»وبقول:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الإسراء...(٢) إلى آخر الحِكم الكثيرةِ التي خفيت على الظعينة التائهة الضائعة – هي ومن تبعها – التي روى جندب رضي الله عنه حديثها **أخرجه البخاري**(٣) عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ

---

(١) «فتح الباري (٩/ ٨).

(٢) كما حصل من تأخير في نزول تبرئة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك لحكمة.

(٣) برقم(٤٩٦٣).

جُنْدَبًا، يَقُولُ: « اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً- أَوْ لَيْلَتَيْنِ- فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ مَا أُرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ الضحى .

ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُصَدِّقٌ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ، قَدْ قَبِلَهُ بِقَبُولِهِ وَتَحَمَّلَ مِنْهُ مَا حَمَلَهُ- عَلَى رِضَا الْعِبَادِ وَسُخْطِهِمْ- وَلِلنُّبُوَّةِ أَثْقَالٌ وَمُؤْنَةٌ لَا يَحْمِلُهَا وَلَا يَسْتَضْلِعُ بِهَا إِلَّا أَهْلُ الْقُوَّةِ وَالْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ لِمَا يَلْقَوْنَ مِنَ النَّاسِ، وَمَا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ مِمَّا جَاءُوا بِهِ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى مَا أَمَرَ اللهُ، عَلَى مَا يَلْقَى مِنْ قَوْمِهِ من الخلاف والأذى [١].

كيفية إتيان الوحي لرسول الله ﷺ

قَالَ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ**[٢]، **وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ**[٣] **عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**» .

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: « وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ،

---

(١) حكاه ابن كثير في «البداية والنهاية»(٣/ ٢٨)، عن ابن إسحاق رحمه الله قوله.

(٢) صلصلة الجرس: هو صوت الحديد إذا حُرِّك، وتطلق على كل صوت له طنين. والمُشبَّه هنا صوت الملَك بالوحي.

(٣) فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ : فهمت وحفظت.

فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ [١] عَرَقًا». [٢]

وفي حديث الإفك قالت عائشة رضي الله عنها: «فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنَ العَرَقِ مِثْلُ الجُمَانِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ القَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ...» [٣].

وفي صحيح مسلم [٤] عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، قَالَ:

« كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُرِبَ لِذَلِكَ، وَتَرَبَّدَ لَهُ وَجْهُهُ قَالَ: فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلُقِيَ كَذَلِكَ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ، قَالَ ﷺ:

«خُذُوا عَنِّي، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا...».

وفي رواية عند مسلم [٥] أيضًا: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ نَكَسَ رَأْسَهُ وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُءُوسَهُمْ، فَلَمَّا أُتْلِيَ عَنْهُ رَفَعَ رَأْسَهُ».

وفي رواية: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ عَرَفْنَا ذَلِكَ مِنْهُ وَغَمَّضَ

---

(١) ليتفصَّد: أي يسيل، من الفصد، وهو قطع العِرق لإسالة الدم شُبِّه الجبين بالعرَق المفصود مبالغة من كثرة عرقه ﷺ.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٢) ومسلم (٢٣٣٣).

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٤١٤١) ومسلم (٢٧٧٠).

(٤) برقم(١٦٩٠).

(٥) برقم (٢٣٣٥) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

عَيْنَيْهِ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ..الحديث[١]

وفي حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ:«رَأَيْتُ مَرْوَانَ بْنَ الحَكَمِ جَالِسًا فِي المَسْجِدِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ: {لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ} [النساء: ٩٥] {وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ} [النساء: ٩٥]».

قَالَ: فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ - وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى - فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنَّ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} النساء: ٩٥].[٢]

وفي الصحيح أيضًا:

«جَاءَ يَعْلَى وَعَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ بِهِ، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحْمَرُّ الوَجْهِ، وَهُوَ يَغِطُّ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ:«**أَيْنَ الَّذِي سَأَلَ عَنِ العُمْرَةِ؟**».....الحديث.[٣]

وفي رواية مسلم[٤]:

---

(١) أخرجها الشاشي في «مسنده» (١٣٢٥) بسند فيه نظر بذكر تغميض العينين والله أعلم.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٢٨٣٢).

(٣) صحيح أخرجه البخاري (١٥٣٦).

(٤) برقم (١١٨٠).

«فَجَاءَهُ الْوَحْيُ، فَأَشَارَ عُمَرُ بِيَدِهِ إِلَى يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ: تَعَالَ، فَجَاءَ يَعْلَى، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْمَرُّ الْوَجْهِ، يَغِطُّ سَاعَةً، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ...».

وفي رواية :«قَالَ: فَرَفَعَ عُمَرُ طَرَفَ الثَّوْبِ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ لَهُ غَطِيطٌ ، - قَالَ وَأَحْسَبُهُ قَالَ - كَغَطِيطِ الْبَكْرِ[(١)]».[(٢)]

وفي الصحيحين [(٣)]عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ:

خَرَجَتْ سَوْدَةُ بَعْدَمَا ضُرِبَ الحِجَابُ لِحَاجَتِهَا، وَكَانَتِ امْرَأَةً جَسِيمَةً لاَ تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا، فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَقَالَ: يَا سَوْدَةُ، أَمَا وَاللهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا، فَانْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ، قَالَتْ: فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي، وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى وَفِي يَدِهِ عَرْقٌ، فَدَخَلَتْ فَقَالَتْ:

يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي، فَقَالَ لِي عُمَرُ كَذَا وَكَذَا، قَالَتْ: فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ، وَإِنَّ العَرْقَ فِي يَدِهِ مَا وَضَعَهُ، فَقَالَ:« **إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ**».

فاعلم علمني الله وإياك :

أن هذا دليل عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الْوَحْيُ يُغَيِّبُ عنه إحساسه بالكلية، بدليل أنه

---

(١) أي مثل غطيط النائم من ثقل الوحي، و الْبَكْرِ: هو الفتىٰ من الإبل .

(٢) كما في رواية البخاري (١٧٨٩) ومسلم (١١٨٠) .

(٣) صحيح البخاري (٤٧٩٥) ومسلم(٢١٧٠).

جالس وَلَمْ يَسْقُطِ الْعَرْقُ أَيْضًا مِنْ يَدِهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ دَائِمًا ﷺ.[١]

ولذلك كان من أبطل الباطل دعوى أنه مجنون، لأن المجنون يضيع عقله بالكلية، ولا يظهر عليه آثار الجنون ولا الصرع، الذي يعقبه فتور، ولا يكون في أثنائه في حالة تخبَّط في كلامه وهذيان ولا يتكلم بكلام مناقض لكلام العقلاء.

وكذلك دعوي أنه شاعر :

لأن الشعر والفصاحة والبيان والبلاغة صنعة من كان ﷺ فيهم وخاطبهم فكيف يروغ عليهم؟ ثم إن كلامه لا ينتظم على أقفية الشعر، ولا هو قول الكهان فطرائق الكهان معروفة، ثم قد أرسلوا إليه العالم بالشعر والكهانة يختبره فرجع من عنده بشرٍّ ما يكرهون مما خالف به أهواءهم الذميمة. أتاه أنيس أخو أبي ذر الغفاري وكان أنيس رضي الله عنه أحد الشعراء المشهورين وأرسله أبوذر الغفاري يستثبت له حاله فرجع فقال له :«لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ، فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي، أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ....»[٢].

قال له : رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ..[٣]

وذهب إليه ضماد الأزدي وكان يرقي من الريح، وله دراية بمثل الكهانة

---

(١) كما قال الحافظ بن كثير في«البداية والنهاية »(٣/ ٢٦).

(٢) وهذا في صحيح مسلم (٢٤٧٣).

(٣) كما في صحيح البخاري(٨٣٦١) ومسلم (٢٤٧٤).

والتكهن، ويشفي الله على يديه من شاء، فلما سمع كلامه طلب منه إعادته عليه ليستثبت فقال له في اللحظة ذاتها :« لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«وَعَلَى قَوْمِكَ»قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي...»[١].

ونعود لما كنا بصدده :

أن الوحي كان يأتيه بحسب الحال، حتى وهوعلى الدابة،

ففي صحيح البخاري[٢]: أن الوحي أتاه وهو على الدابة .

وفي صحيح مسلم[٣]: نزول «**إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا**»، حين رجع من الحديبية وهو على راحلته.

فالوحي كان ينزل بحسب الحال، والله الموفق.

معالجة النبي ﷺ شدة الوحي

كَانَ هَذَا فِي الِابْتِدَاءِ، كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى أَخْذِهِ مِنَ الْمَلَكِ مَا يُوحَى إِلَيْهِ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَيُسَاوِقُهُ فِي التِّلَاوَةِ، فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُنْصِتَ لِذَلِكَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنَ الْوَحْيِ، وَتَكَفَّلَ لَهُ أَنْ يَجْمَعَهُ فِي صَدْرِهِ، وَأَنْ يُيَسِّرَ عَلَيْهِ

---

(١) وحديثه في قصّه إسلامه في صحيح مسلم (٨٦٨).

(٢) برقم(٤٨٣٣).

(٣) رقم(١٧٨٦).

تِلَاوَتَهُ وَتَبْلِيغَهُ، وَأَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُ، وَيُفَسِّرَهُ وَيُوَضِّحَهُ وَيُوقِفَهُ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهُ.

وَلِهَذَا قَالَ: وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمـًا ، وَقَالَ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ القيامة.

أى في صدرك وَقُرْآنَهُ، أي وأن تقرأه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ القيامة. أي تلاه عليك الملك ، فَاسْتَمِعْ لَهُ وَتَدَبَّرْهُ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة.[1]

وفي الصحيحين [2] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة ١٦] قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً[3]، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ - فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ - فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة: ١٧].

قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة: ١٨] قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة: ١٩] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ.

---

(١) «البداية والنهاية »(٣/ ٢٧) .

(٢) البخاري (٥) ومسلم(٤٤٨) .

(٣) الشدة : هيبة الملك وما جاء به وثقل الوحي. و المعالجة : وهي محاولة الشيء بمشقة.

أول من أسلم معه ﷺ

ورقة بن نوفل رضي الله عنه

تقدم حديث بدأ الوحي وفيه أن ورقة بن نوفل رضي الله عنه لما سمع منه خبر ما رأى في غار حراء قال:

هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ**»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ ...الحديث.

فهذا دليل على تقدم إسلام ورقة رضي الله عنه الإسلام الإجمالي، ومات قبل أن يتتابع الوحي، فظاهره قبول النبي ﷺ، وتصديق ما جاء به أولاً قبلهم جميعًا.

وقد أخرج البزار [1] بإسنادٍ على شرط الشيخين عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال النبي ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا وَرَقَةَ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ**».

ويتلو ذلك بطبيعة الحال خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

هذا من البديهيات أنها أسلمت في هذا التوقيت فقد ثبَّتته وآوته، وأرسل إليها من ربِّها السلام، وقد بشَّرها جبريل ﷺ ببيت ببيت في الجنة من قصب لا نصب

---

(١) كما في «كشف الأستار»(٢٧٥٠)، والحاكم(٢/ ٦٦٦)، وقد جوَّد إسناده ابن كثيرفي«البداية والنهاية» (٣/ ١٤)، لكنه مع ذلك قال: «وَرُوِي مُرْسَلًا وَهُوَ أَشْبَهُ». وقد وردت أحاديث أخري في فضله، في صحتها نظر كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»(٣/ ١٥).

فيه ولا صخب؛ ليكافئ ما صنعت مع رسول الله ﷺ، حيث لم تكلفه عناءً في الدعوة.

وقد ورد بأسانيد فيها مقال، أن رسول الله ﷺ قال عنها: «**قد آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَقَتْنِي إذ كذبونى، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ..الحديث**»[(١)]

وقد وردت أحاديث وآثار أن علي بن أبي طالب أول من أسلم مع النبي ﷺ

ففي عدة أحاديث عن ابن عباس، وزيد بن أرقم، وسلمان رضي الله عنهم، وغيرهم أن علي بن أبي طالب أول من أسلم، وأول من صلَّى مع رسول الله ﷺ.

ويصدق أنه أول من أسلم قول ابن عباس في مناظرته للخوارج قال لهم: «ما تَنْقُمُونَ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَتَنِهِ، وَأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُ ؟ ...».[(٢)]

فهذا يدل على أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول من آمن، لكنه قد يقصد ـ أعني ابن عباس ـ بأول من آمن، أي : من أوائل من آمنوا.

أي: لا يقصد الترتيب وإنما يقصد : أن علياً رضي الله عنه كان ممن سبقوا إلى الإسلام، أو يكون أول من آمن من الصبيان، وأبو بكر أول من أسلم من الأحرار ، وبلال أول من أسلم من العبيد، وإلا فقد سبق ورقة بن نوفل رضي الله عنه، وسبقت

---

(١) وهذا أخرجه أحمد (٣٤٨٦٤) بسندٍ ضعيف .

(٢) صحيح أخرجه عبد الرزاق (١٨٦٧٨)، وغيره .

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

ثم عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

ففي صحيح مسلم[١] عن عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ رضي الله عنه قال:«..فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «**أَنَا نَبِيٌّ**»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي اللهُ**»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟

قَالَ: «**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ:«**حُرٌّ، وَعَبْدٌ**»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ...الحديث».

فدل هذا على أن عمرو بن عبسة رضي الله عنه ثالثهم، وسبق بلال وأبو بكر رضي الله عنهما، هذا الظاهر، وأبو بكر مع من سبق[٢].

---

(١) برقم (٨٣٢).

(٢) وقد ورد بإسنادٍ فيه مقال عند عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد الفضائل» و«وزوائد المسند» ،(١٧٠٢٨٠): «لقد رأيتني... وأنا ربع الإسلام»، وهو دليلٌ على أسبقية أبي بكر وبلال بإطلاق، وثالثهم عمرو بن عبسة، مع النبي ﷺ، لكن لو صح السند بهذا.

بل في «صحيح البخاري»(٣٧٢٧)، قول سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه: « مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي اليَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَإِنِّي لَثُلُثُ الإِسْلاَمِ».

وفي صحيح البخاري [١] عن أبي الدرداء، في شأن المظلمة التي كانت بين أبي بكر وعمر قال ﷺ : «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي**....الحديث».

فدل على سبق أبي بكر ، وأنه أول من أسلم بإطلاق .

ويؤيِّده : ما رواه البخاري [٢] عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال :

«رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ، إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ، وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ».

وظاهر هذا أن عمار رضي الله عنه ثاني اثنين بعد أبي بكر رضي الله عنه من الأحرار.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر [١]:

=

وقد عُلم أن الصديق، وخديجة، وعلياً رضي الله عنهم أسلموا قبله ، كما حكى الإجماع على تقدُّم إسلام هؤلاء غير واحد ذكرهم ابن كثير رحمه الله في «تاريخه»، وقد يكون قول هذا: «وَإِنِّي لَثُلُثُ الإِسْلَامِ»حسب علمه.

وقد حكى الحافظ ابن كثير في« البداية والنهاية»(٣/ ٣٧)، قال : وَيُقَالُ إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُرٌّ وَعَبْدٌ اسْمُ جِنْسٍ وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ بِأَبِي بَكْرٍ وَبِلَالٍ فَقَطْ فِيهِ نَظَرٌ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ وَقَدْ كَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَسْلَمَ قَبْلَ بِلَالٍ أَيْضًا فَلَعَلَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ رُبُعُ الإسلام بحسب علمه فان المؤمنين كانوا إذا ذَاكَ يَسْتَسِرُّونَ بِإِسْلَامِهِمْ لَا يَطَّلِعُ عَلَى أَمْرِهِمْ كَثِيرُ أَحَدٍ مِنْ قَرَابَاتِهِمْ دَعِ الْأَجَانِبَ دَعْ أَهْلَ الْبَادِيَةِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) برقم (٣٦٦١) .

(٢) برقم (٣٦٦٠) .

« الْأَعْبد المذكورون هم بِلَالٌ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَأَبُو فكيهة وياسر – وَالِد عمار – والمرأتان خَدِيجَة وَسُمَيَّة وَالِدَة عمار أَو أم أَيمن ».

و عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ:

«كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ الله ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهَّ ﷺ فَمَنَعَهُ الله بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ الله بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهَّ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ »[٢].

ولم يؤذن لهم في الجهاد مع شجاعتهم هذه، وقوة تحمُّلهم المنقطعة النظير، وجرأتهم في الحقِ حتى هانت عليهم أنفسهم في الله...، لأن هذا مما يضاد الحكمة التي خفيت على المتهوِّرين في زماننا، الذين ما راعوا المصالح والمفاسد ولا فقه الواقع – مع تغنِّيهم به وهم أجهل به من غيرهم -،ولا راعوا التكافىء المادي ولا سعوا في الإعداد الذي أمر الله به، ولا ابتدأوا بما بدأ به رسول الله ﷺ – تلك الحكمة في دعوته– حتى تحوَّلت جزيرة العرب التي عجَّت بالكفر مروجاً وأنهاراً إلى الهداية والايمان الذي انتقل بعدُ من كل مكان إلى كل مكان على سطح

=

(١) في «فتح الباري»(١/ ٣٠٠) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٩٦)، وابن ماجة (١٥٠)، بإسنادٍ حسن .

المعمورة، فكانت أكبر امبراطورية عرفتها البشرية والله المستعان.

أما أهل زماننا فلم يراعوا سيرة الرسول ﷺ وحركتَه وهو المؤيَّد من القوي المتين ومعه شديد القوى جبريل ﷺ، وقدرته على إهلاك قوم هم أعتى منهم معلومة، وهو ﷺ على الحق الذي لا يمارى فيه أبداً،مع أن الله وعدَه قَالَ له: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ المائدة. والملائكة معه تقاتل ولا طاقة للبشر بقتال الملائكة، ولا يقين أعلى مما كان عندهم عليهم السلام ونبيهم- المؤيَّد من السماء- بين أظهرهم.

كل هذا لم يراعوه لموانع :إما لهوى، وإما لعجلة منافية للحكمة، وإما لطيش أوجهل بالسيرة النبوية، وإما لمرض في النفس قاد إلى حب الزعامة التي كُسيت بكساء الدين ونشر تعاليم الاسلام على ربوع المعمورة .

وعادة الله فضيحة من يتعاطى ذلك – غالباً –، فحُرِموا التوفيق والسداد ، فضيَّعوا طاقات الشباب – الذين يرجى خيرهم سدى – ولعِبوا بهم كما لعبت بهم هم الأهواء، فمات من جرَّاء سيرهم الفاشل من مات ميتة جاهلية، وبعضهم ضاع عمره سدى في سبيل فكرة خائبة ساذجة .

وضيَّع بعضهم عمره ودينه لدنيا غيره في منازعات للأمراء، ودخول في برلمانات سياسية جاهلية كفرية[1] يُكثِّر بها سواد الضُّلال بخضوعهم لمبادئهم التي تُسْتَقَي بنودها من سِيَر الكفار، والواقع الذي لا يخضع للشرع ...

(١) مع رفض النبي ﷺ لها وقد عرضوها عليه هم كما تقدَّم ، لم يَتَبَرَّع بدينه ومبادئه وثوابته لأجلها .

فكانت المفسدة بهم كبيرة، والشُّقَّة بهم عريضه والخلاف شر ..وما خفي من الشرور أعظم والله تعالى يقول :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب . ونبيهم ﷺ يقول : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا بِي...»[١] ويقول :«**خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي**..[٢]».

ورسول الله ﷺ يَرْمِي الجَمَرَ وهو عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»[٣].

أو لم يكفهم أنه بتوفيق الله له ثم بتعاليمه الرشيدة ملك الدنيا والبلاد التى تأخَّر ولم تُفتح فتحها أصحابه بتنفيذ تعاليمه الرشيدة، وكل يدعي وصلاً والله الموفق.

إسلام خديجة رضي الله عنها مبكراً

قال ابن هشام[٤]: وَآمَنَتْ بِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَصَدَّقَتْ بِمَا جَاءَهُ مِنْ الله، وَوَازَرَتْهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنْ بالله وَبِرَسُولِهِ، وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَ مِنْهُ.

فَخَفَّفَ الله بِذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، لَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِمَّا يَكْرَهُهُ مِنْ رَدٍّ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبٍ

---

(١) وهو طرف من حديث أخرجه مسلم (٥٤٤)لما صلَّى على المنبر ثم قال ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا بِي، وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي**».

(٢) وهو طرف من حديث أخرجه مسلم (١٦٩٠) في عقوبة الزناة ولفظه بتمامه:«**خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ**».

(٣) صحيح أخرجه مسلم (١٢٩٧).

(٤) في «السيرة النبوية» (١/ ١٩٨) .

لَهُ، فَيُحْزِنُهُ ذَلِكَ، إِلَّا فَرَّجَ الله عَنْهُ بِهَا إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا، تُثَبِّتُهُ وَتُخَفِّفُ عَلَيْهِ، وَتُصَدِّقُهُ وَتُهَوِّنُ عَلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ، رَحِمَهَا الله تَعَالَى.

فناسب ما فعلت أن يأمر الله رسوله ﷺ :أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب .(١)

وتقدم صنيعها في بدء الوحي مع رسول الله ﷺ، موقفها محفوظ، ومعلوم سيرتها مع رسولنا ﷺ في هذه الفترة العصيبة .

انطلاق النبي ﷺ بعد الطائف إلى سوق عُكاظ(٢)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه ،قَال(٣): « انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا

---

(١) وانظر«صحيح البخاري »(٣٨١٦)، وغيره .

(٢) وهوموضع قرب مكة، سوق يلتقي فيه الناس.

وقد ذكر ابن إسحاق بسند مرسل كما ذكره ابن هشام في «السيرة»(١/ ٣٤٤)، أن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تعالى .

وفيه أنهم سبعة، وهذا يدل على أن إسلام الجن كان منصرف رسول الله ﷺ من الطائف، والله أعلم، أي وقت كان ذلك.

وسيأتي مزيد في فصل عرضه ﷺ نفسه على القبائل قريباً إن شاء الله .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٧٧٣) ومسلم (٤٤٩) .

وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاَةَ الفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا وَاللهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ، فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} [الجن: ٢]، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ} [الجن: ١] وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الجِنِّ».

ما حصل من الجن في هذه الفترة:

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟

فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاَةَ الفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُوا:

هَذَا وَاللهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ، فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا

أَحَدًا} [الجن: ٢]، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ} [الجن: ١] وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الجِنِّ ». (١)

كان إيمان الجن برسول الله ﷺ في هذا التوقيت من المثبِّتات التي يثبت بها الله تعالى نبيه، كما يؤيد أتباعه على مدار أعمارهم بمثبتات في هذا الطريق .

وعنه رضي الله عنه (٢):

أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ قَبِيلَةٌ مِنَ الْجِنِّ إِلَّا وَلَهُمْ مَقَاعِدُ لِلسَّمْعِ ، قَالَ: فَكَانَ إِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ صَوْتًا كَصَوْتِ الْحَدِيدَةِ أَلْقَيْتَهَا عَلَى الصَّفَا، قَالَ: فَإِذَا سَمِعَتْهُ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٧٧٣) ومسلم (٤٤٩) .

(٢) ويبدو أن السماء قبل الإسلام كانت تُحرس بهذه الشهب، ولكن لم تكن حراسة كاملة لما أخرجه مسلم(٢٢٢٩) عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟».

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا»ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟

فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ: قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمَوْنَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ».

الْمَلَائِكَةُ خَرُّوا سُجَّدًا فَلَمْ يَرْفَعُوا رُءُوسَهُمْ حَتَّى يَنْزِلَ، فَإِذَا نَزَلَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَإِنْ كَانَ مِمَّا يَكُونُ فِي السَّمَاءِ .

قَالُوا: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَمْرِ الْغَيْبِ أَوْ مَوْتٍ أَوْ شَيْءٍ مِمَّا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ تَكَلَّمُوا بِهِ فَقَالُوا: يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَتَسْمَعُهُ الشَّيَاطِينُ فَيُنْزِلُونَهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِمْ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا دُحِرُوا بِالنُّجُومِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَلِمَ بِهَا ثَقِيفٌ، فَكَانَ ذُو الْغَنَمِ مِنْهُمْ يَنْطَلِقُ إِلَى غَنَمِهِ فَيَذْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ شَاةً، وَذُو الْإِبِلِ يَنْحَرُ كُلَّ يَوْمٍ بَعِيرًا، فَأَسْرَعَ النَّاسُ فِي أَمْوَالِهِمْ .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَفْعَلُوا، فَإِنْ كَانَتِ النُّجُومُ الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا وَإِلَّا فَإِنَّهُ أَمْرٌ حَدَثَ، فَنَظَرُوا فَإِذَا النُّجُومُ الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا كَمَا هِيَ، لَمْ يُرْمَ مِنْهَا بِشَيْءٍ فَكَفُّوا ، وَصَرَفَ اللهُ الْجِنَّ، فَسَمِعُوا الْقُرْآنَ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا: أَنْصِتُوا، قَالَ: وَانْطَلَقَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى إِبْلِيسَ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: هَذَا حَدَثٌ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ، فَأْتُونِي مِنْ كُلِّ أَرْضٍ بِتُرْبَةٍ، فَلَمَّا أَتَوْهُ بِتُرْبَةِ تِهَامَةَ قَالَ: هَاهُنَا الْحَدَثُ.(١)

ما حصل للجن بعد مبعثه ﷺ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٢٨)، وراجع« دلائل النبوة »(٢/ ٢٣٨)، وغيره والسند ثابت .

وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ الجن.

و قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأحقاف.

وما بقي من استرقاق السمع فشيء يسير، مما اقتضت حكمة الله أن يسمعوه؛ يُفتن بذلك من أراد الله فتنته .

وفي صحيح مسلم [1] عن عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ: سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكُونُ حَقًّا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْجِنِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ**».

فاسترقاق السمع صار يسيراً بعد بعثة رسول الله ﷺ، معدومـًا بالنسبة لما كان قبل بعثته فكأنه زيد في حراسة السماء.[2] والله أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦١) ومسلم (٢٢٢٨) .

(٢) ولذلك أخرج ابن وهب في«جامعه»(٦٩٥)، وابن إسحاق فيما ذكره ابن هشام في«السيرة» (١/ ١٧٢)، وغيرهما بأسانيد أن لا كهانة . فهذا إن صح فمعناه : لا كهانة كالتكهُّن في الجاهلية والله أعلم .

جهر النبي ﷺ بالدعوة إلى الله:

كان أول الجهر هو نزول قوله تعالى لرسوله ﷺ :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ الشعراء .

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الأعراف .

قيام رسول الله ﷺ خير قيام كما أمره الله تعالى.

أخرج البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ: «**يَا صَبَاحَاهْ**» فَقَالُوا: مَنْ هَذَا ؟، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**» قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا؟ ثُمَّ قَامَ، فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}[المسد: ١]. (١)

وفي حديث أَبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ** – أَوْ

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٩٧١) ومسلم (٢٠٨).

كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا ».(١)

وفي حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ:لَمَّا نَزَلَتْ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ»(٢).

وفي رواية، عن أبي هريرة رضي الله عنه :دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: « يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا»(٣).

مواقف كفار قريش وأهل مكة من دعوته ﷺ

أولاً : موقف أبي لهب لعنه الله .

(١) صحيح أخرجه البخاري (٢٧٥٣) و مسلم (٢٠٦)، وفي رواية: «اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ».

(٢) صحيح أخرجه مسلم (٢٠٥).

(٣) صحيح أخرجه مسلم (٢٠٤).

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الديلي رضي الله عنه، قَالَ: « رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ بِذِي الْمَجَازِ» وَخَلْفَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ، يَقُولُ: لَا يَغْلِبَنَّكُمْ هَذَا، عَنْ دِينِكُمْ وَدِينِ آبَائِكُمْ، قُلْتُ لِأَبِي وَأَنَا غُلَامٌ: مَنْ هَذَا الْأَحْوَلُ، الَّذِي يَمْشِي خَلْفَهُ؟ قَالَ: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ.(١)

وفي رواية عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيلِيِّ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ، فَقَالَ:

رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، يَقُولُ: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا** » وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ، يَقُولُ:

« **أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا** » إِلَّا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ، ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ، كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، قُلْتُ: إِنَّكَ كُنْتَ يَوْمَئِذٍ صَغِيرًا، قَالَ: لَا وَاللهِ إِنِّي يَوْمَئِذٍ لَأَعْقِلُ .(٢)

---

(١) أخرجه عبد الله في «زوائد المسند»(١٦٠٢٢)، من طريق عباد بن عباد، عن محمد بن عمرو، عن ربيعة بن عباد به.

وسقط ذكر محمد بن المنكدر بين محمد بن عمرو، وربيعة ، كما بينته رواية البيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٨٥)، فالسند حسن، ولذلك قال عباد - كما في «المسند »- : أظن بين محمد بن عمرو، وبين ربيعة، محمد بن المنكدر .

(٢) أخرجه عبد الله في «زوائد المسند»،وإسناده حسن، وله طرق أخرىٰ بنحوه عند أحمد (١٦٠٢٦)، وغيره .

وسيأتي مزيداً لهذا.

ثانيًا : موقف أبي جهل - لعنه الله -.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، لَآتِيَنَّهُ حَتَّى أَطَأَ عَلَى عُنُقِهِ، قَالَ: فَقَالَ:«**لَوْ فَعَلَ، لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ** .. الحديث.(١)

وفي رواية عَنْه قَالَ:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟

«فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَزَبَرَهُ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي، فَأَنْزَلَ اللهُ: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ}[العلق: ١٨] فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «وَاللهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللهِ».(٢)

وفي رواية ابن أبي شيبة (٣): « مَرَّ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ فَانْتَهَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: لِمَ تَنْتَهِرُنِي يَا مُحَمَّدُ وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا بِهَا رَجُلٌ أَكْبَرُ نَادِيًا مِنِّي ، قَالَ فَقَالَ جِبْرِيلُ: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ}[العلق: ١٧] قَالَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَاللهِ لَوْ دَعَا

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٢٢٢٥)، والنسائي في «الكبري»(١١٦٢١)، والترمذي (٣٣٤٨)، في قوله تعالى :﴿ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾ العلق: وهو صحيح أخرج أصله البخاري (٤٩٨٥).

(٢) أخرجهه الترمذي(٣٣٤٩)، بإسنادٍحسن .

(٣) برقم (٧/ ٣٣١)، والضياء في «المختارة»(٣٣٧) ، بإسنادٍحسن .

نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ الْعَذَابِ ».

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟

فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا** ».

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ - لَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ -: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى، أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى، عَبْدًا إِذَا صَلَّى، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى، أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [العلق: ٧]- يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ - {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى، كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ، كَلَّا لَا تُطِعْهُ} [العلق:].(١)

وهذا إقراره قبَّحه الله بنبوَّة رسول الله ﷺ، لكن منعه الكبر، والحسد - عليه لعنة الله- أيفعل الحسد في أهله ذلك.

(١) صحيح أخرجه مسلم (٢٧٩٧).

أخرج ابن أبي شيبة [١] بإسنادٍ حسن عن الْمُغِيرَةِ بْن شُعْبَةَ رضي الله عنه، قَالَ:

إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ فِيهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنِّي كُنْتُ أَمْشِي مَعَ أَبِي جَهْلٍ بِمَكَّةَ، فَلَقِينَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحَكَمِ، « **هَلُمَّ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى كِتَابِهِ أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ** »، فَقَالَ:

يَا مُحَمَّدُ، مَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا، هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، قَالَ: فَانْصَرَفَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ وَلَكِنْ بَنِي قَصِيٍّ قَالُوا: فِينَا الْحِجَابَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا الْقِرَى، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا النَّدْوَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا السِّقَايَةُ، فَقُلْنَا نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا حَتَّى إِذَا تَحَاكَّتِ الرُّكَبُ قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ وَاللهِ لَا أَفْعَلُ».

وموقفهم قبَّحهم الله في سبِّ القرآن .

فيما أخرجه البخاري [٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء: ١١٠] قَالَ:

«نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، كَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهُ المُشْرِكُونَ سَبُّوا القُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ} أَيْ بِقِرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعَ المُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا

---

(١) في «المصنف»(٧/ ٢٥٥).

(٢) برقم (٤٧٢٢) ومسلم (٤٤٦).

القُرْآنَ {وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء: ١١٠] عَنْ أَصْحَابِكَ فَلاَ تُسْمِعْهُمْ، {وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء: ١١٠] ».

ثالثاً: موقف عمه أبي طالب:

عن عَقِيل بْن أَبي طَالِبٍ، قَالَ: جاءَت قُرَيشٌ إِلَى أَبِي طالِبٍ، فَقالُوا: إِنَّ ابنَ أَخِيكَ هَذا قَد آذانا فِي نادِينا، فانهَهُ عَنّا، فَقال: يا عَقِيلُ، ائتِنِي بِمُحَمَّدٍ، فانطَلَقَ إِلَيهِ فاستَخرَجَهُ مِن كبسٍ[(١)]، يَقول: مِن بَيتٍ صَغِيرٍ، فَجاءَ بِهِ فَي الظَّهِيرَةِ، فِي شِدَّةِ الحَرِّ، فَجَعَلَ يَطلُبُ الفَيءَ، يَمشِي فيهِ مِن شِدَّةِ حَرِّ الرَّمضاءِ، فَلَما أَتاهُم، قَالَ أَبُو طالِبٍ: إِنَّ بَنِي عَمِّكَ هَؤُلاَءِ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤذِيهِم فِي نادِيهِم ومَسجِدِهِم، فانتَهِ عَن أَذاهُم، فَحَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ بَصَرَهُ إِلَى السَّماءِ، قَالَ: تَرَونَ هَذِهِ الشَّمسُ؟

قَالَ:« **ما أَنا بِأَقدَرَ عَلى أَن أَرُدَّ ذَلِكَ مِنكُم عَلى أَن تُشعِلُوا مِنها شُعلَةً** »، فَقال أَبُو طالِبٍ: واللهِ، ما كَذَبَنا ابنُ أَخِي قَطُّ، فارجِعُوا.[(٢)]

---

(١) الكبس: الكن يأوىٰ إليه الانسان.

(٢) أخرجه البخاري في (التاريخ الكبير) (٧/ ٥٠ -٥١)، بإسنادٍ حسن .

وثم رواية مرسلة هي المشهورة رواها ابن اسحاق في «السيرة» (ص ١٥٤)، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلىٰ رسول الله ﷺ فقال له: يابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا: كذا وكذا، للذي قالوا له، وآذوني قبل، فأبق عليَّ وعلىٰ نفسك، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا الذي فرَّق بيننا وبينهُم، فظنَّ رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنه خاذلُه ومُسلِمه؛ وضعُف عن نُصرته، والقيام معه، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عم لو وضعت الشمس في**

مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تعَالَى، الحسنة لنبيه ﷺ في عدم إسلام أبي طالب.

هذا من تقدير الله الحسن لنبيه ﷺ؛ إِذْ لَوْ كَانَ أَسْلَمَ أَبُو طَالِبٍ لَمَا كَانَ لَهُ عِنْدَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَجَاهَةٌ وَلَا كَلِمَةٌ، وَلَا كَانُوا يَهَابُونَهُ وَيَحْتَرِمُونَهُ، وَلَا جْتَرَؤا عَلَيْهِ وَلَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ إِلَيْهِ(١)، {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} [القصص: ٦٨] وَقَدْ قَسَّمَ خَلْقَهُ أَنْوَاعًا وَأَجْنَاسًا.(٢)

قلت «محمد» : لوكانت هذه هي الحكمة لما اعترض على النطق بالشهادتين

=

يميني والقمر في يساري ما تركت الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه»، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، فلما ولى قال له- حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ-: أقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه، فقال: امض على أمرِك وافعل ما أحببت، فوالله لا نُسلمك بشيء أبداً.

وهذا مع شهرته أردت بإيرادي له أن أُبيِّن أن هذا السياق غير صحيح ، والصحيح ما ذكرناه مما هو غير مشهور لفظه والله أعلم .

(١) كما حصل منهم لمن كان فيهم ذا وجاهة، كحمزة، وعمر رضي الله عنهما بل ورسول الله ﷺ...

(٢) قاله الحافظ ابن كثير في «السيرة»(١/ ٤٦١).

ولكن قد يقال : لو أسلم أبو طالب لكان إسلامه دعوة لإسلام غيره، كما كان إسلام حمزة، والعباس وغيرهما كذلك. والله أعلم .

وعلى كلٍ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

عند الوفاة[١]، وقد أيقن بالموت فلو أسلم في ذلك الوقت ماكان له لديهم حاجة ،لكن جرت الحكمة الإلهية أن من عاش على العصبية الجاهلية يغضب لها ويفرح لها ، ويجعلها صنمه الذي يعبده..أنه يموت على ذلك وما ربك بظلام للعبيد، ثم الله يعزّ هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم، والله الخبير بعباده، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ....

❁ ومن إيذاء قومه الكفار وهم مجتمعون على ذلك.

ما رواه عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ، وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ، جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ، فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ فَأَخَذَتْهُ مِنْ ظَهْرِهِ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **اللَّهُمَّ عَلَيْكَ المَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ: أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ ابْنَ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ أَوْ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ** - شُعْبَةُ الشَّاكُّ - «فَرَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، فَأُلْقُوا فِي بِئْرٍ، غَيْرَ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ أَوْ أُبَيٍّ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ، فَلَمْ يُلْقَ فِي البِئْرِ». [٢]

ولفظ مسلم[٣] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ

---

(١) ففي «صحيح البخاري»(١٣٦٠) ومسلم (٢٤)، لما حضرته الوفاة وعنده أبو جهل، وعبد الله ابن أبي أمية، وقد عرض عليه رسول الله ﷺ الشهادة أبي ، وكان آخر ما قال :« هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله،...».

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٨٥٤).

(٣) برقم (١٧٩٤) .

الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟

فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ:

«**اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ**[1]**، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**» - وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ - فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ - قَلِيبِ بَدْرٍ».

وأخرج أحمد[2] بإسنادٍ حسن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: إِنَّ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ، فَتَعَاقَدُوا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى، وَنَائِلَةَ

---

(١) وقد ذكره الوليد بن عقبة، ولكنه خطأ كما قال بعض الرواة، وهذا بديهي؛ لأنه لم يكن موجوداً في هذا الوقت، وقع تسميته في «صحيح البخاري»(٥٢٠)، عمارة بن الوليد.

(٢) رقم (٣٤٨٥).

وَإِسَافٍ: لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا، لَقَدْ قُمْنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ حَتَّى نَقْتُلَهُ، فَأَقْبَلَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ ﵂ تَبْكِي، حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ:

هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ، لَوْ قَدْ رَأَوْكَ، لَقَدْ قَامُوا إِلَيْكَ فَقَتَلُوكَ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ. فَقَالَ: «يَا بُنَيَّةُ، أَرِينِي وَضُوءًا» فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمِ الْمَسْجِدَ(١)، فَلَمَّا رَأَوْهُ، قَالُوا: هَا هُوَ ذَا،

---

(١) **وهنا مبحث تربوي مهم وهو :** الفزع إلى الوضوء والصلاة عند الملمات والشدائد منهج مقرر في أحاديث متواترة في الشريعة تفعل الصلاة الأعاجيب في مواقف حاسمة كهذا :

❁ **ففي حديث صهيب** ﵁ عند أحمد في «المسند »(١٨٩٣٧) بلفظ : «وَكَانُوا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ »وإسناده صحيح على شرط مسلم.وهي من قول سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عمن سبقه، كما في رواية البزار في «البحر الزخار»(٢٠٨٩) ليست من قول صهيب ﵁ .

❁ **وزينب :أم المؤمنين** ﵂ لما عرض عليها الزواج برسول الله ﷺ قال الراوي:« مَا أَتَى بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا...الحديث».

أخرجه مسلم (١٤٢٨) ،أي قامت إلى مسجدها تصلي.

❁ **ويوم بدر:** صنع ﷺ :« فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ...»أخرجه مسلم (١٧٦٣) بسند حسن .

❁ **وفي يوم بدر أيضاً :**قال علي بن أبي طالب ﵁ : «وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ..»أخرجه أحمد (١٠٢٣) بسند صحيح .

❁ **بل يحكي خباب :** ﵁ عن يوم بدر أنه راقب رسول الله ﷺ الليلة كلهاحتى كان الفجر ، فلما سلَّم رسول الله ﷺ من صلاته صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةً فَأَطَالَهَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّيْتَ صَلَاةً لَمْ تَكُنْ تُصَلِّيهَا، قَالَ: «**أَجَلْ إِنَّهَا صَلَاةُ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ فِيهَا ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ**

=

وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ...»أخرجه النسائي (١٦٣٧) والترمذي (٢١٧٥) بسند صحيح .

❁ **والذين أرسلهم** النبي ﷺ لقتل كعب بن الأشرف، قتلوه ورجعوا من آخر الليل فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي أخرجه بن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام»(٢/ ٤٢) بسند حسن .

❁ **وإبراهيم ﷺ لما أخذت** زوجته سارة أخذها الجبار:«...أَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، فَلَكِ اللهَ أَنْ لَا أَضُرَّكِ، فَفَعَلَتْ، وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجَرَ. قَالَ: فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ؟ قَالَتْ: خَيْرًا، كَفَّ اللهُ يَدَ الْفَاجِرِ، وَأَخْدَمَ خَادِمًا » أخرج هذه الرواية مسلم (٢٣٧١)

وفي الأخرى في رواية البخاري (٢٢١٧) لما قام الجبار إليها «فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي، إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ ».

❁ **وفي قصة جريج:** العابد في صحيح مسلم (٢٥٥٠) لما أهانه قومه وضربوه وأساءوا إليه وصدَّقوا البَغِيَّ في دعواها عليه، وهي ساقطة العدالة، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ..الحديث».

وَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ، وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَعَقِرُوا [١] فِي مَجَالِسِهِمْ، فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ بَصَرًا، وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ. فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى قَامَ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَقَالَ: «**شَاهَتِ الْوُجُوهُ**» ثُمَّ حَصَبَهُمْ بِهَا، فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَى حَصَاةٌ إِلَّا قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا.

موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه

فعن عُرْوَة بْن الزُّبَيْر، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ المُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الكَعْبَةِ، إِذْ**

=

- **وفي مسند** أحمد (٧٠٦٨) و«أمالي الشجري »(٩٩٤) بسند حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ عام تبوك قام من الليل يصلي ، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى وانصرف إليهم فقال لهم «**لقد أعطيت الليلة خمساً**..»

(١) أي أسلمت قوائمهم من الخوف، وهو أن يُدهش فلا يستطيع أن يتقدم ، أو يتأخر.

كما أنبه أيضاً :على عدم صحة الوارد: أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ عَرَفُوا أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ أَبَى خِذْلَانَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِسْلَامَهُ، وَإِجْمَاعَهُ لِفِرَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ وَعَدَاوَتِهِمْ، مَشَوْا إِلَيْهِ بِعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالُوا لَهُ- فِيمَا بَلَغَنِي- يَا أَبَا طَالِبٍ، هَذَا عُمَارَةُ ابْن الْوَلِيدِ، أَنْهَدُ فَتًى فِي قُرَيْشٍ وَأَجْمَلُهُ، فَخُذْهُ فَلَكَ عَقْلُهُ وَنَصْرُهُ، وَاتَّخِذْهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ، وَأَسْلِمْ إِلَيْنَا ابْنَ أَخِيكَ هَذَا، الَّذِي قَدْ خَالَفَ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ، وَفَرَّقَ جَمَاعَةَ قَوْمِكَ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ، فَنَقْتُلَهُ، فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ بِرَجُلٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَبِئْسَ مَا تَسُومُونَنِي! أَتُعْطُونَنِي ابْنَكُمْ أَغْذُوهُ لَكُمْ، وَأُعْطِيكُمْ ابْنِي تَقْتُلُونَهُ! هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا.

هذا لا يصح سنده – فيما وقفت عليه – إنما رواه ابن إسحاق كما في« السيرة»لابن هشام (١/ ٢١٥)، بإسنادٍ مرسل أومعضل

أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا» فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ} [غافر: ٢٨] الآيَةَ.(١)

ومن ذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة(٢) بإسناد صححه الحافظ ابن حجر ـ وهو كذلك ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ:

لَقَدْ ضَرَبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّةً حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَجَعَلَ يُنَادِي: وَيْلَكُمْ {أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ}؟ فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ المَجْنُونُ.

وفي رواية عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُمْ قَالُوا لَهَا: مَا أَشَدُّ مَا رَأَيْتِ المُشْرِكِينَ بَلَغُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: كَانَ المُشْرِكُونَ قَعَدُوا فِي المَسْجِدِ يَتَذَاكَرُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا يَقُولُ فِي آلِهَتِهِمْ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَامُوا إِلَيْهِ بِأَجْمَعِهِمْ، فَأَتَى الصَّرِيخُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقِيلَ: أَدْرِكْ صَاحِبَكَ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِنَا، وَإِنَّ لَهُ لَغَدَائِرَ أَرْبَعًا، وَهُوَ يَقُولُ: وَيْلَكُمْ: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ}؟

فَلَهَوْا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَقْبَلُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: فَرَجَعَ إِلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ، فَجَعَلَ لاَ يَمَسُّ شَيْئًا مِنْ غَدَائِرِهِ إِلاَّ جَاءَ مَعَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجِلاَلِ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٨٥٦).

(٢) كما في «المطالب العالية» (١٥/ ٧٣٤)، وكذلك أخرجه أبو يعلى (٣٦٩١).

وَالإِكْرَامِ.[١]

ومن سفاهتهم وهم مجتمعون، وموقف أبي بكر رضي الله عنه ـ مع ضعفه ـ معهم:

عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ لَهُ:

مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ، فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ؟ قَالَ: حَضَرْتُهُمْ وَقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ[٢]، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَّهَ أَحْلَامَنَا[٣]، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، أَوْ كَمَا قَالُوا: قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي، حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ[٤] بِبَعْضِ مَا يَقُولُ، قَالَ: فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ[٥]، ثُمَّ مَضَى، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ، غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى، ثُمَّ مَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةَ، فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ: «تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ»[٦]، فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٣٦٩١).

(٢) الحجر: حجر إسماعيل.

(٣) سفَّه أحلامنا: أي نسب عقولنا إلى الجنون.

(٤) غمزوه: أشاروا إليه بأعينهم، وحواجبهم استهزاءً بما يقول.

(٥) عرفت ذلك في وجهه: تغير وجهه، وظهرت عليه علامات الغضب.

(٦) الذبح: معناه هنا جئتكم بالهلاك.

وَاقِعٌ[١]، حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةً[٢] قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرْفَؤُهُ[٣] بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، انْصَرِفْ رَاشِدًا، فَوَاللهِ مَا كُنْتَ جَهُولًا، قَالَ: فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ، اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ، حَتَّى إِذَا بَادَأَكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ، إِذْ طَلَعَ عليهم رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَأَحَاطُوا بِهِ، يَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا؟ لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ» ، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ[٤] أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ، قَالَ: وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، دُونَهُ، يَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ} [غافر: ٢٨] ؟ ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَأَشَدُّ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا بَلَغَتْ مِنْهُ قَطُّ.[٥]

واعلم علمني الله وإياك:

أنه ليس معنى أن عبد الله بن عمرو يرى أن ذلك أشدَّ المواقف مرت على

---

(١) على رأسه طائر واقع: لم ينطق ببنة شفة.

(٢) أشدهم فيه وصاة :أكثرهم وصية على إيذائِه .

(٣) يرفأه : يسكنه ويدعو له، ويرفق به .

(٤) رأيت رجلاً منهم : لعله عقبة ابن أبي معيط كما هو مصرح باسمه في الرواية المتقدمة .

(٥) حسن : أخرجه ابن إسحاق في «السيرة »(٢٢٩)، ومن طريقه أحمد (٧٠٣٦)، وغيرهما. وأشار البخاري عقب (٣٨٥٦)إلى إسناد هذه الرواية .

رسول الله ﷺ من الكفار، لا يعني أن يكون هذا بإطلاق، بل هو من وجهة نظر عبد الله بن عمرو وإلا فإن رسول الله ﷺ ذكر أشد يوم مر عليه يوم، ذهابه الطائف، فضربوه وأُغشي عليه فما أفاق إلا وهو في قرن الثعالب كما سيأتي في موطنه إن شاء الله، فثم شدائد كثيرة، حكى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أحدها وهو هذا والله أعلم وسيأتي مزيد لهذا .(١)

---

(١) في الباب عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما « أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ اجْتَمَعَ وَنَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانَ ذَا سِنٍّ فِيهِمْ، وَقَدْ حَضَرَ الْمَوَاسِمَ، فَقَالَ: إِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدَمُ عَلَيْكُمْ فِيهِ، وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ صَاحِبِكُمْ هَذَا، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَيُكَذِّبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَرُدُّ قَوْلَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا. فَقَالُوا: فَأَنْتَ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ، فَقُلْ، وَأَقِمْ لَنَا رَأْيًا نَقُومُ بِهِ، فَقَالَ: بَلْ أَنْتُمْ فَقُولُوا أَسْمَعْ، فَقَالُوا: نَقُولُ كَاهِنٌ، فَقَالَ: مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، لَقَدْ رَأَيْتُ الْكُهَّانَ فَمَا هُوَ بِزَمْزَمَةِ الْكُهَّانِ، فَقَالُوا: نَقُولُ: مَجْنُونٌ، فَقَالَ: مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ، وَعَرَفْنَاهُ فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ وَلَا تَخَالُجِهِ وَلَا وَسْوَسَتِهِ. قَالُوا: فَنَقُولُ: شَاعِرٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، قَدْ عَرَفْنَا الشِّعْرَ بِرَجَزِهِ، وَهَزَجِهِ، وَقَرِيضِهِ، وَمَقْبُوضِهِ، وَمَبْسُوطِهِ، فَمَا هُوَ بِالشِّعْرِ. قَالُوا: فَنَقُولُ: سَاحِرٌ قَالَ: فَمَا هُوَ بِسَاحِرٍ: قَدْ رَأَيْنَا السُّحَارَ وَسِحْرَهُمْ، فَمَا هُوَ بِنَفْثِهِ وَلَا عُقَدِهِ، فَقَالُوا: مَا نَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ؟ قَالَ: وَاللهِ، إِنَّ لِقَوْلِهِ حَلَاوَةً، وَإِنَّ أَصْلَهُ لَغَدِقٌ وَإِنَّ فَرْعَهُ لَجَنًى، فَمَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا عُرِفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ لَأَنْ تَقُولُوا: سَاحِرٌ فَتَقُولُوا: هُوَ سَاحِرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ أَبِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ أَخِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ بِذَلِكَ، فَجَعَلُوا يَجْلِسُونَ لِلنَّاسِ حِينَ قَدِمُوا الْمَوْسِمَ، لَا يَمُرُّ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا حَذَّرُوهُ إِيَّاهُ، وَذَكَرُوا لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [المدثر: ١١]- إِلَى قَوْلِهِ - {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} [المدثر: ٢٦] .
وله طرق لا تسلم ـ أعرضنا عنها ـ محتملة للتحسين على مضَد والله أعلم .

❁ ومن الشدائد التي مر بها رسول الله ﷺ في تلك الفترة

ما أخرجه ابن أبي شيبة[١]، وغيره، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ، وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ مَا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا وَارَاهُ إِبِطُ بِلَالٍ**».

ومن الأذى الذي أصابه رسول الله ﷺ من نسائهم، حتى كان بعضهم يُسَمِّيه مذممًا على سبيل التقبيح .حتى قال رسول الله ﷺ لأصحابه:

«**أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ**»[٢].

=

وفي بعض طرقه أنه قال عن القرآن الكريم: «وَوَاللهِ، إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَا، وَأَنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ، ....»، فلا يثبت لهذا سند فيما وقفت عليه على شهرته، وأحسن ذلك رواية أخرجها البيهقي في «الدلائل»(٥١٥)، ط دار الحديث، بإسنادٍ من رواية معمر، عن أيوب، وفيها ضعف والله أعلم.

(١) صحيح على شرط مسلم.

أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٤٦٤)، والترمزي (٢٤٧٢)، وابن ماجة (١٥١)، وأحمد، وغيرهم.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٥٣٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرج الحميدي [١] عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما قَالَتْ:

« لَمَّا نَزَلَتْ {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} [المسد: ١] أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ وَلَهَا وَلْوَلَةٌ وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ وَهِيَ تَقُولُ: مُذَمَّمٌ أَبَيْنَا، وَدِينَهُ قَلَيْنَا، وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَرَأَ قُرْآنًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَاكَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي**» وَقَرَأَ قُرْآنًا اعْتَصَمَ بِهِ، كَمَا قَالَ وَقَرَأَ {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} [الإسراء: ٤٥] فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي فَقَالَ: لَا وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكِ قَالَ: فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي

---

(١) في«مسنده»(٣٢٥)والبيهقي في «الدلائل»(٥٠٢) وغيرهما، وإسناده حسن؛ رجاله مُعدَّلون لولا ابْنِ تَدْرُسَ ـ يزيد بن مسلم بْنِ تَدْرُسَ ـ كما هو مصرَّح به في سند أبي يعلىٰ الذي أورده ابن كثير في «تفسيره»(٥/ ٨٢)، ولا أعلم فيه جرحاً ولا تعديلاً.

وقد تصحَّف الاسم في «مجمع الزوائد » للهيثمي(٦/ ١٧) فقال «رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ، وَفِيهِ تَدْرُوسُ جَدُّ أَبِي الزُّبَيْرِ وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.»انتهىٰ.وهو معروف الإسم في سند أبي يعلىٰ الذىٰ ذكره ابن كثير لما تقدم وهو منسوب عند ابن بطة في «الإبانة الكبري »(١٦٠) «يزيد بن تدرس مولىٰ حكيم ابن حزام» ، لكن لا يعلم فيه جرحاً ولا تعديلاً.

و له متابعة عند البيهقي في «الدلائل»(٥٠٣)، وحسنه الحافظ في «الفتح»(٨/ ٧٣٨).

وله شاهد عن ابن عباس، أخرجه ابن حبان (٦٥١١)، وفي الرواية قال أبو بكر: «يا رسول الله إنها امرأة بذيئة وأخاف أن تؤذيك، فلو قمت...».

وبالجملة فالخبر صحيح ورجاله معدلون بطرقه وشواهده، أو حسن علىٰ أقل الأحوال، والله الموفق .

بِنْتُ سَيِّدِهَا».

❁ موقف يُسَلِّي رسول الله ﷺ أثناء هروبه من الكفار أحياناً قبل الهجرة

أخرج ابن سعد في «طبقاته»[١]، بإسنادٍ حسن، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ:

كُنْتُ غُلامًا يَافِعًا أَرْعَى غنمـًا لعقبة ابن أَبِي مُعَيْطٍ فَجَاءَ النَّبِيُّ - ﷺ - وَأَبُو بَكْرٍ وَقَدْ فَرَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالا: يَا غُلامُ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا؟ فَقُلْتُ: إِنِّي مُؤْتَمَنٌ وَلَسْتُ سَاقِيَكُمَا.

فَقَالَ النبي ﷺ: هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَأَتَيْتُهُمَا بِهَا فَاعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ - ﷺ -وَمَسَحَ الضَّرْعَ وَدَعَا فَحَفَّلَ الضَّرْعُ ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِصَخْرَةٍ مُتَقَعِّرَةٍ فَاحْتَلَبَ فِيهَا فَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ. ثُمَّ شَرِبْتُ ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ اقْلِصْ فَقَلَصَ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقُلْتُ:عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ.

قَالَ: إِنَّكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ. فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً لا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ.

وقد ذكر بعض العلماء هذا الحديث أثناء هجرته ﷺ إلى المدينة، لقوله فيه : وَقَدْ فَرَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ولكن ! .

وقد اعترض ابن كثير على ذلك فقال:

قَوْلُهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ «وَقَدْ فرَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ »لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ وَقْتَ الْهِجْرَةِ، إِنَّمَا ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ.

---

(١) في «الطبقات الكبرى»(٣/ ١١١).

فَإِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ مِمَّنْ أَسْلَمَ قَدِيمًا وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ كَمَا تَقَدَّمَ، وَقِصَّتُهُ هَذِهِ صَحِيحَةٌ ثَابِتَةٌ فِي الصِّحَاحِ وَغَيْرِهَا وَاللهُ أَعْلَمُ.ا.هـ[١]

❁ ومن هذه المواقف المُسلِّية .

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ قَدْ ضَرَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ ، قَالَ: فَقَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: فَعَلَ بِي هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، قَالَ: أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيَكَ آيَةً، قَالَ: نَعَمْ، فَنَظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي فَقَالَ:

ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ، فَدَعَاهَا فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: ارْجِعِي، فَرَجَعَتْ حَتَّى عَادَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَسْبِي حَسْبِي».[٢]

❁ ومن الشدائد ماأشار إليه المقداد بن الأسود رضي الله عنه .

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه ، قَالَ:

جَلَسْنَا إِلَى الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ يَوْمًا، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: طُوبَى لِهَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ رَأَتَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَاللهِ لَوَدِدْنَا أَنَّا رَأَيْنَا مَا رَأَيْتَ، وَشَهِدْنَا مَا شَهِدْتَ، فَاسْتُغْضِبَ، فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ، مَا قَالَ إِلَّا خَيْرًا، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ:

«مَا يَحْمِلُ الرَّجُلُ عَلَى أَنْ يَتَمَنَّى مَحْضَرًا غَيَّبَهُ اللهُ عَنْهُ، لَا يَدْرِي لَوْ شَهِدَهُ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ فِيهِ، وَاللهِ لَقَدْ حَضَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْوَامٌ كَبَّهُمُ اللهُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ

---

(١) انظر« البداية والنهاية »(٤/ ٤٨٣).

(٢) إسناده حسن على شرط مسلم أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»(٦/ ٣١٧)، وأحمد(١٢١١٢)، وابن ماجة (٤٠٢٨) .

فِي جَهَنَّمَ لَمْ يُجِيبُوهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ، أَوَلَا تَحْمَدُونَ اللهَ إِذْ أَخْرَجَكُمْ لَا تَعْرِفُونَ إِلَّا رَبَّكُمْ، مُصَدِّقِينَ لِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ، قَدْ كُفِيتُمُ الْبَلَاءَ بِغَيْرِكُمْ، وَاللهِ لَقَدْ بَعَثَ اللهُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى أَشَدِّ حَالٍ بُعِثَ عَلَيْهَا فِيهِ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي فَتْرَةٍ وَجَاهِلِيَّةٍ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ دِينًا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ فَرَقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَرَى وَالِدَهُ وَوَلَدَهُ أَوْ أَخَاهُ كَافِرًا، وَقَدْ فَتَحَ اللهُ قُفْلَ قَلْبِهِ لِلْإِيمَانِ، يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ هَلَكَ دَخَلَ النَّارَ، فَلَا تَقَرُّ عَيْنُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ»، وَأَنَّهَا لَلَّتِي قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ}[الفرقان: ٧٤].(١)

ضَعْفُ خَبَرِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ المشهور أنه بَصَقَ في وجه النبي ﷺ

أخرج أبو نعيم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:

كَانَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ لَا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا صَنَعَ طَعَامًا فَدَعَا عَلَيْهِ النَّاسَ جِيرَانَهُ وَأَهْلَ مَكَّةَ كُلَّهُمْ ، وَكَانَ يُكْثِرُ مُجَالَسَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَيُعْجِبُهُ حَدِيثُهُ وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ الشَّقَاءُ، فَقَدِمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ سَفَرِهِ فَصَنَعَ طَعَامًا ثُمَّ دَعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَى طَعَامِهِ فَقَالَ: «مَا أَنَا بِالَّذِي آكُلُ طَعَامَكَ حَتَّى تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ» فَقَالَ: اطْعَمْ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: «مَا أَنَا بِالَّذِي أَفْعَلُ حَتَّى تَقُولَ». فَشَهِدَ بِذَلِكَ فَطَعِمَ مِنْ طَعَامِهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: صَبَوْتَ يَا عُقْبَةُ وَكَانَ خَلِيلَهُ. فَقَالَ: لَا وَاللهِ مَا صَبَوْتُ وَلَكِنْ دَخَلَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَأَبَى أَنْ يَطْعَمَ مِنْ طَعَامِي

(١) أخرجه أحمد في « المسند»(٢٣٨١٠)، بإسنادٍ صحيح .

إِلَّا أَنْ أَشْهَدَ لَهُ فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِي قَبْلَ أَنْ يَطْعَمَ؛ فَشَهِدْتُ لَهُ فَطَعِمَ.

فَقَالَ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَرْضَى عَنْكَ أَبَدًا حَتَّى تَأْتِيَهُ فَتَبْزُقَ فِي وَجْهِهِ وَتَطَأَ عَلَى عُنُقِهِ. قَالَ: فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ وَأَخَذَ رَحِمَ دَابَّةٍ فَأَلْقَاهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا أَلْقَاكَ خَارِجًا مِنْ مَكَّةَ إِلَّا عَلَوْتُ رَأْسَكَ بِالسَّيْفِ. فَأُسِرَ عُقْبَةُ يَوْمَ بَدْرٍ فَقُتِلَ صَبْرًا وَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْأُسَارَى غَيْرُهُ قَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتُ بْنُ الْأَقْلَحِ.(١)

كفاية الله نبيه ﷺ بالإنتقام من عدوه

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر: ٩٥] قَالَ: الْمُسْتَهْزِئُونَ:

الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيُّ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ أَبُو زَمْعَةَ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَالْحَارِثُ ابْنُ غَيْطِلَةَ السَّهْمِيُّ، وَالْعَاصُ بْنُ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة»(٤٠١)، وفي إسناده محمد بن مروان بن عبد الله المعروف بالسدي الصغير وهو متهم بالكذب.

وفي بعض هذا أنه لما بصق في وجهه نزل قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الفرقان ، يعض على يديه من الندم .

وفي بعضها أن عقبة بن أبي معيط أُسِرَ يوم بدر، فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يقتله فقال :يا محمد من بين هؤلاء أُقتل؟قال : نعم. قال: لِمْ؟

قال: بكفرك، وفجورك، وعتوِّك على رسول الله ﷺ.

وثم أسانيد لهذا لا تصح لا مقام للإطالة بها هنا فيخرج الكتاب عما أُعِد له، وإنما أردتُ الإشارة إلى عدم ثبوت ذلك ، والله الموفق.

وَائِلٍ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَكَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَرَاهُ الْوَلِيدَ أَبَا عَمْرِو بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَأَوْمَأَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَبْجَلِهِ[1] فَقَالَ: «**مَا صَنَعْتَ**» ؟ قَالَ: كُفِيتَهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمُطَّلِبِ، فَأَوْمَأَ جِبْرِيلُ إِلَى عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: «**مَا صَنَعْتَ؟**» قَالَ: كُفِيتَهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيَّ، فَأَوْمَأَ إِلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ: «**مَا صَنَعْتَ؟**» قَالَ: كُفِيتَهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الْحَارِثَ بْنَ غَيْطِلَةَ السَّهْمِيَّ، فَأَوْمَأَ إِلَى رَأْسِهِ أَوْ قَالَ إِلَى بَطْنِهِ، فَقَالَ: «**مَا صَنَعْتَ؟**» قَالَ: كَفِيتَهُ، وَمَرَّ بِهِ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَأَوْمَأَ إِلَى أَخْمَصِهِ فَقَالَ: «**مَا صَنَعْتَ؟**» قَالَ: كُفِيتَهُ، فَأَمَّا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ فَمَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خُزَاعَةَ وَهُوَ يَرِيشُ نَبْلًا[2] لَهُ فَأَصَابَ أَبْجَلَهُ فَقَطَعَهَا، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ فَعَمِيَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ عَمِيَ هَكَذَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: نَزَلَ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا بَنِيَّ أَلَا تَدْفَعُونَ عَنِّي؟ قَدْ قُتِلْتُ. فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَا نَرَى شَيْئًا، وَجَعَلَ يَقُولُ: يَا بَنِيَّ أَلَا تَمْنَعُونَ عَنِّي، قَدْ هَلَكْتُ ، هَا هُوَ ذَا أُطْعَنُ بِالشَّوْكِ فِي عَيْنَيَّ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَا نَرَى شَيْئًا فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى عَمِيَتْ عَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيُّ فَخَرَجَ فِي رَأْسِهِ قُرُوحٌ فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْحَارِثُ ابْنُ غَيْطِلَةَ فَأَخَذَهُ الْمَاءُ الْأَصْفَرُ فِي بَطْنِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ فِيهِ، فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ يَوْمًا إِذْ دَخَلَ فِي رَأْسِهِ شِبْرِقَةٌ[3] حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْهَا، فَمَاتَ مِنْهَا، وَقَالَ غَيْرُهُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ: فَرَكِبَ إِلَى الطَّائِفِ عَلَى حِمَارٍ فَرَبَضَ عَلَى

---

(١) الأبجل : هو عرق في باطن الذراع، وقيل : هو عرق غليظ في الرجل فيما بين العصب والعظم .

(٢) يريش نبلاً: يُركِّب لها ريش .

(٣) شبرقة: نبت حجازي له شوك.

شِبْرِقَةٍ فَدَخَلَتْ فِي أُخْمُصِ قَدَمِهِ شَوْكَةٌ فَقَتَلَتْهُ ».[١]

وهذا بلال وإخوانه رضي الله عنهم كذلك يعذَّبون في الله

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قَالَ:

« كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ ».[٢]

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»(٢/ ٣١٦)، بإسنادٍ رجاله معدلون، وقد صححه الذهبي في «تاريخ الإسلام »(١/ ٦٠٦)، وفي « السيرة النبوية» له(١/ ١٨٢).

وله طريق أخرجه الطبراني في «الكبير»(٢٥/ ٢٦١)، وفي «الأحاديث الطوال»(٣٣).

وطريق آخر أخرجه الضياء في «المختارة » (٩٤)، فالخبر صحيح كما قال الذهبي .

والأثر السالف قد رواه الطبري في«تفسيره»(١٧/ ١٥٥)، بسندٍ صحيح، عن سعيد بن جبير فِي قَوْل الله عَزَّ وَجَلَّ {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر: ٩٥] قَالَ: الْمُسْتَهْزِئُونَ: هم خمسة رهط من قريش الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيُّ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ أَبُو زَمْعَةَ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ، وَالْحَارِثُ ابْنُ غَيْطَلَةَ السَّهْمِيُّ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، .....الحديث.

(٢) إسناده حسن

ولم يزل العذاب هكذا ببلال حتى أعتقه أبو بكر رضي الله عنه .

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه ، قَالَ[١] كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يَعْنِي بِلاَلًا».[٢]

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبِأَهْلِهِ، وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمُ الْجَنَّةُ**»[٣].

=

أخرجه أحمد (٣٨٣٢)، وابن ماجة (١٥٠) .

(١) فيما أخرجه البخاري (٣٧٥٤)، وروي مرسلاً والمتصل أصح كما قال الدارقطني في «العلل» (٩٨/٢).

(٢) وتفاصيل العتق :« كَانَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ يَمُرُّ بِبِلَالٍ وَهُوَ يُعَذَّبُ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ، فَيَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ، اللهَ يَا بِلَالُ، ثُمَّ يُقْبِلُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَهُوَ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِبِلَالٍ فَيَقُولُ: أَحْلِفُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ عَلَى هَذَا لَأَتَّخِذَنَّهُ حَنَانًا، حَتَّى مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَوْمًا وَهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَقَالَ لِأُمَيَّةَ: أَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذَا الْمِسْكِينِ، حَتَّى مَتَى؟ قَالَ: أَنْتَ أَفْسَدْتَهُ، فَأَنْقِذْهُ مِمَّا تَرَى، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَفْعَلُ، عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدُ أَجْلَدُ مِنْهُ وَأَقْوَى عَلَى دِينِكَ أُعْطِيكَهُ بِهِ، قَالَ: قَدْ قَبِلْتُ، قَالَ: هُوَ لَكَ، فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ غُلَامَ ذَلِكَ وَأَخَذَ بِلَالًا فَأَعْتَقَهُ.

هذا لا يصح له سند، بل هو منكر، فإن الذي في الصحيح أن ورقة توفي في فترة الوحي، قبل هذا التعذيب أصلاً

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم (٣/ ٤٣٨)، والبيهقي في «الدلائل»(٢/ ٢٨٢)، بإسنادٍ صحيح على شرط مسلم .

وفيه عنعنة أبي الزبير عن جابر .

واشتهر أن أبا جهل طعنها في قبلها فماتت، وكانت أول شهيدة في الإسلام.

وإنما هي مراسيل عن مجاهد، وغيره، **ومنها** أنها كانت عجوزاً كبيرة ضعيفة، ولما قُتل أبو جهل يوم بدر، قال النبي ﷺ لعمار: «**قتل الله قاتل أمك**».

فلم أقف على سندٍ صحيح لذلك على شهرته، وقد أغنى الله تعالى أولئك الأفاضل بالصحيح عن طلب الضعيف الواهي والله المستعان.

ابتلاءت مادية ومعنوية:

❁ وهذا خباب رضي الله عنه

أخرج البخاري عَنْ خَبَّابٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ قَيْنًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى العَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، قَالَ: لاَ أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَقُلْتُ: «**لاَ أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللهُ، ثُمَّ تُبْعَثَ**»، قَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ، فَسَأُوتَى مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ، فَنَزَلَتْ: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا، أَطَّلَعَ الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا}.(١)

وفي رواية قَالَ: « كُنْتُ قَيْنًا بِمَكَّةَ، فَعَمِلْتُ لِلْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ سَيْفًا فَجِئْتُ أَتَقَاضَاهُ» (٢).

وعنه رضي الله عنه، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ**

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٢٠٩١) ومسلم (٢٧٩٥).

(٢) وهي في «صحيح البخاري»(٤٧٣٣).

يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».(١)

وهذا يدل على أنه لما سألوه ﷺ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ لَهُمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ أَوْ يَسْتَنْصِرَ عَلَيْهِمْ فَوَعَدَهُمْ ذَلِكَ وَلَمْ يُنْجِزْهُ لَهُمْ فِي الْحَالَةِ الرَّاهِنَةِ وَأَخْبَرَهُمْ عَمَّنْ كَانَ قَبْلَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَلْقَوْنَ مِنَ الْعَذَابِ مَا هُوَ أَشَدُّ ممَّا أَصَابَهُمْ وَلَا يَصْرِفُهُمْ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِمْ، وَيُبَشِّرُهُمْ أَنَّ اللهَ سَيُتِمُّ هَذَا الأمر ويظهره ويعلنه وَيَنْشُرُهُ وَيَنْصُرُهُ فِي الْأَقَالِيمِ وَالْآفَاقِ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكب مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ والذِّئب عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّهمْ يسْتَعْجِلُونَ.(٢)

وقد أعتق أبو بكر عدداً ممن كانوا يعذبون في سبيل الله منهم بلال كما تقدم، لم يلتمس منهم جزاءً ولا شكورا :

أخرج الحاكم(٣)، بسندٍ ظاهره الصحة عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «**أَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ**

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٦١٢) .

(٢) من كلام الحافظ ابن كثير في(البداية والنهاية»(٣/ ٦٦) .

(٣) في «المستدرك »(٣/ ٣٢١).

رضي الله عنه سَبْعَةً مِمَّنْ كَانَ يُعَذَّبُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْهُمْ بِلَالٌ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ». [١]

وله طريق آخر أخرجه أبو نعيم في «المعرفة» [٢] عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ: « أَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا، وَأَعْتَقَ مَعَهُ سِتَّةً، مِنْهُمْ: أُمُّ عُبَيْسٍ ».

فلعل هذا يقوي المرسل السالف، مع مرسل ثالث أخرجه أبو نعيم [٣] عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ:

« أَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِتَّ رِقَابٍ بِلَالٌ سَابِعُهُمْ، مِنْهُمْ زِنِّيرَةُ، فَأُصِيبَتْ بِبَصَرِهَا حِينَ أَعْتَقَهَا، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: مَا أَذْهَبَ بَصَرَهَا إِلَّا اللَّاتُ وَالْعُزَّى، فَقَالَتْ: كَذَبُوا وَبَيْتِ اللهِ مَا تَضُرُّ اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَمَا تَنْفَعَانِ، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهَا بَصَرَهَا ».

لكن القدر الذي فيه قصة زنيرة هذه لا تنهض شواهده للتقوية [٤]، إنما القدر

---

(١) ولكنه قد روي مرسلاً من نفس الطريق عند ابن أبي شيبة (٧/ ٣٤٦)، وصوَّب الدارقطني في «العلل»(١٤/ ١٩٠)، المرسل فقال عن السند الذي لم يذكر فيه عائشة :« هو الصواب ».

قلت «محمد»: حتى الطريق الذي رواه الحاكم موصولاً من طريق ابن أبي شيبة هو في المصنف (٦/ ٣٤٩)، مرسلاً، ورواه سفيان على الإرسال عند ابن أبي حاتم، كما قال ابن تيمية في «منهاج السنة النبوية»(٨/ ٤٩٥)، وهذا يؤيِّد كلام الدارقطني ، والله أعلم .

(٢) «معرفة الصحابة »رقم (٨٠٠٦) .

(٣) في «المعرفة»(٧٦٦١) .

(٤) فلها شاهد عزاه الحافظ في «الإصابة »(٨/ ١٥١)، لعثمان ابن أبي شيبة، ولم أقف على مبتدأ سنده حتى أحكم عليه .

المشترك أن أبابكر أعتق ستة، أو سبعة، فصاروا معه على الإسلام والله أعلم .

عدم الإذن من الله تعالى لتعرض المسلمين للأصنام بالإهانة في هذه الفترة.

نعم قد سفَّه رسول الله ﷺ والصحابة الأصنام بالكلام، وبيَّن للكفار أنها لا تضرّ، ولا تنفع، وقد كان رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة وحولها وفوقها الأصنام، ولم نعلم أنه كسرها في هذه الفترة لكونه ما أُذن لهم بالجهاد العملي في هذه الفترة حكمة من الله ورحمة بهم، والله أعلم .

أما ما أخرجه إسحاق(١) عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَنْطَلِقُ أَنَا وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ إِلَى أَصْنَامِ قُرَيْشٍ الَّتِي حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَنَأْتِي العذرات، فنأخذ خريرات بأيدينا، فَنَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى أَصْنَامِ قُرَيْشٍ، فَنُلَطِّخُهَا، فَيُصْبِحُونَ، فَيَقُولُونَ: من فعل هذا بِآلِهَتِنَا؟ فَيَنْطَلِقُونَ إِلَيْهَا، وَيَغْسِلُونَهَا بِاللَّبِنِ وَالْمَاءِ. فهذا لا يصح .

وكذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة، وغيره(٢) عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ: انْطَلَقَ بِي رَسُولُ

---

(١) كما في «المطالب العالية »(١٧/ ٢٤٣)، وصحح إسناده الحافظ،

وتابعه تلميذه البوصيري في «إتحاف الخيرة»(٥/ ١٩٩)، ولعله لذلك صححه المتقي الهندي في« كنز العمال»(١٤/ ١١١) وفيه نظر!

ففي السند أبو مريم الثقفي مجهول كما قال الدارقطني ، بل جزم الحافظ نفسه بأنه مجهول ! .

(٢) في« مصنفه»(٧/ ٤٠٣)، وأحمد (٦٤٤)، والبزار في «المسند»(٧٦٩)، وقال :

لا يروىٰ بهذا اللفظ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا بهذا الإسناد، قلت ـ محمد ـ : فيه ما في الإسناد السالف .

اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى بِي الْكَعْبَةَ، فَقَالَ: «**اجْلِسْ**»، فَجَلَسْتُ إِلَى جَنْبِ الْكَعْبَةِ، وَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى مَنْكِبَيْ، ثُمَّ قَالَ لِيَ: «**انْهَضْ بِي**»، فَنَهَضْتُ بِهِ، فَلَمَّا رَأَى ضَعْفِي تَحْتَهُ قَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ فَنَزَلَ عَنِّي وَجَلَسَ لِي، فَقَالَ: «**يَا عَلِيُّ ، اصْعَدْ عَلَى مَنْكِبَيْ**» ، فَصَعِدْتُ عَلَى مَنْكِبِهِ، ثُمَّ نَهَضَ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا نَهَضَ بِي خُيِّلَ إِلَيَّ أَنِّي لَوْ شِئْتُ نِلْتُ أُفُقَ السَّمَاءِ، فَصَعِدْتُ عَلَى الْكَعْبَةِ ، وَتَنَحَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «أَلْقِ صَنَمَهُمْ»، لِأَكْبَرِ صَنَمِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ مِنْ نُحَاسٍ، وَكَانَ مَوْتُودًا بِأَوْتَادٍ مِنْ حَدِيدٍ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَالِجْهُ**» فَجَعَلْتُ أُعَالِجُهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ:«**إِيهٍ**»، فَلَمْ أَزَلْ أُعَالِجُهُ حَتَّى اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ: «**اقْذِفْهُ**» فَقَذَفْتُهُ وَنَزَلْتُ ».

وثم أشياء كثيرة من هذا اللغط ،اقتصرنا على ما صح دون غيره .

فصل

في تعنُّت كفار قريش مع النبي ﷺ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ، أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يُنَحِّيَ الْجِبَالَ عَنْهُمْ، فَيَزْرَعُوا، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِيَ بِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ نُؤْتِيَهُمُ الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا أُهْلِكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُمْ، قَالَ: «**لَا، بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ**» فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً} [الإسراء: ٥٩].(١)

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٣٣)، بإسنادٍ صحيح .

في رواية عنه[١] قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا، وَنُؤْمِنُ بِكَ، قَالَ: «**وَتَفْعَلُونَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: «**إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ**»، قَالَ: «**بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ**».

وكانت أَسْئِلَتِهِمْ إِيَّاهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْآيَاتِ وَخَرْقِ الْعَادَاتِ عَلَى وَجْهِ الْعِنَادِ، لَا عَلَى وَجْهِ طَلَبِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ فَلِهَذَا لَمْ يُجَابُوا إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا طَلَبُوا وَلَا مَا إِلَيْهِ رَغِبُوا، لِعِلْمِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ لَوْ عَايَنُوا وَشَاهَدُوا مَا أَرَادُوا لَاسْتَمَرُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، وَلَظَلُّوا فِي غيهم وضلالهم يترددون.[٢]

وقد ورد عرض الله أن يجعل له بطحاء مكة ذهبـًا، ولا أراه يصح فأعرضنا عنه لنكارة متنه، وضعف إسناده،[٣] مع شهرته على الألسنة.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٦٦)، بإسنادٍ صحيح، وقد جوَّد ابن كثير في «البداية والنهاية»(٣/ ٥٨) هذا الإسناد والذي قبله .

(٢) انظر «البداية والنهاية»(٣/ ٦٥).

(٣) وهو ما أخرجه أحمد (٢٢١٩٠)، والترمزي (٢٣٤٧)، وغيرهما عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا. فَقُلْتُ: لَا. يَا رَبِّ وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ** ».

وفي إسناده عبيد الله بن زحر ضعيف، وعلي بن يزيد أضعف منه، ويحيي بن أيوب الغافقي المصري فيه مقال معروف، وأشار ابن كثير في «البداية والنهاية »(٣/ ٥٩)، إلى ضعفه، بل معناه منكر فإن

ومن تعنتهم- وكأنهم لم يكفهم أن الله أنزل القرآن المُعجز يُتلى عليهم-

ما رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ القَمَرَ شِقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا».(١)

وفي رواية «فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ».

وفي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه مَا، قَالَ: «انْشَقَّ القَمَرُ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ».(٢)

وأنبه على: ضعف الوارد عن ابن عباس ـ وجود إسناده ابن كثير رحمه الله ـ

=

رسول الله ﷺ كان يقول :«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ»، أخرجه أحمد (٢٠٣٨١)، والنسائي (١٣٤٧)، وغيرهما من أصحاب السنن بإسنادٍ جيد .

وكيف يتسني لرسول الله ﷺ أن يطلب من ربه ما يكون فيه مشقَّة عليه، وكأن رسول الله ﷺ لا صبر له على كل حال، وكأنه ﷺ لا يمكنه شكر المنعم سبحانه إلا بتقلُّب الحال عليه!؟، وقد سأل ربه سبحانه عطايا كثيرة، ومنها أن يبارك للصحابة وله في أشياء من هذا القبيل فقال مرَّة «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ**..» أخرجه البخاري (٢٨٩٣) ومسلم (١٣٦٥) عن أنس رضي الله عنه ،

وقد دعا إبراهيم ﷺ لأهل مكة في الطعام فقال :« **اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ**»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ**» أخرجه البخاري (٣٣٦٤)عن ابن عباس رضي الله عنه

وإن كان في «صحيح البخاري»(٦٤٦٠)ومسلم (١٠٥٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«**اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**» فذلك إنما كان ليُعلِّم ﷺ أمته الزهد، والله أعلم .

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦٨) ومسلم (٢٨٠٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٦٦) ومسلم (٢٩٠٣) .

.[١]قال : كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا : سحر القمر، فنزلت: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾القمر.[٢]

فإن هذا يقتضي أن يكون انشق القمر مرتين ، وكيف ينزل قوله : «وانشق القمر »، في شأن كسوف القمر على ما يقول بعض العلماء؟.

وفي «صحيح مسلم»، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِنًى إِذَا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ، فَكَانَتْ فِلْقَةٌ وَرَاءَ الْجَبَلِ، وَفِلْقَةٌ دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اشْهَدُوا**».[٣]

وعنه[٤] قَالَ: «انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، قَالَ: وَقَالُوا: انْتَظِرُوا مَا تَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَّارُ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ

---

(١) في «البداية والنهاية»(٣/ ١٢٨).

(٢) فقد أخرجه الطبراني في «الكبير»(١١/ ٥٠)(١١٦٤٢)، من طريق محمد بن بكر ، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، وظاهر إسناده الجودة كما قال ابن كثير إلا أنه معلول، وان كان لمحمد بن بكر متابعة .

فقد أخرجه عبد الرزاق في«المصنف»(٣/ ١٠٤) رقم(٤٩٤١)، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، مرسلاً، والمرسل الصواب، فإن محمد بن بكر لايقاوم عبد الرزاق أبداً، ولذلك فإن تجويد ابن كثير له غير جيد ،ولما جوَّده احتاج أن يقول في الجواب عنه:

« فَلَعَلَّهُ حَصَلَ لَهُ انْشِقَاقٌ فِي لَيْلَةِ كُسُوفِهِ»

(٣) برقم(٢٨٠٠).

(٤)إسناده صحيح أخرجه الطيالسي (٢٩٣)، والبيهقي في «الدلائل»(٢/ ٢٦٦).

يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَالَ: فَجَاءَ السُّفَّارُ فَقَالُوا ذَاكَ »[١].

وصدق الله إذ يقول: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يونس.

تنبيه:

وَمَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ القصَّاص مِنْ أنَّ الْقَمَرَ سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ حتَّى دَخَلَ فِي كُمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَخَرَجَ مِنَ الْكُمِّ الْآخَرِ فَلَا أَصْلَ لَهُ، وَهُوَ كَذِبٌ مُفْتَرًى لَيْسَ بِصَحِيحٍ.

وَالْقَمَرُ حِينَ انْشَقَّ لَمْ يُزَايِلِ السَّماء غَيْرَ أَنَّهُ حِينَ أَشَارَ إِلَيْهِ النَّبِيّ ﷺ انْشَقَّ عَنْ إِشَارَتِهِ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ، فَسَارَتْ وَاحِدَةٌ حَتَّى صَارَتْ مِنْ وَرَاءِ حِرَاءَ، وَنَظَرُوا إِلَى الْجَبَلِ بَيْنَ هَذِهِ وَهَذِهِ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهُ شَاهَدَ ذَلِكَ.

وَمَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ: فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ فِيهِ نَظَرٌ، والظَّاهر أنَّه أَرَادَ فِرْقَتَيْنِ والله أعلم.[٢]

❁ ومن استهزائهم بالمستضعفين وتعنُّتهم

---

(١) وفي رواية البيهقي في «الدلائل»، قَالَ: «انْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ حَتَّىٰ صَارَ فِرْقَتَيْنِ، فَقَالَ كُفَّارُ أَهْلِ مَكَّةَ: هَذَا سِحْرٌ يَسْحَرَكُمْ بِهِ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ، انْظُرُوا السُّفَّارَ، فَإِنْ كَانُوا رَأَوْا مَا رَأَيْتُمْ فَقَدْ صَدَقَ، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَرَوْا مَا رَأَيْتُمْ فَهُوَ سِحْرٌ سَحَرَكُمْ بِهِ. قَالَ: فَسُئِلَ السُّفَّارُ قَالَ: وَقَدِمُوا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ فَقَالُوا: رَأَيْنَا .» والسند صحيح أيضاً.

(٢) نبه عليه ابن كثير في «البداية والنهاية»(٣/ ١٣١)كما أشرتُ إلى كلامه قبل.

ما رواه مسلم [١] عَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه، قال: « فِيَّ نَزَلَتْ: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ} الأنعام: ٥٢) وَالْعَشِيِّ قَالَ: نَزَلَتْ فِي سِتَّةٍ: أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ مِنْهُمْ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَالُوا لَهُ: تُدْنِي هَؤُلَاءِ

وفي رواية عنه قَالَ:

«كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ»

ومن تعنُّتهم طلب المعجزات[٢] وقد كان يكفيهم معجزة القرآن التي هم أعلم بها من غيرها؛ إذ هم أهل الفصاحة والبيان.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ

(١) برقم (٢٤١٣).

(٢) مع أن أكبر المعجزات الباهرة عندهم ــ وهم أهل الفصاحة، والبلاغة، والبيان ـ هذا القران أشار إلى هذه الحقيقة ـ والآيات عند الله كثيرة ـ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ العنكبوت . فليكفوا عن سؤال الله الآيات، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون، وقد أنزل من قبلهم الناقة مبصرة فظلموا بها .

بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ الإسراء.

❁ ومن ذلك سؤالهم الروح:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما،(١) قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِيَهُودَ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالَ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ(٢) فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً}(٣)، قَالُوا: أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا أُوتِينَا التَّوْرَاةَ، وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَاةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، فَأُنْزِلَتْ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ الكهف.(٤)

---

(١) فيما أخرجه الترمذي (٣١٤٠)، وغيره بإسنادٍ صحيح.

(٢) وإذا كنتم تثقون في علم اليهود يا معشر عُباد الأصنام، فلماذا لم تتهوَّدوا بدلاً من عبادة الأصنام؟ ولكنه اتحادٌ من أجل حرب محمد ﷺ لا من أجل الوصول إلى الحق، ولذلك لمَّا أجابهم ما آمنوا.

(٣) وسورة الإسراء مكية وهذا يؤيد أن كفار قريش هم الذين سألوا اليهود.

(٤) وفي «صحيح البخاري»(٤٧٢١)، ومسلم (٢٧٩٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ اليَهُودُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْكُمْ إِلَيْهِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي فَلَمَّا

وهذه آية أخرى نزلت فلم ينتفعوا بها:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ} [الروم: ٢] قَالَ: غُلِبَتْ وَغَلَبَتْ، كَانَ المُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ فَارِسَ عَلَى الرُّومِ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ أَوْثَانٍ، وَكَانَ المُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، فَذَكَرُوهُ لِأَبِي بَكْرٍ فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ»، فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ، فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلًا، فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا، وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا، فَجَعَلَ أَجَلًا خَمْسَ سِنِينَ، فَلَمْ يَظْهَرُوا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**أَلَا جَعَلْتَهُ إِلَى دُونَ**» - قَالَ: أُرَاهُ العَشْرَ، قَالَ سَعِيدٌ: وَالْبِضْعُ مَا دُونَ العَشْرِ- قَالَ: ثُمَّ ظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدُ. قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ} [الروم: ١]- إِلَى قَوْلِهِ - {يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ

=

نَزَلَ الوَحْيُ، قَالَ: « {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلْ: الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥] ». وفي رواية النسائي في «الكبرى»(١١٢٣٥) قول ابن مسعود رضي الله عنه: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ سَأَلْتُمُوهُ، ...» فهذا يؤكد أن ذلك كان في المدينة .

ولا إشكال أن يتعدد النزول مرة في مكة ومرة في المدينة ، وإنما سكت النبي ﷺ في المرة الثانية ـ في المدينة ـ لتوقع أن يكون هناك زيادة بيان، وكلاهما صحيح عن ابن عباس ، وعن ابن مسعود، وهذا معروف حصوله كما بيَّناه في كتابنا «التيسير شرح مقدِّمة أصول التفسير» .

لشيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله.

بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ} [الروم: ٤].[١]

وقد قال ابن كثير:« وَقَدْ أَوْرَدْنَا طُرُقَ هَذَا الْحَدِيثِ فِي « التَّفْسِيرِ»، وَذَكَرْنَا أَنَّ الْمُبَاحِثَ أَيِ الْمُرَاهِنَ لِأَبِي بَكْرٍ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ وَأَنَّ الرَّهْنَ كَانَ عَلَى خَمْسِ قَلَائِصَ، وَأَنَّهُ كَانَ إِلَى مُدَّةٍ فَزَادَ فِيهَا الصِّدِّيقُ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - وَفِي الرَّهْنِ، وَأَنَّ غَلَبَةَ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَوْ كَانَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ. فَاللهُ أَعْلَمُ.»[٢]

❁ ومن حججهم محاولة إلقاء الشبه والجدل بالباطل في القران عند دعوة رسول الله ﷺ.

عن ابْنُ عَبَّاسٍ[٣] رضي الله عنهما قَالَ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِقُرَيْشٍ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فِيهِ خَيْرٌ» وَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ صَالِحًا، فَلَئِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكَمَا تَقُولُونَ.

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} [الزخرف: ٥٧] قَالَ: قُلْتُ[٤]: مَا يَصِدُّونَ؟ قَالَ: يَضِجُّونَ، {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ}

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٩٣) بإسنادٍ صحيح .

(٢) راجع «البداية والنهاية»(٣/ ١١٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢٩١٨) بإسناد صحيح .

(٤) القائل هو أَبو يَحْيَى، مَوْلَى ابْنِ عُقَيْلٍ الْأَنْصَارِيِّ، يسأل ابن عباس .

[الزخرف: ٦١]، قَالَ: هُوَ خُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.(١)

❁ ومن تلبيسهم، ودعواهم الكاذبة التي ما تمكنوا من بثها إلا فعلوا .

ما قاله ربنا عنهم قال :﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ النحل .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُسْلِمٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ لَنَا غُلَامَانِ فَكَانَ يَقْرَآنِ كِتَابًا لَهُمَا بِلِسَانِهِمَا، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمُرُّ عَلَيْهِمَا، فَيَقُومُ يَسْتَمِعُ مِنْهُمَا، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: يَتَعَلَّمُ مِنْهُمَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى مَا كَذَّبَهُمْ بِهِ، فَقَالَ: {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل: ١٠٣] ».(٢)

وهذه حجة مُفْحِمَة وداحضة لما يقولون: آية واحدة فيها دعواهم وتكذيبهم،

---

(١) يخرج من قول رسول الله ﷺ: « لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فِيهِ خَيْرٌ»، من عُبد وهو غير راضٍ كالملائكة،وعيسىٰ عليه السلام وغيرهم، أو هو مُنَزَّل علىٰ حالهم في وقت قول رسول الله ﷺ هذا القول.

ومثلها قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ الأنبياء .

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره»(١٧/ ٣٠٠) بإسناد ثابت بما قبله ، فروىٰ الطبري قبله بنحو من ألفاظه، وله شاهد بنحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري فيما حكاه ابن كثير في «تفسيره»(٤/ ٦٠٤) فيُقطع بصحة المعنىٰ، وإن كان في السند الأول سفيان بن وكيع الذي فيه ضعف.

وإفحامهم.

وفي موطن آخر أقرَّوا بوصفه تماماً في كتبهم، لكن قالوا: الوصف عندنا أن معه سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب [١]، وهم ليسوا معه، فقال: إن يتبعونه أكثر من سبعين ألف، وصح هذا وذكرناه في موطن آخر .

❁ من أشد الأيام التي مرت على النبي ﷺ وفيها إيذاء قومه له.

تحكيه عَائِشَةُ رضي الله عنها، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: « **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ** »، قَالَ: « **فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ** »، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[٢].

---

(١) انظر حجتهم الواهية !.

(٢) صحيح أخرجه مسلم (١٧٩٥) .

وسيأتي مزيد لهذا في باب عرض النبي ﷺ دعوته على القبائل، وفي الموسم إن شاء الله.

ومن الأخبار الضعيفة

تفاصيل في قصة إسلام حمزة رضي الله عنه في تلك الفترة[1]

وحاصل القصة:

أَنَّ أَبَا جَهْلٍ اعْتَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ الصَّفَا، فَآذَاهُ وَشَتَمَهُ وَقَالَ فِيهِ مَا يُكْرَهُ مِنَ الْعَيْبِ لِدِينِهِ، وَالتَّضْعِيفِ لَهُ، « **فَلَمْ يُكَلِّمْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ** »، وَمَوْلَاةٌ لِعَبْدِ اللهِ ابْنِ جُدْعَانَ التَّيْمِيِّ فِي مَسْكَنٍ لَهَا فَوْقَ الصَّفَا تَسْمَعُ ذَلِكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَعَمَدَ إِلَى نَادِي قُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، وَلَمْ يَلْبَثْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْ أَقْبَلَ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ لَهُ، وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُرَّ عَلَى نَادِي قُرَيْشٍ، وَأَشَدُّهَا شَكِيمَةً، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكًا عَلَى دِيْنِ قَوْمِهِ، فَجَاءَتْهُ الْمَوْلَاةُ وَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ، فَقَالَتْ لَهُ:

يَا عُمَارَةُ، لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مُحَمَّد مِنْ أَبِي الْحَكَمَ آنِفًا وَجَدَهُ هَا هُنَا ، فَآذَاهُ وَشَتَمَهُ ، وَبَلَغَ مَا يُكْرَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَعَمَدَ إِلَى نَادِي قُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ وَلَمْ يُكَلِّمْ مُحَمَّدًا، فَاحْتَمَلَ حَمْزَةُ الْغَضَبَ لِمَا أَرَادَ اللهُ مِنْ كَرَامَتِهِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا لَا يَقِفُ عَلَى أَحَدٍ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، يُرِيدُ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ مُتَعَمِّدًا لِأَبِي جَهْلٍ أَنْ يَقَعَ بِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إِلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ، حَتَّى

(١) وقد أخرجها الحاكم في (٣/ ٢١٣)، والبيهقي في «الدلائل»(٢/ ٢١٣).

إِذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ رَفَعَ الْقَوْسَ فَضَرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ ضَرْبَةً مَمْلُوءَةً، وَقَامَتْ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ إِلَى حَمْزَةَ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ، فَقَالُوا:

مَا نَرَاكَ يَا حَمْزَةُ إِلَّا صَبَأْتَ، فَقَالَ حَمْزَةُ: وَمَا يَمْنَعُنِي وَقَدِ اسْتَبَانَ لِي ذَلِكَ مِنْهُ، أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ الَّذِي يَقُولُ حَقٌّ، فَوَاللهِ لَا أَنْزِعُ، فَامْنَعُونِي إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ، لَقَدْ سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا، وَمَرَّ حَمْزَةُ عَلَى إِسْلَامِهِ، وَتَابَعَ يُخَفِّفُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ عَزَّ وَامْتَنَعَ، وَأَنَّ حَمْزَةَ سَيَمْنَعُهُ، فَكَفُّوا عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَتَنَاوَلُونَهُ وَيَنَالُونَ مِنْهُ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ سَعْدٌ حِينَ ضَرَبَ أَبَا جَهْلٍ، فَذَكَرَ رَجَزًا غَيْرَ مُسْتَقَرٍّ أَوَّلُهُ ذُقْ أَبَا جَهْلٍ بِمَا غَشِيَتْ، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ حَمْزَةُ إِلَى بَيْتِهِ فَأَتَاهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: أَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ اتَّبَعْتَ هَذَا الصَّابِئَ وَتَرَكْتَ دِيْنَ آبَائِكَ، لَلْمَوْتُ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا صَنَعْتَ، فَأَقْبَلَ عَلَى حَمْزَةَ شَبَهٌ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتُ ؟

اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ رُشْدًا فَاجْعَلْ تَصْدِيقَهُ فِي قَلْبِي وَإِلَّا فَاجْعَلْ لِي مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ مَخْرَجًا، فَبَاتَ بِلَيْلَةٍ لَمْ يَبِتْ بِمِثْلِهَا مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، حَتَّى أَصْبَحَ فَغَدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: ابْنَ أَخِي، إِنِّي وَقَعْتُ فِي أَمَرٍ لَا أَعْرِفُ الْمَخْرَجَ مِنْهُ ، وَأَقَامَهُ مَثَلِي عَلَى مَا لَا أَدْرِي مَا هُوَ أَرْشَدُ هُوَ أَمْ غَيْرُ شَدِيدٍ، فَحَدِّثْنِي حَدِيثًا فَقَدِ اسْتَشْهَيْتُ يَا ابْنَ أَخِي أَنْ تُحَدِّثَنِي، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَذَكَّرَهُ وَوَعَظَهُ وَخَوَّفَهُ وَبَشَّرَهُ »، فَأَلْقَى اللهُ فِي نَفْسِهِ الْإِيمَانَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ إِنَّكَ لَصَادِقٌ شَهَادَةَ الْمُصَدِّقِ وَالْمُعَارِفِ، فَأَظْهِرْ يَا ابْنَ أَخِي دِينَكَ، فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ لِي مَا أَلَمَعَتِ الشَّمْسُ ، وَإِنِّي عَلَى دِينِي الْأَوَّلِ، قَالَ: فَكَانَ حَمْزَةُ مِمَّنْ أَعَزَّ اللهُ بِهِ

الدِّينَ.

وهذا مع شهرته من مواد القُصَاص التي لا يصح لها سند ـ فيما وقفت عليه ـ وقد أغنى الله حمزة عن مثله رضي الله عنه.

وقد ورد عنهم اعتراض ـ أعني كفار قريش ـ على الإيمان برسول الله ﷺ حسداً، وعصبيةً، وحميةً؛ ولكن ما يصح سند لهذا ويحتمل بالمجموع [1].

---

(١) من ذلك ما رواه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٥٥)، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ فِيهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنِّي كُنْتُ أَمْشِي مَعَ أَبِي جَهْلٍ بِمَكَّةَ، فَلَقِينَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحَكَمِ، « **هَلُمَّ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى كِتَابِهِ أَدْعُوكَ إِلَى الله**» فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا، هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، قَالَ: فَانْصَرَفَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ وَلَكِنْ بَنِي قَصِيٍّ قَالُوا: فِينَا الْحِجَابَةُ ،فَقُلْنَا: نَعَمْ ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا الْقِرَى، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا النَّدْوَةُ ، فَقُلْنَا: نَعَمْ ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا السِّقَايَةُ، فَقُلْنَا نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا حَتَّى إِذَا تَحَاكَّتِ الرُّكَبُ قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ وَاللهِ لَا أَفْعَلُ».

وأخرجه البيهقي في «الدلائل»(٢/ ٢٠٧)، من نفس الطريق من رواية زيد بن أسلم، عن المغيرة بن شعبة، ولم يدركه، فبين وفاتيهما ست وثمانون سنة، ويبعد أن يصح لما فيه إدانة أبي جهل لنفسه، وفي ذلك دعوة للمغيرة بن شعبة للإسلام، ونشر صدق النبي ﷺ، وهم إنما كانوا ينصحون بعدم سماع القرآن واللغو فيه، فكيف يقول ما يُدخل الناس في دين محمد ﷺ أفواجاً؟.

ثم رأيتُ شاهداً له أخرجه الطبراني في«الكبير»(٢٤/ ٣٤٦)، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: «كَانَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَاكِنَةً مَعَ أَخِيهَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَرَأَتْ رُؤْيَا قُبَيْلَ بَدْرٍ

=

فَفَزِعَتْ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَخِيهَا عَبَّاسٍ مِنْ لَيْلَتِهَا حِينَ فَزِعَتْ، واسْتَيْقَظَتْ مِنْ نَوْمِها، وَقَالَتْ: رَأَيْتُ رُؤْيَا وَقَدْ خَشِيتُ مِنْهَا عَلَى قَوْمِكَ الْهَلَكَةَ، قَالَ:

وَمَا رَأَيْتِ؟ قَالَتْ: لَنْ أُحَدِّثُكَ حَتَّى تُعَاهِدَنِي أَنْ لَا تَذْكُرُهَا فَإِنَّهُمْ إِنْ سَمِعُوها آذَوْنَا، فَأَسْمَعُونَا مَا لَا نُحِبُّ، فَعَاهَدَها عَبَّاسٌ فَقَالَتْ: رَأَيْتُ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا آلَ غُدَرَ، وَيَا آلَ فُجَرَ، اخْرُجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَصَرَخَ فِي الْمَسْجِدِ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ، وَمَالَ إِلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَفَزِعَ النَّاسُ لَهُ أَشَدَّ الْفَزَعِ، ثُمَّ أُرَاهُ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَصَاحَ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ: يَا آلَ غُدَرَ، وَيَا آلَ فُجَرَ، اخْرُجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ حَتَّى أَسْمَعَ مَنْ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، ثُمَّ عَمَدَ لِصَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ فَنَزَعَهَا مِنْ أَصْلِهَا، ثُمَّ أَرْسَلَهَا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَأَقْبَلَتِ الصَّخْرَةُ لَهَا دَوِيٌّ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَصْلِ الْجَبَلِ ارْفَضَّتْ، فَلَا أَعْلَمُ بِمَكَّةَ بَيْتًا وَلَا دَارًا إِلَّا قَدْ دَخَلَهَا فِلْقَةٌ مِنْ تِلْكَ الصَّخْرَةِ، فَلَقَدْ خَشِيتُ عَلَى قَوْمِكَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ شَرٌّ، فَفَزِعَ مِنْهَا عَبَّاسٌ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا فَلَقِيَ مِنْ آخِرِ لَيْلَتِهِ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَكَانَ خَلِيلًا لِلْعَبَّاسِ، فَقَصَّ عَلَيْهِ رُؤْيَا عَاتِكَةَ وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَذْكُرَهَا لِأَحَدٍ، فَذَكَرَهَا الْوَلِيدُ لِأَبِيهِ، وَذَكَرَهَا عُتْبَةُ لِأَخِيهِ شَيْبَةَ، وَارْتَفَعَ حَدِيثُهَا حَتَّى بَلَغَ أَبَا جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، واسْتَفَاضَتْ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَا عَبَّاسٌ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ حِينَ أَصْبَحَ فَوَجَدَ أَبَا جَهْلٍ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، وَزَمْعَةَ بْنَ الْأَسْوَدِ، وَأَبَا الْبَخْتَرِيِّ فِي نَفَرٍ يَتَحَدَّثُونَ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى عَبَّاسٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ نَادَاهُ أَبُو جَهْلٍ: يَا أَبَا الْفَضْلِ إِذَا قَضَيْتَ طَوَافَكَ فَائْتِنا، فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ أَتَى فَجَلَسَ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا أَبَا الْفَضْلِ مَا رُؤْيَا رَأَتْهَا عَاتِكَةُ؟ قَالَ: مَا رَأَتْ مِنْ شَيْءٍ، قَالَ: بَلَى، أَمَا رَضِيتُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ بِكَذِبِ الرِّجَالِ حَتَّى جِئْتُمُونا بِكَذِبِ النِّسَاءِ، إِنَّا كُنَّا وَأَنْتُمْ كَفَرَسَيْ رِهَانٍ فَاسْتَبَقْنَا الْمَجْدَ مُنْذُ حِينٍ، فَلَمَّا تَحَاذَتِ الرُّكَبُ قُلْتُمْ مِنَّا نَبِيٌّ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا تَقُولُوا مِنَّا نَبِيَّةٌ، لَا أَعْلَمُ فِي قُرَيْشٍ أَهْلَ بَيْتٍ أَكْذَبَ رَجُلًا، وَلَا أَكْذَبَ امْرَأَةً مِنْكُمْ، فَآذَوْهُ يَوْمَئِذٍ أَشَدَّ الْأَذَى،

إسلام جماعة من الأوائل في هذه الفترة العصيبة

فالله يجعل متنفَّساً لأوليائه .

❁ منهم: أبو ذر الغفاري رضي الله عنه .

=

وَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: زَعَمَتْ عَاتِكَةُ أَنَّ الرَّاكِبَ قَالَ: اخْرُجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ، فَلَوْ قَدْ مَضَتْ هَذِهِ الثَّلَاثُ تَبَيَّنَتْ لِقُرَيْشٍ كَذِبُكُمْ، وَكَتَبْنَا سِجِلًّا ثُمَّ عَلَّقْنَاهُ بِالْكَعْبَةِ أَنَّكُمْ أَكْذَبُ بَيْتٍ فِي الْعَرَبِ رَجُلًا وَامْرَأَةً، أَمَا رَضِيتُمْ يَا بَنِي قُصَيٍّ أَنَّكُمْ ذَهَبْتُمْ بِالْحِجَابَةِ وَالنَّدْوَةِ وَالسِّقَايَةِ، وَالرِّوَاءِ وَالرِّفَادَةِ حَتَّىٰ جِئْتُمُونا زَعَمْتُمْ بِنَبِيٍّ مِنْكُمْ، فَآذَوْهُ يَوْمَئِذٍ أَشَدَّ الْأَذَىٰ، وَقَالَ لَهُ عَبَّاسٌ: مَهْلًا يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ، هَلْ أَنْتَ مُنْتَهٍ فَإِنَّ الْكَذِبَ فِيكَ وَفِي أَهْلِ بَيْتِكَ، وَقَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ: يَا أَبَا الْفَضْلِ، مَا كُنْتَ بِجَاهِلٍ وَلَا خَرِفٍ، وَلَقِيَ عَبَّاسٌ مِنْ عَاتِكَةَ أَذًىٰ شَدِيدًا فِيمَا أَفْشَىٰ مِنْ حَدِيثِهَا، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ لَيْلَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ اللَّيَالِي، الَّتِي رَأَتْ فِيهَا عَاتِكَةُ الرُّؤْيَا جَاءَهُمُ الرَّاكِبُ الَّذِي بَعَثَ أَبُو سُفْيَانَ، ضَمْضَمُ بْنُ عَمْرٍو الْغِفَارِيُّ فَقَالَ: يَا آلَ غَالِبٍ، انْفِرُوا فَقَدْ خَرَجَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ لِيَعْتَرِضُوا لِأَبِي سُفْيَانَ فَأَحْرِزُوا عِيرَكُمْ، فَفَزِعَتْ قُرَيْشٌ أَشَدَّ الْفَزَعِ، وأَشْفَقُوا مِنْ رُؤْيَا عَاتِكَةَ، وَنَفَرُوا عَلَىٰ كُلِّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ ».

وشاهد آخر أخرجه ابن أبي حاتم كما قال ابن كثير في تفسير قوله تعالىٰ ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنعام.

وعن أبي يزيد المدني أن النبي ﷺ لقي أبا جهل فصافحه، قال له رجل : ألا أراك تصافح هذا الصابئ ؟ فقال: والله إني أعلم إنه لَنَبي عبد مناف، ولكن لا نكون لبني عبد مناف تبعاً ؟.

وثم مراسيل أخرىٰ لا أري يسلم منها شيئ، والمعروف أن إنكارهم كان حسداً، لكن أنهم صرَّحوا به فلا أجد أسانيد بهذا، بل أستبعد حصوله وإلا اتُخذ حجة عليهم.والله أعلم .

وقصَّة إسلامه يحكيها ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه ، قَالَ:

لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي، فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ[1]، فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً[2] لَهُ فِيهَا مَاءٌ، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَى المَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَاضْطَجَعَ فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى المَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ اليَوْمَ وَلاَ يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ:

أَمَا آن لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟ فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ، لاَ يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ، فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟ قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِّي فَعَلْتُ، فَفَعَلَ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ المَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي فَفَعَلَ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ[3] حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَ مَعَهُ،

---

(١) مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ: ما بلَّغتني غرضي وأزلت عني هم كشف هذا الأمر .

(٢) شنة : القربة البالية .

(٣) يَقْفُوهُ: يتبعه .

فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي**» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَصْرُخَنَّ بِهَا[١] بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ[٢]، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى المَسْجِدَ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَامَ القَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، وَأَتَى العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، قَالَ: وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّأْمِ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الغَدِ لِمِثْلِهَا، فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ، فَأَكَبَّ العَبَّاسُ عَلَيْهِ.[٣]

❁ ومنهم: ضماد الأزدي رضي الله عنه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ ضِمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي[٤] مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ[٥]، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟[٦] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ**

---

(١) لَأَصْرُخَنَّ بِهَا: لأرفعن صوتي بها.

(٢) بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ: أي بينهم.

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٣٨٦١) ومسلم (٢٤٧٤).

(٤) يرقي: من الرقية وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة.

(٥) من هذه الريح: المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن.

(٦) فهل لك: أي فهل لك رغبة في رقيتي وهل تميل.

وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ(١)، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَعَلَى قَوْمِكَ**»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوهَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ.(٢)

❁ ومنهم: عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ(٣) عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «**أَنَا نَبِيٌّ**»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي اللهُ**»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «**حُرٌّ، وَعَبْدٌ**»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «**إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ**

---

(١) ناعوس البحر: معناه وسطه، أو لجَّته، أو قعره الأقصى.

(٢) صحيح، أخرجه مسلم (٨٦٨).

(٣) جرءاء: غضاب قد عيل صبرهم ونفد.

ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي»، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ(١)، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟

فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ(٢) وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: **«نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ»**، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى .

فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: **«صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ(٣) مَحْضُورَةٌ(٤) حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ(٥)، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ**

---

(١) أتخبر الأخبار: أي أسألها .

(٢) سراع: أي يسارعون في الدخول.

(٣) مشهودة: يشهدها الملائكة.

(٤) محضورة : يحضرها أهل الطاعة .

(٥) مَعْنَىٰ يَسْتَقِلُّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ : أَيْ يَقُومُ مُقَابِلَهُ فِي جِهَةِ الشَّمَالِ ليس مَائِلًا إِلَىٰ الْمَغْرِبِ وَلَا إِلَىٰ الْمَشْرِقِ وَهَذِهِ حَالَةُ الِاسْتِوَاءِ . وتخصيص الرمح بالذكر لأن العرب أهل بادية، وإذا أرادوا أن يعلموا نصف النهار ركزوا رماحهم في الأرض ثم نظروا إلى ظلها .

حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ».

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ فَالْوُضُوءَ حَدِّثْنِي عَنْهُ، قَالَ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ، وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ، وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ للهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».(١)

جَلَدُ من أسلم مع رسول الله ﷺ وعدم رجوعهم مع عظم البلاء وكثرة الشدائد

عَنْ مُصْعَب بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه: أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ:

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨٣٢).

زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ[١]، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا.

قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي} وَفِيهَا {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: ١٥].[٢]

وفي رواية :

« فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا شَجَرُوا فَاهَا بِعَصًا، ثُمَّ أَوْجَرُوهَ».

كانوا يصبون فيه الطعام؛ لكونها ممتنعة من الطعام .

وفي رواية :

أخرجها الطَّبَرَانِيُّ فِي« كِتَابِ الْعِشْرَةِ »[٣]عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ: أَنَّ سَعْدَ بْنَ

---

(١) تعني قوله تعالى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الإسراء .

وقوله تعالى :﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ لقمان.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٤٨) .

(٣) كما قال ابن كثير في «تفسيره»(٦/ ٣٧٧)، وأخرجه أيضاً من نفس الطريق الواحدي في«أسباب النزول»(٣٤١)، والشجري في «الترتيب والآمالي»(٢٠٠٢).

مَالِكٍ قَالَ: أُنْزِلَتْ فِيَّ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا} الْآيَةَ، وَقَالَ: كُنْتُ رَجُلًا بَرًّا بِأُمِّي، فَلَمَّا أَسْلَمْتُ قَالَتْ: يَا سَعْدُ، مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكَ قَدْ أَحْدَثْتَ؟ لَتَدَعَنّ دِينَكَ هَذَا أَوْ لَا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى أَمُوتَ، فَتُعَيَّر بِي، فَيُقَالُ: «يَا قَاتِلَ أُمِّهِ». فَقُلْتُ: لَا تَفْعَلِي يَا أمَه، فَإِنِّي لَا أَدَعُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ. فمكثتْ يَوْمًا وَلَيْلَةً لَمْ تَأْكُلْ فَأَصْبَحَتْ قَدْ جَهِدَتْ، فمكثتْ يَوْمًا آخَرَ وَلَيْلَةً أُخْرَى لَا تَأْكُلْ، فأصبحتْ قَدِ اشْتَدَّ جُهْدُهَا، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتُ: يَا أُمَّهْ، تَعْلَمِينَ وَاللهِ لَوْ كَانَتْ لكِ مِائَةُ نَفْسٍ فخَرجت نَفْسا نَفْسًا، مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، فَإِنْ شِئْتِ فَكُلِي، وإن شئت لا تأكلي. فأكلتْ ».

وتقدم صبر بلال وقوله: «أحد أحد»، يغيظهم بجلده وصبره.

وجلَد عمر رضي الله عنه معروف، وكذا جُلّ من آمن مع رسول الله ﷺ، كما وصفهم أبو سفيان بن حرب لهرقل، وكان إذ ذاك كافراً، فسأله هرقل: «هل يرتد أحد

=

وفي إسناده أحمد بن أيوب بن راشد الضبي، وقد روىٰ عنه جمع من الثقات، وذكره ابن حبان في «الثقات »(٨/ ١٩)، وقال : «ربما أغرب»، ووثقه الذهبي في «تاريخ الإسلام»،(٥/ ٧٥٣)، لذا فإن قول الحافظ : «مقبول »- يعني يلينه- وتضعيف الهيثمي له في «المجمع»(٦/ ١١٢٠)، وميل الألباني في«الضعيفة»(٢/ ٢٧)، لقوله غير مقبول، ليس بصواب، ولو وقف الألباني علىٰ قول الذهبي لغيَّر رأيه ، ولأن قول ابن حبان: ربما أغرب، مع ذكره له في «الثقات»، دليل علىٰ أن إغرابه ليس عند ابن حبان جرحاً، وإنما يدلّ علىٰ أن إغرابه لا ينزله عن كونه معدَّلاً، ويتضح أنه بهذه الكلمة يدل علىٰ أنه قد عرفه لا أنه ذكره علىٰ عادته في ذكر المجاهيل في «ثقاته »، وقد رجّحت تحسين حديثه في تعليقاتي علىٰ «تحرير تقريب التهذيب»، والله المستعان .

سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه»؟

قال أبو سفيان: لا. [١]

وهذا الجلَد أفادهم تربية وتطييباً لخاطر رسول الله ﷺ، وإذلالاً للكفر وأهله، وتشجيعاً لمن أراد أن يدخل من الكفار في دين الإسلام رضي الله عنهم.

❁ ومما اشتهر من أساليب مجابهتهم لدعوة رسول الله ﷺ

ما أخرجه النسائي وغيره [٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما قَالَ: « لَمَّا قَدِمَ كَعْبُ بْنُ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣).

(٢) وإسناده صحيح على شرط مسلم

أخرجه النسائي في «الكبرى»(١١٦٤٣)، والطبري في «تفسيره»(٩٧٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٤٠)، وغيرهم من طريق ابن أبي عدي، عن داوُد بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس به، وهذا وإن كان موصولاً، إلا أن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، وخالد الواسطي، خالفا ابن أبي عدي، ـ وهما أقوى ـ فروياه على الإرسال، أي عن عكرمة به مرسلاً - بغير ذكر ابن عباس - أخرج هذا الوجه الطبري (٩٧٨٧، ٩٧٨٨)، فالراجح هنا المرسل، والله أعلم.

فإذا انضم هذا المرسل، أو المنقطع، إلى مرسل آخر، رواه ابن إسحاق في« السيرة »(٢٧٢)، ومن طريقه الواحدي في «تفسيره»(١٤٤٤)، عن يزيد بن رومان، قال: كان العاصي بن وائل السهمي إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو قد هلك قد انقطع ذكره، فاسترحتم منه، فأنزل الله عز وجل:

{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} حتى قضى السورة، إنا قد أعطيناك الكوثر ما هو خير لك من الدنيا وما فيها، أو الكوثر العظيم من الأمر، {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}، العاص بن وائل.

الْأَشْرَفِ مَكَّةَ، قَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: أَنْتَ خَيْرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَسَيِّدُهُمْ، قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الْمُنْبَتِرُ[1] مِنْ قَوْمِهِ، يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا، وَنَحْنُ - يَعْنِي: أَهْلُ الْحَجِيجِ، وَأَهْلُ السِّدَانَةِ - قَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، فَنَزَلَتْ {إِنْ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر: ٣]، وَنَزَلَتْ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [النساء: ٥١] إِلَى قَوْلِهِ: {فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا} [النساء: ٥٢].[2].

مع أن هؤلاء أهل كتاب فمن المفترض أن يكونوا أقرب للحق بما عندهم من الكتاب، وهؤلاء عبدة أصنام، ولكنه الهوى، نعوذ بالله من الانتكاسة .

=

فيُحَسَّن هذا بالأول في سبب النزول ونخلص إلى أن بعض الكفار قال هذا فردَّ الله عليهم بالآية بصرف النظر عمن نزلت فيه الآية من الكفار ، هل هو أبو جهل، أو العاص بن وائل، أو كعب ابن الأشرف، أو عقبة بن أبي معيط، والله أعلم .

والإسناد الأول الموصول قد صححه السيوطي في «لباب النقول» (٢١٧).

(١) أي المنقطع المنسلخ من قومه، أوأنه يريد لا ولد له ذَكَر يحمل اسمه .

(٢) وانظر ختام الأمر، لا يُذكَر رسول الله ﷺ إلا ويُصلَّي ويُسلَّم عليه، ويجلّ ويُحتَرم وبقي ذكره، أما هؤلاء فإنهم لا يُذكرون إلا واللعنة تتبعهم، ولا يذكرهم أحد إلا على وجه الذم، والاعتبار بعقابه سبحانه للكفار وحزبهم.

فأهل الحق من أهل الإيمان والسنَّة يتكلمون في الكفار والمنافقين وأهل البدع والأهواء، والكفار، وأهل البدع، والمنافقون وأهل البدع يتكلمون في أهل الإيمان والسنة، ولكن الأوائل يموتون وتبقى كلمتهم، ويبقى ذكرهم الحسن، والآخرون يزولون ويخفى ذكرهم، بل لا يُذكرون إلا على وجه الذم، واعتبر بمن مضى، نعوذ بالله من خزي الدنيا، وعذاب الآخرة .

محاولة من نوع آخر لصدِّ رسول ﷺ عن دعوته[١]

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالُوا: انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ، وَالشِّعْرِ، فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، فَلْيُكَلِّمْهُ وَلْيَنْظُرْ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، قَالُوا: مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالُوا: أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَأَتَاهُ عُتْبَةُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللهِ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فتكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ، إِنَّا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً[٢] قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِكَ مِنْكَ، فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعِبْتَ دِينَنَا، فَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ، حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا، وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا، وَاللهِ مَا نَنْتَظِرُ إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةَ الْحُبْلَى بِأَنْ يَقُومَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّى نَتَفَانَى أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ جَمَعْنَا حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ

---

(١) وهذا مثال يا ليت الذين يلهثون خلف الكراسي بحجة تحقيق الشريعة يعوُنه جيداً، كذا يدعون ويشاركون فيما كانوا يرونه كفراً قبل، بحجة المصلحة!، لو كانوا ثَمَّ، لقالوا لرسول الله ﷺ ما قالوا لأتباعه اليوم، ممن أبَو الدخول في السلك الحزبي السياسي، بل ليتهم يتَّعظون بغيرهم ممن سار على هذا النحو وخُذِل، وكَّلهم الله لأنفسهم لطلبهم الإمارة، والسعيد من وعظ بغيره، والتعيس من وُعظ بنفسه، بل ليتهم يتَّعظون بأنفسهم،ويكفُّون عن أصحاب المنهج السُّني الموافق لما اختاره رسول الله ﷺ في هذا الموطن المعارض لهم، فيستنُّون بسنته ﷺ ويتبعون طريقته، يتخذونه أسوة.

(٢) سخلة: المولود المحبب إلى أهله .

رَجُلًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ[1] فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ شِئْتَ فَنُزَوِّجُكَ عَشْرًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: «**أَفَرَغْتَ**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}** [فصلت: ٢]، **حَتَّى بَلَغَ {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}** [فصلت: ١٣] »، فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ، مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ: «**لَا**»، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ بِهِ إِلَّا كَلَّمْتُهُ، قَالُوا: هَلْ أَجَابَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي نَصَبَهَا بَنِيَّةً، مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: {أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت: ١٣].

قَالُوا: وَيْلَكَ يُكَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالْعَرَبِيَّةِ لَا تَدْرِي مَا قَالَ، قَالَ: لَا، وَاللهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ.[2]

❁ ومن استهزائهم برسول الله ﷺ ما قاله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ

---

(١) الباءة: حب النكاح والزواج.

(٢) وهو خبرٌ حسنٌ لطرقه وشواهده. =

وهذا لفظ أبي يعلى في«المسند»(١٨١٨)، وبنحو من ألفاظه عند ابن معين في«تاريخه»(٣/ ٥٤)، ومن طريقه البيهقي في «الدلائل»(٥١٨)، وتمام تخريجه في كتابي«عقيدة المسلم الصغير» (ص ٩٠).

بَعْضِ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الزخرف.

❁ اجتماع النبي ﷺ بأصحابه وصلاته بهم في تلك الفترة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ الإسراء.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء: ١١٠] قَالَ:

« نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ(١)، كَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهُ المُشْرِكُونَ سَبُّوا القُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ} [الإسراء: ١١٠] أَيْ بِقِرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعَ المُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا القُرْآنَ {وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء: ١١٠] عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعْهُمْ، {وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء: ١١٠] ».(٢)

ومن مواقف بعض كفار قريش التي فيها غباوة وقد فضحهم الله

ما رواه عَبْدُ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: « اجْتَمَعَ عِنْدَ البَيْتِ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ – أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ – كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَوْنَ أَنَّ اللهَ

(١) مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ: يعني في أول الإسلام.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤٧٢٢) ومسلم (٤٤٦).

يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلاَ يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ} [فصلت: ٢٢] الآيَةَ.(١)

وإنما لحقهم جميعاً الذمّ بثالثهم مع قربه إلى الصواب في هذا الرأي؛ لكونه ناقش في هذا، وجلس مع أمثال هؤلاء الموصوفين بـ«**كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ**»، ولقد كان يكفيهم أن يقولوا: كيف خلقنا ويخفى عليه شيء من أمرنا؟

لكن كذا تفعل قِلَّة فقه القلوب بأصحابها، والعياذ بالله .

الهجرة الأولى إلى الحبشة
قصتها وتحليلها(٢)

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٧) ومسلم (٢٧٧٥) .

(٢) وقد أخرج القصة أحمد في «المسند» (١٧٤٠)، بسند حسن.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ:

لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ، النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللهَ لَا نُؤْذَى، وَلا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ(١)، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ(٢)، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا(٣) إِلا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ، وعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ، قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمِ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِنَرُدَّهُمِ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ، فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُمِ إِلَيْنَا وَلا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا(٤)،

---

(١) الجلد: القوي .

(٢) الأدم : الجلود.

(٣) البطريق: الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم، وهو ذو منصب عندهم .

(٤) أعلى بهم عيناً : أبصر بهم من غيرهم .

وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُم إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ، فَقَالا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِم أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، لِتَرُدَّهُم إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلِمْهُم إِلَيْهِمَا، فَلْيَرُدَّهُم إِلَى بِلادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، قَالَت: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لَا هَا اللهِ[1]، ايْمُ اللهِ إِذَنْ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولانِ أَسْلَمْتُهُم الَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُم الَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ مَا عَلَّمَنَا، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ، كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

فَلَمَّا جَاءُوهُ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ[2]، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ

---

(١) لا ها الله : لا والله.

(٢) الأساقفة : علماء النصارىٰ الذين يقيمون لهم دينهم.

فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ:

أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، والزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ:

هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ« كهيعص»[1]، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللهِ

(١) أي من سورة مريم .

النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ[١]، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ[٢]، انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُم الَيْكُم ابَدًا، وَلا أُكَادُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لانَبِّئَنَّهُمْ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ[٣]، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ - وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا -: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُم ارْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا.

قَالَ: وَاللهِ لاخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ، قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلِ الَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ فِيهِ مَا قَالَ اللهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ[٤] الْبَتُولِ[٥].

---

(١) حتى اخضل لحيته : معناه بلَّها.

(٢) المشكاة : الثقب الذي يكون في الفتيل .

(٣) بما استأصل به خضراءهم : يعني به جماعتهم ومعظمهم.

(٤) العذراء: الجارية البكر التي لم يمسها رجل.

(٥) البتول: المنقطعة من الرجال.

قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ [(١)] حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ اذْهَبُوا، فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي - وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ - مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا، وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ - وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ - رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ، فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ [(٢)].

---

(١) تناخرت: تكلمت بكلام فيه غضب.

(٢)قوله :«فوالله ما أخذ لله مني الرشوة حتىٰ رد عليَّ ملكي فآخذ الرشوة وما أطاع الله الناس فيّ....» إلخ.

توضيحه ما أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة »لابن هشام(١/ ٢٧٣)، ومن طريقه أبو نعيم في«دلائل النبوة»(١/ ٢٥٠)، وابن المخلِّص في«المخلصيات»(٣/ ٥١)، بإسنادٍ رجاله ثقات ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَحَدَّثْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ حَدِيثَ أَبِي بَكْرِ ابْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا قَوْلُهُ: مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَ النَّاسَ فِيهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَتْنِي أَنَّ أَبَاهُ كَانَ مَلِكَ قَوْمِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ إِلَّا النَّجَاشِيَّ، وَكَانَ لِلنَّجَاشِيِّ عَمٌّ، لَهُ مِنْ صُلْبِهِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ مَمْلَكَةِ الْحَبَشَةِ، فَقَالَتْ الْحَبَشَةُ بَيْنَهَا: لَوْ أَنَّا قَتَلْنَا أَبَا النَّجَاشِيِّ وَمَلَّكْنَا أَخَاهُ فَإِنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ غَيْرَ هَذَا الْغُلَامِ، وَإِنَّ لِأَخِيهِ مِنْ صُلْبِهِ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَتَوَارَثُوا مُلْكَهُ مِنْ بَعْدِهِ، بَقِيَتْ الْحَبَشَةُ بَعْدَهُ دَهْرًا، فَغَدَوْا عَلَىٰ أَبِي النَّجَاشِيِّ فَقَتَلُوهُ، وَمَلَّكُوا أَخَاهُ، فَمَكَثُوا عَلَىٰ ذَلِكَ حِينًا.

قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ

=

وَنَشَأَ النَّجَاشِيُّ مَعَ عَمِّهِ، وَكَانَ لَبِيبًا حَازِمًا مِنَ الرِّجَالِ، فَغَلَبَ عَلَى أَمْرِ عَمِّهِ، وَنَزَلَ مِنْهُ بِكُلِّ مَنْزِلَةٍ، فَلَمَّا رَأَتِ الْحَبَشَةُ مَكَانَهُ (مِنْهُ) قَالَتْ بَيْنَهَا: وَاللهِ لَقَدْ غَلَبَ هَذَا الْفَتَى عَلَى أَمْرِ عَمِّهِ، وَإِنَّا لَنَتَخَوَّفُ أَنْ يُمَلِّكَهُ عَلَيْنَا، وَإِنْ مَلَّكَهُ عَلَيْنَا لَيَقْتُلَنَا أَجْمَعِينَ، لَقَدْ عَرَفَ أَنَّا نَحْنُ قَتَلْنَا أَبَاهُ. فَمَشَوْا إِلَى عَمِّهِ فَقَالُوا: إِمَّا أَنْ تَقْتُلَ هَذَا الْفَتَى، وَإِمَّا أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَإِنَّا قَدْ خِفْنَاهُ عَلَى أَنْفُسِنَا، قَالَ:

وَيْلَكُمْ! قَتَلْتُ أَبَاهُ بِالْأَمْسِ، وَأَقْتُلُهُ الْيَوْمَ! بَلْ أُخْرِجُهُ مِنْ بِلَادِكُمْ. قَالَتْ: فَخَرَجُوا بِهِ إِلَى السُّوقِ، فَبَاعُوهُ مِنْ رَجُلٍ مِنَ التُّجَّارِ بِسِتِّ مِائَةِ دِرْهَمٍ، فَقَذَفَهُ فِي سَفِينَةٍ فَانْطَلَقَ بِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَشِيُّ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، هَاجَتْ سَحَابَةٌ مِنْ سَحَائِبِ الْخَرِيفِ فَخَرَجَ عَمُّهُ يَسْتَمْطِرُ تَحْتَهَا، فَأَصَابَتْهُ صَاعِقَةٌ فَقَتَلَتْهُ. قَالَتْ: فَفَزِعَتِ الْحَبَشَةُ إِلَى طَلَبِهِ، وَطَلَبِ الرَّجُلِ الَّذِي بَاعُوهُ مِنْهُ حَتَّى أَدْرَكُوهُ، فَأَخَذُوهُ مِنْهُ، ثُمَّ جَاءُوا بِهِ، فَعَقَدُوا عَلَيْهِ التَّاجَ، وَأَقْعَدُوهُ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ، فَمَلَّكُوهُ.

فَجَاءَهُمُ التَّاجِرُ الَّذِي كَانُوا بَاعُوهُ مِنْهُ، فَقَالَ: إِمَّا أَنْ تُعْطُونِي مَالِي، وَإِمَّا أَنْ أُكَلِّمَهُ فِي ذَلِكَ؟ قَالُوا: لَا نُعْطِيكَ شَيْئًا، قَالَ: إِذَنْ وَاللهِ أُكَلِّمُهُ، قَالُوا:

فَدُونَكَ وَإِيَّاهُ. قَالَتْ: فَجَاءَهُ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، ابْتَعْتُ غُلَامًا مِنْ قَوْمٍ بِالسُّوقِ بِسِتِّ مِائَةِ دِرْهَمٍ، فَأَسْلَمُوا إِلَيَّ غُلَامِي وَأَخَذُوا دَرَاهِمِي، حَتَّى إِذَا سِرْتُ بِغُلَامِي أَدْرَكُونِي، فَأَخَذُوا غُلَامِي، وَمَنَعُونِي دَرَاهِمِي. قَالَتْ: فَقَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ: لَتُعْطُنَّهُ دَرَاهِمَهُ، أَوْ لَيَضَعَنَّ غُلَامُهُ يَدَهُ فِي يَدِهِ، فَلْيَذْهَبَنَّ بِهِ حَيْثُ شَاءَ، قَالُوا: بَلْ نُعْطِيهِ دَرَاهِمَهُ. قَالَتْ: فَلِذَلِكَ يَقُولُ: مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي رِشْوَةً حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَ النَّاسَ فِيهِ.

قَالَتْ: وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا خُبِرَ مِنْ صَلَابَتِهِ فِي دينه، وعدله فِي حُكْمِهِ.

وإسناده صحيح لولا عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس، ولم أجد تفسيراً لقولته إلا هذا المذكور فالله أعلم.

بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ. قَالَتْ: فَوَاللهِ إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ[١] - يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ - قَالَ: فَوَاللهِ مَا عَلِمْنَا حُزْنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنٍ حَزِنَّاهُ عِنْدَ ذَلِكَ، تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَيَأْتِيَ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ. قَالَتْ: وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عُرْضُ النِّيلِ، قَالَتْ: فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقْعَةَ الْقَوْمِ ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ؟ قَالَتْ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ: أَنَا، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِ الْقَوْمِ سِنًّا، قَالَتْ: فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً، فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ النِّيلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ. قَالَتْ: وَدَعَوْنَا اللهَ لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَالتَّمْكِينِ لَهُ فِي بِلادِهِ، وَاسْتَوْسَقَ[٢] عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ بِمَكَّةَ.[٣].

---

(١) نزل به: قام عليه ووثب وارتفع.

(٢) استوسق: أي استقر له.

(٣) وأنبه على ماأخرجه أحمد(١٨٢٧٨)، عن مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ، فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَرْضًا ذَاتَ نَخْلٍ، فَاخْرُجُوا**»فَخَرَجَ حَاطِبٌ، وَجَعْفَرٌ فِي الْبَحْرِ، قِبَلَ النَّجَاشِيِّ، قَالَ: فَوُلِدْتُ أَنَا فِي تِلْكَ السَّفِينَةِ»، وهذا مع ثقة رجاله لكنه غريب لأن الذي في «صحيح البخاري»(٣٩٠٥)،عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:«**إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ**»وَهُمَا الحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المَدِينَةِ...الحديث.

وهذا سياق آخر:

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَنْطَلِقَ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى أَرْضِ النَّجَاشِيِّ [١]، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ قَوْمَنَا، فَبَعَثُوا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَجَمَعُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدِيَّةً، فَقَدِمْنَا وَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَأَتَوْهُ بِهَدِيَّتِهِ فَقَبِلَهَا، وَسَجَدُوا، ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنَّ قَوْمًا مِنَّا رَغِبُوا عَنْ دِينِنَا وَهُمْ فِي أَرْضِكَ، فَقَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ: فِي أَرْضِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَبَعَثَ إِلَيْنَا، فَقَالَ لَنَا جَعْفَرٌ: لَا يَتَكَلَّمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ، أَنَا خَطِيبُكُمُ الْيَوْمَ، قَالَ: فَانْتَهَيْنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ وَهُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِهِ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَنْ يَمِينِهِ وَعُمَارَةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَالْقِسِّيسُونَ وَالرُّهْبَانُ جُلُوسٌ سِمَاطَيْنِ، وَقَدْ قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعُمَارَةُ: إِنَّهُمْ لَا يَسْجُدُونَ لَكَ، قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ زَبَرَنَا مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْقِسِّيسِينَ[٢] وَالرُّهْبَانِ[٣]: اسْجُدُوا لِلْمَلِكِ، فَقَالَ جَعْفَرٌ:

لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ قَالَ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَسْجُدَ؟ قَالَ: لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ، وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ:إِنَّ اللهَ بَعَثَ فِينَا رَسُولَهُ، وَهُوَ

=

وفي نفس الحديث قبل : أن أبا بكر خرج مهاجراً بنحو أرض الحبشة حتىٰ بلغ برك الغماد فلقيَه ابن الدغنة.

(١) قال ابن كثير في« البداية والنهاية »(٣/ ٧٧)، لعل الراوي وهم في قوله أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق، والله أعلم .

(٢) **القس**: رئيس من رؤساء الرهبان في الدين والعلم.

(٣) **الراهب** : الذي يذهد في الدنيا ويتخلىٰ عنها.

الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: {بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: ٦] فَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَنُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَنُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرَنَا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ: فَأَعْجَبَ النَّجَاشِيَّ قَوْلُهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الْمَلِكَ، إِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ النَّجَاشِيُّ لِجَعْفَرٍ: مَا يَقُولُ صَاحِبُكَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ؟ قَالَ: يَقُولُ فِيهِ قَوْلَ اللهِ هُوَ «**رُوحُ اللهِ**» وَكَلِمَتُهُ أَخْرَجَهُ مِنَ الْبَتُولِ الْعَذْرَاءِ الَّتِي لَمْ يَقْرَبْهَا بَشَرٌ، قَالَ: فَتَنَاوَلَ النَّجَاشِيُّ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ، مَا يَزِيدُ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ عَلَى مَا تَقُولُونَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ مَا يَزِنُ هَذِهِ، مَرْحَبًا بِكُمْ وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَلَوْلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَحْمِلَ نَعْلَيْهِ، امْكُثُوا فِي أَرْضِي مَا شِئْتُمْ، وَأَمَرَ لَنَا بِطَعَامٍ وَكِسْوَةٍ، وَقَالَ: رُدُّوا عَلَى هَذَيْنِ هَدِيَّتَهُمَا .

قَالَ: وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَجُلًا قَصِيرًا، وَكَانَ عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ رَجُلًا جَمِيلًا، قَالَ: فَأَقْبَلَا فِي الْبَحْرِ إِلَى النَّجَاشِيِّ، قَالَ: فَشَرِبُوا، قَالَ: وَمَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ امْرَأَتُهُ، فَلَمَّا شَرِبُوا الْخَمْرَ قَالَ عُمَارَةُ لِعَمْرٍو: مُرِ امْرَأَتَكَ فَلْتُقَبِّلْنِي، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَلَا تَسْتَحْيِي، فَأَخَذَهُ عُمَارَةُ فَرَمَى بِهِ فِي الْبَحْرِ فَجَعَلَ عَمْرٌو يُنَاشِدُهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ السَّفِينَةَ، فَحَقَدَ عَلَيْهِ عَمْرٌو ذَلِكَ، فَقَالَ عَمْرٌو لِلنَّجَاشِيِّ: إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ خَلَفَ عُمَارَةُ فِي أَهْلِكَ، قَالَ: فَدَعَا النَّجَاشِيُّ بِعُمَارَةَ فَنَفَخَ فِي إِحْلِيلِهِ فَصَارَ مَعَ

الْوَحْشِ[١] ».[٢]

(١) يعني أن عمراً أغرىٰ النجاشي أنه يريد نساء النجاشي فعمل له سحراً في إحليله فجُنَ وصار مع الوحوش حتىٰ مات ورجع عمرو بخيبة الرجا وحده دون صاحبه .

(٢) رجاله ثقات وهو صحيح بشاهده المتقدم عن أم سلمة

وأما قوله : وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً....إلخ .

فليس في حديث أم سلمة ولا أعلم يُروَىٰ إلا بهذا الإسناد

أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٠)، وعبد بن حميد (٥٤٩)، والروياني في«المسند»(٥٠٢)، وغيرهم من حديث أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن أبيه (أبي موسىٰ) به.

وفيه عنعنة أبي إسحاق وهو مدلس، والراوي عنه إسرائيل من الأثبات فيه، فينفعه إن شاء الله.

وقال البيهقي: عقب روايته: قُلْتُ: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، وَظَاهِرُهُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ أَبَا مُوسَىٰ كَانَ بِمَكَّةَ، وَأَنَّهُ خَرَجَ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَالصَّحِيحُ ــ الذي رواه البخاري (٣١٣٦) ومسلم (٢٥٠٢) ــ عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ جَدِّهِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ أَنَّهُ بَلَغَهُمْ مَخْرَجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُمْ بِالْيَمَنِ فَخَرَجُوا مُهَاجِرِينَ فِي بِضْعٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا فِي سَفِينَةٍ، فَأَلْقَتْهُمْ سَفِينَتُهُمْ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقُوا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ فَأَمَرَهُمْ جَعْفَرٌ بِالْإِقَامَةِ فَأَقَامُوا حَتَّىٰ قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ زَمَنَ خَيْبَرَ، فَأَبُو مُوسَىٰ شَهِدَ مَا جَرَىٰ بَيْنَ جَعْفَرٍ وَبَيْنَ النَّجَاشِيِّ، فَأَخْبَرَ عَنْهُ، وَلَعَلَّ الرَّاوِي وَهِمَ فِي قَوْلِهِ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَنْطَلِقَ وَاللهُ أَعْلَمُ.

قلت: ويدل علىٰ نكارة آخر القصة التي فيها : أن النجاشي نفخ في إحليل عمارة بن الوليد حتىٰ جُنَّ، وصار مع الوحوش، أنَّ عَدْل النجاشي يأبىٰ أن يفعل هذا بغير تحرير في صحة الدعوة والله أعلم.

فإن في «صحيح البخاري»(٥٢٠)، عدَّ ابن مسعود من رآهم صرعىٰ يوم بدر في القليب، وفيهم «عمارة بن الوليد»، فهذا مُشكل، وما في «صحيح البخاري»، أوثق والله أعلم.

وأسلم النجاشي، ونعاه النبي ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج إلى المصلى فصلى بهم وكبَّر أربعاً .[١]

وفي رواية «نَعَى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّجَاشِيَّ صَاحِبَ الحَبَشَةِ، فِي اليَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ**».[٢]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا مَاتَ النَّجَاشِيُّ، كَانَ يُتَحَدَّثُ أَنَّهُ لَا يَزَالُ يُرَى عَلَى قَبْرِهِ نُورٌ..[٣]

وفي حديث ابن مسعود[٤]: عدَّ الذين ذهبوا إلى الحبشة نحواً من ثمانين رجلاً، فيهم ابن مسعود، وعبد الله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبوموسى..» لكن أعرضنا عنه لضعف سنده، ويشهد لبعض جزئياته ما تقدم .

ومن المِحن تأتي المنح -أحياناً-

❁ إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قَالَ قَيْسٌ رحمه الله: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ، يَقُولُ لِلْقَوْمِ:

«لَوْ رَأَيْتُنِي مُوثِقِي عُمَرُ عَلَى الإِسْلاَمِ، أَنَا وَأُخْتُهُ، وَمَا أَسْلَمَ، وَلَوْ أَنَّ أُحُدًا -

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (١٢٤٥) ومسلم (٩٥١) .

(٢)أخرجه البخاري (١٣٢٧) ومسلم (١٥١) .

(٣) أخرجه أبن إسحاق كمافي«السيرة »لابن هشام(١/ ٢٧٤)، بإسنادٍ حسن.

(٤) أخرجه سعيد ين منصور في«السنن»(٢٤٨١)، وأحمد(٤٤٠٠).

انْقَضَّ لِمَا صَنَعْتُمْ بِعُثْمَانَ، لَكَانَ مَحْقُوقًا أَنْ يَنْقَضَّ»[١].

❁ وإسلامه كان أثر دعوة دعاها النبي ﷺ

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ**» **قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ**»[٢].

عمر الذي جعل الله الحق على لسانه، وقلبه، المُلهَم المحدَّث، الذي ينزل القرآن يوافق رأيه، والشيطان يفرَق منه لم يسلك عمر فجًّا إلا سَلَكَ الشيطانُ غيره، ومناقب عمر رضي الله عنه كثيرة ليس الموطن موطن عدّها.

وفي صحيح« البخاري»[٣] قول عبد الله بن مسعود :

« ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر».

وعنه رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ إِسْلاَمُ عُمَرَ فَتْحًا، وَكَانَتْ هِجْرَتُهُ نَصْرًا، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ رَحْمَةً، لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُصَلِّيَ بِالْبَيْتِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قَاتَلَهُمْ حَتَّى تَرَكُونَا فَصَلَّيْنَا»[٤].

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٦٨١) .

(٢) أخرجه الترمزي(٣٦٨١)، بإسنادٍ حسن.

(٣) برقم (٣٨٦٣).

(٤) أخرجه ابن سعد في «طبقاته»(٣/ ٢٧٠)، بسندٍ صحيح.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، لَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشٌ بِإِسْلَامِهِ، فَقَالَ: «أَيُّ أَهْلُ مَكَّةَ، مَن أَنْشَأُ لِلْحَدِيثِ[1]؟ » فَقَالُوا: جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْجُمَحِيُّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَأَنَا مَعَهُ أَتْبَعُ أَثَرَهُ، أَعْقِلُ مَا أَرَى، وَأَسْمَعُ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «يَا جَمِيلُ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ»، قَالَ: فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيْهِ كَلِمَةً حَتَّى قَامَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَنَادَى أَنْدِيَةَ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، فَقَالَ عُمَرُ: «كَذَبَ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ وَآمَنْتُ بِاللهِ وَصَدَّقْتُ رَسُولَهُ»، فَثَاوَرُوهُ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى رَكَدَتِ الشَّمْسُ عَلَى رُءُوسِهِمْ، حَتَّى فَتَرَ عُمَرُ وَجَلَسَ فَقَامُوا عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: «افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَوَاللهِ لَوْ كُنَّا ثَلَاثَمِائَةِ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا أَوْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ»، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ قِيَامٌ عَلَيْهِ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ حُلَّةُ حَرِيرٍ وَقَمِيصٌ قَوْمَسِيٌّ، فَقَالَ: مَا بَالَكُمْ؟ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، قَالَ: فَمَهْ، امْرُؤٌ اخْتَارَ دِينًا لِنَفْسِهِ، أَفَتَظُنُّونَ أَنَّ بَنِي عَدِيٍّ تُسْلِمُ إِلَيْكُمْ صَاحِبَهُمْ؟ قَالَ: فَكَأَنَّمَا كَانُوا ثَوْبًا انْكَشَفَ عَنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ بَعْدُ بِالْمَدِينَةِ: يَا أَبَتِ، مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي رَدَّ عَنْكَ الْقَوْمَ يَوْمَئِذٍ؟ فَقَالَ: «يَا بُنَيَّ، ذَاكَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ».[2]

قال ابن كثير في «البداية والنهاية »(٣/ ١٠٣)عقب ذكر إسناد هذا:

---

(١) أنشأ للحديث : أي ينشر الخبر بسرعة .

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٨٧٩)، وغيره بسندٍ حسن.

وأخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة»لابن هشام، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الفضائل»، عقب (٣٧٢).

وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى تَأَخُّرِ إِسْلَامِ عُمَرَ لِأَنَّ ابْنَ عُمَرَ عَرَضَ يَوْمَ أُحد وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَتْ أُحُدٌ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَقَدْ كَانَ مُمَيِّزًا يَوْمَ أَسْلَمَ أَبُوهُ، فَيَكُونُ إِسْلَامُهُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِنَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِ سِنِينَ، وَذَلِكَ بَعْدَ البعثة بنحو تِسْعِ سِنِينَ وَاللهُ أَعْلَمُ.

وعن عَبْدِ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: « لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ دَارِهِ، وَقَالُوا: صَبَا عُمَرُ وَأَنَا غُلَامٌ، فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِي، فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ قَبَاءٌ[١] مِنْ دِيبَاجٍ[٢]، فَقَالَ: قَدْ صَبَا عُمَرُ فَمَا ذَاكَ[٣]، فَأَنَا لَهُ جَارٌ[٤]، قَالَ:

فَرَأَيْتُ النَّاسَ تَصَدَّعُوا[٥] عَنْهُ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: العَاصِ بْنُ وَائِلٍ». [٦]

---

(١) قباء: ثوب يلبس فوق الثياب.

(٢) ديباج: نوع من الثياب لحمته وسداه حرير أي نسجه من الحرير الخالص.

(٣) فما ذاك: أي فلا بأس ولا اعتراض عليه.

(٤) جار: أحفظه وأحميه من أن يظلمه أحد.

(٥) تصدعوا عنه: تفرقوا .

(٦) صحيح أخرجه البخاري (٨٣٦٥) .

تنبيه:

الذي ورد أن عامر بن ربيعة قال عنه: لايسلم حتىٰ يسلم حمار الخطاب، قالت أم عبد الله ليلىٰ بنت أبي حثمة : يئسنا منه، لِما كان يرىٰ من غلظته ، وقسوته علىٰ الإسلام.

أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الفضائل»(٢/ ٣٧١)، والطبراني في «الكبير»(٢٥/ ٢٩)، والبيهقي في «الدلائل»(٢/ ٢٢١)، ولا أرىٰ فيها شيئاً يسلم سنده .

وكذلك لا يثبت:

=

أَنَّ أُخْتَهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخَطَّابِ وَكَانَتْ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ كَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ وَأَسْلَمَ زَوْجُهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَهُمْ مُسْتَخْفُونَ بِإِسْلَامِهِمْ مِنْ عُمَرَ، وَكَانَ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ النَّحَّامُ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ قَدْ أَسْلَمَ أَيْضًا مُسْتَخْفِيًا بِإِسْلَامِهِ [فَرَقًا] مِنْ قَوْمِهِ، وَكَانَ خبَّاب بْنُ الْأَرَتِّ يَخْتَلِفُ إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ يُقْرِئُهَا الْقُرْآنَ فَخَرَجَ عُمَرُ يَوْمًا مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ يُرِيدُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ ورهطاً من أصحابه قد ذكروا لَهُ أَنَّهُمْ قَدِ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ مِنْ بَيْنِ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَمَعَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ عَمُّهُ حَمْزَةُ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ الصِّدِّيقُ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ كَانَ أَقَامَ مَعَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ بِمَكَّةَ وَلَمْ يَخْرُجْ فِيمَنْ خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ.

فَلَقِيَهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا عُمَرُ؟ قَالَ: أُرِيدُ مُحَمَّدًا هَذَا الصَّابِئَ الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ، وسفَّه أَحْلَامَهَا، وَعَابَ دِينَهَا، وسبَّ آلِهَتَهَا فَأَقْتُلُهُ.

فَقَالَ لَهُ نُعَيْمٌ: وَاللهَّ لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ يَا عُمَرُ، أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَارِكِيكَ تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا ؟ أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَتُقِيمَ أَمْرَهُمْ قَالَ: وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي، قَالَ خَتْنُكَ وَابْنُ عَمِّكَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ وَأُخْتُكَ فَاطِمَةُ فَقَدْ وَاللهَّ أَسْلَمَا وَتَابَعَا مُحَمَّدًا ﷺ على دينه، فعليك بهما فرجع عمرعائداً إلى أخته فاطمة، وعندها خبَّاب بْنُ الْأَرَتِّ مَعَهُ صَحِيفَةٌ فِيهَا طَهَ يقريها إِيَّاهَا فَلَمَّا سَمِعُوا حِسَّ عُمَرَ تَغَيَّبَ خَبَّابٌ فِي مَخْدَعٍ لَهُمْ - أَوْ فِي بَعْضِ الْبَيْتِ - وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فَخِذِهَا، وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا إِلَى الباب قراءة خباب عليها: فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ مَا هَذِهِ الْهَيْنَمَةُ الَّتِي سَمِعْتُ؟ قَالَا لَهُ مَا سَمِعْتَ شَيْئًا.

قَالَ بَلَى وَاللهَّ لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمَا تَابَعْتُمَا مُحَمَّدًا

عَلَى دِينِهِ وَبَطَشَ بِخَتْنِهِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ.

=

فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ لِتَكُفَّهُ عَنْ زَوْجِهَا فَضَرَبَهَا فَشَجَّهَا، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وَخَتَنُهُ: نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا وَآمَنَّا بِاللهَّ وَرَسُولِهِ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ، فَلَمَّا رَأَىٰ عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنَ الدَّمِ نَدِمَ عَلَىٰ مَا صَنَعَ وَارْعَوَىٰ، وَقَالَ لِأُخْتِهِ أعطيني هذه الصحيفة التي كنتم تقرؤن آنِفًا أَنْظُرُ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ محمداً ؟ وَكَانَ عُمَرُ كَاتِبًا فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا، قَالَ لَا تَخَافِي، وَحَلَفَ لَهَا بِآلِهَتِهِ لَيَرُدَّنَّهَا إِذَا قَرَأَهَا إِلَيْهَا، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ طَمِعَتْ فِي إِسْلَامِهِ فقالت يَا أَخِي إِنَّكَ نجس، عَلَىٰ شِرْكِكَ، وَإِنَّهُ لا يمسَّه إلا المطهرون فَقَامَ عُمَرُ فَاغْتَسَلَ فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ وَفِيهَا طَهَ فَقَرَأَهَا فَلَمَّا قَرَأَ مِنْهَا صَدْرًا.

قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ.

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خبَّاب بْنُ الْأَرَتِّ خَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: وَاللهَّ يَا عُمَرُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللهَّ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ أَمْسِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَيِّدِ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ – أَوْ بِعُمَرَ ابنِ الْخَطَّابِ »– فَاللهَّ اللهَّ يَا عمر.

فقال [له] عِنْدَ ذَلِكَ: فَدُلَّنِي يَا خَبَّابُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ حَتَّىٰ آتِيَهُ فَأُسْلِمَ.

فَقَالَ لَهُ خَبَّابٌ: هُوَ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشَّحَهُ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهَّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْبَابَ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ فَنَظَرَ مِنْ خَلَلِ الْبَابِ فإذا هو بعمر متوشِّح بالسيف فَرَجَعَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهَّ ﷺ وَهُوَ فَزِعٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ هذا عمر بن الخطاب متوشِّحاً بالسيف، فَقَالَ حَمْزَةُ، فَأْذَنْ لَهُ فَإِنْ كَانَ جَاءَ يريد خيراً بذلناه وإن كان يُرِيدُ شَرًّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «**ايذن لَهُ** » فَأَذِنَ لَهُ الرَّجُلُ وَنَهَضَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهَّ ﷺ حَتَّىٰ لَقِيَهُ فِي **الْحُجْرَةِ** فَأَخَذَ بِحُجْزَتِهِ أَوْ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ ثم جذبه جذبة شديدة فقال:«**ما جاء بِكَ يا ابن الْخَطَّابِ؟ فَوَاللهَّ مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّى يُنْزِلَ اللهَّ بِكَ قَارِعَةً** » فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهَّ جِئْتُكَ لَأُومِنَ بِاللهَّ وَرَسُولِهِ، وَبِمَا

عزم أبي بكر الصديق رضي الله عنه

على الهجرة إلى الحبشة وموقف ابن الدَّغنة معه

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ، إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ(١)، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغِمَادِ (٢)لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ القَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي (٣)، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ (٤) وَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ

=

جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهَّ، قَالَ: فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ تكبيرة فعرف أَهْلُ الْبَيْتِ أَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ، فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهَّ ﷺ مِنْ مَكَانِهِمْ وَقَدْ عَزُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ حِينَ أسلم عمر مع إسلام حمزة وعلموا أَنَّهُمَا سَيَمْنَعَانِ رَسُولَ اللهَّ ﷺ، وَيَنْتَصِفُونَ بِهِمَا مِنْ عَدُوِّهِمْ.

وفي رواية : قال له رسول الله ﷺ قد هداك الله يا عمر ، ثم مسح صدره، ودعا له بالثبات..

وكل هذا لا يصح ..قصة طويلة لا أحب أن أسوِّد الصفحات بتفاصيلها هي ومثيلاتها لعدم تكبير حجم الكتاب والله أعلم .

ولعل هذه القصة هي التي عناها البيهقي حينما قال في «الدلائل»(٢/ ٢٢٢)لما قال :« وَقَدْ رُوِيتْ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ فِي إِسْلَامِ عُمَرَ بِإِسْنَادٍ مَجْهُولٍ لَمْ أُخَرِّجْهَا، فَفِي الْأَحَادِيثِ الْمَشْهُورَةِ غُنْيَةٌ عَنْهَا »أهـ .

(١) يدينان الدين: يعني بدين الإسلام.

(٢) برك الغماد : منطقة من مناطق اليمن .

(٣) أخرجني قومي: تسببوا في إخراجي.

(٤) أسيح في الأرض: السير في الأرض.

ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ، إِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ [١] ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلاَ يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ المَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ [٢]، وَقَالُوا: لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلاَ يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلاَ يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ [٣] بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِصَلاَتِهِ وَلاَ يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَنْقَذِفُ [٤] عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ [٥] إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ، وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ، عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلاَةِ وَالقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا،

---

(١) أنا لك جار: أي أُجيرك وأمنعك ممن يؤذيك.

(٢) لم تكذب جواره: لم تَرُدّ جواره.

(٣) لبث: مكث.

(٤) ينقذف: يزدحم.

(٥) لايملك عينه: لا يمسكها من البكاء.

فَانْهَهُ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ[١]، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ[٢]، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لاَ أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ العَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» .[٣]

وأخرج ابن إسحاق في «السيرة»[٤] عن عائشة قَالَتْ: وَكَانَ لِأَبِي بَكْرٍ مَسْجِدٌ عِنْدَ بَابِ دَارِهِ فِي بَنِي جُمَحٍ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا، إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ اسْتَبْكَى. قَالَتْ: فَيَقِفُ عَلَيْهِ الصِّبْيَانُ وَالْعَبِيدُ وَالنِّسَاءُ، يَعْجَبُونَ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ هَيْئَتِهِ. قَالَتْ: فَمَشَى رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى ابْنِ الدُّغُنَّةِ، فَقَالُوا (لَهُ): يَا بن الدُّغُنَّةِ، إِنَّكَ لَمْ تُجِرْ هَذَا الرَّجُلَ لِيُؤْذِيَنَا! إِنَّهُ رَجُلٌ إِذَا صَلَّى وَقَرَأَ مَا جَاءَ بِهْ مُحَمَّدٌ يَرِقُّ وَيَبْكِي، وَكَانَتْ لَهُ هَيْئَةٌ وَنَحْوٌ، فَنَحْنُ نَتَخَوَّفُ عَلَى صِبْيَانِنَا وَنِسَائِنَا وَضَعَفَتِنَا أَنْ يَفْتِنَهُمْ، فَأْتِهِ فَمُرْهُ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فَلْيَصْنَعْ فِيهِ مَا شَاءَ.

قَالَتْ: فَمَشَى ابْنُ الدُّغُنَّةِ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ:يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي لَمْ أُجِرْكَ لِتُؤْذِيَ قَوْمَكَ، إِنَّهُمْ قَدْ كَرِهُوا مَكَانَكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، وَتَأَذَّوْا بِذَلِكَ مِنْكَ، فَادْخُلْ بَيْتَكَ، فَاصْنَعْ

---

(١) ذمتك: أمانك له.

(٢) نخفرك: نغدر بك .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٣٩٠٥) .

(٤) في سيرة «ابن إسحاق » ص٢٣٥ بسندٍ حسن وعنه نقلها ابن هشام في السيرة »(١/ ٣٧٤).

فِيهِ مَا أَحْبَبْتَ، قَالَ: أَوَأَرُدُّ عَلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ؟ قَالَ: فَارْدُدْ عَلَيَّ جِوَارِي، قَالَ: قَدْ رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ. قَالَتْ: فَقَامَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ قَدْ رَدَّ عَلَيَّ جِوَارِي فَشَأْنُكُمْ بِصَاحِبِكُمْ.

قصة رجوع من رجع من الحبشة إلى مكة حين بلغهم أن أهل مكة قد أسلموا

أخرج البخاري [1] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ».

وفي رواية ابن مسعود [2] رضي الله عنه قَالَ:

« قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ النَّجْمَ بِمَكَّةَ فَسَجَدَ فِيهَا وَسَجَدَ مَنْ مَعَهُ غَيْرَ شَيْخٍ أَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصًى - أَوْ تُرَابٍ - فَرَفَعَهُ إِلَى جَبْهَتِهِ، وَقَالَ: يَكْفِينِي هَذَا، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا».

والواضح أن رسول ﷺ كان مُقبلاً على كفارِ قريش يدعوهم إلى الإسلام؛ ولعل هذا كان في الموقف الذي شُغل فيه ﷺ عن ابن أم مكتوم، ونزل قولُه تعالى معاتبة لنبيِّه ﷺ: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ ﴾ عبس. لكونه كان

(١) في «صحيحه» برقم (١٠٧١).

(٢) فيما أخرجه البخاري (١٠٦٧) ومسلم (٥٧٦).

يطمع ﷺ في إسلام كبار كفار قريش.[1] فوهم النَّاقِلَ، لَمَّا رَأَى الْمُشْرِكِينَ قَدْ سَجَدُوا مُتَابَعَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ اعْتَقَدَ أَنَّهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا وَاصْطَلَحُوا مَعَهُ وَلَمْ يَبْقَ

---

(١) أعنى ما أخرجه الترمذي(٣٣٣١)، عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: أُنْزِلَ: {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس: ١] فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الآخَرِ، وَيَقُولُ: «أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟»فَيَقُولُ: لَا، فَفِي هَذَا أُنْزِلَ .

ومال البخاري فيما حكاه عنه الترمذي في «العلل الكبير»(٦٦٧)، إلى ترجيح المرسل فيه، وله طرق أخرى مرسلة .

وكلمة العلماء شبه مُطبقة على أن الآية نزلت في شأن ابن أم مكتوم انشغل عنه رسول الله ﷺ ببعض عظماء قريش فنزلت الآ ية .

فثَمَّ رواية عَنْ أَبِي بِشْرٍ عَنْهُ قَالَ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ وَالنَّجْمُ فَلَمَّا بَلَغَ أَفَرَأَيْتُمُ اللات والعزى وَمَنَاة الثَّالِثَة الْأُخْرَى أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: مَا ذَكَرَ آلِهَتَنَا بِخَيْرٍ قَبْلَ الْيَوْمَ فَسَجَدَ وَسَجَدُوا فَنَزَلَتْ هَذِه الْآيَة ، ولا تصح بل هي قصة منكرة يردُّها قوله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ الكافرون.

وسياق رواية البيهقي في «الدلائل»(٢/ ٢٨٦) فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سُورَةَ النَّجْمِ قَالَ: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى أَلْقَى الشَّيْطَانُ عِنْدَهَا كَلِمَاتٍ حِينَ ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آخِرَ الطَّوَاغِيتِ، فَقَالَ: «**وَإِنَّهُنَّ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَهِيَ الَّتِي تُرْتَجَى**» وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سَجْعِ الشَّيْطَانِ وَفِتْنَتِهِ، فَوَقَعَتْ هَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُشْرِكٍ بِمَكَّةَ، وَزَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ وَتَبَاشَرُوا

نِزَاعٌ بَيْنَهُمْ، فَطَارَ الْخَبَرُ بِذَلِكَ وَانْتَشَرَ حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها، فَظَنُّوا صِحَّةَ ذَلِكَ فَأَقْبَلَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ طَامِعِينَ بِذَلِكَ، وَثَبَتَتْ جَمَاعَةٌ وَكِلَاهُمَا مُحْسِنٌ مُصِيبٌ فِيمَا فَعَلَ.(١)

هذا حاصل ما ورد في سبب رجوعهم من الحبشة إلى مكة بعد هجرتهم.

قصة المقاطعة الظالمة

اجتمع أولئك الكفار في خيف بني كنانة ، وتحالفوا على إخراج النبي ﷺ، وكتبوا الصحيفة على مقاطعة بني هاشم والمطلب؛وذلك لمَّا رأو الصحابة أمنوا عند النجاشي،وعددهم يتزايد مع رسول الله ﷺ، وأسلم عمر، وحمزة وغيرُهما ، والإسلام يفشوا في القبائل .....

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الغَدِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَهُوَ بِمِنًى: «**نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الكُفْرِ**» يَعْنِي ذَلِكَ المُحَصَّبَ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ،

=

بِهَا، وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ رَجَعَ إِلَى دِينِهِ الْأَوَّلِ وَدِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ الله ﷺآخِرَ النَّجْمِ سَجَدَ، وَسَجَدَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ مُشْرِكٍ، غَيْرَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا رَفَعَ مِلْءَ كَفَّيْهِ تُرَابًا فَسَجَدَ عَلَيْهِ.

ولا أجد من هذا شيئاً يصح وأكثره مراسيل ، ولكن أحببت أن لا أُخلي المقام من التنبيه على ذلك لشهرته حت ردَّده القُصَّاص والله أعلم .

(١)وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية»(٣/ ٩٨) وغيره.

تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ[١] وَبَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، أَوْ بَنِي المُطَّلِبِ[٢]: أَنْ لاَ يُنَاكِحُوهُمْ وَلاَ يُبَايِعُوهُمْ، حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ ﷺ.[٣]

فدلَّ على مكان التحالف الغاشم الجائر .

وفي حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ:

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ تَنْزِلُ غَدًا فِي حَجَّتِهِ؟ قَالَ: «**وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَنْزِلًا؟**»، ثُمَّ قَالَ: «**نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ المُحَصَّبِ، حَيْثُ قَاسَمَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الكُفْرِ**»، وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي كِنَانَةَ حَالَفَتْ قُرَيْشًا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ، أَنْ لاَ يُبَايِعُوهُمْ، وَلاَ يُؤْوُوهُمْ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَالخَيْفُ: الوَادِي.[٤]

نقض الصحيفة الظالمة

أورد ابْنُ إِسْحَاقَ: أن هشام بن عمرو بن ربيعة مَشَى إِلَى زُهير بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمر بْنِ مَخْزُوم. وَكَانَتْ أُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا زُهير، أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ وَتَلْبَسَ الثياب، وتَنكح النِّسَاءَ، وأخوالُك حَيْثُ قَدْ علمتَ، لَا يُباعون وَلَا يُبتاع مِنْهُمْ، وَلَا يَنكحون وَلَا يُنكح

---

(١) وفي رواية عبد الرزاق في« المصنف »(٩٨٥١) «حالفوا بني بكرعلى بني هاشم »

(٢) يعني بني المطلب بغير عبد، وقال البخاري هذا ـ يعني بني المطلب ـ أشبه بالصواب.

ووجهه :لأن عبد المطلب هو ابن هاشم، فلفظ هاشم يغني عنه.

(٣) صحيح أخرجه البخاري (١٥٩٠) ومسلم (١٣١٤) .

(٤) صحيح أخرجه البخاري (٣٠٥٨) .

إِلَيْهِمْ؟ أَمَا إِنِّي أَحْلِفُ بِاَللهِ أَنْ لَوْ كَانُوا أخوالَ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ما رضوا بمثل ذلك ....، وفيه أن أبا جهل أخبرهم أن أمرهم قضي بليل وتُشُوِّرَ فيه بغير هذا المكان.

وأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أخبر أبا طَالِبٍ فقال له: يَا عَمِّ، إِنَّ رَبِّي اللهَ قَدْ سَلَّطَ الْأَرَضَةَ عَلَى صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ، فَلَمْ تَدَعْ فِيهَا اسْمًا هُوَ لله إِلَّا أَثْبَتَتْهُ فِيهَا، وَنَفَتْ مِنْهُ الظُّلْمَ وَالْقَطِيعَةَ وَالْبُهْتَانَ، فَقَالَ:

أَرَبُّكَ أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟

قَالَ: نعم، قَالَ: فوالله مَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ أَحَدٌ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ ابْنَ أَخِي أَخْبَرَنِي بِكَذَا وَكَذَا، فَهَلُمَّ صَحِيفَتَكُمْ، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ أَخِي، فَانْتَهُوا عَنْ قَطِيعَتِنَا، وَانْزِلُوا عَمَّا فِيهَا، وَإِنْ يَكُنْ كَاذِبًا دَفَعْتُ إِلَيْكُمْ ابْنَ أَخِي، فَقَالَ الْقَوْمُ: رَضِينَا، فَتَعَاقَدُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ نَظَرُوا، فَإِذَا هِيَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ شَرًّا. وشُلَّت يد منصور بن عكرمة كاتب الصحيفة فَعِنْدَ ذَلِكَ سَعَى الرَّهْطُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ مَا صَنَعُوا .

ومع شهرته هذا الخبر في كتب«التاريخ»، و«السير»فلم أقف له على إسناد ثابت فالله أعلم أي ذلك كان .[1]

(١) واشتهر أيضاً أن النبي ﷺ كان دخل في جوار المطعم بن عدي، وأن له مواقف حسنة مع رسول الله ﷺ، حتىٰ استُدل لها بما رواه البخاري (٣١٣٩)، عن جبير بن مطعم ا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أُسَارَىٰ بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَىٰ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ».

عدم صحة قصة

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه

ذكر هذه القصة ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السيرة» قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، عَلَى مَا يَرَى مِنْ قَوْمِهِ، يَبْذُلُ لَهُمْ النَّصِيحَةَ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّجَاةِ مِمَّا هُمْ فِيهِ. وَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ، حِينَ مَنَعَهُ اللهُ مِنْهُمْ، يُحَذِّرُونَ منهُ النَّاسَ وَمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْعَرَبِ.

=

قيل لقيامه في نقض الصحيفة الظالمة، ووجدوا الأرضة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم»، وذُكر أيضاً أن رسول الله ﷺ دخل في جوار المطعم بن عدي، فحكى ابن كثير في«البداية والنهاية»(٣/ ١٤٨)، أن الْأُمَوِيُّ ذَكَرَ فِي «مَغَازِيهِ»: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بعث أُرَيْقِط إِلَى الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُجِيرَهُ بِمَكَّةَ. فَقَالَ: إِنَّ حَلِيفَ قُرَيْشٍ لَا يُجِيرُ عَلَى صَمِيمِهَا. ثُمَّ بَعَثَهُ إِلَى سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو لِيُجِيرَهُ فَقَالَ: إِنَّ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ لَا تُجِيرُ عَلَى بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ. فَبَعَثَهُ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ لِيُجِيرَهُ فَقَالَ نَعَمْ! قُلْ لَهُ فَلْيَأْتِ. فَذَهَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَبَاتَ عِنْدَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَ مَعَهُ هُوَ وَبَنُوهُ سِتَّةٌ- أَوْ سَبْعَةٌ- مُتَقَلِّدِي السُّيُوفَ جَمِيعًا فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَقَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: طُفْ وَاحْتَبَوْا بِحَمَائِلِ سُيُوفِهِمْ فِي الْمَطَافِ، فَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ إلى المطعم. فقال: أمجير أو تَابِعٌ ؟ قَالَ لَا بَلْ مُجِيرٌ. قَالَ إِذًا لَا تُخْفَرُ. فَجَلَسَ مَعَهُ حَتَّى قَضَى رَسُولُ الله ﷺ طَوَافَهُ، فَلَمَّا انصرف انصرفوا معه. وذهب أبوسُفْيَانَ إِلَى مَجْلِسِهِ. قَالَ فَمَكَثَ أَيَّامًا ثُمَّ أُذِنَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ، فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ الله ﷺإِلَى الْمَدِينَةِ توفى المطعم بْنُ عَدِيٍّ بَعْدَهُ بِيَسِيرٍ فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَالله لَأَرْثِيَنَّهُ.

قال ابن كثير: ولهذا قال النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ».

وَكَانَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ يُحَدِّثُ: أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِهَا، فَمَشَى إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الطُّفَيْلُ رَجُلًا شَرِيفًا شَاعِرًا لَبِيبًا، فَقَالُوا لَهُ: يَا طُفَيْلُ، إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلَادَنَا، وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَدْ أَعْضَلَ بِنَا، وَقَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتْ أَمْرَنَا، وَإِنَّمَا قَوْلُهُ كَالسِّحْرِ يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَبِيهِ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ، وَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مَا قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا، فَلَا تُكَلِّمَنَّهُ وَلَا تَسْمَعَنَّ مِنْهُ شَيْئًا.

قَالَ: فو الله مَا زَالُوا بِي حَتَّى أَجْمَعْتُ أَنْ لَا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا أُكَلِّمَهُ، حَتَّى حَشَوْتُ فِي أُذُنَيَّ حِينَ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ كُرْسُفًا فَرَقًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ. قَالَ: فَغَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ. قَالَ: فَقُمْتُ مِنْهُ قَرِيبًا، فَأَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ. قَالَ: فَسَمِعْتُ كَلَامًا حَسَنًا. قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي:

وَاثكل أُمِّي، وَاللهِ إِنِّي لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شَاعِرٌ مَا يَخْفَى عَلَيَّ الْحَسَنُ مِنْ الْقَبِيحِ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ! فَإِنْ كَانَ الَّذِي يَأْتِي بِهْ حَسَنًا قَبِلْتُهُ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا تَرَكْتُهُ.

قَالَ: فَمَكَثْتُ حَتَّى انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ[1]، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي قَالُوا، فو الله مَا بَرِحُوا يُخَوِّفُونَنِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنَيَّ بِكُرْسُفٍ لِئَلَّا أَسْمَعَ قَوْلَكَ، ثُمَّ أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي قَوْلَكَ، فَسَمِعْتُهُ قَوْلًا حَسَنًا، فَاعْرِضْ عَلَيَّ أَمْرَكَ. قَالَ:

(١) كذا لم يذكر استئذان.

فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَلَا وَاللهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ.

قَالَ: فَأَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي امْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي، وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ، وَدَاعِيهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً تَكُونُ لِي عَوْنًا عَلَيْهِمْ فِيمَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً**».

قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى قَوْمِي، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِثَنِيَّةٍ تُطْلِعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ مِثْلُ الْمِصْبَاحِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي، إِنِّي أَخْشَى، أَنْ يَظُنُّوا أَنَّهَا مُثْلَةٌ وَقَعَتْ فِي وَجْهِي لِفِرَاقِي دِينَهُمْ. قَالَ: فَتَحَوَّلَ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوْطِي. قَالَ: فَجَعَلَ الْحَاضِرُ يَتَرَاءَوْنَ ذَلِكَ النُّورَ فِي سَوْطِي كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ، وَأَنَا أَهْبِطُ إِلَيْهِمْ مِنْ الثَّنِيَّةِ، قَالَ: حَتَّى جِئْتُهُمْ فَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ.

قَالَ: فَلَمَّا نَزَلْتُ أَتَانِي أَبِي، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قَالَ: فَقُلْتُ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا أَبَتِ، فَلَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي، قَالَ: وَلِمَ يَا بُنَيَّ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَسْلَمْتُ وَتَابَعْت دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، فَدِينِي دِينُكَ، قَالَ: فَقُلْتُ: فَاذْهَبْ فَاغْتَسِلْ وَطَهِّرْ ثِيَابَكَ، ثُمَّ تَعَالَ حَتَّى أُعَلِّمَكَ مَا عُلِّمْتُ. قَالَ:

فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ، وَطَهَّرَ ثِيَابَهُ. قَالَ: ثُمَّ جَاءَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، فَأَسْلَمَ.

قَالَ : ثُمَّ أَتَتْنِي صَاحِبَتِي، فَقُلْتُ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَلَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي، قَالَتْ: لِمَ؟ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، **قَالَ: قُلْتُ**: قَدْ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْإِسْلَامُ، وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَتْ: فَدِينِي دِينُكَ، قَالَ: قُلْتُ:فَاذْهَبِي فَتَطَهَّرِي مِنْهُ....الأثر.[1].

وهذه القصة لم أقف لها على سند صحيح على شهرتها، وهي من مواد القُصَّاص، وذكر نحوها الحافظ في «الإصابة» في ترجمته، وعزاه للطبري، من طريق ابن الكلبي، مختصرة.

وإن كثيراً من الناس اليوم يُفعل معه نحو هذا حتى يصير المسكين أُلعوبة في أيدي أهل الهوى ، يردِّدُ ما يُقَرقَر في أذنه مما لا يعلم له بيِّنة ، إلغاء للعقول وعدم اعتناء بالفهوم عصمنا الله والقارئين .

والذي يُجزم به ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه [2]قَالَ: قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ، عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا،فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ**».

---

(١) حكاه ابن هشام في«السيرة» (١/ ٣٦٠)عن ابن إسحاق ، كذا رواه عن ابن إسحاق بسندٍ مرسل ، أو منقطع، وكذا رواها البيهقي في«الدلائل»(٥/ ٣٦٠)، وأبو نعيم في «الدلائل»أيضاً(١٩١)، ثم غيرهما ينقل كلهم عن ابن إسحاق هكذا ثم ينقله اللاحق من السابق ولا تحقيق ولا تنبيه.. أفهكذا يكون العلم؟ والخبر الضعيف إن خدم جانباً من الشريعة هدم جوانب في شرح يطول فأوردت القصة لأبين ذلك نسأل الله أن يجعلنا من الصادقين.

(٢)رواه البخاري (٢٩٣٧) ومسلم »(٢٥٢٤)

الهموم تتوالى على رسول الله ﷺ (١)

وتتوالى الهموم على رسول الله ﷺ من جهات عدَّة :

أولاً:استعصاء كفار قريش على رسول الله ﷺ

عن عَبْد اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ(٢): إِنَّمَا كَانَ هَذَا، لِأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حَتَّى أَكَلُوا العِظَامَ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الجَهْدِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ. يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان: ١١] قَالَ: فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ: اسْتَسْقِ اللهَ لِمُضَرَ، فَإِنَّهَا قَدْ هَلَكَتْ، قَالَ: «لِمُضَرَ؟ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ» فَاسْتَسْقَى لَهُمْ فَسُقُوا، فَنَزَلَتْ: {إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان: ١٥] فَلَمَّا أَصَابَتْهُمُ الرَّفَاهِيَةُ عَادُوا إِلَى حَالِهِمْ حِينَ أَصَابَتْهُمُ الرَّفَاهِيَةُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ

---

(١) والله تعالى لا يبتلي عبده المحبوب ليهلكه، وإنما يبتليه ليربِّيه، ويرقِّيه، ويرفع قدره، ويعلي درجته، ويُظهر حياطته له، وحمايته، ولذلك يُضَيِّق عليه باباً ، ويفتح عليه أبواباً .

فاللهم أشفق علينا وربِّنا، ودبِّر لنا، فإنا لا نُحسن التدبير.

وقد يتضايق المرء من البلاء، وتَسوَدّ الدنيا في وجهه، وهو يغفل عن وجه الحكمة ، إلا بعد ، وقد لا يفهمها بعد. فاللهم لا تكِلنا إلى أنفسنا فنعجز عنها، ولا تكِلنا إلى خلقِك فيضيِّعونا.

(٢) فيما أخرجه البخاري (٤٨٢١) ومسلم (٢٧٩٨) .

الكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ} [الدخان: ١٦] قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ.(١)

وفي رواية عنه(٢) قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا، قَالَ: «اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ»، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الجُلُودَ وَالمَيْتَةَ وَالجِيَفَ، وَيَنْظُرُ أَحَدُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرَى الدُّخَانَ مِنَ الجُوعِ، فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَبِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا(٣)، فَادْعُ اللهَ لَهُمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ}

---

(١) وسبب مقولة ابن مسعود رضي الله عنه هذه ما رواه مَسْرُوقٌ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِي كِنْدَةَ، فَقَالَ: يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ المُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ، يَأْخُذُ المُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ، فَفَزِعْنَا، فَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَغَضِبَ فَجَلَسَ، فَقَالَ: مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ العِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لاَ يَعْلَمُ: لاَ أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ}، وَإِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَئُوا عَنِ الإِسْلاَمِ ....

أخرج هذا البخاري (٤٧٧٤) ومسلم (٢٧٩٨).

(٢) وهي في صحيح البخاري (١٠٠٧) ومسلم (٢٧٨٩) .

(٣) انظر ماذا يقول أبو سفيان هنا، ثم تراه يقول يوم أُحد: أفيكم محمد، أفيكم أبو بكر، أفيكم عمر، يوم بيوم بدر، الحرب سجال، أعل هبل، لنا العزىٰ ولا عزىٰ لكم !!.كما في «صحيح البخاري»(٣٠٣٩) وسيأتي في سياق غزوة أحد إن شاء الله، وعلامة المبطل التناقض.

تشابت قلوبهم مع قلوب بني إسرائيل، فرعون وقومه حين أخذهم العذاب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ

[الدخان: ١٠] إِلَى قَوْلِهِ {إِنَّكُمْ عَائِدُونَ يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى، إِنَّا مُنْتَقِمُونَ} [الدخان: ١٦]» فَالْبَطْشَةُ: يَوْمَ بَدْرٍ.

ثانياً : وفاة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين في نفس العام[١]

في السنة العاشرة من البعثةالنبوية، توفيت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها . قَالَ:

«تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ بِثَلاَثِ سِنِينَ، فَلَبِثَ سَنَتَيْنِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، وَنَكَحَ[٢] عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ بَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ». [٣]

= لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ الأعراف.

أهذه هي الأصالة وحفظ الجميل الذي يَتغنىٰ به كفار قريش، أم أنه الكفر والهوىٰ، فهل مقابلة الجميل والخير تكون الإساءة، وقتل الأتباع وتهجيرهم وإخراجهم من بيوتهم بغير ذنب..، هل هذا من شيم الكرام الذي يتغنَّون به ويفتخرون به أمام من يأتي إلى البيت الحرام من العالمين؟ !.تصيبهم الحسنة يقولون لنا هذه ، تصيبهم السيئة يطَّيَّروا بموسىٰ عليه السلام ومن معه تارة ، وأخري يقولون يا أيها الساحر: أي يا أيها العالم، يسألوه أن يدعو لهم ربه !

(١) وقد قيل: أنها توفيت قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة فالله أعلم.

(٢) معنىٰ نكح هنا: أي عقد عليها، ليس بمعنىٰ الدخول، بدلالة السياق.

(٣) وهذا صحيح أخرجه البخاري (٣٨٩٦) .

فانكسر حاجز السن وفارقه- فلا يُعَوَّل، وقويت الرابطة أكثر بينه وبين صاحبه أبي بكر رضي الله عنه .

تلك التي بشَّرها النبي ﷺ ببيت من قصب لا نصب فيه ولا صخب، الطاهرة التي كان ﷺ يذكرها فيقول: «**إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**»(١).

أقرأها الله السلام، وأقرأها جبريل السلام.

خير نسائها رضي الله عنها، بل من أفضل نساء أهل الجنة، معدودة من نساء العالمين الأفاضل.

كم ثبَّتَ النبي ﷺ في مبدأ بعثته لم تُحوج النبي ﷺ إلى مشقَّة، ولاعناء، وقامت معه بخير ما تقوم به زوجة مع زوجها رضي الله عنها، فكم انتفع بها، لم ترفع صوتها عليه ﷺ، ولم تتعبه يومـًا من الدهر، ولم تصخب عليه يومـًا، ولا آذته أبداً، ولم يتزوج رسول الله ﷺ عليها حتى ماتت .(٢)

فهذا عام الحزن الذي توفيت خديجة رضي الله عنها .

ثالثاً: وفاة أبي طالب الذي كان يحوط رسول الله ﷺ ويمنعه من أذى المشركين.

فعَنْ المُسَيِّبِ بن حزن، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، فَقَالَ: « **أَيْ عَمِّ قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا الله كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ** » فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِهِ

---

(١) وهذا في صحيح البخاري (٣٨١٨).

(٢) ففي «صحيح مسلم»(٢٤٣٦) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ».

بِتِلْكَ المَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» فَأَنْزَلَ اللهُ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} [التوبة: ١١٣] وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦].(١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّهِ: « **قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »، قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦].(٢)

كذا يفعل التعصب بأهله، والعياذ بالله، فما أقبح التعصب وآثاره الذميمة على الفرد والجماعة.

وقد ورد عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ قَالَ: فَقَالَ: «**انْطَلِقْ فَوَارِهِ، ثُمَّ لَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي**» قَالَ: فَوَارَيْتُهُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَأَمَرَنِي، فَاغْتَسَلْتُ، ثُمَّ دَعَا لِي بِدَعَوَاتٍ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهِنَّ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، وهذا لا يصح.(٣)

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٢٧٧٢) ومسلم (٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥).

(٣) ولكن في إسناده كلام، وقد أورده ابن القيم في «النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة »،رقم (١٦٢).

وكيف يذهب للنبي ﷺ يخبره بوفاة عمه أبي طالب، والذي في « الصحيحين » كما تقدم: أن النبي ﷺ كان عنده في اللحظات الأخيرة، وعرض عليه أن يقول : «لاإله إلا الله »وأبى أن يقولها ، وظلَّ كذلك حتى مات، وكان آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ به: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ} [التوبة: ١١٣] الآيَةَ؟! فرسول الله من أوائل من علم بوفاته، فكيف ينتظر حتى يخبره على رضي الله عنه بوفاة عمِّه.

كيف يخبره على رضي الله عنه بوفاة عمه وهو كان معه حين مات؟!

فهذا يؤكِّد عدم ثبوته.

ولكونه مات كافراً لاتنفعه شفاعة الشافعين، وإنما له شفاعة خاصة: أنه فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ.(١)

=

وإنما أردتُ التنبيه على عدم ثبوته لشهرته، وبعض أهل العلم حسنه لبعض طرقه، كالذهبي في« تاريخ الإسلام»(١/ ٦١٣) و«السير»(١/ ١٩٣)، مع أن في الإسناد الذي ساقه ناجية بن كعب، فيه مقال، وقد ذكر في ترجمته من تاريخ الإسلام (٢/ ١٠١٢)، قول ابن أبي حاتم، عن أبيه: شيخ.

ولذلك ضعَّف هذا الحديث النووي في المجموع (٥/ ٢٨١)، والبيهقي في «السنن »(١/ ٤٥٤)، وقال عقب الرواية:« في إسناده بعض الشيء، رواه أبوسحاق عن ناجية».

وقول من ضعَّفه أولى والله أعلم .

(١) كما في صحيح البخاري (٣٨٨٥) ومسلم (٢١٠) .

كذا مات الذي كان يحوطه ، ويدافع عنه ، فما نالت قريش منه ﷺ حتى مات أبو طالب

وأما ما ورد: من أن العباس نظر إلى أبي طالب فإذا هو يحرك شفتيه، فأصغى إليه بإذنه فقال له: يا ابن أخي والله لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها فقال ﷺ «لم أسمع».

واستدل به بعض من ذهب من الشيعة، وغيرهم من الغلاة، إلى أن أبا طالب مات مسلمـًا، لقول العباس رضي الله عنه هذا الحديث.

والجواب: أن السند بذلك فيه مبهم لا يُعرف حاله، كذا إبهام في الإسم والحال، ولقد قال السهيلي :

لم يقبل النبي ﷺ شهادة العباس لأخيه، أنه قال الكلمة، وقال: «لم أسمع». لأن العباس كان آن ذاك كافراً غير مقبول الشهادة .

=

عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ».

وهذه من الشفاعة الخاصة بالتخفيف عن كافر، إذ الكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين، شفاعة خاصة بالنبي ﷺ، وخاصة بأبي طالب لا تخالف التقعيد العام في الكفار قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ المدثر: ٤٨. وليت القُصَّاص ينتهون عن الجزم لأبي طالب أو للأبوين بالإيمان قبَّح الله الجهل والكذب، أهُم أصدق من رسول الله ﷺ، أو أعظم أدباً مع الأبوين منه؟

قال ابن كثير [١] رحمه الله:

وَعِنْدِي أَنَّ الْخَبَرَ بِذَلِكَ مَا صَحَّ، لِضَعْفِ سَنَدِهِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي طَالِبٍ، فَذَكَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ.

حيث قال لرسول الله ﷺ مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ. قَالَ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**» [٢].

وبالتالي :

نال رسول الله ﷺ من كفار قريش ـ بطبيعة الحال ـ مالم يكن يناله ﷺ في حياة أبي طالب، ولقد تزامن .

فقدَ الأُنس، والرعاية من خديجة رضي الله عنها ، وتقدمت الاشارة إلى أنهما ماتا في عامٍ واحد، فحزن رسول الله ﷺ كذلك حزناً كبيراً، وتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب، ماتت التي كان يسكُن إليها، ومات الذي كان يحميه من كفار قريش، كلاهما في عامٍ واحد.

قيل: موت خديجه كان بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [١]:

---

(١) في«البداية والنهاية»(٣/ ١٣٤).

(٢) وهذا في صحيح مسلم (٢٠٩) عن الْعَبَّاس رضي الله عنه يَقُولُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ ...الحديث».

ثُمَّ إنَّ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ وَأَبَا طَالِبٍ هَلَكَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ، فتتابعت على رَسُولِ اللهِ -ﷺ- الْمَصَائِبُ بِهُلْك خَدِيجَةَ، وَكَانَتْ لَهُ وَزِيرَ صِدْق عَلَى الْإِسْلَامِ، يَشْكُو إِلَيْهَا؛ وبِهُلْك عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ لَهُ عَضَدًا وحِرْزًا فِي أَمْرِهِ، ومَنَعة وَنَاصِرًا عَلَى قَوْمِهِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ مُهاجره إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ. فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ، نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- مِنْ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى اعْتَرَضَهُ سفيهٌ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ، فَنَثَرَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا.

وقد جاء هذا في بعض الروايات صريحًا:

فقد أخرج ابن إسحاق، بإسنادٍ مرسل، أرجو أن يتقوى معناه بغيره عن عُرْوَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ:

لَمَّا نَثَرَ ذَلِكَ السَّفِيهُ عَلَى رَأْسِ رسول -ﷺ- ذَلِكَ التُّرَابَ، دَخَلَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- بَيْتَهُ وَالتُّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ، فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التُّرَابَ وَهِيَ تَبْكِي، وَرَسُولُ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ لَهَا: «**لَا تَبْكِي يَا بُنَيَّةِ، فَإِنَّ اللهَ مَانِعٌ أَبَاكَ**». قَالَ: وَيَقُولُ بَيْنَ ذَلِكَ: «**مَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ، حَتَّى مَاتَ أَبُو طالب**» [٢].

=

(١) كما في «السيرة النبوية»لابن هشام (١/ ٣٣٩).

(٢) هذا أخرجه ابن إسحاق - كما في «السيرة»لابن هشام(١/ ٣٤٠)- ثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ به.

وهو صحيح مرسل، وقد جاء هذا الإسناد موصولاً، عن عروة، عن عائشة؛ ولكن أخرجه البيهقي في«الدلائل»(٢/ ٣٥٠)، وفي الطريق مبهم، قال ابن اسحاق، عمن حدثه، عن عروة بن الزبير،

لاسيما وقد روى هِشَام بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: « **مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَاعَّةً حَتَّى تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ**» (١).

يريد أنه كان يحوط رسول الله ﷺ ويذبّ عنه، فكانت قريش تكع، وتجبن عن أذاه، كع الرجل عن الشيء، إذا جبن، وانقبض.

❁ ذهاب النبي ﷺ إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ:

« **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ(٢) مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ(٣)، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ،**

=

عن عبد الله بن جعفر : لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش فألقىٰ عليه تراباً فرجع إلىٰ بيته....الأثر.

(١) هذا أخرجه الحاكم(٢/ ٦٧٩)، من طريق الدوري، عن يَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ، ثنا عُقْبَةُ الْمُجَدَّرُ، عَنْ، هشام بن عروة، عن عروة به موصولاً.

ولكن أخرجه الدوري في « تاريخ ابن معين »(١٧٤)، والخطابي في«غريب الحديث»(١/ ١٢٩)، عن يحيي بن معين، عن عقبة المجدر،عن هشام بن عروة، عن عروة مرسلاً.

وتابعه يونس بن بكير فرواه عن هشام بن عروة، عن عروة مرسلاً.

فالصحيح المرسل، كما قال ابن عساكر في «تاريخه»(٦٦/ ٣٣٩)،عقبه:«المحفوظ المرسل».

(٢) لقيت من قومك: المراد من قومها قريش.

(٣) يوم العقبة: هو اليوم الذي وقف فيه النبي ﷺ عند العَقبة بمنىٰ، داعياً الناس إلىٰ الإسلام

فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي[١]، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[٢] فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ[٣]؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ».[٤]

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ:لَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ، عَمَدَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ، هُمْ يَوْمَئِذٍ سَادَةُ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ، وَهُمْ إِخْوَةٌ ثَلَاثَةٌ: عَبْدُ يَالَيْلَ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ غِيرَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَقِيفٍ، وَعِنْدَ أَحَدِهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ، وَكَلَّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ لَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ: هُوَ يَمْرُطُ[٥] ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللهُ أَرْسَلَكَ، وَقَالَ الْآخَرُ: أَمَا وَجَدَ اللهُ أَحَدًا

---

(١) على وجهي: باتجاه الجهة المواجهة لي.

(٢) فلم أستفق إلا بقرن الثعالب: لم أفطن لنفسي أنتبه لحالي، وقرن الثعالب: قرن المنازل.

(٣) الأخشبين: الأخشب من الجبال، والخشن الغليظ، وهما جبلا مكة: أَبُو قُبَيْسٍ، والجبل الذي يقابله.

(٤) صحيح أخرجه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (٧٩٥) .

(٥) يمرط: أي يمزق.

يُرْسِلُهُ غَيْرَكَ! وَقَالَ الثَّالِثُ: وَاللهِ لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا. لَئِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنْ اللهِ كَمَا تَقُولُ، لَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ الْكَلَامَ، وَلَئِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَى اللهِ، مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُكَلِّمَكَ. فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عِنْدِهِمْ وَقَدْ يئس من خبر ثَقِيفٍ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ- فِيمَا ذُكِرَ لِي-: إذَا فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاكْتُمُوا عَنِّي، وَكَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ عَنْهُ، فَيُذْئِرَهُمْ[1] ذَلِكَ عَلَيْهِ.

فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ، يَسُبُّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَأَلْجَئُوهُ إلَى حَائِطٍ لِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهُمَا فِيهِ، وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سُفَهَاءِ ثَقِيفٍ مَنْ كَانَ يَتْبَعُهُ، فَعَمَدَ إلَى ظِلِّ حَبَلَةٍ مِنْ عِنَبٍ[2]، فَجَلَسَ فِيهِ. وَابْنَا رَبِيعَةَ يَنْظُرَانِ إلَيْهِ، وَيَرَيَانِ مَا لَقِيَ مِنْ سُفَهَاءِ أَهْلِ الطَّائِفِ، وَقَدْ لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ- فِيمَا ذُكِرَ لِي- الْمَرْأَةَ الَّتِي مِنْ بَنِي جُمَحٍ، فَقَالَ لَهَا:

مَاذَا لَقِينَا مِنْ أَحْمَائِكَ.[3]

❁ الوارد أنهم لما لم يجيبوه انصرف ﷺ

فَأَتَى ظِلَّ شَجَرَةٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي،**

---

(١) يذئرهم: أي يحرِّشهم ويحرِّضهم .

(٢) الحبلة : أي قضبان العنب.

(٣) إسناده مرسل حسن أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة»لابن هشام (١/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣)، ثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ به ومحمد تابعي فالأثر مرسل أرجو أن يتقوىٰ إن شاء الله، بمرسل آخر أخرجه البيهقي في «الدلائل»(٤/ ٤١٤ ـ ٤١٥)، عن الزهري به.

وفيها تفريعات كيفية مجابهة الصبيان له ، واستهزاؤهم به، وفيه قصة عدَّاس التي سيأتي ذكرها بعد.

وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي، إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي أَوْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».(١)

قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ ابْنَا رَبِيعَةَ، عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ، وَمَا لَقِيَ، تَحَرَّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا، فَدَعَوْا غُلَامًا لَهُمَا نَصْرَانِيًّا، يُقَالُ لَهُ عَدَّاسٌ، فَقَالَا لَهُ: خُذْ قِطْفًا (مِنْ هَذَا) الْعِنَبِ، فَضَعْهُ فِي هَذَا الطَّبَقِ، ثُمَّ اذْهَبْ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَقُلْ لَهُ يَأْكُلُ مِنْهُ.

فَفَعَلَ عَدَّاسٌ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُلْ، فَلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ يَدَهُ، قَالَ: «**بِاسْمِ اللهِ**، ثُمَّ أَكَلَ، فَنَظَرَ عَدَّاسٌ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمِنْ أَهْلِ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ، وَمَا دِينُكَ؟**» قَالَ: نَصْرَانِيٌّ، وَأَنَا رَجُلٌ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الدعاء»(١٠٣٦)، و«الكبير»(١٣/ ٧٣)، والضياء في«المختارة»(١٦٢)، من طريق مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُجِيبُوهُ، فَانْصَرَفَ فَأَتَى ظِلَّ شَجَرَةٍ.....الأثر.

وإسناده حسن لولا عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس.

وله سندٌ آخر مرسل من وجه آخر، رواه ابن إسحاق كما في «السيرة»لابن هشام (١/ ٣٤٢)، من طريق محمد بن كعب القرظي، به مطولاً، فأرجوا أن يتقوى به .

مِنْ أَهْلِ نِينَوَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**، فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ، فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ .

قَالَ: يَقُولُ ابْنَا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَمَّا غُلَامُكَ فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ. فَلَمَّا جَاءَهُمَا عَدَّاسٌ، قَالَا لَهُ: وَيْلَكَ يَا عدّاس! مَا لَك تُقَبِّلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ؟ قَالَ: يَا سَيِّدِي مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ مَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَا لَهُ: وَيْحَكَ يَا عَدَّاسُ، لَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْ دِينِكَ، فَإِنَّ دِينَكَ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ.(١)

وفي تحسين الرواية هذه نظر ، لكن ليس بمستبعد حصول ذلك منهم ، وهو من التناقض العجيب...«دينك – يعني النصراني- خير من دينه » !

فما لكما لا تدخلان في دينه النصراني بدلاً من عبادة الأحجار وما أنتما عليه من دين مُخترعٍ نُسِبَ إلى إبراهيم ﷺ ظلمـًا ؟!

أم أن عبادة الأحجار – التي أنتما عليها- أفضل من أي دين مطلقـًا؟!

لعلَّه عندهما كذلك، ودليل ذلك أنهما صارا بها معدِّلَين مَجَرِّحَين، مُصَوِّبَين

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة»لابن هشام (١/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣)، من طريق مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ به بسندٍ حسن مرسل .

وثم طريق آخر من مرسل الزهري أخرجه البيهقي في «الدلائل»(٤/ ٤١٤)، من طريق موسى بن عقبة عن الزهري به.

مخطِّئين، محسِّنَين مقبِّحَين للأديان، وأتباع المِلَل، فيا للعجب!

ثم ترجموا ذلك عملياً بتعاونهم مع اليهود في غزوة الأحزاب ضد المسلمين، مع أنهم ليسوا على ملَّتهم بل ملة اليهود والنصارى تعاديهم وتكفِّرهم!

أم أن ملة اليهود أفضل من ملة محمد ﷺ ؟

أصحاب تلوُّن، يتعاونون مع الخونة لبلادهم، وجيرانهم .

المهم حرب الرجل الذي هو منهم عزُّه عزهم وشرفه شرفهم إذ هو منهم نسباً، وجيرة، فما بال العصبية لا تعمل عملها هنا- شاهت الوجوه- ؟!

ولا عجب فكل منهما يثني على الآخر، واليهود قال قائلهم للذين كفروا- من عُبَّاد الأصنام-: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا. ملل الكفر تُثني على بعضها! تشابهت القلوب، فتشابه الكلام .

❁ تزوج النبي ﷺ عائشة ثم سودة بنت زمعة رضي الله عنهما [١]

أخرج أحمد [٢] بإسنادٍ حسن عن أَبي سَلَمَةَ، وَيَحْيَى [٣]، قَالَا:

---

(١) وكان ذلك بعد وفاة خديجة رضي الله عنها بثلاث سنوات، ففي «صحيح البخاري»(٣٨١٧) ومسلم (٢٤٣٥)، قول عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِيَّاهَا»، قَالَتْ: « وَتَزَوَّجَنِي بَعْدَهَا بِثَلاَثِ سِنِينَ، ...»الحديث .

(٢) في «المسند»(٢٥٧٦٩).

(٣) الصورة صورة المرسل، ولكن في رواية النسائي في «الكبرى»(١٣٧٨٤)، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، قال: قالت عائشة .

لَمَّا هَلَكَتْ خَدِيجَةُ، جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تَزَوَّجُ؟ قَالَ: «مَنْ ؟» قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا، وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا؟ قَالَ: «**فَمَنِ الْبِكْرُ؟**» قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: «**وَمَنِ الثَّيِّبُ؟**» قَالَتْ: سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، آمَنَتْ بِكَ، وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ، قَالَ: «**فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ**»، فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: انْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى يَأْتِيَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ؟ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ، فَرَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: «**ارْجِعِي إِلَيْهِ فَقُولِي لَهُ: أَنَا أَخُوكَ، وَأَنْتَ أَخِي فِي الْإِسْلَامِ، وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي**»، فَرَجَعَتْ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: انْتَظِرِي وَخَرَجَ، قَالَتْ أُمُّ رُومَانَ: إِنَّ مُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَى ابْنِهِ، فَوَاللهِ مَا وَعَدَ وَعْدًا قَطُّ، فَأَخْلَفَهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَتَى، فَقَالَتْ يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ لَعَلَّكَ مُصْبِئُ صَاحِبِنَا مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، إِنْ تَزَوَّجَ إِلَيْكَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُطْعِمِ ابْنِ عَدِيٍّ: أَقَوْلُ هَذِهِ تَقُولُ، قَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، وَقَدْ أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَتِهِ الَّتِي وَعَدَهُ فَرَجَعَ، فَقَالَ لِخَوْلَةَ:

=

ومن ثم حسَّن إسناده الذهبي في«السيرة»(١/ ٢٣٠)، وغيره وهوكذلك لحال محمد بن عمرو أحد رواته ، والله أعلم .

ادْعِي لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَدَعَتْهُ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتٍّ سِنِينَ، ثُمَّ خَرَجَتْ فَدَخَلَتْ عَلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، فَقَالَتْ: مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَتْ: مَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُكِ عَلَيْهِ، قَالَتْ: وَدِدْتُ ادْخُلِي إِلَى أَبِي فَاذْكُرِي ذَاكَ لَهُ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قَدْ أَدْرَكَتْهُ السِّنُّ، قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَحَيَّتْهُ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ، قَالَ: فَمَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَخْطُبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ، قَالَ: كُفْءٌ كَرِيمٌ، مَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكِ؟ قَالَتْ: تُحِبُّ ذَاكَ، قَالَ: ادْعُهَا لِي فَدَعَتْهَا، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ إِنَّ هَذِهِ تَزْعُمْ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَرْسَلَ يَخْطُبُكِ، وَهُوَ كُفْءٌ كَرِيمٌ، أَتُحِبِّينَ أَنْ أُزَوِّجَكِ بِهِ، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: ادْعِيهِ لِي، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، فَجَاءَهَا أَخُوهَا عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ مِنَ الْحَجِّ، فَجَعَلَ يَحْثِي عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابَ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ: لَعَمْرُكَ إِنِّي لَسَفِيهٌ يَوْمَ أَحْثِي فِي رَأْسِي التُّرَابَ أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ[1]، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ مِنَ الْخَزْرَجِ فِي السُّنْحِ[2]، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَخَلَ بَيْتَنَا وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَنِسَاءٌ فَجَاءَتْ بِي أُمِّي وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ[3] بَيْنَ عَذْقَيْنِ[1] تَرْجَحُ بِي،

(١) انظر كيف صنع الإسلام فيه، كأنه كان سكراناً يوم أن كره جداً زواج رسول الله ﷺ من أخته، ولما أسلم قال ما قال، فالإسلام ينوِّر العقل ويوسِّع مدارك الفهم ،ولذلك أمثلة يطول ذكرها .

(٢) السنح : مكان بعوالي المدينة فيه منازل بني الحارث بن الخزرج.

(٣) الأرجوحة: حبل يُشَدّ طرفاه من موضع ما ثم يركبه الإنسانيُ ويُحَرَّك وهو فيه، سمي به لتحركه مجيئة وذهاب .

فَأَنْزَلَتْنِي مِنَ الْأُرْجُوحَةِ، وَلِي جُمَيْمَةٌ[٢] فَفَرَقَتْهَا، وَمَسَحَتْ وَجْهِي بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ تَقُودُنِي حَتَّى وَقَفَتْ بِي عِنْدَ الْبَابِ، وَإِنِّي لَأَنْهَجُ[٣] حَتَّى سَكَنَ مِنْ نَفْسِي، ثُمَّ دَخَلَتْ بِي فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ فِي بَيْتِنَا، وَعِنْدَهُ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَجْلَسَتْنِي فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُكِ فَبَارَكَ اللهُ لَكِ فِيهِمْ، وَبَارَكَ لَهُمْ فِيكِ، فَوَثَبَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، فَخَرَجُوا وَبَنَى بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِنَا، مَا نُحِرَتْ عَلَيَّ جَزُورٌ، وَلَا ذُبِحَتْ عَلَيَّ شَاةٌ، حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِجَفْنَةٍ[٤] كَانَ يُرْسِلُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذَا دَارَ إِلَى نِسَائِهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ».

وقد رأى رسول الله ﷺ عائشة[٥] قبل أن يتزوجها في رؤياه، فكان زواجه لها بالوحي[٦]. **فعَنْ عَائِشَةَ** رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهَا: «**أُرِيتُكِ فِي المَنَامِ مَرَّتَيْنِ، أَرَى**

=

(١) العذق: النخلة.

(٢) جميمة: الشعر الذي يسقط بين المنكبين.

(٣) أنهج: أتنفس تنفساً عميقاً.

(٤) الجفنة: القصعة التي فيها الطعام.

(٥) ورؤيا الأنبياء وحي.

(٦) **تنبيه**: أخرج إسحاق في«مسنده»(١٥٣٧)، بسندٍ صحيح، عن عائشة قالت: «إن رسول الله ﷺ تزوجها وهي بنت ست، وتوفي عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة».

أَنَّك فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَاكْشِفْ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ »(١).

السَرقة : هي الشفق الأبيض من الحرير .

=

وأخرج البيهقي في «الدلائل»(٢/ ٤١٠)، بسندٍ صحيح، عن عروة قال:« تزوج النبي ﷺ عائشة بعد موت خديجة بثلاث سنين، وعائشة يومئذٍ بنت ست سنين، وبنى بها رسول الله ﷺ وهي بنت تسع سنين، ومات رسول الله ﷺ وعائشة بنت ثماني عشرة سنة ».

أما كونه تزوج عائشة بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين فسيأتي التعليق عليه بزيادة .

(١) أخرجه البخاري (٣٨٩٥) ومسلم (٢٤٣٨) .

وهذه منقبة لعائشة رضي الله عنها مع نزول الوحي عليه ﷺ وهو في لحافها، ونزول براءتها من السماء في آيات تتلى في المحاريب في سورة النور ، ضُمَّ إلى ذلك قول عمار وإقرار الحسن بن علي رضي الله عنهما بمنقبتها تلك، ففي صحيح البخاري(٧١٠٠) بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَدِمَا عَلَيْنَا الكُوفَةَ، فَصَعِدَا المِنْبَرَ، فَكَانَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَوْقَ المِنْبَرِ فِي أَعْلاَهُ، وَقَامَ عَمَّارٌ أَسْفَلَ مِنَ الحَسَنِ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ، فَسَمِعْتُ عَمَّارًا، يَقُولُ: «إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى البَصْرَةِ، وَوَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ...»وهو نص صريح يسدّ أفواه الروافض الخبثاء اللاعنين لعائشة رضي الله عنها – قبَّحهم الله– وهو يُبَين أن عائشة في الجنة بشهادة الحسن وعمار، ولم ينكر أحد على عمار رضي الله عنه قوله هذا، وقد قاله على رؤس الأشهاد، والحسن عندهم معصوم وأقرَّ هذا، فما لهم لا يأخذون بإقرار المعصوم عندهم أن عائشة زوجة النبي ﷺ في الآخرة، ناهيك عن فضائلها الكثيرة الجمَّة المروية بأسانيد قد روي بها فضائل أل البيت فقبلوها،! قبح الله الهوى والتعصب إنه الغلو الذي أهلك من كان قبلنا... رضي الله عنها وأرضاها.

طلب النبي ﷺ من أبي بكر رضي الله عنه الزواج من عائشة

عَنْ عُرْوَةَ رحمه الله : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ عَائِشَةَ[١] إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا أَنَا أَخُوكَ، فَقَالَ: «**أَنْتَ أَخِي فِي دِينِ اللهِ وَكِتَابِهِ، وَهِيَ لِي حَلاَلٌ**».[٢]

لا معارضة بين أن النبي ﷺ طلب من أبي بكر، وبين أن التى طلبت إلى أبي بكر هي خولة رضي الله عنها.

❁ المدة التي مكثَها رسول الله ﷺ بعد موت خديجة ثم تزوج عائشة.

قد ذكر البعض أن رسول الله ﷺ تزوج عائشة بعد موت خديجة بثلاث سنوات وهذا قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله[٣].وتقدَّم ما يدل عليه

---

(١) قال ابن كثير في «البداية والنهاية»(٣/ ١٤١)، :« هَذَا الْحَدِيثُ ظَاهِرُ سِيَاقِهِ كَأَنَّهُ مُرْسَلٌ وَهُوَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَالْمُحَقِّقِينَ مُتَّصِلٌ لِأَنَّهُ مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها . »، اهـ .

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٨١) .

وقد بوب البخاري لهذا الحديث بباب: {تزويج الكبار من الصغار}، مشيراً إلى جواز ذلك، وأن لا شناعة فيه ، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، وهذا جائز ، فكون البعض يأنف منه، فالأنفة من الشيء لا تجعل الحلال حراماً، أو ممنوعاً منه، ولا المحبوب للنفوسِ يكون واجباً باستحسانه. فإن كان بعض الأعراف تَعُدّ هذا من الشناعة وإن كان الخاطب كفؤاً ، ليس إلا لكونه كبير السن فلا عبرة – يا قوم – بالأعراف المصادمة للشرع، فلتُصحح المفاهيم والله الموفق.

القبول ليس بواجب، لكن لا يُشَنَّع على من طلبه أو فعله فتنبَّه.

(٣) في «البدية والنهاية»(٣/ ١٤١).

وقد أخرج الفسوي في «المعرفة والتاريخ»، بإسنادٍ صحيح، عَنْ عَائِشَةَ، رضي الله عنها قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَوَفَّى خَدِيجَةَ، قَبْلَ مَخْرَجِهِ مِنْ مَكَّةَ وَأَنَا ابْنَةُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ سِتِّ سِنِينَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ جَاءَنِي نِسْوَةٌ وَأَنَا أَلْعَبُ عَلَى أُرْجُوحَةٍ وَأَنَا مُحَمَّمَةٌ فَهَيَّأْنَنِي وَصَنَعْنَنِي ثُمَّ أَتَيْنَ بِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَنَا ابْنَةُ تِسْعٍ».

فقوله «مُتَوَفَّى خَدِيجَةَ»: يقتضي أنه على إثر ذلك قريباً[(١)]، اللهم إلا أن يكون سقط من النسخة : بعد متوفى خديجة، قاله الحافظ ابن كثير [(٢)].

قلت «محمد» :

وقد أخرج الأثر الآجري في« الشريعة » [(٣)]، بنفس السند والمتن، وفيه« تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَوَفَّى خَدِيجَةَ».[(٤)]

---

(١) فليس من الشناعة أن يتزوج الإنسان بعد وفاة زوجته مباشرةً، وإن كان ذلك مخالفاً لبعض الأعراف والله أعلم .

(٢) في «البدية والنهاية»(٣/ ١٤٢).

(٣) برقم (١٨٨٠).

(٤) وكذا أخرجه أحمد(٢٤٨٦٧)، وابن وهب في«الجامع»(٢٥٥)، وابن أبي عاصم في «المثاني» (٣٠٠٩)، والطبراني في«الكبير»(٢٣/ ١٩)(٤١)، وأحمد في «العلل»(٥٠٧٣)، والبخاري في «التاريخ الأوسط»(١/ ١٦)، لكن الذي في «تاريخ ابن أبي خيثمة»(١٠٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٤٠٩) وفيها :« بعد متوفى خديجة»، وقد يُحمل على أنه تزوجها متوفى خديجة: أي عقد عليها بعد ما توفيت خديجة مباشرة لا أنه بنى بها.

ثم تزوَّج ﷺ سودة بعد عائشة رضي الله عنها

تقدم قوله ﷺ لخولة بنت حكيم لما ذكرت عائشة لرسول الله ﷺ، قال لها : «**فاذكريها علي** ».

قال ابن كثير رحمه الله[1] :

وهذا يقتضي أن عقده على عائشة كان متقدِّماً على تزويجه بسودة بنت زمعة، ولكن دخوله على سودة كان بمكة »ا.هـ

أما دخوله على عائشة فتأخَّر إلى المدينة إلى السنة الثانية كما تقدَّم ـ أعني في قصة خطبة خولة بنت حكيم لعائشة، وسودة على رسول الله ﷺ.

و عن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا كَبِرَتْ سَوْدَةُ وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِي، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْسِمُ لِي بِيَوْمِهَا مَعَ نِسَائِهِ، قَالَتْ: وَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا بَعْدِي».[2]

=

وإلا فنصُّ قول عائشة رضي الله عنها كما في صحيح البخاري (٣٨١٧) قَالَتْ: «وَتَزَوَّجَنِي بَعْدَهَا بِثَلاَثِ سِنِينَ،...»وهو المُقَدَّم.

(١) في «البداية والنهاية»(٣/ ١٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٣٩٥)، بإسناده وفيه بهذه الزيادة : شريك النخعي وهو سيء الحفظ، وأصل الحديث في صحيح مسلم(١٤٦٣)، وقد أشار إلى زيادة شريك هذه، فقال عقب الرواية : وَزَادَ فِي حَدِيثِ شَرِيكٍ، قَالَتْ: « وَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا بَعْدِي» ، رواها مسلم متابعة.

ولكن تقدم في قصة خولة رضي الله عنها صراحة أن العقد على سودة رضي الله عنها كان بعد العقد على عائشة رضي الله عنها، **وأما البناء:** فكان بسودة في مكة أولاً، أما عائشة رضي الله عنها فكان البناء بها بعد في المدينة. والله أعلم.

قال الحافظ في «فتح الباري» (٩/ ٣١٢):

« وَمَعْنَاهُ عَقَدَ عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ عَقَدَ عَلَى عَائِشَةَ وَأَمَّا دُخُولُهُ عَلَيْهَا فَكَانَ قَبْلَ دُخُولِهِ عَلَى عَائِشَةَ بِالِاتِّفَاقِ وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى ذَلِك بن الْجَوْزِيِّ»ا.هـ

وراجع «فتح الباري»أيضاً(٧/ ٢٢٥) فبنحو ذلك قال رحمه الله .

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية »(٣/ ١٤٤): « وَكَانَ زَوْجَهَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّكْرَانُ بْنُ عَمْرٍو أَخُو سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ كَمَا تَقَدَّمَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ فَمَاتَ بها قبل الهجرة رضي الله عنه ».

وقد أخرج الطبراني في الكبير[(١)] من طريق يُونُس، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ابْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: ثُمَّ «تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَكَانَتْ قَبْلَهُ تَحْتَ السَّكْرَانِ بْنِ عَمْرٍو أَخِي بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ».

ولكن في إسناده ضعيف.

وروُي عند البيهقي في الكبرى [(٢)]عن الزهري مرسلاً بنحوه.

وعند ابن سعد[(٣)]:

قَدِمَ السَّكْرَانُ بْنُ عَمْرٍو مَكَّةَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ سَوْدَةُ بِنْت زَمْعَةَ فَتُوُفِّيَ عَنْهَا بِمَكَّةَ. فَلَمَّا حَلَّتْ أَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ - ﷺ - فَخَطَبَهَا فَقَالَتْ:

---

(١) (٢٤/ ٣٠)رقم (٢٠١٠٠).

(٢) (٧/ ٧٠)، وكذا في«دلائل النبوة» (٣٢٧٩).

(٣) في«الطبقات الكبرى»(٨/ ٤٢)، من طريق الواقدي بسنده.

أَمْرِي إِلَيْكَ يَا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: مُرِي رَجُلا مِنْ قَوْمِكِ يُزَوِّجُكِ. فَأَمَرَتْ حَاطِبَ بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدٍّ فَزَوَّجَهَا فَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ خَدِيجَةَ .

وثم مرسلٌ رواه ابن إسحاق[1] بنحو ذلك ، ولم أجد سنداً يصح بهذا، ولكن تتابع أهل السيرة عليه والله أعلم .

والمقصود :

أنه ﷺ عقَدَ على سودة رضي الله عنها بعد عائشة، لكن دخل عليها قبل عائشة.

رحلة الإسراء والمعراج

﴿وهي منحة من الله﴾

والكلام على هذه الرحلة يدور حول بنود أربعة:

الأول: بيان ما حصل في هذه الرحلة.

في ذلك حديث أنس، وحديث مالك بن صعصعة رضي الله عنهما .

حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه :أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ**»، قَالَ: «**فَرَكِبْتُهُ**[2] **حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ**»، قَالَ: «**فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ**[1] **الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ**

---

(١) في«السيرة»(ص٢٥٤).

(٢) فهذا يدل على أن الإسراء كان بجسده ﷺ وروحه، وأصول الأدلة والعقل يدل على ذلك .

الْأَنْبِيَاءُ»، قَالَ «ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ : اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ(٢) »(٣).

وعَنْ أنس رضي الله عنه عن مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنه :أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ: « بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ(٤)، - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الحِجْرِ - مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ(٥)،قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:« فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ» - فَقُلْتُ

=

ويؤيده : ما رواه البخاري(٤٧١٦)، عن ابن عباس في قوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴿٦٠﴾ ﴾ الإسراء: قَالَ: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أُرِيَهَا رَسُولُ اللهِّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ». ولو كانت الرؤيا بغير الجسد ما استنكر كفار قريش على رسول الله ﷺ ، وما كان هناك فتنة ، فجميع الناس ربما يرىٰ في رؤياه الجنة والنار والسماء والأرض والعجائب...إلخ ، ولا يُنكَر عليه أحد، بل ربما يُسرىٰ بالرجل في السموات العُلا في الرؤيا، فلو كانت رؤيا رسول الله ﷺ منامية ما كان الكفار ليعترضوا عليه حينما حكاها لهم أصلاً ، وما كان للإسراء بالنبي ﷺ فضيلة في ذلك، ولا مزيَّة عما يراه الناس، ولا كان هناك تكذيب له...

(١) الحلقة: المراد به، باب مسجد بيت المقدس.

(٢) الفطرة : الإسلام، والإستقامة.

(٣) صحيح أخرجه مسلم (١٦٢) .

(٤) الحطيم : هو ما بين الركن والمقام.

(٥) آت: هو جبريل عليه السلام.

لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ[١] إِلَى شِعْرَتِهِ[٢]، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصِّهِ[٣] إِلَى شِعْرَتِهِ - فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ، وَفَوْقَ الحِمَارِ أَبْيَضَ، - فَقَالَ لَهُ الجَارُودُ: هُوَ البُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ - يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ[٤]، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ[٥]، فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ : نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ[٦] فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ.

فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ،

(١) ثغرة النحر: الموضع المنخفض في أدنى الرقبة من الأمام.

(٢) شعرته: شعر عانته وهو ما ينبت حول العورة.

(٣) القص: رأس عظام الصدر.

(٤) يضع خطوه عند أقصى طرفه: يضع رجله عند منتهى بصره.

(٥) استفتح : طلب فتح باب السماء الدنيا .

(٦) مرحباً به : أصاب رحباً وسعة .

فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلاَمًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلاَمَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ

الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ[١] سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا[٢] مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ[٣]، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الفِطْرَةُ[٤] الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ[٥]، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ

(١) رفعت لي: قربت لي.

(٢) النبق: هو ثمر السدر.

(٣) قلال هجر: يضرب بها المثل لكبرها، وهجر قرية في البحرين، والقُلَّة: هي الجرة الكبيرة.

(٤) الفطرة: دين الإسلام.

(٥) عالجتهم أشد المعالجة: مارست بني إسرائيل أشد الممارسة.

المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي »[1]

الثاني: مارآه رسول الله ﷺ في هذه الرحلة:

١ ـ رأى بيت المقدس﴿ المسجد الأقصى ﴾.[2]

٢ـ رأى الأنبياء عليهم السلام، وذكر وصفهم وهذا واضح في الروايات.

٣ ـ أوتي بلبن وخمر فاختار اللبن، قال :«وَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ، أَحَدُهُمَا لَبَنٌ وَالآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ لِي: هُدِيتَ الفِطْرَةَ، أَوْ أَصَبْتَ الفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ».

٤ ـ رأى ﷺ الكوثر الذي أعطاه الله إياه.

٥ـ رأى جبريل ﷺ على حقيقته له ستمائة جناح قد سَدَّ الأفق.

٦ـ انتُهى به إلى سدرة المنتهى التي في السماء السابعة .

٧ ـ فُرِضَ ليه الصلوات الخمس.

٨ـ رأى أقواماً يعذَّبون، ورأى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحوله أولاد الناس.

وتقدم ذكر شيء من هذا فيما تقدم، وإظهار رحمة الله تعالى بهذه الأمة، أن

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٤) .

(٢) ولعل في ذلك إشارة إلى تمكّن أمته منه وامتلاكه، وأنه من حق أمته لا غيرهم، وهو تقرير صحيح

جعل لها الأجر الكثير على العمل اليسير .

ثُمَّ إركابه البراق كان رفعة له، وتعظيمـًا، وتكريمـًا، وإلا فالله قادرٌ على رفعه بغير بُرَاقٍ، ولا ركوب أصلاً، وتبرئة ساحة رسول الله ﷺ، ونصرته، وتأييده بالمعجزات.....إلخ.

❁ وهناك غيرها من الأحاديث ومن ذلك :

حديث: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ ».(١)

وحديث :سليمان الشَّيْبَانِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ رضي الله عنه، عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} [النجم: ٩]، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ».(٢)

وحديث: عَبْدِ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قَالَ: «**لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ الله ﷺ ، انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا**»، قَالَ: « {إِذْ يَغْشَى} [النجم: ١٦] السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى »، قَالَ: «**فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ**»، قَالَ: «

(١) صحيح أخرجه البخاري (٦٥٨١) والشك من بعض الرواة وهو هدبة .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤٨٥٦) ومسلم (١٧٤) واللفظ لمسلم.

فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقْحِمَاتُ»[١]

ومعنى الكلام: من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقحمات.

الثالث: هل رأى النبي ﷺ لربه سبحانه وتعالى ليلة المعراج؟

والجواب: وَلَمْ يَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَبَّهُ عَيَانًا عَلَى الأَرْضِ، وَإِنَّمَا رَأَى رَبَّهُ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ رُؤْيَةً قَلْبِيَّةً - عَلَى الرَّاجِحِ - كَمَا لَمْ يَرَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الأَرْضِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ: « كُلُّ حَدِيْثٍ فِيْهِ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ فِي الأَرْضِ فَهُو كَذِبٌ بِاتِّفَاقِ المُسْلِمِيْنَ وَعُلَمَائِهِمْ، هَذَا شَيْءٌ لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَلَا رَوَاهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَ النِّزَاعُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ هَلْ رَأَى ربَّهُ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ ؟ ».[٢]

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ أَيْضًا:

« وَلَمْ يَثْبُتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَلَا عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَأَمْثَالِهِمَا أَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ، بَلِ الثَّابِتُ عَنْهُمْ إِمَّا إِطْلَاقُ الرُّؤْيَةِ وَإِمَّا تَقْيِيْدُهَا بِالفُؤَادِ » اهـ.[٣]

قُلْتُ « مُحمد»: الخِلَافُ بَيْنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ ثَابِتٌ فِي الرُّؤْيَةِ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ،

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٧٣).

(٢) « مجموع الفتاوى »(٣/ ٣٨٦).

(٣) « مجموع الفتاوى »(٢/ ٣٣٥).

وَيَبْدُو أَنَّهُ سَائِغٌ وَإِنْ كَانَ الرَّاجِحُ لَدَيْنَا: أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَرَ رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ .

وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ ؛ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ فَقَالَ :« نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ » . (١)

وَقَالَ ﷺ: « حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَت سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ ». (٢)

وَقَالَ مَسْرُوقٌ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها : «يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ ؟ فَقَالَتْ : لَقَدْ قَفَّ شَعْرِى مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلاَثٍ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ ؟ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام)، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ ، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ : ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ ﴾ (لقمان:٣٤)، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ الآيَةَ (المائدة:٦٧)، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - فِى صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ » . (٣)

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء) .

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٧٨) .

(٢) صحيح أخرجه مسلم (١٧٩) .

(٣) صحيح.أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧)، ولفظ مسلم:« فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ»بدلاً من «فَقَدْ كَذَبَ».

وَلَوْ كَانَ قَدْ أَرَاهُ نَفْسَهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَى فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ ، وَقَدْ قَالَ: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ (النجم) .

فَلَوْ رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ بِعَيْنِهِ فِي المِعْرَاجِ لَذَكَرَهُ كَمَا ذَكَرَ مَا دُوْنَهُ، وَقَدْ ثَبَتَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيْحَةِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الأُمَّةِ أَنَّهُ لَا يَرَى اللهَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ إِلَّا مَا نَازَعَ بَعْضُهُمْ مِنْ رُؤْيَةِ نَبِيِّنَا ﷺ خَاصَّةً . (١) وَعَلَى أَيِّ حَالٍ لَا يُضَلِّلُ المُخَالِفُ فِي ذَلِكَ – أعني : رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج – وعدمها، وَاللهُ أَعْلَمُ .

الرابع: حصول الآية على صدقه وتبرئة ساحة رسول الله ﷺ .

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ (٢):

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الحِجْرِ فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

فهؤلاء كذَّبوا وأبو بكر صدَّق،فهو الصديق رضي الله عنه .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: « لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانُوا آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَوْا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ:

---

(١) « مجموع الفتاوى »(٦/ ٥١٠) بتصرف يسير .

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٠) ومسلم (١٧٠) .

نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ».(١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ**»، قَالَ: «**رَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ، جَعْدٌ**

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»(٣/ ٨١)، بإسناد لابأس به، وعنه روى البيهقي كما قال ابن كثير في «تفسيره»(٥/ ٣٨) من طريق محمد بن كثير الصنعاني ثنا معمر بن راشد عن الزهري عن عروة عن عائشة به.

لكن روى عبد الرزاق في«تفسيره»(١٥٨٣) وفي«المصنف »(٩٧١٩)، هذا الحديث عن معمر، عن الزهري مرسلاً.

والمرسل أقوى؛ لأن عبد الرزاق خالف محمد بن كثير الصنعاني في الرواية عن معمر

فإن محمد بن كثير يُحَسَّن حديثه إن شاء الله على مضد ، وهذا هو الوارد في سبب تسمية أبي بكر بالصديق ، ومواقف أبي بكر الصديق المُصَدِّق فيها كثيرة غير هذا

ثم وقفت له على شاهد آخر مرسلاً عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن – وبعضهم يرويه عن أحدهما – ولفظه :« قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَأَشْهَدُ، إِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ، لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَفَتَشْهَدُ أَنَّهُ جَاءَ الشَّامَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ؟ قَالَ: إِنِّي أُصَدِّقُهُ بِأَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ، أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ. قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَبِهَا سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَا. أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار»(١/ ٤١٢) والبيهقي في «الدلائل »(٢/ ٣٥٩) وهو مرسل صحيح يتقوى به المرسل السابق ، وقول أبي سلمة بن عبد الرحمن في أبي بكر الصديق ثابت صحيح عنه.

كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ- يَعْنِي نَفْسَهُ- فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ »[١].

تتابع عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل، وإفساد الكفار لما يصنع، وله ﷺ في ذلك مواقف منها:

الوارد عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيلِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: « رَأَيْتُ أَبَا لَهَبٍ بِعُكَاظٍ، وَهُوَ يَتْبَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا قَدْ غَوَى، فَلَا يُغْوِيَنَّكُمْ عَنْ آلِهَةِ آبَائِكُمْ.

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَفِرُّ مِنْهُ، وَهُوَ عَلَى أَثَرِهِ[٢]، وَنَحْنُ نَتْبَعُهُ، وَنَحْنُ غِلْمَانٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ أَبْيَضَ النَّاسِ ، وَأَجْمَلَهُمْ ».[٣]

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٧٣) .

(٢) أليس يشفي غيظ المؤمن أن يرىٰ هذا جيفة يوم بدر يُلقىٰ في بئر خبيث مخبَّث يُبكته رسو ل الله ﷺ بقوله له –كما سيأتي– « يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا».

وقد أسمعهم الله تعالىٰ ما يقول ﷺ توبيخاً وحسرة لهم علىٰ أفعالهم الرذيلة هذه.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٠٢٠)، بإسنادٍ صحيح.

كذا يفعل - وهو عمه- !، فلا عصبية قبلية في هذا الموقف كالعادة، ولا قبول للحق ...، بل يقول لهم- قبَّحه الله - : « لَا يَصُدَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِ آلِهَتِكُمْ..!».[١]

أو كان لكم دين يا عُباد الأصنام أم أنها دعوى، كدعوى شبهه فرعون موسى ﷺ كما أن أبا جهل فرعون محمد ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ غافر.هذا فرعون محمد ﷺ، وهذا فرعون موسى، تشابهت القلوب فتشابهت الأعمال.

فأين دينهم الذي يخافون عليه؟ عبادة أحجار ينحتونها بأيديهم، والله خلقهم وما يعملون .وكما أنه لا دين لفرعون فكذلك هؤلاء؟ ولكنه استخفاف بالعقول والعياذ بالله، فكأنه أقنعهم أن لهم دين يُثبَت عليه لاستحالة أن يكون ماهو عليه دين.

وفي رواية[٢] عن رَبِيعَةَ بْن عِبَادٍ الدِّيلِيِّ، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَمُرُّ فِي فِجَاجِ ذِي الْمَجَازِ[٣]، إِلَّا أَنَّهُمْ يَتْبَعُونَهُ» وَقَالُوا: هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: وَرَجُلٌ أَحْوَلُ، وَضِيءُ الْوَجْهِ، ذُو غَدِيرَتَيْنِ يَتْبَعُهُ فِي فِجَاجِ ذِي الْمَجَازِ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ».

---

(١) كما في الرواية التي بعدها (١٦٠٢١)، بإسنادٍ حسن.

(٢) أخرجها أحمد (١٦٠٢٦)، بإسنادٍ حسن.

(٣) يعني في أماكن تجمع الناس ليس في فج واحد بل في فجاجها ﷺ سيد ولد آدم ويفعل هذا !.

وفي رواية عنه[١] قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، يَقُولُ: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا** » وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ، يَقُولُ: « **أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا** »إِلَّا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ، ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ، كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، قُلْتُ: إِنَّكَ كُنْتَ يَوْمَئِذٍ صَغِيرًا، قَالَ: لَا وَاللهِ إِنِّي يَوْمَئِذٍ لَأَعْقِلُ.

وفي رواية: أن الذي قام خلفه ﷺ هو أبو جهل.

فأخرج البيهقي، بإسنادٍ حسن،[١] عَنْ رَجُلٍ مِنْ كَنَانَةَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ**

---

(١) أخرجها ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام»(١/ ٣٤٥) وأحمد (١٦٠٢٣) بإسنادٍ حسن.

وفي رواية عند أحمد (١٦٠٢٥)، بإسنادٍ فيه ضعف : أنه كان يَتْبَعُ الْقَبَائِلَ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ، وَضِيءٌ ذُو جُمَّةٍ، يَقِفُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْقَبِيلَةِ فَيَقُولُ: «**يَا بَنِي فُلَانٍ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ، آمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تُصَدِّقُونِي وَتَمْنَعُونِي حَتَّى أُنْفِذَ عَنِ اللهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ**»فَإِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَقَالَتِهِ، قَالَ الْآخَرُ: مِنْ خَلْفِهِ يَا بَنِي فُلَانٍ، إِنَّ هَذَا يُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسْلُخُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَحُلَفَاءَكُمْ مِنَ الْحَيِّ بَنِي مَالِكِ بْنِ أُقَيْشٍ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَلَا تَسْمَعُوا لَهُ، وَلَا تَتَّبِعُوهُ، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ.

ولكن إسناده ضعيف بهذا السياق، وكيف يطلب منهم إعانة على ما هو فيه و هو لم يؤمن به بعد أصلاً.

بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا » وَإِذَا رَجُلٌ خَلْفَهُ يُسْفِي عَلَيْهِ التُّرَابَ فَإِذَا هُوَ أَبُو جَهْلٍ، وَإِذَا هُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ فَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ تَتْرُكُوا عِبَادَةَ اللَّاتِ وَالْعُزَّى ».

وقد ذكر الذهبي [٢]، رواية عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن ربيعة بن عباد من بني عبد الله الديل.....وفيه: «فإذا هو أبو جهل ويقول: لايغرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى ». وقال:«إسناده قوي ».[٣]

وكذا قال ابن كثير عقب الرواية التي فيها تسمية أبي جهل[٤]:

«كَذَا قَالَ فِي هَذَا السِّيَاقِ أَبُو جَهْلٍ، وَقَدْ يَكُونُ وَهْمًا وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تَارَةً يَكُونُ ذَا، وَتَارَةً يَكُونُ ذَا وأنهما كانا يتناوبان على إذائه ﷺ ».

=

(١) هذه رواية البيهقي في«الدلائل»(٢/ ١٨٦)، وهي عند خيثمة بن سليمان في «جزءه»(١٩١)، وكذا رواه أحمد (١٦٦٠٣/ ٢٣١٩٢)، ومسدد كما في«إتحاف الخيرة»(٥/ ١٩٧)، من نفس الطريق، بتسميته: أبي جهل، والسند صحيح، وقد قوىٰ إسناده الذهبي في «السيرة»(١/ ١٢٢).

(٢)في «تاريخ الإسلام » (١/ ٥٥٥).

(٣) لكن رواية عبد الرحمن ابن أبي الزناد هذه رواها أحمد(١٦٠٢٣)، وفيها سُمي الرجل« أبو لهب » فالله أعلم.

(٤) في «البداية والنهاية»(٣/ ١٥٠).

قلت « محمد »: الاحتمال الثاني أرجح؛ لأن الروايات ثابتة بذكر أبي جهل وأبي لهب هذا، فلا سبيل للترجيح إنما الجمع أحسن، إعمالاً للدليلين والله أعلم.

وهذا موقف آخر:

عن الْحَارِثِ بْنِ الْحَارِثِ الْغَامِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: مَا هَذِهِ الْجَمَاعَةُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ اجْتَمَعُوا عَلَى صَابِئٍ لَهُمْ قَالَ: فَتَشَرَّفْنَا فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْإِيمَانِ بِهِ حَتَّى ارْتَفَعَ النَّهَارُ فَتَصَدَّعَ عَنْهُ النَّاسُ، وَأَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ قَدْ بَدَا نَحْرُهَا تَبْكِي تَحْمِلُ

قَدَحًا وَمِنْدِيلًا فَنَاوَلَتْهُ مِنْهَا فَشَرِبَ وَتَوَضَّأَ[1] ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا فَقَالَ: «**يَا بُنَيَّةُ خَمِّرِي عَلَيْكِ نَحْرَكِ وَلَا تَخَافِي عَلَى أَبِيكِ**[2] **غَلَبَةً وَلَا ذُلًّا**» فَقُلْتُ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: هَذِهِ زَيْنَبُ ابْنَتُهُ »[3].

---

(١) وفي رواية: «فناولته وهي تبكي».

(٢) وفي رواية: «لا تخافي على أبيك غلبةً ولا ذُلاً».

(٣) إسناده حسن: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير»(٢/ ٢٦٢)، وابن أبي عاصم في«الآحاد والمثاني»(٢٤٠٣/ ٢٤٠٤/ ٢٩٧٦)،والطبراني في«الكبير»(٣/ ٢٦٨ــ ٢٢/ ٤٣٢)(١٠٥٢،٣٣٧٣)، والبغوي في «معجم الصحابة»(٤٦٧)، وابن بشران في«جزءه»(٥٣)، وغيرهم من طريق هشام بن عمار، عن الوليد بن مسلم، حدثني عبد الغفار بن إسماعيل بن عبيد الله ـ وهو ابن أبي المهاجر ـ حدثني الوليد بن عبد الرحمن الجرشي، حدثني الحارث بن الحارث الغامدي.

وهذه مرة أخرى في موقف عرفات يدعو الناس.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ فَيَقُولُ: «**هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**» ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ فَقَالَ: «مِمَّنْ أَنْتَ؟» فَقَالَ الرَّجُلُ: مِنْ هَمْدَانَ قَالَ: «فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَةٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَشِيَ أَنْ يَخفِرَهُ قَوْمُهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ

فَقَالَ: آتِيهِمْ، فَأُخْبِرُهُمْ، ثُمَّ آتِيكَ مِنْ عَامٍ قَابِلٍ، قَالَ: «نَعَمْ»

فَانْطَلَقَ وَجَاءَ وَفْدُ الْأَنْصَارِ فِي رَجَبٍ». (١)

=

وهذا إسنادٌ حسن رجاله ثقات إلا عبد الغافر هذا، قال أبو حاتم في «الجرح والتعديل»(٦/ ٥٤): لا بأس به ، ووثقه العجلي، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: «ربما خالف».

يعني مخالفته لا تخرجه عن حَيِّز الموثَّقين والله أعلم .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في(٧/ ٣٣٦)، وأحمد (١٥١٩٢)، بهذا السياق، وأبو داوُد (٤٧٣٤)، والترمذي(٢٩٢٥)، وابن ماجة(٢٠١)، والدارمي(٣٣٩٧)، وغيرهم من طريق عثمان بن المغيرة،

عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر رضي الله عنه به.

وسالم يدلس وقد عنعن؛ لكن روايته عن جابر في الصحيحين، فأرجوا أن يكون الحديث صحيحاً لا إشكال في سنده، أما متنه فهو موافق لنحو ما يدل عليه غيره من الأحاديث ، ليس بمستغرب والله أعلم .

وفي مسند أحمد بسندٍ حسن عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَبِثَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوْسِمِ وَبِمَجَنَّةٍ وَبِعُكَاظٍ، وَبِمَنَازِلِهِمْ بِمِنًى يَقُولُ: «**مَنْ يُؤْوِينِي، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالاتِ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ؟**»، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَيُؤْوِيهِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ يَرْحَلُ مِنْ مُضَرَ، أَوْ مِنَ الْيَمَنِ، إِلَى ذِي رَحِمِهِ، فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ، وَيَمْشِي بَيْنَ رِحَالِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ...الحديث. وسيأتي ذكره مطولاً في «باب بيعة العقبة الثانية» إن شاء الله تعالى.

وفد الأنصار

وعرض رسول الله ﷺ الإسلام عليهم

والتوطئة لقبول الأنصار الإسلام

إذا أراد الله شيئًا هيأ أسبابه.

أثخنت الحروب الأنصار فسهُل عليهم قبول الإسلام، ففيه أمان وهدوء، وإن كان حرب فلشيء نافع معروف له أجر معلوم من قبل الله تعالى.

عَنْ عَائِشَةَ، رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ يَوْمُ بُعَاثَ، يَوْمًا قَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدِ افْتَرَقَ مَلَؤُهُمْ، وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ[1] وَجُرِّحُوا، فَقَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي دُخُولِهِمْ فِي الإِسْلاَمِ».[1]

---

(١) معنى سرواتهم: أي خيارهم، وأشرافهم، جمع سراه، وهو جمع سري، وهو السيد الشريف الكريم.

لقاء وفد بني الأشهل برسول الله ﷺ

لما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز رسوله، وإنجاز موعوده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم فلقيه النفر من الأنصار، وكان بينهما ما أراد الله تعالى مما سيأتي تفصيله على حسب الروايات الصحيحة إن شاء الله.

فعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَخِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالَ:لَمَّا قَدِمَ أَبُو الْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ مَكَّةَ، وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فِيهِمْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ يَلْتَمِسُونَ الْحِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى قَوْمِهِمْ مِنَ الْخَزْرَجِ، سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَتَاهُمْ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «**هَلْ لَكُمْ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ؟**» قَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: «**أَنَا رَسُولُ اللهِ، بَعَثَنِي إِلَى الْعِبَادِ أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأُنْزِلَ عَلَيَّ كِتَابٌ**» ثُمَّ ذَكَرَ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ، وَكَانَ غُلَامًا حَدَثًا: أَيْ قَوْمِ، هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ، قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو حَيْسَرٍ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ حَفْنَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ فَضَرَبَ بِهَا فِي وَجْهِ إِيَاسِ بْنِ مُعَاذٍ، وَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْهُمْ وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ » فَكَانَتْ وَقْعَةُ بُعَاثٍ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ». (٢)

=

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٧٧٧).

(٢) إسناده حسن

أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة»(١/ ٣٤٨)لابن هشام، وأحمد (٢٣٦١٩).

بداية إسلام الأنصار رضي الله عنهم

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتادة، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا:

لَمَّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - قَالَ لَهُمْ: «**مَنْ أَنْتُمْ؟**» قَالُوا نَفَرٌ مِنْ الْخَزْرَجِ، قَالَ: «**أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ؛ قَالَ: «**أَفَلَا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟**» قَالُوا: بلَى، فَجَلَسُوا مَعَهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ الإِسلام، وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ قال:وكان مما صنع الله لهم به فِي الْإِسْلَامِ، أَنَّ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ، وَكَانُوا أهلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ، وَكَانُوا هُمْ أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عزوهم ببِلَادِهِمْ[1]. فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ نَبِيًّا مبعوثٌ الآنَ، قَدْ أَظَلَّ زمانُه، نَتَّبِعُهُ فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قتلَ عَادٍ وإرَم.

فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُولَئِكَ النَّفَرَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمِ، تعلَّموا وَاللهِ إِنَّهُ لَلنَّبِيُّ الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ، فَلَا تسبقُنكم إِلَيْهِ. فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ الإِسلام، وَقَالُوا: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قومَنا، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنْ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمْ اللهُ بِكَ، فَسَنَقْدَمُ عَلَيْهِمْ، فَنَدْعُوهُمْ إِلَى أمرك، ونعرض عَلَيْهِمْ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فإن يجمعهم الله عليك فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ.

ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَاجِعِينَ إِلى بلادهم، وقدآمنوا وصدَّقوا.[2]

---

(١) عزوهم: أي غلبوهم.

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٣٤٩/ ٣٥٠)، من طريق ابن إسحاق به.

بيعة العقبة الأولى

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: لما كَانَ فِي الْعَام الْمُقْبِل وَافَى الْمَوْسِمَ مِنْ الْأَنْصَارِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فلقُوه بِالْعَقَبَةِ: قَالَ: وَهِيَ الْعَقَبَةُ الْأُولَى.

أخرج(١) بإسنادٍ حسن، عَنْ عُبادة بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ -ﷺ- عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ(٢)، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفترض الحرب، على ألا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أولادَنا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَهُ فِي معروف: «**فإن وفَّيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُكُمْ**

=

والأشياخ المبهمون يجبر بعضهم بعضاً لو كانوا رواة فكيف لو كان لهم لقاء برسول الله ﷺ ؟.

وعاصم تابعي ثقة، عالم بالمغازي، روىٰ عن عددٍ من الصحابة، فالسند حسن.

وله شاهد مرسل، أخرجه البيهقي في«الدلائل» (٢/ ٤٣١)، من طريق موسىٰ بن عقبة، عن الزهري به.وهو مرسل حسن

(١) أي ابن إسحاق كما في «السيرة» (١/ ٣٥٢) لابن هشام، وإسناده حسن .

وقد رواه البخاري(٣٨٩٣)، ومسلم (١٧٠٩)، من نفس طريق ابن إسحاق ملتقياً في شيخ شيخه، لكن متنه مختصر وبنحو من ألفاظه.

وفي رواية مسلم(١٧٠٩)، من طريق آخر عن عبادة قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنُوا،...الحديث.

(٢) وقوله علىٰ بيعة النساء: يعني وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية، وكان هذا وفق ما بايع رسول الله ﷺ أصحابه ليلة العقبة .

إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنْ شَاءَ عَذَّب وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ».

وفي رواية البخاري[١]، وغيره أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، مِنَ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمِنْ أَصْحَابِهِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ... قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ.

أول من جمَّع الصحابة بالمدينة

أبوأمامة أسعد بن زرارة رضي الله عنه

أخرج ابن إسحاق بإسنادٍ حسن، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيف، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:

كُنْتُ قَائِدَ أَبِي: كعب بْنِ مَالِكٍ، حِينَ ذَهَبَ بصرُه، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ بِهِ إِلَى الْجُمُعَةِ، فَسَمِعَ الأذانَ بِهَا صَلَّى عَلَى أَبِي أُمَامَةَ، أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ. قَالَ: فَمَكَثَ حِينًا عَلَى ذَلِكَ لَا يَسْمَعُ الْأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ. قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللهِ إِنَّ هَذَا بِي لَعَجْزٌ، أَلَّا أَسْأَلَهُ مَا لَهُ إِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ صَلَّى عَلَى أَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدَ بْنِ زُرارة؟

قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ كَمَا كُنْتُ أَخْرُجُ، فَلَمَّا سَمِعَ الْأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ صَلَّى عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ. قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أبتِ، مَا لَكَ إِذَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ

(١) برقم(٣٨٩٢).

صَلَّيْتَ عَلَى أَبِي أمامة؟ فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَّعَ بِنَا بِالْمَدِينَةِ فِي هَزم النَّبِيتِ، مِنْ حَرَّة بَنِي بَياضة، يُقَالُ لَهُ: نَقيع الخَضِمات، قَالَ: قُلْتُ: وَكَمْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ رَجُلًا.(١)

وأرسل النبي ﷺ مع الأنصار مصعب بن عمير، يعلِّمهم بالمدينة، وفي بعض الطرق : أنه كان يسمى المقريء بالمدينة.(٢)

ولا إشكال في أن يكون جمَّع أسعد بن زرارة بمعونة مصعب بن عمير قبل أن يقدُم رسول الله ﷺ المدينة.

وأما خبر : أن مصعب رضي الله عنه ، كان يصلي بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعضٌ.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة» (١/ ٣٥٤)لابن هشام، ومن طريقه أبو داود(١٠٦٩)، وابن ماجة، وغيرهم، وإسناده حسن، وجمَّع: أي صلى الجمعة.

(٢) لم أقف على ذلك في إسنادٍ ثابت إنما هو في عدة مراسيل فيها قدرٌ مشترك: أن رسول الله ﷺ أرسل مصعب بن عمير معهم إلى المدينة يعلِّمهم الإسلام، ويُقرئهم القرآن.

وهذا- والله أعلم- كالتوطئة لهجرته هو ﷺ.

فمِن مُرسل ابن إسحاق، ومن مرسل عاصم بن عمر بن قتادة، ومن مرسل عمرو بن حزم، فأرجوا أن يتقوى بها القدر المشترك : أن رسول الله ﷺ أرسل مصعب بن عمير إلى المدينة للدعوة إليه .

أخرج ذلك كله بالأسانيد ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام(١/ ٣٥٣)، من طريق ، وسيأتي إرساله إلى المدينة.

وسيأتي في الصحيح أن مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، كانا ممن يُقرِآن أهل المدينة القران.

فلم أقف لذلك على سندٍ ثابت[١].

❁ أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ

عَنْ البَرَاءِ بْن عَازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلاَلٌ وَسَعْدٌ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ «قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى جَعَلَ الإِمَاءُ يَقُلْنَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى فِي سُوَرٍ مِنَ المُفَصَّلِ».[٢]

وفي رواية:« حَتَّى رَأَيْتُ الوَلاَئِدَ وَالصِّبْيَانَ، يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ الله ﷺ قَدْ جَاءَ ».[٣]

وفي صحيح البخاري [٤]عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ المُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ العُصْبَةَ - مَوْضِعٌ بِقُبَاءٍ - قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ يَؤُمُّهُمْ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَكَانَ أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا ».

قصة إسلام أُسيد بن حضير رضي الله عنه

المشهورة على الألسنة وعدم صحتها

---

(١) وقد أخرجه ابن إسحاق في«السيرة» (١/ ٣٥٣) لابن هشام، بسندٍ مرسل.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٩٢٥) .

(٣) كما في«صحيح البخاري» (٤٩٤١).

(٤) برقم (٦٩٢).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ مُعَيْقب، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمرو بْنِ حَزْمٍ:

أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرارة خَرَجَ بمصْعَب بْنِ عُمَيْرٍ يُرِيدُ بِهِ دَارَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَدَارَ بَنِي ظَفَر، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ بن عبد الأشهل ابن خَالَةِ أَسْعَدَ بْنِ زُرارة، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَر.

يُقَالُ لَهَا: بِئْرُ مَرَق فَجَلَسَا فِي الْحَائِطِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وأسَيْد بْنُ حُضَيْر، يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَكِلَاهُمَا مشرك عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ حُضَير: لَا أَبَا لَكَ[1]، انْطَلِقْ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دارينا لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فازجرْهما وَانْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا أَنَّ أسعد ابن زُرَارَةَ مِنِّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُ كَفَيْتُكَ ذَلِكَ، هُوَ ابْنُ خَالَتِي، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مُقَدَّمًا. قَالَ: فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَير حَرْبَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا؛ فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرارة، قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَكَ، فَاصْدُقْ اللهَ فِيهِ؛ قَالَ مُصْعَبٌ: إِنْ يَجْلِسْ أكلمْه. قَالَ فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتشتِّما[2]، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضعفاءَنا؟ اعْتَزِلَانَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ.

فَقَالَ له مصعب: أَوَ تجلس فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُف عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ: أَنْصَفْتَ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا، فَكَلَّمَهُ مُصْعَب

(١) لا أبا لك: هذه من عبارات العرب، ظاهرها الدعاء على المخاطَب، ولكن هنا لا يراد معناها.

(٢) متشتماً: مطلقاً عبارات السب والشتم.

بالإسلام، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ؛ فَقَالَا فِيمَا يُذْكَرُ عَنْهُمَا: وَاللهِ لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الإسلامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ وتسهُّله، ثُمَّ. قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا له: تغتسل فتطهَّر وتطهر ثوبيك، ثُمَّ تُصَلِّي.

فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا إِنْ اتَّبَعَكُمَا لم يتخلف عنه أحد من في قَوْمِهِ وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا الْآنَ، سَعْدَ بْنَ مُعاذ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى سَعْدٍ وَقَوْمِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ؛ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلًا، قَالَ: أَحْلِفُ بِاللهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَسِيْد بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ؛ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى النَّادِي قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالَا: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حُدِّثت أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ، لِيُخْفِرُوكَ .

قَالَ: فَقَامَ سَعْدٌ مغضَبًا مُبَادِرًا، تخوُّفا لِلَّذِي ذُكر لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا؛ فَلَمَّا رَآهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنِ، عَرَفَ سَعْدٌ أَنَّ أُسَيْدًا إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، أَمَا وَاللهِ، لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ هَذَا مِنِّي[1]، أَتَغْشَانَا فِي دَارَيْنَا بِمَا نَكْرَهُ -وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَيْ مُصْعب، جَاءَكَ وَاللهِ سَيِّدُ مَن وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، إِنْ يَتَّبِعْكَ لَا

(١) مَا رُمْتَ هَذَا مِنِّي: ما طلبت هذا مني.

يَتَخَلَّفْ عَنْكَ مِنْهُمْ اثْنَانِ: قَالَ: فَقَالَ له مصعب: أو تقعد فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟

قَالَ سَعْدٌ: أَنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، قَالَا: فَعَرَفْنَا وَاللهِ فِي وَجْهِهِ الإسلام قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، لإشراقه وتسهُّله، ثم قال لهما: وكيف تَصْنَعُونَ إِذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدين قالا: تغتسل فتطهر ثَوْبَيْكَ ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وشهد شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، فَأَقْبَلَ عَامِدًا إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلًا، قَالُوا: نَحْلِفُ بِاللهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ؛ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ قَالُوا: سيدُنا وأفضلُنا رَأْيًا، وأيمنُنا نَقِيبَةً[1] قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عليَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ.

قَالَا: فَوَاللهِ مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا وَمُسْلِمَةً، وَرَجَعَ أَسْعَدُ ومُصْعَب إِلَى مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرارة فَأَقَامَ عِنْدَهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، حَتَّى لَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ دَارِ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وخَطْمة وَوَائِل وَوَاقِفٍ، وَتِلْكَ أَوْسُ اللهِ، وَهُمْ مِنَ الأوْس بْنِ حَارِثَةَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ أَبُو قَيْسِ بْنُ الأسْلَت،

(١) أيمنُنا نَقِيبَةً: منجح الفعال، مظفر المطالب. يمدحه ويثني عليه.

وهو صيفي، وكان شاعرًا[١] لهم وقائدًا يَسْتَمِعُونَ مِنْهُ وَيُطِيعُونَهُ، فَوَقَفَ بِهِمْ عَنْ الإِسلام ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمَضَى بَدْرٌ وَأُحُدٌ وَالْخَنْدَقُ.[٢]

قصة أمر بيعة العقبة الثانية

أخرج أحمد من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَبِثَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوْسِمِ وَبِمَجَنَّةٍ وَبِعُكَاظٍ[٣]، وَبِمَنَازِلِهِمْ بِمِنًى يَقُولُ: «**مَنْ يُؤْوِينِي، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ؟**» ، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَيُؤْوِيهِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ يَرْحَلُ مِنْ مُضَرَ، أَوْ مِنَ الْيَمَنِ، إِلَى ذِي رَحِمِهِ، فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ، وَيَمْشِي بَيْنَ رِحَالِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، حَتَّى بَعَثَنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَيَأْتِيهِ الرَّجُلُ فَيُؤْمِنُ بِهِ، فَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ، فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ يَثْرِبَ إِلَّا فِيهَا رَهْطٌ[٤] مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ

---

(١) وله أشعار ربانية تقرب من أشعار أمية بن الصلت، ذكرها ابن إسحاق ، وله حال بحثه عن الحقيقة، وتنصُّره ، ....ولايصح في ذلك شيء – فيما وقفت عليه –

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة» (١/ ٣٥٤)لابن هشام، بإسنادٍ مرسل.

وهذا مع شهرته لم يثبت فيما أعلم والله أعلم.

وكذا الإسناد الذي بذلك هو عند البيهقي في«الدلائل»، من طريق ابن إسحاق بنحوه.

(٣) وهما إسمان لمكانين من أسواق الجاهلية.

(٤) الرهط: هم الجماعة دون العشرة.

الْإِسْلَامَ، ثُمَّ بَعَثَنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَأْتَمَرْنَا، وَاجْتَمَعْنَا سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَّا، فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَذَرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ، وَيَخَافُ، فَرَحَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَقَالَ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنِّي لَا أَدْرِي مَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ جَاءُوكَ؟ إِنِّي ذُو مَعْرِفَةٍ بِأَهْلِ يَثْرِبَ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ، فَلَمَّا نَظَرَ الْعَبَّاسُ فِي وُجُوهِنَا، قَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا أَعْرِفُهُمْ، هَؤُلَاءِ أَحْدَاثٌ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ لَا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ»، فَقُمْنَا نُبَايِعُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَهُوَ أَصْغَرُ السَّبْعِينَ، فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، إِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيِّ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، إِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى السُّيُوفِ إِذَا مَسَّتْكُمْ، وَعَلَى قَتْلِ خِيَارِكُمْ، وَعَلَى مُفَارَقَةِ الْعَرَبِ كَافَّةً، فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ، فَهُوَ أَعْذَرُ عِنْدَ اللهِ، قَالُوا: يَا أَسْعَدُ بْنَ زُرَارَةَ أَمِطْ عَنَّا يَدَكَ، فَوَاللهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ، وَلَا نَسْتَقِيلُهَا، فَقُمْنَا إِلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا يَأْخُذُ عَلَيْنَا بِشُرْطَةِ الْعَبَّاسِ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ.(١)

(١) أخرجه أحمد (١٤٦٥٣)، بسندٍ حسن،وله طريق آخر يرتقي به إلى الصحة،أخرجه أحمد (١٤٤٥٦)، والله أعلم.

وقد جَوَّد إسناده على شرط مسلم الحافظُ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١٧١).

تفصيل بيعة العقبة الثانية بسياق أطول

أخرج أحمد بإسنادٍ حسن، عن كَعْبِ بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، وَكَانَ كَعْبٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِهَا، قَالَ:

خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقِهْنَا وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا، فَلَمَّا تَوَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، قَالَ الْبَرَاءُ لَنَا: يَا هَؤُلَاءِ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللهِ رَأْيًا، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَدْرِي تُوَافِقُونِي عَلَيْهِ أَمْ لَا، قَالَ: قُلْنَا لَهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قَدْ رَأَيْتُ أَنْ لَا أَدَعَ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ مِنِّي بِظَهْرٍ، يَعْنِي الْكَعْبَةَ، وَأَنْ أُصَلِّيَ إِلَيْهَا، قَالَ: فَقُلْنَا: وَاللهِ مَا بَلَغَنَا أَنَّ نَبِيَّنَا يُصَلِّي إِلَّا إِلَى الشَّامِ، وَمَا نُرِيدُ أَنْ نُخَالِفَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُصَلِّي إِلَيْهَا، قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: لَكِنَّا لَا نَفْعَلُ، فَكُنَّا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ صَلَّيْنَا إِلَى الشَّامِ وَصَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ، قَالَ أَخِي: وَقَدْ كُنَّا عِبْنَا عَلَيْهِ مَا صَنَعَ، وَأَبَى إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْأَلْهُ عَمَّا صَنَعْتُ فِي سَفَرِي هَذَا، فَإِنَّهُ وَاللهِ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ خِلَافِكُمْ إِيَّايَ فِيهِ، قَالَ: فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُنَّا لَا نَعْرِفُهُ لَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَقِينَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفَانِهِ؟ قَالَ: قُلْنَا: لَا، قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّهُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ.

قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ، كَانَ لَا يَزَالُ يَقْدَمُ عَلَيْنَا تَاجِرًا، قَالَ: فَإِذَا دَخَلْتُمَا

=

الْمَسْجِدَ فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ، قَالَ: فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا الْعَبَّاسُ جَالِسٌ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ جَالِسٌ فَسَلَّمْنَا، ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ: «**هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الْفَضْلِ؟**» قَالَ: نَعَمْ هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ، وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**الشَّاعِرُ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنِّي خَرَجْتُ فِي سَفَرِي هَذَا، وَهَدَانِي اللهُ لِلْإِسْلَامِ، فَرَأَيْتُ أَنْ لَا أَجْعَلَ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ مِنِّي بِظَهْرٍ، فَصَلَّيْتُ إِلَيْهَا، وَقَدْ خَالَفَنِي أَصْحَابِي فِي ذَلِكَ، حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَمَاذَا تَرَى يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**لَقَدْ كُنْتَ عَلَى قِبْلَةٍ لَوْ صَبَرْتَ عَلَيْهَا**» قَالَ: فَرَجَعَ الْبَرَاءُ إِلَى قِبْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَصَلَّى مَعَنَا إِلَى الشَّامِ، قَالَ: وَأَهْلُهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ حَتَّى مَاتَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَمَا قَالُوا، نَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُمْ، قَالَ: وَخَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ، فَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَمَعَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا فَكَلَّمْنَاهُ، وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ، وَكَانَ نَقِيبًا، قَالَ: فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَى نِسَاءِ

بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ، وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ، قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ، وَيَتَوَثَّقُ لَهُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، قَالَ: وَكَانَتِ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ الْخَزْرَجَ أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا، إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، قَالَ:

فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ، وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَتَلَا وَدَعَا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: «**أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ**» قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا[1]، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ[2]، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ، وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا - يَعْنِي الْعُهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ، وَتَدَعَنَا؟

---

(١) أُزرنا: نساءنا، لأن العرب كانت تكني عن المرأة بالإزار.

(٢) الحلقة: السلاح.

قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**بَلِ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ**[١] **أَنَا مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ مِنِّي أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ**»[٢]، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ**»، فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا مِنْهُمْ تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْسِ -.

وَأَمَّا مَعْبَدُ بْنُ كَعْبٍ فَحَدَّثَنِي فِي حَدِيثِهِ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ أَبِيهِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ - قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْقَوْمُ، فَلَمَّا بَايَعَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَبْعَدِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطُّ: يَا أَهْلَ الْجُبَاجِبِ - وَالْجُبَاجِبُ: الْمَنَازِلُ - هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمَّمٍ[٣] وَالصُّبَاةُ[٤] مَعَهُ؟ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ - قَالَ عَلِيٌّ يَعْنِي ابْنَ إِسْحَاقَ مَا يَقُولُهُ عَدُوُّ اللهِ مُحَمَّدٌ - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا أَزَبُّ الْعَقَبَةِ**[٥] **هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ، اسْمَعْ أَيْ عَدُوَّ اللهِ أَمَا وَاللهِ، لَأُفْرُغَنَّ لَكَ**».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْفَعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ**[٦]».

---

(١) الهدم الهدم: أي ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم.

(٢) قال ابن هشام في «السيرة» (١/ ٣٦٠)، معنى الدم الدم: أي الحرمة ، ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم.

(٣) مذمم: المذموم جداً.

(٤) الصباة: جمع صابيء، وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي ﷺ صابيء.

(٥) أَزَبُّ الْعَقَبَةِ: اسم شيطان.

(٦) ارْفَعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ: أي تفرقوا.

قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيَافِنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمْ أُؤْمَرْ بِذَلِكَ**» قَالَ: فَرَجَعْنَا فَنِمْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا غَدَتْ عَلَيْنَا جُلَّةُ قُرَيْشٍ حَتَّى جَاءُونَا فِي مَنَازِلِنَا، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، وَتُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا، وَاللهِ إِنَّهُ مَا مِنَ الْعَرَبِ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيْنَا أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنْكُمْ، قَالَ: فَانْبَعَثَ مَنْ هُنَالِكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنَا، يَحْلِفُونَ لَهُمْ بِاللهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ، وَمَا عَلِمْنَاهُ، وَقَدْ صَدَقُوا لَمْ يَعْلَمُوا مَا كَانَ مِنَّا، قَالَ: فَبَعْضُنَا يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ: وَقَامَ الْقَوْمُ وَفِيهِمُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ، وَعَلَيْهِ نَعْلَانِ جَدِيدَانِ، قَالَ: فَقُلْتُ كَلِمَةً كَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُشْرِكَ الْقَوْمَ بِهَا فِيمَا قَالُوا: مَا تَسْتَطِيعُ يَا أَبَا جَابِرٍ، وَأَنْتَ فَخَلَعَهُمَا، ثُمَّ رَمَى بِهِمَا إِلَيَّ، فَقَالَ: وَاللهِ لَتَتْعَلَنَّهُمَا قَالَ: يَقُولُ أَبُو جَابِرٍ: أَحْفَظْتَ - وَاللهِ - الْفَتَى، فَارْدُدْ عَلَيْهِ نَعْلَيْهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَرُدَّهُمَا، فَأْلٌ وَاللهِ صَالِحٌ، وَاللهِ لَئِنْ صَدَقَ الْفَأْلُ لَأَسْلُبَنَّهُ.[1]

❁ الفرق بين العقبة الأولى والثانية

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٧٩٨)، بإسنادٍ حسن.

وفي إسناده معبد بن كعب بن مالك، يقول الحافظ عنه: مقبول.

والصواب أنه مُعَدَّلٌ ثقة، أو حسن الحديث على أقل الأحوال، فقد روى عنه جمعٌ من الثقات، وروى له البخاري برقم(٦٥١٣،٦٥١٢) ومسلم(١٣٧،٩٥٠) ومن روى له في الصحيح فقد عبر.

وقد أخرج الحديث ابن إسحاق كما في« سيرة ابن هشام» (١/ ٣٥٩).

أن الأولى لم تكن البيعة على الحرب، لم يأذن الله لرسوله ﷺ في الحرب بخلاف الثانية فقد بايعه الأنصار على الحرب حرب الأحمر والأسود كما تقدم في حديث كعب بن مالك، وأخذ لنفسه، واشترط على القوم لربه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة.

أخرج ابن إسحاق(١) بإسنادٍ حسن عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَكَانَ أَحَدَ النُّقَبَاءِ، قَالَ:

بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْعَةَ الْحَرْبِ- وَكَانَ عُبَادَةُ مِنْ الِاثْنَيْ عَشَرَ الَّذِينَ بَايَعُوهُ فِي الْعَقَبَةِ الْأُولَى عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ- عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَمَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ.

وقد ذكر ابن إسحاق، وغيره في «السيرة» أسماء الذين شهدوا بيعة العقبة الثانية، وكلهم أفاضل.

❁ طريقة مبايعة النبي ﷺ للنساء

تقدم أن من النساء من شهدن هذه البيعة

ففي مسند أحمد بإسنادٍ حسن، عَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ التَّيْمِيَّةِ رضي الله عنها، قَالَتْ:

---

(١) كما في« سيرة ابن هشام» (١/ ٣٦٩).

وبنحوٍ من ألفاظه في الصحيحين، ولكن اخترت لفظ ابن إسحاق لفائدة في متنه، وزيادة موضِّحة والله الموفق، وهذا السياق غير سياق الصحيح.

أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِنُبَايِعَهُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، جِئْنَا لِنُبَايِعَكَ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَكَ فِي مَعْرُوفٍ. قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ**» قَالَتْ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا، بَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «اذْهَبْنَ، فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ، كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ » قَالَتْ: « وَلَمْ يُصَافِحْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَّا امْرَأَةً ».(١)

كان يقول:«انطلقن فقد بايعتكن».

ولقد مَنَّ الله على رسوله ﷺ بهؤلاء الأنصار رضي الله عنهم، فقاموا، وقد أثنى عليهم رسول الله ﷺ بعد فقَالَ: « **لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ** »(٢).

وأوصى رسول الله ﷺ، والخلفاء من بعدهم بهم خيراً.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٠٠٨) بإسنادٍ حسن، وبنحوه في تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الممتحنة، أخرجه البخاري (٥٢٨٨)ومسلم(١٥٨٦٦) ، عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٣٠).

نَعم الأنصار نعم ، قيَّدهم الله لنصرة رسول الله ﷺ فنحن جميعـًا في ميزان حسناتهم ، فكانت آية الإيمان حب الأنصار، والله الموفق.

هجرة النبي ﷺ إلى المدينة

تخطيط كفار قريش، ومعهم إبليس على هيئة شيخ نجدي لقتل رسول الله ﷺ.

قد ورد من طرقٍ متكلمٍ فيها ، أوردها الأئمة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾الأنفال.

أخرج ابْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عن ابن أَبِي نَجيح، عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جُبير أَبِي الْحَجَّاجِ، وَغَيْرِهِ مِمَّنْ لَا أَتَّهِمُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:

لَمَّا أَجمَعُوا لِذَلِكَ، واتَّعدوا أَنْ يَدْخُلُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ لِيَتَشَاوَرُوا فِيهَا فِي أمرِ رَسُولِ اللهِ- ﷺ- غَدَوْا فِي الْيَوْمِ الَّذِي اتَّعدوا لَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يسمى يوم الرحمة، فَاعْتَرَضَهُمْ إبْلِيسُ فِي هَيْئَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ، عَلَيْهِ بَتْلَةٌ[1]، فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الدَّارِ فَلَمَّا رَأَوْهُ وَاقِفًا عَلَى بَابِهَا؟ قَالُوا: مَنْ الشَّيْخُ؟ قَالَ: شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ سَمِعَ بِالَّذِي اتَّعدتم له فحضر معكم ليسمع مَا تَقُولُونَ، وَعَسَى أَنْ لَا يُعدمكم مِنْهُ رأيًا ونصحًا، قالوا: أجل فأُدخل مَعَهُمْ، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا أَشْرَافُ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي

(١) البتل: الكساء الغليظ.

عَبْدِ شَمْسٍ: عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وشَيْبة بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَمِنْ بَنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ: طُعَيمة بْنُ عَدِيٍّ، وجُبَيْر بنُ مُطْعِم، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَوْفل.

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَي: النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلَدة. وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى: أَبُو البَخْتَرِيّ بْنُ هِشَامٍ، وزَمْعَة بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزام. وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ. وَمِنْ بَنِي سَهْم: نُبيه ومُنبَّه ابْنَا الْحَجَّاجِ. وَمِنْ بَنِي جُمَح: أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ. وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَا يُعَدُّ مِنْ قُرَيْشٍ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَإِنَّا وَاللهِ مَا نَأْمَنُهُ عَلَى الْوُثُوبِ عَلَيْنَا فِيمَنْ قَدْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا.

قَالَ: فَتَشَاوَرُوا ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: احْبِسُوهُ فِي الْحَدِيدِ، وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِ بَابًا، ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهَهُ مِنْ الشُّعَرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ، زُهَيْرًا وَالنَّابِغَةَ، وَمَنْ مَضَى مِنْهُمْ، مِنْ هَذَا الْمَوْتِ، حَتَّى يُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ. فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: لَا وَاللهِ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ. وَاللهِ لَئِنْ حَبَسْتُمُوهُ كَمَا تَقُولُونَ لَيَخْرُجَنَّ أَمْرُهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ الَّذِي أَغْلَقْتُمْ دُونَهُ إلَى أَصْحَابِهِ، فَلَأَوْشَكُوا أَنْ يَثِبُوا عَلَيْكُمْ، فيُنزِعوه مِنْ أَيْدِيكُمْ، ثُمَّ يُكَاثِرُوكُمْ بِهِ، حَتَّى يَغْلِبُوكُمْ عَلَى أمرِكم، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، فَانْظُرُوا فِي غَيْرِهِ. فتشاوروا.

ثم قال قَائِلٌ مِنْهُمْ: نُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَنَنْفِيهِ مِنْ بِلَادِنَا، فَإِذَا أُخْرِجَ عَنَّا فَوَاللهِ مَا نُبَالِي أَيْنَ ذَهَبَ وَلَا حَيْثُ وَقَعَ، إذَا غَابَ عَنَّا وَفَرَغْنَا مِنْهُ، فَأَصْلَحْنَا أَمْرَنَا

وَأَلْفَتْنَا كَمَا كَانَتْ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: لَا وَاللهِ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، أَلَمْ تَرَوْا حُسنَ حَدِيثِهِ، وحلاوةَ مَنْطِقِهِ، وغَلبته عَلَى قُلُوبِ الرِّجَالِ بِمَا يَأْتِي بِهِ، وَاللهِ لَوْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ مَا أَمِنْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَى حَيٍّ مِنْ الْعَرَبِ، فَيَغْلِبَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ وَحَدِيثِهِ حَتَّى يُتَابِعُوهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسِيرُ بِهِمْ إلَيْكُمْ حَتَّى يَطَأَكُمْ بِهِمْ فِي بِلَادِكُمْ، فَيَأْخُذَ أمرَكم مِنْ أَيْدِيكُمْ، ثُمَّ يَفْعَلَ بِكَمْ مَا أَرَادَ، دَبِّرُوا فِيهِ رَأْيًا غَيْرَ هَذَا.

قَالَ: فَقَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ: وَاللهِ إنَّ لِي فِيهِ لَرَأْيًا مَا أَرَاكُمْ وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ بعدُ قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْحَكَمِ؟ قَالَ أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ فَتًى شَابًّا جَلِيدًا نَسِيبًا وَسِيطًا فِينَا، ثُمَّ نُعطي كُلَّ فَتًى مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا ثُمَّ يَعْمِدوا إلَيْهِ، فَيَضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَيَقْتُلُوهُ، فَنَسْتَرِيحَ مِنْهُ.

فَإِنَّهُمْ إذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ جَمِيعًا، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا، فَرَضُوا مِنَّا بِالْعَقْلِ، فَعَقَلْنَاهُ لَهُمْ. قَالَ: فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: الْقَوْلُ مَا قَالَ الرَّجُلُ، هَذَا الرَّأْيُ الَّذِي لَا رَأْيَ غَيْرُهُ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ عَلَى ذلك وهم مجمعون له. وهو سند قوي بمجموع الطرق[1].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام(١/ ٣٩١)، ورواه الطبري في «تفسيره» أيضاً (١٣/ ٤٩٤)، من طريق ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس. كذا بغير ذكر الواسطة، بين ابن إسحاق وابن أبي نجيح ،فلعل ابن إسحاق التقىٰ بعبد الله بن نجيح، وثبَّته فيه، فقد روىٰ عنه ابن إسحاق عند بعض أصحاب السنن.

وله طريق آخر أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٦)، من طريق ابن إسحاق عن ابن أبي ليلىٰ، عن مجاهد، عن ابن عباس به.

تفاصيل أحداث الهجرة الثانية[١]

إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام[٢]

وهذا يعتبر أشهر حدث في الإسلام.[٣]

أول ذلك كان رؤيا رآها رسول الله ﷺ

فروي أبو مُوسَى رضي الله عنه، قال : قال النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي

=

وله مرسل عن الزهري به، أخرجه البيهقي«الدلائل» (٢/ ٤٦٦).

وأخر عن عروة بن الزبير، عند البيهقي أيضاً(٢/ ٤٦٥)، وفي الطريق إليه ابن لهيعة ، وهو ضعيف، ولفظه مختصر.

وآخر عند الطبري (١٣/ ٤٩٧)، من طريق عبد الرزاق، وهو في« تفسيره» (١٠١١)، عن معمر، عن عثمان الجزري، عن مقسم، عن ابن عباس مختصراً، ولفظه :« تشاور قريش ليلة بمكة فقالوا..». وفيه عثمان الجزري فيه ضعف.

فلعل مجموع هذه الطرق يعطيه قوة إن شاء الله دون مبيت علي بن أبي طالب في فراشه ﷺ ، وتقدم تثبيت أن علي بن أبي طالب تأخر ليردَّ الودائع إلى أصحابها والله أعلم .

(١) الأولى كانت إلى الحبشة، وتقدم ذكر المهاجرين الأوائل إليها.

(٢) ورد في الباب ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ بمكة فأُمر بالهجرة فأنزل الله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ الإسراء .

(٣) ولذلك أرَّخوا التاريخ على ذلك ، ففي«صحيح البخاري» (٣٩٣٤)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه ، قَالَ: «مَا عَدُّوا مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ وَلاَ مِنْ وَفَاتِهِ، مَا عَدُّوا إِلَّا مِنْ مَقْدَمِهِ المَدِينَةَ».

أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي[١] إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ..... » الحديث.[٢]

أخرجه عبد الرزاق[٣]، وعنه أحمد، والبخاري عن عائشة رضي الله عنها ،أن رسول الله ﷺ بلفظ:

«إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ» وَهُمَا الحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ وَهُوَ الخَبَطُ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها[٤]:فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ:

---

(١) وهلي: همي واعتقادي.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٦٢٢) ومسلم (٢٢٧٢) .

(٣) في«المصنف» (٩٧٤٣)، وعنه أحمد، والبخاري وهو في «الصحيح» (٣٩٠٥)، عن عائشة أيضاً.

(٤) مازال السياق للبخاري.

«**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ**»[1] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ[2]؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ - بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ - إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**».

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا، حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي

---

(١) وأما ما أخرجه الحاكم (٣/ ٦)، بإسنادٍ مرسل، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ يُهَاجِرُ مَعِي؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ**».

ولو علم بذلك ﷺ لأخبَر أبا بكر ليأخذ أُهبة استعداده، ولو أخبره ما احتاج أن يقول له هنا: الصَّحَابَةُ ـ يعني الصحبة ـ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ...وإنما علف الراحلتين لرجائه ذلك.

(٢) يعني هل أصحبك يا رسول الله ؟

عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيَا خِرِّيتًا، وَالخِرِّيتُ المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاَثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ.(١)

تنبيه:

أما ما أخرجه البخاري (٢): عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ فِي الخُرُوجِ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَذَى، فَقَالَ لَهُ: «**أَقِمْ**» فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَتَطْمَعُ أَنْ يُؤْذَنَ لَكَ؟ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنِّي لَأَرْجُو ذَلِكَ**» قَالَتْ: فَانْتَظَرَهُ أَبُو بَكْرٍ..... الحديث.

فيبدوا أن ذلك كان قبل أن يرى رسول الله ﷺ الرؤيا، أن مكان الهجرة المدينة (يثرب) التي هي أرض ذات نخل...

❁ ما أصاب أبو بكر في الغار(٣)

صحَّ في هذا الباب ما أخرجه البيهقي في«الدلائل»(٤) بإسنادٍ صحيح، عَنْ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْغَارِ فَأَصَابَ يَدَهُ

(١) هذا لفظ البخاري (٣٩٠٥).

(٢)برقم (٤٠٩٣).

(٣) وقد ورد في ذلك أخبار غير صحيحة، أن العقرب، أو الثعبان لدغ أبا بكر أثناء وقايته لرسول الله ﷺ، ونحو ذلك، وسيأتي التنبيه عليه إن شاء الله تعالى.

(٤)«دلائل النبوة» (٢/ ٤٨٠).

حَجَرٌ، فَقَالَ: إِنْ أَنْتَ إِلَّا أُصْبُعٌ دَمِيتِ ... وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ(١).

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، حَدَّثَهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»(٢).

قصة أم معبد أثناء الهجرة

مع رسول الله ﷺ

عَنْ حُبَيْشٍ بن خالد صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ حِينَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ خَرَجَ مِنْهَا مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وَمَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَدَلِيلُهُمُ اللَّيْثِيُّ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْأُرَيْقِطِ فَمَرُّوا عَلَى خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيَّةِ، وَكَانَتْ بَرْزَةً جَلِدَةً تَحْتَبِي بِفِنَاءِ الْخَيْمَةِ، ثُمَّ تَسْقِي وَتُطْعِمُ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى شَاةٍ فِي تِلْكَ الْخَيْمَةِ، فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟**» .

قَالَتْ: شَاةٌ خَلَّفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ، فَقَالَ: «**هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟**».

---

(١) وعَنْ جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ الْمَشَاهِدِ وَقَدْ دَمِيَتْ إِصْبَعُهُ، فَقَالَ: «**هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ**»أخرجه البخاري (٢٨٠٢) ومسلم(١٧٩٦) ، وفي الصحيح(٦١٤٦)عن جندب بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يَمْشِي إِذْ أَصَابَهُ حَجَرٌ، فَعَثَرَ، فَدَمِيَتْ إِصْبَعُهُ، فَقَالَ:..فذكره وعند ابن أبي شيبة(٥/ ٢٨٠)كَانَ فِي غَارٍ فَنُكِبَتْ إِصْبَعُهُ، فَقَالَ: «هَلْ أَنْتِ.. كله من نفس طريق رواية البيهقي عَنِ الأَسْوَدِ عن جندب رضي الله عنه ، ولا يبعد تعدد المواقف.

(٢) صحيح أخرجه مسلم (٢٣٨١)، وهذا لفظه، وهو في «صحيح البخاري» (٣٦٥٣) بأخصر .

قَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**أَتَأْذَنِينَ أَنْ أَحْلُبَهَا**» .

قَالَتْ: نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلِيبًا فَاحْلُبْهَا، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا وَسَمَّى اللهَ وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِهَا فَتَفَاجَّتْ عَلَيْهِ وَدَرَّتْ وَاجْتَرَّتْ وَدَعَا بِإِنَاءٍ يَرْبِضُ الرَّهْطُ فَحَلَبَ فِيهِ ثَجًّا حَتَّى عَلَاهُ الْبَهَاءُ، ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رَوِيَتْ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا، ثُمَّ شَرِبَ ﷺ آخِرَهُمْ، ثُمَّ أَرَاضُوا، ثُمَّ حَلَبَ حَلْبَةً ثَانِيًا بَعْدَ بَدْءٍ حَتَّى امْتَلَأَ الْإِنَاءُ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا، ثُمَّ بَايَعَهَا وَارْتَحَلُوا عَنْهَا، فَقَلَّ مَا لَبِثَتْ حَتَّى جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبَدٍ يَسُوقُ أَعْنُزًا عِجَافًا يَتَسَاوَكْنَ هَزْلًا ضُحًى مُخُّهُنَّ قَلِيلٌ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو مَعْبَدٍ اللَّبَنَ عَجِبَ، وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا اللَّبَنُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ وَالشَّاءُ عَازِبٌ حِيَالٌ وَلَا حَلُوبَ فِي الْبَيْتِ؟.

قَالَتْ: لَا وَاللهِ، إِلَّا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ، مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ أَبْلَجَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الْخَلْقِ لَمْ تَعْبِهُ عِلَّةٌ، وَلَمْ يَزْرِ بِهِ صَقْلَةٌ، وَسِيمٌ، قَسِيمٌ، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ غَطَفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَافَةٌ، أَزَجُّ، أَقْرَنُ، إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَا بِهِ وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ، أَكْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُمْ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْسَنُهُ وَأَعْلَاهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلْوُ الْمَنْطِقِ، فَضْلٌ، لَا نَزْرَ بِهِ وَلَا هَذْرَ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ، رَبْعَةٌ، لَا يَأْسًا مِنْ طُولٍ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ الْعَيْنُ مِنْ قِصَرٍ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ، فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا، وَلَهُ رُفَقَاءُ يَحِفُّونَ بِهِ، إِنْ قَالَ أَنْصَتُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ بَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ، لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنَّدٌ.

قَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: هَذَا وَاللهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذِي ذُكِرَ لَنَا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذُكِرَ بِمَكَّةَ،

وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَصْحَبَهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.(١)

وأما ما أخرجه البيهقي (٢): من أن غَنَمُهَا كَثُرَتْ حَتَّى جَلَبَتْ جَلْبًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، فَرَآهُ ابْنُهَا فَعَرَفَهُ، فَقَالَ:

يَا أُمَّهْ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْمُبَارَكِ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ، مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ مَعَكَ؟

قَالَ: وَمَا تَدْرِينَ مَنْ هُوَ؟ قَالَتْ: لَا قَالَ: هُوَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: فَأَدْخِلْنِي عَلَيْهِ قَالَ: فَأَدْخَلَهَا عَلَيْهِ، فَأَطْعَمَهَا وَأَعْطَاهَا قَالَتْ: فَدُلَّنِي عَلَيْهِ فَانْطَلَقَتْ مَعِي وَأَهْدَتْ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَمَتَاعِ الْأَعْرَابِ قَالَ: فَكَسَاهَا وَأَعْطَاهَا قَالَ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: أَسْلَمَتْ.

فهذا لا يثبت سنده بهذا السياق والله أعلم .

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الإعتقاد» (١٤٣٣،١٤٣٧)، والآجري في« الشريعة » (١٠٢٠)، والطبراني في«الكبير» (٤/ ٤٨)(٣٦٠٥)، والحاكم (٣/ ١٠)، والبيهقي في«الدلائل» (١/ ٢٧٦)، من طريق حِزَامِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ حُبَيْشٍ صاحب رسول الله ﷺ.

وإسناده فيه نظر .

وله شاهد عن أبي معبد الخزاعي، أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (١/ ١٧٧)، وابن أبي عاصم في«الآحاد والمثاني» (٣٤٨٥)، فأرجوا بذلك أن يتقوىٰ الأثر وينتهض للحُسن .

وقد قال ابن كثير في«البداية والنهاية» (٣/ ٢٣٣)عن قصة أم معبد: «وَقِصَّتُهَا مَشْهُورَةٌ مَرْوِيَّةٌ مِنْ طُرُقٍ يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا ».

(٢) في«الدلائل» (٢/ ٤٩١).

وهذه قصة شبيهة بقصة أم معبد

أخرج أبو يعلى [١] بإسنادٍ صحيح، عَنْ قَيْسِ بْنِ النُّعْمَانِ ﷺ، قَالَ:

لَمَّا انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ ﷺ مُسْتَخْفِيَيْنِ فِي الْغَارِ، مَرَّا بِعَبْدٍ يَرْعَى غَنَمًا، فاستسقا مِنَ اللَّبَنِ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا لِي شَاةٌ تُحْلَبُ، غَيْرَ أَنَّ هَاهُنَا عَنَاقًا حَمَلَتْ أَوَانَ الشِّتَاءِ، فَمَا بَقِيَ لَهَا لَبَنٌ، وَقَدِ اهْتُجِنَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **ائْتِنَا بِهَا** » فَدَعَا عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ حَلَبَ عَسًّا، فَسَقَى أَبَا بَكْرٍ ﷺ، ثُمَّ حَلَبَ آخَرَ، فَسَقَى الرَّاعِيَ، ثُمَّ حَلَبَ فَشَرِبَ ﷺ، فَقَالَ الْعَبْدُ: بِاللهِ مَنْ أَنْتَ؟

مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ، قَالَ: «**وتراك إِنْ أَخْبَرْتُكَ تَكْتُمُ عَلَيَّ؟** » قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ ﷺ: « **فَإِنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ** » قَالَ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ قُرَيْشٌ أَنَّكَ صَابِئٌ، قَالَ ﷺ: « **إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ ذَلِكَ** »، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ حَقٌّ، وَأَنَّهُ لَيْسَ يَفْعَلُ مَا فَعَلْتَهُ إِلَّا نَبِيٌّ، ثُمَّ قَالَ: أَتَّبِعُكَ؟

قَالَ ﷺ: لَا، حَتَّى تَسْمَعَ أَنَّا قَدْ ظَهَرْنَا[٢]، فَإِذَا بَلَغَكَ ذَلِكَ فاخرج، فتبعه

---

(١) كما في «المطالب العالية»(٤٢٤٣)، وله طريق آخر أخرجه الحاكم في«المستدرك» (٣/ ٩)، والبيهقي في«الدلائل» (٢/ ٤٩٧)، وهو صحيح أيضاً، وفي إسناده عبيد الله بن إياد بن لقيط، الراجح أنه ثقة، فلا إشكال في تصحيحه.

(٢) والظاهر أن رسول الله ﷺ كان يستخدم هذا الأسلوب مع بعض من يراه ضعيفاً، يخشى عليه أن يُفتن من شدَّة البلاء، وإلا فقد أذن للبعض بالهجرة، وبعضهم ظلَّ في مكَّة، كلٌّ على حسبه، ورسول الله ﷺ في ذلك صاحب حكمة، ومن هؤلآء، الذين نصحهم بالستر، وأن يهاجروا إليه متى ظهر، عمرو بن عبسة ﷺ: فإنه ذهب إلى رَسُولُ اللهِ وهو ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ،

بعدما خَرَجَ مِنَ الْغَارِ.

سياق آخر لحادث الهجرة

مع بيان ما حصل لسُرَاقة بن مالك

وهو يتبعهم ليفوز بعطية كفار قريش

عن أَبي إِسْحَاقَ السبيعي، قال: سَمِعْتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رضي الله عنه، يَقُولُ:جَاءَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ، فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحْلًا، فَقَالَ لِعَازِبٍ: ابْعَثِ ابْنَكَ يَحْمِلْهُ مَعِي، قَالَ: فَحَمَلْتُهُ مَعَهُ، وَخَرَجَ أَبِي يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا حِينَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنَ الغَدِ، حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ وَخَلاَ الطَّرِيقُ لاَ يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، فَرُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ، وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَكَانًا بِيَدِي يَنَامُ عَلَيْهِ، وَبَسَطْتُ فِيهِ فَرْوَةً، وَقُلْتُ: نَمْ يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ

=

قال :فَتَلَطَّفْتُ حَتَّىٰ دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «**أَنَا نَبِيٌّ**»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي اللهُ**»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ.... ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «**إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي**»، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّىٰ قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا :النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ.. الحديث. أخرجه مسلم(٨٣٢)، وقد تقدم.

مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلاَمُ، فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، قُلْتُ: «**أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ، قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ: انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعَرِ وَالقَذَى، قَالَ[1]: فَرَأَيْتُ البَرَاءَ يَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى يَنْفُضُ، فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِي إِدَاوَةٌ حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَرْتَوِي مِنْهَا، يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ، فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ مِنَ المَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَقُلْتُ:

أُتِينَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**» فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا - أُرَى - فِي جَلَدٍ مِنَ الأَرْضِ، - شَكَّ زُهَيْرٌ[2] - فَقَالَ: إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَنَجَا، فَجَعَلَ لاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا.[3]

---

(١) القائل هو أبو إسحاق السبيعي راوي الخبر عن البرآء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) أحد رواة السند.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١٥) ومسلم (٢٠٠٩).

وفي رواية[١]:

فَلَمَّا دَنَا دَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَاخَ فَرَسُهُ فِي الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهِ، وَوَثَبَ عَنْهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عَمَلُكَ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، وَلَكَ عَلَيَّ لَأُعَمِّيَنَّ عَلَى مَنْ وَرَائِي، وَهَذِهِ كِنَانَتِي، فَخُذْ سَهْمًا مِنْهَا، فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ عَلَى إِبِلِي وَغِلْمَانِي بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ، قَالَ: «**لَا حَاجَةَ لِي فِي إِبِلِكَ**» فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلًا، فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَنْزِلُ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ، أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ**» فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ، وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ، يُنَادُونَ: يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ.

وفي رواية أحمد[٢]: قَالَ: وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأُطْلِقَ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ. وَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَتَلَقَّاهُ النَّاسُ، فَخَرَجُوا فِي الطَّرِيقِ، وَعَلَى الْأَجَاجِيرِ، فَاشْتَدَّ الْخَدَمُ وَالصِّبْيَانُ فِي الطَّرِيقِ يَقُولُونَ: اللهُ أَكْبَرُ، جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَاءَ مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَتَنَازَعَ الْقَوْمُ أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنْزِلُ اللَّيْلَةَ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ، أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لِأُكْرِمَهُمْ بِذَلِكَ**» فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا حَيْثُ أُمِرَ. قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: أَوَّلُ مَنْ كَانَ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى أَخُو بَنِي فِهْرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ رَاكِبًا، فَقُلْنَا مَا

---

(١) عند مسلم أيضاً.

(٢) في «المسند» الحديث رقم (٣)، وهو صحيح على شرط الصحيح.

فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: هُوَ عَلَى أَثَرِي، ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ مَعَهُ. قَالَ الْبَرَاءُ: وَلَمْ يَقْدَمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى قَرَأْتُ سُوَرًا مِنَ الْمُفَصَّلِ، قَالَ إِسْرَائِيلُ: وَكَانَ الْبَرَاءُ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ[1]

---

(١) **أما الخبر المشهور أنه**: « لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ جَعَلَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ وَالْوَلَائِدُ يَقُلْنَ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا... مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعْ

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا...مَا دَعَا للهِ دَاعْ».

فقد أخرجه البيهقي في«الدلائل» (٥/ ٢٦٦)، من طريق ابن عائشة، كما هو مصرح به في «الفوائد» لأبي الحسن الخلعي برقم (١٠٢٠).

وهذا سند مرسل، ابن عائشة من الطبقة العاشرة.

وتعقب البيهقي هذا الخبر فقال:

قُلْتُ (البيهقي): وَهَذَا يَذْكُرُهُ عُلَمَاؤُنَا عِنْدَ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ مِنْ مَكَّةَ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ عِنْدَهُ، لَا أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ عِنْدَ مَقْدَمِهِ مِنْ تَبُوكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ، فَذَكَرْنَاهُ أَيْضًا هَاهُنَا.

وقال ابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ٤٨٢):

بَعْضُ الرُّوَاةِ يَهِمُ فِي هَذَا وَيَقُولُ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ مَقْدِمِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ مَكَّةَ، وَهُوَ وَهْمٌ ظَاهِرٌ ؛ لِأَنَّ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ لَا يَرَاهَا الْقَادِمُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا يَمُرُّ بِهَا إِلَّا إِذَا تَوَجَّهَ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: «**هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**» .

قال الألباني ﷺ في«الضعيفة» (٢/ ٦٣)، بعد إيراد كلام ابن القيم:

ومع هذا فلا يزال الناس يرو ن خلاف هذا التحقيق، على أن القصة برمتها غير ثابتة كما رأيت!

{تنبيه}: أورد الغزالي هذه القصة بزيادة: « بالدف والألحان » ولا أصل لها كما أشار لذلك الحافظ العراقي بقوله: « وليس فيه ذكر للدف والألحان ». وقد اغتر بهذه الزيادة بعضهم فأورد القصة

=

بها، مستدلا على جواز الأناشيد النبوية المعروفة اليوم! فيقال له: « أثبت العرش ثم انقش »! على أنه لوصحت القصة لما كان فيها حجة على ما ذهبوا إليه كما سبقت الإشارة لهذا عند الحديث (٥٧٩) فأغنى عن الإعادة» ا.هـ

وجزم-أعني الألباني- في «الصحيحة»(٥/ ٣٣١)، بأن هذه الزيادة «طلع البدر علينا..إلخ، في حديث الحسين بن واقد عن ابن بريدة عن أبيه: حين رَجَعَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ من بعض مغازيه، فجائت جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِّ، إِنِّي نَذَرْتُ إِنْ رَدَّكَ الله سَالِمًا أَنْ أَضْرِبَ عَلَى رَأْسِكَ بِالدُّفِّ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **إِنْ نَذَرْتِ فَافْعَلِي، وَإِلَّا فَلَا** » قَالَتْ: إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ. فَقَعَدَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ، فَضَرَبَتْ بِالدُّفِّ.

أخرجه أحمد(٢٣٠١١)و ابن حبان (٢٠١٥ مورد)،ورجاله مُعدَّلون وأخشى من رواية الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ عن عَبْدِ اللهِّ بْنِ بُرَيْدَةَ فهو وإن صرح بالتحديث عند ابن حبان فانتفت تهمة تدليسه فقدقَالَ عبد الله بن أحمد في «العلل »(٤٩٧) قال أبي: «مَا أنكر حَدِيث حُسَيْن بن وَاقد وَأبي الْمُنِيب عَن ابن بُرَيْدَة».

وقَالَ في «العلل »(١٤٢٠)قال أبي: «..عبد الله بن بُرَيْدَة الَّذِي روى عَنهُ حُسَيْن بن وَاقد مَا أنكرها وَأَبُو الْمُنِيب أَيْضا يَقُولُونَ كَأَنَّهَا من قبل هَؤُلَاءِ » ا.هـ

و في صحيح مسلم روايته عنه ولكنها متابعةلا في الأصول، والمتابعات ليست على شرطه وقد جوَّد إسناده الألباني، وقال عن زيادة : قالت :«طلع البدر علينا...»، في هذا الحديث: « زيادة باطلة لم ترد في شيء من المصادر» وقد أصاب رحمه الله وراجع تتمة كلامه هناك ففيه زيادة فائدة رحمه الله.

وأُنَبِّه :لأن ثبوت الحديث المتقدِّم عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ امْرَأَةً، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِّ، إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَضْرِبَ عَلَى رَأْسِكَ بِالدُّفِّ، قَالَ: «**أَوْفِي بِنَذْرِكِ**»....الحديث . أخرجه أبو داود (٣٣١٢) وغيره بإسنادٍ ظاهره الحُسن لا أعلم له علَّة .

سِنُّ النبي ﷺ يومَ هاجر إلى المدينةِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ». (١)

قصةسراقةبن مالك مع النبي ﷺ في الهجرة

قال سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ رضي الله عنه (٢): جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ.

قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلاَنًا وَفُلاَنًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي المَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ البَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلاَمَ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٩٠٢).

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٩٠٦).

فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا: أَضُرُّهُمْ أَمْ لاَ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلاَنِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا».

فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ.

سياق آخر لقصة سراقة يحكيها بنفسه مع بيان إسلامه بعد رضي الله عنه.

أخرج ابن إسحاق[1]، بإسنادٍ جيد، عن سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ رضي الله عنه، قَالَ:

---

(١) كما في «السيرة» لابن هشام (١/ ٤٠٢) وتوبع ابن إسحاق –مع تصريحه بالتحديث– من موسىٰ بن عقبه كما في«أحاديث منتخبة من مغازي موسىٰ بن عقبة»(٣) فالسند صحيح ، وأما مالك ابن جعشم في السند فلا يبعد أن يكون صحابيًا.

لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ، جَعَلَتْ قُرَيْش فِيهِ مائَة نَاقَةٍ لِمَنْ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ. قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِي نَادِي قَوْمِي إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَّا، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَكْبَهُ ثَلَاثَةً مَرُّوا عَلَيَّ آنِفًا، إِنِّي لَأَرَاهُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ: فَأَوْمَأْتُ إِلَيْهِ بِعَيْنِي: أَنْ اُسْكُتْ، ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّمَا هُمْ بَنُو فُلَانٍ، يَبْتَغُونَ ضَالَّةً لَهُمْ، قَالَ: لَعَلَّهُ، ثُمَّ سَكَتَ. قَالَ: ثُمَّ مَكَثْتُ قَلِيلًا، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ بَيْتِي، ثُمَّ أَمَرْتُ بِفَرَسِي، فَقُيِّدَ لِي إِلَى بَطْنِ الْوَادِي، وَأَمَرْتُ بِسِلَاحِي، فَأُخْرِجَ لِي مِنْ دُبُرِ حُجْرَتِي، ثُمَّ أَخَذْتُ قِدَاحِي الَّتِي أَسْتَقْسِمُ بِهَا، ثُمَّ انْطَلَقْتُ، فَلَبِسْتُ لَأْمَتِي ، ثُمَّ أَخَرَجْتُ قِدَاحِي، فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا، فَخَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي أَكْرَهُ «لَا يَضُرُّهُ» .

قَالَ: وَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرُدَّهُ عَلَى قُرَيْش، فآخذ الْمِائَة النَّاقَةِ. قَالَ: فَرَكِبْتُ عَلَى أَثَرِهِ، فَبَيْنَمَا فَرَسِي يَشْتَدُّ بِي عَثَرَ بِي، فَسَقَطْتُ عَنْهُ. قَالَ: فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَ:

ثُمَّ أَخَرَجْتُ قِدَاحِي فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا، فَخَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي أَكْرَهُ «لَا يَضُرُّهُ» . قَالَ:

فَأَبَيْتُ إِلَّا أَنْ أَتَّبِعَهُ. قَالَ: فَرَكِبْتُ فِي أَثَرِهِ، فَبَيْنَا فَرَسِي يَشْتَدُّ بِي، عَثَرَ بِي، فَسَقَطْتُ عَنْهُ. قَالَ: فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟، قَالَ: ثُمَّ أَخَرَجْتُ قِدَاحِي فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا فَخَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي أَكْرَهُ «لَا يَضُرُّهُ» ، قَالَ: فَأَبَيْتُ إِلَّا أَنْ أَتَّبِعَهُ، فَرَكِبْتُ فِي أَثَرِهِ.

فَلَمَّا بَدَا لِي الْقَوْمُ وَرَأَيْتهمْ، عَثَرَ بِي فَرَسِي، فَذَهَبَتْ يَدَاهُ فِي الْأَرْضِ، وَسَقَطْتُ عَنْهُ، ثُمَّ انْتَزَعَ يَدَيْهِ مِنْ الْأَرْضِ، وَتَبِعَهُمَا دُخَانٌ كَالْإِعْصَار. قَالَ: فَعَرَفْتُ حَيْنَ رَأَيْتُ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ مُنِعَ مِنِّي، وَأَنَّهُ ظَاهِرٌ. قَالَ: فَنَادَيْتُ الْقَوْمَ: فَقُلْتُ: أَنَا سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ: انظرونى أكلمكم، فو الله لَا أَرَيْبُكُمْ، وَلَا يَأْتِيكُمْ مِنِّي شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ.

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: قُلْ لَهُ: وَمَا تَبْتَغِي مِنَّا؟ قَالَ: فَقَالَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: تَكْتُبُ لِي كِتَابًا يَكُونُ آيَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ. قَالَ: اُكْتُبْ لَهُ يَا أَبَا بَكْرٍ.

فَكَتَبَ لِي كِتَابًا فِي عَظْمٍ، أَوْ فِي رُقْعَةٍ، أَوْ فِي خَزَفَةٍ، ثُمَّ أَلْقَاهُ إِلَيَّ، فَأَخَذْتُهُ، فَجَعَلْتُهُ فِي كِنَانَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ، فَسَكَتُّ فَلَمْ أَذْكُرْ شَيْئًا مِمَّا كَانَ حَتَّى إِذَا كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفَرَغَ مِنْ حُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ، خَرَجْتُ وَمَعِي الْكِتَابَ لَأَلْقَاهُ، فَلَقِيتُهُ بِالْجِعْرَانَةِ.

قَالَ: فَدَخَلْتُ فِي كَتِيبَةٍ مِنْ خَيْلِ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَجَعَلُوا يَقْرَعُونَنِي بِالرِّمَاحِ وَيَقُولُونَ: إِلَيْكَ (إِلَيْكَ)، مَاذَا تُرِيدُ؟ قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَاللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سَاقِهِ فِي غَرْزِهِ كَأَنَّهَا جُمَّارَةٌ.

قَالَ: فَرَفَعْتُ يَدِي بِالْكِتَابِ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا كِتَابُكَ لِي ، أَنَا سُرَاقَةُ ابْنُ جُعْشُمٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ، ادْنُهْ. قَالَ:

فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَأَسْلَمْتُ. ثُمَّ تَذَكَّرْتُ شَيْئًا أَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْهُ فَمَا أَذْكُرُهُ، إِلَّا أَنِّي قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الضَّالَّةُ مِنَ الْإِبِلِ تَغْشَى حِيَاضِي، وَقَدْ مَلَأْتُهَا لِإِبِلِي، هَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ فِي أَنْ أَسْقِيَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ.(١) قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي، فَسُقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ صَدَقَتِي.

سياق آخر لحادث الهجرة لما وصلا إلى المدينة

---

(١) وهذه الفقرة لها شاهد مرفوعاً من حديث أبي هريرة الآخر، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ لَأَجْرًا ؟ فَقَالَ: «**فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»أخرجه البخاري (٢٤٦٦).

وفيه موقف عبد الله بن سلام الحبر رضي الله عنه لما سمع بالنبي ﷺ

أخرج البخاري[١]، عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ، وَنَبِيُّ اللهِ ﷺ شَابٌّ لاَ يُعْرَفُ، قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ: فَيَحْسِبُ الحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الخَيْرِ، فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ لَحِقَهُمْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا فَارِسٌ قَدْ لَحِقَ بِنَا، فَالْتَفَتَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ**». فَصَرَعَهُ الفَرَسُ[٢]، ثُمَّ قَامَتْ تُحَمْحِمُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مُرْنِي بِمَا شِئْتَ، قَالَ: «**فَقِفْ مَكَانَكَ، لاَ تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا**».

قَالَ: « فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ، وَكَانَ آخِرَ النَّهَارِ مَسْلَحَةً لَهُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَانِبَ الحَرَّةِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الأَنْصَارِ فَجَاءُوا إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِمَا، وَقَالُوا: ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ. فَرَكِبَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَحَفُّوا دُونَهُمَا بِالسِّلاَحِ، فَقِيلَ فِي المَدِينَةِ: جَاءَ نَبِيُّ اللهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: جَاءَ نَبِيُّ اللهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللهِ، فَأَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ، فَإِنَّهُ لَيُحَدِّثُ أَهْلَهُ إِذْ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ، وَهُوَ فِي نَخْلٍ لِأَهْلِهِ، يَخْتَرِفُ لَهُمْ، فَعَجِلَ أَنْ يَضَعَ الَّذِي يَخْتَرِفُ لَهُمْ فِيهَا، فَجَاءَ وَهِيَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**أَيُّ بُيُوتِ**

---

(١) برقم(٣٩١١).

(٢) وهوسُراقة بن مالك رضي الله عنه المُسمَّى في الروايات الأخرى.

أَهْلِنَا أَقْرَبُ».

فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللهِ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، قَالَ: «فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا»، قَالَ: قُومَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ، فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ، وَقَدْ عَلِمَتْ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ.(١)

فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ اليَهُودِ، وَيْلَكُمْ، اتَّقُوا اللهَ، فَوَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ، فَأَسْلِمُوا»، قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ ق، قَالَهَا ثَلاَثَ مِرَارٍ، قَالَ: «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ؟» قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟»، قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟»، قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «يَا ابْنَ سَلاَمٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ»،

---

(١) ولا ينبئك مثل خبير، فهو حبرهم وهو العالم بهم، قد خَبَرَهم، وهي صفة الحزبيين أصحاب الجماعات الحزبية اليوم، من كان معهم وعلى رأيهم رفعوه ولو كان قسيساً، ويثنى على أخلاقة ويذكر ما يستفاد به منه ،كما يُثنَى على خُلُقِه، ويُحمل له ما يجلس عليه ويُخدَم .... ومن لم يكن في سلكهم وعلى رأيهم رموه بصفرائهم وبيضائهم ، ويُكذَب عليه ويُهوِّل بخطئه ويُضَخم وإن كان من أهل العلم والفضل ...لا يستطيعون أن يتخلَّوا عن صفتهم هذه ونتحدَّاهم إن قدروا على التخلي عنها .. قوم بُهت..!

فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ اليَهُودِ اتَّقُوا اللهَ، فَوَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

ولا ينفي ذلك ما ورد عن عبد الله بن سلام :

أنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ: فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟، وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟، وَمَا يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: «**أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا**» قَالَ: جِبْرِيلُ؟: قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ}.

«**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ نَزَعَتْ**»، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلاَمِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي، فَجَاءَتِ اليَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ فِيكُمْ**».

قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ سَلاَمٍ**». فَقَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَانْتَقَصُوهُ، قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ.(١)

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٤٨٠).

فالجمع أن يقال: تثبَّت من النبي ﷺ، وسأله الأسئلة المتقدِّمة، فلما تبيَّن له صَدَّقه آمن في الحال رضي الله عنه.

قصة حجز أم سلمة عن زوجها

ومنعها من الخروج معه وماأصابها

أخرج ابن إسحاق عن أم سلمة رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَحَلَ لِي بَعِيرَهُ ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ، وَحَمَلَ مَعِي ابْنِي سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ قَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبْتَنَا عَلَيْهَا، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَكَ هَذِهِ؟ عَلَامَ نَتْرُكُكَ تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ؟ قَالَتْ: فَنَزَعُوا خِطَامَ الْبَعِيرِ[1] مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذُونِي مِنْهُ. قَالَتْ: وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ، فَقَالُوا: لَا وَاللهِ، لَا نَتْرُكُ ابْنَنَا عِنْدَهَا إِذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا.

قَالَتْ: فَتَجَاذَبُوا بَنِي سَلِمَةَ بَيْنَهُمْ حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ، وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ، وَانْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَالَتْ: فَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي. قَالَتْ: فَكُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطَحِ[2]، فَمَا أَزَالُ أَبْكِي، حَتَّى أَمْسَى سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي، أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ، فَرَأَى مَا بِي فَرَحِمَنِي فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ: أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمِسْكِينَةَ، فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا! قَالَتْ: فَقَالُوا لِي: الْحَقِي

(١) الخطام: الحبل الذي يربط به البعير.

(٢) الأبطح: إسم مكان بمكة.

بِزَوْجِكَ إنْ شِئْتِ. قَالَتْ: وَرَدَّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي. قَالَتْ: فَارْتَحَلْتُ بَعِيرِي ثُمَّ أَخَذْتُ ابْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَتْ: وَمَا مَعِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَتَبَلَّغُ[1] بِمَنْ لَقِيتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيَّ زَوْجِي، حَتَّى إذَا كُنْتُ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ فَقَالَ لِي: إلَى أَيْنَ يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَ:

أَوَمَا مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: لَا وَاَللهِ، إلَّا اللهُ وَبُنَيَّ هَذَا. قَالَ: وَاَللهِ مَا لَكَ مِنْ مَتْرَكٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ، فَانْطَلَقَ مَعِي يهوى بى[2]، فو الله مَا صَحِبْتُ رَجُلًا مِنْ الْعَرَبِ قَطُّ، أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ، كَانَ إذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، حَتَّى إذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي، فَحَطَّ عَنْهُ، ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشَّجَرَةِ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنِّي إلَى شَجَرَةٍ، فَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا، فَإِذَا دَنَا الرَّوَاحُ، قَامَ إلَى بَعِيرِي فَقَدَّمَهُ فَرَحَلَهُ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، وَقَالَ: ارْكَبِي. فَإِذَا رَكِبْتُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ، فَقَادَهُ، حَتَّى يَنْزِلَ بِي. فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتَّى أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا نَظَرَ إلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بقُباءٍ، قَالَ: زَوْجُكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ- وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا- فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إلَى مَكَّةَ.

قَالَ: فَكَانَتْ تَقُولُ : وَاَللهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ ، ولكن إسناده

---

(١) أتبلغ: ما يستعان به للوصل إلى الهدف القصود.

(٢) يهوي بي: يسير بي.

فيه نظر.[١]

قصة هجرة عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة المخزومي وهشام بن العاص بن وائل رضي الله عنه إلى المدينة

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: اتَّعَدْتُ، لَمَّا أَرَدْنَا الْهِجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَنَا وَعَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهِشَامُ بْنُ الْعَاصِي بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ التَّنَاضِبَ مِنْ أَضَاةِ[٢] بَنِي غِفَارٍ، فَوْقَ سَرِفٍ[٣]، وَقُلْنَا: أَيُّنَا لَمْ يُصْبِحْ عِنْدَهَا فَقَدْ حُبِسَ فَلْيَمْضِ صَاحِبَاهُ.

قَالَ: فَأَصْبَحْتُ أَنَا وَعَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عِنْدَ التَّنَاضُبِ، وَحُبِسَ عَنَّا هِشَامٌ، وَفُتِنَ فَافْتُتِنَ.

فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ نَزَلْنَا فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ، وَخَرَجَ أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ إِلَى عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانَ ابْنَ عَمِّهِمَا وَأَخَاهُمَا لِأُمِّهِمَا، حَتَّى قَدِمَا عَلَيْنَا الْمَدِينَةَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فَكَلَّمَاهُ وَقَالَا:

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة»لابن هشام (١/ ٣٨١) حَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ابْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ.

وفي إسناده سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة، ولا أعلم فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقد قال الحافظ في« التقريب» : مقبول- يعني إن توبع وإلا فلين- .

(٢) الميضاة: مكان تابع مكة يجتمع فيه الماء.

(٣) هو موضع بين مكة والمدينة.

إِنَّ أُمَّكَ قَدْ نَذَرَتْ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهَا مُشْطٌ حَتَّى تَرَاكَ، وَلَا تَسْتَظِلَّ مِنْ شَمْسٍ حَتَّى تَرَاكَ، فَرَقَّ لَهَا، فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَيَّاشُ، إِنَّهُ وَاللهِ إِنْ يُرِيدَكَ الْقَوْمُ إِلَّا لِيَفْتِنُوكَ عَنْ دينك فَاحْذَرْهُمْ، فو الله لَوْ قَدْ آذَى أُمَّكَ الْقَمْلُ لَامْتَشَطَتْ، وَلَوْ قَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهَا حَرُّ مَكَّةَ لَاسْتَظَلَّتْ. قَالَ: فَقَالَ: أَبَرُّ قَسَمَ أُمِّي، وَلِي هُنَالِكَ مَالٌ فَآخُذُهُ.

قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا، فَلَكَ نِصْفُ مَالِي وَلَا تَذْهَبْ مَعَهُمَا. قَالَ: فَأَبَى عَلَيَّ إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمَا، فَلَمَّا أَبَى إِلَّا ذَلِكَ، قَالَ:

قُلْتُ لَهُ: أَمَّا إِذْ قَدْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ، فَخُذْ نَاقَتِي هَذِهِ، فَإِنَّهَا نَاقَةٌ نَجِيبَةٌ ذَلُولٌ، فَالْزَمْ ظَهْرَهَا، فَإِنْ رَابَكَ مِنَ الْقَوْمِ رَيْبٌ، فَانْجُ عَلَيْهَا.

فَخَرَجَ عَلَيْهَا مَعَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: يَا ابن أَخِي، وَاللهِ لَقَدْ اسْتَغْلَظْتُ بَعِيرِي هَذَا، أَفَلَا تُعْقِبَنِي عَلَى نَاقَتِكَ هَذِهِ؟ قَالَ: بَلَى.

قَالَ: فَأَنَاخَ، وَأَنَاخَا لِيَتَحَوَّلَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَوْا بِالْأَرْضِ عَدَوْا عَلَيْهِ، فَأَوْثَقَاهُ وَرَبَطَاهُ، ثُمَّ دَخَلَا بِهِ مَكَّةَ، وَفَتَنَاهُ فَافْتُتِنَ.

قَالَ: فَكُنَّا نَقُولُ: مَا اللهُ بِقَابِلٍ مِمَّنْ افْتُتِنَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا وَلَا تَوْبَةً، قَوْمٌ عَرَفُوا اللهَ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ لِبَلَاءٍ أَصَابَهُمْ! قَالَ: وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ.[1]

---

(١) وفي رواية الحاكم(٢/ ٤٧٢)، قول عُمَرَ: كُنَّا نَقُولُ مَا لِفُتِنَ تَوْبَةٌ، وَمَا اللهُ بِقَابِلٍ مِنْهُ شَيْئًا، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أُنْزِلَ فِيهِمْ {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣].

وللآية سبب نزول آخر أخرجه البخاري، ومسلم، لا مقام لذكره هنا .

فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ، وَفِي قَوْلِنَا وَقَوْلِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ الزمر.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَكَتَبْتهَا بِيَدِي فِي صَحِيفَةٍ، وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى هِشَامِ بْنِ الْعَاصِي قَالَ: فَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِي: فَلَمَّا أَتَتْنِي جَعَلْتُ أَقْرَؤُهَا بِذِي طُوًى، أُصَعِّدُ بِهَا فِيهِ وَأُصَوِّبُ وَلَا أَفْهَمُهَا، حَتَّى قُلْتُ: اللَّهمّ فَهِّمْنِيهَا. قَالَ: فَأَلْقَى اللهُ تَعَالَى فِي قَلْبِي أَنَّهَا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِينَا، وَفِيمَا كُنَّا نَقُولُ فِي أَنْفُسِنَا وَيُقَالُ فِينَا. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى بَعِيرِي، فَجَلَسْتُ عَلَيْهِ، فَلَحِقْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ.(١)

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة»لابن هشام (١/ ٣٨٥/ ٣٨٦)، والبزار في«البحر الزخار» (١٥٥)، والحاكم كما تقدم، وغيرهم، من طريق ابن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر به...وإسناده حسن، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث فانتهت تهمة تدليسه.

تنبيه:

ورد في الباب: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ، وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ: مَنْ لِي بِعَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهِشَامِ بْنِ الْعَاصِي؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ: أَنَا لَكَ يَا رَسُولَ الله بِهِمَا، فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَدِمَهَا مُسْتَخْفِيًا، فَلَقِيَ امْرَأَةً تَحْمِلُ طَعَامًا، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ تُرِيدِينَ يَا أَمَةَ الله؟ قَالَتْ: أُرِيدُ هَذَيْنِ الْمَحْبُوسَيْنِ- تَعْنِيهِمَا- فَتَبِعَهَا حَتَّى عَرَفَ مَوْضِعَهُمَا، وَكَانَا مَحْبُوسَيْنِ فِي بَيْتٍ لَا سَقْفَ لَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى تَسَوَّرَ عَلَيْهِمَا، ثُمَّ أَخَذَ مَرْوَةً فَوَضَعَهَا تَحْتَ قَيْدَيْهِمَا، ثُمَّ ضَرَبَهُمَا بِسَيْفِهِ فَقَطَعَهُمَا...الأثر.

وقد أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام(١/ ٣٨٧)، بإسناد فيه مبهم، ثم هو غير الرواية المتقدمة والله أعلم.

خروج أبي بكر رضي الله عنه بماله كله لله ولرسوله ﷺ

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، قَالَتْ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ، احْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ، وَمَعَهُ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ أَوْ سِتَّةُ آلَافٍ، فَانْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ. قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ، وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لَا أَرَاهُ قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ. قَالَتْ: قُلْتُ:

كَلَّا يَا أَبَتِ! إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا. قَالَتْ: فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةٍ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كَانَ أَبِي يَضَعُ مَالَهُ فِيهَا، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، ضَعْ يَدَكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ. قَالَتْ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ:

لَا بَأْسَ، إِذَا كَانَ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ، وَفِي هَذَا بَلَاغٌ لَكُمْ. وَلَا وَاللهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُسَكِّنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ.(١)

ولذلك كان لأبي بكر السبق؛ لكونه أنفق في هذا الوقت ما لم يكن أحد ينفق، وأعان رسول الله ﷺ بماله، نعم سبق درهم ألف درهم كما قال ﷺ(٢).

فجُلُّ من دعاهم رسول الله ﷺ في ميزان حسنات أبي بكر الصديق أيضًا؛ لكونه أعان على ذلك الداعي الأول ﷺ.

---

(١) حسن أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (١/ ٤٠٠) وصرح ابن إسحاق بالتحديث.

(٢) أخرج النسائي في «الكبرى» (٢٣١٨) بسند حسن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ**» قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: «**كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ فَتَصَدَّقَ بِأَجْوَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا**».

فياله من سبق لم يحصل لأحد مثله رضي الله عنه .[١]

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ في شأن أبي بكر رضي الله عنه : «إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي»مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا».[٢]

وقال ﷺ :«مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ، مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ».[٣]

وقال ﷺ: «إنه ليس من الناس أحدٌ أمنَّ عليّ في نفسه، وماله من أبي بكر بن أبي قحافة....سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد إلا خوخة أبي بكر».[٤]

أخبار مشتهرة غير صحيحة في حادث الهجرة.

منها: أن النبي ﷺ أمر علي بن أبي طالب أن يتخلف يبيت على فراشه ﷺ

---

(١) ولقد كان سبَّاقاً دائما رضي الله عنه لكل من يسابقه، لا يُلحق، وقد أخرج أبو داود (١٦٧٨) وهو حديث حسن أن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رضي الله عنه يَقُولُ:« أَمَرَنَا رَسُولُ اللهﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٦٦١).

(٣) صحيح أخرجه أحمد (٧٤٤٦) وابن ماجة (٩٤)، وغيرهما.

(٤) صحيح أخرجه البخاري (٤٦٧) .

حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس.

وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه و أمانته [١]

وقد ورد شيء من هذا وليس بهذا السياق. [٢]

---

(١) ليس بهذا السياق الذي فيه مبيته في فراشه، وتقدم ما يدل على نحو ذلك، أنهم كانوا يتركون عنده ﷺ الودائع يأتمنونه مع كونه ليس على ملتهم، ويخالفم في المعتقد، بل ويسفِّه آلهتهم. يضعون ودائعهم عنده!، وكانوا قبل البعثة يطلقون عليه الأمين، يناقضون أنفسهم: إذ كيف تأتمنونه على أموالكم وتكذِّبونه في دعوته، ولا تؤمنون به ، وترمونه بما ترمونه به؟!، فكانت أمانته وصدقه قبل البعثة دليلاً على صدق ما أخبر به بعد البعثة، وهي حجَّةٌ عليهم.

ثم وقفت على سند آخر أخرجه البيهقي بهذا في«السنن الكبرى» (٦/ ٤٧٢) عن عائشة، في هجرته ﷺ : وأمر علينا رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه على أن يتخلف عنه بمكة حتى يؤدي، عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده »، لكنه منقطع.

(٢) أعني ما أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٦/ ٤٧٢)، بسندٍ قوي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُوَيْمِ بْنِ سَاعِدَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي رِجَالُ قَوْمِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ فِيهِ: «فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَقَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ثَلَاثَ لَيَالٍ وَأَيَّامَهَا؛ حَتَّى أَدَّى عَنْ رَسُولِ الله ﷺ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهَا لَحِقَ بِرَسُولِ الله ﷺ »، وإسناده قوي بهذا السياق، وقال الحافظ في «تلخيص الحبير» (٣/ ٢١٤): وأما أمره علياً بردها ـ يعني الودائع ـ فرواه ابن إسحاق بسند قوي ، وذكر حديث الخروج إلى الهجرة قال: فأقام علي ابن أبي طالب خمس ليالٍ بأيامها، حتى أدى عن النبي ﷺ التي كانت عنده للناس.

ومنها:

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، أَتَانَا نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ أَبُو جَهْلِ ابْن هِشَامٍ، فَوَقَفُوا عَلَى بَابِ أَبِي بَكْرٍ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: أَيْنَ أَبُوكِ يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي وَاللهِ أَيْنَ أَبِي؟ قَالَتْ: فَرَفَعَ أَبُو جَهْلٍ يَدَهُ، وَكَانَ فَاحِشًا خَبِيثًا، فَلَطَمَ خَدِّي لَطْمَةً طُرِحَ مِنْهَا قُرْطِي.(١)

ومن ذلك:

أن رَسُول اللهِ ﷺ وَأَبا بَكْرٍ لما دخلا إِلَى الْغَارِ لَيْلًا، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه قَبْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَسَ الْغَارَ، لِيَنْظُرَ أَفِيهِ سَبُعٌ أَوْ حَيَّةٌ، يَقِي رَسُولَ اللهِ ﷺ بِنَفْسِهِ..(٢)

ومن ذلك:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا خَرَجَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَكُونُ أَمَامَ النَّبِيِّ ﷺ مَرَّةً، وَخَلْفَهُ مَرَّةً.

---

(١)هذه أخرجها ابن إسحاق كما في «السيرة»لابن هشام (١/ ٣٩٩)، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحُدِّثْتُ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ...كذا منقطعاً.

(٢) هذا أخرجه ابن هشام (١/ ٤٨٦): «وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ،أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيَّ قَالَ: ...».

وفيه انقطاع من طرفيه كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١٩١).

فَسَأَلَهُ النَّبيّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِذَا كُنْتُ خَلْفَكَ خَشِيتُ أَنْ تُؤْتَى مِنْ أَمَامِكَ، وَإِذَا كُنْتُ أَمَامِكَ خَشِيتُ أَنْ تُؤْتَى مِنْ خَلْفِكَ.

حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى الْغَارِ مِنْ ثَوْرٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَمَا أَنْتَ حَتَّى أُدْخِلَ يَدِي فَأُحِسَّهُ وَأَقُصَّهُ فَإِنْ كَانَتْ فِيهِ دَابَّةٌ أَصَابَتْنِي قَبْلَكَ.

قَالَ نَافِعٌ(١): فَبَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ فِي الْغَارِ جُحْرٌ فَأَلْقَمَ أَبُو بَكْرٍ رِجْلَهُ ذَلِكَ الْجُحْرَ تخوفًا أن يخرج منه دابة أو شئ يُؤْذِي رَسُولُ اللهِ ﷺ.(٢)

ومثله:

ما رواه البيهقي في « الدلائل »(٣)، من وجه آخر، عن عمر رضي الله عنه: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَعَلَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَارَةً، وَخَلْفَهُ أُخْرَى، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ.

وَفِيهِ أَنَّه لَمَّا حَفِيَتْ رِجْلَا رَسُولِ اللهِ ﷺ حَمَلَهُ الصِّدِّيقُ عَلَى كَاهِلِهِ، وَأَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ الْغَارَ سَدَّدَ تلك الأجحره كُلَّهَا.

وَبَقِيَ مِنْهَا جُحْرٌ وَاحِدٌ، فَأَلْقَمَهُ كَعْبَهُ فَجَعَلَتِ الْأَفَاعِي تَنْهَشُهُ وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا » .

---

(١) يعني نافع بن عمر الجمحي الراوي عن ابن أبي مليكة للخبر وهو مرسل ..

(٢)هذا أخرجه البغوي كما قال ابن كثير في«البداية والنهاية»(٣/ ١٩١)، ثم حكم ابن كثير بإرساله، وهو واضح.

(٣) كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١٩٢) ، وقال عقبه :« وَفِي هَذَا السِّيَاقِ غرابة ونكارة».

ومن ذلك :

ما أخرجه الحاكم بسندٍ ضعيف لإرساله :أن رَسُولُ اللهِ ﷺ خَرَجَ لِيَنْطَلِقَ إِلَى الْغَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَجَعَلَ يَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَاعَةً خَلْفَهُ حَتَّى فَطِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا لَكَ تَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْ وَسَاعَةً خَلْفِي؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَذْكُرُ الطَّلَبَ فَأَمْشِي خَلْفَكَ، ثُمَّ أَذْكُرُ الرَّصْدَ، فَأَمْشِي بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي؟» قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا كَانَتْ لِتَكُونَ مِنْ مُلِمَّةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِي دُونَكَ، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الْغَارِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، حَتَّى أَسْتَبْرِئَ لَكَ الْغَارَ، فَدَخَلَ وَاسْتَبْرَأَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَبْرِئِ الْحُجْرَةَ، فَقَالَ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، حَتَّى أَسْتَبْرِئَ الْحُجْرَةَ، فَدَخَلَ وَاسْتَبْرَأَ، ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَنَزَلَ، فَقَالَ عُمَرُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِتِلْكَ اللَّيْلَةُ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ ».

ومنها:

قصة نسج العنكبوت على باب الغار

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فِي قَوْلِهِ {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ}[الأنفال: ٣٠]، قَالَ: «تَشَاوَرَتْ قُرَيْشٌ لَيْلَةً بِمَكَّةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا أَصْبَحَ، فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ، يُرِيدُونَ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلِ اقْتُلُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ أَخْرِجُوهُ، فَأَطْلَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ، فَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى لَحِقَ بِالْغَارِ، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا، يَحْسَبُونَهُ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَوْا عَلِيًّا، رَدَّ اللهُ مَكْرَهُمْ، فَقَالُوا: أَيْنَ

صَاحِبُكَ هَذَا؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، فَاقْتَصُّوا أَثَرَهُ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْجَبَلَ خُلِّطَ عَلَيْهِمْ، فَصَعِدُوا فِي الْجَبَلِ، فَمَرُّوا بِالْغَارِ، فَرَأَوْا عَلَى بَابِهِ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ، فَقَالُوا: لَوْ دَخَلَ هَاهُنَا، لَمْ يَكُنْ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى بَابِهِ، فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ».[1]

والغريب أن حفظ الله لنبيه ﷺ بغير العنكبوت والحمامة والبيضة، أبلغ في رعاية الله لرسوله ﷺ، وهذا ما لا يصل إلى معرفته ضعفاء العقول، من القُصَّاص وغيرهم والله المستعان .

ومن ذلك:

ما رواه أبو بكر بن علي بن سعيد القاضي في«مسند أبي بكر» [2]: عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، قَالَ: «انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى الْغَارِ، وَجَاءَتْ قُرَيْشٌ يَطْلُبُونَ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْا عَلَى بَابِ الْغَارِ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ، قَالُوا: لَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَائِمًا يُصَلِّي وَأَبُو بَكْرٍ يَرْتَقِبُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ يَطْلُبُونَكَ، أَمَا وَاللهِ مَا عَلَى نَفْسِي أَبْكِي، وَلَكِنْ مَخَافَةَ أَنْ أَرَى فِيكَ مَا أَكْرَهُ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: « يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا تَخَفْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا» وَهَذَا مُرْسَلٌ لا يصح .

---

(١) أخرج ذلك عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٣٨٤)، وأحمد (٣٢٥١)، والطبراني(١١/ ٤٠٧)، وإن قال ابن كثير في«البداية والنهاية» (٣/ ٢٢١): «وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ وَهُوَ مِنْ أَجْوَدِ مَا رُوِيَ فِي قِصَّةِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى فَمِ الْغَارِ، وَذَلِكَ مِنْ حِمَايَةِ اللهِ رَسُولَهُ ﷺ »أ.هـ

قلت« محمد»: لولا أن في سنده عثمان الجزري، غير محمود الرواية فيه كلامٌ شديد.

(٢) كما قال ابن كثير في «تاريخه» (٣/ ١٩٣).

ومن ذلك:

أن رَسُولُ اللهِ -ﷺ- خَرَجَ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُراب فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ، أنتَ أحدُهم. وَأَخَذَ اللهُ تَعَالَى عَلَى أبصارِهم عَنْهُ، فَلَا يَرَوْنَه، فَجَعَلَ يَنثرُ ذَلِكَ الترابَ عَلَى رءوسِهم وَهُوَ يَتْلُو هؤلاءِ الْآيَاتِ مِنْ سورة يس: {يس، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} إِلَى قَوْلِهِ: {فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [يس: ٩] حَتَّى فَرَغَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- مِنْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رجل إلا قد وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يذهبَ.(١)

فهذا كله مراسيل لا يصح منها شيء- فيما أعلى.

ومنها:

ما رواه البيهقي في«الدلائل» (٢/ ٤٨١) قال عَوْنُ بْنُ عَمْرٍو الْقَيْسِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا مُصْعَبٍ الْمَكِّيَّ قَالَ: أَدْرَكْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، وَالْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، فَسَمِعْتُهُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَيْلَةَ الْغَارِ أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَجَرَةٍ فَنَبَتَتْ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَتَرَتْهُ، وَأَمَرَ اللهُ الْعَنْكَبُوتَ فَنَسَجَتْ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَتَرَتْهُ، وَأَمَرَ اللهُ حَمَامَتَيْنِ وَحْشِيَّتَيْنِ فَوَقَفَتَا بِفَمِ الْغَارِ، وَأَقْبَلَ فِتْيَانُ قُرَيْشٍ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ، بِعِصِيِّهِمْ وَهَرَاوِيهِمْ وَسُيُوفِهِمْ حَتَّى إِذَا كَانُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِقَدْرِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، فَجَعَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِيَنْظُرَ فِي الْغَارِ فَرَأَى حَمَامَتَيْنِ بِفَمِ الْغَارِ، فَرَجَعَ

(١) رواه ابن إسحاق كما قال ابن هشام في«السيرة» (١/ ٣٩٤) عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً.

إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالُوا لَهُ " مَا لَكَ لَمْ تَنْظُرْ فِي الْغَارِ؟ فَقَالَ: رَأَيْتُ حَمَامَتَيْنِ بِفَمِ الْغَارِ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ، فَعَرَفَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ دَرَأَ عَنْهُ بِهِمَا، فَدَعَاهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ فَسَمَتَ عَلَيْهِنَّ ـ أي برك عليها ـ ... الحديث.

وإسناده ضعيف لضعف عون بن عمرو هذا.

ومنها:

قصة إلباس سراقة بن مالك سواري كسري

ذكر ابن عبد البر في«الإستيعاب» [(١)]، عَنِ سُفْيَان بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ الْحَسَنِ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِسُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ: كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَى؟ قَالَ: فَلَمَّا أُتِيَ عُمَرُ بِسِوَارَيْ كِسْرَى وَمِنْطَقَتِهِ وَتَاجِهِ دَعَا سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ فَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُمَا، وَكَانَ سُرَاقَةُ رَجُلا أَزَبَّ كَثِيرَ شَعْرِ السَّاعِدَيْنِ، وَقَالَ لَهُ: ارْفَعْ يَدَيْكَ. فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لله الَّذِي سلبهما كسرى ابن هُرْمُزَ الَّذِي كَانَ يَقُولُ:

---

(١)(٢/ ٥٨١)، وأخرجه البيهقي في(١)«الدلائل» (٧/ ١٠٥)، و«الكبرىٰ» (٦/ ٣٥٨)، وأبو نعيم في«المعرفة» (٩/ ٢٨٩)، بسنده عن الشافعي قال أخبرنا غير واحدٍ من أهل العلم: أنه لما قدم سراقة علىٰ عمر فذكره كذا معضلاً.

و ذكر المناوي في «الفيض» (٣/ ٤٩٨)، قول النبي ﷺ لسراقة: « **كيف إذا لبست سواري كسرى، فلبسهما زمن عمر**» ، ثم قال المناوي: فيه أيوب بن سويد بن مسعود الحميري، ضعفه ابن معين وغيره ».

فهذا لا يصح مع شهرته، وإنما يستخدمه القُصَّاص لانبهار العوام به .

أَنَا رَبُّ النَّاسِ، وَأَلْبَسَهُمَا سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ أَعْرَابِيٌّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ، وَرَفَعَ بِهَا عُمَرُ صَوْتَهُ. كذا مرسلاً أو منقطعاً .

بناء المسجد إثر وصول النبي ﷺ المدينة

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ(١)، فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ:أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ المُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ، لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ اليَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ العَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ المُسْلِمُونَ إِلَى السِّلاَحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِظَهْرِ الحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ - مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ - يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَبِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ المَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ،

(١) بسند البخاري في«صحيحه» (٣٩٠٦).

وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ، لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حِجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ المَنْزِلُ».

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الغُلاَمَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ، لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالاَ: لاَ، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ، وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ: « **هَذَا الحِمَالُ لاَ حِمَالَ خَيْبَرْ، هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ، فَارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَالمُهَاجِرَة** »..... الحديث.

وسيأتي ذكر أمره ﷺ تفاصيل بناء المسجد قريبًا إن شاء الله.

❁ وصف أنس رضي الله عنه ليوم مَقدَمِه ﷺ المدينة ويوم قَبضِه

أخرج الإمام أحمد[1] بسندٍ صحيح، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: إِنِّي لَأَسْعَى فِي الْغِلْمَانِ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ، فَأَسْعَى فَلَا أَرَى شَيْئًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ، فَأَسْعَى فَلَا أَرَى شَيْئًا، قَالَ: حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ، فَكَمَنَّا فِي بَعْضِ حِرَارِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ بَعَثَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لِيُؤْذِنَ بِهِمَا الْأَنْصَارَ، فَاسْتَقْبَلَهُمَا زُهَاءَ خَمْسِ مِائَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِمَا، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: انْطَلِقَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَخَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ حَتَّى إِنَّ الْعَوَاتِقَ لَفَوْقَ الْبُيُوتِ يَتَرَاءَيْنَهُ، يَقُلْنَ أَيُّهُمْ هُوَ، أَيُّهُمْ هُوَ؟ قَالَ: فَمَا رَأَيْنَا مَنْظَرًا شَبِيهًا بِهِ يَوْمَئِذٍ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ عَلَيْنَا وَيَوْمَ قُبِضَ، فَلَمْ أَرَ يَوْمَيْنِ شَبِيهًا بِهِمَا».

(١) برقم(١٣٣١٨)، وعبد بن حميد(١٢٦٧).

مواقف أبي أيوب ﷺ وإجلاله لرسول الله ﷺ

وسكن النبي ﷺ في المدينة

أخرج ابن إسحاق [١] في «السيرة»، بإسنادٍ صحيح، عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ، قال: لَمَّا نَزَلَ عليَّ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- فِي بَيْتِي، نَزَلَ فِي السُّفْل وَأَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ فِي العُلو، فَقُلْتُ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي لَأَكْرَهُ وَأُعْظِمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ، وَتَكُونَ تَحْتِي، فَاظْهَرْ أَنْتَ فَكُنْ فِي العُلْوِ، وَنَنْزِلَ نَحْنُ فَنَكُونَ فِي السُّفْل. فَقَالَ: «**يَا أَبَا أَيُّوبَ، إِنَّ أَرْفَقَ بِنَا وَبِمَنْ يَغْشَانَا، أَنْ نَكون فِي سُفْل الْبَيْتِ**».

قَالَ: فَكَانَ رسول الله -ﷺ- في سُفله، وكنا فوقه في المسكن، فقد انْكَسَرَ حُبٌّ لَنَا فِيهِ مَاءٌ فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا، مَا لَنَا لِحَافٌ غيرها، نكشف بِهَا الْمَاءَ، تَخَوُّفًا أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللهِ -ﷺ- مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيَهُ.

قَالَ: وَكُنَّا نَصْنَعُ لَهُ الْعَشَاءَ، ثُمَّ نبعث إِلَيْهِ، فَإِذَا رَدَّ عَلَيْنَا فضلَه تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَبْتَغِي بِذَلِكَ البركة، حَتَّى بَعَثْنَا إِلَيْهِ لَيْلَةً بعَشائه وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ بَصَلًا أَوْ ثَوْمًا، فَرَدَّهُ رسول الله -ﷺ- ولم أَرَ لِيَدِهِ فِيهِ أَثَرًا. قَالَ: فَجِئْتُهُ فَزِعًا، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، رددت عَشاءَكَ، لم أَرَ فِيهِ موضعَ يَدِكَ، وَكُنْتَ إِذَا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا، تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ موضعَ يَدِكَ، نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ، قَالَ: «**إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، وَأَنَا رَجُلٌ أُنَاجِي، فَأَمَّا أنتم فكلوه**»، فَأَكَلْنَاهُ، وَلَمْ نَصْنَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بعدُ.

---

(١) كما في السيرة لابن هشام (١/ ٤٩٨).

وفي «صحيح مسلم» [١]، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّفْلِ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعِلْوِ، قَالَ: فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً، فَقَالَ: نَمْشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**السُّفْلُ أَرْفَقُ**»، فَقَالَ: لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا، فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْعُلُوِّ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ، فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ فَيَتَتَبَّعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فِيهِ ثُومٌ، فَلَمَّا رُدَّ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: لَمْ يَأْكُلْ، فَفَزِعَ وَصَعِدَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ»، قَالَ: فَإِنِّي أَكْرَهُ مَا تَكْرَهُ - أَوْ مَا كَرِهْتَ -، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤْتَى.

مدح دور الأنصار

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَيْرُ دُورِ الأَنْصَارِ، بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو الحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ**». [٢]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ التوبة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا

---

(١) برقم (٢٠٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٨٩) ومسلم (٢٥١١).

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**الأَنْصَارُ كَرِشِي، وَعَيْبَتِي وَالنَّاسُ سَيَكْثُرُونَ، وَيَقِلُّونَ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**». (١)

وعن البَرَاءِ رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، أَوْ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**». (٢)

ففي «صحيح مسلم»(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**»(٤).

وفي صحيح البخاري قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لعمر لما جهَّز مقالة أراد أن يقولها عشية مِنَى في الناس: « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٨٠١) .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٧٨٣) ومسلم (٧٥) .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (١٨٧٦) ومسلم (١٤٧) .

(٤) وإن كان جمهور العلماء : يرون أن مكة أفضل من المدينة، إلا المكان الذي فيه جسد الرسول ﷺ، عزاه إليهم ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢١٧)، ولهم على ذلك أدلة من أشهرها ما أخرجه ابن أبي شيبة في«مسنده»(٦٧٨)، بسندٍ صحيح، عن عبد الله بن عَدِيِّ بْنِ الْحَمْرَاءِ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺوَهُوَ وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ فِي سُوقِ مَكَّةَ يَقُولُ: «**وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أرض الله وأحب أرض الله إلي، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**».

وَغَوْغَاءَهُمْ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تُمْهِلَ حَتَّى تَقْدَمَ المَدِينَةَ، فَإِنَّهَا دَارُ الهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ وَالسَّلاَمَةِ، وَتَخْلُصَ لِأَهْلِ الفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ وَذَوِي رَأْيِهِمْ ...»[1].

تفاصيل بناء مسجده الشريف ﷺ

روى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ، نَزَلَ فِي عُلْوِ المَدِينَةِ، فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: فَأَقَامَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى مَلَإِ بَنِي النَّجَّارِ، قَالَ: فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي سُيُوفِهِمْ، قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفَهُ، وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ، حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: فَكَانَ يُصَلِّي حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإِ بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا، فَقَالَ: «**يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي حَائِطَكُمْ هَذَا**» فَقَالُوا لاَ وَاللهِ، لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللهِ، قَالَ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ، كَانَتْ فِيهِ قُبُورُ المُشْرِكِينَ، وَكَانَتْ فِيهِ خِرَبٌ، وَكَانَ فِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُبُورِ المُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، وَبِالخِرَبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، قَالَ: «فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المَسْجِدِ، قَالَ: وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ حِجَارَةً، قَالَ: قَالَ جَعَلُوا يَنْقُلُونَ ذَاكَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُمْ، يَقُولُونَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لاَ خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ، فَانْصُرِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَهْ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري(٣٩٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٣٢) ومسلم (٥٢٤).

وفي «صحيح البخاري»[١]، عن الزهري، عن عروة قال كَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ، لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حِجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «**هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ المَنْزِلُ**».

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الغُلاَمَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ، لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالاَ: لاَ، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ، وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ: « **هَذَا الحِمَالُ لاَ حِمَالَ خَيْبَرْ، هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ، فَارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَالمُهَاجِرَهْ** »...الحديث.

وفي صحيح البخاري[٢] عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، رضي الله عنه: « أَنَّ المَسْجِدَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَبْنِيًّا بِاللَّبِنِ، وَسَقْفُهُ الجَرِيدُ، وَعُمُدُهُ خَشَبُ النَّخْلِ، فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ شَيْئًا، وَزَادَ فِيهِ عُمَرُ: وَبَنَاهُ عَلَى بُنْيَانِهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِاللَّبِنِ وَالجَرِيدِ وَأَعَادَ عُمُدَهُ خَشَبًا، ثُمَّ غَيَّرَهُ عُثْمَانُ فَزَادَ فِيهِ زِيَادَةً كَثِيرَةً: وَبَنَى جِدَارَهُ بِالحِجَارَةِ المَنْقُوشَةِ، وَالقَصَّةِ وَجَعَلَ عُمُدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ »[٣].

---

(١) عقب(٣٩٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦).

(٣) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٢٨): قُلْتُ: زَادَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه مُتَأَوِّلًا قَوْلَهُ ﷺ: « مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى الله لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» وَوَافَقَهُ الصَّحَابَةُ الْمَوْجُودُونَ

وفي صحيح البخاري وغيره:« .. وَكَانَ المَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ، فَوَكَفَ المَسْجِدُ، فَبَصُرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى جَبْهَتِهِ أَثَرُ المَاءِ وَالطِّينِ ».(١)

وفي الصحيحين: أن المسجد كان مسقوفاً بعريش وَكَانَ المَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ، فَوَكَفَ المَسْجِدُ، قال الصحابي رضي الله عنه : فَبَصُرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى جَبْهَتِهِ أَثَرُ المَاءِ وَالطِّينِ».(٢)

وورد نصح النبي ﷺ عند بنائه:« **عَرِيشٌ كَعَرِيشِ مُوسَى**». يعني إذا رفع يده بلغ العريش، يعني السقف.

وتخريجه في كتابي «تدبير الأبنية والعمران في ضوء الشريعة الاسلامية» ص٢٠٧ ، ولم يَكُنْ لمسجده ﷺ محراب، بل بينتُ بدعية المحاريب في المساجد في كتابي المشار إليه.

=

عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ بَعْدَهُ، فَيُسْتَدَلُّ بِذَلِكَ عَلَى الرَّاجِحِ مِنْ قَوْلَيِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ حُكْمَ الزِّيَادَةِ حُكْمُ الْمَزِيدِ، فَتَدْخُلُ الزِّيَادَةُ فِي حُكْمِ سَائِرِ الْمَسْجِدِ مِنْ تَضْعِيفِ الصَّلَاةِ فِيهِ، وَشَدِّ الرِّحَالِ إِلَيْهِ.

قلت«محمد»: من بنى لله مسجداً ولو كمفحص...الحديث، خرجته في كتابي «تدبير الأبنية والعمران» (ص٢٩٣)، وقد بينت هناك ما أخرجه مسلم(٥٣٣)، أن عثمان بن عفان رضي الله عنه : لما أراد بناء المسجد كره الناس ذلك، فأحبوا أن يدعه على هيئته، والظاهر أن الصحابة رضي الله عنهم كرهوا الحجارة المنقوشة، لا مجرد توسعته؛ لأن التوسعة لا تُنكر، إذ هي مصلحة لا مخالفة فيها .

(١) صحيح أخرجه البخاري (٢٠١٦) ومسلم (١١٦٧) .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٢٠٢٧) ومسلم (١١٦٧) .

بناء بيت النبي ﷺ

بنى لعائشة رضي الله عنها حجرة بجوار المسجد، ثم بعد ذلك بنى بقية بيوت زوجاته رضي الله عنهن .وليراجع أشكال بيوت زوجاته ﷺ في كتابنا«تدبير الأبنية والعمران في ضوء الشريعة الإسلامية » المشار إليه .

ما أصاب المسلمين المهاجرين من حُمى المدينة

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ، وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلاَلٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلاَلٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يَقُولُ:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ،

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ [(١)].

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه : أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ - قَالَ: حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللهُ لِلْأَنْصَارِ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ،

(١) صحيح أخرجه البخاري (١٨٨٩) .

فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ، فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ**».(١)

فهذا من شدة الآلام التي اعترتهم بسبب مرض حمي المدينة، فكم تحمَّلوا، فأبصرهم يا كليل العزم والله المستعان جمعنا الله بهم.

قالت عَائِشَةَ ، قَالَتْ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ وَبِيئَةٌ، فَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَاشْتَكَى بِلَالٌ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ شَكْوَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: «**اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَحَوِّلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ**».(٢)

وفي رواية البخاري له، عن عائشة رضي الله عنها ، فذكره، وزاد بعد شعر بلال رضي الله عنه المتقدِّم وقول النبي ﷺ:

«**اللَّهُمَّ العَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الوَبَاءِ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ**

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١١٦) .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٩٢٦) ومسلم (١٣٧٦) .

نعم الله يبدل الحزن سهلاً، وهذا درس فاعقِله ولا تغفله.

حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ»، قَالَتْ: وَقَدِمْنَا المَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللهِ[1]، قَالَتْ: فَكَانَ

(١) ويبدوا أنه كان مشهوراً عندهم هذا البلاء بالحمى، ولذا في الصحيحين البخاري(١٦٠٢) ومسلم(١٢٦٦)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ قوم قَدْ وَهَنَهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ «أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ الثَّلاَثَةَ، وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ». ويبدوا أن ذلك الحدث من النبي ﷺ كان في حالة دخول النبي ﷺ بأمان ، يدل عليه ما رواه البخاري (٤٢٦٥)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَامِهِ الَّذِي اسْتَأْمَنَ، قَالَ: «ارْمُلُوا» لِيَرَى الْمُشْرِكُونَ قُوَّتَهُمْ، وَالْمُشْرِكُونَ مِنْ قِبَلِ قُعَيْقِعَانَ...الحديث». أي عام عمرة القضاء، وقد أمَّنته قريش حتى يدخل مكة، ويعتمر، ففي «صحيح البخاري » (٤٢٥١)، لَمَّا اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذِي القَعْدَةِ،أَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدَعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ، حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَتَبُوا الكِتَابَ، كَتَبُوا: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله،..الحديث»وسيأتي في باب صلح الحديبية.

يعني: قاضاهم على أن يعتمر العام المقبل، ولا يحمل سلاحاً، ولا سيوفاً...كما في رواية البخاري(١٨٤٤)ولفظه «...فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدَعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ حَتَّى قَاضَاهُمْ: لاَ يُدْخِلُ مَكَّةَ سِلاَحًا إِلَّا فِي القِرَابِ »، وسميت بعمرة القضاء، لقضاء النبي ﷺ العمرة التي صُدَّ عنها يوم الحديبية من عام قبل كما سيأتي.

وقد صَرَفَ الله عن نبيِّه ﷺ، هذا الوباء، أما الصَحَابةُ فقد أجهَدَتهُم الحُمَّى.

وَعُمْرَةُ الْقَضَاءِ كَانَتْ فِي سَنَةِ سَبْعٍ فِي ذِي الْقِعْدَةِ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ تَأَخَّرَ دُعَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِنَقْلِ الْوَبَاءِ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ أَنَّهُ رُفِعَ وَبَقِيَ آثَارٌ مِنْهُ قَلِيلٌ، أَوْ أَنَّهُمْ بَقُوا فِي خُمَارِ مَا كَانَ أَصَابَهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَى تِلْكَ الْمُدَّةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ. أشار إلى ذلك ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٣٧).

بُطْحَانُ يَجْرِي نَجْلًا تَعْنِي مَاءً آجِنًا.(١)

وفي رواية عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَدِمَهَا وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللهِ مِنْ الْحُمَّى، فَأَصَابَ أَصْحَابَهُ مِنْهَا بَلَاءٌ وَسَقَمٌ، فَصَرَفَ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ. قَالَتْ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَبِلَالٌ، مَوْلَيَا أَبِي بَكْرٍ، مَعَ أَبِي بَكْرٍ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، فَأَصَابَتْهُمْ الْحُمَّى، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَعُودُهُمْ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْنَا الْحِجَابُ، وَبِهِمْ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ مِنْ شِدَّةِ الْوَعْكِ، فَدَنَوْتُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَبَتْ؟ فَقَالَ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا يَدْرِي أَبِي مَا يَقُولُ. قَالَتْ: ثُمَّ دَنَوْتُ إِلَى عَامِرِ بْنِ فُهَيْرَةَ فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَجِدُكَ يَا عَامِرُ؟ فَقَالَ:

لَقَدْ وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ ... إِنَّ الْجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ

كُلُّ امْرِئٍ مُجَاهِدٌ بِطَوْقِهِ ... كَالثَّوْرِ يَحْمِي جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ

(بِطَوْقِهِ) يُرِيدُ: بِطَاقَتِهِ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا يَدْرِي عَامِرٌ مَا يَقُولُ! قَالَتْ: وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا تَرَكَتْهُ الْحُمَّى اضْطَجَعَ بِفِنَاءِ الْبَيْتِ ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ فَقَالَ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِفَخٍّ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجِنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطُفَيْلُ

(١) صحيح أخرجه البخاري (١٨٨٩).

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: شَامَةٌ وَطُفَيْلٌ: جَبَلَانِ بِمَكَّةَ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَذَكَرْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا سَمِعْتُ مِنْهُمْ، فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ لَيَهْذُونَ وَمَا يَعْقِلُونَ مِنْ شِدَّةِ الْحُمَّى. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهمّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا وَانْقُلْ وَبَاءَهَا إِلَى مَهْيَعَةَ**» ومَهْيَعَةُ، الْجُحْفَةُ.[1]

---

(١) صحيح أخرجه ابن هشام في«السيرة» (١/ ٥٨٨)، ورجال إسناده ثقات سوى محمد بن إسحاق حسن الحديث، وصرح بالتحديث، والحديث له شاهد في البخاري (٥٦٥٤)كما تقدم.

وفي «صحيح البخاري» (٣٩١٨) قَالَ البَرَاءُ: فَدَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَرَأَيْتُ أَبَاهَا فَقَبَّلَ خَدَّهَا وَقَالَ: «كَيْفَ أَنْتِ يَا بُنَيَّةُ».

وقد قال ابن هشام: «كان وباؤها معروفاً في الجاهلية، حتى ورد عن هشام بن عروة قال: «فَكَانَ الْمَوْلُودُ يُولَدُ بِالْجُحْفَةِ فَلَا يَبْلُغُ الْحُلُمَ حَتَّى تَصْرَعَهُ الْحُمَّى». أخرجه أحمد (٢٦٢٤٠)، بسندٍ صحيح، وهو مدرج في الحديث من قول هشام، كما صرَّحتُ به رواية البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٥٦٨).

أي عام عمرة القضاء، لَمَّا أمَّنته قريش حتى يدخل مكة، ويعتمر، ففي « صحيح البخاري » (٤٢٥١)، لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ ...».

يعني:قاضاهم على أن يعتمر العام المقبل، ولا يحمل سلاحاً، ولا سيوفاً...

كما في رواية البخاري (٤٢٥٢)وسميت بعمرة القضاء، لقضاء النبي ﷺ العمرة التي صُدَّ عنها .

وقد صرف الله عن نبيه ﷺ، هذا الوباء، أما الصحابة فقد أجهدتهم الحمى.

فلا تغفل عن سلاح الدعاء والله على كل شيء قدير.

❁ رؤيا النبي ﷺ التي فيها الفرج بنقل الحمى من المدينة

عَنْ ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «رَأَيْتُ كَأَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ مِنَ المَدِينَةِ، حَتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةَ- وَهِيَ الجُحْفَةُ- فَأَوَّلْتُ أَنَّ وَبَاءَ المَدِينَةِ نُقِلَ إِلَيْهَا»[1].

فَصْلٌ فِي عَقْدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الألفة بين المهاجرين والأنصار وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة

أَمَرَ بِهِ ﷺ فَكُتِبَ بَيْنَهُمْ وَالْمُؤَاخَاةِ الَّتِي أَمَرَهُمْ بِهَا وَقَرَّرَهُمْ عَلَيْهَا وَمُوَادَعَتِهِ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا بِالْمَدِينَةِ وَكَانَ بِهَا مِنْ أَحْيَاءِ الْيَهُودِ بَنُو قَيْنُقَاعَ وَبَنُو النَّضِيرِ وَبَنُو قُرَيْظَةَ، وَكَانَ نُزُولُهُمْ بِالْحِجَازِ قَبْلَ الْأَنْصَارِ أَيَّامَ بُخْتُ نَصَّرَ حِينَ دَوَّخَ بِلَادَ الْمَقْدِسِ فِيمَا ذَكَرَهُ الطَّبَرِيُّ. [2]

فعل رسول الله ﷺ هذا ليَذهب عنهم وحَشَة الغُربة، ويَستأنسوا مِن مَفارقة الأهل والعشيرة، ويشدّ بعضُهم أَزر بعض، ثم لما تمكَّنَ الإسلامُ أبطل التوارث

= وعمرة القضاء: كانت سنة سبع في ذي القعدة، فأما أن يكون تأخر دعاؤه عليه الصلاة والسلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك، أو أنه دفع وبقي آثار منه قليل، أو أنهم بقوا في خمار ما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المدة والله أعلم، كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٣٧).

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٠٣٨).

(٢) من كلام الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٣٧).

الذي كان بينهم، وبقيت الأُخُوَّة والتوادّ، وكان ذلك في أوائل مَقدمِه ﷺ المدينة

❁ وهذا بعض ما روي في كيفية المؤاخاة، وما كان فيها

-**أخرج البخاري**، عن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَدْ حَالَفَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ فِي دَارِي.(١)

- **وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** رضي الله عنهما، قال: كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى كُلِّ بَطْنٍ عُقُولَهُ**»، ثُمَّ كَتَبَ: «**أَنَّهُ لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُتَوَالَى مَوْلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِ**»، ثُمَّ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ لَعَنَ فِي صَحِيفَتِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ.(٢)

أي: ضمّ البطون بعضُها إلى بعض فيما بينهم من الحقوق والغرامات، فقد كانت بينهم دماء ودِيَّات بحسب الحروب السابقة قبل الإسلام فرفع الله ذلك عنهم وألَّف بين قلوبهم.

- **وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما(٣)، في قوله تعالى: {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ} [النساء: ٣٣]، قَالَ: «وَرَثَةً»: {وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ} قَالَ: « كَانَ المُهَاجِرُونَ لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ، يَرِثُ المُهَاجِرُ الأَنْصَارِيَّ دُونَ ذَوِي رَحِمِهِ، لِلْأُخُوَّةِ الَّتِي آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ} [النساء: ٣٣] نَسَخَتْ »، ثُمَّ قَالَ: {وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ} «إِلَّا النَّصْرَ، وَالرِّفَادَةَ، وَالنَّصِيحَةَ، وَقَدْ ذَهَبَ المِيرَاثُ،

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٢٩٤) ومسلم (٢٥٢٩) .

(٢) أخرجه مسلم (١٥٠٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٩٢) .

وَيُوصِي لَهُ».[١]

- و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَتِ الأَنْصَارُ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ النَّخْلَ، قَالَ: «لاَ» قَالَ: «يَكْفُونَنَا المَئُونَةَ وَيُشْرِكُونَنَا فِي التَّمْرِ» قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.[٢]

- وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ المَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ، فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ، بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «مَهْيَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: «فَمَا سُقْتَ فِيهَا؟» فَقَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ».[٣]

❁ وقد آخَى النبي ﷺ بين أبي عبيدة وبين أبي طلحة، وبين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما.

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَتِ الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ بَذْلًا مِنْ كَثِيرٍ، وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ، قَدْ كَفَوْنَا الْمَئُونَةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَأِ، فَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) أي: نسخت آية المعاهدة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٣٧).

ﷺ: «كَلَّا مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَدَعَوْتُمُ اللهَ لَهُمْ». (١)

- وأخرج ابن أبي حاتم (٢)، بسندٍ حسن، عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ قَالَ: أَنْزَلَ الله فينا خاصة معشر قريش والأنصار وأولوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ قَالَ: وَذَلِكَ أَنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَلا أَمْوَالَ لَنَا، فَوَجَدْنَا الأَنْصَارَ نِعْمَ الإِخْوَانُ فَوَاخَيْنَاهُمْ وَأَوْرَثْنَاهُمْ، فَآخَى أَبُو بَكْرٍ خَارِجَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَآخَى عُمَرُ فُلانًا وَآخَى عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَجُلاً مِنْ بَنِي زُرَيْقِ بْنِ سَعْدٍ الزُّرَقِيِّ وَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ غَيْرَهُ قَالَ الزُّبَيْرُ: وَوَاخَيْتُ أَنَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، وَأَوْرَثُونَا وَأَوْرَثْنَاهُمْ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ قِيلَ لِي: قَدْ قُتِلَ أَخُوكَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، فَجِئْتُهُ فَانْتَقَلْتُهُ، فَوَجَدْتُ السِّلاَحَ قَدْ ثَقَّلَهُ فِيمَا نرى، فو الله يَا بُنَيَّ لَوْ مَاتَ يَوْمَئِذٍ عَنِ الدُّنْيَا مَا وَرِثَهُ غَيْرِي، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ فِينَا مَعْشَرِ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ خَاصَّةً فَرَجَعْنَا إِلَى مَوَارِيثِنَا.

مشروعية الآذان بعد مقدم النبي ﷺ المدينة

أخرج ابْنُ إِسْحَاقَ (٣)، عن عبد الله بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ رضي الله عنه، قال:

---

(١) أخرجه أحمد(١٣١٢٣)، بإسنادٍ ثلاثي صحيح السند على شرط الصحيحين، كما قال ابن كثير في«البداية والنهاية» (٣/ ٢٤٢).

(٢) في «تفسيره» (٩٢٠٦)، وإسناده حسن رجاله معدلون، إلا شيخ أبي حاتم الرازي، أحمد بن بكر المصعبي، والظن به حسن، ويغلب على ظني أنه أحمد بن أبي بكر أبو مصعب الزهري فإن كان هو فقد قال أبو حاتم في« الجرح » (٢/ ٤٣)، عنه: صدوق، وكذا قال عنه أبو زرعة الرازي.

(٣) كما في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٤٦)، وأخرجه من طريقه أبو داود(٤٩٩)، بنفس السند. وذكرت لفظة ابن إسحاق لكونها أوقع في وصف الوضع في المدينة .

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ إخوانه من المهاجرين واجتمع كبائر الْأَنْصَارِ اسْتَحْكَمَ أَمْرُ الْإِسْلَامِ، فَقَامَتِ الصَّلَاةُ وَفُرِضَتِ الزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ، وَقَامَتِ الْحُدُودُ وَفُرِضَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَتَبَوَّأَ الْإِسْلَامُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ .

وَكَانَ هَذَا الْحَيُّ من الأنصار هم الذين تبوؤا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ قَدِمَهَا إِنَّمَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ إِلَيْهِ لِلصَّلَاةِ لِحِينِ مَوَاقِيتِهَا بِغَيْرِ دَعْوَةٍ، فهمَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ بُوقًا كَبُوقِ يَهُودَ الَّذِي يَدْعُونَ بِهِ لِصَلَاتِهِمْ، ثُمَّ كَرِهَهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِالنَّاقُوسِ فَنُحِتَ لِيَضْرِبَ بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ لِلصَّلَاةِ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ رَأَى عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ أَخُو بَلْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، النِّدَاءَ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ طَافَ بِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ طَائِفٌ، مرَّ بِي رَجُلٌ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ يَا عَبْدَ اللهِ أَتَبِيعُ هَذَا النَّاقُوسَ؟ فَقَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ قُلْتُ نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ قُلْتُ وَمَا هُوَ؟ قَالَ تَقُولُ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ الله أكبر الله أكبر، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أنَّ محمَّداً رَسُولُ اللهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

فَلَمَّا أَخْبَرَ بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٍّ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِهَا عَلَيْهِ، فَلْيُؤَذِّنْ بِهَا فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ** » فَلَمَّا أَذَّنَ بِهَا بِلَالٌ سَمِعَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يجرُّ رِدَاءَهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا

نَبِيَّ اللهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ الَّذِي رَأَى. فَقَالَ رسول الله: «**الله الحمد على ذلك**».

تسلُّل من أسلم من أهل مكة إلى المدينة، وتضحية صهيب الرومي رضي الله عنه من أجل هجرته إلى المدينة النبوية

أخرج ابن سعد[(١)]، بإسنادٍ ثابت،عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ[(٢)] قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ صُهَيْبًا حِينَ أَرَادَ الْهِجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ لَهُ أَهْلُ مَكَّةَ: أَتَيْتَنَا هَاهُنَا صُعْلُوكًا حَقِيرًا فَكَثُرَ مَالُكَ عِنْدَنَا، وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ ثُمَّ تَنْطَلِقُ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ؟ وَاللهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ تَرَكْتُ مَالِي تُخَلُّونَ أَنْتُمْ سَبِيلِي؟، قَالُوا: نَعَمْ، فَجَعَلَ لَهُمْ مَالَهُ أَجْمَعَ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**رَبِحَ صُهَيْبٌ رَبِحَ صُهَيْبٌ**».

وأخرج الحاكم[(٣)]، بإسنادٍ صحيح، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ صُهَيْبٌ مُهَاجِرًا تَبِعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ فَنَثَلَ كِنَانَتَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا أَرْبَعِينَ سَهْمًا، فَقَالَ: «لَا تَصِلُونَ

---

(١) في «طبقاته» (٣/ ١٧١)، وصورته صورة المرسل ، لاتدري من بلغ أبا عثمان، لكنه تابعي كبير أدرك عمر، وأبا بكر، فلا يستبعد اتصاله.

وله طريق آخر عقبه، ولكن فيه علي بن زيد بن جدعان، عن ابن المسيب، عن صهيب رضي الله عنه به، وثم مراسيل أخرىٰ يتقوىٰ بها وانظر الآتي.

(٢) وأبو عثمان رحمة الله ممن أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فالغالب أن من أبلغوه هم الصحابة.

(٣) في «المستدرك» (٢/ ٤٥٠)، وإن كان سنده صحيح إلىٰ عكرمة إلا أن صورته صورة المرسل؛ لكن له سند آخر عقبه بنفس الإسناد إلىٰ حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، وهو الآتي بعده وهو صحيح لا إشكال فيه نحوه، فيدلُّ هذا كله علىٰ صحة أصل القصة والله أعلم.

إِلَيَّ حَتَّى أَضَعَ فِي كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ سَهْمًا، ثُمَّ أَصِيرَ بَعْدُ إِلَى السَّيْفِ فَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَجُلٌ، وَقَدْ خَلَّفْتُ بِمَكَّةَ قَيْنَتَيْنِ فَهُمَا لَكُمْ».

وأخرج بإسنادٍ صحيح، عَنْ أَنَسٍ - نَحْوَهُ -، قال :وَنَزَلْتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ}، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**أَبَا يَحْيَى رَبِحَ الْبَيْعُ**» قَالَ: وَتَلَا عَلَيْهِ الْآيَةَ.

المشقة التي لحقت بالمهاجرين في المدينة بعد أن هاجروا:

أخرج الطبري عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرٍو النَّصْرِيِّ، قَالَ: كَانَ أَحَدُنَا إِذَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِنْ كَانَ لَهُ عَرِيفٌ نَزَلَ عَلَى عَرِيفِهِ بِغَيْرِ الْمَعْرِفَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَرِيفٌ نَزَلَ الصُّفَّةَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرِنُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، وَيَرْزُقُهُمَا مُدًّا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ تَمْرٍ بَيْنَهُمَا، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَعْضَ الصَّلَوَاتِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحْرَقَ التَّمْرُ بُطُونَنَا قَالَ: فَصَعَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَرَ مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْأَذَى قَالَ:« حَتَّى لَقَدْ مَكَثْتُ أَنَا وَصَاحِبِي بَضْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَمَا طَعَامُنَا إِلَّا الْبَرِيرُ، حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ عَلَى إِخْوَانِنَا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَوَاسَوْنَا فِي طَعَامِهِمْ، وَعُظْمُ طَعَامِهِمْ هَذَا التَّمْرُ، وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُ اللَّحْمَ وَالْخُبْزَ لَأَطْعَمْتُكُمْ، وَلَكِنْ لَعَلَّكُمْ أَنْ تُدْرِكُوا - أَوْ مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ - زَمَانًا تَلْبَسُونَ فِيهِ مِثْلَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَيُغْدَى عَلَيْكُمْ وَيُرَاحُ الْجِفَانُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ أَوِ الْيَوْمَ؟ قَالَ: «**بَلْ أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ، أَنْتُمُ الْيَوْمَ إِخْوَانٌ، وَأَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[1].

---

(١) أخرجه الطبري في«تهذيب الآثار»(١٠٢٩) والبيهقي في«الدلائل» (٣/ ٥٢٤)بسندٍ صحيح.

إذن الله تعالى للمؤمنين بالقتال بعد أن استنفروا في المدينة المنورة على سَاكنها أفضل السلام.

أنزل الله تعالى في ذلك الوقت، قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ الحج.

فأُذن للصحابة أن يقاتلوا الكفار، ويدافعوا عن أنفسهم، وينتصروا ممن ظلمهم، وبَغَوا عليهم، وأخرجوهم من ديارهم.(١)

وقد أخرج أحمد (٢)،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ـ وهو صحيح ـ ، قَالَ: « لَمَّا أُخْرِجَ

---

(١) وليُبصر العَجُول الضعيف الذي يُعلنُ الجهاد، ولا قوة ولا عتاد إلا التهورالذي تزيَّا صاحبه بزيّ الشجاعة والتضحية والفداء ،فيُضَيِّع الطاقات سُدىً ثم لا ترىٰ إلا العار والشنار والخسارة ، التي يتبعها التلوُّن في الدين والكذب كما يُري ..وبعدُ الضياع وإفناء الأعمار تحت فكرة خائبة طائشة ...وإذا البلاد بلاقع الحيطان يا صاحبي ، تحت منهج خارجي يكون المعتقد فيه تحت راية جاهلية تُحسَب راية ذروة سنام الإسلام، ولا يدري الضائع المسكين أنه إن قتل تحتها يكون مع كلاب النار ، من شرقتلىٰ تحت أديم السماء خير قتيل من قتلوه، قتلتهم جاهلية، ونعود بالله من سوء المعتقد، وهدانا الله صراطاً مستقيماً .

(٢) في «المسند» (١٨٦٥)، والنسائي في«الكبرىٰ» (٤٢٧٨)، وفي سنده كلام، من جهة الراوي عن سفيان الثوري فيه.

النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ لَيَهْلِكُنَّ، فَنَزَلَتْ: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا، وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج: ٣٩]» قَالَ: «فَعُرِفَ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «هِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ».

سرايا رسول الله ﷺ وغزواته:

ذكرابْنُ إِسْحَاقَ: « أن أَوَّلُ مَا غَزَا النَّبِيُّ ﷺ: الأَبْوَاءَ، ثُمَّ بُوَاطَ، ثُمَّ العُشَيْرَةَ »[(١)].

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قال: كُنْتُ إِلَى جَنْبِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فَقِيلَ لَهُ: « كَمْ غَزَا النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةٍ؟ قَالَ: تِسْعَ عَشْرَةَ » قِيلَ: كَمْ غَزَوْتَ أَنْتَ مَعَهُ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ، قُلْتُ: فَأَيُّهُمْ كَانَتْ أَوَّلَ؟ قَالَ: العُسَيْرَةُ أَوِ العُشَيْرُ» فَذَكَرْتُ لِقَتَادَةَ فَقَالَ: العُشَيْرُ.[(٢)]

=

وله شاهد عن عائشة، أخرجه النسائي (١١٢٨٣)، من طريق الزُّهْرِيِّ، قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ كَمَا أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، عَنْ عَائِشَةَ: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج: ٣٩] إِلَى قَوْلِهِ {إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: ٤٠] ثُمَّ أَذِنَ بِالْقِتَالِ فِي آيٍ كَثِيرٍ مِنَ الْقُرْآنِ.

والسند حسن، وصححه الحافظ في «فتح الباري» (٧/ ٣٤٤) ط، دارالحديث.

(١) هذا في صحيح قبل حديث رقم (٣٩٤٩).

(٢)أخرجه البخاري (٣٩٤٩) ومسلم (١٢٥٤) .

ومراد زيد بن أرقم ﷺ: الغزوات التي خرج فيها ﷺ بنَفسِه سَواء قاتل أو لم يقاتل.

وقد أخرج أبو يعلى(١)، بإسنادٍ صححه الحافظ (٢)، عن أبي الزبير عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِحْدَى وَعِشْرِينَ غَزْوَةً.

وقال(٣): فَعَلَى هَذَا فَاتَ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ ذِكْرُ ثِنْتَيْنِ مِنْهَا وَلَعَلَّهُمَا الْأَبْوَاءُ وَبَوَاطُ وَكَأَنَّ ذَلِكَ خَفِيَ عَلَيْهِ لِصِغَرِهِ وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْتُهُ مَا وَقَعَ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِلَفْظِ قُلْتُ: مَا أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَالَ ذَاتُ الْعُشَيْرِ أَوِ الْعُشَيْرَةُ. وَالْعُشَيْرَةُ كَمَا تقدم هِيَ الثَّالِثَة. ا.هـ

وصح عن البَرَاء ﷺ قَالَ: «غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ».(٤)

وعَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ، قَالَ: «غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سِتَّ عَشْرَةَ غَزْوَةً».(٥)

❁ وتلخيص عدد الغزوت:

أنهم إحدى وعشرون غزوة كما تقدم في قول جابر ﷺ.

---

(١) في «مسنده» (٢٢٣٩).

(٢) في«فتح الباري» (٧/ ٣٤٥)، ط دار الحديث، مع أنه من طريق أبي الزبير عن جابر. ولم أر أبا الزبير صرح بالتحديث، وقد قال الحافظ: إسناده صحيح وأصله في مسلم. قلت«محمد»: لكن من غير طريق أبي الزبير عن جابر، وليس في هذا حصر للعدد كما سيأتي والله أعلم.

(٣) أي الحافظ في«الفتح».

(٤) كما في «صحيح البخاري» (٤٤٧٢).

(٥) كما في «صحيح البخاري» (٤٤٧٣) ومسلم(١٨١٤).

وقول من شَهِد وزاد حجة على قول غيره.[١]

فقوله المُقَدَّم، وغاية ما ورد من نقص في العدد في حكاية بعض الصحابة، أنه لم يشهد غزوات فلذا لم يعدّها.

وأيضًا أخرج أحمد[٢] عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: «غزونا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَأَنَا وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لِدَةٌ».

ومعنى لِدَة : أي في سن واحدة.

وأول غزوة غزاها ابن عمر هي: غزوة الأحزاب.[٣]

وكان قبلها سبعة غزوات، غزوة ذات العشير، وبدر، وبواط، وأحد، وحمراء الأسد، وبني النضير، وبني المصطلق، ثم الأحزاب كما سيأتي الترتيب.

فيكون تخلَّف ابن عمر عن سبعة، يضافون إلى خمسة عشر، التي عدَّ شهودها ، فيكون المجموع نحو إحدى وعشرين غزوة، كما أشار جابر رضي الله عنه فهذه حجته والله أعلم.

---

(١) لا سيما وفي«صحيح مسلم» (١٨١٣)، جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما ، يَقُولُ: «غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً»، قَالَ جَابِرٌ: «لَمْ أَشْهَدْ بَدْرًا، وَلَا أُحُدًا مَنَعَنِي أَبِي، فَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ يَوْمَ أُحُدٍ، لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ قَطُّ».

(٢) في« مسنده» (١٨٥٨٦)، وأصله في «صحيح البخاري»، كما تقدمت الإشارة إليه بغير لفظة : «لِدَة».

(٣) فإنه في «صحيح البخاري» (٣٩٥٦)، يقول البراء رضي الله عنه : «اسْتُصْغِرْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ.

غزوة بدر الأولى

قد ورد في هذا الباب أخبار مفادها:

أن رسول الله ﷺ حِينَ رجع مِنْ غَزْوَةِ الْعُشَيْرَةِ بعد لَيَالِيَ قَلَائِلَ لَا تَبْلُغُ الْعَشْرَ، حَتَّى أَغَارَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفِهْرِيُّ عَلَى سَرْحِ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي طَلَبِهِ، حَتَّى بَلَغَ وَادِيًا، يُقَالُ لَهُ: سَفْوَانُ، مِنْ نَاحِيَةِ بَدْرٍ، وَفَاتَهُ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ، وَهِيَ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْأُولَى.

وفاته ﷺ كرز بن جابر الفهري فلم يُدركه، وقد استَخلَف ﷺ يومها زيد ابن حارثة، وأن لواءه ﷺ كان مع علي ابن أبي طالب رضي الله عنه [1]

وكل هذا وشبهه لم يثبت منه شيء، إنما أسانيده مُرسَلة .

عدة غزوات وكرَّات يحاولها المسلمون للنيل من كفار قريش، بما أخرجوهم من مكة البلد الحرام، وسلبوهم حقوقهم، وظلموهم.

لكن حاصل المعاني يعطينا أن ثَّمَّ مناوشات كانت تحصل بين الحين والآخر بين المسلمين، وكفار مكة، هيأ الله بها لغزوة بدر الكبرى الآتي ذكرها، ولم أجد لذلك أسانيد صحيحة بتفصيل في ذلك.

---

(١) راجع «السيرة لابن هشام» (١/ ٥١٠).

ومن ذلك سرية عبد الله بن جحش التي أشار البخاري[١] إليها إشارة لا رواية، وهي قصة رواها ابن إسحاق، من وجه مرسل، عن عروة به .

وحاصله: أن رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعَثَ عَبْدَ اللهِ بْنَ جَحْشِ بْنِ رِئَابٍ الْأَسَدِيَّ فِي رَجَبٍ، مَقْفَلَهُ مِنْ بَدْرٍ الْأُولَى، وَبَعَثَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ رَهْطٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ، لَيْسَ فِيهِمْ مِنْ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ يَنْظُرَ فِيهِ، فَيَمْضِيَ لِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَلَا يَسْتَكْرِهَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا.

فَلَمَّا سَارَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ يَوْمَيْنِ فَتَحَ الْكِتَابَ، فَنَظَرَ فِيهِ فَإِذَا فِيهِ: إذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا فَامْضِ حَتَّى تَنْزِلَ نَخْلَةَ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، فَتَرَصَّدْ بِهَا قُرَيْشًا وَتَعَلَّمْ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ. فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ فِي الْكِتَابِ، قَالَ: سَمْعًا وَطَاعَةً، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَمْضِيَ إلَى نَخْلَةَ، أَرْصُدَ بِهَا قُرَيْشًا، حَتَّى آتِيَهُ مِنْهُمْ بِخَبَرٍ، وَقَدْ نَهَانِي أَلَا أَسْتَكْرِهَ أَحَدًا مِنْكُمْ.

فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ الشَّهَادَةَ وَيَرْغَبُ فِيهَا فَلْيَنْطَلِقْ، وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَرْجِعْ، فَأَمَّا أَنَا فَمَاضٍ لِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَضَى وَمَضَى مَعَهُ أَصْحَابُهُ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

فَمَرَّتْ بِهِ عِيرٌ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَبِيبًا وَأَدَمًا، وَتِجَارَةً مِنْ تِجَارَةِ قُرَيْشٍ، فِيهَا عَمْرُو ابْن الْحَضْرَمِيِّ.

---

(١) فِي بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الْمُنَاوَلَةِ، وَكِتَابِ أَهْلِ العِلْمِ بِالعِلْمِ إِلَى البُلْدَانِ قال: وَاحْتَجَّ بَعْضُ أَهْلِ الحِجَازِ فِي الْمُنَاوَلَةِ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ كَتَبَ لِأَمِيرِ السَّرِيَّةِ كِتَابًا وَقَالَ: «**لاَ تَقْرَأْهُ حَتَّى تَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا**». فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ المَكَانَ قَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ .

فَلَمَّا رَآهُمْ الْقَوْمُ هَابُوهُمْ وَقَدْ نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْهُمْ، فَأَشْرَفَ لَهُمْ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ، وَكَانَ قَدْ حَلَقَ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَمِنُوا، وَقَالُوا عَمَّارٌ، لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ.

وَتَشَاوَرَ الْقَوْمُ فِيهِمْ وَذَلِكَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ فَقَالَ الْقَوْمُ وَاللهِ لَئِنْ تَرَكْتُمْ الْقَوْمَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَيَدْخُلُنَّ الْحَرَمَ، فَلَيَمْتَنِعُنَّ مِنْكُمْ بِهِ وَلَئِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ لَتَقْتُلُنَّهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَتَرَدَّدَ الْقَوْمُ، وَهَابُوا الْإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ شَجَّعُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وَأَخْذِ مَا مَعَهُمْ.

فَرَمَى وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التَّمِيمِيُّ عَمْرَو بْنَ الْحَضْرَمِيِّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، وَاسْتَأْسَرَ عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللهِ،وَالْحَكَمَ ابْنَ كَيْسَانَ، وَأَفْلَتَ الْقَوْمَ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فَأَعْجَزَهُمْ.

وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ وَأَصْحَابُهُ بِالْعِيرِ وَبِالْأَسِيرَيْنِ، حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ.

وفيه استنكار كفارقريش، واليهود ما حصل من المسلمين في الشهر الحرام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ البقرة. (١)

(١) أخرجها ابن إسحاق كما في«سيرة ابن هشام» (١/ ٥١٣)، عن الزهري، عن يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير مرسلاً.

وأخرج عبد الرزاق[١]، بإسنادٍ صحيح مرسل عَنْ مِقْسَمٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَقِيَ وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَمْرَو بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبَ ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ فِي جُمَادَى ، فَقَتَلَهُ ، وَهُوَ أَوَّلُ قَتِيلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَعَيَّرَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: أَتَقْتُلُونَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ} [البقرة: ٢١٧] يَقُولُ: وَكُفْرٌ بِاللهِ ، {وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [البقرة: ٢١٧] يَقُولُ: «وَصَدٌّ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، {وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ} [البقرة: ٢١٧] مِنْ قَتْلِكُمْ عَمْرَو بْنَ الْحَضْرَمِيِّ ، {وَالْفِتْنَةُ} [البقرة:

=

قال الحافظ في«الفتح» (١/ ١٥٥)، عن الخبر:« وَقَدْ وَجَدْتُهُ من طَرِيقين إِحْدَاهمَا مُرْسلَة ذكرهَا بن إِسْحَاقَ فِي الْمَغَازِي ـ وساق السند المذكور ـ وَالْأُخْرَىٰ مَوْصُولَةٌ أَخْرَجَهَا الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ جُنْدُبٍ الْبَجَلِيِّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ ـ قلت محمد: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٦٢) (١٦٧٠)، بنحوه ـ قال :« ثُمَّ وَجَدْتُ لَهُ شَاهِدًا مِنْ حَدِيث بن عَبَّاسٍ عِنْدَ الطَّبَرِيِّ فِي التَّفْسِيرِ فَبِمَجْمُوعِ هَذِهِ الطُّرُقِ يَكُونُ صَحِيحًا » قال :

وَأَمِيرُ السَّرِيَّةِ اسْمُهُ عَبْدُ الله بْنِ جَحْشٍ الْأَسَدِيُّ أَخُو زَيْنَبَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَكَانَ تَأْمِيرُهُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ وَالسَّرِيَّةُ بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ التَّحْتَانِيَّةِ الْقِطْعَةُ مِنَ الْجَيْشِ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.انتهىٰ

(١) في« تفسيره»(٢٥٤).

قلت «محمد»: والذي أشار إليه الحافظ عن ابن عباس، لكن الذي رأيته عن مقسم مولىٰ ابن عباس لاعن ابن عباس، وهذا مرسل، هو كذلك عند عبد الرزاق، والطبري،وابن أبي حاتم، فلعل«ابن عباس» لفظة أُقحمت في «فتح الباري»، أو غير ذلك وإلا فما شهدنا إلا بما علمنا والله أعلم.

وبكل حال الخبر صحيح بمجموع الطرق كما أشار الحافظ، فللقصة أصلٌ ثابت والله أعلم .

٢١٧]يَقُولُ: « وَالشِّرْكُ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ {أَكْبَرُ} [البقرة: ٢١٧] مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا ».

سرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه لساحل البحر

(جيش الخبط)

قد ذكر بعض أصحاب المغازي ترتيب سرية أبي عبيدة بن الجراح في غير هذا الموطن.

لكن في حديث جابر رضي الله عنه قال:« بَعَثَنَا النَّبِيُّ ﷺ ثَلاَثَ مِائَةٍ رَاكِبٍ، وَأَمِيرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ، نَرْصُدُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى أَكَلْنَا الخَبَطَ، فَسُمِّيَ جَيْشَ الخَبَطِ، وَأَلْقَى البَحْرُ حُوتًا يُقَالُ لَهُ العَنْبَرُ، فَأَكَلْنَا نِصْفَ شَهْرٍ وَادَّهَنَّا بِوَدَكِهِ، حَتَّى صَلَحَتْ أَجْسَامُنَا» قَالَ: «فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلاَعِهِ فَنَصَبَهُ فَمَرَّ الرَّاكِبُ تَحْتَهُ، وَكَانَ فِينَا رَجُلٌ، فَلَمَّا اشْتَدَّ الجُوعُ نَحَرَ(١) ثَلاَثَ جَزَائِرَ، ثُمَّ ثَلاَثَ جَزَائِرَ، ثُمَّ نَهَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ» (٢).

وفي هذه السرية اشتد بهم الجوع ، فجمع أبو عبيدة زادهم في مزود، فكان يقوتنا حتى كان يصيبنا كل يوم تمرة.(٣)

---

(١) اسم الرجل الذي نحر لهم: هو قيس بن سعد بن عبادة .

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٩٤) وبوب لرقم (٤٣٦٠)بِبَابِ غَزْوَةِ سِيفِ البَحْرِ، وَهُمْ يَتَلَقَّوْنَ عِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَأَمِيرُهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ رضي الله عنه ، وأخرجه مسلم.

(٣) كما في رواية مسلم(١٩٣٥).

وكانوا يحملون أزوادَهم في هذه الغزوة على رقابهم.[١]

وفيه أنهم أكلوا من هذا العنبر ـ الجيش كله ـ ثمانية عشر ليلة، ولم يكن النبي ﷺ زودهم إلا جراباً من تمر. كما في رواية مسلم، وقد أكلوا منها حتى سمنوا، وكانوا قد أشكل عليهم هل يأكلوا منها أم لا، فاجتهدوا وأكلوا ثم أقرَّهم ﷺ .

فعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، قَالَ: فَقُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ، ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ، قَالَ: وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ، قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا، قَالَ: فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا وَنَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِنْ وَقْبِ عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ الدُّهْنَ، وَنَقْتَطِعُ مِنْهُ الْفِدَرَ كَالثَّوْرِ، أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ، فَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقْبِ عَيْنِهِ، وَأَخَذَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَقَامَهَا ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا، فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: « **هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟** »، قَالَ: فَأَرْسَلْنَا

(١) كما في رواية مسلم(١٩٣٥).

إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ.(١)

قال الحافظ بن كثير رحمه الله:

«وَمُقْتَضَى أَكْثَرِ هَذِهِ السِّيَاقَاتِ أَنَّ هَذِهِ السَرِيَّةِ كَانَتْ قبل صلح الحديبية ولكن أوردناها ها هنا تَبَعًا لِلْحَافِظِ الْبَيْهَقِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فَإِنَّهُ أَوْرَدَهَا بَعْدَ مُؤْتَةَ وَقَبْلَ غَزْوَةِ الْفَتْحِ، وَاللهُ أَعْلَمُ» (٢).

قلت«محمد»: وأضيف شيئـًا يؤكِّد ذلك، أن المجاعة التي كانوا فيها مشعرة بأن ذلك قبل خيبر، وغيرها مما فتح الله على المسلمين فيها، بسعة الرزق ، وإن كان هذا لا يمنع أن يكون مجاعة بعد ، فيؤكِّد هذا ما مال إليه ابن كثير، أن ذلك إنما كان مبكراً قبل الحديبية، فيكون ترتيبها هكذا في أحداث السيرة.والله أعلم.

وفي رواية(٣) تبين عِظم هذا العنبر:

وَشَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْجُوعَ، فَقَالَ: «**عَسَى اللهُ أَنْ يُطْعِمَكُمْ**» فَأَتَيْنَا سِيفَ الْبَحْرِ فَزَخَرَ الْبَحْرُ زَخْرَةً، فَأَلْقَى دَابَّةً، فَأَوْرَيْنَا عَلَى شِقِّهَا النَّارَ، فَاطَّبَخْنَا وَاشْتَوَيْنَا، وَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا، قَالَ جَابِرٌ: فَدَخَلْتُ أَنَا وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ، حَتَّى عَدَّ خَمْسَةً، فِي حِجَاجِ عَيْنِهَا مَا يَرَانَا أَحَدٌ، حَتَّى خَرَجْنَا، فَأَخَذْنَا ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَقَوَّسْنَاهُ، ثُمَّ دَعَوْنَا بِأَعْظَمِ رَجُلٍ فِي الرَّكْبِ، وَأَعْظَمِ جَمَلٍ فِي الرَّكْبِ، وَأَعْظَمِ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٣٥).

(٢) «البداية والنهاية» (٤/ ٣١٠).

(٣) عند مسلم (٣٠١٤)، في حديث جابر الطويل، في قصة أبي اليسر.

كِفْلٍ فِي الرَّكْبِ، فَدَخَلَ تَحْتَهُ مَا يُطَأْطِئُ رَأْسَهُ.

فهذا خبر سرية سيف البحر

وليس في الأحاديث تاريخ للسرية، لكن تلقِّي عير قريش كان بيقين قبل غزوة بدر، فظهر لي أن الأنسب وضعها في هذا الموطن والله أعلم.

وتقدم أن رسول الله ﷺ أرسلهم فيها لرصد عير كفار قريش، وهذا لا يكون بعد صلح الحديبية يقينًا، لأن بعد صلح الحديبية كانت مهادنة، وإن كان بعض المؤرِّخين كالبيهقي، وتبعه ابن كثيرفي « البداية والنهاية » ذكرها عقب غزوة ذات السلاسل، فوضعتها في هذا الموطن و، الله أعلم .

قصة تحويل القبلة[١]

كان ذلك في رجب من السنة الثانية للهجرة[٢]

أخرج البخاري[٣]، عَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه : «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ

(١) سنة اثنين من الهجرة قبل وقعة بدر.

(٢) هذا تأريخها على ما حرَّرَه ابن كثير في«البداية والنهاية» (٣/ ٢٦٧)، وهو واضح لما سيأتي، وفي تحديد الشهر نزاع .

(٣) برقم(٤٤٨٦) ومسلم (٥٢٥).

البَيْتِ[١]، وَأَنَّهُ صَلَّى، أَوْ صَلَّاهَا، صَلاَةَ العَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ ....

فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ المَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ، قَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ البَيْتِ، وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى القِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ البَيْتِ رِجَالٌ قُتِلُوا، لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ: {وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[٢]، بسندٍ حسن، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» قَالَ: فَوُجِّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، وَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ- وَهُمُ الْيَهُودُ- مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

❁ بلوغ أهل قباء تحويل القبلة، وسرعة استجابتهم وقبولم لخبر الآحاد

---

(١) ولذلك كان يحب أن تصرف قبلته نحو الكعبة قبلة إبراهيم، وكان يكثر الدعاء، والتضرع، والإبتهال إلى الله أن يُشَرِّع له ذلك، فكان كثيراً ما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلاً ذلك، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ البقرة.

(٢) في «تفسيره» (١٣٢٨).

اعلم أن أهل قباء لم يبلغهم خبر بلوغ تحويل القبلة إلى الكعبة حتى صلاة الصبح في اليوم الثاني.

فقد أخرج البخاري(١)،عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الكَعْبَةِ».

قال ابن كثير رحمه الله:

وَالْمَقْصُودُ أَنَّه لمَّا نَزَلَ تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ وَنَسَخَ بِهِ اللهُ تَعَالَى حُكْمَ الصَّلَاةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والأغبياء قالوا مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا هَذَا وَالْكَفَرَةُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَعْلَمُونَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ اللهِ لِمَا يَجِدُونَهُ مِنْ صِفَةِ محمَّد ﷺ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ أَنَّ الْمَدِينَةَ مُهَاجَرُهُ وَأَنَّهُ سَيُؤْمَرُ بِالِاسْتِقْبَالِ إلى الكعبة كما قال: (وأن الذين أورثوا الكتاب ليعلمون إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ ربهم) الآية وَقَدْ أَجَابَهُمُ اللهُ تَعَالَى مَعَ هَذَا كُلِّهِ عن سؤالهم، ونعتهم فَقَالَ: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مستقيم) أَيْ هُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فِي خَلْقِهِ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ فِي شَرْعِهِ وَهُوَ الَّذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ عَنِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ وَلَهُ فِي ذَلِكَ الْحِكْمَةُ الَّتِي يَجِبُ لَهَا الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

(١) في«البداية والنهاية» (٣/ ٢٦٨).

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) أَيْ خِيَارًا (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شهيداً) أَيْ وَكَمَا اخْتَرْنَا لَكُمْ أَفْضَلَ الْجِهَاتِ فِي صَلَاتِكُمْ وَهَدَيْنَاكُمْ إِلَى قِبْلَةِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَالِدِ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ الَّتِي كَانَ يُصَلِّي بِهَا مُوسَى فَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ خِيَارَ الْأُمَمِ وَخُلَاصَةَ الْعَالَمِ وَأَشْرَفَ الطَّوَائِفِ وَأَكْرَمَ التَّالِدِ وَالطَّارِفِ لِتَكُونُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ لِإِجْمَاعِهِمْ عَلَيْكُمْ وَإِشَارَتِهِمْ يَوْمَئِذٍ بِالْفَضِيلَةِ إِلَيْكُمْ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[1]: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا مِنَ اسْتِشْهَادِ نُوحٍ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِذَا اسْتَشْهَدَ بِهِمْ نُوحٌ مَعَ تَقَدُّمِ زَمَانِهِ فَمَنْ بَعْدَهُ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُبَيِّنًا حِكْمَتَهُ فِي حُلُولِ نِقْمَتِهِ بِمَنْ شَكَّ وَارْتَابَ بِهَذِهِ الْوَاقِعَةِ.

وَحُلُولِ نِعْمَتِهِ عَلَى مَنْ صَدَّقَ وَتَابَعَ هَذِهِ الْكَائِنَةَ.

فَقَالَ: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يتبع الرسول» .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: إِلَّا لِنَرَى مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَإِنْ كَانَتْ لكبيرة أَيْ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْكَائِنَةُ الْعَظِيمَةُ الْمَوْقِعِ كبيرة المحل شديدة الأمر إِلَّا عَلَى الَّذِي هَدَى اللهُ أَيْ فَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِهَا مُصَدِّقُونَ لَهَا لَا يَشُكُّونَ وَلَا يَرْتَابُونَ بَلْ يَرْضَوْنَ وَيُؤْمِنُونَ وَيَعْمَلُونَ لِأَنَّهُمْ عَبِيدٌ لِلْحَاكِمِ الْعَظِيمِ الْقَادِرِ الْمُقْتَدِرِ الْحَلِيمِ الْخَبِيرِ اللَّطِيفِ الْعَلِيمِ وَقَوْلُهُ: (وَمَا كَانَ اللهُ لِيضيع إيمانكم) أَيْ بِشِرْعَتِهِ اسْتِقْبَالَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالصَّلَاةَ إِلَيْهِ.

---

(١) برقم (٣٣٣٩) وقد تقدم سياقه فيما فُضِّلت به أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم، وهو على الأنبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

❁ وسبب وقوع اليهود في مثل هذه الزلَّة وهو الحسد

أخرج أحمد[١] عن عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَعَلَيْكَ**» قَالَتْ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَعَلَيْكَ**» قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: بَلِ السَّامُ عَلَيْكُمْ وَغَضَبُ اللهِ إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، أَتُحَيُّونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمَا لَمْ يُحَيِّهِ بِهِ اللهُ؟ قَالَتْ: فَنَظَرَ إِلَيَّ، فَقَالَ: « **مَهْ، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ قَالُوا قَوْلًا، فَرَدَدْنَاهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَضُرَّنَا شَيْءٌ، وَلَزِمَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ** ».

فرضية الصيام في السنة الثانية من الهجرة

---

(١) برقم(٢٥٠٣٠)، بإسناد فيه ضعف ..

ولكن له شاهد أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٨٢)، بذكر التسليم، والتأمين ، واللهم لك الحمد، ولكن حسدهم على التسليم وآمين ثابت أخرجه ابن ماجة (٨٦٥)، بذكر السلام والتأمين.

وحسدهم على هدايتنا ليوم الجمعة ثابت في «صحيح البخاري» (٨٧٦) ومسلم (٨٥٥)، وبقي حسدهم للمسلمين على تحويل القبلة، لم أجده من وجه صحيح، وليس بمستبعد منهم، فهم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله كما أشار الله تعالى.

كان النبي ﷺ يصوم يوم عاشوراء قبل فرض صيام شهر رمضان، ويأمر الصحابة بصيامه.

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَعُدُّهُ اليَهُودُ عِيدًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَصُومُوهُ أَنْتُمْ»(١)

وذلك لأن النَّبِيَّ ﷺ قَدِمَ المَدِينَةَ فَرَأَى اليَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»، قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ»، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ(٢)

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمَرَ بِصِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ». (٣)

وصيام رمضان كان على مراحل، كان في البداية من شاء صام ومن شاء أطعم، ثم نزل قوله تعال: قَالَ تَعَالَىٰ: {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾} البقرة. والتفصيل في كتب الفقه.

وحكى ابن جرير الطبري، وغيره: أن الزكاة فُرضت في هذا العام، وتفريعات

(١) صحيح أخرجه البخاري (٢٠٠٥) ومسلم (١١٣١).

(٢) كما في «صحيح البخاري» (٢٠٠٤).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٠١) ومسلم (١١٢٥).

أحكامها محلّها في كتب الفقه أيضـاً.

تمهيد بين يدي غزواته ﷺ

إن غزوات رسول الله ﷺ كانت لأجل نشر الدين الذي يقف الكفار حجرة عثرة أمام نشره، وفي ذلك فوائد أخرى، كاسترداد الحقوق إلي أهلها، ونشر العدل بين الناس، وعقوبة المعتدي الذي لايردعه إلا السيف والقهروالذل والهوان، وذلك بخلاف قتال الكفار في حروبهم، فإنهم يحارِبون من أجل إطفاء نور الله، والطغيان بالباطل، والقهر لعباد الله تعالي والعلو في الأرض، أو السيطره علي ثروات الشعوب والغطرسة والاستبداد بالهيمنة في البلاد، و إلقاء الأعزة في غيابات السجون...فشتان شتان بين حروب هؤلاء الكفار، وبين غزوات المسلمين التي كان يقوم بها رسول الله ﷺ لنشرالعزَّة وإتمام مكارم الأخلاق ومحاسن الطباع، وتحقيق كل خير يعود علي البشرية من تعبيد الناس لله....

ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ:

«اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ،

وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا.[١]

وكان ينهاهم عن قتل النساء وغير ذلك مما هو من شيم الكرام .

غزوة بواط أو بطن بواط[٢]

قال ابن اسحاق :

أَوَّلُ مَا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْأَبْوَاءُ. ثُمَّ بُوَاطُ، ثُمَّ الْعُشَيْرَةُ.

ثُمَّ رَوَى عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ أَنَّهُ سُئِلَ كَمْ غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: تِسْعَ عَشْرَةَ شَهِدَ مِنْهَا سَبْعَ عَشْرَةَ أَوَّلُهُنَّ الْعُسَيْرَةُ- أَوِ الْعُشَيْرَةُ-[١] وهذا علي خلافِ ماقال

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١)وراجع «علل ابن أبي حاتم»(٩٧٩).

(٢) وبواط اسم جبل من جبال جُهينة على بُعد بريد من المدينة وكانت عندها الغزوة في السنة الثانية للهجرة .

ابن إسحاق أن أولي الغزوات كانت الأبواء ثم بواط، ثم العشيرة فالله أعلم بتحديد تاريخ هذه الغزوة، وبكل حال فالعظة والعبرة والدرس مأخوذ من الغزوة بصرف النظر عن معرفة ترتيبها بين الغزوات والله أعلم.

أرادَ النبيَّ ﷺ شيئًا ثم رجع إلي المدينةِ ولم يلق كيداً ﷺ .

وقد أخرجه مسلم [٢] أيضـًا ولفظه :

سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ، وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو [٣] الْجُهَنِيَّ، وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ، فَأَنَاخَه فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ [٤]، فَقَالَ لَهُ: شَأْ، لَعَنَكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟**» قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْ بِمَلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا**

=

(١) كما في صحيح البخاري (٣٩٤٩) ومسلم (١٢٥٤) .

(٢) برقم (٣٠٠٩) وما بعدها إلي (٢٠١٣) بَابُ حَدِيثِ جَابِرٍ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أَبِي الْيَسَرِ.

(٣) عندما بلغت سرية حمزة بن عبد المطلب سيف البحر، التقت بعير لقريش التي جاءت من الشام، وفيها أبو جهل في ثلاث مئة راكب من أهل مكة، فاصطف الفريقان للقتال، فمشىٰ بينهم مجدي ابن عمرو وكان حليفاً للفريقين فلم يزل بينهما حتىٰ انصرف القوم، وانصرف حمزة راجعاً إلىٰ المدينة، فلأجل أنه عطل علىٰ المسلمين ما أرادوا ، كانت الغزوة لطلبه .

(٤) فتلدن عليه بعض التلدن: أي تتلكأ وتتوقف عليه فلم تنبعث.

تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ». (١)

سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ عُشَيْشِيَةٌ وَدَنَوْنَا مَاءً مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ، قَام رَسُولُ الله ﷺ: قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَقُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ رَجُلٌ يَتَقَدَّمُنَا فَيَمْدُرُ الْحَوْضَ فَيَشْرَبُ وَيَسْقِينَا؟ قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَقُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّ رَجُلٍ مَعَ جَابِرٍ؟**» فَقَامَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ، فَانْطَلَقْنَا إِلَى الْبِئْرِ، فَنَزَعْنَا فِي الْحَوْضِ سَجْلًا أَوْ سَجْلَيْنِ، ثُمَّ مَدَرْنَاهُ، ثُمَّ نَزَعْنَا فِيهِ حَتَّى أَفْهَقْنَاهُ، فَكَانَ أَوَّلَ طَالِعٍ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَتَأْذَنَانِ؟**».

قُلْنَا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ فَأَشْرَعَ نَاقَتَهُ فَشَرِبَتْ، ثم شَنَقَ لَهَا فَشَجَتْ فَبَالَتْ، ثُمَّ عَدَلَ بِهَا فَأَنَاخَهَا، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحَوْضِ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ قُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ مِنْ مُتَوَضَّإِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَهَبَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ ذَهَبْتُ أَنْ أُخَالِفَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا فَلَمْ تَبْلُغْ لِي، وَكَانَتْ لَهَا ذَبَاذِبُ فَنَكَّسْتُهَا، ثُمَّ خَالَفْتُ بَيْنَ طَرَفَيْهَا، ثُمَّ تَوَاقَصْتُ عَلَيْهَا، ثُمَّ جِئْتُ حَتَّى قُمْتُ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي حَتَّى أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ جَاءَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ جَاءَ فَقَامَ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ

---

(١) كذا التوجيه والتعليم لم يتوقف حتي قرب التحام الصفوف، إنها الرسالة التي أرسله الله من أجلها، لكن الذين يسعون للكراسي، يتنازلون عن طلب العلم والدعوة إلى الله متى توهمُّوا أنها تُعَطِّل مطلوبهم أو تؤخِّره.

رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدَيْنَا جَمِيعًا، فَدَفَعَنَا حَتَّى أَقَامَنَا خَلْفَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْمُقُنِي وَأَنَا لَا أَشْعُرُ، ثُمَّ فَطِنْتُ بِهِ، فَقَالَ هَكَذَا، بِيَدِهِ - يَعْنِي شُدَّ وَسَطَكَ - فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**يَا جَابِرُ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**إِذَا كَانَ وَاسِعًا فَخَالِفْ بَيْنَ طَرَفَيْهِ، وَإِذَا كَانَ ضَيِّقًا فَاشْدُدْهُ عَلَى حَقْوِكَ**»(١).

سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ قُوتُ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَمْرَةً، فَكَانَ يَمَصُّهَا ثُمَّ يَصُرُّهَا فِي ثَوْبِهِ، وَكُنَّا نَخْتَبِطُ بِقِسِيِّنَا وَنَأْكُلُ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَأُقْسِمُ أُخْطِئَهَا رَجُلٌ مِنَّا يَوْمًا، فَانْطَلَقْنَا بِهِ نَنْعَشُهُ، فَشَهِدْنَا أَنَّهُ لَمْ يُعْطَهَا، فَأُعْطِيَهَا فَقَامَ فَأَخَذَهَا

سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ، الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا، لَأَمَ بَيْنَهُمَا - يَعْنِي جَمَعَهُمَا - فَقَالَ: «**الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**» فَالْتَأَمَتَا، قَالَ جَابِرٌ:

---

(١) التوجيهات النبوية وتربيته ﷺ وتعليمه للصحابة أحكام وآداب اللباس..لا يُفرَّط فيها في أي وقت أبداً، فكيف وهي مُقدِّمة التوفيق والله، بخلاف طريقة من اتبعوا السُّبل وخالفوا الهدي من الجماعات المنحرفة ، فإنهم يتركونها لأجل الانتخابات، فتأمَّل أحداث السيرة- بارك الله فيك - فليست قصص السيرة يُتسلى بها ..

فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ وَقْفَةً، فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ [1] بِرَأْسِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا - ثُمَّ أَقْبَلَ [2]، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ قَالَ: «**يَا جَابِرُ هَلْ رَأَيْتَ مَقَامِي؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَانْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، فَأَقْبِلْ بِهِمَا، حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ»، قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجَرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَسَرْتُهُ، فَانْذَلَقَ لِي، فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجُرُّهُمَا حَتَّى قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَرْسَلْتُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِي، ثُمَّ لَحِقْتُهُ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَعَمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: «**إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَأَحْبَبْتُ، بِشَفَاعَتِي، أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا، مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ**».

قَالَ: فَأَتَيْنَا الْعَسْكَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا جَابِرُ نَادِ بِوَضُوءٍ**» فَقُلْتُ: أَلَا وَضُوءَ؟ أَلَا وَضُوءَ؟ أَلَا وَضُوءَ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا وَجَدْتُ فِي الرَّكْبِ

---

(١) أحد الرواة في السند .

(٢) وفائدة حصول هذه المعجزة في هذا التوقيت تثبيت المؤمنين ، وإشعارهم أن الله معهم وأنهم على الحق وأنه سبحانه ناصرهم، وأن مخالفهم على الباطل، ثم نشر هذا الحدث في المجتمع يومها مما يكون سبباً في تكثير سواد المؤمنين، ونشر الإيمان وزيادة اليقين..، وهذا من إعداد الله لأوليائه والتوطئة لغزوة بدر الكبرى التي ستأتي...وإن ربي لطيف لما يشاء ..

مِنْ قَطْرَةٍ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُبَرِّدُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَاءَ فِي أَشْجَابٍ لَهُ[١]، عَلَى حِمَارَةٍ مِنْ جَرِيدٍ، قَالَ: فَقَالَ لِيَ: «**انْطَلِقْ إِلَى فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ الْأَنْصَارِيِّ، فَانْظُرْ هَلْ فِي أَشْجَابِهِ مِنْ شَيْءٍ؟**».

قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ فَنَظَرْتُ فِيهَا فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ شَجْبٍ مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أُفْرِغُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ شَجْبٍ مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أُفْرِغُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ، قَالَ: «**اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهِ**» فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَيَغْمِزُهُ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ أَعْطَانِيهِ، فَقَالَ: «**يَا جَابِرُ نَادِ بِجَفْنَةٍ**» فَقُلْتُ: يَا جَفْنَةَ الرَّكْبِ فَأُتِيتُ بِهَا تُحْمَلُ، فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بِيَدِهِ فِي الْجَفْنَةِ هَكَذَا، فَبَسَطَهَا وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ وَضَعَهَا فِي قَعْرِ الْجَفْنَةِ، وَقَالَ: «خُذْ يَا جَابِرُ فَصُبَّ عَلَيَّ، وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ» فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: بِاسْمِ اللهِ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَتَفَوَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ فَارَتْ الْجَفْنَةُ وَدَارَتْ حَتَّى امْتَلَأَتْ، فَقَالَ: «**يَا جَابِرُ نَادِ مَنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِمَاءٍ**» قَالَ فَأَتَى النَّاسُ فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوُوا، قَالَ: فَقُلْتُ: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ؟ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلْأَى[٢].

---

(١) وفيه استحباب خدمة أهل الفضل والعلم.

(٢) فالمعجزة الماضية في الشجرتين لم يشهدها إلا جابر رضي الله عنه، ولكن هذه على الملأ رأها القوم جميعاً، فمن رأى ذلك ازداد يقينة وثباته، وكان هذا تصديقاً لخبر جابر رضي الله عنه في الشجرتين ...وهذا مما يُعدُّه الله لأوليائه، وسيكون لمثل هذا الأثر البالغ على شخصية جابر رضي الله عنه في محنته يوم وفاة أبيه يوم أُحد، يوم كُلِّف بأعباء لا تطيقها الجبال الراسيات، كما سأتي في موطنه إن شاء الله.

غَزْوَةِ العُشَيْرَةِ أَوِ العُسَيْرَةِ

تقدم قول زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ وأن أول ذلك كانت غَزْوَةِ العُشَيْرَةِ أَوِ العُسَيْرَةِ [١]

وَنُسِبَتْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَصَلُوا إِلَيْهِ وَاسْمُهُ الْعُشَيْرُ أَوِ الْعُشَيْرَةُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ وَهُوَ مَوضِع .

وحكي الحافظ في «الفتح»[٢] عن ابن سعد: «أَنَّ الْمَطْلُوبَ فِي هَذِهِ الْغَزَاةِ هِيَ عِيرُ قُرَيْشٍ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّام بِالتِّجَارَة ففاتهم وَكَانُوا يَتَرَقَّبُونَ رُجُوعَهَا فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَلَقَّاهَا لِيَغْنَمَهَا فَبِسَبَبِ ذَلِكَ كَانَتْ وقْعَة بدر».

وعلي ما تقدم فلعلَّ الأنسب أن تكون تلك الغزوة أول الغزوات فيكون مكانها قبل سرية سيف البحر قبل، وقد نصَّ زيد بن أرقم رضي الله عنه أنها أول الغزوات فقال لما سئل :فَأَيُّهُمْ كَانَتْ أَوَّلَ؟ قَالَ: العُسَيْرَةُ أَوِ العُشَيْرُ ، لأن قول زيد بن أرقم نصٌّ في أنها أول الغزوات، وهو الراوي والرائي، وإنما وضعتها هنا لكون العلماء سَمُّوها غزوة، وأما « سيف البحر » فقد سَمُّوها سرية والأمر قريب والله أعلم

غزوة بدر الكبرى

المدخل:

كان حال المسلمين كما وصفهم الله تعالي بقوله تَعَالَىٰ:

---

(١) كما في صحيح البخاري (٣٩٤٩) ومسلم (١٢٥٤) .

(٢) « فتح الباري »(٧/ ٣٤٦)

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ آل عمران.

أخرج الله المؤمنين من بيوتهم بالحق كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الأنفال.

بعد بعث سرية عبد الله بن جحش ، حصلت غزوة بدر علي ماسيأتي تفصيله إن شاء الله .

ومن ذلك ما أخرجه النسائي [١] بسند حسن عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانُوا يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَكَانَ زَمِيلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو لُبَابَةَ فَكَانَ إِذَا كَانَ عُقْبَتُهُ قَالَا: ارْكَبْ حَتَّى نَمْشِيَ فَيَقُولَ: «**مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا** ». و الشاهد، ذكر بعض أحوالهم رضي الله عنهم .

سببها:

ما وروي بسند مرسل ، [٢] **عَنْ عُرْوَةَ:** أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ كَانَ بِالشَّامِ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا مِنْهُمْ مَخْرَمَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَأَقْبَلُوا فِي قَافِلَةٍ عَظِيمَةٍ فِيهَا أَمْوَالُ قُرَيْشٍ فَنَدَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ يَتَجَسَّسُ الْأَخْبَارَ فَبَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَنْفَرَ أَصْحَابَهُ بِقَصْدِهِمْ فَأَرْسَلَ ضَمْضَمَ بْنَ عَمْرٍو الْغِفَارِيَّ إِلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ يُحَرِّضُهُمْ عَلَى الْمَجِيءِ لِحِفْظِ أَمْوَالِهِمْ وَيُحَذِّرُهُمُ الْمُسْلِمِينَ.

---

(١) في « الكبري» (٨٧٥٦).

(٢) عند ابن إسحاق كما قال الحافظ في «الفتح » (٧/ ٣٤٦) .

فَاسْتَنْفَرَهُمْ ضَمْضَمُ فَخَرَجُوا فِي أَلْفِ رَاكِبٍ وَمَعَهُمْ مِائَةُ فَرَسٍ وَاشْتَدَّ حَذَرُ أَبِي سُفْيَانَ فَأَخَذَ طَرِيقَ السَّاحِلِ وَجَدَّ فِي السَّيْرِ حَتَّى فَاتَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمَّا أَمِنَ أَرْسَلَ إِلَى مَنْ يَلْقَى قُرَيْشًا يَأْمُرُهُمْ بِالرُّجُوعِ فَامْتَنَعَ أَبُو جَهْلٍ مِنْ ذَلِكَ فَكَانَ مَا كَانَ من وقْعَة بدر.

ويؤيد بعض ذلك:

ما أخرجه مسلم [1] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: «**إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا**»، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «**لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا**»، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**»، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**»، قَالَ:- يَقُولُ عُمَيْرُ ابْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ

(١) برقم (١٩٠١).

مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.

وفي حديث كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي تَخَلَّفْتُ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ». (١)

❁ وأما عن موعد تاريخ غزوة بدر تحديداً .

فقد صح عن عَبد اللهِ بْنُ مَسْعُودْ أنه قال: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ صَبَاحَةَ بَدْرٍ، أَوْ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، أَوْ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ**» (٢) أي في رمضان.

---

(١) كما في صحيح البخاري (٣٩٥١) ومسلم (٢٩٦٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٧٦٩٧) عن سفيان الثوري عن الأعمش عن الأسود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه به....كذا رواه الثوري، وعبد الرزاق في الثوري ليس بالقوي، سماعه من سفيان بمكة مضطرب فراجع «سؤالات الأثرم »لأحمد رقم(٢)، و«الكامل» لابن عدي .

وقدأخرجه البيهقي في «الكبرىٰ»(٤/ ٥١٠) من طريق الْحُسَيْنُ بْنُ حَفْص عن سفيان عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ:قَالَ عَبْدُ الله بن مسعود ..به، فزاد إبراهيم بينهما.

وتابعه أبومعاوية عند ابن أبي شيبة (٢/ ٢٥٠) والبزار في« المسند »(٥/ ٦٠) رقم (١٦٢٢) وجرير عند البيهقي في «الدلائل »(٣/ ١٢٨) والقاسم بن معن عند ابن الأعرابي في «المعجم»(٩٢٣) ثلاثتهم (جرير وأبو معاوية والقاسم) عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله قال: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ لِسَبْعٍ تَبْقَىٰ، تَحَرَّوْهَا لِتِسْعٍ تَبْقَىٰ، تَحَرَّوْهَا لِإِحْدَىٰ عَشْرَةَ تَبْقَىٰ صَبِيحَةَ بَدْرٍ، فَإِنَّ

وأخرج ابن سعد، وغيره بإسناد صحيح علي شرط البخاري، عن مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ قال: «سُئِلَ أَبُو أَيُّوبَ عَنْ يَوْمِ بَدْرٍ فَقَالَ: إِمَّا لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ. أَوْ لِثَلاثَ عَشْرَةَ بَقِيَتْ. أَوْ لإِحْدَى عَشْرَةَ بَقِيَتْ. أَوْ لِتِسْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ». (١)

وهذا تردُّد من أبي أيوب رضي الله عنه والحاصل: أن اليوم من السابع عشر إلي التاسع عشر من رمضان. والله أعلم .

أحداث غزوة بدر الكبري:

تقدم ذكر سبب ذلك وهو مشهور أن رسول الله ﷺ خرج يأخذ عير قريش جزاء وفاقًا (٢) ليأخذوا مقابلاً لبعض حقوقهم، وأفلتت العير، لكن أبا الجهل استنفر الناس ليقضي الله أمراً كان مفعولا، فكان من أجلب الشرور على من استخفَّهم، وأراد أن يحارب بجيش اللات والعزى جنودَ رب السموات و الأرض فأراد الله عزوجل أن ينتقم منهم بمشاقتهم الله ورسوله ﷺ لسنوات

=

الشَّمْسَ تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا صَبِيحَةَ بَدْرٍ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْضَاءَ لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ ».

وأخشى أن يكون حصل سقط في «المصنف».

ونخلص من ذلك أن وقعة بدر كانت في رمضان .

(١) أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٢/ ١٥) وأبو زرعة في «تاريخه» (ص١٦٣)

(٢) بما أخرجوهم من ديارهم وعذَّبوهم وشتموهم وكذَبوا عليهم، وأخذوا أموال بعضهم وأهانوهم وصدُّوا عن سبيل الله، حتي باع بعضهم دار النبي ﷺ ورباعه وقد جَمَلَ ربنا ذلك فقال تَعَالَىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ الحج.

وتبديل نعمة الله كفراً قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ إبراهيم .

وذلك ليجمع الله بين أوليائه وبين أعدائه على غير ميعاد .

وأخرج البخاري من طريق عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: {الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا} [إبراهيم: ٢٨]. قَالَ: «هُمْ وَاللهِ كُفَّارُ قُرَيْشٍ» قَالَ عَمْرٌو: هُمْ قُرَيْشٌ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نِعْمَةُ اللهِ {وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ} [إبراهيم: ٢٨] قَالَ: «النَّارَ، يَوْمَ بَدْرٍ» (١).

ليُحِقَ الله الحقَ ويبطل الباطل ويقطع دابر الكافرين وقد دعا رسول الله ﷺ عليهم فماذا يُنتَظر .

تنبيه:

رأت عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله عنها رؤيا حاصل تأويلها أن بعد ثلاث يصاب كفار قريش فلا ينجو بيت من مصيبة تُحِلّ به .

وهي قصة طويلة وفيها شيئ وقع بين العباس بن عبد المطلب وأبي جهل رأيتها غير ثابتة الأسانيد(١)، فأثرت عدم تسويد الصفحات بها والله الموفق.

---

(١) وهذا في صحيح البخاري (٣٩٧٧).

وهو قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد أخرج النسائي في «الكبري»(١١٢٠٣) بإسناد صحيح عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، سَمِعَ عَلِيًّا رضي الله عنه، وَسَأَلَهُ ابْنُ الْكَوَّاءِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ {الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ الله كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا} [إبراهيم: ٢٩] قَالَ: «هُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ».

❁ خروج أعداد الكفار لغزوة بدر :

أخرج البخاري [٢] عن عَبْد الله بْن مَسْعُودٍ ﷺ قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ، قَالَ: أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ؟ فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الوَادِي، تَخَلَّفُوا مَعَكَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ: أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي، فَوَاللهِ لَأَشْتَرِيَنَّ أَجْوَدَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ،...الحديث، وثم عدَّة أسانيد مراسيل أن كفار قريش كانوا بين رجلين: إما خارج وإما باعث مكانه غيره من قريش، وخرج الأشراف، حتي لا يتخلَّف الناس بتخلُّفهم كما أشار بعضهم علي بعض ، وتجَهَّز الناسُ سِراعًا[٣] .

تنبيه:

مايذكر من أنه لَمَّا أَجمَعَتْ قُرَيْشٌ الْمَسِيرَ ذَكَرَتْ الَّذِي كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَنِي بَكْرٍ، فَكَادَ ذَلِكَ يُثْنِيهِمْ، فَتبَدَّى لَهُمْ إبْلِيسُ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ الْمُدْلِجِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي كِنَانَةَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنَا لَكُمْ جَارٌ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كِنَانَةُ مِنْ خَلْفِكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَخَرَجُوا سِرَاعًا

=

(١) أخرجها ابن إسحاق في «السيرة» كما في سيرة ابن هشام (١/ ٥١٦) والآيات المتحدثه عن الغزوة في سورة «الأنفال» .

(٢) برقم (٣٩٥٠).

(٣) هذا ظاهر من النظر في الأسانيد الصحيحة والأحداث وإن كانت الأسانيد بتفصيل ذلك مراسيل في صحتها نظر.

(١).

وبعد أن غَرَّهُم وساروا معه مغتَرِّين برایاته وجنودِه فكأنه أسلمهم إلي مصارعهم وهم لايشعرون، وأما فكما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ الأنفال.

كعادته: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الحشر.

فرَّ إبليس ذاهبًا بعدَ أن أسلمهم إلى مصارعهم، هرب بعد أن كان هو المشجِّع لهم ،وبئس الجار كان ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ النساء.

استشارة النبي ﷺ للمسلمين قبل الغزوة

أخرج النسائي بإسنادٍ علي شرط الصحيح عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ:«سَارَ إِلَى بَدْرٍ فَاسْتَشَارَ الْمُسْلِمِينَ وَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ فَأَشَارَ عَلَيْهِ عُمَرُ» فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِيَّاكُمْ يُرِيدُ

(١) هذا أخرجه ابن هشام كما في «السيرة النبوية»(١/ ٥٢٠) عن ابن إسحاق بإسناد عن عروة مرسلاً، ولم يُدرِك ذلك. ولكن الآية تفيد أن شيئاً من ذلك حصل، وإن كان ليس بنفس التفصيل والتعيين. والله أعلم.

رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ[1]: «إِذًا لَا نَقُولُ مَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ ضَرَبْتَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرَكِ الْغِمَادِ لَاتَّبَعْنَاكَ». (٢)

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا.

قَالَ: فَنَدَبَ ﷺ النَّاسَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ، وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الْحَجَّاجِ، فَأَخَذُوهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فِي النَّاسِ، فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ، قَالَ:

«**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ**»، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ**»، قَالَ: وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ «**هَاهُنَا، هَاهُنَا**». قَالَ: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.[1]

---

(١) القائل هو الأنصاري النائب عنهم.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٢٩٠) وأحمد (١٢٠٢٢).

تنبيه:

ورد عن أبي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ قال: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ- ﷺ وَنَحْنُ بِالْمَدِينَةِ، وَبَلَغَهُ أَنَّ عير أَبِي سُفْيَانَ قَدْ أَقْبَلَتْ فَقَالَ: مَا تَرَوْنَ فِيهَا؟ لَعَلَّ اللهَ يَغْنِمْنَاهَا وَيُسْلِمْنَا، فَخَرَجْنَا فَسِرْنَا يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، فَقَالَ: مَا تَرَوْنَ فِيهِمْ؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَنَا طَاقَةٌ بِقِتَالِ الْقَوْمِ، إِنَّمَا خَرَجْنَا لِلْعِيرِ، قَالَ الْمِقْدَادُ: لَا تَقُولُوا كَمَا قَالَ

=

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٧٧٩).

وفي صحيح مسلم كذلك عن عمر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ، بِالْأَمْسِ، يَقُولُ: «**هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ**»، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَجُعِلُوا فِي بِئْرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللهُ حَقًّا**»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ: «**مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا**»

وفي بعض الرويات أن القائل هو سعد بن معاذ وقد قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٢٨٨) في تعقيبه على تسمية سعد بن عبادة: وَوَقَعَ فِي مُسْلِمٍ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ هُوَ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ وَكَذَا أخرجه ابن أَبِي شَيْبَةَ مِنْ مُرْسَلِ عِكْرِمَةَ وَفِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا وَإِنْ كَانَ يُعَدُّ فِيهِمْ لِكَوْنِهِ مِمَّنْ ضُرِبَ لَهُ بِسَهْمِهِ كَمَا سَأَذْكُرُهُ فِي آخِرِ الْغَزْوَةِ وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَشَارَهُمْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ مَرَّتَيْنِ الْأُولَى وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ أَوَّلَ مَا بَلَغَهُ خَبَرُ الْعِيرِ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ وَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ وَلَفْظُهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ وَالثَّانِيَةُ كَانَتْ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَابِ وَوَقَعَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قَالَ ذَلِكَ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَهَذَا أَوْلَى بِالصَّوَابِ».

قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قَاعِدُونَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ الأنفال.

فهذا لا يصح سنده ولا يليق بالأنصار وهو مُغاير للرويات الصحيحة التي تقدم ذكرها [١] وإن دلَّت الآية علي كراهية البعض لشيءٍ من ذلك فلم يفصح أحد عن ذلك وإنما هو كقوله تعالى عن المؤمنين ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٢١٦﴾ البقرة. والله تَجاوَزَ عَنْ هذه الأمة مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ [٢] لا ملام فيه علي أحد منهم والله أعلم.

❁ موقف عظيم للمقداد بن الأسود رضي الله عنه قبل موقعة بدر

رواه ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لاَ نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ موسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ «**فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ**»

---

(١) وقد أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٨٨٠٣) بسند فيه ابن لهيعة و إرسال أشار إليه الحافظ في «الفتح » (٧/ ٢٨٨) وأيضاً مع جهالة بعض رواته .

(٢) كما في صحيح البخاري (٥٢٩٦) ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ** »

يَعْنِي: قَوْلَهُ.[١]

ما كان قبيل المعركة، وما أمر به ﷺ

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرُ الْمِقْدَادِ،وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ.[٢]

وتقدَّم قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كَانُوا يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَكَانَ زَمِيلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو لُبَابَةَ فَكَانَ إِذَا كَانَ عُقْبَتُهُ قَالَا: إِرْكَبْ حَتَّى نَمْشِيَ فَيَقُولَ: «**مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا**».[٣]

فرضي الله على سيد المتواضعين ﷺ! بهذا لا بالتكبُّر تُبني النفوس المباركة.

وفي مسند أحمد[٤] وغيره عن عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ بِالْأَجْرَاسِ أَنْ تُقْطَعَ مِنْ أَعْنَاقِ الْإِبِلِ يَوْمَ بَدْرٍ[١]. لم ينقطع ﷺ عن التعليم في مثل هذه المواقف.

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٩٥٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٠٢٣) بإسناد صحيح .

(٣) أخرجه النسائي في « الكبري »(٨٧٥٦) بإسناد حسن.

(٤) وهذا أخرجه أحمد (٢٥١٦٦) والنسائي (٨٧٥٨) بسند علي شرط الشيخين كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية »(٣/ ٢٧٦) .

❁ عدد المسلمين يوم بدر.

قال البَرَاءِ بن عازب رضي الله عنه : «اسْتُصْغِرْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ المُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيِّفًا عَلَى سِتِّينَ، وَالأَنْصَارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ».[٢]

وهذا صريح في ذكر العدد.[٣]

=

(١) أبصر! لم ينقطع التعليم للأحكام حتى في هذه المواطن الصعبة، فقارن بين أصحاب المناهج المنحرفة وهم يهمِّشون الأوامر والنواهي، وطلب العلم الشرعي حتى يستنكروا على من يتكلَّم في مثل تحريم الغناء الذي لا يُختَلفُ في تحريمه، ويقسِّمُون الدِّين إلى قشور ولُباب، والذي يخالف أهواءهم يسمُّونه قشوراً !..رسول الله ﷺ منشغل بتعليم الأحكام وتبليغ دين الله في مثل هذه المواطن وهم ليسوا في حرب - ويستنكرون مثل هذا ! لماذا؟

لأنهم مُنشغلون بأحوال المسلمين...ببلاد المسلمين المحتلة،والمسلمين الذين ضاعت حقوقهم ..بالدماء التي تسيل في بلاد المسلمين ..، وتراهم في هرج ومرج.. وتالله لهم أيادي- لمن بصُر- في التدمير، ونشر البدع، وتمزيق الأمة شيعاً وأحزاباً، وتضييع الطاقات سُدي، والإساءة إلى علماء السنة...وشغل الشباب وصرفهم عن العلم الشرعي إلى ترَّاهات ويكتشفون بعد زمن بضياع العمر ....قبَّح الله الهوى .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٩٥٦).

(٣) وقد حكي ابن كثير في «البداية »(٣/ ٣٤٩) عن ابن جرير أن هَذَا قَوْلُ عَامَّةِ السَّلَفِ أَنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وبضعة عشر رجلاً ».

وفي صحيح البخاري(٣٩٥٧) عن البَرَاء رضي الله عنه ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا: «أَنَّهُمْ كَانُوا عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ، الَّذِينَ جَازُوا مَعَهُ النَّهَرَ، بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلاَثَ مِائَةٍ».

إستنباط من رسول الله ﷺ في ذكر عد الكفار

في مسند أحمد [١] عَنْ عَلِيٍّ، رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَصَبْنَا مِنْ ثِمَارِهَا، فَاجْتَوَيْنَاهَا وَأَصَابَنَا بِهَا وَعْكٌ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَبَّرُ عَنْ بَدْرٍ، فَلَمَّا بَلَغَنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا، سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ، وَبَدْرٌ بِئْرٌ، فَسَبَقْنَا الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهَا، فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ، رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَوْلًى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَمَّا الْقُرَشِيُّ فَانْفَلَتَ، وَأَمَّا مَوْلَى عُقْبَةَ فَأَخَذْنَاهُ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ لَهُ: كَمِ الْقَوْمُ؟ فَيَقُولُ:هُمْ وَاللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ. فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «**كَمِ الْقَوْمُ**»؟

قَالَ: هُمْ وَاللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ فَجَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُخْبِرَهُ كَمْ هُمْ، فَأَبَى ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ: «**كَمْ يَنْحَرُونَ مِنَ الْجُزُرِ**؟» فَقَالَ: عَشْرًا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْقَوْمُ أَلْفٌ، كُلُّ جَزُورٍ لِمِائَةٍ وَتَبِعَهَا**» ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ، فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا، مِنَ الْمَطَرِ،وَبَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ،وَيَقُولُ:«**اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْفِئَةَ لَا تُعْبَدْ**» قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى: «**الصَّلَاةَ عِبَادَ اللهِ**»، [٢] فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ

---

(١) برقم (٩٤٨) بسند رجاله معدلون وصحيح لولا عنعنة أبي إسحاق لكن الراوي عنه من أثبت الناس فيه، من المتقنين .

(٢) الله أكبر..الصلاة الصلاة والدعاء! مع أنه موعود بالنصر،وعلى الحق، وعدوهم على الباطل، ولا يوجد في أرض الله نبي إلا هو ،ولا أهل إيمان إلا هذه الثُلَّة المباركة، ومُناوئيهم أكفر أهل الأرض وأظلمهم، ويحاربون الله ورسوله والمؤمنين بطراً و﴿ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ

الشَّجَرِ، وَالْحَجَفِ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ جَمْعَ قُرَيْشٍ تَحْتَ هَذِهِ الضِّلَعِ الْحَمْرَاءِ مِنَ الْجَبَلِ**».

فَلَمَّا دَنَا الْقَوْمُ مِنَّا وَصَافَفْنَاهُمْ إِذَا رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ يَسِيرُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَلِيُّ نَادِ لِي حَمْزَةَ** - وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ -: مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ، وَمَاذَا يَقُولُ لَهُمْ؟» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ يَأْمُرُ بِخَيْرٍ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ**» فَجَاءَ حَمْزَةُ فَقَالَ: هُوَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَهُوَ يَنْهَى عَنِ الْقِتَالِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: يَا قَوْمُ، إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِمْ وَفِيكُمْ خَيْرٌ، يَا قَوْمُ اعْصِبُوهَا الْيَوْمَ بِرَأْسِي، وَقُولُوا: جَبُنَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبَنِكُمْ، قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: أَنْتَ تَقُولُ هَذَا؟ وَاللهِ لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا لَأَعْضَضْتُهُ، قَدْ مَلَأَتْ رِئَتُكَ جَوْفَكَ رُعْبًا، فَقَالَ عُتْبَةُ: إِيَّايَ تُعَيِّرُ يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ؟ سَتَعْلَمُ الْيَوْمَ أَيُّنَا الْجَبَانُ، قَالَ: فَبَرَزَ عُتْبَةُ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ وَابْنُهُ الْوَلِيدُ حَمِيَّةً، فَقَالُوا: مَنْ يُبَارِزُ؟ فَخَرَجَ فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ سِتَّةٌ، فَقَالَ عُتْبَةُ: لَا نُرِيدُ هَؤُلَاءِ، وَلَكِنْ يُبَارِزُنَا مِنْ بَنِي عَمِّنَا، مِنْ بَنِي عَبْدِ

= ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنفال ...وهو ﷺ يعلمنا توجيه الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ البقرة، ويعلِّمهم كيف يُحَصِّلُون معيَّة الله تعالى ؟بالصبر واليقين تُنالُ الإمامة في الدين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ البقرة .

الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُمْ يَا عَلِيُّ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ**» فَقَتَلَ اللهُ تَعَالَى عُتْبَةَ، وَشَيْبَةَ، ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَجُرِحَ عُبَيْدَةُ، فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، وَأَسَرْنَا سَبْعِينَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسِيرًا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا وَاللهِ مَا أَسَرَنِي، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ، مَا أُرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**اسْكُتْ، فَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ تَعَالَى بِمَلَكٍ كَرِيمٍ**».

فَقَالَ عَلِيٌّ: «فَأَسَرْنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: الْعَبَّاسَ وعَقِيلًا وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ».

وفي صحيح مسلم أيضا[1] بسند حسن عن عُمَر بْن الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ،وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ:«**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ[2]، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ

---

(١) برقم (١٧٦٣).

(٢) وهذا موطن يليق بمثل الصديق رضي الله عنه أن يكون فيه ..

الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ[1]: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟**»[2] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**» قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ

---

(١) أحد الرواة عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) وهذا مبدأ الشورىٰ في الإسلام، مع أن الوحي ينزل عليه ﷺ، وسداد الرأىٰ سجيته ﷺ.. ،ولكن يعلِّمنا ﷺ منزلة الشورىٰ في الإسلام، وليس الشورىٰ من الانتخابات والمشاركة في البرلمانات السياسية الجاهلية التىٰ عُرضت علىٰ رسول الله ﷺ ورفضها ليست منها في شيء، فاحذر التلبيس من أهل الأهواء.

استشار ﷺ لنتعلَّم، لا يخدعنَّك المخالف الملبِّس، فيسمي الديمقراطية شورىٰ، إنما هي الدنيا، والحرص علىٰ المناصب تحت ستار الدين،فإذا تمكَّنوا فلا إقامة للدين، فنعوذ بالله.

أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمِ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ** - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ - وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩ ﴾ الأنفال فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ.

وسيأتي ذكر مصير الأسري بعد إن شاء الله .

وفي صحيح البخاري عَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: «كُنَّا نَتَحَدَّثُ: أَنَّ أَصْحَابَ بَدْرٍ ثَلاَثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ، بِعِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ، الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ، وَمَا جَاوَزَ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ»[1].

هتاف رسول الله ﷺ بربه وتضرعه

تقدم تَضَرُّع رسول الله ﷺ لربه هذه الليلة فَبَشَّره الله بالمدد من الملائكة

ومن ذلك، ما رواه البخاري (٣٩٥٢) قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٩) .

وقال عَلِيٍّ بن أبي طالب، قَالَ: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرُ الْمِقْدَادِ «وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ». (١)

وفي هذا الموقف دروس وعبر وحِكم من رسول الله ﷺ. (٢)

ومع هذه القلة والضعف فلم يستعن ﷺ بمشرك

أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت:«خرج رسول الله ﷺ قبل بدر، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ، وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**»، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: «**فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**»، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: «**تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟**» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَانْطَلِقْ**»(٣).

أعذار بعض الصحابة في عدم شهودهم بدر

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (١٠٢٣) بإسناد صحيح.

(٢) فجزاه الله الجزاء الأوفى ﷺ .وإذا كان النصر لا يحصل بهذه الطريقة واتباع ذاك المنهج فبطريقة مَن يحصل؟! نعوذُ بالله من ضعف اليقين، والذي يؤدي إلى انحراف المناهج، ومن ثَمَّ التلوُّن.

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٨١٧).

❁ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

قال رضي الله عنه: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «**انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ**».(١)

انظر أمر النبي ﷺ بالوفاء بالعهد مع هذه الظروف ﷺ وفي أي موقف!

❁ جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

روى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قال: «غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً»، قَالَ جَابِر: «**لَمْ أَشْهَدْ بَدْرًا، وَلَا أُحُدًا مَنَعَنِي أَبِي، فَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ**(٢) **يَوْمَ أُحُدٍ، لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ قَطُّ**».(٣)

وقد ورد أنه شهد بدراً ولكن بإسنادٍ فيه مقال.(٤)

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٧٨٧).

(٢) يعني عبد الله بن حرام الانصاري والد جابر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح أخرجه مسلم (١٨١٣).

(٤) أخرج سعيد بن مصور في «سننه »(٢٤٦٦) وأبو داود (٢٧١٣)من طريق أبي مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: «كُنْتُ أَمْنَحُ أَصْحَابِي الْمَاءَ يَوْمَ بَدْرٍ».

ورجاله مُعَدَّلون إلا أنه منقطع مِن قِبَل طلحة بن نافع أبي سفيان عن جابر ،ولا يُقَوي الإسناد ما قاله ابن كثير في «البداية » (٣/ ٣٣٩):« علي شرط مسلم»أهـ .لأن أبا سفيان إنما سمع من جابر أربعة

❁ **عثمان بن عفان رضي الله عنه :** قال ابْنُ عُمَر رضي الله عنهما: إِنَّمَا تَغَيَّبَ عُثْمَانُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ [(١)]، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ**».. الحديث. [(٢)]

قد ذكر أصحاب المغازي والسير أسماء من شهد بدراً،عددهم وأنهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، ورتَّب بعض العلماء كالبخاري وغيره أسمائهم علي حروف المعجم، لكن ذكر البخاري أربعة وأربعين رجلاً فقط [(٣)]؛لأنه اقتصر علي ما جاء في الأسانيد الثابتة على شرطه في الصحيح .

والبخاري يثبته سواء صرَّح الصحابي بشهودها، أو صرَّح غيره

=

أحاديث فقط، كما قال شعبة، وليس منها هذا الحديث، وكيف وقد صرح جابر رضي الله عنه نفسه قبل أنه لم يشهد بدراً، وروى ذلك مسلم أيضاً. إلا أن يقال: شهد الوقعة ولم يقاتل لصغره، وبه يُجمَع بين الخبرين في حالة ثبُوته، وإلا فلا داعي للتكلُّف والله أعلم .

نعم هو علي شرط مسلم وصُرِّح بالسماع من جابر عند مسلم في بعض الأحاديث – غير هذا – فيُحمَل التصريح على أنه سَمِعَ بعض الأحاديث دون البعض، ثم هو مدلس وقد عنعن هنا، بل في سماع الأعمش من طلحة بن نافع مقال ذكرته في غير هذا الموطن.

راجع كتابي«فقه التعامل مع الجار»(ص٢٢).

(١) يعني رقية بنت رسول الله ﷺ.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٦٩٨).

(٣) راجع بَابُ تَسْمِيَةِ مَنْ سُمِّيَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فِي الجَامِعِ الَّذِي وَضَعَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ عَلَى حُرُوفِ المُعْجَمِ، وقد بيَّن الحافظ مواطن الدلالة من الأحاديث التي رواها، في «الفتح».

من الصحابة له بأنه شهدها، وأراد: مَن جَاءَ ذكره فِيهِ بِرِوَايَةٍ عَنْهُ أَوْ عَنْ غَيْرِهِ بِأَنَّهُ شَهِدَهَا لَا بِمُجَرَّدِ ذِكْرِهِ دُونَ التَّنْصِيصِ عَلَى أَنَّهُ شَهِدَهَا وَبِهَذَا يُجَابُ عَنْ تَرْكِ إِيرَادِ بعضهم مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ فَإِنَّهُ شَهِدَهَا بِاتِّفَاقٍ، وَذُكِرَ فِي الْكِتَابِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِيهِ التَّنْصِيصُ عَلَى أَنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا. (١)

ووقع في تسمية البعض خلاف. و ممن شهد بدراً ولم يذكره أصحاب المغازي والسير :

* هلال بن أمية الواقفي:وقع ذكره في أهل بدر، في الصحيحين في قصة تخلف كعب بن مالك في غزوة تبوك. (٢)

* وأبو مسعود الأنصاري البدري: لم يذكره الكثير من أهل السير والمغازي وفي صحيح البخاري (٣) التصريح بأنه شهد بدراً.

* وأنس بن مالك رضي الله عنه رحمه الله كذلك وقد سئل: يَا أَبَا حَمْزَةَ وَأَنْتَ شَاهِدٌ ذَاكَ قَالَ: «وَأَيْنَ أَغِيبُ عَنْهُ». (٤)

وهي ليست صريحة في أنه شهدها، لكن فيها أنه لم يكن يغيب عنه أبداً .كذا قيل !

---

(١) وراجع «فتح الباري» (٧/ ٣٢٧).

(٢) في صحيح البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٢٧٦٩).

(٣) برقم (٤٠٠٧).

(٤) كما في صحيح البخاري (٤٣٣٧) ومسلم (١٠٥٩).

وهو متعقَّب بما أخرجه ابن شبَّة في «تاريخ المدينة المنورة»[١] قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ثُمَامَةَ ابْنِ أَنَسٍ قَالَ: قِيلَ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَشَهِدْتَ بَدْرًا؟ قَالَ وَأَيْنَ أَغِيبُ عَنْ بَدْرٍ لَا أُمَّ لَكَ؟ !.

قال ابن كثير: «وإسناده لابأس به».

وعزاه ابن كثير في« البداية والنهاية» لابن سعد من نفس الطريق، إلاأنه أبدل ثمامة بن أنس ب«مَوْلًى لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ لِأَنَسٍ».

وحكَى عن الإمام أبي الحجاج المِزِّي قال :

« هَكَذَا قَالَ الْأَنْصَارِيُّ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمَغَازِي».

وكذا ظُهير بن رافع، ورفاعة بن رافع الأنصاري [٢].

والمقام ليس مقام تحرير وتحقيق صحة أسماء من شهد بدراً، فله مقام آخر والله الموفق .

تهيئة الله تعالي لرسوله والمؤمنين الجو ليتهيئوا للقتال، ودعائه ﷺ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ

(١) كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٣٣٨).

(٢) وهما من أعمام رافع بن خديج رضي الله عنه فراجع صحيح البخاري (٤٠١٢، ٤٠١٤).

﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ الأنفال.

أخرج الطبري[1] بإسناد رجالة معدلون عَنْ حَارِثَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

قَالَ: أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنَ الْمَطَرِ - يَعْنِي اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَتْ فِي صَبِيحَتِهَا وَقْعَةُ بَدْرٍ - فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَرِ، وَبَاتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ - يَعْنِي قَائِمًا يُصَلِّي - وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ.

فَمَا زَالَ ﷺ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ».

وتقدم في ذكر موقف المقداد بن الأسود أن رسول الله ﷺ بات يصلي ويبكي حتي أصبح.

نزل المطر فأطفأ الله به الغبار وتلبَّدَت به الأرض، وطابت به أنفسهم وثبَّت به أقدامهم.

❁ ومن تهيئة الله تعالى للأمر

ما قاله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾

(١) في «تفسيره» (١٥٧٦٤) وإسناده صحيح لولا عنعنة أبي إسحاق السبيعي وهو مدلس.

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنفال.

عندما تَقابَل الفريقان قَلَّل الله كلا منهما في أعين الأخرين ليجترئ هؤلاء علي هؤلاء، لما له سبحانه في ذلك من الحكمة البالغة .

وليس هنا معارضة لقوله تعالي في سورة آل عمران ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ آل عمران.

فإن المعني في ذلك ـ علي أصح القولين ـ:

أن الفرقة الكافرة تري الفرقة المؤمنة مثلي عدد الكافرة علي الصحيح أيضـًا، و عند التحام الحرب والمسابقة أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا .

فاستدرجهم أولا بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلاً ، ثم أيَّد المؤمنين بنصره، فجعلهم في أعين الكافرين علي الضِعفِ منهم حتي وهنوا وضعفوا وغلبوا ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾.(١)

(١) أشار إلي نحوه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٨٥) وما بعدها .

صفوف المسلمين يوم بدر

عن أبي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، قال: صَفَفْنَا يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَدَرَتْ مِنَّا نَادِرَةٌ أَمَامَ الصَّفِّ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**مَعِي مَعِي**».(١)

تنبيه:

ورد أن رسول الله ﷺ: «عَدَّلَ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَفِي يَدِهِ قِدْحٌ يُعَدِّلُ بِهِ الْقَوْمَ، فَمَرَّ بِسَوَادِ بْنِ غَزِيَّةَ، حَلِيفِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ يُقَالُ، سَوَّادٌ، مُثَقَّلَةٌ، وَسَوَادٌ فِي الْأَنْصَارِ غَيْرُ هَذَا، مُخَفَّفٌ وَهُوَ مُسْتَنْتِلٌ مِنْ الصَّفِّ- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: مُسْتَنْصِلٌ مِنْ الصَّفِّ- فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ بِالْقِدْحِ، وَقَالَ:« **اسْتَوِ يَا سَوَّادُ**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْجَعْتَنِي وَقَدْ بَعَثَكَ اللهُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، قَالَ: فَأَقِدْنِي فَكَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ، وَقَالَ:«**اسْتَقِدْ**» قَالَ: فَاعْتَنَقَهُ فَقَبَّلَ بَطْنَهُ: فَقَالَ: «**مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَّادُ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَضَرَ مَا تَرَى، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ

آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ. فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيْرٍ، وَقَالَهُ لَهُ.(٢)

فهذا لا يصح سنده، على شهرته على ألسنة القُصاص.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٥٦٧) بإسنادٍ حسنه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٨٧)وهو كذلك ففيه ابن لهيعة، وقد روي عنه هنا أحد العبادلة فتُمَشَّى والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة لابن هشام» (١/ ٥٣٤) بإسناد مرسل .

فقد أخرجه ابن إسحاق بإسناد فيه أشياخ مبهمون وإرسال، فليت القصاص ينتهون عن ذكره،

ويعتاضون عنه بالصحيح، ففيه غنى. والخوارج لهم احتجاج به

الأمر النبوي بعدم البداءة حتي يغشاهم الكفار

عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ، حِينَ صَفَفَنَا لِقُرَيْشٍ وَصَفُّوا لَنَا: «**إِذَا أَكْثَبُوكُمْ**(١) **فَعَلَيْكُمْ بِالنَّبْلِ**».(٢)

أي: ارموهم بالنبل، وهي السهام العربية .

والمعني: أن لاتحمِلوا عليهم إلا إذا دخلوا عليكُم.(٣)

وقد تقدم قوله ﷺ لما سَبَقُوا المشركين إلي بدر وجاء المشركون

فقال رسول الله ﷺ :«**لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**»، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**، ..الحديث.(٤)

تنبيه:

(١) أي إذا غشوكم أو دنوا منكم أو كثروكم وقاربوكم .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٢٩٠٠).

(٣) وهذه من محاسن النظر إذ لابد أن يسقط جماعة منهم في أول الهجوم دون هواده، ولا يستطيع الكفارأن يفادوا أنفسهم من الرمي لقرب المسافة .

(٤) وهو في صحيح مسلم (١٩٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

لم أقف علي سند يثبت أن رسول الله ﷺ كان له عريش يوم بدر، وأن له باب يحتمي فيه وأنه كان هناك من يحرُسه خوفًا من أن يدهمه العدو من المشركين.

ولا أن النجائب كانت مُهيَّأة لرسول الله ﷺ، إن احتاج إليها ركبها وهرب إلي المدينة، ولا أن ذلك كان بإشارة من سعد بن معاذ رضي الله عنه. (١)

بل كان رسول الله ﷺ في الجملة يقاتل بنفسه بسيفه ﷺ ،فكيف يكون له عريش يفهم منه أنه كان بعيداً من القتال .

ولكن لفظ البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : قال وَهُوَ فِي قُبَّةٍ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَوْمِ**»(٢) ولعل ذلك كان لرؤية القتال ليُصدر أوامره ﷺ والله أعلم .

والقبة: العرش الذي اتخذه الصحابة يومَها، لكن ليس بصريح حراسته وإعداد النجائب له للهروب إن وجَد ﷺ خطراً كما تقدَّم . والله أعلم .

---

(١) **هذا شئ ذكره** ابن اسحاق في«السيرة »بسند معضل كما عند ابن هشام في السيرة (١/ ٥٢٩) قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ حُدِّثَ: أَنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ قَالَ: يَا نَبِيَّ الله، أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ، وَنُعِدُّ عِنْدَكَ رَكَائِبَكَ، ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا الله وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتِ الْأُخْرَى، جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ، فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ الله، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ لَكَ حُبًّا مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ الله بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ. فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ. ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِ الله ﷺ عَرِيشٌ، فَكَانَ فِيهِ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٧٧).

بل الدليل دلَّ موقفه في غزوة أحد يدل على مباشرته ﷺ للقتال .

بل في مسند أحمد[١] بسند رجاله مُعَدَّلون عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: « لَمَّا حَضَرَ الْبَأْسُ يَوْمَ بَدْرٍ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ، مَا كَانَ - أَوْ: لَمْ يَكُنْ - أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْهُ».[٢]

❁ ومن تضحيات الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر:

منها :قول مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا يُضْحِكُ الرَّبَّ مِنْ عَبْدِهِ؟ قَالَ: «**غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا**»[٣]قَالَ: وَأَلْقَى دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ رضي الله عنه .

استفتاح أبي جهل بالدعاء[٤]

يدعوا الله أن ينصره علي محمد ﷺ ومن معه.

أخرج ابن إسحاق[١] عن عَبْدِ اللهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ الْعُذْرِيِّ، حَلِيفِ بَنِي زُهْرَةَ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ لَمَّا الْتَقَى النَّاسُ، وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، قَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ

---

(١) برقم (١٠٤٢) وبوب له النسائي(٨٥٨٥) بباب مباشرة الإمام الحرب بنفسه.

(٢) وفي «مصنف بن أبي شيبة »(٦/ ٤٢٦) عن علي بالسند الماضي قال :« لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ،وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا».

(٣)أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٢٢٣).

(٤) وهو الذي وافق رأيه رأي الشيطان الذي تمثَّل في صورة الشيخ النجدي وجَّه إلى قتله ﷺ قبيل الهجرة. ومع هذا يسأل الله أن ينصره على رسول الله ﷺ، وهذا من أعجب ما يكون !

هِشَامٍ: اللَّهمّ أَقْطَعَنَا لِلرَّحِمِ، وَآتَانَا بِمَا لَا يُعْرَفُ، فَأَحِنْهُ الْغَدَاةَ، فَكَانَ هُوَ الْمُسْتَفْتِحَ. فنزلت: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأنفال .[٢]

وفي الرواية عند ابن أبي عاصم[٣] أن المستفتح يوم بدر أبو جهل حين التقي الصفان. [٤] وهذا صحيح أيضا يُبيِّن وقت الإستفتاح .

=

(١) كما في «سيرة ابن هشام» (٥٣٥) وابن أبي شيبة وأحمد بإسناد صحيح.

(٢) فرسول الله ﷺ يستفتح يدعو ربه، وأبو جهل – فرعون هذه الأمة الضال المضلّ – يدعو الله أن ينصرَه علي محمد ﷺ ومن معه ،وتغافل عن أنه ظلمهم، وردَّ الحق الذي معهم وآذاهم ،وأخرجوهم من بيوتهم بغير جُرم ارتكبوه، فقتلوا بأمره وبإشارته وبيده ــ من آمن برسول الله ﷺ، و صدَّ –أبو الجهل هذا – عن دعوته ﷺ، وأهانه ،وادَّعي علىٰ رسول الله ﷺ أنه كذَّاب ،كذا يقول وهو سائر خلفه في الموسم يُفسد دعوته– قبَّحه الله –، هؤلاء كفار قريش، أخرجوا النبي والصحابة رضي الله عنهم من بيوتهم وأخافوهم وصدُّوا مَن صَدُّوا عن دعوته...،واليوم يستفتح لهم أبو جهل بدعاء الله أن ينصرهم عليهم !!

نعم ! الشيطان يدعو: «انظرني إلي يوم يبعثون » ليقعد للمؤمنين بصراط الله المستقيم ...

وآدم ﷺ يدعو: «ربنا ظلمنا أنفسنا إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين». كلٌ له شأن!!

(٣) برقم (٦٣١،٦٣٢) .

(٤) أخرجه بن أبي شيبة (٧/ ٣٥٥) وأحمد (٢٣٦٦١).

وعند الضياء في «المختاره» (١٠٧) أن أبا جهل قال حين التقي القوم.. فذكر الحديث .

ومعني المستفتح: أي الحاكم علي نفسه بهذا الدعاء فكأنه قال عليك بأقطعنا للرحم .. أحنه الغَداة..فاستجاب الله الدعاء، وجاء الفتح، وقد خاب من افترى.

قصة بعث عمير بن وهب الجمحي

في حرز أصحاب ﷺ

أخرج ابن إسحاق بإسناد يحسن عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، قَالُوا: لَمَّا اطْمَأَنَّ الْقَوْمُ، بَعَثُوا عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ الْجُمَحِيَّ فَقَالُوا: احْزُرُوا لَنَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، قَالَ: فَاسْتَجَالَ بِفَرَسِهِ حَوْلَ الْعَسْكَرِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: ثَلَاث مائَة رَجُل، يَزِيدُونَ قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ، وَلَكِنْ أَمْهِلُونِي حَتَّى أَنْظُرَ أَلِلْقَوْمِ كَمِينٌ أَوْ مَدَدٌ؟ قَالَ: فَضَرَبَ فِي الْوَادِي حَتَّى أَبْعَدَ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا وَجَدْتُ شَيْئًا، وَلَكِنِّي قَدْ رَأَيْتُ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، الْبَلَايَا تَحْمِلُ الْمَنَايَا، نَوَاضِحُ يَثْرِبَ تَحْمِلُ الْمَوْتَ النَّاقِعَ قَوْمٌ لَيْسَ مَعَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا مَلْجَأٌ إِلَّا سُيُوفُهُمْ، وَاَللَّهِ مَا أَرَى أَنْ يُقْتَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى يَقْتُلَ رَجُلًا مِنْكُمْ، فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ أَعْدَادَهُمْ فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ؟ فَرُوا رَأْيَكُم .

فَلَمَّا سَمِعَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ذَلِكَ مَشَى فِي النَّاسِ، فَأَتَى عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، فَقَالَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، إِنَّكَ كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا، وَالْمُطَاعُ فِيهَا، هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ لَا تَزَالَ تُذْكَرُ فِيهَا بِخَيْرٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا حَكِيمُ؟ قَالَ: تَرْجِعُ بِالنَّاسِ،

وَتَحْمِلُ أَمْرَ حَلِيفِكَ عَمْرِو بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، أَنْتَ عَلَيَّ بِذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ حَلِيفِي، فَعَلَيَّ عَقْلُهُ وَمَا أُصِيبَ مِنْ مَالِهِ، فَأْتِ ابْنَ الْحَنْظَلِيَّةِ.

وَالْحَنْظَلِيَّةُ أُمُّ أَبِي جَهْلٍ: وَهِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ مُخَرِّبَةَ، أَحَدُ بَنِي نَهْشَلْ بْنِ دَارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ- فَإِنِّي لَا أَخْشَى أَنْ يَشْجُرَ ، أَمْرَ النَّاسِ غَيْرُهُ، يَعْنِي أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَام. ثُمَّ قَامَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ خَطِيبًا، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ وَاللهِ مَا تَصْنَعُونَ بِأَنْ تَلَقَّوْا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ شَيْئًا، وَاللهِ لَئِنْ أَصَبْتُمُوهُ لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ رَجُلٍ يَكْرَهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ، قَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ أَوْ ابْنَ خَالِهِ، أَوْ رَجُلًا مِنْ عَشِيرَتِهِ، فَارْجِعُوا وَخَلُّوا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ، فَإِنْ أَصَابُوهُ فَذَاكَ الَّذِي أَرَدْتُمْ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ أَلْفَاكُمْ وَلَمْ تَعَرَّضُوا مِنْهُ مَا تُرِيدُونَ.

قَالَ حَكِيمٌ: فَانْطَلَقْتُ حَتَّى جِئْتُ أَبَا جَهْلٍ، فَوَجَدْتهُ قَدْ نَثَلَ دِرْعًا لَهُ مِنْ جِرَابِهَا، فَهُوَ يُهَنِّئُهَا.(قَالَ ابْنُ هِشَامٍ): يُهَيِّئُهَا- فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا الْحَكَمِ إِنَّ عُتْبَةَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ بِكَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي قَالَ، فَقَالَ: انْتَفَخَ وَاللهِ سَحْرُهُ حِينَ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، كَلَّا وَاللهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَمَا بِعُتْبَةَ مَا قَالَ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَأَى أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَكَلَةُ جَزُورٍ، وَفِيهِمْ ابْنُهُ، فَقَدْ تَخَوَّفَكُمْ عَلَيْهِ. ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَالَ: هَذَا حَلِيفُكَ يُرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَقَدْ رَأَيْتَ ثَأْرَكَ بِعَيْنِكَ، فَقُمْ فَانْشُدْ خُفْرَتَكَ، وَمَقْتَلَ أَخِي.

فَقَامَ عَامِرُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ فَاكْتَشَفَ ثمَّ صرخَ: وَا عمراه، وَا عمراه، فَحَمِيَتْ الْحَرْبُ، وَحَقِبَ النَّاسُ، وَاسْتَوْسَقُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الشَّرِّ، وَأُفْسِدَ عَلَى

النَّاسِ الرَّأْيُ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ عُتْبَةُ. فَلَمَّا بَلَغَ عُتْبَةَ قَوْلُ أَبِي جَهْلٍ «انْتَفَخَ وَاللهِ سَحْرُهُ» ، قَالَ: سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ اسْتِهِ مَنْ انْتَفَخَ سَحْرُهُ، أَنَا أَمْ هُوَ؟.(١)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: السَّحْرُ: الرِّئَةُ وَمَا حَوْلَهَا مِمَّا يَعْلَقُ بِالْحُلْقُومِ مِنْ فَوْقِ السُّرَّةِ.(٢)

المبارزة يوم بدر بين الصفين

أخرج أحمد (١) عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، قَالَ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَصَبْنَا مِنْ ثِمَارِهَا، فَاجْتَوَيْنَاهَا وَأَصَابَنَا بِهَا وَعْكٌ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَبَّرُ عَنْ بَدْرٍ، فَلَمَّا بَلَغَنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا، سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ، وَبَدْرٌ بِئْرٌ، فَسَبَقْنَا

---

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٥٣١) عن ابن إسحاق حدثني أبي إسحاق بن يسار، وغيره من أهل العلم، عن أشياخ من الأنصار به.

والأشياخ المبهمون يقوي بعضهم بعضاً ويحسن الأثر والظن بهم حسن، والله أعلم .

وقد أخرجه الطبري في « تاريخه» (٢/ ٤٤٢) من نفس الطريق بلفظه إلا أنه مقتصراً علي الشطر الأول ويقويه الأثر القادم في قصة المبارزة .

(٢) وَمَا كَانَ تَحْتَ السُّرَّةِ، فَهُوَ الْقُصْبُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ**» أخرجه البخاري(٤٦٢٣) ومسلم .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَبُو عُبَيْدَةَ.ثُمَّ الْتَمَسَ عُتْبَةُ بَيْضَةً لِيُدْخِلَهَا فِي رَأْسِهِ، فَمَا وَجَدَ فِي الْجَيْشِ بَيْضَةً تَسَعُهُ مِنْ عِظَمِ هَامَتِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ اعْتَجَرَ عَلَى رَأْسِهِ بِبُرْدٍ لَهُ. زَعَمَ أَنْ يُبِرَّ يَمِينَهُ، وَأَتْبَعَهُ حَمْزَةُ فَضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ.

الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهَا، فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ، رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَوْلًى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَمَّا الْقُرَشِيُّ فَانْفَلَتَ، وَأَمَّا مَوْلَى عُقْبَةَ فَأَخَذْنَاهُ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ لَهُ: كَمِ الْقَوْمُ؟ فَيَقُولُ: هُمْ وَاللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ. فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «**كَمِ الْقَوْمُ؟**» قَالَ: هُمْ وَاللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ فَجَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُخْبِرَهُ كَمْ هُمْ، فَأَبَى ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ: «**كَمْ يَنْحَرُونَ مِنَ الْجُزُرِ؟**» فَقَالَ: عَشْرًا كُلَّ يَوْمٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْقَوْمُ أَلْفٌ، كُلُّ جَزُورٍ لِمِائَةٍ وَتَبِعَهَا**» ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ، فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا، مِنَ الْمَطَرِ، وَبَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْفِئَةَ لَا تُعْبَدْ**» قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى: «**الصَّلَاةَ عِبَادَ اللهِ**» ، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ، وَالْحَجَفِ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ جَمْعَ قُرَيْشٍ تَحْتَ هَذِهِ الضِّلَعِ الْحَمْرَاءِ مِنَ الْجَبَلِ**». فَلَمَّا دَنَا الْقَوْمُ مِنَّا وَصَافَفْنَاهُمْ إِذَا رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ يَسِيرُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **يَا عَلِيُّ نَادِ لِي حَمْزَةَ** - وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ -: «**مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ، وَمَاذَا يَقُولُ لَهُمْ؟** » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ يَأْمُرُ بِخَيْرٍ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ**» فَجَاءَ حَمْزَةُ فَقَالَ: هُوَ

=

(١) في مسنده (٩٤٨) بإسناد رجال معدلون وهو ثابت لولا تدليس أبي إسحاق، والراوي عنه ولد ولده إسرائيل و روايته عنه صحيحة، فهو من أثبت الناس فيه ، روايته عنه في غاية الإتقان كما قال الحافظ في «الفتح» فراجع (١/ ٣٥١ ، ١١/ ١١٥) .

عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَهُوَ يَنْهَى عَنِ الْقِتَالِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: يَا قَوْمُ، إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِمْ وَفِيكُمْ خَيْرٌ، يَا قَوْمُ اعْصِبُوهَا الْيَوْمَ بِرَأْسِي، وَقُولُوا: جَبُنَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبَنِكُمْ، قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: أَنْتَ تَقُولُ هَذَا؟

وَاللهِ لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا لَأَعْضَضْتُهُ، قَدْ مَلَأَتْ رِئَتُكَ جَوْفَكَ رُعْبًا، فَقَالَ عُتْبَةُ: إِيَّايَ تُعَيِّرُ يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ؟ سَتَعْلَمُ الْيَوْمَ أَيُّنَا الْجَبَانُ، قَالَ: فَبَرَزَ عُتْبَةُ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ وَابْنُهُ الْوَلِيدُ حَمِيَّةً، فَقَالُوا: مَنْ يُبَارِزُ؟ فَخَرَجَ فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ سِتَّةٌ، فَقَالَ عُتْبَةُ: لَا نُرِيدُ هَؤُلَاءِ، وَلَكِنْ يُبَارِزُنَا مِنْ بَنِي عَمِّنَا، مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،(١)

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُمْ يَا عَلِيُّ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ**» فَقَتَلَ اللهُ تَعَالَى عُتْبَةَ، وَشَيْبَةَ، ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَجُرِحَ عُبَيْدَةُ، فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، وَأَسَرْنَا سَبْعِينَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسِيرًا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا وَاللهِ مَا أَسَرَنِي، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ، مَا أُرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**اسْكُتْ، فَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ تَعَالَى بِمَلَكٍ كَرِيمٍ**» فَقَالَ عَلِيٌّ: « فَأَسَرْنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: الْعَبَّاس، وعَقِيلًا، وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ»

---

(١) وفي رواية قالوا:« أكفاء كرام ، ولكن أخرجوا إلينا من بني عمِّنا، ونادي مناديهم ! يامحمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا» أخرجه البيهقي، (٣/ ٧٢) بإسناد فيه مبهمون .

وفي رواية أبي داود [١] من نفس الطريق تَقَدَّمَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ فَنَادَى مَنْ يُبَارِز؟ فَانْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ إِنَّمَا أَرَدْنَا بَنِي عَمِّنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ**». فَأَقْبَلَ حَمْزَةُ إِلَى عُتْبَةَ،وَأَقْبَلْتُ إِلَى شَيْبَةَ، وَاخْتُلِفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ فَأَثْخَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ مِلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ، وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَة.

وهذه أصح الروايات كما قال الحافظ، وتدلّ علي بيان كل واحد من المبارزين وقرينه من الكفار، وصرَّحت هذه الرواية أن عليـًا ﷺ كان قرين شيبة، لم يكن قرين الوليد.

ويؤيِّده مارواه الطبراني [٢] بإسناد فيه مقال وإن حسَّنه الحافظ في «الفتح» عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ:«أُعِنْتُ أَنَا وَحَمْزَةُ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ – أَظُنُّهُ قَالَ: فَلَمْ يَغِبْ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ » لكن يُحَسَّن لغيره إن شاء الله. [٣]

وفي صحيح البخاري [٤] عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ» وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ: وَفِيهِمْ

---

(١) برقم(٢٥٦).

(٢) في «الكبير»(٣/ ٤٩ رقم (٢٩٥٥).

(٣) كما حررت ذلك في كتابي «التيسير» شرح مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام (ص٢٠٨).

(٤) برقم (٣٩٥٦) ومسلم (٣٠٣٣).

أُنْزِلَتْ: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} [الحج: ١٩] قَالَ: « هُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةُ، وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ، أَوْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الحَارِثِ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ ».

نعم قد بارَزوا رضي الله عنهم وظهروا عليهم .

نزول الملائكة للحرب في هذه الغزوة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ الأنفال.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ الأنفال.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «**هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ** ».(١)

وأداة الحرب: الرُمح ، والبَيضَةُ، والمغفَر ، والسيف ، والدرع ، وسيأتي ذكر قوله ﷺ «...**صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ مِنَ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**».

وتقدم قول العباس رضي الله عنه : إِنَّ هَذَا وَاللهِ مَا أَسَرَنِي، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ ، مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَقَالَ لَهُ: «**اسْكُتْ لَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ بِمَلَكٍ كَرِيمٍ** ».

(١) أخرجه البخاري (٣٩٩٥).

واعلم علمني الله وإياك أن الله ما جعل الملائكة وهذا العددالمذكور في الآية إلالطمئنة قلوب أهل الإيمان، وإلا فملكٌ واحد قد قَلَبَ قُرَي قومِ لوطٍ رأساً علي عَقب، ولكن لله حِكم بالغة، بل سبحانه قادر علي إهلاكهم بغير الملائكة كالريح،أو الصاعقة، أوالزلزلة، أو بلا أسباب أصلاً، والله ورسوله أعلم بأشكال خيولِ الملائكة، وأنواع أسلحتهم..إذ هو مِن عِلم الغيبِ الذي لا يُطلِع الله تعالي عليه أحداً إلا من ارتضى من رسول، فما علينا إلا الإيمان بما صح سنده عن المعصوم ﷺ، والله الموفق .

وفي حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: « قِيلَ لِي وَلِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَوْمَ بَدْرٍ: مَعَ أَحَدِكُمَا جِبْرِيلُ، وَمَعَ الْآخَرِ مِيكَائِيلُ، وَإِسْرَافِيلُ مَلَكٌ عَظِيمٌ يَشْهَدُ الْقِتَالَ أَوْ يَقِفُ فِي الصَّفِّ».(١)

وقد فَسَّرَ ذلك ابن كثير رحمه الله فقال (٢): «وَهَذَا يُشْبِهُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ فِي الْمَيْمَنَةِ وَلَمَّا تَنَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ بَدْرٍ تَنْزِيلًا كَانَ جِبْرِيلُ عَلَى أَحَدِ الْمُجَنِّبَتَيْنِ فِي خَمْسِمِائَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَكَانَ فِي الْمَيْمَنَةِ مِنْ نَاحِيَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَكَانَ مِيكَائِيلُ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْأُخْرَى فِي خَمْسِمِائَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَوَقَفُوا فِي الميسرة وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِيهَا».

وأورد- أعني ابن كثير رحمه الله- دليلاً علي ذلك صريحاً لكنه ضعيف أعرضنا عنه .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٥١)وأحمد (١٢٥٧) بسندٍ صحيح .

(٢) في « البداية والنهاية »(٣/ ٢٩٧) .

وفي حديث مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟** قَالَ:« **مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ**» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ».(١)

فهذا دليل أيضـًا علي شهود الملائكة غزوة بدر، ومباشرتهم القتال في هذه الغزوة.

وأخرج ابن إسحاق في« السيرة» ومن طريقه البيهقي ، عن إِسْحَاق بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ حُدِّثَ عَنْ جُبَيْرِ ابْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ قَبْلَ هَزِيمَةِ الْقَوْمِ وَالنَّاسُ يَقْتَتِلُونَ مِثْلَ الْبِجَادِ الْأَسْوَدِ(٢)، أَقْبَلَ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى سَقَطَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا نَمَلٌ أَسْوَدُ مَبْثُوثٌ قَدْ مَلَأَ الْوَادِيَ، لَمْ أَشُكَّ أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ إِلَّا هَزِيمَةُ الْقَوْمِ.(٣)

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٩٩٢).

(٢) البجاد: الكساء للنساء ــ وجمعة بجد ، وأراد به هنا الملائكة.

(٣) أخرجه ابن هشام ومن طريقه البيهقي في «الدلائل»(٣/ ٦١) وفي«الكبرىٰ»(٥/ ١٤٦) من طريق إسحاق بن يسار عمن حدثه عن جبير بن مطعم...فلم يسمعه إسحاق من جبير بينهما واسطة مبهمه، وفي بعض الطرق: إسحاق عن جبير بالعنعنة وبغير واسطة.

وقد احتاط الحافظ بن حجر فقال في «المطالب العالية» (٤٢٤٩) عقبه:

«إِسْنَادُهُ حَسَنٌ إِنْ كَانَ إِسْحَاقُ بن يسار سمعه مِنَ جُبَيْرٍ».

أما السيوطي في «الخصائص الكبري» (١/ ٣٣٣)فقال:« بسندٍ حسن».

ورواه الطبري في« تاريخه »(٣/ ٧٧) لكن عن ابن حميد ، وهو ضعيف

❁ وقد ورد في هذاالمقام أخبار لاتصح، يجدر بنا التنبيه عليها

من ذلك:

ما أخرجه الطبراني[١] من طريق أبي بَكْرِ بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، حَدَّثَنِي أَبُو أُمَامَةَ ابْنُ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ: قَالَ أَبِي: « يَا بُنَيَّ، لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَإِنَّ أَحَدَنَا لَيُشِيرُ بِسَيْفِهِ إِلَى رَأْسِ الْمُشْرِكِ فَيَقَعُ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ».

ولكن في إسناده ضعف علي شهرته ففيه أبوبكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة الأقرب جهالة حالة فتصحيح الحاكم ومتابعة الذهبي له ليس بجيد والله أعلم .

ومن ذلك أيضاً مارواه:

البيهقي [٢] بإسناده عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالُوا: «لَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ رَافِعٌ يَدَيْهِ يَسْأَلُ اللهَ النَّصْرَ وَمَا وَعَدَهُ وَيَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنْ ظَهَرُوا عَلَى هَذِهِ الْعِصَابَةِ ظَهَرَ الشِّرْكُ وَلَا يَقُومُ لَكَ دِينٌ**» وَأَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللهِ لَيَنْصُرَنَّكَ اللهُ أَوْ لَيُبَيِّضَنَّ وَجْهَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ عِنْدَ أَكْتَافِ الْعَدُوِّ. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ هَذَا جِبْرِيلُ مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَةٍ صَفْرَاءَ آخِذٌ**

---

(١) في «الكبير »(٦/ ٧٤) والحاكم (٣/ ٤٦٣) والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٥٦).

(٢) في «دلائل النبوة» (٣/ ٥٤) بإسنادٍ فيه من لم أعرفه بجرح ولا تعديل .

بِعِنَانِ فَرَسِهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَلَمَّا نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ تَغَيَّبَ عَنِّي سَاعَةً، ثُمَّ طَلَعَ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ يَقُولُ: أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ إِذْ دَعَوْتَهُ».

وهذا مع شهرته لكنَّه لايصح .

ونزول الملائكة في بدر وقتالهم مع رسول الله ﷺ والمؤمنين، وكثرة عددهم ثابت كما تقدم ، لكن الرواية بهذا السياق لا تصح.

الحكمة من قتال الملائكة مع المؤمنين مع أن الله قادر على نصرهم بغير الملائكة :

حكي الحافظ عن الشيخ تقيِّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ سُئِلْتُ عَنْ الْحِكْمَةِ فِي قِتَالِ الْمَلَائِكَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَنَّ جِبْرِيلَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ الْكُفَّارَ بِرِيشَةٍ مِنْ جَنَاحِهِ فَقُلْتُ وَقَعَ ذَلِكَ لِإِرَادَةِ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَتَكُونَ الْمَلَائِكَةُ مَدَدًا عَلَى عَادَةِ مَدَدِ الْجُيُوشِ رِعَايَةً لِصُورَةِ الْأَسْبَابِ وَسُنَّتِهَا الَّتِي أَجْرَاهَا اللهُ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ وَاللهُ تَعَالَى هُوَ فَاعِلُ الْجَمِيعِ وَالله أعلم [(١)]»أ.هـ [(٢)]

إثبات أن جماعة من بني عبد المطلب خرجوا كرها

أخرج أحمد [(٣)] بإسناد صحيح عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «مَنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَأْسِرُوا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُمْ خَرَجُوا كُرْهًا».

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣١٣).

(٢) وحكي نحوه البدر العيني في «العمدة» (١٧/ ١٠٥) من قوله هو دون عزو لابن حجر !.

(٣) ولعل منهم العباس رضي الله عنه .

لكن هذا الكُره علي أن يكونوا في صفوف الكفار ضد رسول الله والمؤمنين ليس بعذر، إنما الإكراه الذي يُعذَر فيه الواقع هوالقول، كما حصل لعمار بن ياسر رضي الله عنه ، أما الفعل وتكثير سواد المشركين ضد رسول الله والمؤمنين، فلا يعذر المرء بذلك كما سيأتي إن شاء الله بيانه .

وكأنه ﷺ رجا أن يؤخَّروا عن القتل حتي يعلموا الحق، فلعلهم يؤمنون.

بيان ضعف خبر أن رسول الله ﷺ نهاهم أن يقتلوا أحداً من بني هاشم.

أما ما أخرجه ابن إسحاق[1] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما :أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَئِذٍ: إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ رِجَالًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كُرْهًا، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا

=

(٢) برقم (٦٧٦) والبزار في «البحر الزخار »(٧٢٠).

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة » لابن هشام (١/ ٥٣٦ــ٥٣٧) بإسنادٍ فيه انقطاع أو إعضال عَنِ الْعَيْزَارِ بْنِ حُرَيْثٍ ، قَالَ: نَادَىٰ مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺيَوْمَ بَدْرٍ:« **لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ، يَعْنِي أَمَانًا، إِلَّا أَبَا الْبَخْتَرِيِّ ، فَمَنْ كَانَ أَسَرَهُ فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَدْ أَمَّنَهُ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتِلَ**».

وهذا أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٧) وابن سعد في « الطبقات الكبري » (٢/ ٢٣) وإسناده وإن كان صحيحاً إلي العيزار بن حُرَيث، فإنه تابعي، فالخبر ضعيف لإرساله .

الْبَخْتَرِيِّ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ أَسَدٍ فَلَا يَقْتُلْهُ،[١] وَمَنْ لَقِيَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، عَمَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَا يَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا. قَالَ: فَقَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ: [٢] أَنَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَتَنَا وَعَشِيرَتَنَا. وَنَتْرُكُ الْعَبَّاسَ، وَاللهِ لَئِنْ لَقِيتُهُ لَأُلْحِمَنَّهُ السَّيْفَ- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: لَأُلْجِمَنَّهُ السَّيْفَ قَالَ: فَبَلَغَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «**يَا أَبَا حَفْصٍ**»- قَالَ عُمَرُ:وَاللهِ إِنَّهُ لَأَوَّلُ يَوْمٍ كَنَّانِي فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَبِي حَفْصٍ- **أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالسَّيْفِ؟** فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ،دَعْنِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَه بِالسَّيْفِ،فوالله لَقَدْ نَافَقَ. فَكَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ يَقُولُ: مَا أَنَا بِآمِنٍ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قُلْتُ يَوْمَئِذٍ، وَلَا أَزَالُ مِنْهَا خَائِفًا، إِلَّا أَنْ تُكَفِّرَهَا عَنِّي الشَّهَادَةُ. فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا.

فهذا إسناد ضعيف والمتن منكر.

وقد قتل الصحابة كثير من بني هاشم، وكيف يأمرهم ﷺ بتركهم وقد جاءوا يقتلونهم، وأني للصحابة التمييز بين من جاء من بني هاشم مُكرَها ومن جاء

---

(١) قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَإِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺعَنْ قَتْلِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ أَكَفَّ الْقَوْمِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺوَهُوَ بِمَكَّةَ، وَكَانَ لَا يُؤْذِيهِ، وَلَا يَبْلُغُهُ عَنْهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، وَكَانَ مِمَّنْ قَامَ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي كَتَبَتْ قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِيَّ الْمُطَّلِبِ.حكاه عنه ابن هشام في «السيرة».

(٢) وهو أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عين شمس وكان ممن شهد بدرا كما في صحيح البخاري (٥٠٨٨)، والتصريح باسمه جاء في رواية الحاكم (٣/ ٢٦٩) لهذا الأثر.

وهو الذي تبني سالم مولى أبي حذيفة «صاحب مسألة إرضاع الكبير» وسيأتي ذكر خبره في توجُّعه علي أبيه بعد مصرعه إن شاء الله .

غير مُكرَه، كيف يتركونهم؟والله تعالي لم يَعذُر مَنْ لم يهاجر وقال عمن ادَّعوا أنهم لم يهاجروا لأجل استضعافهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ النساء.

ولو كانوا مُكرَهين معذُورين ما أسرَهم رسول الله ﷺ، ولا أخذ الفدية منهم، لأن المكره لا لوم عليه إذا صح أنه مكرهـًا، وقد أخذها من عمه العباس رضي الله عنه !

وكيف يعترض أبو حذيفة الصحابي رضي الله عنه علي رسول الله ﷺ معترض بمثل هذا الكلام ويعذره الصحابة؟

بل وكيف يقول رسول الله ﷺ ذلك وهو مصادم في ذلك الوقت للحكمة ، بل كيف يقول عمر رضي الله عنه أيضـًا ما قال بعد الذي سمعه من رسول الله ﷺ في شأن بني هاشم ؟.

فلوائح الوضع بادية عليه ، وسيأتي في فصل ذكر الأسرى يوم بدر في صحيح مسلم ماينـاقض ذلك إن شاء الله .

حمي الوطيس واشتداد القتال بين المسلمين والكفار يوم بدر

أخرج ابن أبي شيبة وأحمد[1] بإسناد صحيح، عن علي بن أبي طالب

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٤٢٦) و«مسند أحمد» (٦٥٤) وغيرهم .

رضي الله عنه، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا».

وقتل حمزةُ رضي الله عنه طعيمةَ بن عدي بن الخيار.(١)

وقتل خبيبُ رضي الله عنه الحارثَ بنَ عمير.(٢)

ضرب الزبير رضي الله عنه علي عاتقه يوم بدر

أخرج البخاري (٣) عن عروة قال، قَالَ الزُّبَيْرُ رضي الله عنه: لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ، وَهُوَ مُدَجَّجٌ، لاَ يُرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُكْنَى أَبَا ذَاتِ الكَرِشِ، فَقَالَ: أَنَا أَبُو ذَاتِ الكَرِشِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالعَنَزَةِ(٤) فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ، قَالَ هِشَامٌ: فَأُخْبِرْتُ: أَنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ: لَقَدْ وَضَعْتُ رِجْلِي عَلَيْهِ، ثُمَّ تَمَطَّأْتُ،(٥) فَكَانَ الجَهْدَ (٦) أَنْ نَزَعْتُهَا وَقَدِ انْثَنَى طَرَفَاهَا، قَالَ عُرْوَةُ: «فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخَذَهَا ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ، سَأَلَهَا إِيَّاهُ عُمَرُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ

---

(١) وقصة قتل حمزة رضي الله عنه في صحيح البخاري (٤٠٧٢) وسيأتي سياقها في غزوة أحد إن شاء الله.

(٢) وقصته تأتي عند الكلام علي سرية عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه إن شاء الله.

وهي في صحيح البخاري (٣٠٤٥).

(٣) في صحيحه برقم (٣٩٩٨).

(٤) العنزة: رمح قصير عريض النصل.

(٥) تمطأت: أي مددت بين يدي مداً شديداً.

(٦) فكان الجهد: أي المشقة العظيمة في نزعها.

مِنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِيٍّ، فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ رضي الله عنه.

وسيأتي مزيد من المواقف الفردية الأخري من أرض المعركة إن شاء الله تعالي.

سلسلة مقتل صناديد الكفر من أعداء الله تعالى و قتل عدو الله أمية بن خلف عليه لعنة الله.

تقدم فعل هذا العدو تجاه دعوة رسول الله ﷺ.

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه، قَالَ: «كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كِتَابًا، بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَتِي بِمَكَّةَ، وَأَحْفَظَهُ فِي صَاغِيَتِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ» قَالَ: لاَ أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ، كَاتِبْنِي بِاسْمِكَ الَّذِي كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَكَاتَبْتُهُ: عَبْدَ عَمْرٍو، فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لِأُحْرِزَهُ حِينَ نَامَ النَّاسُ، فَأَبْصَرَهُ بِلاَلٌ، فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ: لاَ نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمَيَّةُ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا، خَلَّفْتُ لَهُمُ ابْنَهُ لِأَشْغَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتْبَعُونَا، وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا، فَلَمَّا أَدْرَكُونَا، قُلْتُ لَهُ: «**ابْرُكْ**» فَبَرَكَ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ[1]، فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ، وَكَانَ عَبْدُ

(١) وهذا بعيد من الموالاة والنصرة له لكفره فتنبَّه.

الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الأَثَرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ.(١)

وفي رواية:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: قَالَ لِي أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَأَنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ، آخِذٌ بِأَيْدِيهِمَا: يَا عَبْدَ الإِلَه، مَن الرَّجُلُ مِنْكُمْ المعلَّم بِرِيشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ ذَاكَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلَ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَوَاللهِ إِنِّي لَأَقُودُهُمَا إِذْ رَآهُ بِلَالٌ مِعَى، وَكَانَ هُوَ الَّذِي يُعَذِّبُ بِلَالًا بِمَكَّةَ عَلَى تَرْكِ الإِسلام، فيُخرجه إِلَى رَمْضَاء مَكَّةَ إِذَا حَمِيَت، فيُضجعه عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ يَأْمُرُ بالصَّخرة العظيمة فتوضع على صَدره ثم يقول: لَا تَزَالُ هَكَذَا أَوْ تُفَارِقَ دِينَ مُحَمَّدٍ، فَيَقُولُ بِلَالٌ: أَحَدٌ أَحَدٌ. قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ، قَالَ رَأْسُ الْكُفْرِ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، لَا نجوتُ إِنْ نَجَا قَالَ: قُلْتُ: أَيْ بِلَالُ، أَبِأَسِيرِيَّ قَالَ: لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: قلت أتسمع يا بن السَّوْدَاءِ،(٢) قَالَ: لَا نجوتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ. يَا

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٢٣٠١).

(٢) وهذا من عبد الرحمن ﷺ ليس يلحقه ذمٌّ إذ عيَّر بلالاً بأمه فقال له: يا ابن السوداء وهي من عادات الجاهلية التي بينها ﷺ ووصف بها أبا ذر لما عيَّر غلامه بأمه، كما في صحيح البخاري (٣٠)وفي «شعب الإيمان »(٤٧٧٢) أنه بلال نفسه قال أبو أمامة ﷺ «..عَيَّرَ أَبُو ذَرٍّ بِلَالًا بِأُمِّهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ،..».

فيقال: إما أن عبد الرحمن لم يقصد السبَّ أصلاً ، ولذا لم يشكوه بلال للنبي ﷺ ، وإما أن عبد الرحمن ﷺ لم يكن يعلم هذا الحديث الذي فيه تحريم ذلك، وقد يكون رسول الله ﷺ ما قال ما يدل على المنع يومئذ، وقد يكون قاله عبد الرحمن في حالة ذهول أو غضب،كيف يقتل بلال من أمَّنه

أنصارَ اللهِ، رَأْسُ الْكُفْرِ أميةُ بْنُ خَلَفٍ، لَا نَجَوْتُ إنْ نَجَا. قَالَ: فَأَحَاطُوا بِنَا حَتَّى جَعَلُونَا فِي مِثْلِ الْمُسْكة وَأَنَا أذُبُّ عَنْهُ. قَالَ: فَأَخْلَفَ رجلٌ السيفَ، فَضَرَبَ رِجْل ابْنِهِ فَوَقَعَ، وَصَاحَ أُمَيَّةُ صَيْحَةً مَا سمعتُ مثلَها قَطُّ. قَالَ: فقلتْ: انجُ بِنَفْسِكَ وَلَا نجاءَ بِكَ فَوَاللهِ مَا أُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. قَالَ: فَهَبِرُوهُمَا بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى فَرَغُوا مِنْهُمَا، قَالَ: فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: يَرْحَمُ اللهُ بِلَالًا، ذَهَبَتْ أَدْرَاعِي وفَجَعني بأسيري (١).

ولهذا المجرم لما مات خاصية لم يشاركه فيها أحدٌ كما كان خبيثاً سفيهاً في حياته له السبق في ذلك، فإنه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا ليخرجوه منها ليطرحوه في قليب بدر فتزايل لحمة فأقروه وألقوا عليه ما غيَّبة من التراب والحجارة .

كما سيأتي بيانه بعد إن شاء الله .

قتل صفوان بن أمية

تقدم ذكر قصته مع سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ صَدِيقًا لِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ، وَكَانَ سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا، فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ

=

عبد الرحمن، ونهاه عن قتله ولم يلتفت لنهي أخيه، وهو مما لا ينبغي أن يكون عليه الأخوَّة مع بعضهم ...فلا يلحقه ذمٌّ .

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في«السيرة لابن هشام»والبيهقي في «الدلائل»(٣/ ٩١) بسند حسن

لِأُمَيَّةَ: انْظُرْ لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ لَعَلِّي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ، فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فَقَالَ هَذَا سَعْدٌ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا، وَقَدْ أَوَيْتُمُ الصُّبَاةَ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ، أَمَا وَاللهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ أَمَا وَاللهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ، طَرِيقَكَ عَلَى المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الحَكَمِ، سَيِّدِ أَهْلِ الوَادِي، فَقَالَ سَعْدٌ: دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ، فَوَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ**»، قَالَ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا، فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ، أَلَمْ تَرَيْ مَا قَالَ لِي سَعْدٌ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: بِمَكَّةَ، قَالَ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ أُمَيَّةُ: وَاللهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ، قَالَ: أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ؟ فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الوَادِي، تَخَلَّفُوا مَعَكَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ: أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي، فَوَاللهِ لَأَشْتَرِيَنَّ أَجْوَدَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ، ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةُ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ جَهِّزِينِي، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ اليَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: لَا مَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلَّا قَرِيبًا، فَلَمَّا خَرَجَ أُمَيَّةُ أَخَذَ لَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا عَقَلَ بَعِيرَهُ، فَلَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبَدْرٍ». (١)

(١) والقصة صحيحة أخرجها البخاري (٣٩٥٠)

مقتل أبي جهل لعنه الله فرعون هذه الأمة [١]

قال معاذ بن عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، أَخُو بَنِي سَلمة: سَمِعْتُ الْقَوْمَ وَأَبُو جَهْلٍ فِي مِثْلِ الحَرَجة .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الحَرَجة: الشَّجَرُالْمُلْتَفُّ،وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَنَّهُ سَأَلَ أَعْرَابِيًّا عَنْ الحَرَجة؟ فَقَالَ: هِيَ شَجَرَةٌ مِنْ الْأَشْجَارِ لَا يُوصَلُ إلَيْهَا، وَهُمْ يَقُولُونَ: أَبُو الحَكم لَا يُخلص إلَيْهِ. قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا جَعَلْتُهُ مِنْ شَأْنِي، فصمَدْتُ نحوَه، فَلَمَّا أَمْكَنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً أطنَّت قدمَه بِنِصْفِ سَاقِهِ، فَوَاَللهِ مَا شَبَّهْتهَا حِينَ طَاحَتْ إلَّا بِالنَّوَاةِ تُطِيحُ مِنْ تَحْتِ مِرْضخة النَّوَى حِينَ يُضرب بِهَا. قَالَ: وَضَرَبَنِي ابْنُهُ عِكرمة عَلَى عَاتِقِي، فَطَرَحَ يَدِي، فَتَعَلَّقَتْ بجلْدة مِنْ جَنْبِي، وَأَجْهَضَنِي القتالُ عَنْهُ، فَلَقَدْ قَاتَلْتُ عَامَّةَ يَوْمِي، وَإِنِّي لَأَسْحَبُهَا خَلْفِي، فَلَمَّا آذَتْنِي وَضَعْتُ عَلَيْهَا قَدَمِي، ثُمَّ تَمَطَّيْتُ بِهَا عَلَيْهَا حَتَّى طَرَحْتُهَا.[٢]

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة(٧/ ٣٦٠) وأحمد وغيرهما عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ ، أنه وقف عليه وهو مقتول وقال:« الْحَمْدُ لله الَّذِي أَخْزَاكَ يَا عَدُوَّ الله، هَذَا كَانَ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الأُمَّةِ ».

ولكن إسناده ضعيف من قبل انقطاع بين أبي عبيدة وعبد الله بن مسعود، وقد نبَّهت على ذلك لشهرته بالصحة.

(٢) أخرجه ابن هشام في«السيرة» (١/ ٦٣٤)ط مصطفى البابي. عن ابن عباس رضي الله عنه وعبد الله بن أبي بكر قَالَا: قَالَ مُعَاذُ ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، أَخُو بَنِي سَلِمَةَ: سَمِعْتُ الْقَوْمَ وَأَبُو جَهْلٍ فِي مِثْلِ الْحَرَجَةِ...فذكره، وإسناده حسن، ولذلك قضى رسول الله ﷺ بالسلب لمعاذ بن عمرو الجموح

وقد ثبت في الصحيحين [١] عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قَالَ:

بَيْنَا أَنَي وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلاَمَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ - حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا - فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لاَ يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلاَ إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟**»، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: «**هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟**».

قَالاَ: لاَ، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «**كِلاَكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ**»، والأخر معاذ بن عفراء .

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قال: إِنِّي لَفِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ إِذِ التَفَتُّ فَإِذَا عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَتَيَانِ حَدِيثَا السِّنِّ، فَكَأَنِّي لَمْ آمَنْ بِمَكَانِهِمَا، إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ: يَا عَمِّ أَرِنِي أَبَا جَهْلٍ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ أَخِي، وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟

=

رضي الله عنه، لأنه كان أول من ابتدأ قتله كما بينته في كتابي الكبير «خطب العام بصحيح القصص» أتمَّ الله طباعته ويسَّرها علي خير.

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣١٤١) ومسلم (١٧٥٢).

قَالَ: عَاهَدْتُ اللهَ إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ، فَقَالَ لِي الآخَرُ سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلَهُ، قَالَ: فَمَا سَرَّنِي أَنِّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا، فَأَشَرْتُ لَهُمَا إِلَيْهِ، فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّى ضَرَبَاهُ، وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ.(١)

وعن أَنَسٌ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «**مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ**» فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ، فَقَالَ: آنْتَ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ ابْنُ عُلَيَّةَ، قَالَ سُلَيْمَانُ: هَكَذَا قَالَهَا أَنَسٌ، قَالَ: « أَنْتَ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ، قَالَ سُلَيْمَانُ: أَوْ قَالَ: «قَتَلَهُ قَوْمُهُ». (٢)

وعند البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه: «أَنَّهُ أَتَى أَبَا جَهْلٍ وَبِهِ رَمَقٌ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: أَبُو جَهْلٍ: هَلْ أَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ »(٣) الكبر في دمه !!

وقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لما قتله ـ وذكر قصة رويعي الغنم ـ أن رسول الله ﷺ نفله سلبه وهذا لايصح(٤)، مع معارضته ما تقدم من نفل النبي ﷺ السلب لمعاذ، ومعوذ رضي الله عنهما.

قتل عبيدة بن سعيد بن العاص (أبي ذات الكرش) لعنه الله

أخرج البخاري عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عن الزُّبَيْر: رضي الله عنه قال :

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٨).

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٩٦٢) ومسلم (١٨٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٦١).

(٤) فهي من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، ولم يسمع منه عند جمهور المحدثين.

لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ، وَهُوَ مُدَجَّجٌ، لاَ يُرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُكْنَى أَبا ذَاتِ الكَرِشِ، فَقَالَ: أَنَا أَبُو ذَاتِ الكَرِشِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالعَنَزَةِ فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ، قَالَ هِشَامٌ: - فَأُخْبِرْتُ: أَنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ: لَقَدْ وَضَعْتُ رِجْلِي عَلَيْهِ، ثُمَّ تَمَطَّأْتُ، فَكَانَ الجَهْدَ أَنْ نَزَعْتُهَا وَقَدِ انْثَنَى طَرَفَاهَا، قَالَ عُرْوَةُ: «فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخَذَهَا» ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ، سَأَلَهَا إِيَّاهُ عُمَرُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِيٍّ، فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ ».(١)

وقد تقدم ذكر الحديث قبل في ذكر اشتداد المعركة، وقتل صناديد الكفر ،ثم أُلقي بهم في بئر خبيث مُخبَّث، فكأنهم أسلموا أنفسهم ورقابهم للمسلمين فاجتزُّوها - سبعون صنديداً كافراً وسبعون أسيراً - ونصر الله بخيل محمد ﷺ - وهم قلَّة قليلة مستضعفة- خيل اللات والعزى، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، إذ النصر من عنده وهو القوي العزيز، وقُطع دابرهم، والحمد لله رب العالمين.

وقد عذَّبهم الله بأيدي المؤمنين فقتلوهم وشفي صدور القوم الذين كانوا يُستَضعفون، قدَّمهم أبو جهل كما قدم فرعون قومه، فأوردهم النار وبئس الورد المورود، ووقف عليهم رسول الله ﷺ ولسان حاله يقول:

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٩٩٨).

يا أهل القليب بئس عشيرة النبي ﷺ كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ إبراهيم.

وفي صحيح البخاري[1] عن عَمْرٍو عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «**الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْراً**» قَالَ: هُمْ وَاللهِ كُفَّارُ قُرَيْشٍ.

وَقَالَ عَمْرٌو: هُمْ قُرَيْشٌ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نِعْمَةُ اللهِ. وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ، قَالَ: الْبَوَارُ يَوْمُ بدر» .

وقوله: بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ أَيْ: غَيَّرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ حَيْثُ ابْتَعَثَهُ اللهُ منهم كُفْراً كفروا به وَأَحَلُّوا أي: أنزلوا قومهم ومن تَابَعَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ دارَ الْبَوارِ أي: الهلاك، ثم بين دار الْبَوَارَ فَقَالَ:

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها، يَدْخُلُونَهَا وَبِئْسَ الْقَرارُ، الْمُسْتَقَرُّ، وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا هُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ نُحِرُوا يَوْمَ بَدْرٍ.

قتل الحارث بن عامر الكافر

قتل خُبيب الأنصاري رضي الله عنه ، الحارث بن عامر يوم بدر .

ولذلكَ لما أُسرَ خبيب رضي الله عنه بعدُ بيع إلي بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وسيأتي ذلك في شأن سرية عاصم بن ثابت الأنصاري، جد عاصم بن

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٧).

عمر بن الخطاب ﷺ، كما في صحيح البخاري[١] وسيأتي في قصته الطويلة إن شاء الله.

❁ عدد القتلي والأسري من كفار قريش علي الإجمالي يوم بدر

صح عن ابن عباس كما ذكرنا في موطنه: فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ». [٢]

وفي صحيح البخاري [٣] عن البراء بن عازب ﷺ قال: في حديثه عن غزوة أحد «وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا..الحديث .

مصير جثث الكفار في هذه الغزوة

عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ[٤]، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالعَرْصَةِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا

---

(١) برقم (٣٠٤٥).

(٢) وهذا في صحيح مسلم (١٧٦٣).

(٣) برقم (٣٠٣٩).

(٤) وفي صحيح مسلم (٢٨٧٥) «أَمَرَ بِبِضْعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا».

فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، وَيَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لاَ أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»**.

قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ، قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا».[1]

وفي صحيح مسلم [2] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ، فَقَالَ: **«يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ[3] أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا»** فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا ؟ **قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا»**

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٩٧٦).

وعائشة تنكر أن رسول الله ﷺ قال :« **مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ** » .

وتقول: وإنما قال « **لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدَهُمْ رَبُّهُمْ حَقًّا** »، وهذا مشهور عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة»لابن هشام (١/ ٥٤٥) بإسنادٍ حسن عنها قالت: وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: لَقَدْ سَمِعُوا مَا قُلْتُ لَهُمْ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَقَدْ عَلِمُوا ...

(٢) برقم (٢٨٧٤) .

(٣) وفي رواية ابن إسحاق بسند حسن «ذكر عَدَّدَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْقَلِيبِ»وله طرق أخري.

ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا، فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ، نعم إنهم حينئذٍ يعلمون أن ماكان يقول رسول الله ﷺ لهم حق، ياأهل القليب يامعشر كفار قريش وعشيرته ﷺ من الكفار وكأني برسول الله يناديهم يقول :

بئس عشيرة النبي ﷺ كانوا لنبيهم ﷺ.

وكانوا أولى بالسبق منهم في ذلك ـ حتي من باب العصبية ـ وأخرجوه وآواه الناس، وقاتلتوه، ونصره الله، ثم الناس، نعوذ بالله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، والفضيحة علي رؤس الأشهاد، ونعوذ بالله من سوء الحال والمآل.

❁ توجُّع أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة رضي الله عنه علي أبيه لما سُحب إلي القليب.

وَلَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُلقوا فِي القَليب، أُخِذَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، فسُحب إِلَى الْقَلِيبِ. فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -فِيمَا بَلَغَنِي- فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ عُتبة، فَإِذَا هُوَ كَئِيبٌ قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا حُذَيْفَةَ، لَعَلَّكَ قَدْ دَخَلَكَ مِنْ شَأْنِ أَبِيكَ شَيْءٌ؟**» أَوْ كَمَا قَالَ ﷺ فَقَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا شككتُ فِي أَبِي وَلَا فِي مصرعه، ولكني كُنْتُ أَعْرِفُ مَنْ أَبِي رَأْيًا وَحِلْمًا وَفَضْلًا، فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ ذَلِكَ إِلَى الإِسلام، فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا أَصَابَهُ، وَذَكَرْتُ مَا مَاتَ عَلَيْهِ مِنْ الْكُفْرِ، بَعْدَ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو لَهُ، أَحْزَنَنِي ذَلِكَ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيْرٍ، وَقَالَ لَهُ خيرًا».[1]

(١) وقد ذكره ابن هشام في «السيرة» (١/ ٥٤٧) عن ابن إسحاق مرسلاً.

أي دعا للصحابي لا لعتبة بن ربيعة.

تخصيص النبي ﷺ بحلِّ الغنائم له

=

لكن أخرج هذا الحديث إسحاق بن راهويه في «المسند» (١١٤٨) من طريق جرير بن حازم سمعت ابن إسحاق حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها به بلفظه ،وهذا إسناد حسن ، وتابعه يونس بن بكير عن ابن اسحاق به أخرجه الحاكم (٣/ ٢٤٩) ويونس وإن كان يأخذ كلام ابن إسحاق فيوصله في الأحاديث .... لكنه متابع من جرير بن حازم، اختلاطه غير مؤثر ،لأن أولاده قد حجبوه لما اختلط، فلم يسمع منه أحد بعد اختلاطه، وأولاده أصحاب حديث .

فلا إشكال في ثبوت الخبر، فالموصول أصح .

وقد رأيت في حديث أنس من طريق علي بن عاصم عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: لَمَّا هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَامَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ فَسُحِبَ فَأُلْقِيَ فِي الْقَلِيبِ، ثُمَّ أَمَرَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ فَسُحِبَ فَأُلْقِيَ فِي الْقَلِيبِ، ثُمَّ أَمَرَ بِشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ فَسُحِبَ فَأُلْقِيَ فِي الْقَلِيبِ، ثُمَّ أَمَرَ بِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ فَسُحِبَ فَأُلْقِيَ فِي الْقَلِيبِ وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ قَائِمٌ إِلَى جَنْبِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَفْطِنْ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى أَبِيهِ يُسْحَبُ حَتَّى أُلْقِيَ فِي الْقَلِيبِ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَآهُ قَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا حُذَيْفَةَ كَأَنَّهُ سَاءَكَ مَا صَنَعْنَا بِعُتْبَةَ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللهِ وبِرَسُولِهِ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ يُشْبِهُ عُتْبَةَ فِي عَقْلِهِ وَفِي شَرَفِهِ، فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مَصْرَعَهُ سَاءَنِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَيْرًا**».

أخرجه عبد بن حميد (١٢٠٩) ولكن في علي بن عاصم مقال وحميد مدلس وقد عنعن، لكن الواسطة معروفة، وبكل حال هذا يقوي الطرق المتقدمة ويصح الخبر بقصة أبي حذيفة مع رسول الله ﷺ، والله أعلم .

عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ».(١)

وفي حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمْ تَحِلَّ الغَنَائِمُ لأَحَدٍ سُودِ الرُّءُوسِ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَانَتْ تَنْزِلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَأْكُلُهَا».(٢)

وفي رواية(٣):

قال رسول الله ﷺ: « «مَا أُحِلَّتِ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ سُودِ الرُّءُوسِ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَانَتْ تَنْزِلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلُهَا» ، حَتَّى كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِي الْغَنَائِمِ فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾. [البقرة: ١٦٨]

وفي الصحيحين أن عَلِيًّا قَالَ: كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ المَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الخُمُسِ يومئذٍ...الحديث .(٤)

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١) .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٨٥) بسندٍ صحيح علي شرط الصحيح .

(٣) أخرجها الطبري في«تفسيره» (١٦٣٠١) بسندٍ صحيح

(٤) انظر صحيح البخاري (٣٠٩١) ومسلم (١٩٧٨)

وفيه رد علي الإمام القاسم بن سلام في كتاب «الأموال »[١] كما سيأتي .

وفي صحيح البخاري قول عمر لما ذهب علي والعباس إلي أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ليقضي بينهما فيما يختصمان فيه، فكان مما قال: فَإِنِّي أُحَدِّثُكُمْ عَنْ هَذَا الأَمْرِ، إِنَّ اللهَ قَدْ خَصَّ رَسُولَهُ ﷺ فِي هَذَا الفَيْءِ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ} [الحشر: ٦]- إِلَى قَوْلِهِ - {قَدِيرٌ} [الحشر: ٦]، فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاللهِ مَا احْتَازَهَا دُونَكُمْ، وَلاَ اسْتَأْثَرَ بِهَا عَلَيْكُمْ، قَدْ أَعْطَاكُمُوهَا وَبَثَّهَا فِيكُمْ، حَتَّى بَقِيَ مِنْهَا هَذَا المَالُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِمْ مِنْ هَذَا المَالِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ، فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلَ مَالِ اللهِ، فَعَمِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ حَيَاتَهُ، ﷺ ...الأثر».[٢]

وكان في رواية عائشة رضي الله عنها قول أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ «**لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ - يُرِيدُ بِذَلِكَ نَفْسَهُ - إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذَا المَالِ**».[٣] .

الخلاف الذي كان بين المسلمين في أمر الغنائم

(٢) فيما حكاه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٣٦٩) من أن الخمس فرض بعد بدر وقسم ﷺ غنائم بدر على السواء ولم يخمِّسها، حتى قال ابن كثير :« فِيّ قصة شارفَي على رضي الله عنه اللَّذَيْنِ اجْتَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا حَمْزَةُ إِحْدَاهُمَا كَانَتْ مِنَ الْخُمُسِ يَوْمَ بَدْرٍ مَا يَرُدُّ صَرِيحًا عَلَى أَبِي عُبَيْدٍ من أَنَّ غَنَائِمَ بَدْرٍ لَمْ تُخَمَّسْ والله أَعْلَمُ ،بَلْ خُمِّسَتْ كَمَا هُوَ قَوْلُ الْبُخَارِيِّ وَابْنِ جَرِيرٍ وَغَيْرِهِمَا وَهُوَ الصَّحِيحُ الرَّاجِحُ».

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٣٣) .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٣٤).

تقدم الإشارة في الخلاف بين أبي بكر وعمر في الفداء أو القتل وثم خلاف آخر، فيما أخرجه أبو داود[1] وغيره بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «**مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَلَهُ مِنَ النَّفَلِ كَذَا وَكَذَا**». قَالَ: فَتَقَدَّمَ الْفِتْيَانُ وَلَزِمَ الْمَشْيَخَةُ الرَّايَاتِ فَلَمْ يَبْرَحُوهَا، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَالَ الْمَشْيَخَةُ: كُنَّا رِدْءًا لَكُمْ لَوِ انْهَزَمْتُمْ لَفِئْتُمْ إِلَيْنَا، فَلَا تَذْهَبُوا بِالْمَغْنَمِ وَنَبْقَى، فَأَبَى الْفِتْيَانُ وَقَالُوا: جَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} [الأنفال: ١] إِلَى قَوْلِهِ: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيتِكَ بِالْحَقِّ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} [الأنفال: ٥] يَقُولُ: «**فَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ، فَكَذَلِكَ أَيْضًا فَأَطِيعُونِي فَإِنِّي أَعْلَمُ بِعَاقِبَةِ هَذَا مِنْكُمْ**».

ومعني الكلام **أن الأنفال مرجعها إلي حكم الله ورسوله** ﷺ :يحكُمان فيها بما فيه المصلحة للعباد في المعاش والمعاد ، فقسَمَها رسول الله ﷺ علي ماقال الله { فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍقَدِيرٌ} .

سياق آخر لما حصَل بعد الغنائم

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ فَلَقِيَ الْعَدُوَّ، فَلَمَّا هَزَمَهُمُ اللهُ اتَّبَعَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُونَهُمْ وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ،

(١) برقم (٢٧٢٧).

وَاسْتَوْلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ، وَالنَّهْبِ، فَلَمَّا كَفَى اللهُ الْعَدُوَّ، وَرَجَعَ الَّذِينَ طَلَبُوهُمْ، قَالُوا: لَنَا النَّفْلُ نَحْنُ طَلَبْنَا الْعَدُوَّ وَبِنَا نَفَاهُمُ اللهُ وَهَزَمَهُمْ، وَقَالَ الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ: وَاللهِ مَا أَنْتُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنَّا، هُوَ لَنَا نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، لِأَنْ لَا يَنَالَ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً، قَالَ الَّذِينَ اسْتَوْلَوْا عَلَى الْعَسْكَرِ، وَالنَّهْبِ وَاللهِ مَا أَنْتُمْ بِأَحَقَّ مِنَّا هُوَ لَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} [الأنفال: ١] الْآيَةَ، فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَهُمْ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُنَفِّلُهُمْ، إِذَا خَرَجُوا بَادِينَ الرُّبُعَ، وَيُنَفِّلُهُمْ إِذَا قَفَلُوا الثُّلُثَ»... فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَكْرَهُ الْأَنْفَالَ، وَيَقُولُ: «**لِيَرُدَّ قَوِيُّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ضَعِيفِهِمْ**»(١).

إرسال النبي ﷺ إلي المدينة مَن يبشِّرهم بالنصر

أخرج الحاكم (٢) والبيهقي بإسناد حسن عن أبي أمامة بن سهل قَالَ: «لَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَدْرٍ بَعَثَ بَشِيرَيْنِ إِلَى أَهْلِ المَدِينَةِ: بَعَثَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إِلَى أَهْلِ السَّافِلَةِ، وَبَعَثَ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ إِلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ يُبَشِّرُونَهُمْ بِفَتْحِ اللهِ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٥٦١) وغيره، لكن أثبتُّ رواية ابن حبان (٤٨٥٥) لكونها أتمّ. ولكن أُنبِّه علي ضعف وجه رواية ابن إسحاق كما في «السيرة لابن هشام» (١/ ٥٤٩) فيه قول أبي أمامة رضي الله عنه «سَأَلْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ عَنْ الْأَنْفَالِ، فَقَالَ: فِينَا أَصْحَابُ بَدْرٍ نَزَلَتْ حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفَلِ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، فَنَزَعَهُ اللهُ مِنْ أَيْدِينَا، فَجَعَلَهُ إِلَى رَسُولِهِ، فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَوَاءٍ. يَقُولُ: عَلَى السَّوَاءِ» ولم أرها لفظة تصح سنداً بهذا السياق. والله أعلم.

(٢) في «المستدرك»(٣/ ٣٤٠) والبيهقي في «السنن الكبري»(٩/ ٣٠٩).

عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَوَافَقَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ابْنَهُ أُسَامَةَ حِينَ سَوَّى التُّرَابَ عَلَى رُقْيَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: ذَاكَ أَبُوكَ حِينَ قَدِمَ، قَالَ أُسَامَةُ:

فَجِئْتُ وَهُوَ وَاقِفٌ لِلنَّاسِ، يَقُولُ: قُتِلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَنَبِيُّهُ وَمُنَبِّهٌ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، أَحَقٌّ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللهِ يَا بُنَيَّ».

وسيأتي بالسند الصحيح، أن زيد بن حارثة رضي الله عنه جاء إلي المدينة علي العضباء ناقة رسول الله ﷺ بالبشارة قال أسامة: فسمعتُ الهَيعة فخرجتُ فإذا زيد جاء بالبشارة فو الله ما صَدَّقتُ حتي رأينا الأُساري وضرب رسول الله ﷺ لعثمان رضي الله عنه بسهمه».[1]

الأسرى يوم بدر وما فُعِل بالعباس عم النبي ﷺ

تقدم أن الأسارى كانوا سبعين رجلاً.

وأخرج مسلم[2] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذكر موقعة بدر وقال:

وأمر النبي ﷺ فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ

---

(١) سيأتي قريباً في باب رجوعه ﷺ من غزوة بدر.

وقد أخرجه البيهقي في «الكبري» (٩/ ٣٩٣) بالسند الصحيح.

(٢) برقم (١٧٦٣) وأخرجه أحمد (٢٠٨) والترمذي (٣٠٨١، مختصراً).

مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**».

قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمِ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ** - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ - وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} [الأنفال: ٦٧] إِلَى قَوْلِهِ {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} [الأنفال: ٦٩] **فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ**».

وأخرج الحاكم[1] عن مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَمَّا أُسِرَ الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ أُسِرَ الْعَبَّاسُ فِيمَنْ أُسِرَ أَسَرَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ وَقَدْ أَوْعَدَتْهُ الْأَنْصَارُ أَنْ

---

(١) في المستدرك (٢/ ٣٢٩ مختصراً) بسند حسن من طريق عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مُوسَى، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ به، وقد عزا هذا المطول له ولغيره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٩) و«البداية والنهاية» (٣/ ٢٩٨) وغيره وصحح إسناده، وقال الذهبي: على شرط مسلم.

يَقْتُلُوهُ. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ «**إِنِّي لَمْ أَنَمِ اللَّيْلَةَ مِنْ أَجْلِ عَمِّي الْعَبَّاسِ، وَقَدْ زَعَمَتِ الْأَنْصَارُ أَنَّهُمْ قَاتِلُوهُ**» قَالَ عُمَرُ أَفَآتِيهِمْ؟ قَالَ نَعَمْ فَأَتَى عُمَرُ الْأَنْصَارَ فَقَالَ لَهُمْ: أَرْسِلُوا الْعَبَّاسَ، فَقَالُوا لَا وَاللهِ لَا نُرْسِلُهُ، فَقَالَ لَهُمْ عُمَرُ: فَإِنْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ رِضًى؟ قَالُوا فَإِنْ كَانَ لَهُ رِضًى فَخُذْهُ، فَأَخَذَهُ عُمَرُ فَلَمَّا صَارَ فِي يَدِهِ قَالَ له عمر: يا عباس أسلم فوالله لئن تُسْلِمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُسْلِمَ الْخَطَّابُ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ يُعْجِبُهُ إِسْلَامُكَ.

قَالَ وَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ عَشِيرَتُكَ فَأَرْسِلْهُمْ وَاسْتَشَارَ عُمَرَ فَقَالَ اقْتُلْهُمْ، فَفَادَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَ الله {ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} الآية..

=

وقد رواه البزار في «المسند »(٤٩٢٤) عَبد العزيز بن أَبَان، قَال: حَدَّثنا إِسْرَائِيلَ، عَن إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَاجِرِ، عَن مُجاهد، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ عُمَر بْنُ الْخَطَّابِ لِلْعَبَّاسِ، رضي الله عنهما: أَسْلِمْ فَوَا الله إِنْ تُسْلِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُسْلِمَ الْخَطَّابُ وَمَا ذَاكَ إلاَّ لأَنَّهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُول الله ﷺ فَأَسْلِمْ يَكُنْ لَكَ سَبْقُكَ...ثم قال البزار:

وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رُوِيَ عَن مُجاهد أَنَّ عُمَر قَالَ...ولاَ نَعْلَمُ أَحَدًا قَالَ عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَن إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَاجِرِ، عَن مُجاهد، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ إلاَّ عَبد الْعَزِيزِ بْنَ أَبَان وَلَمْ يَكُنْ بِالْقَوِيِّ، وَلكن لَّمَّا لَمْ يُحْفَظْ هَذَا الْكَلامُ إلاَّ مِن هَذَا الْوَجْهِ لَمْ نَجِدْ بُدًّا مِنْ إِخْرَاجِهِ وَتَبْيِينِ الْعِلَّةِ فِيهِ ».

يعني البزار: أن الرواية الأولى التي حسنَّا إسنادها هي المحفوظة. والله أعلم .

وفي صحيح البخاري [١] عن أَنَسٍ ﷺ: أَنَّ رِجَالًا مِنَ الأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: ائْذَنْ لَنَا، فَلْنَتْرُكْ لِابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ، فَقَالَ: «**لاَ تَدَعُونَ مِنْهُ دِرْهَمًا**».

وفي صحيح البخاري معلقاً [٢] مجزوماً به عن أنس بن مالك ﷺ عن العباس قال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِنِي فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي وَفَادَيْتُ عَقِيلًا، وَكَانَ عَلِيٌّ لَهُ نَصِيبٌ فِي تِلْكَ الغَنِيمَةِ الَّتِي أَصَابَ مِنْ أَخِيهِ عَقِيلٍ وَعَمِّهِ عَبَّاسٍ».

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَقَالَ: «**انْثُرُوهُ فِي المَسْجِدِ**» وَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الصَّلاَةِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاَةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ، إِذْ جَاءَهُ العَبَّاسُ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: أَعْطِنِي، فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي وَفَادَيْتُ عَقِيلًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُذْ**» فَحَثَا فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اؤْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ إِلَيَّ، قَالَ: «**لاَ**» قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: «**لاَ**» فَنَثَرَ مِنْهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اؤْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ عَلَيَّ، قَالَ: «**لاَ**» قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: «**لاَ**» فَنَثَرَ مِنْهُ، ثُمَّ احْتَمَلَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى كَاهِلِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا - عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ - فَمَا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ».[٣]

---

(١) برقم (٢٥٣٧).

(٢) برقم(٣٠٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤٦) معلّقاً مجزوماً به.

وأشير في الباب إلى أن رسول الله ﷺ لم يحابه لكونه عمه مع أنه قد سأله الذين أسرُوه أن يتركوا له فداءه، فأبي عليهم ذلك وَقَالَ: «**لَا تَتْرُكُوا مِنْهُ دِرْهَمًا**»، وَقَدْ كَانَ فِدَاؤُهُمْ مُتَفَاوِتًا فَأَقَلُّ مَا أُخِذَ أَرْبَعُمِائَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُخِذَ منه أربعون أوقية من ذهب.(١)

حقارة أسرى بدر وما آلو إليه من ذُلٍّ ومهانة ووضاعة في هذه الدنيا.

أخرج البخاري (٢)عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: «**لَوْ كَانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**».

وقد رأت سودة بن زمعة سهيل بن عمرو وهو مغلولة يداه إلي عنقه بحبل ،

فقد أخرج ابن إسحاق(٣) وأبو داود بإسناد حسن عن يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَسَعْدَ بْنِ زُرَارَةَ، قَالَ: قُدِمَ بِالْأُسَارَى حِينَ قُدِمَ بِهِمْ، وَسَوْدَةُ بِنْتُ

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية »(٣/ ٣١٥) ولم أقف علي لفظه بهذا السياق مسنداً، لكن الذي في الروايات الثابتة أنه أُخذ منه الفداء، والله أعلم.

(٢) برقم (٣١٣٩).

(٣) كما في «سيرة ابن هشام » (١/ ٥٥٣) بإسناد حسن.

وأخرجه أيضاً أبو داود (٢٦٨٠) والحاكم (٣/ ٢٤) والبيهقي في «الكبري»(٩/ ١٥١) كلهم من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن يحيي بن عبد الله به.

زَمعَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ آلِ عَفْرَاءَ، فِي مَنَاحَتِهِمْ عَلَى عَوْفٍ وَمُعَوِّذِ ابْنَيْ عَفْرَاءَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنَّ الْحِجَابُ.

قَالَ: تَقُولُ سَوْدَةُ: وَاللهِ إِنِّي لَعِنْدَهُمْ إِذْ أُتِينَا، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى، قَدْ أُتِيَ بِهِمْ. قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ، وَإِذَا أَبُو يَزِيدَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي نَاحِيَةِ الْحُجْرَةِ، مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلٍ قَالَتْ: فَلَا وَاللهِ مَا مَلَكْتُ نَفْسِي حِينَ رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ كَذَلِكَ أَنْ قُلْتُ: أَيْ أَبَا يَزِيدَ: أَعْطَيْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ، أَلَا متم كِراماً، فوالله مَا أَنْبَهَنِي إِلَّا قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ الْبَيْتِ:« **يَا سَوْدَةُ، أَعَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ تُحَرِّضِينَ؟**» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا مَلَكْتُ نَفْسِي حِينَ رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ أَنْ قُلْتُ مَا قُلْتُ[1].

سياق آخر لحال الأساري يوم بدر

تقدم في ذكر تعداد المسلمين والمشركين رواية ابن عباس عن عمر وتتمته:[2].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رضي الله عنهما:

---

(١) والواضح أنها قالت هذا علي سَجيتها حينما رأت رجلاً زعيماً من زعماء قريش، ورسولاً من رُسلِهم بهذا المنظر، وإلا فحاشاها رضي الله عنها ما كانت تؤلِّب علي رسول الله ﷺ أبداً هذا معلوم، فلا يُظَنّ بأمِّ المؤمنين رضي الله عنها إلا خيراً، لا سيما وقد نبهها ﷺ وانتبهت رضي الله عنها، فماذا ؟

وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ الأعراف. والله الموفق .

(٢) كما في رواية مسلم (١٧٦٣) .

«**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**» قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمِ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ** - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ - وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} [1] [الأنفال: ٦٧] إِلَى قَوْلِهِ {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} [الأنفال: ٦٩] فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ.

وسياق آخر لحال الأسارى:

أخرج أحمد [2] بسند صحيح عن حميد عن أنس رضي الله عنه قَالَ: اسْتَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ فِي الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَمْكَنَكُمْ مِنْهُمْ**»، قَالَ: فَقَامَ

(١) أي يكثر القتل والقهر في العدو ذلك أنكم تريدون ثواب الدنيا والله يريد الأخرة .

(٢) أخرجه أحمد (١٣٥٥٦).

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ، قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: ثُمَّ عَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَمْكَنَكُمْ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا هُمْ إِخْوَانُكُمْ بِالْأَمْسِ**» قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: اضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ، قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: ثُمَّ عَادَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لِلنَّاسِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَرَى أَنْ تَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَتَقْبَلَ مِنْهُمُ الْفِدَاءَ، قَالَ: فَذَهَبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْغَمِّ، قَالَ: فَعَفَا عَنْهُمْ، وَقَبِلَ مِنْهُمُ الْفِدَاءَ، قَالَ: وَأَنْزَلَ اللهُ: {لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: ٦٨].

❁ بعض من قُتل من المسلمين في هذه الغزوة:

١ـ حارثة بن سراقة وهو غلام صغير رضي الله عنه

ففي حديث أم الربيع بنت البراء ـ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ، قَالَ: «**يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى**».[1]

وفي رواية فَقَالَ:

«**وَيْحَكِ، أَوَهَبِلْتِ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ، إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ**»[1].

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٢٨٠).

فإن كانت تقصد البكاء فهو مأذون فيه، وإن كانت تقصد النواح فإنه محمول علي أن قولها هذا قبل تحريم النياحة،أو أنه عذرها ﷺ لإغلاق العقل من عظم المصيبة[٢]،أوأنها كانت تعني البكاء بغير نواح .

٢- ومنهم عمير بن الحُمَام الأنصاري رضي الله عنه

فقد انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**»، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ**

=

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٩٨٢).

(٢) ويؤيد عظم ذلك عليها قولها في رواية البخاري (٦٥٥٠):« **يَا رَسُولَ الله، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي** »، ولما فسَّر قولها ابن كثير في «البداية والنهاية»(٣/ ٢٩١) أنها يعني النياحة اضطر إلي تأويلها فقال :« **وَإِلَّا فَلَيَرَيَنَّ الله مَا أَصْنَعُ** - يَعْنِي مِنَ النِّيَاحِ - **وَكَانَتْ لَمْ تُحَرَّمْ بَعْدُ**».

تنبيه :

قال الحافظ بن كثير في «تاريخه» (٣/ ٣٥٢) في تعليقه على أن حارثة بن سراقة في الفردوس الأعلي :

« وَفِي هَذَا تَنْبِيهٌ عَظِيمٌ عَلَى فَضْلِ أَهْلِ بَدْرٍ فَإِنَّ هَذَا الَّذِي لم يكن في بحيحة الْقِتَالِ وَلَا فِي حَوْمَةِ الْوَغَى بَلْ كَانَ مِنَ النَّظَّارَةِ مِنْ بَعِيدٍ وَإِنَّمَا أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ وَهُوَ يَشْرَبُ مِنَ الْحَوْضِ وَمَعَ هَذَا أَصَابَ بِهَذَا الْمَوْقِفِ الْفِرْدَوْسَ الَّتِي هِيَ أَعْلَى الْجِنَانِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الَّتِي أَمَرَ الشَّارِعُ أُمَّتَهُ إِذَا سَأَلُوا الله الْجَنَّةَ أَنْ يَسْأَلُوهُ إِيَّاهَا فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ هَذَا فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ كَانَ وَاقِفًا فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ وَعَدُوُّهُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْعَافِهِمْ عَدَدًا وَعُدَدًا ؟»ا.هـ

وَالْأَرْضُ»، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟

قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ».(١)

رجوعه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر إلي المدينة مؤيَّداً منصوراً ﷺ

كان من هديه ﷺ أنه إذا ظهر علي قوم أقام بالعرصَة (٢) ثلاث ليال

فقد روى البخاري (٣) من حديث أنس رضي الله عنه عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالعَرْصَةِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا **لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ**

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٩٠١).

(٢) وهي البقعة الواسعة بغير عناء تكون عند من غلب .

(٣) في «صحيحة» (٣٠٦٥).

بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، وَيَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لاَ أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»، قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ، قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا».(١)

ثم قرَّعهم علي ماتقدم ذكره قبل ثم سار إلي المدينة .

وكان قد أرسل ﷺ بعض الصحابة بالبشارة قبل رجوعه ﷺ، ولما رجع وافق وفاة ابنته رقية زوجة عثمان الذي كان تخلَّف يُمَرّضُها أثناء الغزوة بإذن رسول الله ﷺ ومع ذلك ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه .

وقد أخرج البيهقي(٢) بإسناد صحيح عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَلَّفَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ عَلَى رُقَيَّةَ ابْنَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَيَّامَ بَدْرٍ، فَجَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه عَلَى الْعَضْبَاءِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْبِشَارَةِ .

قَالَ أُسَامَةُ: فَسَمِعْتُ الْهَيْعَةَ فَخَرَجْتُ، فَإِذَا زَيْدٌ قَدْ جَاءَ بِالْبِشَارَةِ، فَوَاللهِ مَا صَدَّقْتُ حَتَّى رَأَيْنَا الْأُسَارَى، فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُثْمَانَ رضي الله عنه بِسَهْمِهِ» .

❁ تنبيهات على أخبار لاتصح في الباب يجدر بنا التنبيه عليها:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٥) .

(٢) في «السنن الكبري» (٩/ ٢٩٣) .

١ - الوارد عن عَطِيَّة بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ - ﷺ - مِنْ قِتَالِ أَهْلِ بَدْرٍ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَى فَرَسٍ أُنْثَى حَمْرَاءَ عَاقِدًا نَاصِيَتَهُ. يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ دِرْعُهُ وَمَعَهُ رُمْحُهُ قَدْ عَصَمَ ثَنِيَّتَهُ الْغُبَارُ.

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ. تَبَارَكَ وَتَعَالَى. بَعَثَنِي إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي أَنْ لا أُفَارِقَكَ حَتَّى تَرْضَى. هَلْ رَضِيتَ؟ قَالَ: نَعَمْ رَضِيتُ.

لكن هذا لا يصح له سند [١].

وفي مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وأن رسول الله ﷺ لم يقتل من الأساري غيره وَقَالَ حَمَّادُ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ النَّبِيّ ﷺ بِقَتْلِ عُقْبَةَ قَالَ: أَتَقْتُلُنِي يَا مُحَمَّدُ مِنْ بَيْنِ قُرَيْشٍ؟.

قَالَ: «**نَعَمْ! أَتَدْرُونَ مَا صَنَعَ هَذَا بِي؟ جَاءَ وَأَنَا سَاجِدٌ خَلْفَ الْمَقَامِ فَوَضَعَ رَجْلَهُ عَلَى عُنُقِي وَغَمَزَهَا فَمَا رَفَعَهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ عَيْنَيَّ سَتَنْدُرَانِ، وجاء مرة أخرى بسلاً شَاةٍ فَأَلْقَاهُ عَلَى رَأْسِي وَأَنَا سَاجِدٌ فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ فَغَسَلَتْهُ عَنْ رَأْسِي**» .

ولا يصح لهذا سند فيما أعلم، هذا مرسل. [٢]

٣- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ أَقْبَلَ بِالْأُسَارَى فَرَّقَهُمْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، وَقَالَ :« **اسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا** » قَالَ: وَكَانَ أَبُو عَزِيزِ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمٍ أَخُو مُصْعَبِ بْنِ

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبري » (٢/ ٢٠) وفي سنده ضعف وإرسال وعند البيهقي في «الدلائل»(٣/ ١٣١) نحو ذلك ولا يصح لا هذا ولا ذاك والله أعلم .

(٢) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية »(٣/ ٣٧٢).

عُمَيْرٍ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ فِي الْأُسَارَى، قَالَ أَبُو عَزِيزٍ:

مرَّ بِي أَخِي مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يَأْسِرُنِي، فَقَالَ: شُدَّ يَدَيْكَ بِهِ، فَإِنَّ أُمَّهُ ذَاتُ مَتَاعٍ، لَعَلَّهَا تَفْدِيهِ مِنْكَ، قَالَ وَكُنْتُ فِي رَهْطٍ مِنْ الْأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ، فَكَانُوا إذَا قَدَّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ خَصُّونِي بِالْخُبْزِ، وَأَكَلُوا التَّمْرَ، لِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إيَّاهُمْ بِنَا، مَا تَقَعُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كِسْرَةُ خُبْزٍ إلَّا نَفَحَنِي بِهَا. قَالَ: فَأَسْتَحْيِي فَأَرُدُّهَا عَلَى أَحَدِهِمْ ، فَيَرُدُّهَا عَلَيَّ مَا يَمَسُّهَا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ أَبُو عَزِيزٍ صَاحِبَ لِوَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرِ بَعْدَ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ، فَلَمَّا قَالَ أَخُوهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ لِأَبِي الْيَسَرِ، وَهُوَ الَّذِي أَسَرَهُ، مَا قَالَ قَالَ لَهُ أَبُو عَزِيزٍ: يَا أَخِي، هَذِهِ وَصَاتُكَ بِي، فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: إنَّهُ أَخِي دُونَكَ.

فَسَأَلَتْ أُمُّهُ عَنْ أَغْلَى مَا فُدِيَ بِهِ قُرَشِيٌّ، فَقِيلَ لَهَا: أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَبَعَثَتْ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَفَدَتْهُ بِهَا .

وهذا لم أجد فيه شيئًا يصح إنما رواه ابن إسحاق كما في« السيرة » لابن هشام (١/ ٥٥٣) بإسناد مرسل، علي كثرة ترديد القُصَّاص له علي المنابر وفي المجامع، وأشياء أخري لا أُكَثِّر من تسويد الصفحات بها والله الموفق.

٤ - قصة موت أبي لهب مع إخباره مقتل من قُتل من كفار قريش

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: كُنْتُ غُلَامًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ دَخَلَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ

وَأَسْلَمَتْ أُمُّ الْفَضْلِ وَأَسْلَمْتُ وَكَانَ الْعَبَّاسُ يَهَابُ قَوْمَهُ وَيَكْرَهُ خِلَافَهُمْ وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ، وَكَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ مُتَفَرِّقٍ فِي قَوْمِهِ، وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ، فَبَعَثَ مَكَانَهُ الْعَاصِي بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَكَذَلِكَ كَانُوا صَنَعُوا، لَمْ يَتَخَلَّفْ رَجُلٌ إِلَّا بَعَثَ مَكَانَهُ رَجُلًا، فَلَمَّا جَاءَهُ الْخَبَرُ عَنْ مُصَابِ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَبَتَهُا اللهُ وَأَخْزَاهُ، وَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا قُوَّةً وَعِزًّا. قَالَ: وَكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا، وَكُنْتُ أَعْمَلُ الْأَقْدَاحَ. أَنْحَتُهَا فِي حجرَة زَمْزَم، فو الله إِنِّي لَجَالِسٌ فِيهَا أَنْحَتُ أَقْدَاحِي، وَعِنْدِي أُمُّ الْفَضْلِ جَالِسَةٌ، وَقَدْ سَرَّنَا مَا جَاءَنَا مِنْ الْخَبَرِ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو لَهَبٍ يَجُرُّ رِجْلَيْهِ بِشَرٍّ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى طُنُبِ الْحُجْرَةِ[1]، فَكَانَ ظَهْرُهُ إِلَى ظَهْرِي، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ قَالَ النَّاسُ:

هَذَا أَبُو سُفْيَانَ ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْمُ أَبِي سُفْيَانَ الْمُغِيرَةُ- قَدْ قَدِمَ قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: هَلُمَّ إِلَيَّ، فَعِنْدَكَ لَعَمْرِي الْخَبَرُ، قَالَ: فَجَلَسَ (إِلَيْهِ) وَالنَّاسُ قِيَامٌ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا بن أَخِي، أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَ أَمْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: وَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ لَقِينَا الْقَوْمَ فَمَنَحْنَاهُمْ أَكْتَافَنَا يَقُودُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا، وَيَأْسِرُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا، وَايْمُ اللهِ مَعَ ذَلِكَ مَا لُمْتُ النَّاسَ، لَقِينَا رِجَالًا بِيضًا، عَلَى خَيْلٍ بَلْقٍ، بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللهِ مَا تُلِيقُ[2] شَيْئًا، وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ. قَالَ أَبُو رَافِعٍ: فَرَفَعْتُ طُنُبَ الْحُجْرَةِ بِيَدَيَّ، ثُمَّ قُلْتُ: تِلْكَ وَاللهِ الْمَلَائِكَةُ، قَالَ:

فَرَفَعَ أَبُو لَهَبٍ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا وَجْهِي ضَرْبَةً شَدِيدَة.

---

(١) طُنب الحُجْرَة: طرفها .

(٢) تليق أي ما تبقي .

قَالَ: وثاورتُه[١] فَاحْتَمَلَنِي[٢]فَضَرَبَ بِي الْأَرْضَ، ثُمَّ بَرَكَ عَلَيَّ يَضْرِبُنِي، وَكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا، فَقَامَتْ أُمُّ الْفَضْلِ إِلَى عَمُودٍ مِنْ عُمُدِ الْحُجْرَةِ، فَأَخَذَتْهُ فَضَرَبَتْهُ بِهِ ضَرْبَة فلعت[٣] فِي رَأْسِهِ شَجَّةً مُنْكَرَةً، وَقَالَتْ: اسْتَضْعَفْتَهُ أَنْ غَابَ عَنْهُ سَيِّدُهُ، فَقَامَ مولّيا ذليلا، فو الله مَا عَاشَ إِلَّا سَبْعَ لَيَالٍ حَتَّى رَمَاهُ اللهُ بِالْعَدَسَةِ [٤] فَقَتَلَتْهُ.

فهذه- مادة القُصَّاصِ هذه - ما علمتُ لها إسناداً ثابتاً[٥]

٥- الوارد من أنه خُفِّفَ عن أبي لهب بعتاقته ثويبة .

أخرجه البخاري عن عروة قال : وثُوَيْبَةُ مَوْلاَةٌ لِأَبِي لَهَبٍ: كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا، فَأَرْضَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ،[٦]

---

(١) ثاورته: وَثَبتُ إِلَيْهِ.

(٢) أي: فقمت إليه .

وكان أبو لهب تخلَّف عن الغزوة ، ولكنه أرسل مكانه رجلاً علي ما في الروايات من أسانيد فيها كلام أيضاً، إلا أن المتحقَق منه أن أبا لهب لم يَشهد غزوة بدر .

(٣) فلعَت: شقَّتْ.

(٤) العدسة: قرحَة قاتلة كالطاعون. يقال عدس الرجل: إِذا أَصَابَهُ ذَلِك.

(٥) وإنما روها أحمد (٢٣٨٦٤) ابن سعد في «طبقاته»(٤/ ٥٤) والحاكم (٣/ ٣٩٦) والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ١٤٥) وغيرهم، وفي إسناده الحسين بن عبد الله وهو متروك، وفيه انقطاع .

(٦) **ومعني بشر حيبة:** أي علي أسوأ حالة من الهم والحُزن والخيبة فلم يلق بعدهم راحة ولا رخاء

قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ[١] بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ[٢].

خبر ضعيف في تجلُّد أحياء قريش مع حسرتهم وعذابهم وذلِّهم في فداء أسراهم من المسلمين

أخرج ابن إسحاق بإسناد مرسل عن عباد بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، قَالَ: «

نَاحَتْ قُرَيْشٌ عَلَى قَتْلَاهُمْ، ثُمَّ قَالُوا: لَا تَفْعَلُوا فَيَبْلُغُ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابه، فيشمتوا بِكُمْ، وَلَا تَبْعَثُوا فِي أَسْرَاكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنُوا بِهِمْ لَا يَأْرَبُ[٣] عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ فِي الْفِدَاءِ.

قَالَ: وَكَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ قَدْ أُصِيبَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنْ وَلَدِهِ، زَمَعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَعَقِيلُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَالْحَارِثُ بْنُ زَمَعَةَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى بَنِيهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعَ نَائِحَةً مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ لِغُلَامٍ لَهُ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ: انْظُرْ هَلْ أُحِلَّ النَّحْبُ، هَلْ بَكَتْ قُرَيْشٌ عَلَى قَتْلَاهَا؟

---

(١) وقوله «هذه» إشارة إلي النقرة بين الإبهام والمسبحة، أي سُقي شيئًا قليلاً من الماء لا يُذكَر بسبب عتاقته ثويبة ففي رواية عبد الرزاق (١٣٩٥٥)- قَالَ أَبُو لَهَبٍ لَمْ أَلْقَ أَوْ أَجِدْ بَعْدَكُمْ رَخَاءً أَوْ. قَالَ: رَاحَةً غَيْرَ أَنِّي سَقَيْتُ فِي هَذِهِ مِنِّي لِعِتْقِي ثُوَيْبَةَ وَأَشَارَ إِلَى النَّقْرَةِ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا .

(٢) أخرجه البخاري عقب حديث (٥١٠١) عن عروة كذا مرسلاً عقب الرواية الموصولة ، والمرسل من أقسام الضعيف .

(٣) أي: لايشتد .

لَعَلِّي أَبْكِي عَلَى أَبِي حَكِيمَةَ، يَعْنِي زَمَعَةَ، فَإِنَّ جَوْفِي قَدْ احْتَرَقَ. قَالَ: فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ الْغُلَامُ قَالَ: إِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ تَبْكِي عَلَى بَعِيرٍ لَهَا أَضَلَّتْهُ». (١)

وأخرى رواية ضعيفة أيضـًا :

كَانَ فِي الْأُسَارَى أَبُو وَداعة بْنُ ضُبَيْرة السَّهْمي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لَهُ بِمَكَّةَ ابنًا كَيِّسًا تاجرًا ذا مال، وكأنكم به قَدْ جَاءَكُمْ فِي طَلَبِ فِدَاءِ أَبِيهِ»، فَلَمَّا قالت قريش: لا تعجلوا بفداء أسراكم لَا يَأْرَبُ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ الْمُطَّلِبُ بْنُ أَبِي وَداعة -وَهُوَ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِّي-: صَدَقْتُمْ، لَا تَعْجَلُوا، وانسلَّ مِنْ اللَّيْلِ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَأَخَذَ أَبَاهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَانْطَلَقَ بِهِ. (٢)

قتل بعض الأسري (٣)

اشتُهر أن النبي ﷺ قتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعيط وطُعيمة بن عدي من بين الأُساري .

فورد من مرسل ابن إسحاق قال حتي إذا كان رسول الله بالصفراء قتل النضر ابن الحارث ،قتله علي بن أبي طالب بالصفراء (١).

(١) أخرجها ابن إسحاق كما في «السيرة »لابن هشام (١/ ٥٥٥).

(٢) وهذا من مرسل ابن إسحاق كما في « السيرة » لابن هشام.

(٣) وقد سار المسلمون بالأسرىٰ إلي المدينة كما يدل علىٰ ذلك رواية البيهقي (٩/ ٢٩٣) المتقدمة، وفيها قول أسامة بن زيد رضي الله عنه «...فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة وكان أسامة بالمدينة،قال أسامة رضي الله عنه: « فَإِذَا زَيْدٌ قَدْ جَاءَ بِالْبِشَارَةِ، فَوَاللهِ مَا صَدَّقْتُ حَتَّىٰ رَأَيْنَا الْأُسَارَىٰ»وسندها صحيح.

وفي «تفسير الطبري»(١٣/ ٥٠٤) وابن زنجويه في«الأموال»(٥٣٤) وغيرهما، مراسيل عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ قتل يوم بدر ثلاثة صبراً :عقبة بن أبي معيط ، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث.....

وأخرجه كذلك أبو داود في «المراسيل» (٣٣٧) ولكن لعلَّه يتقوي بما أخرجه الطبراني في «الأوسط»(٣٨٠١) بسنده عن سعيد عن ابن عباس قال: «قتل رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثة صَبراً قتل النضر بن الحارث من بني عبد الدار، وقتل طُعيمة بن عدي من بني نوفل، وقتل عقبة بن أبي معيط» والله أعلم .

ويُقَوِّيه ما رواه ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: فَادَى النَّبِيُّ ﷺ بِأُسَارَى بَدْرٍ، فَكَانَ فِدَاءُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، وَقَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ قَبْلَ الْفِدَاءِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلَهُ صَبْرًا قَالَ: مَنْ لِلصِّبْيَةِ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: «**النَّارُ**». (٢)

=

(١) وهذا من مرسل ابن إسحاق كما في «السيرة » لابن هشام (١/ ٥٥١)، وهو مشهور في كتب «السير» و«المغازي»، وذكر ابن إسحاق أن أهل العلم أخبروه بذلك فالله أعلم . ولكن يأتي سند عن ابن عباس رضي الله عنه أن علياً هو الذي قتل عقبة بن أبي معيط، فلعلَّه يقوىٰ القدر المشترك أن علياً رضي الله عنه هو الذي قتله.

(٢) هذا أخرجه عبد الرزاق (٩٣٩٤) بإسناد رجاله ثقات عن معمر عن قتادة عن ابن عباس. ورواية معمر عن قتادة في صحيح مسلم.

وله شاهد أخرجه البزار في«البحرالزخار» (١٩٣٦) بإسناد رجاله مُعَدَّلُون عن إبراهيم النخعي قال: كان مسروق بن الأجدع جالساً عند الضحاك بن قيس وعنده عمارة بن عقبة بن أبي معيط ،فأراد الضحاك أن يستعمل مسروقاً علي شيئ من أعماله، فقال له عمارة بن عقبة:

قُرب الفترة بين نزول آية المزمل {قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا}ووقوع الكارثة في غزوة بدر.

أخرج ابن إسحاق والبيهقي بإسناد حسن عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا كَانَ بَيْنَ نُزُولِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى فِيهَا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ۝١٢﴾ إِلَّا يَسِيرٌ، حَتَّى أَصَابَ اللهُ قُرَيْشًا بِالْوَقْعَةِ يَوْمَ بَدْرٍ.(١)

❁ سهيل بن عمرو(٢) ـ خطيب قريشٍ ورسولهم ـ في أسرى بدر

=

تستعمل رجلاً من بقايا قتلة عثمان ؟

فقال مسروق حدثنا عبد الله بن مسعود ﷺ وكان عندنا مَوثوق الحديث غير كذُوب أن رسول الله ﷺ لما أتي بأبيك أمر بضرب عنقه قال: فمن للصبية قال«**النار**» فحسبك بما أمر لك رسول الله ﷺ.فهذا يؤيد قتل رسول الله ﷺ عقبة بن أبي مُعيط.

وله طريق آخر مرسل أخرجه أبو داود في «المراسيل» (٢٩٧) وهو عند عبد الرزاق (٩٣٩٠) عن إبراهيم التيمي أن رسول الله ﷺ صَلَبَ عُقبة بن أبي معيط إلي شجرة فقال: أمِن بني قريش ؟ قال «**نعم**» قال :فمن للصبية ؟قال «**النار**»، ولا إشكال في متنه فهو كحديث «**الوائدة والموءودة في النار**» وقد أجبنا علي إشكال متنه في حالة صحته في كتابي «جامع أحكام الميت »الجزء الأول .

(١)حسن أخرجه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام »(١/ ٥٧٥، ٥٧٦) والبيهقي في«دلائل النبوة» (٣/ ٩٥).

(٢) وهو الذي ثَقُلَ عليه بعدُ أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم في صلح الحديبة- كما سيأتي- فقال : اكتب بسمك اللهم، كما ثَقُلَ عليه أيضاً ان يكتب هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله سهيل بن

ورد من مرسل عطاء قال :

كَانَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو رَجُلًا أَعْلَمَ مِنْ شَفَتِهِ السُّفْلَى، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَنْزِعْ ثَنِيَّتَيْ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَيَدْلَعُ[1] لِسَانَهُ، فَلَا يَقُومُ عَلَيْكَ خَطِيبًا فِي مَوْطِنٍ أَبَدًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا أُمَثِّلُ بِهِ فَيُمَثِّلُ اللهُ بِي وَإِنْ كُنْتُ نَبِيًّا**».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعُمَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِنَّهُ عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا لَا تَذُمُّهُ. وله طرق يثبت بها إن شاء الله. [2]

=

عمرو، وقال اكتب هذا ماقاضي عليه محمد، حتى محاها رسول الله ﷺ ،وكان ﷺ حكيماً حكمة خفيت على الخوارج يوم إنكارهم على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثلها،لحداثة أسنانهم وسفه عقولهم الذي بيَّنتُه في كتابي «مناصحة الخوارج ومن تأثَّر بهم».

(١) يدلع: يخرج.

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في «سيرة لابن هشام »(١/ ٥٥٧) وابن أبي شيبة (٧/ ٣٦٥) بسند حسن مرسل، وله شاهد منقطع عن الحسن بن محمد بن الحنفية قال: قال عمر للنبي ﷺ يارسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو فلا يقوم خطيباً في قومه أبداً...الأثر.

أخرجه الحاكم (٣/ ٣١٨) البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٦٧).

قال الحافظ في «الإصابة»(٣/ ١٧٨) :«روي أوله يونس بن بكير في مغازي ابن إسحاق عنه عن محمد ابن عمرو بن عطاءوهو في «المحامليات »موصول من طريق سعيد ابن أبي هند عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها ».قلت:«محمد» وما برز من الإسناد صحيح.والله أعلم

وفي رواية الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ - رضي الله عنه - لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ! دَعْنِي أَنْزِعُ ثَنِيَّةَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو فَلَا يَقُومُ خَطِيبًا فِي قَوْمِهِ أَبَدًا فَقَالَ:«**دَعْهَا، فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسُرَّكَ يَوْمًا**» .

قَالَ سُفْيَانُ فَلَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ نَفَرَ مِنْهُ أَهْلُ مَكَّةَ فَقَامَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَقَالَ: مَنْ كَانَ مُحَمَّدٌ إِلَهُهُ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَاللهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. (١)

ضعف قصة العفو عن أبي عزة الشاعر المشهور

اشتهرعلي السنة القُصَّاص قصة الشاعر أبي عزة الذي كان يتشبب بنساء المسلمين.

أَمَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ أَبَا عَزَّةَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْجُمَحِيَّ، وَكَانَ شَاعِرًا، وَكَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ لِي خَمْسَ بَنَاتٍ لَيْسَ لَهُنَّ شَيْءٌ فَتَصَدَّقْ بِي عَلَيْهِنَّ، فَفَعَلَ، وَقَالَ أَبُو عَزَّةَ: أُعْطِيكَ مَوْثِقًا أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ وَلَا أُكْثِرَ عَلَيْكَ أَبَدًا، فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أُحُدٍ جَاءَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، فَقَالَ: اخْرُجْ مَعَنَا، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُ مُحَمَّدًا مَوْثِقًا أَنْ لَا أُقَاتِلَهُ، فَضَمِنَ صَفْوَانُ أَنْ يَجْعَلَ بَنَاتِهِ مَعَ بَنَاتِهِ إِنْ قُتِلَ، وَإِنْ عَاشَ أَعْطَاهُ مَالًا كَثِيرًا، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى خَرَجَ مَعَ قُرَيْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأُسِرَ وَلَمْ يُؤْسَرْ غَيْرُهُ مِنْ

---

(١) أخرج هذا البيهقي في «الدلائل »(٦/ ٣٦٧) بسنده ثم قال : قُلْتُ: ثُمَّ لَحِقَ سُهَيْلٌ فِي أَيَّامِ عُمَرَ - رضي الله عنه - بِالشَّامِ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى مَاتَ بِهَا فِي طاعون عمواس.والسند لا يثبت والله أعلم .

قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّمَا أُخْرِجْتُ كَرْهًا وَلِي بَنَاتٌ فَامْنُنْ عَلَيَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ مَا أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ؟ لَا، وَاللهِ لَا تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ بِمَكَّةَ تَقُولُ: سَخِرْتُ بِمُحَمَّدٍ مَرَّتَيْنِ**». قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ و: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، يَا عَاصِمُ بْنَ ثَابِتٍ قَدِّمْهُ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ**».

فَقَدَّمَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ.(١)

لكن لم أجد لهذا سنداً ثابتًا وإنما هي مراسيل وروايات للمتروكين تكثر على ألسنة القُصَّاص ـ وما أكثرهم في هذه الأمة ـ والله المستعان.

وقد صنَّفَ من صنَّف في أسباب ورود الحديث أنها كانت سبب ورود قوله ﷺ «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**..»كما فعل الامام ابن حمزة الحسيني في «البيان والتعريف »(٢) ـ عفا الله عنه ــ وهو غير ثابت.

وأما أصل الحديث وهو قول النبي ﷺ: «**لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**» فهو صحيح ثابت.(٣)

وأما كون قصة أبي عزة هي سبب وروده فلا يصح .

ووددنا لو أن أبا إسحاق الحويني- الذي اشتُهر أنه يعمل في تخريج

---

(١) أخرجها البيهقي في «الكبرىٰ »(٩/ ١١١).

(٢) برقم (١٧١٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٦١٣٣) ومسلم (٢٩٩٨) .

الأحاديث - يُعلن التوبة من التحديث بها إلا مُبَيِّنًا لضعفها هذا ـ علي ما هو معروف في علم الحديث- فهذا أحسن له - وفَّقه الله.

۞ قصة عمير بن وهب الجُمَحي المشهورة وإخبار النبي ﷺ بما كان بينه وبين صفوان بن أمية في الحِجر.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:(١) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: فَذَكَرَ أَصْحَابَ الْقَلِيبِ وَمُصَابَهُمْ، فَقَالَ صَفْوَانُ: وَاللهِ ما فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ خَيْرٌ، قَالَ لَهُ عُمَيْرٌ: صَدَقْتَ وَاللهِ، أَمَا وَاللهِ لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ لَيْسَ لَهُ عِنْدِي قَضَاءٌ وَعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهِمْ الضَّيْعَةَ بَعْدِي، لَرَكِبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَإِنَّ لِي قِبَلَهُمْ عِلَّةً: ابْنِي أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ، قَالَ: فَاغْتَنَمَهَا صَفْوَانُ وَقَالَ: عَلَيَّ دَيْنُكَ، أَنَا أَقْضِيهِ عَنْكَ، وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أُوَاسِيهِمْ مَا بَقُوا، لَا يَسَعُنِي شَيْءٌ وَيَعْجِزُ عَنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ عُمَيْرٌ: فَاكْتُمْ شَأْنِي وَشَأْنَكَ، قَالَ: سأَفْعَلُ.قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ عُمَيْرٌ بِسَيْفِهِ، فَشُحِذَ لَهُ وَسُمَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَبَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي نَفَرٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ

---

(١) كما «في السيرة»لابن هشام (١/ ٥٦٧) وأخرجه الطبراني في «الكبير»(١٧/ ٥٨ فما بعدها) من نفس الوجه، وعند الطبراني في«الكبير»(١٧/ ٦٠) برقم (١١٩) فما بعدها من نفس الوجه والطبري في «تهذيب الآثار»(٣/ ٧٢) مسند علىٰ رقم (١٣٦) من مرسل الزهري وعنده (١٧) رقم (١٢٠) بسندٍ موصول عن جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ..به، وإسناده يُحسَّن حديثه، رجاله مُعَدَّلون،وجعفر بن سليمان الضبعي من رجال مسلم فأرجو أن يكون الخبرحسن بمجموع الطرق والله أعلم، إلا أن في رواية الطبراني أن ذلك كان بعد غزوة أحد لا غزوة بدر .

يَتَحَدَّثُونَ عَنْ يَوْمِ بَدْرٍ، وَيَذْكُرُونَ مَا أَكْرَمَهُمْ اللهُ بِهِ، وَمَا أَرَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، إِذْ نَظَرَ عُمَرُ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ حِينَ أَنَاخَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فَقَالَ: هَذَا الْكَلْبُ عَدُوُّ اللهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ، وَاَللهِ مَا جَاءَ إِلَّا لِشَرٍّ، وَهُوَ الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنَا، وَحَزَرْنَا لِلْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ.

ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هَذَا عَدُوُّ اللهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ، قَالَ: فَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ فَلَبَّبَهُ بِهَا، وَقَالَ لِرِجَالٍ مِمَّنْ كَانُوا مَعَهُ مِنْ الْأَنْصَارِ: اُدْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسَلَّمَ فَاجْلِسُوا عِنْدَهُ، وَاحْذَرُوا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْخَبِيثِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ، ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعُمَرُ آخِذٌ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فَقَالَ: «**أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ، ادْنُ يَا عُمَيْرُ**»، فَدَنَا فَقَالَ: أَنْعِمُوا صَبَاحًا - وَكَانَتْ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**قَدْ أَكْرَمَنَا اللهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْرُ، السَّلَامُ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتَ لَحَدِيثَ الْعَهْدِ بِهَا، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ قَالَ: جِئْتُ لِهَذَا الْأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ قَالَ: «**فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ؟**» قَالَ: قَبَّحَهَا اللهُ مِنْ سُيُوفٍ فَهَلْ أَغْنَتْ شَيْئًا، قَالَ: «**اصْدُقْنِي مَا الَّذِي جِئْتَ لَهُ؟**» قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا لِهَذَا، قَالَ: «**بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ فَتَذَاكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ فَقُلْتَ: لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ وَعِيَالِي لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا، فَتَحَمَّلَ صَفْوَانُ لَكَ بِدَيْنِكَ وَعِيَالِكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي، وَاللهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ**»قَالَ عُمَيْرٌ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللهِ، نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ

تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا أَنْبَأَكَ بِهِ إِلَّا اللهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ وَسَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ، ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَقِّهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ وَأَقْرِئُوهُ الْقُرْآنَ وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ**» ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ جَاهِدًا عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ اللهِ شَدِيدَ الْأَذَى عَلَى مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ اللهِ، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأَقْدَمَ مَكَّةَ فَأَدْعُوَهُمْ إِلَى اللهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ لَعَلَّ اللهَ يَهْدِيهِمْ، وَإِلَّا آذَيْتُهُمْ كَمَا كُنْتُ أُؤْذِي أَصْحَابَكَ فِي دِينِهِمْ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَحِقَ بِمَكَّةَ، وَكَانَ صَفْوَانُ حِينَ خَرَجَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ قَالَ لِقُرَيْشٍ: أَبْشِرُوا بِوَاقِعَةٍ تَأْتِيكُمُ الْآنَ تُنْسِيكُمْ وَقْعَةَ بَدْرٍ».

وَكَانَ صَفْوَانُ يَسْأَلُ عَنْهُ الرُّكْبَانَ حَتَّى قَدِمَ رَاكِبٌ فَأَخْبَرَهُ عَنْ إِسْلَامِهِ، فَحَلَفَ أَنْ لَا يُكَلِّمَهُ أَبَدًا وَلَا يَنْفَعَهُ بِنَفْعٍ أَبَدًا». فَلَمَّا قَدِمَ عُمَيْرٌ مَكَّةَ أَقَامَ بِهَا يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ وَيُؤْذِي مَنْ يُخَالِفُهُ أَذًى شَدِيدًا، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ [١].

مقدار الفداء للأسري لكل كافر يوم بدر

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة [٢]

---

(١) وهذا الطرف الأخير من كلام ابن إسحاق مرسل كما في «سيرة ابن هشام».

(٢) أخرجه النسائي في «الكبري» (٨٦٠٧) بإسناد حسن وله طريق آخر أخرجه عبد الرزاق (٩٣٩٤) فيه ضعف وفيه زيادة تقدمت أن علي بن أبي طالب هو الذي قتل عقبة بن أبي معيط صبراً فقال: يامحمد من للصبية ؟، قال: «النار» .

وقد ذكر بعض العلماء[١]أن فِدَاءَهُمْ كَانَ مُتَفَاوِتًا فَأَقَلُّ مَا أُخِذَ أَرْبَعُمِائَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُخِذَ منه أربعون أوقية من ذهب.

قال مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ وَأُخِذَ مِنَ الْعَبَّاسِ مِائَةُ أُوقِيَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِنْهُمْ مَنِ اسْتُؤْجِرَ عَلَى عَمَلٍ بِمِقْدَارِ فِدَائِهِ.

فقد أخرج أحمد [٢] بإسناد حسن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ» قَالَ: فَجَاءَ غُلَامٌ يَوْمًا يَبْكِي إِلَى أَبِيهِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: ضَرَبَنِي مُعَلِّمِي قَالَ: الْخَبِيثُ، يَطْلُبُ بِذَحْلِ بَدْرٍ وَاللهِ لَا تَأْتِيهِ أَبَدًا».

ومعني الذحل: أي الثأر أو العداوة والحقد، جَمعها: أذحال وذحول.

رد النبي ﷺ الأسير أبا العاص بن الربيع زوج ابنته زينب رضي الله عنها [٣].

---

(١) كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية »(٣/ ٣٠٥١) .

(٢) في « المسند»(٢٢١٦) والبيهقي في «الكبري » (٦/ ٢٠٦ / ٥٢٣).

(٣) وذُكر في ترجمة أبي العاص أنه كان من رجال مكة المعدودين مالاً وإمانةً وتجارةً، وكانت أمة هالة بنت خويلد أخت خديجة، وأن خديجة هي التي أشارت علي رسول الله ﷺ أن يزوِّجه زينب، وقريش كانت قد طلبت منه أن يُطَلِّق زينب فأبي، فالله أعلم بما كان، فلم أقف لذلك علي أسانيد ثابتة.ولكن في صحيح البخاري(٣١١٠) ومسلم (٢٤٤٩) أن رسول الله ﷺ ذَكَرَ صِهْرًا لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ، قَالَ: «**حَدَّثَنِي، فَصَدَقَنِي وَوَعَدَنِي فَوَفَى لِي**..»، فلعلَّه لأجل أنه ردَّ زينب رضي الله عنها إلى المدينة، كما وعد النبي عليه الصلاة والسلام بذلك، وهو الذي جزم

أخرج ابن إسحاق [١] بإسناد حسن عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أُسَرَائِهِمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ خَدِيجَةُ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً وَقَالَ: « إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا مَالَهَا، فَافْعَلُوا »، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. فَأَطْلَقُوهُ، وَرَدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا.

فأبو العاص ممن تركه النبي ﷺ بغير فداء، ولعله لإحسانه المعروف الذي سيظهر في وفائه له ﷺ بما وعد ،وهو ﷺ ينزل الناس منازلهم وهو أكرم ﷺ وأحسنهم قضاءً، وقد يكون المن عليه من باب تأليف قلبه على الإسلام.

تنبيه : وردت رواية عن رسول الله ﷺ بلفظ:

=

به الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»(٣/ ٣٣٥) والله أعلم، فيكون النبي ﷺ عامله بإحسان مقابل إحسانه، وسيأتي مزيد لذلك أن الإسلام فرق بين زينب ابنة رسول الله ﷺ وبين أبي العاص ، كذا ورد،ولعلَّ ذلك كان بعد، فإن تحريم المسلمات على المشركين إنما كان عام الحديبة في السنة السادسةمن الهجرة بقوله تعالي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الممتحنة.

(١) كما في«السيرة »لابن هشام (١/ ٥٦٠) وأخرجه أيضاً أبو داود (٢٦٩٢) وغيره .

«إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَدْخُلَ النَّار مَنْ شَهِدَ بَدْرًا إِنْ شَاءَ اللهُ»- كذا بغير جزم -

وقول ابن كثير:[١]

إنه علي شرط الصحيح فليس بصحيح السند فيما وقفت عليه، فإنه أخرجه البزار [٢] وفي إسناده شيخ البزار محمد بن مرزوق فيه مقال.

ومعناه مُنكَر مُصَادم للأحاديث المتقدمة، وهو تعليق المشيئة في أنهم لا يدخلون النار، وروايات الصحيح المتقدمة فيها الجزم بدخولهم الجنة والغفران والله أعلم.

بل في صحيح البخاري [٣] عن رِفَاعَة بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلاَئِكَةِ».

❁ ولذلك لما كان عمر رضي الله عنه يُعطي كان يفضِّلُهم.

فأخرج البخاري [٤] عَنْ قَيْسٍ، كَانَ عَطَاءُ البَدْرِيِّينَ خَمْسَةَ آلاَفٍ، خَمْسَةَ آلاَفٍ وَقَالَ عُمَر رضي الله عنه: «لَأُفَضِّلَنَّهُمْ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ».

---

(١) في «البداية والنهاية» (٣/ ٣٥٣).

(٢) في «البحر الزخار» (٨٦١٩) وقال «هذا الحديث لا نعلمه يروي عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد»، وقال ابن كثير: «تفرد البزار بهذا الحديث ولم يخرجوه».

(٣) برقم ٣٩٩٢.

(٤) برقم (٤٠٢٢).

وكان هذا من المُسَلَّمات أنهم أئمة يقتدي بهم .

وعائشة تستغرب من أم مسطح لسبِّها لولدها لكلامه فيها في حادثة الإفك – ولم تكن تعرف بوقوعه في عرضها ،قَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ: «بِئْسَ مَا قُلْتِ، تَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا». (١)

ولك أن تتخيَّل إذا كان ثواب حارثة بن سراقة الذي كان في النظَّارة «الفردوس الأعلي في الجنان » أصابه سهم غَرِب فقتله .

فما بالك بمن جَعَلَ نَحَرَه في وجاهة العدو في هذه الغزوة؟!

وقد قالها رسول الله ﷺ لهم كما تقدم «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**» فنسأل الله تعالي أن لا يحرمنا أجرهم، ولا تفتنَّا بعدهم .

نهي النبي ﷺ عن ندب من مات من المسلمين يوم بدر

أخرج البخاري (٢)عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ، يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ، حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَقُولِي هَكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ**».

انظر! لم يتعطَّل التعليم والتوجيه، وبيان الأحكام في مثل هذه الأحوال، فليتعلَّم المتعلِّمون.

---

(١) وهذا في صحيح البخاري (٤٠٢٥) .

(٢) برقم (٤٠٠١).

من نتائج غزوة بدر:

دخول الكفار والمنافقين وعبدة الأوثان في الإسلام.

أخرج البخاري[1] عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، قَالَ: حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَإِذَا فِي المَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَاليَهُودِ، وَفِي المَجْلِسِ عَبْدُ اللهِ ابْنُ رَوَاحَةَ فَلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خَمَّرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ:

لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَيُّهَا المَرْءُ إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَاليَهُودُ، حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

«يَا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟ - يُرِيدُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ - قَالَ: كَذَا وَكَذَا»، قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ عَنْهُ، فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ لَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، لَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ البُحَيْرَةِ عَلَى

(١) برقم (٤٥٦٦).

أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ بِالعِصَابَةِ، فَلَمَّا أَبَى اللهُ ذَلِكَ بِالحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ، فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ المُشْرِكِينَ، وَأَهْلِ الكِتَابِ، كَمَا أَمَرَهُمُ اللهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا} الآيَةَ، وَقَالَ اللهُ: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ}[البقرة: ١٠٩] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَوَّلُ العَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ، حَتَّى أَذِنَ اللهُ فِيهِمْ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَدْرًا، فَقَتَلَ اللهُ بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُشْرِكِينَ وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ، فَبَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ عَلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمُوا .

دروس وفوائد مستفادة من غزوة بدر

من ذلك: أن عاقبة الظلم والظالم وخيمة وعاقبة المظلوم حميدة .

فها هم الكفارالذين أخرجوا المسلمين ونبيهم ﷺ من أحب البلاد إليهم ،وآذَوهم أشد الإيذاء فوضعوا ﷺ سلا الجَزور علي ظهر نبيهم وهو يصلي وقالوا عنه وعما جاء به:

شاعر ـ كاهن ـ كذاب ـ أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملي عليه – سحر مبين– افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، وعذَّبوا من آمن معه، حتي مات بعضهم، وضَيَّقوا عليهم السُبُل، وحاربُوهم في أرزاقهم فحصروهم في شِعب أبي طالب، فلم ينجُ منهم عمه أبو طالب الذي كان على ملَّتهم، فحَصَروه معهم في

الشِعب لكونه كان يَحُوط النبي ﷺ ابن أخيه ويمنعهم عنه مع أنه لم يكن على ملته، وتسببوا في موته على الكفر، فلم ينجُ منهم حتى على فراش الموت، صَدُّوا عن سبيل الله بكل ما يقدرون عليه، وفي نهاية مكثه معهم حاولوا قتلَه ﷺ هو وصاحبه فجعلو لمن يأتي به حيًّا أو ميتًا الدِّيَة- وقد خرج من بين أظهرهم -!.

وكذا مع كل من آمن به حتى ألجئوهم للهجرة ، بعضهم إلى أرض الحبشة أرض هم فيها بُعَدَاء غُرَبَاء، ولم يَسلَموا أيضًا هناك فأرسلوا في إثرهم الهدايا للنجاشي ليَرُدَّهم إليهم دون أن يسمع منهم، وشَوَّهوا صورتهم عنده، وأرشوا بطارقته ليكونوا معهم على هؤلاء المساكين المظلومين ﷺ، والبعض الآخر هاجر إلى المدينة أرض الوباء والحُمي والوعك ....ثم باعو بيوتَهم ورِبَاعَهُم فما تركوها لهم وهي حقوقهم [1] مع أن ذلك مخالف لحلف الفضول الذي كانوا يفتخرون به!.

وآخر المطاف خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويَصُدُّون عن

---

(١) ففي صحيح البخاري (٤٢٨٢) عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيْنَ تَنْزِلُ غَدًا – كذا فِي حَجَّتِهِ- قَالَ: «**وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَنْزِلًا؟**»، ثُمَّ قَالَ: «**نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ الْمُحَصَّبِ، حَيْثُ قَاسَمَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الكُفْرِ**»، وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي كِنَانَةَ حَالَفَتْ قُرَيْشًا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ، أَنْ لاَ يُبَايِعُوهُمْ، وَلاَ يُؤْوُوهُمْ» والخيف : الوادي،وفي رواية مسلم (١٣٥١) عنه أنه قال يَا رَسُولَ الله، أَتَنْزِلُ فِي دَارِكَ بِمَكَّةَ؟ فَقَالَ «**وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ، أَوْ دُورٍ**»، «وَكَانَ عَقِيلٌ وَرِثَ أَبَا طَالِبٍ هُوَ وَطَالِبٌ، وَلَمْ يَرِثْهُ جَعْفَرٌ، وَلَا عَلِيٌّ شَيْئًا لِأَنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ، وَكَانَ عَقِيلٌ وَطَالِبٌ كَافِرَيْنِ»، والرباع: جمع ربع – كسهم وسهام والربع محلة القوم ومنزلهم.

سبيل الله ، يستفتحون الله أن ينصرهم وأن يُحني رسول الله ﷺ والمسلمين لهم الغداة..!

وافتروا عليه فرية أنه أقطع للرحم وصدَّقوا أنفسهم وقالوا : أقطعنا للرحم..! كل هذا لكونهم اختاروا دينهم، واتبعوا نبيهم ..ومن البديهي أن يُخيَّر المرء في ذلك، ويتحمَّل نتائجه، فإذا رضوا بالكفر وعدم اتباعه ﷺ، فبأي وجه حق خوِّلوا لأنفسكم إيذاءه وإيذاء من اتبعوه ؟ نعوذُ بالله من سوء الخاتمة وسوء المنقلب .

فعاقبهم الله تعالي جزاءً وفاقًا، فصاروا سُبَّةً للدهر إلي يوم القيامة ذُلٌ، وإهانةٌ، ومهانةٌ،..مثلُ سوءٍ والعياذ بالله- قبَّحهم الله – وبئس القوم كانوا، وأما من تحمَّلُوا المشَقَّة والعناء فقد أنعم الله عليهم بالنصر مع قلة عددهم وعدتهم وجمع بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.فالله حكم عدل سبحانه.(١)

ومن ذلك : تيسيرالله تعالي لأوليائه ،وجعل اليُسر بعد العسر.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ الشرح. فنُقلت حُمَّى المدينة إلي الجحفة وفَضَّلَ الله أهل بدر في الدنيا وعند الله، كانوا كذلك كما ذكر ذلك جبريل ﷺ للنبي، وصاروا يؤتسي بهم في الخير وضَرَبُوا أروع الأمثلة في الولاء والتضحية والفداء والعطاء يُتغَنَّى بذكرهم ما دامت الدنيا، فجزاهم الله خير ما جزي أصحاباً مع نبيهم ﷺ، وقبَّح الله من عاداهم .

---

(١) وقد أخرج الفسوي في «المعرفة »(٢/ ٣٢١)والبيهقي في «الأسماء والصفات»(١٣٥)بإسنادٍ صحيح أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يقول كلما جلس للذكر: «الله عز وجل حكم عدل».

فقد أظهر الله تعالي المواقف المُشَرِّفة لهم مع نبيهم حينما شاورهم في الجهاد فقال بعضهم - وَهُوَ يَدْعُو عَلَى المُشْرِكِينَ -لاَ نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ فأَشْرَقَ وَجْهُهُ ﷺ وَسَرَّهُ ذلك، امض ونحن معك، وحتى من لم يتفَوَّه منهم بمثل هذا اللفظ كابن مسعود، فإنه غبط من تلَفَّظ فقال رضي الله عنه: شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، فصاروا مثالاً يُحتزي في ذلك إلي أن تقوم الساعة رضي الله عنهم أجمعين .

ومن ذلك أن الله اتخذ منهم شهداء:

وتقدم ذكر العلماء في تعليقِهم علي دخول حارثة بن سراقة الفردوس الأعلي مع أنه كان مع النظَّارة وجاءه سهم غَرِب فَقَتَلَه، فكيف بمن جعل نحره وجاه العدو؟ وانظر قوله ﷺ بعد فعل حاطب بن أبي بلتعه رضي الله عنه في يوم فتح مكة :

« **لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ** ».[1]

ومن ذلك :

ما رواه جابر رضي الله عنه **أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا** فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ**»[1].

---

(١) أخرجها البخاري(٣٩٨٣) ومسلم (٢٤٩٤).

وفي مسند أحمد بإسناد حسن عن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ**». (٢)

وفضائلهم كثيرة رضي الله عنهم.

كل هذه فوائد عادت على المسلمين بعد إلى يوم الناس هذا.

ومن ذلك:

التضرُّع والدَّعاء والصَّلاة عند المُلِمَّات، فها هو رسول الله ﷺ وموعود بالنصر، وعَلِمَ أن هذا مَصَرَع فلان وهذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان، إلا أن هذا لم يمنعه من مناشدته ربه سبحانه طوال الليل يتضرَّع حتي سقط رداؤه ﷺ مع أن الله مُنجز له ما وعَدَه، حسن العبادة صار سجيَّة.

ومن ذلك: عِظَم الوفاء بالعهد الذي كان عليه ﷺ.

أمر رسول الله ﷺ حذيفة وأبا حسيل رضي الله عنهما بالوفاء بالوعد، إذ قد وعدا الكفار أن لا يقاتلا مع رسول الله ﷺ، مع أنه ﷺ كان في حاجة لجهادهما معه حيث كانوا قلَّة مستضعفين فقال رسول الله ﷺ لهما: «**انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ**».

ومن ذلك: عدم الاستعانة بالمشركين مع الحاجة إلي محاربتهم معه، فكيف

=

(١) صحيح أخرجه مسلم (٢٤٩٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٢٦٦٢) وغيره.

إذا لم يكن حاجة ؟.

فهذا رجل كان يُذكَر منه جَرأةٌ ونجدةٌ حتي فرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوا أنه سيكون معهم في حربهم، وهو الذي طلب أن يُقَاتِل مع رسول الله ﷺ ما ترجَّاه أحد منهم .. ومع ذلك قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**».

والرجل يُلِحّ مَرَّات، ورسولُ الله ﷺ يُكرِّر ما قال، وما أخذه إلا لمَّا أسلم .

وأما كونه ﷺ استعان ببعض الكفار أثناء الهجرة، بهذا الهادي الخرِّيت، فهذا لم يكن جهاداً، ولا كان ﷺ في حالة مواجهة عدو، وكان الخرِّيت هذا فرداً لا جيشـاً.

وأما كونه ﷺ كان قد تعاقد مع اليهود لحماية المدينة من المشركين من الجهة الأخرى يوم الأحزاب فلا صراحة فيه ، لأن المدينة كانت بلادهم هم قبل هجرته ﷺ ، فكأنه مجرَّد استفادة المسلمين مِن وجود اليهود معهم في المدينة، لم يحصل استدعاء كفار لخوض حروب بينه وبين الكفار – فضلاً عن استخدامهم في خوض حرب ضدَّ بغاة من المسلمين - بدعوى أن هؤلاءالجنود الكفار من دولة صديقة !

فأي صراحة في هذا على جواز الإستعانة بالكفار في الجهاد ؟!

وكذلك إستعانة النبي ﷺ بأدرعة من صفوان بن أمية- وكان آن ذاك كافراً - في قتاله للكفار يوم حنين، فهذه استعانة بأسلحته في جهاده .

كما لا دلالة في دخول بعض المسلمين في جِوار كافر، كأبي بكر الصديق، لما دخل في جوار ابن الدغنة.

كما لا دلالة في قبول النبي ﷺ ذاك المددي الذي خاصم خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى النبي ﷺ في سلب القاتل[1]، فقد كان فرداً والغلبة للمسلمين، ومعلوم أنه كان يريد السلب فقط لا مصلحة له إلا ذلك، فهل كان جيشاً استعان به ﷺ ؟!

وكيف يقال إن قوله ﷺ: «لا أستعين بمشرك» منسوخ، ومعلوم اشتراط التاريخ للحكم بالنسخ ! أين دليل النسخ ؟

إن في الإستعانة بجيوش الكافرين مفسدة لا تُحتمل عُقباها..بل لعل أن يكون في ذلك تسليم بلاد المسلمين لهم، ونهب ثرواتهم، واحتلال بلادهم وإفساد عقائدهم ...إلخ.

فأي دليل هو على جواز الإستعانة بالجيوش الكافرة لحماية المسلمين من الكفار والبُغاة ؟سبحان الله!

كيف يتخيل مسلم أن اليهود والنصارى- وهم ألدّ أعدائه- أصدقاء ويمكن أن يحموه، ويسعون في مصالحه، ويحافظون عليه مما يخاف؟

فأين قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ....تُسِرُّونَ

(١) وحديثه في صحيح مسلم (١٧٥٣) وسيأتي.

إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ الممتحنة؟

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ المائدة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ ﴿١١٩﴾ ﴾ آل عمران.

لقد كفروا بما جاءنا من الحق فكيف ينصرون حقـًا هو معنا ؟

إن مجرَّد تصور المسلم أن الكفار ينصرونه أو ينصفونه من عدوه، ينزِّه عنه العامي المسلم فضلاً عن الحاكم المسلم فضلاً عن العالم..هذا فضلاً عن الانكار على أهل العلم المانعين من الاستعانة بالمشركين مع قوله ﷺ: «**لن أستعين بمشرك**».

كيف يرضى المسلم فضلاً عن الحاكم أن تكون بلاده مرتعـًا للصليب يُعبد من دون الله فيها، أو نشراً لرزائل الكفر، وحُثالة الإنسانية بحجة مناصرتهم للمسلمين؟ الله المستعان .

ومن تلك الدروس والفوائد :

بيان عاقبة الكبر والبطر والصدّ عن سبيل الله .

فقد جازي الله كفارَ قريشٍ بما فعلوا، قال الله تعالي عنهم وهو يذكر مثالهم

السيء، وينهي المسلمين عن ذلك فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنفال.

خرجوا مع أن العير قد أفلتت، ولم يعُد هناك حاجة لقتال، وهم كانوا قد خرجوا ليُدركوا العير فما من حاجة للقتال حينئذٍ، وهو قتال لأقاربهم وأهل عشائرهم الذين قد أخرجوهم قبل من بيوتهم ظلمًا وعدوانًا، وآذوهم وأذوا من تعاطَف معهم .....

ومن ذلك: الأخذ بالأسباب .

فقد أخذ النبي ﷺ بالأسباب فورد ماء بدر، واستعان بالله ودعي وتضرَّع وأرسل عينًا بسيسة علي المشركين، واستشار أصحابه، وجمع المعلومات، وحرَّضَ المسلمين علي القتال ووجَّههم إلي أرض المعركة وعبأ الجيش، وشحَذَ هممهم .

ومن ذلك: مشروعية التجَسُّس علي الأعداء.

أخذ من تجسس حمزة رضي الله عنه على المشركين فعَلِمَ قول عتبة بن ربيعة وَهُوَ يَنْهَى عَنِ الْقِتَالِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: يَا قَوْمُ، إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِمْ وَفِيكُمْ خَيْرٌ، يَا قَوْمُ اعْصِبُوهَا الْيَوْمَ بِرَأْسِي، وَقُولُوا: جَبُنَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبَنِكُمْ .

ومن ذلك: عظم موقع الاستشارة وإن كان القائد عظيمًا.

فقد استشار النبي ﷺ في الموطنين قبل الخروج وفي القتال، وهو منهج

مُقَرَّر.

بعد اسْتَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ فِي الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ.

ومن ذلك: ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من المشاركة لإخوانه في أحزانهم وأفراحهم.

فإن رسول الله ﷺ لما رأى رأيَ أبي بكر في الأساري الذي هو قبول الفداء ولم يهو قول عمر، ثم أتي عمر رضي الله عنه من الغد فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان، فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا...

فمعايشة الإنسان لإخوانه هو مما ينبغي أن يكون عليه المسلم .

ومن ذلك: ما كان عليه الشيطان الرجيم

فطبيعته كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الحشر.

قال تعالى عنه ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ إبراهيم.

فالشيطان كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ

لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ الأنفال .

ومن ذلك : أن النصر ليس بعُدة ولا عَتَاد.

وإن كان الإنسان مأموراً أن يأخذ بأسباب النصر {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ...} الأية .الأنفال{٦٠} .

لكن كانوا قلَّة وأذلَّة وضُعَفَاء، أقل في العُدَّة والعتاد، والأخرون أكثر عُدَّة وعتاداً، وهم بالعُدوة الدُّنيا والكفار بالعُدوة القُصوَي والركبُ أسفل من الصحابة..

ومن ذلك: بيان طبيعة النفاق .

كلما وُجِدَت الدولة قوية والإسلام عزيزاً وأهله كثرة خنسوا ونافقو أهل الإيمان، وإلا فإعلان الكفر، وقد رأيت فعل ابن سلول لما انتصر المسلمون في غزوة بدر.

ومن ذلك: تواضعه ﷺ ومشاركته للصحابة في أمورهم كلها حتى قتالهم .

فكان أشدهم في القتال، وفي الطريق كان يتعاقب مع بعض الصحابة ﷺ علي ناقة واحدة ورفض أن يمشيان ويركب .

قال ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: كَانُوا يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَكَانَ زَمِيلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو لُبَابَةَ فَكَانَ إِذَا كَانَ عُقْبَتُهُ قَالَا: ارْكَبْ حَتَّى نَمْشِيَ فَيَقُولَ: «**مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا**».

ومن ذلك: النهي عن رفقة فيها أجراس.

وقد أَمَرَ ﷺ بِالْأَجْرَاسِ أَنْ تُقْطَعَ مِنْ أَعْنَاقِ الْإِبِلِ يَوْمَ بَدْرٍ.

فكيف بالموسيقي وكيف بالغناء الماجن الذي يبعث علي الفواحش...في هذه الأيام، بل كيف بمن يُشَجِعون الجنود في العروض العسكرية، ويرفعون حماستهم بتلك الموسيقى، مع الغناء الماجن المائع، والله المستعان.

ومن ذلك: منةُ الله تعالي في تجويز أخذ الأُساري والغنائم خاصة لهذه الأمة واستحباب مُوَارَاة قتلي المشركين .

كما حصل فقد أُلقوا في قليب خبيث من قُلُبِ بدر، وجواز سبِّ المشركين وشتمهم أحياءً وأمواتـًا وقد سمَّاهم رسول الله ﷺ: «**النَّتْنَى**».

وفي ذلك مكافئة أصحاب الأيدي ولو كانوا كفاراً فإن رسول الله ﷺ قال «**لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**».

إلي غير ذلك من الفوائد التي تحتمل مؤلَّفـًا مستقلاً، ولهذه الفوائد أدلة أخري تقرِّرُها متعددة، وما قصدنا استقصاء الفوائد المستنبطة والله الموفق .

قدوم زينب بنت رسول الله ﷺ مهاجرة من مكة إلي المدينة بعد وقعة بدر بشهر ومآل زوجها أبي العاص بن الربيع

تقدم أن رسول الله ﷺ بعد غزوة بدر أطلق سراح أبي العاص بن الربيع وخلَّى سبيله علي شرط أن يرجع له زينب ابنته[١] فوعد ووفي وصدق مع رسول الله ﷺ، وردت الروايات أن هبَّار بن الأسود وآخر معه رَوَّعَا زينب بنت رسول الله ﷺ فأسقطت حملها ومرضت من ذلك.

ولعلَّه لذلك أثني عليه رسول الله ﷺ في مصاهرته وقال:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ، فَحَدَّثَنِي، فَصَدَقَنِي»[٢]

وفي رواية: فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ فَأَحْسَنَ، قَالَ «**حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَأَوْفَى لِي**» وهي عند مسلم أيضاً .

سياق الروايات في إسلام أبي العاص بن الربيع ورجوعه إلي زينب بنت رسول الله ﷺ .

---

(١) وقد ورد في هذا الباب أن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه يكونا ببطن يأجج حتي تقربها زينب فيصحبانها إلي رسول الله ﷺ، ولا يصح، وكذلك أن هند بنت عتبة عزمت عليها المتاع فخافتها وورَّت عن أنها تريد الهجرة إلي رسول الله ﷺ ولا يصح أيضاً، وأن رسول الله ﷺ قال عنها «**هي أفضل بناتي أصيب عنها**»، وأن هبَّار بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزي رَوَّع زينب وهي في الهودج وكانت حاملاً فطرحت، وأن أبا سفيان أمر بإرجاعها ولا يخرج بها إلا في الليل حتي لا يظهر أنهم أذلَّة...الخ.

وكل هذا لا يصح به سند وإن وُجدَّ في الكتب، إذ ما في الكتب يحتاج إلى تحرير صحة سنده، والله الموفق .

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٤٩) .

قد ذكر ابْنُ إِسْحَاقَ أن أَبُا الْعَاصِ أقام بِمَكَّةَ، وَأَقَامَتْ زَيْنَبُ عِنْدَ رسول الله ﷺ بالمدينة. حِينَ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الإِسلام.

حَتَّى إِذَا كَانَ قُبَيل الْفَتْحِ، خَرَجَ أَبُو الْعَاصِ تَاجِرًا إِلَى الشَّام، وَكَانَ رَجُلًا مَأْمُونًا، بِمَالٍ لَهُ وَأَمْوَالٍ لِرِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، أَبْضَعُوهَا مَعَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ تِجَارَتِهِ وَأَقْبَلَ قَافِلًا، لَقِيَتْهُ سَرِيَّة لِرَسُولِ الله ﷺ فأصابوا ماله، وَأَعْجَزَهُمْ هَارِبًا، فَلَمَّا قَدِمَتْ السَّرِيَّةُ بِمَا أَصَابُوا مِنْ مَالِهِ، أَقْبَلَ أَبُو الْعَاصِ تَحْتَ اللَّيْلِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَجَارَ بِهَا، فَأَجَارَتْهُ، وَجَاءَ فِي طَلَبِ مالِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ إِلَى الصُّبْحِ كَمَا حَدَّثَنِي يزيدُ بْنُ رُومَانَ فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ، صَرَخَتْ زينبُ مِنْ صُفَّةِ النِّسَاءِ:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ أجرتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ، قَالَ: فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ الصَّلَاةِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ:

«**أَيُّهَا النَّاسِ! هَلْ سَمِعْتُمْ ما سمعت؟**» قالوا: نعم؟ قال: « **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ من ذلك حتى سمعت ما سمعتُ، إِنَّهُ يُجِير عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ**». ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ، فَقَالَ: « **أَيْ بُنَية، أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، وَلَا يخلصنَّ إِلَيْكَ، فَإِنَّكَ لَا تَحِلِّينَ لَهُ** ».[1]

كذا ذكره ابن إسحاق ببسندٍ مرسل لا أعلمه يثبت، ولكن يأتي نحوه بالسند الثابت.

---

(١) كذا ذكره ابن إسحاق كما في «السيرة لابن هشام» (١/ ٥٦٤).

فروي أحمد[١] بإسناد آخر عن دَاوُد بْن الْحُصَيْنِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَدَّ ابْنَتَهُ زَيْنَبَ عَلَى أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ إِسْلامُهَا قَبْلَ إِسْلامِهِ بِستِّ سِنِينَ عَلَى النِّكَاحِ الْأَوَّلِ، وَلَمْ يُحْدِثْ شَهَادَةً وَلا صَدَاقًا».

وعلي ذلك يكون أسلم بعدها؛ لكن في سنده ضعف ،داود ضعيف لا سيما في عكرمة وقد رمي برأي الخوارج وإن كان ليس بمؤثِّر في الرواية هنا،والله أعلم.

ووقع نزاع بين العلماء هل تُرَدّ الكافرة والحاله هذه بنكاح جديد أم لا؟

علي أن في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه رد النبي ﷺ علي أبي العاص بن الربيع بنكاح جديد وفي رواية: بعد سنتين من النكاح الأول.[٢]

---

(١) برقم (٢٣٦٦) وابن إسحاق كما في «السيرة لابن هشام» (١/ ٥٦٥)

(٢) حكىٰ ابن كثير في «البداية والنهاية»(٣/ ٤٠٢) ط إحياء التراث: =

عن ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ الْحُصَيْنِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: رَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْنَبَ عَلَىٰ النِّكَاحِ الْأَوَّل وَلَمْ يُحْدِثْ شَيْئاً .

وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ ابْن إِسْحَاقَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: لَيْسَ بِإِسْنَادِهِ بَأْسٌ.

وَلَكِنْ لَا نَعْرِفُ وَجْهَ هَذَا الْحَدِيثِ، وَلَعَلَّهُ قَدْ جَاءَ مِنْ قِبَلِ حِفْظِ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ

وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ: لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ فِيمَا عَلِمْتُ.

وَفِي لَفْظٍ: رَدَّهَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ سِتِّ سِنِينَ، وَفِي رِوَايَةٍ: بَعْدَ سَنَتَيْنِ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ، رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَفِي رِوَايَةٍ: لَمْ يُحْدِثْ نِكَاحًا.

=

وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ أَشْكَلَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّ الْقَاعِدَةَ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَسْلَمَتْ وَزَوْجُهَا كَافِرٌ، فَإِنْ كَانَ قَبْلَ الدُّخُولِ تُعُجِّلَتِ الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ بَعْدَهُ انْتُظِرَ إِلَى انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ، فَإِنْ أَسْلَمَ فِيهَا اسْتَمَرَّ عَلَى نِكَاحِهَا، وَإِنِ انْقَضَتْ وَلَمْ يُسْلِمِ انْفَسَخَ نِكَاحُهَا، وَزَيْنَبُ رضي الله عنها أَسْلَمَتْ حِينَ بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهَاجَرَتْ بَعْدَ بَدْرٍ بِشَهْرٍ، وَحُرِّمَ الْمُسْلِمَاتُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ سَنَةَ سِتٍّ، وَأَسْلَمَ أَبُو الْعَاصِ قَبْلَ الْفَتْحِ سَنَةَ ثَمَانٍ فَمَنْ قَالَ: رَدَّهَا عَلَيْهِ بَعْدَ سِتِّ سِنِينَ، أَيْ مِنْ حِينِ هِجْرَتِهَا فَهُوَ صَحِيحٌ.

وَمَنْ قَالَ: بَعْدَ سَنَتَيْنِ. أَيْ مِنْ حِينِ حُرِّمَتِ الْمُسْلِمَاتُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَهُوَ صَحِيحٌ أَيْضًا.

وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَالظَّاهِرُ انْقِضَاءُ عِدَّتِهَا فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الَّتِي أَقَلُّهَا سَنَتَانِ مِنْ حِينِ التَّحْرِيمِ أَوْ قَرِيبٌ مِنْهَا، فَكَيْفَ رَدَّهَا عَلَيْهِ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ؟ فَقَالَ قَائِلُونَ: يَحْتَمِلُ أَنَّ عِدَّتَهَا لَمْ تَنْقَضِ، وَهَذِه قصَّة يَمِين يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا الِاحْتِمَالُ.وَعَارَضَ آخَرُونَ هَذَا الْحَدِيثَ بِالْحَدِيثِ الْأَوَّلِ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ الْحَجَّاجِ بْنِ أَرْطَاةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَدَّ بِنْتَهُ عَلَى أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بِمَهْرٍ جَدِيدٍ وَنِكَاحٍ جَدِيدٍ .

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ:

هَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ وَاهٍ وَلَمْ يَسْمَعْهُ الْحَجَّاجُ مِنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، إِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْعَرْزَمِيِّ، وَالْعَرْزَمِيُّ لَا يُسَاوِي حَدِيثُهُ شَيْئًا، وَالْحَدِيثُ الصَّحِيحُ الَّذِي رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺأقرها عَلَى النِّكَاحِ الْأَوَّلِ.

وَهَكَذَا قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: لَا يَثْبُتُ هَذَا الْحَدِيثُ، وَالصَّوَابُ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَدَّهَا بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ فِي إِسْنَاده مقَال.

=

و [الذىٰ] الْعَمَل عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَسْلَمَتْ قَبْلَ زَوْجِهَا ثُمَّ أَسْلَمَ زَوْجُهَا أَنَّهُ أَحَقُّ بِهَا مَا كَانَتْ فِي الْعِدَّةِ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الظَّاهِرُ انْقِضَاءُ عِدَّتِهَا، وَمَنْ رَوَىٰ أَنَّهُ جَدَّدَ لَهَا نِكَاحًا فَضَعِيفٌ.

فَفِي قَضِيَّةِ زَيْنَبَ، وَالْحَالَةُ هَذِهِ، دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَسْلَمَتْ وَتَأَخَّرَ إِسْلَامُ زَوْجِهَا حَتَّىٰ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا، فَنِكَاحُهَا لَا يَنْفَسِخُ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ، بَلْ يبْقىٰ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَتْ تَزَوَّجَتْ غَيْرَهُ وَإِنْ شَاءَتْ تَرَبَّصَتْ وَانْتَظَرَتْ إِسْلَامَ زَوْجِهَا أَيَّ وَقْتٍ كَانَ، وَهِيَ امْرَأَتُهُ مَا لَمْ تَتَزَوَّجْ.

وَهَذَا الْقَوْلُ فِيهِ قُوَّةٌ وَلَهُ حَظٌّ مِنْ جِهَةِ الْفِقْهِ وَالله تعالي أَعْلَمُ.

ويُسْتَشْهَدُ لِذَلِكَ بِمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢٨٦)حَيْثُ قَالَ: نِكَاحُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمُشْرِكَاتِ وَعِدَّتُهُنَّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَىٰ،حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ ابْن جريح، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، كَانَ الْمُشْرِكُونَ عَلَىٰ مَنْزِلَتَيْنِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْمُؤمنِينَ، كَانُوا مُشْركي أهل الْحَرْب يُقَاتِلُونَهُمْ وَيُقَاتِلُونَهُ، وَمُشْرِكِي أَهْلِ عَهْدٍ لَا يُقَاتِلُهُمْ وَلَا يقاتلونه.

فَكَانَ إِذَا هَاجَرَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ لَمْ تُخْطَبْ حَتَّىٰ تَحِيضَ وَتَطْهُرَ، فَإِذَا طَهُرَتْ حَلَّ لَهَا النِّكَاحُ، فَإِنَّ هَاجَرَ زَوْجُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْكِحَ رُدَّتْ إِلَيْهِ، وَإِنْ هَاجَرَ عَبْدٌ مِنْهُم أَو أَمَةٌ فَهُمَا حُرَّانِ وَلَهُمَا مَا لِلْمُهَاجِرِينَ.

ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ مِثْلَ حَدِيثِ مُجَاهِدٍ.

هَذَا لَفْظُهُ بِحُرُوفِهِ. فَقَوْلُهُ: «فَكَانَ إِذَا هَاجَرَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ لَمْ تُخْطَبْ حَتَّىٰ تَحِيضَ وَتَطْهُرَ » يَقْتَضِي أَنَّهَا كَانَتْ تَسْتَبْرِئُ بِحَيْضَةٍ لَا تَعْتَدُّ بِثَلَاثَةِ قُرُوءٍ، وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَىٰ هَذَا.

وَقَوْلُهُ: فَإِنْ هَاجَرَ زَوْجُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْكِحَ رُدَّتْ إِلَيْهِ، يَقْتَضِي أَنَّهُ وَإِنْ هَاجَرَ بَعْدَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ الِاسْتِبْرَاءِ وَالْعِدَّةِ أَنَّهَا تُرَدُّ إِلَىٰ زَوْجِهَا الْأَوَّلِ مَا لَمْ تَنْكِحْ زَوْجًا غَيْرَهُ، كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ قِصَّةِ زَيْنَبَ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ ذَهَبَ مِنَ الْعُلَمَاءِ. وَالله أعلم.

لكن ورد عند الحاكم من طريق ابن إسحاق قال حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: صَرَخَتْ زَيْنَبُ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ. قَالَ: فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ الصَّلَاةِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسِ، هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: « **أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى سَمِعْتُ مَا سَمِعْتُمْ، إِنَّهُ يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ**». ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ، فَقَالَ:« **أَيْ بُنَيَّةُ، أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، وَلَا يَخْلُصَنَّ إِلَيْكَ، فَإِنَّكَ لَا تَحِلِّينَ لَهُ**».(١)

وورد بسند حسن (٢)عَنْ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ إِلَى السَّرِيَّةِ الَّذِينَ أَصَابُوا مَالَ أَبِي الْعَاصِ وَقَالَ لَهُمْ: «**إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مَالًا، فَإِنْ تُحْسِنُوا تَرُدُّوا عَلَيْهِ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ ذَلِكَ فَهُوَ فَيْءُ اللهِ الَّذِي أَفَاءَهُ عَلَيْكُمْ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلْ نَرُدَّهُ عَلَيْهِ،

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٦٢) والبيهقي(٧/ ٣٠١) من طريق ابن إسحاق- وهذا لفظه - كما في «السيرة» لابن هشام (١/ ٦٥٨) ط السقا وسنده حسن

وله شاهد عن أم سلمة عند الحاكم (٤/ ٤٩) والبيهقي في «الكبرىٰ » (٩/ ١٦٢) بنحوه.

وآخر: عن أنس بن مالك عند ابن أبي عاصم في «المثاني»(٢٩٧٤)،.

وآخر: مرسل جيد عن يزيد بن رومان به أخرجه ابن سعد في «طبقاته»(٨/ ٣٢) فمجموع هذه الشواهد يدل علىٰ صحة الرواية ، والله أعلم .

(٢) عند الحاكم (٣/ ٢٦٢) بسنده عن ابن إسحاق وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم عن عمرة عن عائشة به وسنده حسن .

قَالَ: «**فَرَدُّوا عَلَيْهِ مَالَهُ**» حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِي بِالْحَبْلِ وَيَأْتِي الرَّجُلُ بِالشَّنَّةِ وَالْإِدَاوَةِ حَتَّى أَنَّ أَحَدَهُمْ لَيَأْتِي بِالشَّطَاطِ حَتَّى رَدُّوا عَلَيْهِ مَالَهُ بِأَسْرِهِ لَا يَفْقِدُ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ احْتَمَلَ إِلَى مَكَّةَ، فَأَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي مَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَالَهُ مِمَّنْ كَانَ أَبْضَعَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَلْ بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي مَالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ؟ قَالُوا: لَا فَجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَقَدْ وَجَدْنَاكَ وَفِيًّا كَرِيمًا، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا مَنَعَنِي مِنَ الْإِسْلَامِ عِنْدَهُ إِلَّا تَخَوُّفًا أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا أَرَدْتُ أَخْذَ أَمْوَالِكُمْ، فَلَمَّا أَدَّاهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكُمْ وَفَرَغْتُ مِنْهَا أَسْلَمْتُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.[1]

ولا مانع من أنه ﷺ لما انصرف من صلاته سأل السرية عما حصل فلما تبين قال لابنته ما تقدم، ثم قال للصحابة إن هذا الرجل منا حيث.. .فلا تعارُض بين الروايتين والله أعلم .

غزوة السويق [2] في ذي الحجة من هذه السنة

ويقال غزوة قرقرة الكدر[1].

---

(١) وقد ذكر الحاكم في «المستدرك »عقب ذلك أن أبا العاص رجع إلي مكة بعد ما أسلم،فلم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً ثم قدم المدينة بعد ذلك فتوفي في ذي الحجة من سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وأوصي إلي الزبير بن العوام .

(٢) قيل سبب تسميتها بذلك أن أبا سفيان وجيشه هرب، وتخفف من الأثقال وألقي أزواداً كثيرة قد ألقاها المشركون ومعظمها من السويق فسُمِّيَت غزوة السويق .

قال ابن إسحاق: وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَيَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، وَمَنْ لَا أَتَّهِمُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ الْأَنْصَارِ، حِينَ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ، وَرَجَعَ فَلُّ قُرَيْشٍ مِنْ بَدْرٍ، نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهُ مَاءٌ مِنْ جَنَابَةٍ حَتَّى يَغْزُوَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَخرج فِي مِائَتي رَاكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، لِيَبَرَّ يَمِينَهُ، فَسَلَكَ النَّجْدِيَّةَ، حَتَّى نَزَلَ بِصَدْرِ قَنَاةٍ إِلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: ثَيْبٌ، مِنْ الْمَدِينَةِ عَلَى بَرِيدٍ أَوْ نَحْوِهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ اللَّيْلِ، حَتَّى أَتَى بَنِي النَّضِيرِ تَحْتَ اللَّيْلِ، فَأَتَى حُيَيُّ ابْن أَخْطَبَ، فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ بَابَهُ وَخَافَهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ إِلَى سَلَّامِ بْنِ مِشْكَمٍ، وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي النَّضِيرِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ، وَصَاحِبَ كَنْزِهِمْ ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَرَّاهُ وَسَقَاهُ، وَبَطَنَ لَهُ مِنْ خَبَرِ النَّاسِ، ثُمَّ خَرَجَ فِي عَقِبِ لَيْلَتِهِ حَتَّى أَتَى أَصْحَابَهُ، فَبَعَثَ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَتَوْا نَاحِيَةً مِنْهَا، يُقَالُ لَهَا: الْعَرِيضُ، فَحَرَقُوا فِي أَصْوَارٍ مِنْ نَخْلٍ بِهَا، وَوَجَدُوا بِهَا رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ وَحَلِيفًا لَهُ فِي حَرْثٍ لَهُمَا، فَقَتَلُوهُمَا، ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ، وَنَذِرَ بِهِمْ النَّاسُ. «فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي طَلَبِهِمْ ».(٢)

=

(١) وقيل سبب تسميتها بهذ الاسم أن رسول الله ﷺ خرج في إثر الكفار حتي بلغ كركرة الكدرثم انصرف راجعاً فسميت بهذا الاسم «غزوة قرقرة الكدر »،فالله أعلم.

(٢) والإسناد صحيح إلي عبد الله بن كعب وقد ولد علي عهد رسول الله ﷺ فالسند ثابت والله أعلم وأخرج ذلك ابن إسحاق كما في « السيرة لابن هشام».

زواج علي رضي الله عنه من فاطمة رضي الله عنها (١).

كان علي رضي الله عنه يمتلك في ذلك الوقت شارفان ودرعـًا حطمية

روى البخاري أَنَّ عَلِيًّا قَالَ: كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ المَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الخُمُسِ يَوْمَئِذٍ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ، بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا فِي بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِي، فَنَأْتِيَ بِإِذْخِرٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّاغِينَ، فَنَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ

(١) فاطمه كانت بضعة من رسول الله ﷺ كما في صحيح البخاري (٣٧١٤) ولفظه:
«فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»وفي رواية مسلم«..يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا»
ومنع ﷺ علياً رضي الله عنه أن يخطب ابنة أبي جهل عليها، وابناها الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، فكيف بها؟.

وكان ﷺ يُسِرّ إليها كما قال عائشة رضي الله عنها: ففي «الصحيح »(٣٦٢٣) أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا »وأخرجه مسلم (٢٤٥٠) .

وقال رسول الله ﷺ عن فاطمة «فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ»أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به ووصله ابن أبي شيبة (٦/ ٣٨٨) وسنده حسن .

بل في صحيح البخاري (٦٢٨٥)و مسلم (٣٤٥٠) قوله ﷺ لها: «يَا فَاطِمَةُ، أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ».

وفي سنن النسائي في «الكبري»(٥٣١٠) بسند ثابت عن بريدة رضي الله عنه قال: خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَاطِمَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا صَغِيرَةٌ»، فَخَطَبَهَا عَلِيٌّ فَزَوَّجَهَا مِنْهُ.

عُرْسِي، فَبَيْنَا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفَيَّ مِنَ الأَقْتَابِ وَالغَرَائِرِ وَالحِبَالِ، وَشَارِفَايَ مُنَاخَانِ إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، حَتَّى جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ، فَإِذَا أَنَا بِشَارِفَيَّ قَدْ أُجِبَّتْ أَسْنِمَتُهَا، وَبُقِرَتْ خَوَاصِرُهُمَا، وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ حِينَ رَأَيْتُ المَنْظَرَ، قُلْتُ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟

قَالُوا فَعَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَهُوَ فِي هَذَا البَيْتِ، فِي شَرْبٍ مِنَ الأَنْصَارِ، عِنْدَهُ قَيْنَةٌ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَتْ فِي غِنَائِهَا: أَلاَ يَا حَمْزُ لِلشُّرُفِ النِّوَاءِ، فَوَثَبَ حَمْزَةُ ﵁ إِلَى السَّيْفِ، فَأَجَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا، وَأَخَذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا، قَالَ عَلِيٌّ: فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي لَقِيتُ، فَقَالَ: «**مَا لَكَ**» قُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللهِ، مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ، عَدَا حَمْزَةُ عَلَى نَاقَتَيَّ، فَأَجَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا، وَهَا هُوَ ذَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرْبٌ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِرِدَائِهِ فَارْتَدَى، ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي، وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، حَتَّى جَاءَ البَيْتَ الَّذِي فِيهِ حَمْزَةُ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأُذِنَ لَهُ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَلُومُ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ، فَإِذَا حَمْزَةُ ثَمِلٌ، مُحْمَرَّةٌ عَيْنَاهُ، فَنَظَرَ حَمْزَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتِهِ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ حَمْزَةُ:

وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدٌ لِأَبِي، فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ ثَمِلٌ فَنَكَصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى عَقِبَيْهِ القَهْقَرَى فَخَرَجَ وَخَرَجْنَا مَعَهُ. (١)

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٦١) ومسلم (١٩٧٩)، وما فعله حمزة ﵁ من السُكر إنما كان قبل تحريم الخمر .

وفي سنن أبي داود[١] بسند صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا تَزَوَّجَ عَلِيٌّ فَاطِمَةَ فَاطِمَةَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَعْطِهَا شَيْئًا**»، قَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ، قَالَ: «**أَيْنَ دِرْعُكَ الْحُطَمِيَّةُ؟**».

وعنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: «خُطِبَتْ فَاطِمَةُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَتْ لِي مَوْلَاةٌ لِي: هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ فَاطِمَةَ قَدْ خُطِبَتْ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ قُلْتُ لَا. قَالَتْ فَقَدْ خُطِبَتْ فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَأْتِيَ رَسُولَ الله ﷺ فَيُزَوِّجَكَ فَقُلْتُ وَعِنْدِي شَيْءٌ أَتَزَوَّجُ بِهِ؟ فَقَالَتْ إِنَّكَ إِنْ جِئْتَ رَسُولَ الله ﷺ زوجك فو الله مَا زَالَتْ تُرَجِّينِي حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَكَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ جَلَالَةٌ وَهَيْبَةٌ فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ يديه أفحمت فو الله مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **مَا جَاءَ بِكَ أَلَكَ حَاجَةٌ؟**» فَسَكَتُّ، فَقَالَ:« **مَا جَاءَ بِكَ، أَلَكَ حَاجَةٌ** ؟» فَسَكَتُّ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ جِئْتَ تَخْطُبُ فَاطِمَةَ، فَقُلْتُ:

«نَعَمْ» فَقَالَ«**وَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ تَسْتَحِلُّهَا بِهِ**»؟ فَقُلْتُ: لَا، والله يَا رَسُولَ الله.

فَقَالَ: «**مَا فَعَلَتْ دِرْعٌ سلّحتكها**» - فو الذي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ إِنَّهَا لَحُطَمِيَّةٌ مَا ثَمَنُهَا أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ- فَقُلْتُ عِنْدِي فَقَالَ قَدْ زَوَّجْتُكَهَا فَابْعَثْ إِلَيْهَا بِهَا فَاسْتَحِلَّهَا بِهَا. فَإِنْ كَانَتْ لَصَدَاقُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ ».[٢]

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٢٥).

(٢) أخرج ذلك البيهقي في «دلائل النبوة » (٣/ ١٦٠) و«الكبري»(٧/ ٣٨٣) بإسناد حسن .

وأخرج النسائي بإسناد ثابت عن علي رضي الله عنه قال «جَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ فِي خَمِيلٍ وَقِرْبَةٍ وَوِسَادَةٍ حَشْوُهَا إِذْخِرٌ».(١)

❁ ومن الضعيف الذي اشتهر في هذا المقام :

ما أخرجه أبو داود (٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَقَالَ:

«**يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا**»، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا، لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ} [آل عمران: ١٢] قَرَأَ مُصَرِّفٌ إِلَى قَوْلِهِ {فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ} [آل عمران: ١٣] بِبَدْرٍ {وَأُخْرَى كَافِرَةٌ} [آل عمران: ١٣].

وفي إسناده جهالة وإن حسن إسناده الحافظ في «الفتح»(٧/ ٤٠٩) وقد روي نحوه ابن إسحاق بسند مرسل.(٣)

ومن ذلك:

ما قاله ابن هشام: أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا مابينهم وبين

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبري»(٥٥٤٦) وغيره .

(٢) برقم (٣٠٠١).

(٣) انظر «السيرة» لابن هشام (٢/ ٤٠).

رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

ومن ذلك: معرفة سبب الحرب مع يهود بني قينقاع

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَذَكَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، عَنْ أَبِي عَوْنٍ، قَالَ: كَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ الْعَرَبِ قَدِمَتْ بِجَلَبٍ لَهَا، فَبَاعَتْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَجَلَسَتْ إلَى صَائِغٍ بِهَا، فَجَعَلُوا يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا، فَأَبَتْ، فَعَمِدَ الصَّائِغُ إلَى طَرَفِ ثَوْبِهَا فَعَقَدَهُ إلَى ظَهْرِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوْأَتُهَا، فَضَحِكُوا بِهَا، فَصَاحَتْ.

فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ يَهُودِيًّا، وَشَدَّتْ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ، فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ، فَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنُقَاعَ. (١)

ومن ذلك:

قول ابْن إسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَقَامَ إلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بن سَلُولَ، حِينَ أَمْكَنَهُ اللهُ مِنْهُمْ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْسِنْ فِي مَوَالِيَّ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ، قَالَ: فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَحْسِنْ فِي مُوَالِيَّ، قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنْهُ. فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ دِرْعِ رَسُولِ اللهِ.ﷺ :قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتَ الْفُضُولِ.

---

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة » (٢/ ٤٠١) مُعلَّقاً،ومع عدم صحته فإنه على لسان القُصَّاص مشهور.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْسِلْنِي**» وَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى رَأَوْا لِوَجْهِهِ ظُلَلًا، ثُمَّ قَالَ: «**وَيْحَكَ! أَرْسِلْنِي**»، قَالَ: لَا وَاللهِ لَا أُرْسِلُكَ حَتَّى تُحْسِنَ فِي موالِيّ، أربع مائة حاسر وَثَلَاث مائَة دَارِعٍ قَدْ مَنَعُونِي مِنْ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، إِنِّي وَاللهِ امْرُؤٌ أَخْشَى الدَّوَائِرَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُمْ لَكَ**».(١)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي مُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ بَشِيرَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، وَكَانَتْ مُحَاصَرَتُهُ إِيَّاهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: لَمَّا حَارَبَتْ بَنُو قَيْنُقَاعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، تَشَبَّثَ بِأَمْرِهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بن سَلُولَ، وَقَامَ دُونَهُمْ. قَالَ: وَمَشَى عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ أَحَدَ بَنِي عَوْفٍ، لَهُمْ مِنْ حِلْفِهِ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ، فَخَلَعَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَبَرَّأَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ حِلْفِهِمْ، وَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَوَلَّى اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَبْرَأُ مِنْ حِلْفِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ وَوِلَايَتِهِمْ. قَالَ: فَفِيهِ وَفِي عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ مِنْ الْمَائِدَةِ «قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ المائدة أَيْ: لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ.

(١) أخرجه ابن هشام في «السيره» بإسناد مرسل.

وَقَوْلُهُ: إِنِّي أَخْشَى الدَّوَائِرَ هو ما قاله تعالى في أهل النفاق:«يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَيُصْبِحُوا عَلى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ المائدة، ثُمَّ الْقِصَّةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ المائدة، اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَتَبَرُّئِهِ مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ وَحِلْفِهِمْ وَوِلَايَتِهِمْ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ المائدة، كل هذا لم أجد في تفصيله أسانيد ثابتة. (١)

قصة قتل كعب بن الأشرف اليهودي

طاغوت اليهود

كان لعنه الله طويلاً جسيما ذا بطن وهامة وهجا المسلمين بعد وقعة بدر ،وخرج إلي مكة فنزل علي ابن وداعة السهمي والد المطلب ، فهجاه حسان، هجا امرأته عاتكة بنت أسيد فطَرَدَته فرجع كعب إلي المدينة وتشبَّبَ بنساء المسلمين حتي آذاهم .أخرجه ابن شبة(٢) من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن

(١) وهذا مرسل، فبين عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت وهذا الزمن مفاوز.

(٢)في «تاريخ المدينة» (٢/ ٤٥٩) وأبو داود في «السنن» (٣٠٠٠) والبيهقي في «الكبري» (٩/ ٣٠٨) بإسناد رجاله ثقات.

عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، - أَظُنُّهُ عَنْ أَبِيهِ،[١]- وَكَانَ ابْنُ أَحَدِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ: أَنَّ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيَّ كَانَ شَاعِرًا، وَكَانَ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيُحَرِّضُ عَلَيْهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ[٢]، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَأَهْلُهَا أَخْلَاطٌ ، مِنْهُمُ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ تَجْمَعُهُمْ دَعْوَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمِنْهُمُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَمِنْهُمُ الْيَهُودُ وَهُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ وَالْحُصُونِ وَهُمْ حُلَفَاءُ لِلْحَيَّيْنِ

---

(١) وهو في مسند أحمد (٣٩/ ٥٠٥رقم(٦٥) الأحاديث الساقطة من مسند أحمد)وفيه : مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدُ اللهِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عَمِّهِ: أَنَّ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ كَانَ يَهْجُو....كذا منقطعاً بين الزهري وعبد الله بن كعب(بغير ذكر عبد الرحمن)

(٢) وقد ذكر الحافظ فِي«الفتح»(٧/ ٣٣٧) رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ عَنْ جَابِرٍ عِنْدَ الْحَاكِمِ فِي «الْإِكْلِيلِ» بلفظ: « فَقَدْ آذَانَا بِشِعْرِهِ وَقَوَّىٰ الْمُشْرِكِينَ».

وَأَخْرَجَ بن عَائِذٍ مِنْ طَرِيقِ الْكَلْبِيِّ أَنَّ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ قَدِمَ عَلَىٰ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ فَحَالَفَهُمْ عِنْدَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ عَلَىٰ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ أَنَّهُ كَانَ يَهْجُو النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ وَيُحَرِّضُ قُرَيْشًا، عَلَيْهِمْ وَأَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ قَالُوا لَهُ أَدِينُنَا أَهْدَىٰ أَمْ دِينُ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: دِينُكُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«**مَنْ لَنَا بِابْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدِ اسْتَعْلَنَ بِعَدَاوَتِنَا** »قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤١٧) :

«وَجَدْتُ فِي فَوَائِدِ عَبْدِ الله بْنِ إِسْحَاق الخرساني مِنْ مُرْسَلِ عِكْرِمَةَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ إِلَيْهِ أن لِقَتْلِ كَعْبٍ سَبَبًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّهُ صَنَعَ طَعَامًا وَوَاطَأَ جَمَاعَةً مِنَ الْيَهُودِ أَنَّهُ يَدْعُو النَّبِيَّ ﷺ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَإِذَا حَضَرَ فَتَكُوا بِهِ ثُمَّ دَعَاهُ فَجَاءَ وَمَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَأَعْلَمَهُ جِبْرِيلُ بِمَا أَضْمَرُوهُ بَعْدَ أَنْ جَالَسَهُ فَقَامَ فَسَتَرَهُ جِبْرِيلُ بِجَنَاحِهِ فَخَرَجَ فَلَمَّا فَقَدُوهُ تَفَرَّقُوا فَقَالَ حِينَئِذٍ مَنْ يَنْتَدِبُ لِقَتْلِ كَعْبٍ وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِتَعَدُّدِ الْأَسْبَابِ .

الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ اسْتِصْلَاحَهُمْ كُلَّهُمْ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ مُسْلِمًا وَأَبُوهُ مُشْرِكٌ، وَالرَّجُلُ يَكُونُ مُسْلِمًا وَأَخُوهُ مُشْرِكٌ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ حِينَ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ أَشَدَّ الْأَذَى، فَأَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ وَالْمُسْلِمِينَ بِالصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ، فَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ ﴿١٨٦﴾ ﴾ آل عمران، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ ﴿١٠٩﴾ ﴾البقرة، فَلَمَّا أَبَى كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ أَنْ يَنْزِعَ عَنْ أَذَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَذَى الْمُسْلِمِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ رضي الله عنه أَنْ يَبْعَثَ رَهْطًا لِيَقْتُلُوهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيَّ، وَأَبَا عَبْسٍ الْأَنْصَارِيَّ، وَالْحَارِثَ ابْنَ أَخِي سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي خَمْسَةِ رَهْطٍ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي قَتْلِهِ. قَالَ: فَلَمَّا قَتَلُوهُ فَزِعَتِ الْيَهُودُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَغَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحُوا فَقَالُوا: إِنَّهُ طُرِقَ صَاحِبُنَا اللَّيْلَةَ وَهُوَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا فَقُتِلَ فَذَكَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ الَّذِي كَانَ يَقُولُ فِي أَشْعَارِهِ وَيَنْهَاهُمْ بِهِ، وَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ كِتَابًا يَنْتَهُوا إِلَى مَا فِيهِ، فَكَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَامًّا صَحِيفَةً كَتَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ الْعَذْقِ الَّذِي فِي

دَارِ بِنْتِ الْحَارِثِ ، فَكَانَتْ تِلْكَ الصَّحِيفَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺعِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه.(١)

طريقة قتله لعنه الله

أخرج البخاري عن جَابر بْن عَبْدِ الله، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ لِكَعْبِ ابْنِ الأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى الله وَرَسُولَهُ**»، فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ: «**قُلْ**»، فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ، قَالَ: وَأَيْضًا وَالله لَتَمَلُّنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ، فَلاَ نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ - وحَدَّثَنَا عَمْرٌو غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَذْكُرْ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ أَوْ: فَقُلْتُ لَهُ: فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ؟ فَقَالَ: أُرَى فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ - فَقَالَ: نَعَمِ، ارْهَنُونِي، قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ العَرَبِ، قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا، فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ، فَيُقَالُ: رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ، هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ- قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي السِّلاَحَ - فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ(٢)، فَدَعَاهُمْ إِلَى الحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ:

---

(١) كل هذا الظاهر أنه كان في السنة الثالثة من الهجرة عقيب غزوة بدر.

(٢) وفي مصنف عبد الرزاق(٩٣٨٨) أن كعب بن الأشراف كان يهجو النبي ﷺ فأمر النبيﷺ سعد ابن معاذ أن يبعث إليه خمسة نفر...الحديث ولا تَعَارُض .

أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ، وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو، قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ، قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ، قَالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَانِ - قِيلَ لِسُفْيَانَ: سَمَّاهُمْ عَمْرٌو؟ قَالَ: سَمَّى بَعْضَهُمْ - قَالَ عَمْرٌو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، وَقَالَ: غَيْرُ عَمْرٍو: أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ، وَالحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ، قَالَ عَمْرٌو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ، فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ، وَقَالَ مَرَّةً:

ثُمَّ أُشِمُّكُمْ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ رِيحًا، أَيْ أَطْيَبَ، وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ العَرَبِ وَأَكْمَلُ العَرَبِ، قَالَ عَمْرٌو: فَقَالَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ، قَالَ: دُونَكُمْ، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوه.[1]

❁ وهذا سياق آخر لقصة قتل ابن الأشرف ـ ولا تضاد بينهما ـ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. رضي الله عنه

=

وفي «تاريخ المدينة المنورة» (٢/ ٤٥٥) قال ﷺ: «**من يكفينا كعب الأشراف؟ فإنه آذي الله ورسوله**».

(١) أخرجه البخاري (٤٠٣٧) في باب قتل كعب بن الأشراف .

قَالَ مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، ثُمَّ وَجَّهَهُمْ، فَقَالَ: «**انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللهِ، اللَّهمّ أَعْمِ عَنْهُمْ**» ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ، وَهُوَ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، وَأَقْبَلُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى حِصْنِهِ، فَهَتَفَ بِهِ أَبُو نَائِلَةَ، وَكَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، فَوَثَبَ فِي مِلْحَفَتِهِ، فَأَخَذَتْ امْرَأَتُهُ بِنَاحِيَتِهَا، وَقَالَتْ: إِنَّكَ امْرُؤٌ مُحَارِبٌ، وَإِنَّ أَصْحَابَ الْحَرْبِ لَا يَنْزِلُونَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، قَالَ: إِنَّهُ أَبُو نَائِلَةَ، لَوْ وَجَدَنِي نَائِمًا لَمَا أَيْقَظَنِي، فَقَالَتْ: وَاللهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ فِي صَوْتِهِ الشَّرَّ، قَالَ: يَقُولُ لَهَا كَعْبٌ: لَوْ يُدْعَى الْفَتَى لِطَعْنَةٍ لَأَجَابَ.

فَنَزَلَ فَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ سَاعَةً، وَتَحَدَّثُوا مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ لَكَ يَا بن الْأَشْرَفِ أَنْ تَتَمَاشَى إِلَى شِعْبِ الْعَجُوزِ، فَنَتَحَدَّثَ بِهِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ؟ قَالَ: إِنْ شِئْتُمْ.

فَخَرَجُوا يَتَمَاشَوْنَ، فَمَشَوْا سَاعَةً، ثُمَّ إِنَّ أَبَا نَائِلَةَ شَامَ يَدَهُ فِي فَوْدِ رَأْسِهِ، ثُمَّ شَمَّ يَدَهُ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ طِيبًا أَعْطَرَ قَطُّ، ثُمَّ مَشَى سَاعَةً، ثُمَّ عَادَ لِمِثْلِهَا حَتَّى اطْمَأَنَّ، ثُمَّ مَشَى سَاعَةً، ثُمَّ عَادَ لِمِثْلِهَا، فَأَخَذَ بِفَوْدِ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: اضْرِبُوا عَدُوَّ اللهِ، فَضَرَبُوهُ، فَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَسْيَافُهُمْ، فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: فَذَكَرْتُ مِغْوَلًا فِي سَيْفِي، حِينَ رَأَيْتُ أَسْيَافَنَا لَا تُغْنِي شَيْئًا، فَأَخَذْتُهُ، وَقَدْ صَاحَ عَدُوُّ اللهِ صَيْحَةً لَمْ يَبْقَ حَوْلَنَا حِصْنٌ إِلَّا وَقَدْ أُوقِدَتْ عَلَيْهِ نَارٌ قَالَ: فَوَضَعْتُهُ فِي ثُنَّتِهِ ثُمَّ تَحَامَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغْتُ عَانَتَهُ فَوَقَعَ عَدُوُّ اللهِ، وَقَدْ أُصِيبَ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مُعَاذٍ، فَجُرِحَ فِي رَأْسِهِ أَوْ فِي رِجْلِهِ، أَصَابَهُ بَعْضُ أَسْيَافِنَا. قَالَ: فَخَرَجْنَا حَتَّى سَلَكْنَا عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ.(١)

(١) هو في «السيرة لابن هشام» (٢/ ٤٢) وإسناده حسن.

تلخيص حال الكفار في المدينة

بعد هجرة النبي ﷺ والصحابة إلي المدينة

إلى ما بعد غزوة بدر

قال الحافظ في «الفتح»[١]:

كَانَ الْكُفَّارُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

١- **قِسْمٌ**: وَادَعَهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُحَارِبُوهُ وَلَا يُمَالِئُوا عَلَيْهِ عَدُوَّهُ وَهُمْ طَوَائِفُ الْيَهُودِ الثَّلَاثَةِ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ وَقَيْنُقَاعُ .

٢- **وَقِسْمٌ**: حَارَبُوهُ وَنَصَبُوا لَهُ الْعَدَاوَةَ كَقُرَيْشٍ.

٣-**وَقِسْمٌ**: تَارَكُوهُ وَانْتَظَرُوا مَا يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ كَطَوَائِفَ مِنَ الْعَرَبِ فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحِبُّ ظُهُورَهُ فِي الْبَاطِنِ كَخُزَاعَةَ وَبِالْعَكْسِ كَبَنِي بَكْرٍ وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ مَعَهُ ظَاهِرًا وَمَعَ عَدُوِّهِ بَاطِنًا وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ مِنَ الْيَهُودِ بَنُو قَيْنُقَاعَ فَحَارَبَهُمْ فِي شَوَّالٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ وَأَرَادَ قَتْلَهُمْ فَاسْتَوْهَبَهُمْ مِنْهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ فَوَهَبَهُمْ لَهُ وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَذْرِعَاتَ ثُمَّ نَقَضَ الْعَهْدَ بَنُو النَّضِيرِ كَمَا سَيَأْتِي وَكَانَ رَئِيسَهُمْ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ.[٢]

---

(١)«فتح الباري» (٧/ ٤٠٦).

(٢) وحيي بن أخطب هو والد صفية بنت حُيي أم المؤمنين، وهو الذي حسن لبني قريظة الغدر وموافقة الأحزاب حتي كان فيه هلاكهم.

ثُمَّ نَقَضَتْ قُرَيْظَةُ العهد كَمَا سَيَأْتِي شَرْحُ حَالِهِمْ بَعْدَ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وهذا استقراء ثابت لجمل الأحداث وأما المنافقون فسيأتي في ثنايا الكلام ذكر أفعالهم وأحوالهم ـ قبحهم الله ـ.

قصة بني النضير

كانت بعد بدر بستة أشهر

وفيها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾ الحشر. (١)

=

وقصتهم ستأتي بعد وقعة أُحد- هو موطنها - كما صحح ذلك الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١١).

وأما خبر بني قريظة فكان بعد غزوة الأحزاب، لما نقضوا العهد مع النبي ﷺ، وكانوا لصالح الكفار.

(١) فقد ورد قولهم : لا يَغُرَّنَّكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ، فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً، إِنَّا وَاللَّهِ لَئِنْ حَارَبْنَاكَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ كما في « السيرة »لابن هشام(٢/ ٤٧): فَحَدَّثَنِي مَوْلًى لِآلِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَوْ عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ إِلَّا لما قالوا: لو قاتلتنا لعلمت أنا

أخرج البخاري ومسلم [١] عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ، قَالَ: «التَّوْبَةُ هِيَ الفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزِلُ، وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ، حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا»، قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الأَنْفَالِ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ»، قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الحَشْرِ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ».

❁ وقد ورد في قصة بني النضير وما حصل معهم أحاديث ثابتة

فمن ذلك :

ما رواه عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ السَّلُولِ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ، قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ يَقُولُونَ: إِنَّكُمْ آوَيْتُمْ صَاحِبَنَا، وَإِنَّكُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَدَدًا، وَإِنَّا نُقْسِمُ بِاللهِ لَتَقْتُلُنَّهُ، أَوْ لَتُخْرِجُنَّهُ، أَوْ لَنَسْتَعِنْ عَلَيْكُمُ الْعَرَبَ، ثُمَّ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى نَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ، وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ أُبَيٍّ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ تَرَاسَلُوا فَاجْتَمَعُوا، وَأَرْسَلُوا، وَأَجْمَعُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فلَقِيَهُمْ فِي جَمَاعَةٍ فَقَالَ: «**لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمْ**

=

القوم. وفي سنده إبهام بعض آل زيد وعلى كل ليس بمستبعد عن سلاطة ألسنتهم الحِداد وقبحهم ...

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٢) ومسلم (٣٣١).

الْمَبَالِغَ، مَا كَانَتْ لِتَكِيدَكُمْ بِأَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، فَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ».

فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ تَفَرَّقُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ فَكَتَبَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَى الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ، ـ وَهُوَ الْخَلَاخِلُ ـ فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ الْيَهُودَ أَجْمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ عَلَى الْغَدْرِ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلْنَخْرُجْ فِي ثَلَاثِينَ حَبْرًا حَتَّى نَلْتَقِي فِي مَكَانِ كَذَا نَصْفٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُو بِكَ، آمَنَّا كُلُّنَا.

فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ حَبْرًا مِنَ الْيَهُودِ حَتَّى إِذَا بَرَزُوا فِي بِرَازٍ مِنَ الْأَرْضِ، قَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ لِبَعْضٍ: كَيْفَ تَخْلُصُونَ إِلَيْهِ، وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ كُلُّهُمْ يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ قَبْلَهُ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ: كَيْفَ نَفْهَمُ وَنَفْهَمُ وَنَحْنُ سِتُّونَ رَجُلًا؟ اخْرُجْ فِي ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ، وَيَخْرُجُ إِلَيْكَ ثَلَاثَةٌ مِنْ عُلَمَائِنَا، فَلْيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ آمَنُوا بِكَ آمَنَّا كُلُّنَا، وَصَدَّقْنَاكَ .

فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَاسْتَمَلُوا عَلَى الْخَنَاجِرِ، وَأَرَادُوا الْفَتْكَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَرْسَلَتِ امْرَأَةٌ نَاصِحَةٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَى بَنِي أَخِيهَا، وَهُوَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَخْبَرَتْهُ خَبَرَ مَا أَرَادَتْ بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْغَدْرِ بِرَسُولِ اللهِ. ﷺ ، فَأَقْبَلَ أَخُوهَا سَرِيعًا، حَتَّى أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَارَّهُ بِخَبَرِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ النَّبِيُّ

ﷺ إِلَيْهِمْ، فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْكَتَائِبِ فَحَاصَرَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ:

«إِنَّكُمْ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ».

فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ هُوَ وَالْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ غَدَا الْغَدُ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْخَيْلِ وَالْكَتَائِبِ.

وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ، فَعَاهَدُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ وَغَدَا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ(١)، وَعَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ إِلَّا الْحَلْقَةَ.(٢)

فَجَاءَتْ بَنُو النَّضِيرِ وَاحْتَمَلُوا مَا أَقَلَّتْ إِبِلٌ مِنْ أَمْتِعَتِهِمْ وَأَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ وَخَشَبِهَا.

فَكَانُوا يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ، فَيَهْدِمُونَهَا فَيَحْمِلُونَ مَا وَافَقَهُمْ مِنْ خَشَبِهَا، وَكَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ أَوَّلَ حَشْرِ النَّاسِ إِلَى الشَّامِ وَكَانَ بَنُو النَّضِيرِ مِنْ سِبْطٍ مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَمْ يُصِبْهُمْ جَلَاءٌ مُنْذُ كَتَبَ اللهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْجَلَاءَ، فَلِذَلِكَ أَجْلَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَوْلَا مَا كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَلَاءِ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا كَمَا عُذِّبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ:

---

(١) ولعله عاهدهم على النزول على حكمه، فلما حكم عليهم بالجلاء أبو فقاتلهم حتى نزلوا على حكمه.

(٢) وَالْحَلْقَةُ: السِّلَاحُ.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾.

وَكَانَتْ نَخْلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً فَأَعْطَاهَا اللهُ إِيَّاهَ وَخَصَّهُ بِهَا، فَقَالَ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾ الحشر.

يَقُولُ: بِغَيْرِ قِتَالٍ قَالَ: فَأَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَهَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ، وَلِرَجُلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ[1] كَانَا ذَوِي حَاجَةٍ، لَمْ يَقْسِمْ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ غَيْرِهِمَا، وَبَقِيَ مِنْهَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي يَدِ بَنِي فَاطِمَةَ.[2]

---

(١) ورسول الله ﷺ بل والأمير له أن يفضل بعض الرعية على بعض، فإن رسول الله أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا». ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ.

...الحديث وهو في صحيح البخاري (٢٧) ومسلم (١٥٠) وقد تناولت هذه المسألة بشيء من الإسهاب في كتابي «جامع أحكام الهبات»وهو مطبوع والحمد لله .

(٢) إسناده صحيح :أخرجه عبد الرزاق (٩٧٣٢) وغيره .

ومن هذه الأحاديث:

ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ، وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ وَنَخْلُهُمْ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ وَعَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالأَمْوَالِ إِلَّا الْحَلْقَةَ - يَعْنِي السِّلَاحَ - فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ:

قَالَ تَعَالَى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ ﴾ الحشر، فَقَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى صَالَحَهُمْ عَلَى الْجَلَاءِ فَأَجْلَاهُمْ إِلَى الشَّامِ، فَكَانُوا مِنْ سِبْطٍ لَمْ يُصِبْهُمْ جَلَاءٌ فِيمَا خَلَا، وَكَانَ اللهُ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسِّبَاءِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ {لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}.

فَكَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ أَوَّلَ حَشْرٍ فِي الدُّنْيَا إِلَى الشَّامِ »[1].

=

وقد عزاه الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤٠٨) لابن مردويه وقال: «بإسناد صحيح إلي معمر».

(١) صحيح أخرجه الحاكم(٢/ ٢٣٥) والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ١٧٨) من طريق محمد بن ثور عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة به ،كذا موصولا بإسناد صحيح .

وأما عبد الرزاق في «المصنف» (٩٧٣٢) فرواه عن معمر عن الزهري عن عروة مرسلاً .

و رواه عقيل عن الزهري مرسلاً كذا.

أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ١٧٦) وإن كان المرسل أصح إلا أن محمد بن ثور ثقة فلا يبعد تصحيحه علي الوجهين إلا أن الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٦٢) رواه عبد الأعلي عن ابن ثور

ومنها:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ، أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا} [الحشر: ٥] قَالَ:

«اللِّينَةُ: النَّخْلَةُ، وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ قَالَ: «اسْتَنْزَلُوهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ، وَأَمْرُوا بِقِطْعِ النَّخْلِ فَحَكَّ فِي صُدُورِهِمْ» فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: «وَقَدْ قَطَعْنَا بَعْضًا، وَتَرَكْنَا بَعْضًا،فَلَنَسْأَلَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، هَلْ لَنَا فِيمَا قَطَعْنَا مِنْ أَجْرٍ وَمَا عَلَيْنَا فِيمَا تَرَكْنَا مِنْ وِزْرٍ؟» فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ الحشر.(١)

=

عن معمر عن الزهري مرسلاً مختصراً ؛ ولذلك حكي السيوطي في«الدر المنثور» (٨/ ٨٩) عن البيهقي أنه قال عقب المرسل:

«هو المحفوظ» فالله أعلم لكن الروايات تدل علي أن لهذه القصة أصلاً.

(١) أخرجه النسائي في «الكبري» (١١٥١٠) والترمذي (٣٣٠٣) من طريق عفان بن مسلم عن حفص بن غياث قال ثنا حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه .

ورواه الترمذي عقبه من طريق هارون بن معاوية عن حفص بن غياث به عن سعيد بن جبير مرسلاً وصحته علي الوجهين ليس بمستبعد لا سيما .

وقد أخرج البخاري (٤٨٨٤) ومسلم (١٧٤٦) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرَّق نخل بني النضير وقطع وَهِيَ البويرة» فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ الحشر، فهذا يؤكد صحة الوجه الموصول في حديث ابن عباس إما من باب صحة الوجهين، وأما من باب أن الوصل زيادة ثقة .

ومعني الإذن هنا:

إما الإذن الكوني الذي هو بمعني أن الله قدَّره وقصناه بغض النظر عن مشروعية أم لا وإنما لقوله تعالي: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ آل عمران.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ الحشر

أو أن المعني : بإذن الله أي الإذن الشرعي المأذون في، لأن الحصار نوع من أنواع القتال كمافي قوله تعالي: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ النور،أي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه والله أعلم.

محل إنفاق النبي ﷺ الفئ الذي أفاء الله عليه من مال بني النضير.

أخرج البخاري [1] عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، مِمَّا لَمْ يُوجِفِ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ، وَلاَ رِكَابٍ، «فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِ، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلاَحِ وَالكُرَاعِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللهِ».

=

والبويرة : موضع معروف من بلد بني النضير.

(١) برقم (٢٩٥٤) ومسلم (١٧٥٧).

ثم بين الله عزوجل بعد ذلك حكم الفيئ وأنه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان علي منوالهم وطريقتهم كما قال تعالي: {وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

ذم الله تعالي للمنافقين الذين مالوا لبني النضير في الباطن ووعدوهم بالنصرة.

و لم يكن من ذلك شيء بل خذلوهم أحوج ما كانوا إليهم وغَرُّوهم من أنفسهم .

فقال تعالي: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ}.

ثم ذمَّهم الله تعالي علي جُبنِهم، وقلَّة عِلمِهم، وخفَّة عقلهم النافع، ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشيطان حين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ الحشر.

غزوة أحد [1]

(١) سمي أحدٌ أحداً لتوحُّده من بين تلك الجبال، وفي «الصحيح»قوله ﷺ: «أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ». أخرجه البخاري (١٤٨٢) ومسلم (٣٦٥) .

كانت في شوال في السنة الثالثة للهجرة

وقد وردت عدة روايات مفادها أن كفار قريش لما أذاقها الله الويلات في موقعة بدر فقُتل كبارُهم وصناديدُهم فحرَّض بعضهم بعضاً علي قتالِ المسلمين للأخذ بالتأثر، وكان زعيمهم أبو سفيان بن حرب – وكان آن ذاك كافراً – .

هذا هو المفهوم من ذكر الروايات وإن كان في مفاريدها ضعف وعلي كلٍ استعد كل فريق للآخر، المسلمون تأهبوا للقتال، والكفار استعدوا كذلك .

=

وقيل: لأنه كان يبشره بقُرب أهله إذا رجع من سفره كما يفعل الحب ،وقيل : علي ظاهره كقوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ البقرة.

وفي حديث أَبِي عَبْسِ بْنِ جَبْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِأُحُدٍ: « **هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ وَإِنَّهُ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهَذَا عِيرٌ يُبْغِضُنَا وَنُبْغِضُهُ وَإِنَّهُ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ**».

أخرجه الطبراني في «الأوسط»(٦٥٠٥)والدولابي في«الكنى»(٢٦٠) وابن بشران في «الأمالى»(٤٩٨)

وفي إسناده ضعف وجهالة ، ولا يصح هذا الحديث من وجه أعلمه مع غرابة متنه.

قال السهيلي مقوياً لهذا الحديث: وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام ، قال: « **الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** » وهو صحيح أخرجه البخاري (٦١٦٨) ومسلم (٢٦٤٠).

قال ابن كثير في «البداية والنهاية »(٤/ ١١) :

«وهذا من غريب صُنع السهيلي فإن هذا الحديث إنما يُرَاد به الناس ولا يسمي الجبل أمرأ ».

قلت «محمد»: استنباط السهيلي خطأ قطعاً فلا علاقة للحديث بما نحن بصدده .

وأخرج الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَنَفَّلَ سَيْفَهُ ذَا الفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ...الحديث.(١)

كان معه كما سيأتي قريباً إن شاء الله .

وقد ذكر الحافظ(٢) أنها كانت في شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور، وشذَّ من قال: أربع .

رؤيا النبي ﷺ بشأن غزوة أحد

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «**رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي**

---

(١) وهذا أخرجه الترمذي (٦٥٦١) وابن ماجة (٢٨٠٨) من حديث ابن عباس، وسنده حسن ودليل أن غزوة أحد كانت في السنة الثالثة من الهجرة ما أخرجه البخاري (٤٠٤٢) ومسلم (٢٢٩٦) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ، كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ المِنْبَرَ فَقَالَ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ،وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ**....الحديث .

وكان ذلك في آخر أيام رسول الله ﷺ .

فدلَّ ذلك علي أن غزوة أُحد كانت في السنة الثالثة ،لأنه ﷺ توفي في السنة العاشرة للهجرة .

وأخرج أحمد (٢٣٧٩٩) ومن طريقه الطبراني في «الأوسط » (٤٢٩٠) والحاكم (٣/ ٧١٧) وغيرهم بإسنادٍ حسن ،عن الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللهِّ بْنِ جُمَيْعٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الطُّفَيْلِ: «أَدْرَكْتُ ثَمَانِ سِنِينَ مِنْ حَيَاةِ رَسُولِ اللهِّ ﷺ، وَوُلِدْتُ عَامَ أُحُدٍ» وهذا متناسق مع الذي قبله ويؤكِّد أن غزوة أحد في السنة الثالثة، وفي أولها تقريباً،وهو رأي أكثر العلماء، والله أعلم .

(٢) في «الفتح» (٧/ ٤٢٧).

أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الفَتْحِ، وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا، وَاللهُ خَيْرٌ فَإِذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الخَيْرُ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ، الَّذِي آتَانَا اللهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ». (١)

مشاورة رسول الله ﷺ قبل غزوة أحد

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: تَنَفَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا جَاءَهُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ أُحُدٍ كَانَ رَأْيُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يُقِيمَ بِالْمَدِينَةِ يُقَاتِلُهُمْ فِيهَا فَقَالَ لَهُ نَاسٌ: لَمْ يَكُونُوا شَهِدُوا بَدْرًا أَتَخْرُجُ بِنَا يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ نُقَاتِلُهُمْ بِأُحُدٍ، وَرَجَوْا أَنْ يُصِيبُوا مِنَ الْفَضِيلَةِ مَا أَصَابَ أَهْلُ بَدْرٍ، فَمَا زَالُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى لَبِسَ أَدَاتَهُ فَنَدِمُوا وَقَالُوا:

يَا رَسُولَ اللهِ أَقِمْ فَالرَّأْيُ رَأْيُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَضَعَ أَدَاتَهُ بَعْدَ أَنْ لَبِسَهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ**» قَالَ: وَكَانَ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ قَبْلَ أَنْ يَلْبَسَ الْأَدَاةَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا**

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٦٢٢) ومسلم (٢٢٧٢).

الْمَدِينَةَ، وَأَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا، فَأَوَّلْتُهُ كَبْشَ الْكَتِيبَةِ، وَرَأَيْتُ أَنَّ سَيْفِي ذَا الْفَقَارِ، فُلَّ فَأَوَّلْتُهُ فَلًّا فِيكُمْ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، فَبَقَرٌ، وَاللهِ خَيْرٌ، فَبَقَرٌ وَاللهِ خَيْرٌ ».(١)

وعَلَّقه البخاريُّ (٢) في صحيحه تَعليقاً مُجزُومًا به فقال: وَشَاوَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فِي المُقَامِ وَالخُرُوجِ، فَرَأَوْا لَهُ الخُرُوجَ، فَلَمَّا لَبِسَ لَأْمَتَهُ وَعَزَمَ قَالُوا: أَقِمْ، فَلَمْ يَمِلْ إِلَيْهِمْ بَعْدَ العَزْمِ، وَقَالَ: «لاَ يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ يَلْبَسُ لَأْمَتَهُ فَيَضَعُهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ » (٣).

أي :لا ينبغي له أن ينصرف لأنه نقضٌ للتوكُّلِ الذي شرَطَه الله تعالي مع العزيمة فقال تعَالَىٰ: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ آل عمران.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ١٤١) وعنه البيهقي في «الكبري» وفي «الدلائل »(٣/ ٢٠٥) بهذا السياق بكامله وإسناده حسن ، وأخرج الجزءالأول منه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَفَّلَ سَيْفَهُ ذَا الفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ الَّذِي رَأَىٰ فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ.

الترمذي (٦٥٦١) وابن ماجة (٢٨٠٨) بإسناد حسن كذا مختصراً من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(٢) عقب حديث (٧٣٦٨) تحت باب قول الله تعالي «وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ» و «وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ»«وَأَنَّ المُشَاوَرَةَ قَبْلَ العَزْمِ وَالتَّبَيُّنِ لِقَوْلِهِ»: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَىَ اللهِ} [آل عمران: ١٥٩] «فَإِذَا عَزَمَ الرَّسُولُ ﷺ لَمْ يَكُنْ لِبَشَرٍ التَّقَدُّمُ عَلَىَ اللهِ وَرَسُولِهِ».

(٣) وقال الحافظ في «التعليق»(٥/ ٣٣٠) عن قصة المشاورة التي علقها البخاري له: « رويناها من حديث ابن عباس ثم ساق سند الحاكم هذا وهي صريحة ».

وأخرج النسائي وغيره [١] بإسنادٍ صحيحٍ علي شرط مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: اسْتَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي لَفِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ وَكَأَنَّ بَقَرًا تُنْحَرُ وَتُبَاعُ فَفَسَّرْتُ الدِّرْعَ الْمَدِينَةَ وَالْبَقَرَ نَفَرًا وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَوْ قَاتَلْتُمُوهُمْ فِي السِّكَكِ فَرَمَاهُمُ النِّسَاءُ مِنْ فَوْقِ الْحِيطَانِ**»

قَالُوا: فَيَدْخُلُونَ عَلَيْنَا الْمَدِينَةَ مَا دُخِلَتْ عَلَيْنَا قَطُّ وَلَكِنْ نَخرُج إِلَيْهِمْ قَالَ: «**فَشَأْنُكُمْ إِذًا**» قَالَ: ثُمَّ نَدِمُوا فَقَالُوا: رَدَدْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأْيَهُ فَأَتَوَا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأْيُكَ [٢] فَقَالَ: « **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَلْبَسَ لَأْمَتَهُ ثُمَّ يَضَعُهَا حَتَّى يُقَاتِلَ**».

تنبيه :

قد ورد من حديث عَنْ أَنَسٍ، رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا، وَكَأَنَّ ظُبَةَ سَيْفِي انْكَسَرَتْ، فَأَوَّلْتُ أَنِّي أَقْتُلُ صَاحِبَ الْكَتِيبَةِ**... فَقَتَل رسول الله ﷺ طلحة بن أبي طلحة، وَكان صاحب لواء المشركين وقُتِل حمزة بن عَبد المطلب رضي الله عنه .

ولكن هذا ضعيف سنداً [٣] .

رجوع المنافقين عن رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه الدارمي (٢٢٠٥) وأحمد (١٤٧٨٧) والنسائي في «الكبري» (٧٦٠٠) وابن سعد (٢/ ٣٥) وصحح إسناده الحافظ في «تغليق التعليق» .

(٢) وفي رواية ابن سعد: «شَأْنُكَ يَا رَسُولَ اللهِ» وكذا رواية أحمد وغيره .

(٣) أخرجه أحمد (١٣٧٨٧) والبزار في «البحر الزخار» (٧٤١٥) وغيرهما .

ذكر سبحانه رجوعهم هذا في كتابه

قال تعالي: {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ(١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

وسيأتي بيان ما قالوا بعد الغزوة.

وقد ورد أنهم ساروا مع النبي ﷺ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالشَّوْطِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأُحُدٍ، انْخَزَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بن سَلُولَ بِثُلُثِ النَّاسِ، وَقَالَ: أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي، مَا نَدْرِي عَلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ فَرَجَعَ بِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالرَّيْبِ، وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، أَخُو بَنِي سَلِمَةَ، يَقُولُ: يَا قَوْمِ، أذكِّركم اللهَ أَلَّا تَخْذُلُوا قومكم ونبيّكم عِنْدمَا حَضَرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَقَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ. قَالَ: فَلَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إِلَّا الِانْصِرَافَ عَنْهُمْ، قَالَ: أَبْعَدَكُمْ اللهُ أَعْدَاءَ اللهِ، فَسَيُغْنِي اللهُ عَنْكُمْ نَبِيَّهُ. (١).

وما وقفت لذلك علي أسانيد ثابتة مع شهرته فالله أعلم .

قال الطبري رحمه الله في تعليقه على الآية السابقة ما حاصله:

---

(١) انظر «سيرة ابن هشام »(٢/ ٥٦) وهي عدة مراسيل ضعيفه .

أن الله تَعَالَى ذِكْرُهُ بِذَلِكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ الْمُنَافِقَ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ رَجَعُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، حِينَ سَارَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ بِأُحُدٍ لِقِتَالِهِمْ، فَقَالَ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ: تَعَالَوْا قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ مَعَنَا، أَوِ ادْفَعُوا بِتَكْثِيرِكُمْ سَوَادَنَا، فَقَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَسِرْنَا مَعَكُمْ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنَّا مَعَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْقَوْمِ قِتَالٌ، فَأَبْدَوْا مِنْ نِفَاقِ أَنْفُسِهِمْ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ، وَأَبْدَوْا بِأَلْسِنَتِهِمْ بِقَوْلِهِمْ {لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ} [آل عمران: ١٦٧] غَيْرَ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ وَيُخْفُونَهُ، مِنْ عَدَاوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ ، والله الموفق .

وأخرج البخاري ومسلم (١) عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ، رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرْقَةً تَقُولُ: لاَ نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَتْ {فَمَا لَكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا} [النساء: ٨٨] وَقَالَ: «إِنَّهَا طَيْبَةٌ، تَنْفِي الذُّنُوبَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ».

فهذا دليل علي رجوع البعض ممن كان خرج مع رسول الله ﷺ فإذا لم يكن ابن سلول فيهم فمن يكون وهو كبير المنافقين في المدينة ؟.

وبسبب رجوع هؤلاء كادَ جماعةٌ من المؤمنين أن يفشلوا كما قال تعالي:

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ آل عمران.

---

(١) البخاري برقم (٤٠٥٠) ومسلم (٢٧٧٦).

قال جابر ﷺ، قَالَ: «نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا: {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ} [آل عمران: ١٢٢] بَنِي سَلِمَةَ، وَبَنِي حَارِثَةَ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ، وَاللهُ يَقُولُ: {وَاللهُ وَلِيُّهُمَا} [آل عمران: ١٢٢]. (١)

لقد أصاب المسلمون الغمَّ بسبب رجوع المنافقين ،لكن الله هو الولي ، والنصر من عنده يُهدِّئ الرَوعَ ويريحهم بالنُعاس، ويُطَمئنُ القلوب،أمنهم الله تعالي ...

وأخرج ابن أبي حاتم (٢) بسندٍ حسنٍ عن الزُّبَيْرُ ﷺ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ اشْتَدَّ الْخَوْفُ عَلَيْنَا، أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْنَا النَّوْمَ، فَمَا مِنَّا مِنْ

رَجُلٍ إلا ذقنه في صدره، قال: فو الله إِنِّي لأَسْمَعُ قَوْلَ مُعَتِّبِ بْنِ قُشَيْرٍ، مَا أَسْمَعُهُ إِلَّا كَالْحُلْمِ: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا، فَحَفَظَهَا مِنْهُ، وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ لَوْ كَانَ لَنَا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا لِقَوْلِ مُعَتِّبٍ.

وأخرج الترمذي (١) بإسنادٍ صحيح علي شرط مسلم عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: «رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أُحُدٍ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ، وَمَا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا يَمِيدُ تَحْتَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥١) ومسلم (٢٥٠٥).

(٢) في «تفسيره» (٤٣٧٣).

وفي« مسند البزار »(٩٧٣) بنفس السند عن الزبير ﷺ قال: قَالَ:« كُنْتُ مِمَّنْ يَعْتَرِيهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَا أَنْسَى أَنَّهُ أُسْمِعَ صَوْتَ مُعَتِّبِ بْنِ قُشَيْرٍ كَالْحُلُمِ » .

ورجاله معدَّلون ، وفيه ابن إسحاق مدلس ولم يصرِّح التحديث في هذا السند بخلاف الذي قبله، فقد صرَّح.

حَجَفَتِهِ مِنَ النُّعَاسِ»، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا} [آل عمران: ١٥٤].

وفي صحيح البخاري(٢) عن أَنَسٍ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ، قَالَ: غَشِينَا النُّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ .

وهذا يُبَيِّنُ اتفاق الروايات علي وقت النعاس منهم رضي الله عنهم

وتقدم قول عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ مِمَّنْ يَعْتَرِيهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ .

وضوح موقف المنافقين

قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: «وَأَخَذَ الْمُنَافِقُونَ عِنْدَ بُكَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَكْرِ وَالتَّفْرِيقِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَحْزِينِ الْمُسْلِمِينَ وَظَهَرَ غِشُّ الْيَهُودِ وَفَارَتِ الْمَدِينَةُ بِالنِّفَاقِ فَوْرَ الْمِرْجَلِ وَقَالَتِ الْيَهُودُ: لَوْ كَانَ نَبِيًّا مَا ظَهَرُوا عَلَيْهِ وَلَا أُصِيبَ مِنْهُ مَا أُصِيبَ وَلَكِنَّهُ طَالِبُ مُلْكٍ تَكُونُ لَهُ الدَّوْلَةُ وَعَلَيْهِ، وَقَالَ الْمُنَافِقُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ وَقَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ: لَوْ كُنْتُمْ أَطَعْتُمُونَا مَا أَصَابَكُمُ الَّذِينَ أَصَابُوا مِنْكُمْ فَأَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ فِي طَاعَةِ مَنْ أَطَاعَ، وَنِفَاقِ مَنْ نَافَقَ وَتَعْزِيَةِ الْمُسْلِمِينَ يَعْنِي فِيمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ

=

(١) برقم (٣٠٠٧).

(٢) برقم (٤٥٦٢).

فَقَالَ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾ آل عمران. (١)

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ، رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، (٢) وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرْقَةً تَقُولُ: لاَ نُقَاتِلُهُمْ، (٣) فَنَزَلَتْ {فَمَا لَكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا} [النساء: ٨٨] وَقَالَ: «**إِنَّهَا طَيْبَةٌ، تَنْفِي الذُّنُوبَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ**». (٤)

تنبيه:

تقدم بيان ضعف أن رسول الله ﷺ حَاصَرَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بن سَلُولَ، حِينَ أَمْكَنَهُ اللهُ مِنْهُمْ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْسِنْ فِي

---

(١) حكاه عنه ابن كثير في «البدية والنهاية» (٤/ ٥٧) والله أعلم.

(٢) يعني عبد الله بن أُبيّ وأصحابه.

(٣) وقد أورد الحافظ في «الفتح »(٧/ ٣٣٩)ط دار الحديث عن موسي بن عقبة في رواياته في «المغازي» أن عبد الله بن أُبي وافق رأيه رأي النبي ﷺ علي الإقامة بالمدينة، فلما أشار غيره بالخروج وأجابهم النبي ﷺ فخرج ، قال عبد الله بن أُبيّ لأصحابه: أطاعهم وعصاني علام نقتل أنفسنا ، فخرج بثلث الناس ، قال ابن إسحاق فأتبعهم عبد الله بن حرام والد جابر فناشدهم أن يرجعوا ، فأبوا فقال: أبعدكم الله .ولم أقف على سندٍ صحيح بذلك على شهرته، والله أعلم.

(٤) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٥٠).

مَوَالِيَّ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ، قَالَ: فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَحْسِنْ فِي مُوَالِيَّ، قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنْهُ. فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ دِرْعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتَ الْفُضُولِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَرْسِلْنِي، وَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى رَأَوْا لِوَجْهِهِ ظُلَلًا ، ثُمَّ قَالَ:« **وَيْحَكَ! أَرْسِلْنِي**» قَالَ: لَا وَاَللهِ لَا أُرْسِلُكَ حَتَّى تُحْسِنَ فِي مواليّ، أَربع مائَة حاسر، وَثَلَاث مائَة دَارِعٍ ، قَدْ مَنَعُونِي مِنْ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، إِنِّي وَاَللهِ امْرُؤٌ أَخْشَى الدَّوَائِرَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:« **هُمْ لَكَ** ».

فهذا مع شهرته إنما هو من المراسيل التي رواها ابن إسحاق[1] والله أعلم بصحتها، ولا يمكن لابن سلول أن يفعل نحو هذا وقد كَثُرَ عدد الصحابة الذين هابهم كفار قريش، وهم أكفر من اليهود الذين يحتمي فيهم ابن سلول وهم خارج المدينة، فكيف بمن في المدينة من اليهود؟ وهل يُطِن أمثال ابن سلول النفاق إلا بسبب الجُبن الذي منعه من أن يظهر الكفر الذي في داخله؟

فكيف يجرؤ على هذا ؟

أيترُكه أمثال أبي بكر أوعمر أوالمقداد أو السعدان وغيرهم من الصحابة، وهم لم يتركوا عروة بن مسعود الثقفي أن يفعل ما لا يداني هذا يوم الحديبية، أفكانوا يسكتون علي غضب النبي ﷺ دون أن يُنكِروا .....

---

(١) كما في«سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١) .

أو يُظهر رسول الله عجزة أمام ابن سلول بهذا المذكور في خطابه معه ... أرسلني ..هم لك...؟! لهذا أستبعد صحته والله أعلم .

وعلي كل وإن كان قد يُجَاب علي بعض هذا لكن الأسانيد لا تصح والله الموفق. وقد ذكر أن آيات الولاية في المائدة نزلت في هذا المقام قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ المائدة. ولا يصح.

رد النبي ﷺ صغار السن في هذه الغزوة

في الصحيحين[1] عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «عَرَضَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْقِتَالِ، وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجِزْنِي، وَعَرَضَنِي يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَجَازَنِي.[2]

وقد قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»:

« وَكَذَلِكَ رَدَّ يَوْمَئِذٍ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَالْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ وَأُسَيْدَ بْنَ ظُهَيْرٍ وَعَرَابَةَ بْنَ أَوْسِ بْنِ قَيْظِيٍّ...».[3]

---

(١) في صحيح البخاري (٤٠٩٧) ومسلم (١٨٦٨) .

(٢) وتمامه: قَالَ نَافِعٌ: فَقَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةٌ، فَحَدَّثْتُهُ هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا لَحَدٌّ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يَفْرِضُوا لِمَنْ كَانَ ابْنَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ فَاجْعَلُوهُ فِي الْعِيَالِ».

(٣) في «البداية والنهاية» (٤/ ١٨).

❁ وقد تخلَّف بعض الصحابةعن هذه الغزوة بغير قصد :

كجابر بن عبد الله فقد قال «لَمْ أَشْهَدْ بَدْرًا، وَلَا أُحُدًا مَنَعَنِي أَبِي، فَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ يَوْمَ أُحُدٍ، لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ قَطُّ ». (١)

وتقدم في ذكر إسلام سلمان الفارسي قال الراوي: ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرٌ، وَأُحُدٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ...الحديث». (٢)

فهؤلاء ابن عمر وجابر وسلمان الفارسي وغيرهم لم يحضروا هذه الغزوة ولكن لم يتخلفوا تخلف المنافقين وحاشاهم رضي الله عنهم .

إنما كانت لهم أعذار والله الموفق .

والنبي ﷺ لبس في هذه الغزوة درعـًا أو درعين:

فقد أخرج أبو داود(٣) بإسناد صحيح عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ رَجُلٍ قَدْ سَمَّاهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ظَاهَرَ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، أَوْ لَبِسَ دِرْعَيْنِ».

وهذا تقرير مذهب الأخذ بالأسباب

وقد ورد أنه ﷺ كان له راية سوداء.(١)

---

(١) وهو في صحيح مسلم (١٨١٣) .

(٢) وحديثه عند أحمد (٢٣٧٣٧) وقد تقدم.

(٣) برقم (٢٥٩٠) وغيره .

أما يوم دخوله مكة فكان لواؤه يوم دخل مكة أبيضاً.[٢]

تنبيه :

قد ذكر ابن هشام في «السيرة»[٣]أن شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد :

«أمت أمت»، ولكن لم أقف علي سند سالم يدل على أن هذا شعارهم يوم أحد إلا أنه كان شعار أبي بكر .

فقد أخرج ابن أبي شيبة وأبو داود بإسناد صحيح عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: « غَزَوْنَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ هَوَازِنَ فَكَانَ شِعَارُنَا: أَمُتْ، أَمُتْ ».[٤]

وليس فيه التقييد بيوم أحد

وورد عنده عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ شِعَارُنَا مَعَ خَالِدِ بْنِ

=

(١) كما في سنن أبي داود (٢٥٩١) ولفظه: عن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه يَسْأَلُهُ عَنْ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَاهِيَ؟ فَقَالَ: « كَانَتْ سَوْدَاءَ مُرَبَّعَةً مِنْ نَمِرَةٍ » وفي سنده ضعف، وهي حُجة خوارج عصرنا في اتخاذ راية سوداء مظلمة كمناهجهم السخيفة التي يُخَرِّبون بها البلاد، والله المستعان .

لكن ثبت عند أحمد(١٥٩٥٣) بسند حسن أن رايته ﷺ كانت سَوْدَاءُ تَخْفِقُ . ويوم القادسية كانت رايتهم سوداء، وكان أمير سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وهذا عند أحمد (١٢٣٤٤) بسندٍ يُحسن إن شاء الله تعالى، لكن اشتباه الراية بالراية لا يدل على صحة المنهج، فتنبَّه.

(٢) كما عند ابن أبي داود ٢٥٩٢) بسند ثابت.

(٣) «السيرة لابن هشام» (٢/ ٦١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٥٢٩) وأبو داود (٢٥٩٦) وغيرهما.

الْوَلِيدِ رضي الله عنه : أَمُتْ أَمُتْ » [١] وليس فيه تقييد بيوم أحد.والله أعلم

تهيئة النبي ﷺ مقاعد للمؤمنين:

قال الله تعالي لرسول الله ﷺ ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) ﴾ آل عمران.

أجلَس النبي ﷺ جيشًا من الرُمَاة وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا وأمَّر عليهم عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ وقال لهم:

«إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ.... الحديث ». [٢]

وسيأتي الحديث بطولة في ذكر ما حصل منهم ونتائجه في موطنه إن شاء الله .

قتال الملائكة مع الصحابة رضي الله عنهم ورؤية بعضهم لهم

أخرج البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: «رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيَاضٍ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ». [٣]

---

(١) وهذه إسنادها صحيح أيضاً (٦/ ٥٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٤٣).

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٥٠٥٤) ومسلم (٢٣٠٦) واللفظ له.

في ساحة الوغى { بداية غزوة أحد }

أخرج ابن إسحاق[١] بإسناد حسن عن عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أبيه الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما ، أَنَّهُ قَالَ: وَاَللهِ لَقَدْ رَأَيْتنِي أَنْظُرُ إِلَى خَدَمِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَة وَصَوَاحِبُهَا مُشَمَّرَاتٍ هَوَارِبُ، مَا دُونِ أَخْذِهِنَّ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ إِذْ مَالَتْ الرُّمَاةُ إِلَى الْعَسْكَرِ، حِينَ كَشَفْنَا الْقَوْمَ عَنْهُ وَخَلَّوْا ظُهُورَنَا لِلْخَيْلِ، فَأُتِينَا مِنْ خَلْفِنَا، وَصَرَخَ صَارِخٌ: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَانْكَفَأْنَا وَانْكَفَأَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ أَصَبْنَا أَصْحَابَ اللِّوَاءِ حَتَّى مَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنهم .

ويشهد لذلك رواية البخاري[٢] عن البراء بن عازب رضي الله عنه :قَالَ: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ، وَقَالَ: «**لاَ تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلاَ تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلاَ تُعِينُونَا**» فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ، قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لاَ تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا، وَأَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: «**لاَ تُجِيبُوهُ**» فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ قَالَ:

«**لاَ تُجِيبُوهُ**» فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ الخَطَّابِ؟ فَقَالَ:

---

(١) كما في «سيرة ابن هشام»(٢/ ٧٠)والبيهقي في «الدلائل النبوة» (٣/ ٢٢٨) والضياء في «المختارة»(٨٨٢) بسند حسن .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٤٣) .

إِنَّ هَؤُلاَءِ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَأَجَابُوا[١]، فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللهِ، أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: اعْلُ هُبَلُ، فَقَالَ النبيُ: «**أَجِيبُوهُ**» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: « **قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ** » قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا العُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَجِيبُوهُ**» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا اللهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ**» قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالحَرْبُ سِجَالٌ، وَتَجِدُونَ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي».

وفي صحيح البخاري[٢]عنه قال: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»، فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَاللهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ، قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ، رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمِ الغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالُوا: وَاللهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ

---

(١)وهذا يُنبئُك عن معرفة قدرَي أبي بكر وعمر القائمَين بالإسلام في مهده عند الكفار، عبدة الأصنام، وإنما هي معرفة لم يبلغها الروافض الذين يتنقَّصون منهما رضي الله عنهما، وهذه نكايتهما للكفار لصالح الإسلام وأهله،قدعرفها الكفار، أبصرها وأبصر الروافض وأفاعيلهم في الإسلام، ووالله ما قام للمسلمين عدو يحتّل بلاد الإسلام إلا كانوا معه على الإسلام، ولا والله ما فتحوا من بلاد الكفر مدينة،وهذه آثارهم، إنما همُّهم وشُغلُهم: الطعن في أصحاب النبي ﷺ، ولعن بعضهم، وكم للإسلام من صرح قد هدموه – قبَّحهم الله وأخزاهم- .

(٢) برقم (٤٥٦١) .

الغَنِيمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا.

وأخرج أحمد [(١)] بإسناد حسن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: مَا نَصَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي مَوْطِنٍ، كَمَا نَصَرَ يَوْمَ أُحُدٍ. قَالَ: فَأَنْكَرْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَيْنِي وَبَيْنَ مَنِ أَنْكَرَ ذَلِكَ كِتَابُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي يَوْمِ أُحُدٍ [{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ} [آل عمران: ١٥٢]- يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَالْحَسُّ: الْقَتْلُ - {حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ} [آل عمران: ١٥٢]- إِلَى قَوْلِهِ - {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٥٢]، وَإِنَّمَا عَنَى بِهَذَا الرُّمَاةَ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَامَهُمْ فِي مَوْضِعٍ، ثُمَّ قَالَ:

«**احْمُوا ظُهُورَنَا، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ، فَلا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلا تُشْرِكُونَا**» فَلَمَّا غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبَاحُوا عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ، أَكَبَّ الرُّمَاةُ جَمِيعًا، فَدَخَلُوا فِي الْعَسْكَرِ يَنْهَبُونَ، وَقَدِ الْتَقَتْ صُفُوفُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَهُمْ كَذَا - وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ - وَالْتَبَسُوا، فَلَمَّا أَخَلَّ الرُّمَاةُ تِلْكَ الْخَلَّةَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، دَخَلَتِ الْخَيْلُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالْتَبَسُوا، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَقَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ أَوَّلُ النَّهَارِ، حَتَّى قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ لِوَاءِ الْمُشْرِكِينَ سَبْعَةٌ، أَوْ تِسْعَةٌ،

---

(١) في «المسند» (٢٦٠٩) والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٣٠١ رقم (١٠٧٣١) والحاكم (٢/ ٣٢٤) والضياء في «المختارة» (١١/ ١٦٤) والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٦٩) وغيرهم.

وله شواهد من وجوه كثيرة كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٢٨).

وَجَالَ الْمُسْلِمُونَ جَوْلَةً نَحْوَ الْجَبَلِ، وَلَمْ يَبْلُغُوا حَيْثُ يَقُولُ النَّاسُ الْغَارَ، إِنَّمَا كَانُوا تَحْتَ الْمِهْرَاسِ، وَصَاحَ الشَّيْطَانُ: قُتِلَ مُحَمَّدٌ، فَلَمْ يُشَكَّ فِيهِ أَنَّهُ حَقٌّ، فَمَا زِلْنَا كَذَلِكَ مَا نَشُكُّ أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ، حَتَّى طَلَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ السَّعْدَيْنِ نَعْرِفُهُ بِتَكَفُّئِهِ إِذَا مَشَى، قَالَ: فَفَرِحْنَا حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يُصِبْنَا مَا أَصَابَنَا، قَالَ: فَرَقِيَ نَحْوَنَا، وَهُوَ يَقُولُ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَ رَسُولِهِ**» قَالَ: وَيَقُولُ مَرَّةً أُخْرَى: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُم أَنْ يَعْلُونَا**» حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا فَمَكَثَ سَاعَةً، فَإِذَا أَبُو سُفْيَانَ يَصِيحُ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ: اعْلُ هُبَلُ - مَرَّتَيْنِ، يَعْنِي آلِهَتَهُ - أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ؟ أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ أَيْنَ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلا أُجِيبُهُ؟ قَالَ: «**بَلَى**»(١) فَلَمَّا قَالَ: اعْلُ هُبَلُ، قَالَ عُمَرُ: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ قَدِ انْعَمَتْ عَيْنُهَا، فَعَادِ عَنْهَا، أَوْ فَعَالِ عَنْهَا، فَقَالَ: أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ؟ أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ أَيْنَ ابْنُ الْخَطَّابِ؟

فَقَالَ عُمَرُ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ، وَهَا أَنَا ذَا عُمَرُ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، الْأَيَّامُ دُوَلٌ، وَإِنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ.

قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: لَا سَوَاءً، قَتْلانَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَتْلاكُمْ فِي النَّارِ. قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَزْعُمُونَ ذَلِكَ، لَقَدْ خِبْنَا إِذَنْ وَخَسِرْنَا. ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَمَا إِنَّكُمْ سَوْفَ تَجِدُونَ

---

(١) يبعده ﷺ عن الردِّ عما يكون فيه حَظّاً للنفس. وفي الرواية الآتية نهاهم أن يجيبوه. فلما قال اعْلُ هُبَلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَجِيبُوهُ**»، أمر بإجابته نصرة للإسلام، وتنقيصاً للطواغيت .أرأيت تعليم النبي ﷺ لهم هضم حظِّ النفس؟!

فِي قَتْلاكُمْ مُثْلًا، وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ رَأْيِ سَرَاتِنَا. قَالَ: ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَانَ ذَاكَ، وَلَمْ نَكْرَهْهُ» .

❁ تفصيل ماحصل من الرُّماة

أخرج أحمد والبخاري عن الْبَرَاء بْن عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الرُّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا، عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ قَالَ: وَوَضَعَهُمْ مَوْضِعًا وَقَالَ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَى الْعَدُوِّ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**» ، قَالَ: فَهَزَمُوهُمْ. قَالَ: فَأَنَا وَاللهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ عَلَى الْجَبَلِ، وَقَدْ بَدَتْ أَسْوُقُهُنَّ وَخَلَاخِلُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الْغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمُ الْغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ، فَمَا تَنْظُرُونَ؟

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالُوا: إِنَّا وَاللهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ، صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ رَجُلًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً: سَبْعِينَ أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا.

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ ثَلَاثًا، فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ، فَقَدْ قُتِلُوا وَقَدْ كُفِيتُمُوهُمْ، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ أَنْ

قَالَ: كَذَبْتَ وَاللهِ يَا عَدُوَّ اللهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ، فَقَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا، وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: اعْلُ هُبَلُ، اعْلُ هُبَلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُونَهُ؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**».

قَالَ: إِنَّ الْعُزَّى لَنَا، وَلَا عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُونَهُ؟**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ**».(١)

مقتل حمزة أسد الله رضي الله عنه (٢)

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا حِمْصَ، قَالَ لِي عُبَيْدُ اللهِ بن عَدِيٍّ: هَلْ لَكَ فِي وَحْشِيٍّ، نَسْأَلُهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ؟

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (١٨٥٩٣) والبخاري (٣٠٣٩) والنسائي في «الكبرى» (٨٥٨١) وغيرهم.

(٢) وهو أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة أرضعتهما ثويبة.

فقد أخرج البخاري (٥١٠٠) ومسلم (١٤٤٧) عن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَلاَ تَتَزَوَّجُ ابْنَةَ حَمْزَةَ؟ قَالَ: «**إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ**».

وَقَالَ عَلِيٌّ: أَلاَ تَتَزَوَّجُ بِنْتَ حَمْزَةَ؟ قَالَ: «**إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ**»وفي رواية مسلم (١٤٤٨) عن أم سلمة قالت:

قيل لرسول الله أين أنت يارسول الله عن ابنة حمزة ــ أو قيل ألا تخطب بنت حمزة بن عبد المطلب ؟ قال « **إِنَّ حَمْزَةَ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ**».

قُلْتُ: نَعَمْ، وَكَانَ وَحْشِيٌّ يَسْكُنُ حِمْصَ، فَسَأَلْنَا عَنْهُ، فَقِيلَ لَنَا: هُوَ ذَاكَ فِي ظِلِّ قَصْرِهِ، كَأَنَّهُ حَمِيتٌ، قَالَ: فَجِئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَيْهِ بِيَسِيرٍ، فَسَلَّمْنَا فَرَدَّ السَّلاَمَ، قَالَ: وَعُبَيْدُ اللهِ مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَتِهِ، مَا يَرَى وَحْشِيٌّ إِلَّا عَيْنَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ: يَا وَحْشِيُّ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: لاَ وَاللهِ، إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ عَدِيَّ بْنَ الخِيَارِ تَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا أُمُّ قِتَالٍ بِنْتُ أَبِي العِيصِ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلاَمًا بِمَكَّةَ، فَكُنْتُ أَسْتَرْضِعُ لَهُ، فَحَمَلْتُ ذَلِكَ الغُلاَمَ مَعَ أُمِّهِ فَنَاوَلْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَكَأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى قَدَمَيْكَ، قَالَ: فَكَشَفَ عُبَيْدُ اللهِ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلاَيَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ، وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ، خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى القِتَالِ، فَلَمَّا أَنِ اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ، خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟

قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ، أَتُحَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ قَالَ: ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ، فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ، قَالَ:

وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي،فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ[1] حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ، قَالَ: فَكَانَ ذَاكَ العَهْدَ بِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ، فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَا فِيهَا الإِسْلاَمُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَسُولًا، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لاَ يَهِيجُ الرُّسُلَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ:

(١) ثنته: عانته وقيل ما بين السُّرة والعانة.

«**آنْتَ وَحْشِيٌّ**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ:

«**أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ**» قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ[(١)]، قَالَ:

«**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي**» قَالَ: فَخَرَجْتُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ، قُلْتُ: لَأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ، لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ، كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ ثَائِرُ الرَّأْسِ، قَالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، قَالَ: وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ[(٢)] فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الفَضْلِ: فَأَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، يَقُولُ:

« فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ: وَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قَتَلَهُ العَبْدُ الأَسْوَدُ »[(٣)]

تنبيه ١:

اشتهر أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيَّ حَامِلَ لِوَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ دَعَا إِلَى الْبِرَازِ فَأَحْجَمَ عَنْهُ النَّاسُ فَبَرَزَ إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فَوَثَبَ حَتَّى صَارَ مَعَهُ عَلَى جَمَلِهِ، ثُمَّ اقْتَحَمَ بِهِ الْأَرْضَ فَأَلْقَاهُ عَنْهُ وَذَبَحَهُ بِسَيْفِهِ فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ

(١) أنظر إلى حسن أسلوب وحشي رضي الله عنه وأدبه في الخطاب مع النبي ﷺ .

(٢) وقد جزم الحافظ في «البداية والنهاية» (٤/ ٢١) بأن الأنصاري هو أبو دجانة سماك بن خرشة كما سيأتي .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٧٢) .

قيل: إن المشهور أن وحشياً هو الذي بدره بالضربة وذفف عليه أبو دجانة .

قَالَ «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حِوَارِيًّا وَحِوَارِيِّ الزُّبَيْرُ**» وَقَالَ: لَوْ لَمْ يَبْرُزْ لَبَرَزْتُ أَنَا إِلَيْهِ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ إِحْجَامِ النَّاسِ عَنْهُ. وهذا لا يصح سنده.(١)

وإنما الوارد في شأن هذه المنقبة للزبير رضي الله عنه ما رواه جابر رضي الله عنه قال:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ**». فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْر**...الحديث ».(٢)

فهذا في غزوة الأحزاب لا أحد ومعني انتدب:أي دعاهم فأجابه الزبير رضي الله عنه

تنبيه:٢

أخرج ابن أبي شيبة (٣)وغيره عن ابن مسعود في ذكر قصته الطويلة قول أبي سفيان بن حرب يوم أحد: قَدْ كَانَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ لَعَنْ غَيْرِ مَلَإٍ مِنِّي، مَا أَمَرْتُ وَلَا نَهَيْتُ، وَلَا أَحْبَبْتُ وَلَا كَرِهْتُ، وَلَا سَاءَنِي وَلَا سَرَّنِي، قَالَ: فَنَظَرُوا فَإِذَا حَمْزَةُ قَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ، وَأَخَذَتْ هِنْدُ كَبِدَهُ فَلَاكَتْهَا فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَأْكُلَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا**»؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: «**مَا كَانَ اللهُ لِيُدْخِلَ شَيْئًا مِنْ حَمْزَةَ النَّارَ**»، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَمْزَةَ فَصَلَّى عَلَيْهِ، وَجِيءَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَوُضِعَ إِلَى جَنْبِهِ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَرُفِعَ الْأَنْصَارِيُّ وَتُرِكَ حَمْزَةُ، ثُمَّ جِيءَ بِآخَرَ

---

(١) وإنما هو عن ابن إسحاق مرسلاً فيما ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية».

(٢) أخرجه البخاري (٤١١٣)و مسلم (٢٤١٥).

(٣) في «المصنَّف» (٧/ ٣٧١) وأحمد (٤٤١٤) وابن سعد في« طبقاته» (٣/ ١٣).

فَوَضَعَهُ إِلَى جَنْبِ حَمْزَةَ فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ رُفِعَ وَتُرِكَ حَمْزَةُ ، حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ صَلَاةً ».

وإسناد هذا منقطع بين الشعبي وابن مسعود، وفيها ألفاظ منكرة منها: أن هند رضي الله عنها ستدخل النار، ولقصة تتناول هند كبد حمزة شاهد مرسلاً.(١)

ومع ذلك فالأظهر أن هذا لم يحصل منه شئ وإن كان لمحسِّن الحديث بالطُّرق وجه، ولكن فيه ضعف بذكر قوله ﷺ في ذلك «مَا كَانَ اللهُ لِيُدْخِلَ شَيْئًا مِنْ حَمْزَةَ النَّارَ» الذي مفاده أن هند ستدخل النار مع أنها داخلة مع من قال الله فيهم: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح،والله أعلم

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحديد.

ومثله أيضًا: أنها قطعت الأنف والأذن وجعلتها عقداً علي رقبتها هي وإمائها ،فلم يحصل شيئًا من ذلك بإسنادٍ أعلمه صحيحًا علي شهرته علي ألسنة القُصَّاص، والوُعَّاظ .

ثم إن الموقف لا يَحتَمل فلم يستمرّوا كثيراً حتي اجتمع الصحابة رضي الله عنهم وأعادوا الكرَّة علي الكفار،حتي هرب الرجال كما في ثنايا القصة، فكيف

---

(١) أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٣/ ١٢)، وآخر أخرجه ابن اسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٨٩).

بالنساء؟ والله أعلم بتفاصيل ذلك، ولكن التمثيل
بجثة حمزة وغيره ثابت صحيح تقدم .

لكن لا أعلم أن هند لاكت كبده رضي الله عنه وعن الجميع، بل لا أعلم أن هند بن عتبة استأجرت وحشي بن حرب لقتل حمزة وقد صرَّح هو أن الذي استأجره هو جبير بن مطعم .

وأما هند فكما سيأتي في « فتح مكة » لم يعاملها ﷺ بهذه المعاملة، بل قالت له- كما في الصحيحين [1]- : يَا رَسُولَ اللهِ وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يُذِلَّهُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ وَمَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يُعِزَّهُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَأَيْضًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**».

فلو كانت شاركت أو حرَّضت علي قتل حمزة ـ كما هو مشهور في الكتب لعاملها بنفس معاملت لوحشي بن حرب من باب أولى، والله .

وقد يُعتَرض علي هذا بأنه ﷺ ما عامل جبير بن مطعم رضي الله عنه - وهو المُحَرِّض- بنفس المعاملة، وهو اعتراضٌ وجيهٌ، وإلا فلا يُعلَم شدَّته ﷺ علي جبير بن مطعم حين أسلم، بل إنه أول ما رآه، رآه وهو كافر في الأسرى والمقصود أن هند رضي الله عنها بريئة من تأجير قاتل حمزة،ومن تناولِها لكبد حمزة رضي الله عنه .

---

(١) صحيح البخاري (٣٨٢٥) ومسلم (١٧١٤).

وقد غفل مصطفي بن العدوي عن معني المتن الذي مفاده أن هند رضي الله عنها ستدخل النار فحسَّنه لغيره [١] مع أنه قوَّى سنداً منقطعاً بسند مرسل، ومحتمل أن يكون الذي سقط من المرسل هو الساقط من المنقطع فيعود سند هذا إلى الساقط إلى السند الآخر راويهما واحد، فيكون قد قَوَّى الأثرَ بنفسه لا بغيره، فوجه التقوية ضعيف جداً،لا سيما وفيه الجزم بدخول هند بنت عتبة رضي الله عنها النار، فتنبَّه.

التمثيل بجُثث بعض المسلمين غير حمزة رضي الله عنهم

في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، جِيءَ بِأَبِي مُسَجًّى، وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، قَالَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوْبَ، فَنَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوْبَ، فَنَهَانِي قَوْمِي، فَرَفَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَوْ أَمَرَ بِهِ فَرُفِعَ فَسَمِعَ صَوْتَ بَاكِيَةٍ أَوْ صَائِحَةٍ، فَقَالَ: «**مَنْ هَذِهِ؟**» فَقَالُوا بِنْتُ عَمْرٍو، أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو، فَقَالَ: «**وَلِمَ تَبْكِي؟ فَمَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ**.. [٢]

فالتمثيل ببعض الجُثث- لكن بغير تقطيع الأنوف والأذان وجعلهاعقوداً.

ومن غير أن تُلاك- لحمزة ولغيره من الصحابة رضي الله عنهم ثابت والله أعلم .

وخرج أبو سفيان يقول فيما تقدم «إن في القوم مثله ».

وفي مسند أحمد بسند حسن عن الزبير بن العوام رضي الله عنه في ذكر صفية

---

(١) في كتابه «فضائل الصحابة »صـ٢٠١.

(٢) برقم (٢٤٧١).

رضي الله عنهما لما أشرفت علي القتلي وأرسلت ثوبين لتكفين حمزة ولفظه قَالَ: فَجِئْنَا بِالثَّوْبَيْنِ لِنُكَفِّنَ فِيهِمَا حَمْزَةَ، فَإِذَا إِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَتِيلٌ، قَدْ فُعِلَ بِهِ كَمَا فُعِلَ بِحَمْزَةَ، قَالَ: فَوَجَدْنَا غَضَاضَةً وَحَيَاءً أَنْ نُكَفِّنَ حَمْزَةَ فِي ثَوْبَيْنِ، وَالْأَنْصَارِيُّ لَا كَفَنَ لَهُ، فَقُلْنَا: لِحَمْزَةَ ثَوْبٌ، وَلِلْأَنْصَارِيِّ ثَوْبٌ...الحديث»[(١)].

فهذا يُؤكِّد وجود مُثلَه في القوم يوم أحد في أكثر من شخص، ولكن مع هذا لم أجد سنداً ثابتـًا فيه أن هند بنت عتبة لاكت كبد حمزة رضي الله عنه.

كما لم يصح: قول أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِحَمْزَةَ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ:« **لَوْلَا أَنِّي أَخْشَى أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةُ فِي نَفْسِهَا لَتَرَكْتُهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الْعَافِيَةُ، فَيُحْشَرَ مِنْ بُطُونِهَا**»[(٢)]

وفي رواية :«لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةُ، وَيَكُونُ سُنَّةً مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ، حَتَّى يَكُونَ فِي بِطُونِ السِّبَاعِ، وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ...».[(٣)]

ولكن أبصر الفرق بين محاسن الإسلام وغيره من المِلَل.

فها هو النبي ﷺ نَهَى عَنِ النُّهْبَى وَالمُثْلَة وهذا ثابت مقَرَّر في الشريعة =

---

(١) برقم (١٤١٨).

(٢) أخرجه الترمذي (١٠١٦) وأبو داود (٣١٣٦) ولكنه معلول، وصَوَّب البخاري وجهـًا رواه في «الصحيح» (١٣٤٣) ليس فيه اللفظ المذكور والله أعلم.

(٣) أخرج هذه الرواية ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٩٥).

= كما في حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه [١]. وثم أحاديث أخري في النهي عن ذلك ليس هذا موطن جمعها .

بل هي وصية رسول الله ﷺ لأميرة إذا بعثه للجهاد قَالَ ﷺ: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا....**». [٢]

فالنهي عن المُثلَه ثابتٌ في غزوة أُحدٍ بالمسلمين، ولكن الكفَّار لا شهامة عندهم، ولا إنسانية بل بهيمية.

موقف أبي دجانة رضي الله عنه في غزوة أحد

وَكَانَ أَبُو دُجَانَة رجلاً شجاعـاً يختال عِنْد الْحَرْب وَكَانَ إِذا أَعلَم بعصابة لَهُ حَمْرَاء يعصب بهَا رَأسه فَإِذا رَأَوْا ذَلِك علمُوا أَنه سيُقاتل.

أخرج ابن أبي شيبة ومسلم عَنْ أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه :أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ:«**مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟**» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟**» قَالَ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ. فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ[٣] » أي شقَّ رؤوسَهُم به.

---

(١) وهو في صحيح البخاري (٢٤٧٤) ومسلم (٢٤٧١).

(٢) صحيح أخرجه مسلم (١٧٣١).

(٣) وأخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٦٩) أيضاً وهو علي شرط مسلم، هو فيه بلفظه برقم (٢٤٧٠)

تنبيه:

ورد أَنَّ أَبَا دُجَانَةَ يَوْمَ أُحُدٍ أَعْلَمَ بِعِصَابَةٍ حَمْرَاءَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُخْتَالٌ فِي مِشْيَتِهِ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهَا مِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ**»(١).

فهذا لا يصح له سند مع شهرته علي ألسنة القُصَّاص فالتبختر والكبر محرم في كل مقام لأنه منازعة في صفات الرب، بل يقال: إن هذا موضع السكينة والتضرُّع والبكاء والزلَّة لله تعالي ليَمُنَّ بالنصر عليهم كما فعل رسول الله ﷺ قبيل غزوة أحد، وقبيل غزوة بدر، وفي مواطن الشدَّة كما هو واضح، ويستحيل أن يكون هدي أحدٍ من أصحابه رضي الله عنهم أكمل من هديه ﷺ، وإنما يُستجلَب النصر بالتواضع لله، والغضب وتوقي الكبر، فأين صحة سند هذا قبل نشره لتجويز التمثيل بصفة الرب(الكبرياء) ومنازعته فيها؟ ولو سلَّمنا جدلاً أن بعض العلماء قاله، هل يُقبل منه وهو لم يصح سنده؟.

وأخرج مسلم(١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**».

---

(١) فقد أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١٥٤)والطبراني في «الكبير» (٧/ ١٠٤) رقم (٦٥٠٨) وفي سنده إرسال وجهالة، وقد قال الهيثمي في «المجمع»(٦/ ١٠٩): « في سنده من لم أعرفه».

وله طريق آخر أخرجه ابن إسحاق في«السيرة» (ص٣٢٦) ومن طريقة البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٣٣) وفي سنده مجهول .

وهذا عام في كل وقت،وقت حرب أو وقت سلم. فأين الدليل الصحيح المُخَصِّص لهذا العام؟. وفَرِّق بين التواضع وإظهار العزة،بارك الله فيك .

❁ كذلك ما ورد أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَرَضَ يَوْمَئِذٍ سيفه، فقال: من يأخذه بِحَقِّهِ؟ قَالُوا وَمَا حَقُّهُ قَالَ يَضْرِبُ بِهِ إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ.

فَقَالَ عُمَرُ- زَعَمُوا-: أَنَا آخُذُهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ عَرَضَهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا آخُذُهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَوَجَدَ عُمَرُ وَالزُّبَيْرُ فِي أَنْفُسِهِمَا مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَضَهُ الثَّالِثَةَ بِذَلِكَ الشَّرْطِ فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أخو بني ساعدة: أن آخُذُهُ يَا رَسُولَ الله بِحَقِّهِ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ فَصَدَقَ بِهِ حِينَ لَقِيَ الْعَدُوَّ وَأَعْطَى السَّيْفَ بِحَقِّهِ.

فهذا سياق سنده منكر [٢].

=

(١) برقم (٢٦٢٠).

(٢) أورده البيهقي في «دلائل النبوة»(٣/ ٢١٥) بغير سند ، وبنحوه قال ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٦٦)، ثم وقفت عليه مسنداً أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار الجزء المفقود» (١٠١٩) من طريق عبيد الله بن الْوَازِع، عَن هِشَام بن عُرْوَة، عَن أَبِيه، قَالَ: قَالَ الزبير: « عرض رَسُول الله - ﷺ - سَيْفا فِي يَده يَوْم أحد، فَقَالَ: « **من يَأْخُذ هَذَا السَّيْف بِحقِّهِ؟** » قَالَ: « فَقُمْت؛ فَقلت: أَنا يَا رَسُول الله {قَالَ: فَأَعْرض عني، ثمَّ قَالَ: « **من يَأْخُذ هَذَا السَّيْف بِحقِّهِ؟** »قَالَ: فَقُمْت؛ فَقلت: أَنا يَا رَسُول الله، قَالَ: فَأَعْرض عني، ثمَّ قَالَ: «**من يَأْخُذ هَذَا السَّيْف بِحقِّهِ؟** » قَالَ: فَقَامَ أَبُو دُجَانَة سماك بن خَرشَة فَقَالَ: أَنا آخذه بِحقِّهِ، قال: وَمَا حَقه؟ قَالَ:«**حَقه:أَلا تقتل بِهِ مُسلما، وَألا تَفِر بِهِ عَن كَافِر**» قَالَ: فَدفعهُ إِلَيْهِ....

وما معني، أن عمر أو الزبير يطلبه فيُعرض عنهما رسول الله ﷺ مع تقدُّمهما وشهرتهما بالأهلية عن أبي دجانة رضي الله عنهم جميعًا.

فالذي حصل أنه ﷺ قَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟**» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟**» قَالَ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ. فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا...الحديث.

ليس فيه إعراض رسول الله ﷺ عن عمر والزبير رضي الله عنهما ، فتنبَّه، والله أعلم.

حكاية تغسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه

أخرج ابن حبان والحاكم [1] بإسناد حسن عن عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: وَقَدْ كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى بَعْضُهُمْ إِلَى دُونِ الْأَعْرَاضِ-عَلَى جَبَلٍ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ- ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ كَانَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الْتَقَى هُوَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فَلَمَّا اسْتَعْلَاهُ حَنْظَلَةُ رَآهُ شَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، فَعَلَاهُ شَدَّادٌ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ، وَقَدْ كَادَ يَقْتُلُ أَبَا سُفْيَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ حَنْظَلَةَ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَسَلُوا**

=

وفي سنده عبيد الله بن الوازع ،وهو مجهول، ورواه بهذا السند المنكر الذي لا يشك أنه مما عملته اليد والله أعلم .

(١) أخرجه ابن حبان (٧٠٢٥) والحاكم (٣/ ٢٢٥) والبيهقي في «الكبري» (٤/ ٢٢) .

وعبد الله بن الزبير وإن كان لم يشهد الواقعة فسنُّه يومها كان ثلاث سنوات، لأنه ولد عام الهجرة فهو مرسل صحابي لا يضر .

صَاحِبَتَهُ»، فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «فَذَاكَ قَدْ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ».

وسيأتي ذكر حديث محمود بن لبيد في بيان فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه

قوله ﷺ: «أَخْشَى أَنْ تَسْبِقَنَا الْمَلَائِكَةُ كَمَا سَبَقَتْنَا إِلَى حَنْظَلَةَ...الحديث»[1].

وهو دليل أيضاً على تغسيل الملائكة لحنظلة رضي الله عنه .

وتقدَّم قولُ أنس بن مالك رضي الله عنه : «افْتَخَرَ الْحَيَّانِ مِنَ الْأَنْصَارُ: الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، فَقَالَتِ الْأَوْسُ: مِنَّا غَسِيلُ الْمَلَائِكَةِ حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ، وَمِنَّا مَنِ اهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَمِنَّا مَنْ حَمَتْهُ الدَّبْرُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ، وَمِنَّا مَنْ أُجِيزَتْ شَهَادَتُهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ. وَقَالَ الْخَزْرَجِيُّونَ: مِنَّا أَرْبَعَةٌ جَمَعُوا الْقُرْآنَ».[2]

ما أصيب به النبي ﷺ يوم أُحد يوم البلاء والتمحيص

أخرج ابن إسحاق في «السيرة»[1] بسند حسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال:

---

(١) أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٣/ ٣٢٣) بسند صحيح إلى عاصم بن عمر بن قتادة ، ولكنه الطبقة التي تلي الوسطى من التابعين، وسيأتي مزيد .

(٢) أخرجه أبو يعلى (٢٩٥٣) وقد تقدم سياقه بطوله ، وقد ذكر في صحيح البخاري (٥٠٠٣) وفي رقم (٥٠٠٤) أن ذلك وقت وفاة رسول الله ﷺ لم يجمع القرآن غير هؤلاء الأربعة .

وفي صحيح مسلم (٢٤٦٥) حديث أنس في عدِّ الأربعة الذين جمعوا القرآن .

وأما ذكر عاصم وأن الدبَر حَمَته، فهذا في صحيح البخاري (٣٠٤٥) وسيأتي في موطنه إن شاء الله.

كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ! فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾** آل عمران: ١٢٨.

وفي رواية البخاري [٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ، يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

وفي صحيح البخاري [٣] عن سهل رضي الله عنه قال: « لَمَّا كُسِرَتْ بَيْضَةُ النَّبِيِّ ﷺ [٤] عَلَى رَأْسِهِ، وَأُدْمِيَ وَجْهُهُ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ [٥]، وَكَانَ عَلِيٌّ يَخْتَلِفُ بِالْمَاءِ فِي المِجَنِّ، [٦] وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَغْسِلُهُ، فَلَمَّا رَأَتِ الدَّمَ يَزِيدُ عَلَى المَاءِ كَثْرَةً، عَمَدَتْ إِلَى حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا عَلَى جُرْحِهِ، فَرَقَأَ [٧] الدَّمُ ﷺ ». [٨]

=

(١) كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٢٥).

(٢) برقم(٤٠٧٣) ومسلم (١٧٣٩).

(٣) برقم (٢٩٠٣).

(٤) البيضة الخوذة.

(٥) رباعيته: أي السن التي بين الثنية والناب، والثنية أحدق السنين اللتين في مقدمة الفم.

(٦) المجن: أي الترس يعني كان علي يسكب الماء بالمجن كما في رواية البخاري (٤٠٧٥).

(٧) فرقا: أي سكن عن الجَري وانقطع.

(٨) وأخرجه مسلم (١٧٩٠) أيضاً.

وفي رواية البخاري [١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَبِيلِ اللهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ**».

وفي صحيح مسلم [٢] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ،[٣] قَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟**» - أَوْ «**هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ**» -، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟**» - أَوْ «**هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ**» -، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ[٤]:

«**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا**». كذا بإسكان الفاء.

أي: ما أنصفت قريش الأنصار لكون القرشيين لم يخرجوا للقتال بل خرجت الأنصار واحداً بعد واحد.

وذكر بعض العلماء ضبطها: «**ما أنصَفَنا**» بفتح الفاء والمراد علي هذا: ما أنصفنا الذين فَرُّوا من القتال، لم يُنصِفوا لفرارهم .

---

(١) برقم (٤٠٧٤).

(٢) برقم (١٧٨٩) .

(٣) أي غَشَوة وقَرُبوا منه .

(٤) أي لصاحبه القرشيين .

وقد أخرج الطبراني[١] بسند جوَّده الحافظ ابن حجر[٢] عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: لَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ بَقِيَ مَعَهُ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ وَهُوَ يَصْعَدُ فِي الْجَبَلِ، فَلَحِقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ: «**أَلَا أَحَدٌ لِهَؤُلَاءِ؟**» فَقَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**كَمَا أَنْتَ يَا طَلْحَةُ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: «أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَامَ عَنْهُ، وَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ مَنْ بَقِيَ مَعَهُ، ثُمَّ قُتِلَ الْأَنْصَارِيُّ فَلَحِقُوهُ، فَقَالَ: «**أَلَا أَحَدٌ لِهَؤُلَاءِ؟**» فَقَالَ طَلْحَةُ مِثْلَ قَوْلِهِ الْأَوَّلِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَهُ مِثْلَ قَوْلِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَاتَلَ مِثْلَ قِتَالِهِ وَقِتَالِ صَاحِبِهِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْعَدُ وَأَصْحَابُهُ يَصْعَدُونَ، ثُمَّ قُتِلَ، فَلَحِقُوهُ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ مِثْلَ قَوْلِهِ الْأَوَّلِ، وَيَقُولُ طَلْحَةُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَيَحْبِسُهُ، وَيَسْتَأْذِنُهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لِلْقِتَالِ، وَيَأْذَنُ لَهُ، فَيُقَاتِلُ مِثْلَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا طَلْحَةُ، فَغَشَوْهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لِهَؤُلَاءِ؟**» فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، فَقَاتَلَ مِثْلَ قِتَالِ جَمِيعِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، وَأُصِيبَ بَعْضُ أَنَامِلِهِ، فَقَالَ: حِسْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا طَلْحَةُ، لَوْ قُلْتَ: بِسْمِ اللهِ، أَوْ ذَكَرْتَ اللهَ لَرَفَعَتْكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، حَتَّى تَلِجَ بِكَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ**»، ثُمَّ صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَلْحَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ.[٣]

---

(١) في «الأوسط»(٨٧٠٤) وفي سنده يحيي بن أيوب الغافقي مداره عليه وعنعنة أبي الزبير وهو مدلس.

(٢) وعزاه للنسائي – وهو في «الكبرىٰ»(٤٣٤٢) – والبيهقي في «الدلائل»(٣/ ٢٣٦).

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤٤٤): «إسناده جيد».

وأخرج إسحاق بن راهويه [١] بإسنادٍ حسن عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال:

خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُصْعِدِينَ فِي أُحُدٍ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ لِيَنْهَضَ عَلَى صَخْرَةٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَبَرَكَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ تَحْتَهُ، فَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى الصَّخْرَةِ قَالَ الزُّبَيْرُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

«**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**»، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فَأَتَى الْمِهْرَاسَ، وَأَتَاهُ بِمَاءٍ فِي دَرَقَتِهِ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ، فَوَجَدَ لَهُ رِيحًا فَعَافَهُ، فَغَسَلَ بِهِ الدَّمَ الَّذِي فِي وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ دَمَّى وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»، وسيأتي سياق ابن حبان قريباً.

وتقدم في الصحيح أن علياً رضي الله عنه كان يصب الماء وفاطمة تغسل رضي الله عنها ولا معارضة بين أن يكون هو الذي غسل الدم من تلقاء نفسه، أو أن النبي ﷺ هو الذي أمره بذلك كما في هذه الرواية. وكان الذي أدماه يَوْمَئِذٍ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ. [٢]

وأخرج ابن حبان [٣] بسند حسن عن الزبير رضي الله عنه، يقول: سمعت رسول الله

---

(١) كما في «المطالب العالية» (١٢/ ٢٠٤) رقم (٤٣٧٨) وأخرجه ابن حبان (٦٩٧٩) من نفس الطريق وهذا سياقه.

(٢) كما هو عقب رواية ابن حبان السابقة.

(٣) برقم (٧٠٢٥).

ﷺ يقول ـ وَقَدْ كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى بَعْضُهُمْ إِلَى دُونِ الْأَعْرَاضِ[1] عَلَى جَبَلٍ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في يوم أحد (يوم طلحة)

تقدم ذكر أشياء، وأضف إلى ذلك ما ورد عن أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ:

لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَوَلَّى النَّاسُ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مع اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، فَأَدْرَكَهُ الْمُشْرِكُونَ، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ لِلْقَوْمِ؟**» قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَمَا أَنْتَ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**أَنْتَ**» فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ الْتَفَتَ، فَإِذَا هُوَ بِالْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «**مَنْ لِلْقَوْمِ؟**».

فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ: «كَمَا أَنْتَ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَقَالَ: «**أَنْتَ**» فَقَاتَلَ قِتَالَ صَاحِبِهِ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَيُقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ، حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَلْحَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لِلْقَوْمِ؟**» فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، فَقَاتَلَ قِتَالَ الْأَحَدَ عَشَرَ حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ فَقَالَ: حَسِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتَ: بِاسْمِ اللهِ، لَرَفَعَتْكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ رَدَّ اللهُ الْمُشْرِكِينَ**».[2]

---

(١) لعلها أدربة أعراض المدينة حيث الزرع والنخل.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبري» (٤٣٤٢) والطبراني في «الأوسط»(٨٧٠٤) والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٣٧) واللفظ له بإسناد جيد كما قال الحافظ فيما تقدم.

وروي البخاري : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: «**رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَّاءَ وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ**». (١)

وفي «الصحيحين» من حديث عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: «لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي بَعْضِ تِلْكَ الأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَيْرُ طَلْحَةَ،وَسَعْدٍ عَنْ حَدِيثِهِمَا». (٢)

وأخرج أحمد بإسناد صحيح علي شرط مسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ، « أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ كَانَ يَرْمِي بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ خَلْفَهُ يَتَتَرَّسُ بِهِ، وَكَانَ رَامِيًا، وَكَانَ إِذَا رَمَى رَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَخْصَهُ يَنْظُرُ أَيْنَ يَقَعُ سَهْمُهُ، وَيَرْفَعُ أَبُو طَلْحَةَ صَدْرَهُ، وَيَقُولُ: هَكَذَا بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ يَشُورُ نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَيَقُولُ: إِنِّي جَلْدٌ يَا رَسُولَ اللهِ، فَوَجِّهْنِي فِي حَوَائِجِكَ، وَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ ». (٣)

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ،قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ بِهِ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ القِدِّ، يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: «**انْشُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ**».

فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى القَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، بِأَبِي

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٦٣) .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٧٢٢) ومسلم (٢٤١٤) .

(٣) صحيح علي شرط مسلم أخرجه أحمد (١٤٠٥٨) وابن سعد في «طبقاته»(٣/ ٥٠٦) .

أَنْتَ وَأُمِّي، لاَ تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ القَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا، تُنْقِزَانِ القِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا، تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ، فَتَمْلَآَنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلاَثًا». (١)

وعَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا يَسْقُطُ وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ». (٢)

ويشهد له قول تعالي: {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} آل عمران (١٥٥).

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٦٤).

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٦٨) قال: قال لي خليفة ثنا يزيد به .

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يوم أحد

أخرج البخاري عن سعد بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، يَقُولُ: نَثَلَ لِي النَّبِيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**».(١)

وأخرج من حديث علي رضي الله عنه قال: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: «**يَا سَعْدُ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**».(٢)

وأخرج البخاري ومسلم عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلاَنِ يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، كَأَشَدِّ القِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ».(٣)

يعني: جبريل وميكائيل عليهما السلام كما هو مصرح بأسمائهما في رواية مسلم.

وسيأتي إن شاءالله ذكر الرجل الذي ألقي تمرات في يده ثم قاتل حتي قتل قصته شبيهة بقصة عمير بن الحمام الذي تقدم ذكر قصته رضي الله عنه في غزوة بدر .

والمقصود :

إن الصحابة رضي الله عنهم قاموا ببطولات مشرِّفة، حتي من حضرنَ من النساء كذلك ممن كُنَّ ينقلن القِرب علي متونهنَّ ويفرغنها في أفواه الرجال، فَقَالَ عُمَرُ: «أُمُّ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٥٥) .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٥٩) .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٥٤) ومسلم (٢٣٠٦).

سَلِيطٍ أَحَقُّ، وَأُمُّ سَلِيطٍ مِنْ نِسَاءِ الأَنْصَارِ، مِمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ»، قَالَ عُمَرُ: «فَإِنَّهَا كَانَتْ تَزْفِرُ لَنَا القِرَبَ يَوْمَ أُحُدٍ».

قال البخاري: تَزْفِرُ: تَخِيطُ.(١)

فالنِّسَاءُ كُنَّ يُدَاوِينَ الْجَرْحَى وَيَسْقِينَ الْمَاءَ

فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْقُزَانِ القِرَبَ، وَقَالَ غَيْرُهُ: تَنْقُلاَنِ القِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا، ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآَنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ».(٢)

أوجه التشابه بين غزوتي بدر وأحد

قد وقع في غزوة أحد أشياء مما وقع في غزوة بدر منها:

- **حصول النعاس حال التحام الحرب.**

وهذا دليل علي طُمَأنينة القلوب بنصر الله وتأييده، وتمام توكلها علي خالقها وبارئها، وقد تقدَّم الكلام علي قوله تعالي في غزوة بدر:

---

(١) راجع صحيح البخاري (٢٨٨١) وغيره.

(٢) وهذا لفظ البخاري (٢٨٨٠) وغيره.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ الأنفال.

وقال هاهنا في شأن غزوة أحد :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ .....﴿١٥٤﴾ ﴾ آل عمران.

يعني المؤمنين الكُمَّل، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه وغيره من السلف: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : النُّعَاسُ عند الْقَتْلِ أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ وَعِنْدَ الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ} [الأنفال: ١١].(١)

وكأن الله جعل النعاس في الحرب علامة للظفر

وعَنْ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ ،ونحوه عن الزبير رضي الله عنه .

وعَنْ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: «رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أُحُدٍ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ ، فَمَا أَرَى أَحَدًا مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا يَمِيدُ تَحْتَ حَجَفَتِهِ مِنَ النُّعَاسِ».(٢)

---

(١) أثر ابن مسعود هذا أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٢١٩) وابن أبي شيبة بإسنادٍ حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢)وهذه الآثار أخرجها ابن أبي شيبة (٤/ ٢١٢) بأسانيد ثابتة .

وفي صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ[١]، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا يَسْقُطُ وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ». [٢]

فالنعاس الذي أصابهم في غزوة أُحد هو كالذي أصابهم يوم بدر

وأخرج ابن أبي حاتم [٣] بإسناد حسن، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: الزبير، لَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ اشْتَدَّ الْخَوْفُ عَلَيْنَا، أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْنَا النَّوْمَ، فَمَا مِنَّا مِنْ رَجُلٍ إلا ذقنه في صدره،[٤]قال: فوالله إِنِّي لأَسْمَعُ قَوْلَ مُعَتِّبِ بْنِ قُشَيْرٍ، مَا أَسْمَعُهُ إِلا كَالْحُلْمِ: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا، فَحَفَظَتْهَا مِنْهُ، وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ قَالَ تَعَالَى: {يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾} آل عمران،

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٦٨).

(٢) وبوب البخاري بباب: ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِالله غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لله يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ الله مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَالله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، (الأية١٥٤) .

(٣) في «تفسيره »(٤٣٧٣).

(٤) والظاهر أنه يعني الكثير منهم لا الجميع والله أعلم .

لِقَوْلِ مُعَتِّبٍ.

وتقدم ذكر النُعاس عقب ذكر رجوع المنافقين .

❁ ومن أوجه الشبَه فيما كان في الغزوتين:

استنصار النبي ﷺ :

ففي غزوة بدر:

استنصَر، ونَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، ... الحديث». (١)

وفي غزوة أحد :

روى أَنَسٌ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: «**اللهُمَّ، إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**». (٢)

❁ ومن أوجه الشَّبه لِما كان في الغزوتين:

ما أخرجه البخاري عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٢) صحيح أخرجه مسلم (١٧٤٣) .

أُحُدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «**فِي الجَنَّةِ**» ،فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ». (١)

وهذه شبيهة بقصة عُمَير بن الحمام التي تقدمت في غزوة بدر ، لما دَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**»، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ». (٢)

فهذه قصة شبيهة بما أخرجه أبو داود بسند حسن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنْ عَمْرَو ابْنَ أُقَيْشٍ، كَانَ لَهُ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ، قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِأُخْتِهِ: سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ، أَوْ غَضَبًا لَهُمْ أَمْ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٤٦) ومسلم (١٨٩٩) .

(٢) صحيح أخرجه (١٩٠١) .

غَضَبًا لِلَّهِ؟ فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَا صَلَّى لِلَّهِ صَلَاةً » رضي الله عنه وسيأتي قريباً إن شاء الله .

فهُنَاك أوجه شَبَه بين الغزوتين تُنَبِّئُك عن قُدرة الله تعالى، وكأن الرسالة: إذا ادعَيتم يا كفار قريش أن انتصار المسلمين في بدر كان بسبب العجلة وعدم الاستعداد التام والتهيُّىء وكان فَلتَة – وهو كذب إن ادَّعَيتموه – فها هي الغزوة التي تليتها ينتصر ﷺ والمؤمنون بنفس الأسباب، وهذا إظهار لقوة الناصر الواحد الظاهر سبحانه، وإظهار لضعف المخالف، فالنصر من عنده .

وتكرير التضَرُّع من رسول الله ﷺ في الموطنين دليل لنا على الاعتناء بهذه الوسيلة المتكرره في طلب النصرة، فهي من أعظم وسائل النصر القوية التي جلبت مدد الله لنبيِّه ﷺ في كل شدة حصلت له.....إلخ .

وَالْمَقْصُودُ :أَنَّ أُحُدًا وَقَعَ فِيهَا أَشْيَاءُ شبيهة بما وَقَعَ فِي بَدْرٍ.

مِنْهَا: حُصُولُ النُّعَاسِ حال الْتِحَامِ الْحَرْبِ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى طُمَأْنِينَةِ الْقُلُوبِ بنصر الله وتأييده وتمام توكلها على خالقها وَبَارِئِهَا [1].

وكذا تضَرّعه ﷺ وحصول الفداء من بعض الصحابة رضي الله عنهم ...وغير ذلك، حصل في الغزوتين .

(١) وأشار إلى ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله في«البداية والنهاية»(٤/ ٢٩)ط دار الفكر.

ضعف خبر ابن قمئة المشهور

أخرج الطبراني[١] عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَمَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ قَمِئَةَ بِحَجَرٍ يَوْمَ أُحُدٍ، فَشَجَّهُ فِي وَجْهِهِ، وَكَسَرَ رَبَاعِيَّتُهُ، وَقَالَ خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ قَمِئَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ: «**مَا لَكَ، أَقْمَأَكَ اللهُ**»، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ تَيْسَ جَبَلٍ، لَا تَيْسَ، فَلَمْ يَزَلْ يَنْطَحُهُ حَتَّى قَطَعَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً».

فهذا لا يصح مع شهرته علي ألسنة القُصَّاص.

ففي إسناده مَن هو متَّهم بالكذبِ، وفيه: أنه قتل مصعب بن عمير وظنَّ أنه قَتَلَ رسول الله ﷺ فذهب إلي قريش، يقول: قتلتُ محمداً.

وكذلك:

الخبر الذي فيه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا عَلَى عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ كَسَرَ رَبَاعِيَتَهُ، وَدَمَّى وَجْهَهُ. فَقَالَ: «**اللهُمَّ لا تُحِلْ عَلَيْهِ الْحَوْلَ حَتَّى يَمُوتَ كَافِرًا**» فَمَا حَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ حَتَّى مَاتَ كافراً إلى النار .

هذا أيضـًا لا يصح، وإنما ورد بإسناد مرسل.[٢]

فرار بعض الصحابة من شدَّة ما جرى في ذلك اليوم

أخرج البخاري عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مَوْهَبٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ حَجَّ الْبَيْتَ، فَرَأَى قَوْمًا

---

(١) في «الكبير» (٨/ ١٣٠) رقم (٧٥٩٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٣٦٥) .

جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ القُعُودُ؟ قَالُوا: هَؤُلاَءِ قُرَيْشٌ. قَالَ: مَنِ الشَّيْخُ؟ قَالُوا ابْنُ عُمَرَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ أَتُحَدِّثُنِي؟ قَالَ: أَنْشُدُكَ بِحُرْمَةِ هَذَا البَيْتِ، أَتَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَتَعْلَمُهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ، فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَتَعْلَمُ أَنَّهُ تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَبَّرَ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ لِأُخْبِرَكَ وَلِأُبَيِّنَ لَكَ عَمَّا سَأَلْتَنِي عَنْهُ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ**» وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَمَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ اليُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ - فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ - هَذِهِ لِعُثْمَانَ**» **اذْهَبْ بِهَذَا الآنَ مَعَكَ**» وقد تقدم.(١)

ومن ذلك: ما رواه الترمذي(٢) بسند حسَّنه بعض العلماء من طريق ابن إسحاق عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ قَالَ: كَانَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دِرْعَانِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَنَهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَأَقْعَدَ طَلْحَةَ تَحْتَهُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**».

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٩٢) من طريقه، وفيه عنعنة، وهو مدلِّس، وقد حسَّنه الألباني.

وقد قالَ بعضهم كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَنْهُ حَتَّى بَلَغَ بعضهم الى المتقى دُونَ الْأَعْوَصِ، وَفَرَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَسَعْدُ بن عثمان رجل مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى بَلَغُوا الْجَلْعَبَ جَبَلٌ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ مِمَّا يَلِي الْأَعْوَصِ فَأَقَامُوا ثَلَاثًا ثُمَّ رَجَعُوا، فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ: لَقَدْ ذَهَبْتُمْ فِيهَا عَرِيضَةً.

ولم أقف على سند لهذا ثابت أنهم أقاموا ثلاثاً،والظاهر أنه أقرَّ فرار عثمان ، لكن الله عفا عنهم جميعاً، والله أعلم .

وتقدم قول الزبير: وَقَدْ كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى بَعْضُهُمْ إِلَى دُونِ الْأَعْرَاضِ عَلَى جَبَلٍ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ (١).

قَالَ إِسْحَاقُ:(٢)أَخْبَرَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، حدثنا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ ابْنَ إِسْحَاقَ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: وَاللهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ يَوْمَئِذٍ إِلَى خَدَمِ النِّسَاءِ، مُشَمِّرَاتٍ يَسْعَيْنَ حِينَ انْهَزَمَ الْقَوْمُ، وَمَا أَرَى دُونَ أَخْذِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنَّا لَنَحْسَبُهُمْ قَتْلَى مَا يَرْجِعُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُصِيبَ أَصْحَابُ اللِّوَاءِ،وَصَبَرُوا عِنْدَهُ حَتَّى صَارَ إِلَى عبد له حَبَشِيٍّ، يُقَالُ لَهُ « صَوَابٌ » ثُمَّ قُتِلَ صَوَابٌ فَطُرِحَ اللِّوَاءُ فَمَا يَقْرَبُهُ أَحَدٌ مِنْ خلق

---

(١) وهذا عند ابن حبان (٧٠٢٥) بسند حسن كما تقدم.

(٢) كما في «المطالب العالية»(١٧/ ٣٤٧)، وسنده حسن وقد صحح سنده الحافظ عقبه، وقال : لَهُ شَاهِدٌ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه .

الله تعالى، حَتَّى وَثَبَتْ إِلَيْهِ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ الحارثية، فَرَفَعَتْهُ لَهُمْ، وَثَابَ إِلَيْهِ النَّاسُ.

قَالَ الزُّبَيْرُ رضي الله عنه: فَوَاللهِ إِنَّا لَكَذَلِكَ قَدْ عَلَوْنَاهُمْ وَظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ، إِذْ خَالَفَتِ الرُّمَاةُ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا إِلَى الْعَسْكَرِ حِينَ رَأَوْهُ مُخْتَلًّا قَدْ أَجْهَضْنَاهُمْ عنه، فرغبوا إلى الْغَنَائِمِ، وَتَرَكُوا عَهْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ الْأَمْتِعَةَ، فَأَتَتْنَا الْخَيْلُ مِنْ خَلْفِنَا، فَحَطَّمَتْنَا، وَكَرَّ النَّاسُ مُنْهَزِمِينَ، فَصَرَخَ صَارِخٌ يَرَوْنَ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ: إِلَّا إِنَّ مُحَمَّدًا قد قتل.

فأعظم النَّاسُ، وَرَكِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَصَارُوا أَثْلَاثًا: ثُلُثًا جَرِيحًا، وثلثا مَقْتُولًا، وَثُلُثًا مُنْهَزِمًا، قَدْ بَلَغَتِ الْحَرْبُ، وَقَدْ كَانَتِ الرُّمَاةُ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ رَأَوُا النَّاسَ وَقَعُوا فِي الْغَنَائِمِ، وَقَدْ هزم الله تعالى الْمُشْرِكِينَ، وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ الْغَنَائِمَ: فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ؟

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَهَاكُمْ أَنْ تُفَارِقُوا مَكَانَكُمْ إِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ أَوْ لَهُ، فَتَنَازَعُوا فِي ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ الطَّائِفَةَ الْأُولَى مِنَ الرُّمَاةِ أَبَتْ إِلَّا أَنْ تَلْحَقَ بِالْعَسْكَرِ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ، وَتَرَكُوا مَكَانَهُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ حَمَلَتْ خَيْلُ الْمُشْرِكِينَ.

الموقف العظيم لأنس بن النضر عمِّ

أنس بن مالك رضي الله عنه في هذه الغزوة

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ، الَّذِي سُمِّيتُ بِهِ، وَلَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرًا، فَقَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، غِبْتُ عَنْهُ، أَمَا وَاللهِ

لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللهُ مَشْهَدًا بَعْدَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيَرَيَنَّ مَا أَصْنَعُ، فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، شَهِدَ أُحُدًا، قَالَ: فَلَقِيَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: مَهْيَمْ. فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَوُجِدَ بِهِ بِضْعَةٌ وَثَمَانُونَ مِنْ رَمْيَةٍ وَطَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ، قَالَتْ أُخْتُهُ: فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ، وَكَانَ حَسَنَ الْبَنَانِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣] إِلَى قَوْلِهِ: {تَبْدِيلًا}[الأحزاب: ٢٣]، فَكُنَّا نَرَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ(١).

تسلية الله تعالي للمؤمنين علي تقدير وقوع ما أُشيع أن رسول الله ﷺ قُتل وحصلت رجفةٌ عظيمة في المسلمين لما اعتقدوا ذلك

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٤٨) ومسلم (١٩٠٣).

مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ آل عمران.

وأما ما رواه ابن إسحاق (١) من طريق القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخي بني عدي بن النجار قال: انْتَهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ، عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، فِي رِجَالٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ: مَا يُجْلِسُكُمْ؟

قَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟

قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ»، وَبِهِ سُمِّيَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ.

و لكن هذا لايصح لجهالة القاسم هذا، والإرسال.

ضعف خبر سعد بن الربيع الأنصاري الخزرجي العقبي البدري

اشتهر أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد: «**مَنْ رجل يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ**» ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: فَخَرَجَ يَطُوفُ فِي الْقَتْلَى حَتَّى وَجَدَ سَعْدًا جَرِيحًا قَدْ أَثْبَتَ بِآخِرِ رَمَقٍ ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ،إِنَّ رَسُولَ اللهِﷺ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ لَهُ أَمِنَ الْأَحْيَاءِأَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟

(١) كما في «السيرة »لابن هشام (٢/ ٨٣) والبيهقي في «الدلائل»(٣/ ٢٤٥).

قَالَ: فَإِنِّي فِي الْأَمْوَاتِ أَبْلِغْ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنِّي السَّلَامَ،وَقُلْ لَهُ: إِنَّ سَعْدًا يَقُولُ لَكَ جَزَاكَ اللهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَيَ نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ، وَأَبْلِغْ قَوْمَكَ عَنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ سَعْدًا يَقُولُ لَكُمُ: إِنَّهُ لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ إِنْ خُلِصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ، وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ». ثم لم يبرح أن مات. (١)

❁ وكذلك:

ما ورد أن قتادة بن النعمان أُصيب يومئذٍ في عينه حتي سقطت علي وجنته فردَّها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه ، وأحدَّهما وكانت لا ترمَد إذا رمَدت الأخري.

فلم أقف علي أسانيد صحيحة بذلك مع شهرته، وإنما رواه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» مرسلاً . وقد أخرج أبو أحمد الحاكم في«الأسامي والكني» (٥/ ٢٣٠) القسم المخطوط أن ذلك حصل يوم الخندق لا يوم أحد ،فالله أعلم بحقيقة كل ذلك حصل أم لا.

---

(١) وهذا الخبر لم أجد له سنداً يثبت، علي شُهرته علي ألسنة القُصَّاص والوُعَّاظ، وإنما رواه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٨٥) من طريق ابن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المازني أحد بني النجار مرسلاً

وله طريق آخر عنده (٣/ ٢٤٨) وفي إسناده من لم أقف له علي ترجمة وما أظنه يصح.

وله طريق آخر أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة »ابن هشام (٢/ ٨٨) مرسلاً ..

وله طريق آخر أخرجه ابن بشكوال في «غوامض الأسماء المُبهمة» (١/ ١٨٩) وفي إسناده الواقدي محمد بن عمر وهو متروك.

❁ ومن ذلك:

ما ورد من أن أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية قاتلت يوم أحد

وأنها قالت : لَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ، انْحَزْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُمْتُ أُبَاشِرُ الْقِتَالَ، وَأَذُبُّ عَنْهُ بِالسَّيْفِ، وَأَرْمِي عَنْ الْقَوْسِ، حَتَّى خَلَصَتْ الْجِرَاحُ إِلَيَّ.

قال الراوي: فَرَأَيْتُ عَلَى عَاتِقِهَا جُرْحًا أَجْوَفَ لَهُ غَوْرٌ، فَقُلْتُ: مَنْ أَصَابَكَ بِهَذَا؟

قال الراوي: ابْنُ قَمِئَةَ، أَقْمَأَهُ اللهُ!

لَمَّا وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ يَقُولُ: دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا، فَاعْتَرَضْتُ لَهُ أَنَا وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَأُنَاسٌ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ، وَلَكِنْ! ، لَقَدْ ضَرَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرْبَاتٍ، وَلَكِنَّ عَدُوَّ اللهِ كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانِ.

فهذا منكر وما أظنه يصح ،وأين رجال الصحابة إذا ؟! [١]

قتل أُبي بنِ خلفٍ لعنَه اللّه

قال ابن إسحاق [٢] وكان ابن أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ كَمَا حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يَلْقَى رسول الله ﷺ بمكة، فيقول: يا محمد، إن عندي العود، فرسالة، أعلفه كل يوم فرقا من ذُرَةٍ أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا، فَيَقُولُ رَسُول اللهِ ﷺ :

(١) إنما ذكره ابن هشام في «السيرة »(٢/ ٨٢) بغير سند، والله أعلم .

(٢) بسند مرسل جيد، وصالح الموجود في السند وإن كان ثقة، إلا أنه من صغار التابعين

«**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللهُ**» فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ وَقَدْ خدشه في عنقه خدشاً غير كبير،فَاحْتَقَنَ الدَّم، قَالَ: قَتَلَنِي وَاللهِ مُحَمَّد، قَالُوا لَهُ: ذَهَبَ وَاللهِ فُؤَادُكَ، وَاللهِ إِنَّ بِكَ مِنْ بَأْسٍ، قَالَ إِنَّهُ قَدْ كَانَ قَالَ لِي بِمَكَّةَ أَنَا أَقْتُلُكَ، فَوَاللهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي، فَمَاتَ عَدُوُّ اللهِ بِسرفٍ وَهُمْ قَافِلُونَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ.

وهذا مرسل أرجوا أن يكون له ما يقويه إن شاء الله.

فقد أخرج ابن سعد (١) بسندٍ ثابت عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ الْجُمَحِيَّ أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ. فَلَمَّا افْتُدِيَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قال لرسول الله ﷺ: إِنَّ عِنْدِي فَرَسًا أَعْلِفُهَا كُلَّ يَوْمٍ فَرَقَ ذُرَةٍ لَعَلِّي أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللهُ**».

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَقْبَلَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يَرْكُضُ فَرَسَهُ تِلْكَ حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - فَاعْتَرَضَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ لَهُمْ رسول الله ﷺ: «**اسْتَأْخِرُوا اسْتَأْخِرُوا**» فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَرْبَةٍ فِي يَدِهِ فَرَمَى بِهَا أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ فَكَسَرَتِ الْحَرْبَةُ ضِلْعًا مِنْ أَضْلاعِهِ.

=

وله طريق آخر أخرجه الطبري في «تفسيره»(٦/ ٩٩) عن السُّدِّي مرسلاً أيضاً.

وقال الخطابي في «غريب الحديث» (١/ ٦٧٤): يرويه يونس بن محمد الظفيري عن عاصم بن عمر بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه.

ولكن لا أعلم يونس هذا بجرج ولا تعديل، ويظهر أنه مجهول .

(١) في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٤٦) .

فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ ثَقِيلا فَاحْتَمَلُوهُ حَتَّى وَلَّوْا بِهِ وَطَفِقُوا يَقُولُونَ لَهُ: لا بَأْسَ بِكَ! فَقَالَ لَهُمْ أُبَيٌّ: أَلَمْ يَقُلْ لِي: بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللهُ؟ فَانْطَلَقَ بِهِ أَصْحَابُهُ فَمَاتَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ فَدَفَنُوهُ.

فأرجوا أن يتقوي هذا بذاك فإن سعيد بن المسيب غالب رواياته عن الصحابة، وأدرك من كبار الصحابة كثيراً، فلعلَّه سمعه من صحابي، فبالمراسيل المتقدمة يتقوَّي الخبر إن شاء الله تعالي، والله أعلم.

عبد الله بن حرام الأنصاري رضي الله عنه في غزوة أحد

أخرج البخاري[1] عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنِّي لاَ أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ، غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، «فَأَصْبَحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ[2] وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ فِي قَبْرٍ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الآخَرِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيَّةً غَيْرَ أُذُنِهِ».

---

(١) برقم (١٣٥١).

(٢) ولعل هذا من كراماته رضي الله عنه، وليس بمستبعد أن يكون الله أطلعه على ذلك بإحساس أو إلهام أو برؤيا منامية،ويسمِّيه العامة من الأطباء الحاسَّة السادسة، أو مكشوف عنه الغطاء..أو نحو ذلك.

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي، وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لاَ يَنْهَانِي،فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ تَبْكِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«تَبْكِينَ أَوْ لاَ تَبْكِينَ مَا زَالَتِ المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ». (١)

وفي رواية عبد الرزاق (٢) بإسناد صحيح عنه قال:« قُتِلَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُجَدَّعًا،قَدْ مُثِّلَ بِهِ (٣)قَالَ: فَأَكْبَبْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ وَالْقَوْمُ يُعَزُّونَنِي، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَرَانِي وَلَا يَنْهَانِي، حَتَّى رُفِعَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ حَوْلَهُ حَتَّى رُفِعَ».

قَالَ: فَكَانَ عَلَى أَبِي دَيْنٌ، وَكَانَ الْغُرَمَاءُ يَأْتُونَ النَّخْلَ فَيَنْظُرُونَهُ فَيَسْتَقِلُّونَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَجِدَّ فَآذِنِّي» قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، فَذَهَبَ مَعِي، حَتَّى قَامَ فِيهِ فَدَعَا بِالْبَرَكَةِ قَالَ: فَقَضَيْتُ مَا كَانَ عَلَى أَبِي، وَفَضَلَ لَنَا طَعَامٌ كَثِيرٌ».

وقد تناولت قصة جابر بتوسع عند الكلام على شخصيته في كتابي «خطب ودروس العام بصحيح القصص النبوي» فالحمد لله.

وأخرج الترمذي (٤) بإسنادٍ يُحسن عن جابر رضي الله عنه قال:

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (١٢٤٤) ومسلم (٢٤٧١) .

(٢) في «المصنف» (٦٦٩٣) .

(٣) وهذا يبين أن المشركين مَثَّلوا بعدد من القَتلى لا بحمزة رضي الله عنه فحسب - قبحهم الله- .

(٤) في «السنن»برقم (٣٠١٠) وابن ماجة (١٩٠) .

لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِي:« **يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا، قَالَ:« **أَفَلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟** قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ:« **مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا. فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً**». قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لاَ يُرْجَعُونَ قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بل أحياءٌ}».

وأخرج أحمد [١] بإسناد حسن عَنْ جَابِرٍ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ :

« **يَا جَابِرُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحْيَا أَبَاكَ، فَقَالَ لَهُ: تَمَنَّ عَلَيَّ، فَقَالَ: أُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا، فَأُقْتَلُ مَرَّةً أُخْرَى**[٢]**، فَقَالَ: إِنِّي قَضَيْتُ، أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ** ».

مصعب بن عمير رضي الله عنه في غزوة أحد

تقدم ذكر مقتله رضي الله عنه ، وأنهم لم يجدوا ما يكفي لكفنه رضي الله عنه .

وأخرج البخاري عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، «أُتِيَ بِطَعَامٍ،وَكَانَ صَائِمًا،فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ: إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلاَهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، أَوْ قَالَ:

أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا،[١]وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ

---

(١) برقم (١٤٨٨١) .

(٢) ولو كان يجد ألماً في السكرات ما طلب القتل مرَّات في سبيله.

جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ ». (٢)

وعَنْ خَبَّابٍ رضي الله عنه ، قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ نَبْتَغِي وَجْهَ اللهِ، فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى، أَوْ ذَهَبَ، لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، كَانَ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ يَتْرُكْ إِلَّا نَمِرَةً، كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا غُطِّيَ بِهَا رِجْلاَهُ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «**غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ الإِذْخِرَ**» أَوْ قَالَ: «**أَلْقُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الإِذْخِرِ**» ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا ». (٣)

ومعنى يهدبها: أي يجتنيها ويقطفها.

وقد قيل: إن ابن قمئة هو الذي قتله حَسِبَه رسول الله ﷺ لكونه كان معه اللواء ، وذهب يقول: قتلت محمداً ﷺ .

علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وسهل بن حنيف وعاصم بن ثابت وجماعة من الصحابة

أخرج البيهقي في «دلائل النبوة» بإسناد حسن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَ عَلِيٌّ

=

(١) فليس شرطاً أن يدرك المرء ثمرة الفتح الذي وُعِد به في الدنيا.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٤٥).

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٨٢) .

وفي الحديث دلالة علي حصول الخير لمن صنع هذا إما في الدنيا، وإما في الآخرة، وإما فيهما معاً،والله يتصرف في خلقه ولخلقه كيفما شاء، فنسأل الله سبحانه أن يفتح علينا في الخير كله في الدنيا والآخرة ولا يشقق علينا في الدنيا ولا في الآخرة إنه السميع المجيب الواسع الكريم.

بِسَيْفٍ يَوْمَ أُحُدٍ، قد انحنا، فَقَالَ لِفَاطِمَةَ رضي الله عنها: هَاكِ السَّيْفَ حَمِيدًا، فَإِنَّهَا قَدْ شَفَتْنِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«لئن كُنْتَ أَجَدْتَ الضَّرْبَ بِسَيْفِكَ لَقَدْ أَجَادَهُ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَأَبُو دُجَانَةَ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ الصِّمَّةِ ».(١)

وسيأتي تكرير الحديث في ذكر جماعة أثنى عليهم رسول الله ﷺ.

اليمان والد حذيفة رضي الله عنهما

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: « لمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ، فَصَرَخَ إِبْلِيسُ لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِ: أَيْ عِبَادَ اللهِ أُخْرَاكُمْ، فَرَجَعَتْ أُولاَهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأُخْرَاهُمْ، فَبَصُرَ حُذَيْفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ اليَمَانِ، فَقَالَ:

أَيْ عِبَادَ اللهِ أَبِي أَبِي، قَالَ: قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا احْتَجَزُوا حَتَّى قَتَلُوهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ، قَالَ عُرْوَةُ: فَوَاللهِ مَا زَالَتْ فِي حُذَيْفَةَ بَقِيَّةُ خَيْرٍ، حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ ».(٢)

قال الحافظ ابن كثير رضي الله عنه(٣):

قُلْتُ: كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْيَمَانَ وَثَابِتَ بْنَ وَقْشٍ كَانَا فِي الْآطَامِ مَعَ النِّسَاءِ

---

(١) أخرجه الحاكم – كما سيأتي – و البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٨٣ ــ ٢٨٤).

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٦٥).

(٣) في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٨).

لِكِبَرِهِمَا وَضَعْفِهِمَا فَقَالَا: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ آجَالِنَا إِلَّا ظِمْءُ حِمَارٍ فَنَزَلَا لِيَحْضُرَا الْحَرْبَ فَجَاءَ طَرِيقُهُمَا نَاحِيَةَ الْمُشْرِكِينَ فَأَمَّا ثَابِتٌ فَقَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ وَأَمَّا الْيَمَانُ فَقَتَلَهُ الْمُسْلِمُونَ خَطَأً.

وَتَصَدَّقَ حُذَيْفَةُ بِدِيَّةِ أَبِيهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ لِظُهُورِ الْعُذْرِ فِي ذلك والله أعلم .وهنا ظهر أثر العفو

وقد أخرج ابن إسحاق [١] بإسناد حسن عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، [٢] قَالَ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ، رَفَعَ حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ، وَهُوَ الْيَمَانُ أَبُو حُذَيْفَةَ ابْنُ الْيَمَانِ، وَثَابِتُ بْنُ وَقْشٍ فِي الْآطَامِ مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا

لِصَاحِبِهِ، وَهُمَا شَيْخَانِ كَبِيرَانِ: مَا أَبَا لَكَ، مَا تنْتَظر؟ فو الله لَا بَقِيَ لِوَاحِدٍ مِنَّا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا ظِمْءُ حِمَارٍ، [٣] إِنَّمَا نَحْنُ هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ، [٤] أَفَلَا نَأْخُذُ أَسْيَافَنَا، ثُمَّ نَلْحَقُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ،لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُنَا شَهَادَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَأَخَذَا أَسْيَافَهُمَا ثُمَّ خَرَجَا، حَتَّى دَخَلَا فِي النَّاسِ،وَلَمْ يُعْلَمْ بِهِمَا،فَأَمَّا ثَابِتُ بْنُ وَقْشٍ فَقَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَمَّا حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ، فَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَسْيَافُ الْمُسْلِمِينَ، فَقَتَلُوهُ وَلَا يَعْرِفُونَهُ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَبِي، فَقَالُوا: وَاَللهِ إِنْ عَرَفْنَاهُ، وَصَدَقُوا. قَالَ حُذَيْفَةُ:يَغْفِرُ

---

(١) كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٨١) .

(٢) فالخبر مرسل صحابي لا يضر ففي الغالب أنه سمعه من صحابي آخر ولربما من حذيفة، وهو صحابي رضي الله عنه وتقدم نحو ذلك في الصحيح والله أعلم.

(٣) أي: مقدار ما بين الشربتين ومعلوم أن الحمار لا يصبر علي الظمأ كما يصبر الجمل .

(٤) هامة اليوم أو غد: أَيِّ نمُوتُ اليومَ أو غدٍ.

اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَدِيَهُ، فَتَصَدَّقَ حُذَيْفَةُ بِدِيَتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَزَادَهُ ذَلِكَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَيْرًا».

الأُصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن أقيش أو وقش، الذي دخل الجنة ولم يصل لله ركعة.

أخرج ابن إسحاق بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ، فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ سَأَلُوهُ: مَنْ هُوَ؟ فَيَقُولُ: أُصَيْرِمٌ، بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ». (١)

و أخرج أبو داود (٢) بسند حسن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه « أَنْ عَمْرَو بْنَ أُقَيْشٍ، كَانَ لَهُ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟

قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ، قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو،قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ،فَقَالَ لِأُخْتِهِ: سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ،أَوْ غَضَبًا لَهُمْ أَمْ غَضَبًا لِلَّهِ؟ فَقَالَ:بَلْ غَضَبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَا صَلَّى لِلَّهِ صَلَاةً».

---

(١) كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٨٣/ ٨٤) وصحح السند الحافظ في «الفتح» (٢/ ٣٢) طـ دار الحديث.

(٢) برقم(٢٥٣٧).

وقد أخرج مسلم عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّبِيتِ قَبِيلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ[١]، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَمِلَ هَذَا يَسِيرًا، وَأُجِرَ كَثِيرًا**».[٢]

وفي رواية البخاري بلفظ:

«أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: «**أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ**»، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ، فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا**».[٣]

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي في صدر الترجمة، قال الحصين: فَقُلْتُ لِمَحْمُودِ ابْنِ أَسَدٍ: كَيْفَ كَانَ شَأْنُ الْأُصَيْرِمِ؟ قَالَ: كَانَ يَأْبَى الْإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ، بَدَا لَهُ فِي الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ، فَعَدَا حَتَّى دَخَلَ فِي عُرْضِ النَّاسِ، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ. قَالَ: فَبَيْنَا رِجَالٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ قَتْلَاهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ إِذَا هُمْ بِهِ، فَقَالُوا: وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَلْأُصَيْرِمُ، مَا جَاءَ بِهِ؟ لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لِمُنْكِرٍ لِهَذَا الْحَدِيثَ، فَسَأَلُوهُ مَا

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٦/ ٢٥) في تعليقه علي قوله «من بني النبيت»:
«وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَمْكَنَ تَفْسِيرُهُ بِعَمْرِو بْنِ ثَابِتِ بْنِ وَقَشٍ بِفَتْحِ الْوَاوِ وَالْقَافِ بَعْدَهَا مُعْجَمَةٌ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِأَصْرَمَ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَإِنَّ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ بَطْنٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ وَهُمْ غَيْرُ بني النبيت».

(٢) صحيح أخرجه مسلم (١٩٠٠).

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٢٨٠٨).

جَاءَ بِهِ، فَقَالُوا: مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو؟ أَحَدَبٌ عَلَى قَوْمِكَ أَمْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: بَلْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَسْلَمْتُ، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي، فَغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَاتَلْتُ حَتَّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ. فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(١)

وفي الجمع بين هذه الرواية ورواية أبي داود المتقدمة- التي فيها أنهم رأوه وهو في المعركة لا بعد الاصابة - قال الحافظ:

« فَيُجْمَعُ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ بِأَنَّ الَّذِينَ رَأَوْهُ وَقَالُوا لَهُ إِلَيْكَ عَنَّا نَاسٌ غَيْرُ قَوْمِهِ وَأَمَّا قَوْمُهُ فَمَا شَعُرُوا بِمَجِيئِهِ حَتَّى وَجَدُوهُ فِي الْمَعْرَكَةِ وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ حَدِيثِ الْبَابِ بِأَنَّهُ جَاءَ أَوَّلًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَشَارَهُ ثُمَّ أَسْلَمَ ثُمَّ قَاتَلَ فَرَآهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَالُوا لَهُ إِلَيْكَ عَنَّا وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْجَمْعَ قَوْلُهُ لَهُمْ قَاتَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَأَنَّ قَوْمَهُ وَجَدُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالُوا لَهُ مَا قَالُوا .

وَيُؤَيِّدُ الْجَمْعَ:

أَيْضًا مَا وَقَعَ فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْبَرَاءِ عِنْدَ النَّسَائِيِّ(٢) فَإِنَّهُ أَخْرَجَهُ مِنْ رِوَايَةِ زُهَيْرِ ابْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ نَحْوَ رِوَايَةِ إِسْرَائِيلَ وَفِيهِ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَوْ أَنِّي حَمَلْتُ عَلَى الْقَوْمِ فَقَاتَلْتُ حَتَّى أُقْتَلَ أَكَانَ خَيْرًا لِي وَلَمْ أُصَلِّ صَلَاةً قَالَ نَعَمْ وَنَحْوُهُ لِسَعِيدِ بْنُ مَنْصُورٍ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ وَزَادَ فِي أَوَّلِهِ أَنَّهُ

---

(١) وإسناده حسن، أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام وصححه الحافظ في «الفتح» كما تقدم .

(٢) في «الكبرىٰ» برقم (٨٥٩٨).

قَالَ :أَخَيْرٌ لِي أَنْ أُسْلِمَ قَالَ :«**نَعَمْ**» فَأَسْلَمَ، فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه إِنَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَا صَلَّى لِلَّهِ صَلَاةً، وَأَمَّا كَوْنُهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَنُسِبَ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ إِلَى بَنِي النَّبِيتِ [1] فَيُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى أَنَّ لَهُ فِي بَنِي النَّبِيتِ نِسْبَةً مَا ، فَإِنَّهُمْ إِخْوَةُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَجْمَعُهُمُ الِانْتِسَابُ إِلَى الْأَوْسِ».

نعم نعم إن الأجر الكثير قديحصل بالعمل اليسير فضلاً من الله وإحسانا نسأله سبحنه أن يبارك في أعمالنا وفي حسناتنا بركة بمزيد عطائه وكرمه .

عمرو بن الجموح رضي الله عنه :

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأنصاري رضي الله عنه أَنَّهُ حَضَرَ ذَلِكَ قَالَ: « أَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ؟، وَكَانَتْ رِجْلُهُ عرْجَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **نَعَمْ** ». فَقَتَلُوهُ يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ وَمَوْلًى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ** ». فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا فَجُعِلُوا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ» [2].

---

(١) كما تقدم .

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٥٥٣) بإسناد حسن . لكن حكي الذهبي رحمه الله في «السير» (١/ ٢٥٥) عن مالك أنه كفن هو وعبد الله بن حرام في كفن واحد وفي «السيرة» لابن هشام (٢/ ٩٥) أن رسول الله ﷺ يومئذٍ أمر بدفن القتلي، وقال :« **انظروا إلي عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام ، فإنهما كانا متصافين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد** ».

لكن هذا مرسل لا يصح سنده .

=

وإنما ورد عن جابر بن عبد الله ﷺ - كما في الصحيح - أنه لم تطب نفسه أن يكون والده مع شخص ما لم يذكر اسمه فيما وقفت عليه .

فأخرجه بعد ستة أشهر لم يتغير منه غير هنيهة في أذنه، ولو كان معه عمرو بن الجموح ما قال ماقال وحديثة بذلك في صحيح البخاري (١٣٥١) .

إلاأن يقال : إن معهما آخر ثالث فالله أعلم .

وقد اشتهر أن عمرو بن الجموح كان من أشراف بني سلمة وكان قد اتخذ صنماً من خشب يعظمه ، فلما أسلم فتيان من بني سلمة منهم ابنه معاذ، ومعاذ بن جبل كانوا يدخلون علي صنم عمرو فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة،فيغدوا عمرو فيجده منكباً لوجهه في العذرة،فيأخذه ويغسله ويطيبه ويقول: لو أعلم من صنع بك هذا لأخزينه، ففعلوا ذلك مراراً ثم جاء بسيفه فعلَّقه عليه ، وقال: إن كان فيك خير فامتنِع،فلما أمسي أخذو كلباً ميتاً فربطوه في عنقه وأخذا السيف ، فأصبح فوجده كذلك، فأبصر رشده وأسلم وقال في ذلك أبياتاً:

تالله لو كنت إلهاً لم يكن ... أنت وكلب وسط بئر في قرن

وقد روى ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٨٤) عن أبيه عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: أَنَّ عَمْرَو ابْنَ الْجَمُوحِ كَانَ رَجُلًا أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ مِثْلَ الْأُسْدِ، يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَشَاهِدَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ، وَقَالُوا لَهُ: إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ عَذَرَكَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إنَّ بَنِيَّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَاَللَّهِ الْخُرُوجِ مَعَك فِيهِ، فو الله إنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ فَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ**» وَقَالَ لِبَنِيهِ: «**مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ**» فَخَرَجَ مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ

وهذا فيه شيوخ مبهمون بهذا السياق .

والثابت ما تقدم ذكره غير أن هذا اللفظ الغير ثابت هو المشهور علي ألسنة العامة.

جماعة أثني عليهم رسول الله ﷺ يوم أحد

أخرجه الحاكم [١] بإسناد صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ عَلِيٌّ رضي الله عنه بِسَيْفِهِ يَوْمَ أُحُدٍ قَدِ انْحَنَى، فَقَالَ لِفَاطِمَةَ رضي الله عنها: هَاكِي السَّيْفَ حُمَيْدًا، فَإِنَّهَا قَدْ شَفَتْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَئِنْ كُنْتَ أَجَدْتَ الضَّرْبَ بِسَيْفِكَ لَقَدْ أَجَادَهُ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَأَبُو دُجَانَةَ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَفْلَحُ، وَالْحَارِثُ بْنُ الصِّمَّةِ».

خبر تسوية النبي ﷺ صفوف المؤمنين يدعو ربه

بعد أن انكفأ الكفار عليهم

أخرج النسائي وأحمد وغيرهما بإسنادٍ جيد عن عبيد بن عبد رِفَاعَةَ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَقَالَ غَيْرُ الْفَزَارِيِّ: عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الزُّرَقِيِّ قَالَ:

« لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ، قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ :«اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي» فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ وَالْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ، وَالْفُسُوقَ، وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ

---

(١) في «المستدرك» (٣/ ٢٦).

الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ». (١)

قول أبي سفيان للمسلمين بعد الغزوة

أخرج البخاري أن البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رضي الله عنهما، حَدَّثَ قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٤٩٢) والنسائي في «الكبري» (١٠٣٧٠) والبزار في «المسند» (٣٧٢٤) والطبراني في «الدعاء »(١٠٧٥) من طريق مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة الزرقي عن أبيه به وإسناده جيد رجاله معدلون لا يقل أحد منهم عن رتبة من يحسن حديثه ومروان ثقة حافظ .

وقد خالفه أبو نعيم الفضل بن دكين الثقة الثبت عن عبد الواحد بن أيمن به إلا أنه رواه عن عبيد بن رفاعة مرسلاً... بغير ذكر أبيه، وهذا الوجه المرسل غير مؤثر ولربما كان الوصل أقوي إذا لم يتساويا والله أعلم، وإلا فقد تابع خلاد بن يحيي ــ وهو صدوق ــ مروان بن معاوية علي الوصل أخرجه الحاكم (١/ ٦٨٦) وعنه البيهقي في «الدعوات »(١٩٣) به، وصححه الحاكم علي شرطهما ووافقه الذهبي، ولكن لم يرويا لعبيد بن رفاعة الزرقي شيئاً .

ولا أدري ما وجه قول الذهبي في «السيرة النبوية » (١/ ٤٢٠) :«حديث غريب منكر» .

إلا أن يعني بالنكارة الإنفراد، وإلا فلا أعلم وجه طعن في الحديث، وإلا فالغريب موافقة الحاكم هنا علي خطئه، ومخالفة الحق هناك !

فعبد الواحد ثقة علي الراجح ،وعبيد بن رفاعة لا يقل عن رتبة من يحسن حديثه إن لم يكن له صحبة فقد اختُلف في صُحبته، وروي عنه جمع، وذكره البعض في الصحابة بلا تردُّد والله أعلم

عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ- وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا - عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ:-

«إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ»، فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَاللهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ، قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ، رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمِ الغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ قَالُوا: وَاللهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الغَنِيمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا.

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ:أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ الخَطَّابِ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلاَءِ، فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللهِ يَا عَدُوَّ اللهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوؤُكَ، قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي القَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ:« **قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ** »، قَالَ: إِنَّ لَنَا العُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«**أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ؟**»، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا اللهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ**»[1] .

ما بعد الحرب وما فعلت صفية عمة النبي ﷺ

عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي الزُّبَيْرُ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ تَسْعَى، حَتَّى إِذَا كَادَتْ أَنْ تُشْرِفَ عَلَى الْقَتْلَى، قَالَ: فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَرَاهُمْ. فَقَالَ: «**الْمَرْأَةَ الْمَرْأَةَ**». قَالَ الزُّبَيْرُ: فَتَوَسَّمْتُ أَنَّهَا أُمِّي صَفِيَّةُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ أَسْعَى إِلَيْهَا، فَأَدْرَكْتُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى الْقَتْلَى، قَالَ:

فَلَدَمَتْ فِي صَدْرِي، وَكَانَتِ امْرَأَةً جَلْدَةً، قَالَتْ: إِلَيْكَ لَا أَرْضَ لَكَ، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَزَمَ عَلَيْكِ. قَالَ: فَوَقَفَتْ وَأَخْرَجَتْ ثَوْبَيْنِ مَعَهَا، فَقَالَتْ: هَذَانِ ثَوْبَانِ جِئْتُ بِهِمَا لِأَخِي حَمْزَةَ، فَقَدْ بَلَغَنِي مَقْتَلُهُ فَكَفِّنُوهُ فِيهِمَا، قَالَ: فَجِئْنَا بِالثَّوْبَيْنِ لِنُكَفِّنَ فِيهِمَا حَمْزَةَ، فَإِذَا إِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَتِيلٌ، قَدْ فُعِلَ بِهِ كَمَا فُعِلَ بِحَمْزَةَ، قَالَ:

فَوَجَدْنَا غَضَاضَةً وَحَيَاءً أَنْ نُكَفِّنَ حَمْزَةَ فِي ثَوْبَيْنِ، وَالْأَنْصَارِيُّ لَا كَفَنَ لَهُ، فَقُلْنَا: لِحَمْزَةَ ثَوْبٌ، وَلِلْأَنْصَارِيِّ ثَوْبٌ، فَقَدَّرْنَاهُمَا فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَكْبَرَ مِنَ الآخَرِ، فَأَقْرَعْنَا بَيْنَهُمَا فَكَفَّنَّا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي الثَّوْبِ الَّذِي طَارَ لَهُ »[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٣٩) .

دفن رسول الله ﷺ شهداء أحد (أصحاب المناقب العالية) رضي الله عنهم جميعاً

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ**»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ». (٢)

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي قَتْلَى أُحُدٍ: «**لَا تُغَسِّلُوهُمْ، فَإِنَّ كُلَّ جُرْحٍ - أَوْ كُلَّ دَمٍ - يَفُوحُ مِسْكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ. (٣)

وثبت أنه ﷺ صلَّي عليهم بعد ذلك بسنوات عديدة قبل وفاته ﷺ بيسير .

فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ، كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ المِنْبَرَ فَقَالَ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا**

=

(١) إسناده حسن أخرجه أحمد (١٤١٨) من طريق أبي الزناد عن عروة قال: أخبرني أبي الزبير ــ يعني ابن العوام ــ رضي الله عنه به ،وإسناده حسن .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (١٣٤٣) .

(٣) أخرجه أحمد (١٤١٨٩) وابن الجعد في «الجعديات» (١٥٧٨) وهو ثابت إن شاء الله .

وفي رواية ثعلبة ابْنِ أَبِي صَعِيرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: «**إِنِّي قَدْ شَهِدْتُ عَلَى هَؤُلَاءِ فَزَمِّلُوهُمْ بِدِمَائِهِمْ**» فَكَانَ يَدْفِنُ الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ وَيَسْأَلُ أَيُّهُمْ كَانَ أَقْرَأَ لِلْقُرْآنِ فَيُقَدِّمُونَهُ. قَالَ جَابِرٌ: فَدُفِنَ أَبِي وَعَمِّي فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ يَوْمَئِذٍ »أخرجها عبد الرزاق(٦٦٣٣) وأحمد(٢٣٦٦٠)بسندٍ صحيح.

عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا»، قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ». (١)

وفي صحيح البخاري(٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِم.

ولهذا الفضل العظيم . أخرج أحمد(٣) بسند حسن عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابُ أُحُدٍ: «أَمَا وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي غُودِرْتُ (٤) كأنه مَعَ أَصْحَابِ نُحْصِ الْجَبَلِ». يَعْنِي: فِي سَفْحَ الْجَبَلِ.

وفي مسند أحمد بإسناده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَتْلَى أُحُدٍ أَنْ يُنْزَعَ عَنْهُمُ الْحَدِيدُ وَالْجُلُودُ، وَأَنْ يُدْفَنُوا بِدِمَائِهِمْ وَثِيَابِهِمْ ». (٥)

وأخرج أبو داود(١) بإسناد صحيح من حديث عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: جَاءَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالُوا: أَصَابَنَا قَرْحٌ وَجَهْدٌ، فَكَيْفَ تَأْمُرُنَا،

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٤٢) ومسلم (٢٢٩٦) .

(٢) برقم (١٣٧٤) .

(٣) برقم(١٥٠٢٥).

(٤) يقول: ياليتني مت أو قتلت مع من قتل يوم أحد.

(٥)أخرجه أحمد برقم (٢٢١٧) وأبو داود (٣١٣٤) وفي إسناده مقال؛ لكنه صحيح المعني .

قَالَ: «**احْفِرُوا وَأَوْسِعُوا، وَاجْعَلُوا الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ**» قِيلَ: فَأَيُّهُمْ يُقَدَّمُ؟ قَالَ: «**أَكْثَرُهُمْ قُرْآنًا**» قَالَ: أُصِيبَ أَبِي يَوْمَئِذٍ عَامِرٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَوْ قَالَ وَاحِدٌ.

وفي رواية [٢] عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، بِإِسْنَادِهِ وَمَعْنَاهُ زَادَ فِيهِ:

«**وَأَعْمِقُوا**».

وقد حاول بعض الصحابة نقل موتاهم إلي المدينة

فأخرج الترمذي [٣] بإسناد صحيح عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي لِتَدْفِنَهُ فِي مَقَابِرِنَا، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: رُدُّوا القَتْلَى إِلَى مَضَاجِعِهِمْ .

ولعل ذلك لأنَّ نقلَ الموتي لغير مصلحة شرعية لا يجوز، فإنها من المشقة بلا فائدة ،وقد ورد هذا بسياق أطول أخرجه أحمد[٤] بإسناد صحيح عن جابر رضي الله عنه خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ لِيُقَاتِلَهُمْ، وَقَالَ لِي أَبِي عَبْدُ اللهِ:« يَا جَابِرُ، لَا عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ فِي نَظَّارِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ حَتَّى تَعْلَمَ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُنَا، فَإِنِّي وَاللهِ لَوْلَا أَنِّي أَتْرُكُ بَنَاتٍ لِي بَعْدِي، لَأَحْبَبْتُ أَنْ تُقْتَلَ بَيْنَ يَدَيَّ، قَالَ: فَبَيْنَمَا

=

(١) برقم (٣٢١٥) .

(٢) عند أبي داود برقم (٣٢١٦) .

(٣) برقم (١٧١٧).

(٤) أخرجه برقم (١٥٢٨١) .

أَنَا فِي النَّظَّارِينَ إِذْ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي، وَخَالِي عَادِلَتَهُمَا عَلَى نَاضِحٍ، فَدَخَلَتْ بِهِمَا الْمَدِينَةَ لِتَدْفِنَهُمَا فِي مَقَابِرِنَا، إِذْ لَحِقَ رَجُلٌ يُنَادِي:

«أَلَا إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا بِالْقَتْلَى، فَتَدْفِنُوهَا فِي مَصَارِعِهَا حَيْثُ قُتِلَتْ»، فَرَجَعْنَا بِهِمَا فَدَفَنَّاهُمَا حَيْثُ قُتِلَا فَبَيْنَمَا أَنَا فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِذْ جَاءَنِي رَجُلٌ فَقَالَ: يَا جَابِرُ بْنَ عَبْدِ اللهِ، وَاللهِ لَقَدْ أَثَارَ أَبَاكَ عُمَّالُ مُعَاوِيَةَ، فَبَدَا فَخَرَجَ طَائِفَةٌ مِنْهُ، فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي دَفَنْتُهُ، لَمْ يَتَغَيَّرْ إِلَّا مَا لَمْ يَدَعِ الْقَتْلُ - أَوِ الْقَتِيلُ - فَوَارَيْتُهُ».

تنبيه:

ما ورد من أن رسول الله ﷺ صلي علي بعض من شهداء غزوة أحد .

لم أقف علي شيئ ثابت في ذلك ،روي ذلك ابن إسحاق بإسناده.

وروي أحمد [١]عن ابن مسعود رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ صلي علي حمزة سبعين صلاة ». وإسناده منقطع،ورواه عبد الرزاق [٢]عن الشعبي مرسلاً.

وبالجملة هذا لايصح هذا .

وإنما صلَّي عليهم ﷺ بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات ﷺ كما سيأتي قريباً،و لكن لم يصل عليهم قبل ذلك كما سيأتي ذلك صريحاً .

---

(١) برقم(٤٤١٤).

(٢) في «المصنف»(٦٦٥٣).

عدد قتلي المسلمين في غزوة أحد

تقدم قول البراء بن عازب رضي الله عنه « فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ ».[١]

وأخرج البخاري عن قتادة قال: ما نَعْلَمُ حَيًّا مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ أَكْثَرَ شَهِيدًا أَعَزَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ قَتَادَةُ: وَحَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ اليَمَامَةِ سَبْعُونَ، قَالَ:«وَكَانَ بِئْرُ مَعُونَةَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَوْمُ اليَمَامَةِ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ، يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ»[٢] عَنْ أنس، عن ثابت قَالَ: يَا رَبَّ السَّبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ: سَبْعِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَسَبْعِينَ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ، وَسَبْعِينَ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَسَبْعِينَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ »[٣].

وأما تفصيل عددهم: فقيل أربعة من المهاجرين حمزة ، وشماس بن عثمان ،وعبد الله بن جحش ، ومصعب بن عمير رضي الله عنهم والباقون من الأنصار، وقيل غير ذلك فالله أعلم بتفصيل ذلك، وقيل قُتل من المشركين إثنان وعشرون رجلاً، وأُسرَ أبو عزة الشاعر المشهور والله أعلم بتفصيل ذلك بدقَّة.

تنبيه:

اشتهر عن حمنة بنت جحش رضي الله عنها أنه نُعي إليها أخوها عبد الله بن جحش

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٩٨٦) .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٧٨) .

(٣) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٧٧).

فقالت: قِيلَ لَهَا: قُتِلَ أَخُوكِ، فَقَالَتْ: رَحِمَهُ اللهُ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، قَالُوا: قُتِلَ زَوْجُكِ، قَالَتْ: وَاحُزْنَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلزَّوْجِ مِنَ الْمَرْأَةِ لَشُعْبَةً، مَا هِيَ لِشَيْءٍ**».

ومع شهرته فلم أقف له علي إسناد صحيح. (١)

بكاء النساء في المدينة علي قتلي المسلمين بعد رجوع النبي ﷺ والصحابة إليها

أخرج ابن أبي شيبة بإسناد حسن عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فَسَمِعَ نِسَاءَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَبْكِينَ عَلَى هَلْكَائِهِنَّ، فَقَالَ: «**لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ لَهُ**»(٢) فَجِئْنَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ فَبَكَيْنَ عَلَى حَمْزَةَ فَرَقَدَ فَاسْتَيْقَظَ» فَقَالَ: «**يَا وَيْحَهُنَّ إِنَّهُنَّ لَهَاهُنَا حَتَّى الْآنَ مُرُوهُنَّ فَلْيَرْجِعْنَ، وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ**». (٣)

وفي رواية (٤) عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لما رَجَعَ مِنْ أُحُدٍ، فَجَعَلَتْ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ يَبْكِينَ عَلَى مَنْ قُتِلَ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَلَكِنْ حَمْزَةُ لَا بَوَاكِيَ لَهُ**» قَالَ: ثُمَّ نَامَ فَاسْتَنْبَهَ وَهُنَّ يَبْكِينَ قَالَ: فَهُنَّ الْيَوْمَ إِذًا يَبْكِينَ يَنْدُبْنَ بِحَمْزَةَ

---

(١) وإنما أخرجه ابن ماجة (١٥٩٠) والحاكم (٤/ ٦٨) والبيهقي (٤/ ١١٠) في إسناده عبد الله بن عمر العمري وهو ضعيف.

(٢) كأنه ﷺ يسلِّيهن بقتل قريبة كما قتل أقربائهم.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٦٣) وابن ماجة (٥١٩١) بإسناد حسن.

(٤) عند أحمد (٤٩٨٤) وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٥٧): «على شرط مسلم».

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَهَا وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ فَلَمَّا رَأَوْا حُسْنَ مَقِيلِهِمْ وَمَطْعَمِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ قَالُوا: يَا لَيْتَ قَوْمَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللهُ لَنَا كَيْ يَرْغَبُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَتَّكِلُوا عَنْهُ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: فَإِنِّي مُخْبِرٌ عَنْكُمْ وَمُبَلِّغٌ إِخْوَانَكُمْ فَفَرِحُوا وَاسْتَبْشَرُوا بِذَلِكَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٧١].(١)

عتاب الله للمؤمنين إذا تسببوا فيما حصلت وقد عفا الله عنهم ثم سلَّاهم بالصبر

قال تعالي: لنبيه ﷺ:﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾ آل عمران. يعني بوِّأ الرُماة بقيادة عبد الله بن جبير وقال لهم لا تبرحوا أماكنكم فخالفوا كما تقدَّم.

قال تعالي : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ آل عمران.

---

(١) إسناده حسن وأخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٠٤) وعبد بن حميد (٦٧٩) وابن أبي عاصم في «الجهاد»(٥٢)وأبو داود (٢٥٢٠)وغيرهم، وإسناده حسن لولا عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس، وهذا الأجر ثابت في صحيح مسلم وغيره ، لكن تقييده بشهداء أُحد لا أعلمه إلا في هذا الإسناد ، وإذا لم يكن في الفضل لشهداء أحد فلمن يكون؟ ولذا صححته والله الموفق، ثم رأيته صرح بالسماع كما في «السيرة لابن هشام» (٢/ ١١٩) فالحمد لله .

فهذا من جراء المخالفة وهم مع أن النبيﷺ فكان فيهم، فكيف لو لم يكن رسول الله ﷺ فيهم كحال الناس اليوم ؟ الله المستعان، نسأل الله أن يعفو عنا.

تسلية الله تعالى المؤمنين بالصبر وحثّهم علي الاستغفار رحمة بهم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ آل عمران. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ آل عمران.

❁ قول المنافقين:

قال تعالي عنهم: ﴿ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ آل عمران.

❁ الفوائد والحكم الربانية في قصة أحد وإصابة المسلمين

قال العلماء :

في قصة أحد وما أصيب به المسلمون من الفوائد ،والحكم الربانية أشياء عظيمة:

منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي

لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول ﷺ أن لا يبرحوا هذا المكان [١].

ومنها :

اللجوء إلي الله عند المُلمَّة فإن رسول الله ﷺ تَضَرَّع يومها وقال: « **اللهم إن تشأ لا تعبد في الأرض** ».[٢]

ومنها:

أن عادة الرُّسل أن يُبتلوا وتكون لها العاقبة كما تقدم في قول هرقل مع أبي سفيان [١] سنة كونية ولا تجد لسنة الله تحويلاً ولا تبديلاً.

---

(١) وإذا كان ماحصل للصحابة وفيهم رسول الله ﷺ ، وهم ماقصدوا المخالفة إنما ظنُّوا أن الحرب انتهت فتركوا أماكنهم ، هذا مع صلاحهم، وكثرة مناقبهم وحسبك بجهادهم وإعانتهم لرسول الله ﷺ .....الخ ، فكيف بغيرهم ممن أتى بعدهم.

والذي يُعتَب عليهم به هو قوله تعالى:﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الدنيا ﴾ لكنه سبحانه قال: «ثم صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ آل عمران . وهو من عند أنفسهم !

فكيف بأحوالنا لو عاقبنا ربنا ؟!.نسأل الله العافية .

(٢) فقد أخرج أحمد (١٢٥٣٨) بسند صحيح على شرط مسلم بل هو فيه برقم (١٧٤٣)عن ثابت، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ ﷺ كَانَ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ أَنْ لَا تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ**» .

وكذلك بالطبع أتباع الرسل وأهل السنة من آخر هذه الأمة بالطبع سيكونون كذلك غرباء، بل آخر الزمان أكثر غربة ، إذ النبي ﷺ قال : «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». (٢)

والحكمةُ في ذلك: أنهم لو انتصروا دائماً دخل في المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انكسروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتيمزالصادق من الكاذب، والخبيث من الطيب وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفياً عن المسلمين .

فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروا من الفعل والقول وتحرَّزوا منهم ـ والظاهر أن الأنبياء والصالحين يُبتَلون ثم تكون لهم العاقبة .

ومنها:

أن تأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس وكسراً لشماختها

فلما ابتُلي المؤمنون صبروا وجَزَع المنافقون (٣).

=

(١) فحينما سأل هرقل أبا سفيان عن أتباع محمد :«أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ. » وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ أبداً ..». أخرجه البخاري (٥١) ومسلم .

(٢) وهو صحيح أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .

(٣) فقد فرح المخلَّفون حينما اختاروا القُعود علي الذهاب إلي ساحات الوغي مع رسول الله ﷺ واشرأب النفاق لما أصيب المسلمين بما أُصيبوا به، وقالوا :﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ

ومنها :

أن الله هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلُوا إليها .

ليعلم الله الذين آمنوا ،ويتخذ من المؤمنين شهداء، وليمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين .

ومنها:

أن الشهادة من أعلي مراتب الأولياء فساقها إليهم .(١)

وذلك أن الشهادة هذه قد جعلها الله لأحبَّائه، فلولا أنها أعلى المراتب لأوليائه ما هيأهم لها وساقها إليهم وأتحفهم بها، ووضح هذا الشرف في كلام رسول الله ﷺ.(٢)

=

كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ آل عمران .

والابتلاءات عموماً تُمَيِّز الصفوف وتمحِّص المؤمن وترفع قدره.....

(١) ولذلك قال تعالي : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ آل عمران.

(٢) فقد أخرج البخاري (٢٨١٧) سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ».

ومنها:

الحد الذي يكون بين الصغير والكبير وهو خمسة عشر عامًا فهو الذي قُبِل فيه سن الغازي، لأن الرسول ﷺ لم يأخذ من صَغُر سنُّه عن ذلك ،وأخذ من كبر سنُّه عن ذلك كما تقدم .

ومنها:

أنه سبحانه إذا أراد إهلاك أعدائه قيَّد لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذي أوليائه ، فمحَّص بذلك ذنوب المؤمنين ،ومحق بذلك الكافرين ، وكذا سبحانه إذا أراد عكس ذلك لأوليائه(١).

وللعظات والعبر، ولإظهار الله تعالي رعايته لأوليائه ورسله حين ثبَّتهم فقال:

=

وفي صحيح مسلم (١٨٨٧)قوله ﷺ عن الشهداء: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»، فَقَالَ: « هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ »قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا ».

(١) ففعل أعداؤه الكفار ما أوجب لهم به ذلك ، وابتلى أولياءه بهم فقُتلواوأصيبوا وحزنوا وأصابهم القرح ...فاستوجبوا الأجر العظيم والرفعة العظيمة،كما قال سبحانه ذلك صريحاً ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ آل عمران،وقال : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ آل عمران.

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ آل عمران.

ومنها:

أن الجهاد إذا كان فرض كفاية فللأب أن يمنع ولده منه كما فعل عبد الله ابن حرام الأنصاري رضي الله عنه والد جابر رضي الله عنه ، فقد منعه من بدر وأُحد، ثم لما توفي والده في أُحد ما تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة بعدها قط.

ومنها : بيان منزلة أبي بكر وعمر، وذلك في خطاب أبي سفيان بن حرب بعد الوقعة، فبان منزلتهما من النبيﷺ،وخصوصيتهما به،بحيث كان أعداؤه لا يعرفون بذلك غيرهما، إذ لم يسأل أبو سفيان عن غيرهما. (١)

وقد قدَّر الله لأبي سفيان الردَّ المناسب والطريقة المناسبة في الرد، وفي الوقت المناسب حتي أخزاه الله قبل أن ينتقل من مكان الحرب، فالله أكبر.

وذلك مع استظهاره بالانتصار، فانقلب السحر على الساحر كما يقال.

ذلك أن الله ما ابتلى أولياءه ليذلَّهم للكفار عبدة الأصنام أو ليخزيهم، كلا، وإنما ابتلاهم ليرفع قدرهم(١)كما تدل عليه الآيات، والله عزيز لا يُغلب ..

---

(١) يعني حينما قال : أفيكم محمد ، أفيكم ابن أبي قحافة، أفيكم عمر ...

ومنها :

أنه ينبغي للمرء أن يتذكر نعمة الله، ويعترف بالتقصيرعن أداء شكرها لمن تأمل، وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ آل عمران.

ومنها:

شؤم ارتكاب المنهي، وأنه يعم ضرره من لم يقع منه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأنفال[٢].

ومنها :

أن من آثر دنياه أضرَّ بأمر آخرته- غالبًا- لم تحصل له دنيا، وتُفيده كما في شأن أبي سفيان ابن حرب رضي الله عنه :حروب، ومحن، وقتل وتشريد ....إلخ .

=

(١) وكأن عمر ألمح لهذا حينما ردَّ على أبي سفيان في قوله: «يوم بيوم بدر،والحرب سجال »فَقَالَ عُمَرُ: «..لَا سَوَاءً، قَتْلانَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَتْلاكُمْ فِي النَّارِ..» كما في لفظ رواية أحمد(٢٦٠٩) بسند حسن في الحديث الطويل .

(٢) فإن رسول الله ﷺ والصحابة الذين كانوا من غير الرماة تضرَّروا من شؤم المخالفة في ترك الرماة أماكنهم، فعم الضرر من لم يقع منه المخالفة، فهم جميعاً، مع أنهم كلهم أصحاب فضل ومنازل عليَّة رضي الله عنهم أجمعين.

وماذا أغنى عنه ذلك!؟

وفي آخر المطاف يأتي متأخِّراً يُسلم، وقد سبَقه مَن كان مغموراً يعيش في غبراء الناس لا يؤبَه له- في وجهة نظر الجميع – والإسلام يعزّ الله سبحانه به أقوامًا ويضَع به آخرين ومن هذه الكائنة:

أخذ الصحابة الحذر من العود إلي مثلها والمبالغة في الطاعة، والتحرز من العدو الذين كانوا يظهرون أنهم منهم وليسوا منهم، وإلي ذلك أشار سبحانه في سورة آل عمران أيضًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ آل عمران.

وقال تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾ آل عمران.

ومنها :

مشروعية الاقتراع حيث اقترعوا في الثوبين اللذَينِ أتت بهم صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها أيهما لحمزة، وأيهما للآخر .

ومنها :

التثبت في نقل الأخبار وعدم السير خلف الشائعات فقد أشيع أن رسول الله ﷺ قتل، ولم يكن لذلك أساس من الصحة والله تعالي يقول : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الحجرات.

ومنها: فضيلة سعد بْن أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: نَثَلَ لِي النَّبِيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**».

ومنها:

بيان أن المصائب إنما تكون بحبل من الناس، ومن أنفسهم، وما ربك بظلام للعبيد كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ ﴾ آل عمران.

فالمصائب بما كسب أيدي الناس ليذيقهم الله بعض ماعملوا لعلهم يرجعون إلي الرشد والصواب، وعلي ذلك فقد تكون البلايا تكفيراً للخطايا والله تعالي يريد بإصابة المؤمن الخير له، ولذلك كان رسول الله يوعك أشد ما يوعك الناس ،ويبتلي الرجل في دينه فإن كان في إيمانه ودينه صلابة زيد له في البلاء ،وأشدّ الناس بلاءً الأنبياء، والله المستعان ونسأله العافية.

ومنها:

أن الإنسان عليه أن يأخذ بالأسباب كما فعل الصحابة في غزوة أحد مهما كانت النتيجة فالرضا بقضاء الله وقدره الشرعي واجب. (١)

---

(١) أما الرضا بقضاء الله الكوني فهو مستحب، وليس بواجب .

ومنها: مشروعية مشاركة النساء في الجهاد، والأولي ألا يُغْزَى بالنساء لايؤمَن عليهم كما نص بعض العلماء علي ذلك.

ومنها:

خطر المنافقين، والانتباه لفعلهم فإنهم لما انخزلوا كادت طائفتان من المؤمنين أن تفشلا، فكفي الله المؤمنين،لا سيما أهل العلم – سادة الناس– شرَّهم.

ومنها:

عظم شجاعة حمزة وقوة بأسه فإنه كان يهدّ في صفوف المشركين هدًّاً ، اُنظر مبارزة هذا الكافر الذي حادّ الله ورسوله ،جعله حمزة كأمس الذاهب، ولم يستطع وحشي أن يقتل حمزة ﷺ إلا غيلة، وكذا الفرسان الشجعان الأبطال لا يستطيع أحد من الناس أن يُنازله، وموقفه في مبارزته في أول غزوة بدر في الذين اختصموا في ربهم معروف، ولو كان وحشي يقدر أن يأتيه وجهـًا لوجه لفعل، لكنه إنما كَمُنَ له ورماه بالحربة فسقط ﷺ صريعـًا .

ومنها:

بيان منزلة الرسول ﷺوأبي بكر وعمر عند الكفار، فإنهم في مقام القادَة ، بقاؤهم أقوياء بقاء الجيش، فلابد أن يدافَع عنهم، ولذلك انخزل أبو سفيان وفرُّوا منهم ولم يلاقوهم في حمراء الأسد –كما سيأتي – مع استعراض دعواه الانتصار، مدَّعيـًا أنه يوم بيوم بدر، وأن أبا سفيان كان يتمني استئصال شأفة

المسلمين ،فلم يستطع وإنما كانت غِرَّة أصابوا من المسلمين ماقدَّره الله لحكم عديدة لا يتسع المقام لذكرها هنا، فالحق أن المسلمين انتصروا في أول المعركةكما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴿١٥٢﴾ ﴾ آل عمران ، الحس: القتل ،ووكذلك انتصروا في آخرها، وإن كان منهم من فرَّ أثناء القتال، وهم ممن عفا الله عنهم، وثمَّ فوائد التي لا يتسع المقام لذكرها هنا، فلها مقام آخر .

مسير النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنه إلي حمراء الأسد بعدما أصابهم القرح

وحمراء الأسد: هي مكان من المدينة علي بعد ثمانية أميال .

وقد وردت عدة أسانيد مفادها أن أباسفيان همَّ أن يكرَّ علي المسلمين في المدينة ثانيـًا، ونُقِلَ الخبر إلي أصحاب رسول الله ﷺ، أن الكفار قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فقالوا ما سيأتي ،فأمرالنبيﷺ الصحابة أن يخرجوا في طلبهم ليعلموا أن ما أصابهم من القرح لم يؤثِّر، فما زال بهم قوة، وقابلوا إشاعة تجمُّع الكفار بقولهم:«حسبنا الله ونعم الوكيل»واستجابوا لنداء رسول الله ﷺ من بعد ما أصابهم القرح، فأوقع الله في صفوف الكفار الرُّعب .

فأخرج البخاري عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ،{الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ}[آل عمران: ١٧٢] لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ}، قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ: الزُّبَيْرُ، وَأَبُو بَكْرٍ، لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ الله ﷺ مَا

أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ المُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: «مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ» فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَالزُّبَيْرُ.[١]

قال ابن كثير [٢]:

هَذَا السِّيَاقُ غَرِيبٌ جِدًّا فَإِنَّ الْمَشْهُورَ عِنْدَ أَصْحَابِ الْمَغَازِي أَنَّ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ كُلُّ مَنْ شَهِدَ أُحُدًا وَكَانُوا سَبْعَمِائَةٍ كَمَا تَقَدَّمَ قُتل مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَبَقِيَ الْبَاقُونَ. [٣] ا.هـ

قلت «محمد»:

الموافق للحال أن لا ينتدب رسول الله ﷺ لجيش أبي سفيان سبعين رجلاً فقط، إلا لو كان السبعون كطليعة أو ما شابه ذلك، ولعله لذلك استغرب ابن كثير رواية البخاري فالله أعلم .

وأخرج البخاري [٤] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، «قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ » حِينَ قَالُوا: {إِنَّ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٧٧) ومسلم (٢٤١٨) .

(٢) في «البداية والنهاية »(٤/ ٦٠) .

(٣) ثم ساق عدة أسانيد ضعيفة تدل علي أن الملائكة والحجارة سومت لهم لو عادوا يكرُّون علي المسلمين في المدينة ،ولا أعلم شيئاً في هذا يصح.

(٤) برقم (٤٥٦٣) .

النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ}.

وأخرج النسائي في «الكبري» بسنده(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ، قَالُوا: لاَ مُحَمَّدًا قَتَلْتُمُوهُ، وَلاَ الْكَوَاعِبَ أَرْدَفْتُمْ، وَبِئْسَ مَا صَنَعْتُمُ ارْجِعُوا.

---

(١) برقم (١١٠١٧) عن محمد بن منصور عن سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ...كذا موصولا.

وخالفه محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ فرواه عن سفيان به عن عكرمة مرسلاً ....

أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره»(٤٥١٠).

ويظهر لي صحته علي الوجهين فإن محمد بن منصور ثقة ليس هو دون محمد بن عبد الله بن يزيد ، ولكن رأيت سعيد بن منصور في «تفسيره» (٥٤٣) رواه عن سفيان ...علي الإرسال.

وكذا عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٨٧) رواه عن سفيان به علي الإرسال.

وكذا رواه ابن أبي عمر العدني عن سفيان به علي الإرسال ، أخرجه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٥٢٢).

فهؤلاء محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ وسعيد بن منصور، وعبد الرزاق، وابن أبي عمر، أربعتهم رووه عن سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة مرسلاً.

وخالفهم محمد بن منصور ــ وحده فرواه عن سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه موصولاً كما تقدم.

ولا شك أن المرسل أصح وهذا واضح، وهو ما أشار إليه الحافظ ابن حجر حينما قال في «الفتح»(٨/ ٢٢٨) بعد أن عزاه للنسائي وابن مردويه:

فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَنَدَبَ النَّاسَ فَانْتَدَبُوا حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الأَسْدِ وَبِئْرَ أَبِي عِنبَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى :

{الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ} وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : مَوْعِدُكَ مَوْسِمُ بَدْرٍ حَيْثُ قَتَلْتُمْ أَصْحَابَنَا .

فَأَمَّا الْجَبَانُ فَرَجَعَ ، وَأَمَّا الشُّجَاعُ فَأَخَذَ أُهْبَةَ الْقِتَالِ وَالتِّجَارَةِ ، فَلَمْ يَجِدُوا بِهِ أَحَدًا وَتَسَوَّقُوا ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي كتابه: {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ} .(١)

=

«رجاله رجال الصحيح إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس»ا.هـ

(١) وأخرج ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٩٨) قال: حدثني عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، مَعْبَدُ بْنُ أَبِي مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيُّ، وَكَانَتْ خُزَاعَةُ، مُسْلِمُهُمْ وَمُشْرِكُهُمْ عَيْبَةَ نُصْحٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، بِتِهَامَةَ، صَفْقَتُهُمْ مَعَهُ، لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا كَانَ بِهَا، وَمَعْبَدٌ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّ اللهَ عَافَاكَ فِيهِمْ، ثُمَّ خَرَجَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ، حَتَّى لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ،وَقَدْ أَجْمَعُوا الرَّجْعَةَ إِلَى رسول الله ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، وَقَالُوا: أَصَبْنَا حَدَّ أَصْحَابِهِ وَأَشْرَافَهُمْ وَقَادَتَهُمْ، ثُمَّ نَرْجِعُ قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ! لَنَكُرَّنَّ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ، فَلَنَفْرُغَنَّ مِنْهُمْ. فَلَمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ مَعْبَدًا، قَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبَدُ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيهِمْ مِنَ الْحَنَقِ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: وَيْحَكَ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: وَاللهِ مَا أَرَى أَنْ تَرْتَحِلَ حَتَّى أَرَى نَوَاصِيَ الْخَيل، قَالَ: فو الله لَقَدْ أَجْمَعْنَا

وفي غزوة حمراء الأسد من الفوائد والدروس:

فضل قول «حسبنا الله ونعم الوكيل» التوكل على الله وهو كفاية الله للمؤمن، وفي قولها عند ملاقاة العدو وقاية وعدم المساس بسوء، كما هو نص الآية الآية.

ومن ذلك:

=

الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ، لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ: قَالَ: فَإِنِّي أَنْهَاكَ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ حَمَلَنِي مَا رَأَيْتُ عَلَى أَنْ قُلْتُ فِيهِمْ أَبْيَاتًا مِنْ شِعْرٍ، قَالَ: وَمَا قُلْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ:

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي .... إِذْ سَالَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ

تَرْدِي بِأُسْدٍ كِرَامٍ لَا تَنَابِلَةٍ .... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا مِيلٍ مَعَازِيلِ

ولكن معبد الخزاعي لم أعرفه، ويبعد أن يكون هو ابن أم معبد صاحبة الخيمة الذي كان في الهجرة ، لأن ابنها آن ذاك كان صغيراً وهذه الغزوة كانت بعد الهجرة بثلاث سنين ولم يكن زوجُها بهذه المنزلة، وقد أشار إلي ذلك الحافظ في «الإصابة » (٦/ ١٣٦) .

فالظاهر أن هذا لايصح لإرساله ، والذي صح تقدم ذكره ،وقبيلة خزاعة هذه هي التي منها بديل بن ورقاء الخزاعي .

قال المسور بن مخرمة في ذكره لحديث صلح الحديبية الذي أخرجه البخاري (٢٧٣١) بلفظ:« ..جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ...وسيأتي ذكر ذلك في قصة الحديبية إن شاء الله .

ما كان عليه الصحابة من شجاعة وقوة بأس وحسن عزيمة، حيث استجابوا لله من بعد ما أصابهم القرح في غزوة أحد، مع الإرهاق والتعب والحزن وشدّة المصاب، وقلة عددهم ...

ومن ذلك:

جبن وهلع الكفار فمع دعواهم النصر وإظهار الشماتة والفرح بما أصابوا، إلا أنهم لمَّا علموا بخروج الصحابة لهم خافوا منهم،فما كان منهم إلا الهروب كما تقدَّم ذكره.

ومن ذلك :

البركة في تنفيذ أمر الرسول ﷺ حتي ولو كان شديداً، فقد أكرمهم الله بالذي أكرمهم به من المنزلة وحسن الثناء عليهم ..الخ، فطواعية رسول الله ﷺ أنفع فأكرمهم سبحانه

مع أنهم لم يُباشِروا قتالاً، وهذا من كرم الله تعالي وسعة فضله على من استجاب لأمره، ولو رأى أن ثمَّ مشقة أو عناءً.

ومنها:

حسن التقدير للمؤمنين فالله يُهَيئ لأوليائه الأسباب الجالبة للخير والحسنات بقليل العمل ومن ذلك:

الأخذ بالأسباب فإن الصحابة لمَّا خافوا أن يرجع الكفارعليهم خرجوا إليهم ليُرعبوهم، وحصل مرادهم...وسيأتي نحو هذا في غزوة تبوك .

غزوة الرجيع [١]

في السنة الرابعة للهجرة

وهي سرية عاصم وخبيب رضي الله عنهما في عشرة أنفس .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً عَلَيْنَا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ ابْنَ ثَابِتٍ» وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لَحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرٍ تَزَوَّدُوهُ مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ، فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ.

فَلَمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ، وَجَاءَ القَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ، فَقَالُوا: لَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا، أَنْ لاَ نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا، فَقَالَ عَاصِمٌ: أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرُ، فَأَعْطَوْهُمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا.

---

(١) سماها بهذا الإسم الواقدي، لكونها كانت في هذه المنطقة، وهي علي بعد سبعة أميال من مكة وكذا سماها البيهقي في «الدلائل» (١/ ٥٦) وبوب البخاري بباب غزوة الرجيع وذكر فيها القصة الآتية، وكانت الوقعة قريباً من هذا المكان ، فسمِّيت به ، فراجع «فتح الباري» (٧/ ٢٦٧) طـ دار الحديث .

ويقال منها عضل والقارة، والقارة: أكمة سوداء فيها حجارة ،كأن الصحابة نزلوا عندها فسموا بها.

فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الَّذِي مَعَهُمَا: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ، فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَتَلُوهُ، وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ، وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ، اسْتَعَارَ مُوسًى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، قَالَتْ: فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي، فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَ ذَاكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ المُوسَى، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَاكِ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَكَانَتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الحَدِيدِ، وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ، فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: لَوْلاَ أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ المَوْتِ لَزِدْتُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ القَتْلِ هُوَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، ثُمَّ قَالَ:

مَا أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقبَةُ بْنُ الحَارِثِ فَقَتَلَهُ[1]، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ

(١) الذي قتل خبيباً هو أبو سروعة ذكر كنيته جابر بن عبد الله كما في صحيح البخاري (٤٠٨٧)

والدبر: الزنابير- وهي ذكور النحل تمنع عشها - ، فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمة شيئًا.(١)

وقد جاء في بعض الروايات:

«فبعث الله عليهم الدبر تطير في وجوههم وتلدغهم فحالت بينهم وبين أن يقطعوا».

أخرج ذلك البيهقي في«الدلائل»(٤٣٨) وإن كان السند ضعيفًا إلا أن المعني صحيح.

وفي هذه القصة من الفوائد:

أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكِّن من نفسه، ولو قُتل ، أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فأما إن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن، لأن النبي ﷺ لم ينكر علي بعضهم ما فعلوا

ومنها:

=

وقد أخرج ابن إسحاق -كما قال الحافظ - وخليفة بن خيَّاط في «تاريخه » صـ(٧٥) بإسناد حسن عن عقبة بن الحارث..به، وقال بعد أن أسلم: والله ما أنا قتلت خبيباً،لأني كنت أصغر من ذلك، ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتي قتله .

وصحح سنده الحافظ في «الفتح»(٧/ ٤٧٥) وعند خليفة «أبو هبيرة » بدلا من أبي ميسرة .

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨٦) .

الوفاء للمشركين بالعهد، [١] والتورُّع عن قتل أولادهم، [٢] والتلطُّف بمن أُريد قتله، [٣] وإثبات كرامة الأولياء، [٤] والدعاء علي المشركين كما سيأتي

ومنها:

ما كان عليه مشركوا قريش من تعظيم الحرم والأشهر الحرم .

ومنها:

السُّنَّة عند القتل صلاة ركعتين لفعل خبيب رضي الله عنه وإقرار النبي ﷺ.

ومنها:

جواز إنشاد الشعر وإنشائه عند القتل ،وهذا دليل علي قوة يقين خبيب رضي الله عنه وشدَّته في دينه رضي الله عنه .

ومنها:

أن الله يبتلي عبده المسلم بما شاء ،كما سبق في علمه ليُثيبه ولو شاء ربك ما

---

(١) أُخِذَ من طلبه موساً يستحد به،وتمكَّن من الغلام فلم يقتله .

(٢) لما قال لأم الغلام أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله .

(٣) هذا مقرر وقد فعله المشركون حيث أعطوه موساً ليستحدَّ به لما طلبه منهم، وأطعموه.. فيا لها من أخلاق قد غابت عن الخوارج اليوم مع من ينطق بلا إله إلا الله، مع تشدّقهم بإرادة تطبيق حكم الله،ولا عجب فقد سلم منهم عبدة الأوثان ويقتلون أهل الإسلام كما قال ﷺ.

(٤) فقد حماه الله من أن يقدروا علي أخذ شئ منه، فمن كرامته رضي الله عنه حمايته من هتك حرمته بقطع لحمة.

فعلوه .

ومنها:

استجابة دعاء المسلم، وإكرامه حيًّا وميِّتًا ،وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين، ولم يمنعهم من قَتلِه لِمَا أراد له سبحانه من إكرامه بالشهادة رضي الله عنه .[1]

ومنها: فضل خبيب رضي الله عنه في أنه أول من سَنَّ الرَّكعتين عند القتل ابتدأها خبيب رضي الله عنه ، وكان هذا في زمن النبي ﷺ فأقرَّه .

ومنها:

الدعاء علي الكفار لقول خبيب رضي الله عنه «**اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلاَ تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا**».

ومنها:

إثبات الكرامات للأولياء.

ومنها:

فإن الله تعالي حمي عاصم بن ثابت فلم يقدروا علي أخذه للتنكيل به حماية لجُثَّتِه، وهذا من كراماته رضي الله عنه ، وأخرى أن خبيبًا رضي الله عنه كان يأكل قطف عنب وما بمكة يومئذٍ ثمرة ،وإنه لموثق بالحديد.

---

(١) انظر «فتح الباري» (٧/ ٤٧٥) .

موقعة بئر معونة

وهي سرية السبعين من القراء مع رعل وذكوان أرسلهم رسول الله ﷺ لجماعة من المشركين كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد كما سيأتي ،وكانت قريبة جداً من أحد[١] بعد غزوة الرجيع.

مناقب القراء وحزن النبي ﷺ عليهم وما كان من أمرهم.

أخرج البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رِعْلًا، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَبَنِي لَحْيَانَ، اسْتَمَدُّوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى عَدُوٍّ، فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ، كُنَّا نُسَمِّيهِمْ القُرَّاءَ فِي زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ، وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى كَانُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ وَغَدَرُوا بِهِمْ.

فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ «فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَبَنِي لَحْيَانَ» قَالَ أَنَسٌ: « فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآنًا [٢]، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ: بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا ».[٣]

قنت بعد الركوع يدعو عليهم كما في رواية البخاري[١] فقنت شهرا ثم ترك القنوت (الدعاء) [٢]، وفي رواية مسلم أنه لعنهم.

---

(١) ولذلك أدرجها البخاري مع غزوة الرجيع فقال:« بَابُ غَزْوَةِ الرَّجِيعِ، وَرِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَبِئْرِ مَعُونَةَ، وَحَدِيثِ عَضَلٍ، وَالقَارَةِ، وَعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ، وَخُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ».

(٢) يعني: من القرآن الذين نسخت تلاوته، رفع بعد ذلك.

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٩٠) ومسلم(٦٧٧).

وأخرج البخاري[٣] عن أنس ﷺ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْعِينَ رَجُلًا لِحَاجَةٍ، يُقَالُ لَهُمْ القُرَّاءُ، فَعَرَضَ لَهُمْ حَيَّانِ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، رِعْلٌ، وَذَكْوَانُ، عِنْدَ بِئْرٍ يُقَالُ لَهَا بِئْرُ مَعُونَةَ، فَقَالَ القَوْمُ: وَاللهِ مَا إِيَّاكُمْ أَرَدْنَا، إِنَّمَا نَحْنُ مُجْتَازُونَ فِي حَاجَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَتَلُوهُمْ «فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ شَهْرًا فِي صَلاَةِ الغَدَاةِ، وَذَلِكَ بَدْءُ القُنُوتِ، وَمَا كُنَّا نَقْنُتُ» قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ وَسَأَلَ رَجُلٌ أَنَسًا عَنِ القُنُوتِ أَبَعْدَ الرُّكُوعِ أَوْ عِنْدَ فَرَاغٍ مِنَ القِرَاءَةِ؟».

قال أنس بن مَالِكٍ ﷺ، وسئل عَنِ القُنُوتِ فِي الصَّلاَةِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: كَانَ قَبْلَ الرُّكُوعِ أَوْ بَعْدَهُ؟ قَالَ: قَبْلَهُ، قُلْتُ: فَإِنَّ فُلاَنًا أَخْبَرَنِي عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ بَعْدَهُ، قَالَ: كَذَبَ «إِنَّمَا قَنَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْرًا أَنَّهُ كَانَ بَعَثَ نَاسًا يُقَالُ لَهُمْ القُرَّاءُ، وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا إِلَى نَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ قِبَلَهُمْ، فَظَهَرَ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ، فَقَنَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْرًا يَدْعُو عَلَيْهِمْ».[٤]

=

(١) صحيح أخرجه (٤٠٨٩). وهذا يدل علي أن المداومةعلي القنوت في الفجر بدعة محدثة لأن رسول الله ﷺ ما كان بيقنت قبل ولا بعد فدل علي أنه نازلة وإنما يفنت في النوازل فقط في الخمس

(٢) وهذا يدل علي أن المداومةعلي القنوت في الفجر بدعة محدثة، لأن رسول الله ﷺ ما كان يقنت قبل ولا بعد، فدلَّ علي أنه قنتَ لنازلةٍ، فيقنت في النوازل فقط في الصلوات الخمس.

(٣) برقم (٩٠٨٨)، ومسلم (٦٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٩٦).

ومحتمل أن يكون الذين قتلوهم من المشركين، هم مشركون ولكنهم غير المشركين الذين كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، وقد حزن رسول الله ﷺ عليهم جداً .

فقد قال أنس رضي الله عنه : «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَجَدَ عَلَى سَرِيَّةٍ مَا وَجَدَ عَلَى السَّبْعِينَ الَّذِينَ أُصِيبُوا يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ، كَانُوا يُدْعَوْنَ الْقُرَّاءَ، فَمَكَثَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى قَتَلَتِهِمْ».(١)

وقد جاء تفصيل لذلك:

أخرج البخاري أَنَسٌ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ : «بَعَثَ خَالَهُ- أَخٌ لِأُمِّ سُلَيْمٍ- فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا» وَكَانَ رَئِيسَ الْمُشْرِكِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، خَيَّرَ (٢) بَيْنَ ثَلاَثِ خِصَالٍ، فَقَالَ: يَكُونُ لَكَ أَهْلُ السَّهْلِ (٣) وَلِي أَهْلُ المَدَرِ (٤)، أَوْ أَكُونُ خَلِيفَتَكَ، أَوْ أَغْزُوكَ بِأَهْلِ غَطَفَانَ بِأَلْفٍ وَأَلْفٍ؟ فَطُعِنَ (٥) عَامِرٌ فِي بَيْتِ أُمِّ فُلاَنٍ، فَقَالَ: غُدَّةٌ كَغُدَّةِ البَكْرِ، فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ آلِ فُلاَنٍ، ائْتُونِي بِفَرَسِي، فَمَاتَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ، فَانْطَلَقَ

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (٦٧٧) .

(٢) خير: أي خيَّر عامر النبي ﷺ .

(٣) السهل: أي أهل البوادي .

(٤) فطُعن: أي أصابه الطاعون .

كغدة البكر: خرجت له في أصل أذنه غدة كالغدة التي تطلع علي البكر ،وهو الفتي من الإبل ،والغدة قطعة صلبه يركبها الشحم تكون في العُنق .

(٥) أي أصابه الطاعون .

حَرَامٌ أَخُو أُمِّ سُلَيْمٍ وَهُوَ رَجُلٌ أَعْرَجُ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي فُلاَنٍ، قَالَ: كُونَا قَرِيبًا حَتَّى آتِيَهُمْ فَإِنْ آمَنُونِي كُنْتُمْ، وَإِنْ قَتَلُونِي أَتَيْتُمْ أَصْحَابَكُمْ.

فَقَالَ: أَتُؤْمِنُونِي أُبَلِّغْ رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ، وَأَوْمَئُوا إِلَى رَجُلٍ، فَأَتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ، - قَالَ هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ - حَتَّى أَنْفَذَهُ بِالرُّمْحِ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، فَلُحِقَ الرَّجُلُ، فَقُتِلُوا كُلُّهُمْ غَيْرَ الأَعْرَجِ، كَانَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْنَا، ثُمَّ كَانَ مِنَ المَنْسُوخِ: إِنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا «فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ ثَلاَثِينَ صَبَاحًا، عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَبَنِي لَحْيَانَ، وَعُصَيَّةَ، الَّذِينَ عَصَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ».[1]

ذكر بعض من قُتل في يوم بئر معونة

١ - عامر بن فهيرة - الذي كان مع رسول الله ﷺ يوم الهجرة مولي أبي بكر الصديق - [2] رضي الله عنهما.

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٠٩١) ومسلم (٦٧٧).

(٢) فقد روي البخاري عقب (٤٠٩٣ معلقاً)، وابن اسحاق في«السيرة» كما في «سيرة لابن هشام» (٢/ ١٦٩) عن عروة قال: لَمَّا قُتِلَ الَّذِينَ بِبِئْرِ مَعُونَةَ، وَأُسِرَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، قَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ: مَنْ هَذَا؟

فَأَشَارَ إِلَى قَتِيلٍ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ: هَذَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَ مَا قُتِلَ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَرْضِ، ثُمَّ وُضِعَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ خَبَرُهُمْ فَنَعَاهُمْ، فَقَالَ: « **إِنَّ أَصْحَابَكُمْ قَدْ أُصِيبُوا، وَإِنَّهُمْ قَدْ سَأَلُوا رَبَّهُمْ، فَقَالُوا: رَبَّنَا أَخْبِرْ عَنَّا إِخْوَانَنَا بِمَا رَضِينَا**

٢- عروة بن الصلت بن أبي حبيب بن حارثة السلمي :

سمي به عروة بن الزبير ، وكان بين وفاة عروة بن أسماء بن الصلت وولادة عروة بن الزبير بضعة عشر عامـًا سمي به تفاؤلاً

٣ـ المنذر بن عمر بن حبيش رضي الله عنه ، وكان بدريـًا من أكابر الصحابة رضي الله عنهم .(١)

٤ـ حرام بن ملحان رضي الله عنه خال أنس بن مالك رضي الله عنه أخو أم سليم رضي الله عنها .

قال أنس: لَمَّا طُعِنَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ، وَكَانَ خَالَهُ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ، قَالَ: بِالدَّمِ هَكَذَا فَنَضَحَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ .(٢)

ومن فوائد قصة بئرمعونة:

جواز الدعاء علي الكفار ولعنهم لأن رسول الله ﷺدعا علي رِعْل وذكوان ... قبائل من الكفار .

ومنها:

= عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا، فَأَخْبَرَهُمْ عَنْهُمْ » وَأُصِيبَ يَوْمَئِذٍ فِيهِمْ عُرْوَةُ بْنُ أَسْمَاءَ بْنِ الصَّلْتِ، فَسُمِّيَ عُرْوَةُ، بِهِ وَمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو، سُمِّيَ بِهِ مُنْذِرًا.

وهذا الأثر ضعيف لإرساله .

(١) راجع رواية البخاري (٤٠٩٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٩٢).

عظم يقين الصحابة رضي الله عنهم، فإنه لما طُعن قال: « فزت ورب الكعبة ».

ومنها:

بيان ما كانوا عليه من الصلابة والإقدام وعدم المبالاة بالموت رضي الله عنهم.

ومنها:

خيانة الكفار للمسلمين ـ وأنهم لا أمان لهم، هذا عند غالبهم، والأدلة متكاثرة على ذلك في اليهود وغيرهم من المشركين، ألم تر إلى المشركين وحلف المطيبين، فقد تعاهدوا على نصرة المظلوم من أهل مكة أو غيرها، فأين هذا مع النبي ﷺ والمؤمنين ؟

لكن في الاسلام: يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الكذب والخيانة....

ومنها:

رفعة شأن هؤلاء الصحابة فمع نسخ تلاوة القرآن الذي نزل في شأنهم فلم يبق تلاوته ....

لكن بقي في الأحاديث ما يُعلَم به منازلهم إلي يوم القيامة، فأبقى الله ذكرهم وأخبارهم فوائد نستفيدها منهم رضي الله عنهم .

ومنها:

أن ضعف شوكة المسلمين تُجَرِّئ عليهم الأعداء ويتكالبون عليهم فإن الكفار لما أصابوا من المسلمين سبعين في غزوة أحد.

استهانوا بهم فكسروا الحواجز، وخدعوا المسلمين بعد، وغَدَرُوا بهم وقَتَلُوا سبعين، مع أنهم- أعني السبعين من القراء- في مقام الرسل أصحاب الرسائل، ومعلوم أن الرسل لاتُقتل [1]، فكيف بإهانتهم والغدر بهم؟

بل كيف بخيانتهم وقتلهم ؟

فكلما كان المؤمنون أقوياء هابتهم الأُمم، والعكس كلما تفرَّقوا وشَعُر الكفار بضعفِهم استهانوا بهم وخدعوهم وخانوهم، واعتدوا على حرماتهم..هذه دروس! الدول القوية تحمي مواردها الاقتصادية، والسياسية، وتُحترم سيادتها ،وأرا ؤها ، ولا يُعتَدى عليها، وتُصان بين الشعوب والأمم، وفَّق الله المسلمين للعمل بهذا الدرس العظيم.

---

(١) هذا معلوم عند جميع الأمم المسلمة والكافرة ،الرسل لا تُقتل، وقد أخرج الطيالسي (٢٤٨) وأحمد (٣٧٦١) وأبوداود (٢٧٦١) بسندٍ رجاله مُعَدَّلون عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ ابْنُ النَّوَّاحَةِ وَابْنُ أُثَالٍ رَسُولَيْنِ لِمُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُمَا: « **أَتَشْهَدَانِ أَنِّي رَسُولُ الله** » فَقَالَا: نَشْهَدُ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ رَسُولُ الله.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **آمَنْتُ بِالله وَرُسُلِهِ، وَلَوْ كُنْتُ قَاتِلًا رَسُولًا لَقَتَلْتُكُمَا** ».

قَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ: فَمَضَتِ السُّنَّةُ بِأَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ.

وله شاهد سنده حسن أخرجه ابن ابن أبي عاصم في «المثاني»(١٣٠٩) وأحمد (١٥٩٨٩)والحاكم (٢/ ١٥٥) والبيهقي(٩/ ٣٥٦) عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِيهِ نُعَيْمٍ ، قَالَ: سمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: حِينَ قَرَأَ كِتَابَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، قَالَ لِلرَّسُولَيْنِ:« **فَمَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا؟** »قَالَا: نَقُولُ: كَمَا قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالله لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا**».

وأول الضعف يأتي من قِبَل التفرُّق والمنازعة، لا سيما إذا كان باسم الدين، كما يكون من الحزبيات باسم الدين، ومن أرآء الخوارج، ومن تأثر بهم .وقد بيَّن الله ذلك بقوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الأنفال.

ومنها:

مشروعية القنوت في النوازل كما فعل النبي ﷺ حيث دعا علي قوم من الكفار صنعوا ما صنعوا في القُرَّاء السبعين .

ومنها:

جواز تسمية حفظة القرآن القُرَّاء..إلخ الفوائد الأخرى وهي كثيرة.

وفاة أبي سلمة رضي الله عنه في العام الرابع من الهجرة

قد ذكر بعض العلماء أنا أبا سلمة توفي عندما رجع من إحدي الغزوات .

والذي وقفت عليه في ذلك من أخبار أنه رضي الله عنه جُرح يوم أحد فداوى جرحه حتي برأ، ثم خرج في سرية ، فغنم منها نعمًا ومغنمًا جيداً، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يومًا ثم انتفض عليه جُرحُه فمات في ثلاث بقين من جمادي الأولي من سنة أربع للهجرة .

والذي وقفتُ عليه مما صح في شأن موت أبي سلمة وزواج رسول الله ﷺ من أم سلمة ما أخرجه مسلم عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦]،

اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا »، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ**». (١)

تنبيه :

حكي الواقدي أنه في السنة الرابعة أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم كتاب يهود ولم أقف علي مايدل على أن أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه بتعلم لغة اليهود كان في السنة الرابعة للهجرة والله أعلم .

والوارد في هذا ما أخرجه عبد بن حميد (٢٤٣) وأحمد وابن حبان (١٧٣٦) وابن أبي داود في «المصاحف» بإسناد صحيح عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ؟ إِنَّهَا تَأْتِينِي كُتُبٌ**» قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: «**فَتَعَلَّمْهَا**» فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

وفي رواية :

قال النبي ﷺ: « **إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد، فهل تستطيع أن تتعلم كتاب العبرانية- أو قال: السريانية؟**

(١) صحيح أخرجه مسلم (٩١٨) .

فقلت: نعم، فتعلمتها في سبع عشرة ليلة. [١]

وخرَّجته في تحقيقي لكتاب « المصاحف » لابن أبي داود وليس فيه أنه كان في السنة الرابعة للهجرة .

والأثر السالف رواه البخاري [٢] معلقـًا مجزومـًا به بلفظ قال: خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ «**أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ اليَهُودِ**» حَتَّى كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ كُتُبَهُ، وَأَقْرَأْتُهُ كُتُبَهُمْ، إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ. [٣]

وقد وصله البخاري في«تاريخه الكبير» [٤] عن ابن أبي أويس عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد (عن زيد) أتي النبي ﷺ مَقْدَمِه المدينة، فأعجب بي ،فقال له : هذا غلام من بني النجار قد قرأ ما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة فلما أقرأني قرأت وقال: تعلم لي كتاب يهود فإني لا آمنُ يهود علي كتابي ...الحديث.

---

(١) وفي رواية أبي داود (٣٦٤٥) بسندٍ حسن قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ، وَقَالَ: «**إِنِّي وَالله مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي**» فَتَعَلَّمْتُهُ، فَلَمْ يَمُرَّ بِي إِلَّا نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّىٰ حَذَقْتُهُ، فَكُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ إِذَا كَتَبَ وَأَقْرَأُ لَهُ، إِذَا كُتِبَ إِلَيْهِ ».

(٢) برقم (٧١٩٥).

(٣)وهذا يدل علىٰ هِمَّة منقطعة النظير، أن يتعلم لغة يُصبح فيها مُتَمَكِّناً في هذه المدة اليسيرة، يكتب لهم ، ويقرأ كتبهم .فأين مثلهم في الأُمم.فحقاً كانت شخصيات فريدة ، الله أكبر!ومنهم يُتَعَلَّم .

(٤) «التاريخ الكبير»(٣/ ٣٨٠).

فدل ذلك على أنه كان في مَقدَمة المدينة لا في السنة الرابعة .

وقد أخرج أبو داود والترمذي (٢٧١٥) والطحاوي في «شرح المشكل» وغيرهم..الحديث وفيه متابعة لابن أبي أويس:

ولكن ليس فيه أن ذلك كان أول مَقدَمِة المدينة.

ثم رأيت الخبر عند البيهقي وغيره [١] بإسناد حسن عن زيد بن ثابت قال:

لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ أُتِيَ بِي إِلَيْهِ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي: «**تَعَلَّمْ كِتَابَ الْيَهُودِ؛ فَإِنِّي لَا آمَنُهُمْ عَلَى كِتَابِنَا**»، قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي خَمْسَةَ عَشَرَ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ، فَكُنْتُ أَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَأَقْرَأُ كُتُبَهُمْ إِلَيْهِ.

وهذا صريح أن ذلك كان عند مقدم النبي ﷺ لم يتأخر إلي السنة الرابعة والله أعلم.

غزوة بني النضير

نزلت سورة الحشر في بني النضير {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ}.

---

(١) في «الكبري»(٦/ ٣٤٧) وكذاأخرجه الفاكهي في «فوائده»(٧٨) وابن بشران في «الأمالي» (٢٥٦).

وفي صحيح البخاري [١] عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَقُرَيْظَةُ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ المَدِينَةِ».

وسبب ذلك أنهم شاقُّوا الله ورسوله، وقد قال تعالي عنهم:

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}

وقد ذكر أن بني النضير غَدَرُوا بالنبي ﷺ وحاولوا قَتله، فأُخبر ﷺ بذلك فتهيأ لحربهم وحصل ما هو معلوم ،حَرَّق نخلهم، وقطع أشجارهم، وأُصِيبُوا بالرعب وأجلاهم فكانوا يخربون بيوتهم ويفسدون أثاثها حتي لاينتفع بها المسلمون

وحكى ذلك سبحانه فقال:

«يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ».

وصارت أموالُهم فيئًا لرسول الله ﷺ يُنفقُ علي أهله نفقة سنتهم، ثم يَجعل ما بقي في السلاح والكراع عدَّة في سبيل الله كما في الأحاديث الصحيحة.[٢]

فكان النبي ﷺ يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم[١] والباقي ينفقه في الدروع والسلاح ومستلزمات الجهاد للجيش ﷺ عدة في سبيل الله.

---

(١) برقم (٤٠٢٨) ومسلم (١٧٦٦) .

(٢) وانظر صحيح البخاري (٢٩٠٤) ومسلم (١٧٥٧).

وفي غزوة بني النضير من الفوائد :

ضعف الكفار ـ في الحقيقة ـ واضح، وإنما هو جَوٌّ إعلاميٌ، يفعلونه، فإذا كانت الحقيقة رأيتهم ـ غالبًا ـ كما حصل في غزوة بني النضير، يقذف الله في قلوبهم الرعب، والوهن، وتظهر حقيقتهم.

ومنها:

أن أهل النفاق دائمًا يكونون مع الأعداء علي المسلمين يجتمع أعداء الإسلام علي الإسلام فلا تغترّ، فهم كما قال تعالي عنهم في هذه الغزوة :

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ....} .

هذه حقيقة المنافقين وهم متمثلون اليوم في الروافض وغالب العلمانيين ، والصوفية ، ـ أحيانـًا ـ والله المستعان.

ومنها:

جواز تحريق أشجار وتخريب بيوت الكفار إذا كان حرب .

ومنها:

=

(١) انظر صحيح البخاري (٥٣٥٧) ومسلم (١٧٥٧) .

جواز إدخار الأقوات للأهل ، لأن النبي ﷺ ادَّخَر لأهله قوت سنتهم.

ومنها:

أن لولي الأمر أن يصرف من الغنائم ما يكون في المصالح العامة إن رأي ذلك كما فعل ﷺ في أموال بني النضير.....إلخ الفوائد.

غزوة الأحزاب [١]

اشتهر في كتب السيرمن مراسيل ابن إسحاق بأسانيده عن جماعة من الرواة [٢] قَالُوا: إِنَّهُ كَانَ مِنْ حَدِيثِ الْخَنْدَقِ أَنَّ نَفَرًا مِنْ الْيَهُودِ، مِنْهُمْ: سَلَّامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ النَّضْرِيُّ، وَحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ النَّضْرِيُّ، وَكِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ النَّضْرِيُّ، وَهَوْذَةُ بْنُ قَيْسٍ الْوَائِلِيُّ، وَأَبُو عَمَّارٍ الْوَائِلِيُّ، فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، وَنَفَرٍ مِنْ بَنِي وَائِلٍ، وَهُمْ الَّذِينَ حَزَّبُوا الْأَحْزَابَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، خَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ مَكَّةَ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالُوا: إِنَّا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ،

---

(١) وكانت في سنة خمس للهجرة علي قول جمهور العلماء فيما حكاه عنهم ابن كثير في «البداية والنهاية » (٤/ ١٠٦)، وسُميت غزوة الأحزاب لأن كفار قريش جمعوا أحزاباً أوباشاً ألبوها لحرب النبي ﷺ في المدينة.

وسُمِّيَتْ غزوة الخندق لأنَّ الصحابة رضي الله عنهم حَفَروا خندقاً حول المدينة يحميها من مهاجمة الكفار ودخولهم عليهم، ثم كانوا في الجهة الأخري يقذفون من تُسَوَّل له نفسه اقتحام الخندق والله الموفق.

(٢) راجع «سيرة ابن هشام »(٢/ ١٩٠ وما بعدها).

حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُ، فَقَالَتْ لَهُمْ قُرَيْشٌ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، إِنَّكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْعِلْمِ بِمَا

أَصْبَحْنَا نَخْتَلِفُ فِيهِ نَحْنُ وَمُحَمَّدٌ، أَفَدِينُنَا خَيْرٌ أَمْ دِينُهُ؟

قَالُوا: بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ، وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ فَهُمُ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ، وَمن يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً» {٥١-٥٢}...إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى مَا آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ» ٤: ٥٤): أَيْ النُّبُوَّةَ، «فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكًا عَظِيماً. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ، وَكَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً» {٥٤- ٥٥}.

قَالَ: فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لِقُرَيْشٍ، سَرَّهُمْ وَنَشَطُوا لِمَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ، مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاجْتَمَعُوا لِذَلِكَ وَاتَّعَدُوا لَهُ. ثُمَّ خَرَجَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ يَهُودَ، حَتَّى جَاءُوا غَطَفَانَ، مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَّ قُرَيْشًا قَدْ تَابَعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَاجْتَمَعُوا مَعَهُمْ فِيهِ. فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ، وَقَائِدُهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَخَرَجَتْ غَطَفَانُ، وَقَائِدُهَا عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، فِي بَنِي فَزَارَةَ، وَالْحَارِثُ ابْن عَوْفِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّيُّ، فِي بَنِي مُرَّةَ، وَمِسْعَرُ بْنُ رُخَيْلَةَ بْنِ نُوَيْرَةَ بْنِ طَرِيفِ بْنِ سُحْمَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ هِلَالِ بْنِ خَلَاوَةَ بْنِ أَشْجَعَ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ، فِيمَنْ تَابَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ

من أَشْجَع، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَا أَجْمَعُوا لَهُ مِنْ الْأَمْرِ، ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ.

فالله أعلم بتفاصيل ذلك لكن الآية تدل علي شيئ منه. (١)

ثم إن قوله تعالي ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٢٣﴾ ﴾ آل عمران ، وردت إشارة إلي أنها كانت في شأن كعب بن الأشرف حين قدم المدينة

---

(١) أعني قوله تعالى يوم الأحزاب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ ﴾ الأحزاب.

فهذا دال علي أنهم كانوا جُموعاً وأحزاباً وأوباشاً ودعَمَهم المنافقون بقولهم ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ الأحزاب.

يعوقون المؤمنين يسلقونهم بألسنة حداد أشحة علي الخير... يخذلون المؤمنين .

وقد أخرج البخاري (٤١١٠٣) ومسلم (٣٠٢٠) عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالي :﴿ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ .....» . قالت: «كان ذلك يوم الخندق ».

أي من فوق الوادي من قبل المشرق « **ومن أسفل منكم** » من الوادي من قبل الغرب .

وأصابهم الخوف الشديد فزاغت أبصارهم ــ أي حالت عن سننها ومستوي نظرها وهو كناية عن شدة الخوف حتي بلغت قلوبهم حناجرهم من شدة الخوف .

والمنافقون من جهة أخري يفرِّون من أرض المعركة يستئذن فريق منهم النبي « ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ الأحزاب.

وقالت له قريش أنت خير أهل المدينة وسيدهم ، فقال نعم قالوا: ألا تري إلي هذا المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل السدانة ؟

قال: أنتم خير منه فنزل قوله تعالي :« إن شانئك هو الأبتر »، ونزل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ النساء: ٥١.

ولكن هذا معلول اختلف في وصله وإرساله والإرسال أقوي والله أعلم.

ولكن سيأتي بالسند الصحيح أن النبي ﷺ قال لصفية بنت حيي بن أخطب اليهودي الإسرائيلي حينما تزوجها قَالَتْ:

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ، قَتَلَ زَوْجِي وَأَبِي، فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ وَيَقُولُ: «**إِنَّ أَبَاكِ أَلَّب عَليّ الْعَرَب وَفعل مَا فعل، حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي**» ، ويأتي في موطنه إن شاء الله .

وهذا يدل علي ثبوت أن اليهود أَلَّبوا علىَّ رسول الله ﷺ العَرَب، وحرَّشوهم عليه ﷺ، وأغروهم به، وكان منهم المكائد.

كرامة للنبي ﷺ أثناء حفر الخندق

عن جابر رضي الله عنه قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ:«**أَنَا نَازِلٌ**». ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ

فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي إِلَى البَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟

قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحَتِ العَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ، قَالَ: «**كَمْ هُوَ**» فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: «**كَثِيرٌ طَيِّبٌ**»، قَالَ: «**قُلْ لَهَا: لاَ تَنْزِعِ البُرْمَةَ، وَلاَ الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ**».

فَقَالَ: «**قُومُوا**» فَقَامَ المُهَاجِرُونَ، وَالأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟[1] قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «**ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا**».

فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ:

«**كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ**».[2]

وهذا سياق آخر للرواية أخرجها البخاري عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، رضي الله عنهما قَالَ:

---

(١) وهو تنقيب جيد نبيه منها، فإنها تعلم أنه إن كان رسول الله ﷺ سأله فهو يعلم مواطن البركة، فلا إشكال والله أعلم.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤١٠١).

لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالَتْ: لاَ تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:

«**يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا، فَحَيَّ هَلًا بِهَلَّكُمْ**» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلاَ تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ**». فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ، فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلاَ تُنْزِلُوهَا**» وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ». (١)

وأخرج أحمد (٢) وابن إسحاق بإسنادٍ حسن عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: عَمِلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْخَنْدَقِ، قَالَ: فَكَانَتْ عِنْدِي شُوَيْهَةٌ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤١٠٢) ومسلم (٢٠٣٩).

(٢) في «المسند» (١٥٠٢٨).

عَنْزٍ جَذَعٌ سَمِينَةٌ، قَالَ: فَقُلْتُ:

وَاللهِ لَوْ صَنَعْنَاهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَأَمَرْتُ امْرَأَتِي فَطَحَنَتْ لَنَا شَيْئًا مِنْ شَعِيرٍ، وَصَنَعَتْ لَنَا مِنْهُ خُبْزًا، وَذَبَحَتْ تِلْكَ الشَّاةَ فَشَوَيْنَاهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَلَمَّا أَمْسَيْنَا وَأَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الِانْصِرَافَ عَنِ الْخَنْدَقِ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ نَهَارًا، فَإِذَا أَمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهْلِنَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ صَنَعْتُ لَكَ شُوَيْهَةً كَانَتْ عِنْدَنَا، وَصَنَعْنَا مَعَهَا شَيْئًا مِنْ خُبْزِ هَذَا الشَّعِيرِ، فَأُحِبُّ أَنْ تَنْصَرِفَ مَعِي إِلَى مَنْزِلِي، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَحْدَهُ، قَالَ: فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ قَالَ: «نَعَمْ» ، ثُمَّ أَمَرَ صَارِخًا فَصَرَخَ: أَنْ انْصَرِفُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ جَابِرٍ، قَالَ: قُلْتُ إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ مَعَهُ، قَالَ: فَجَلَسَ، وَأَخْرَجْنَاهَا إِلَيْهِ قَالَ:

«فَبَرَّكَ، وَسَمَّى، ثُمَّ أَكَلَ، وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ كُلَّمَا فَرَغَ قَوْمٌ قَامُوا، وَجَاءَ نَاسٌ حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهَا».[1]

وهذا سند حسن فما أدري وجه استغراب الحافظ ابن كثير-رحمه الله - له من بعض الوجوه وتعجبه منه بعد أن ساق سند ابن إسحاق وأحمد[2] فلا إشكال أعلمه، إلا أنه يستغرب استرجاع جابر رضي الله عنه وعدم بلوغه ما بلغت زوجته من اليقين بزيادة البركة التي رآها يوم جاء الغرماء يطلبون ديون أبيه يوم جذاذ النخل ، والله أعلم.

---

(١) في «المسند» (١٥٠٢٨).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٤/ ١١٢).

قلة الطعام والفقر الشديد في هذه الغزوة

حتي ربطوا الحجارة علي بطونهم رضي الله عنهم

وروى البيهقي [١] بسند حسن عن جابر رضي الله عنه قال : «... فَرَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ عِنْدِي طُعَيِّمًا لَنَا، فَقُمْ يَا رَسُولَ الله أَنْتَ وَرَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِكَ ، فَقَالَ: وَكَمْ هُوَ؟ فَقُلْتُ: صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَعَنَاقٌ، فَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا: قُومُوا إِلَى جَابِرٍ! فَقَامُوا، فَلَقِيتُ مِنَ الْحَيَاءِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الله، فَقُلْتُ: جَاءَ بِالْخَلْقِ عَلَى صَاعِ شَعِيرٍ وَعَنَاقٍ! فَدَخَلْتُ عَلَى امْرَأَتِي أَقُولُ: افْتَضَحْتُ جَاءَكِ رَسُولُ الله ﷺ والناس أَجْمَعِينَ، فَقَالَتْ: هَلْ كَانَ سَأَلَكَ كَمْ طَعَامُكَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَتِ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَدْ أَخْبَرْنَاهُ مَا عِنْدَنَا فَكَشَفَتْ عَنِّي غَمًّا شَدِيدًا[٢] ، فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ:

---

(١) في «دلائل النبوة » (٣/ ٤١٦).

(٢) لا عجب أن تكون هذه زوجة لمثل جابر رضي الله عنه فالله يُجَمِّع ويُوَفِّق، نسيج واحد ،كأنها تقول: نحن أعلم بما عندنا فأخبرناه به، لكنه أعلم بما يمكن أن يكرمه الله به في هذا الموطن ..لقد انزاح الغمُّ عنهما لأجل ذلك،كما انزاح الغمُّ عن هاجر أمِّ إسماعيل يوم أن تبعت زوجها إبراهيم عليه السلام، و نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَنْ تَتْرُكُنَا؟ قَالَ: «إِلَى اللهِ»قَالَتْ: رَضِيتُ بِاللهِ ..أخرجه البخاري (٣٣٦٥) ، مع أن أسباب النجاة المادية التي معها تكاد تكون منعدمة !

ذريَّة بعضها من بعض كما قال أبو هريرة رضي الله عنه : «تِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ».

كما قال أبو هريرة في رواية البخاري (٥٠٨٤) ومسلم (٢٣٧١) .

خُذِي وَدَعِينِي مِنَ اللَّحْمِ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَثْرُدُ، وَيَغْرِفُ اللَّحْمَ، ثُمَّ يُخَمِّرُ هَذَا، وَيُخَمِّرُ هَذَا، فَمَا زَالَ يُقَرِّبُ إِلَى النَّاسِ حَتَّى شَبِعُوا أَجْمَعِينَ، وَيَعُودُ التَّنُّورُ وَالْقِدْرُ أَمْلأَ مَا كَانَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«**كُلِي وَأَهْدِي**»فَلَمْ نَزَلْ نَأْكُلُ وَنُهْدِي يَوْمَنَا أَجْمَعَ.(١)

وفي رواية البخاري(٢):

«...ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا».

وفي رواية ابن أبي شيبة (٣): «...مَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَحْفِرُونَ الْخَنْدَقَ ثَلاَثًا مَا ذَاقُوا طَعَامًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَاهُنَا كُدْيَةً مِنَ الْجَبَلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رُشُّوا عَلَيْهَا الْمَاءَ**» فَرَشُّوهَا ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ أَوِ الْمِسْحَاةَ ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، ثُمَّ ضَرَبَ ثَلاَثًا فَصَارَتْ كَثِيبًا، قَالَ جَابِرٌ: فَحَانَتْ مِنِّي الْتِفَاتَةٌ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ شَدَّ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا».

وفي رواية عند ابن أبي شيبة (٤):« وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُمْ كَانُوا ثَمَانَمِائَةٍ أَوْ ثَلاَثَمِائَةٍ »

وفيه :« أنه قال فَلَمْ نَزَلْ يَوْمَنَا نَأْكُلُ وَنُطْعِمُ ».

وكان طعامهم- في هذه الأيام- رديئاً جداً

---

(١) في «المصنف» (٦/ ٣١٤).

(٢) برقم (٤١٠١).

(٣) في «المصنف»(٧/ ٢٧٧).

(٤) في «المصنف»(٦/ ٣١٤)

فقد أخرج البخاري[1] عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: جَعَلَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ الخَنْدَقَ حَوْلَ المَدِينَةِ، وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَاً ... عَلَى الإِسْلاَمِ مَا بَقِينَا أَبَدَا

قَالَ: يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ يُجِيبُهُمْ:

«**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لاَ خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَة ... فَبَارِكْ فِي الأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَة**»

قَالَ: يُؤْتَوْنَ بِمِلْءِ كَفِّي مِنَ الشَّعِيرِ، فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، تُوضَعُ بَيْنَ يَدَيِ القَوْمِ، وَالقَوْمُ جِيَاعٌ، وَهِيَ بَشِعَةٌ فِي الحَلْقِ، وَلَهَا رِيحٌ مُنْتِنٌ».

إصابة الصحابة رضي الله عنهم في أيام الخندق بشدَّة البرد

أخرج مسلم عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**»، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «**قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ**»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ:

---

(١) برقم (٤١٠٠)

«**اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

«**وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**» وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «**قُمْ يَا نَوْمَانُ**». (١)

ومن الشدة التي أصابتهم خيانة بني قريظة

قال تعالى: {وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ (٢) مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ (٣) وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ، الأحزاب الأية (٢٦)} .وسيأتي حكاية ما آلوا إليه بعد إن شاء الله تعالى .

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»(١٧٨٨) .

(٢) أي: ظاهروا المشركين على رسول الله، هذا وجه الدلالة: أن يهود بني قريظة الذين حاربهم رسول الله ﷺ بعد ،كانوا قد ظاهروا كفار قريش وأوباشهم بقيادة أبي سفيان بن حرب – وكان آن ذاك كافراً –، ويؤيده قوله ﷺ في الحديث الآتي للصحابي:«..**خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ**..»فدل على ظهور خيانتهم يومها للمسلمين مع كونهم معهم في المدينة .

(٣) صياصيهم : أي بيوتهم أو منازلهم، وذلك بسبب مظاهرتهم لكفار قريش، وهم عبدة أصنام، ظاهروهم علي رسول الله ﷺ ، فلا راعو الجيرة ، ولا راعوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين،

عدم تخلِّي الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ

حتي من كان حديث عهد بعُرس فيهم لم يقصِّر رضي الله عنهم

فأخرج مسلم [١] عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فَإِنِّي ﷺ أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ....الحديث.

فدل علي عدم تقصيرهم في العمل في الخندق في هذه الأوقات والله أعلم .

❁ بشارات بشر بها رسول الله ﷺ أثناء حفر الخندق

أخرج ابن إسحاق والنسائي [٢] بسندٍ يحسن لشواهده إن شاء الله [٣]

=

مع أن المُفتَرَض أن هم ليسوا على هديهم ولا على طريقتهم، إذ هم أهل كتاب وهؤلاء عبدة أحجاروأخشاب ينحتونها، فأنى يلتقيان !؟

(١) برقم (٢٢٣٦) .

(٢) في «الكبري»(٤٣٧٠) وابن إسحاق كما في «السيرة » لابن هشام (٢/ ١٩٥).

(٣) وفي النفس من تحسينه شيئ .

عَنْ أَبِي سَكِينَةَ- رَجُلٍ مِنَ الْمُحَرَّرِينَ -عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَهُمْ صَخْرَةٌ حَالَتْ بَيْنَهُمْ، وَبَيْنَ الْحَفْرِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ وَوَضَعَ رِدَاءَهُ نَاحِيَةَ الْخَنْدَقِ وَضَرَبَ وَقَالَ:

{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} فَنَدَرَ ثُلُثُ الْحَجَرِ وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَائِمٌ يَنْظُرُ فَبَرَقَ مَعَ ضَرْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَرْقَةٌ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ وَقَالَ:

{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْآخَرُ فَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ يَرَاهَا سَلْمَانُ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ وَقَالَ:

{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْبَاقِي وَبَرَقَ بَرْقَةٌ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَجَلَسَ قَالَ سَلْمَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتُكَ حِينَ ضَرَبْتَ لَا تَضْرِبُ ضَرْبَةً إِلَّا كَانَتْ مَعَهَا بَرْقَةٌ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا سَلْمَانُ رَأَيْتَ ذَلِكَ؟**» قَالَ:

إِي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: « **فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الْأُولَى رُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ كِسْرَى وَمَا حَوْلَهَا وَمَدَائِنُ كَثِيرَةٌ حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ** » فَقَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا ذَرَارِيَّهُمْ وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثَّانِيَةَ، فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ قَيْصَرَ وَمَا حَوْلَهَا حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ يَفْتَحُهَا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا ذَرَارِيَّهُمْ، وَيُخَرِّبُ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ

ﷺ، ثُمَّ ضَرَبْتُ الثَّالِثَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ الْحَبَشَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ:

«دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ».

ما نزل في العاملين في الخندق مؤمنين ومنافقين[1]

قال تعالي:« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ».

فهذه الآية في شأن المؤمنين من أهل الحسبة والرغبة في الخير والطاعة .

أما المنافقون الذين كانوا يتسلَّلون من العمل ويذهبون بغير إذن من النبي ﷺ

فقد قال تعالي: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، النور الآية }.

يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا: يَلُوذُ هَذَا بِذَا وَيَسْتَتِرُ ذَا بِذَا يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَسَلَّلُونَ مِنْ الْعَمَلِ، وَيَذْهَبُونَ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ .

تنبيه:

(١) من تبويب ابن هشام كما في «سيرة لابن هشام » (٢/ ١٩٢) .

روي أنه لما ضرب المِعوَل فأضاءت فقال رسول الله ﷺ « **لقد أضاءت بي من الأولي قصور الحيرة ومدائن كسري...**

والثانية: أضاءت القصور الحمر من أرض الروم .

والثالثة : أضاءت قصور صنعاء واستبشر المسلمون وقالوا : موعود وصادق ولما جاء الأحزاب قال المؤمنون:

﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الأحزاب، وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسري

وأنها لم تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لاتستطيعون أن تبرزوا ؟

فنزل قوله تعالي: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ الأحزاب

وهذا أيضـًا لايثبت، وقد أخرج هذا البيهقي في «دلائل النبوة » واستغربه ابن كثيرفي «البداية والنهاية» (٤/ ١١٣) وحق له.

ولكن صح أن رسول الله ﷺ قال:«...**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي**» .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا.[1]

---

(١) وهذا في صحيح البخاري (٢٩٧٧) .

أي تستخرجوها من مواضعها .

وفي الصحيحين[١] عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:

«هَلَكَ كِسْرَى، ثُمَّ لاَ يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَقَيْصَرُ لَيَهْلِكَنَّ ، ثُمَّ لاَ يَكُونُ قَيْصَرُ بَعْدَهُ، وَلَتُقْسَمَنَّ كُنُوزُهَا فِي سَبِيلِ اللهِ » .

وكذلك: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللهَ زَوَى[٢] لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ[٣]،وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي.....الحديث.[٤]

وأخرج مسلم[٥] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ عَلَى الْعَدُوِّ وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدَيَّ».

لكن ليس في كل هذه الأحاديث أنه قال ذلك في أثناء حفر الخندق في غزوة الأحزاب فلا تصلح له شواهد لما تقدم والله أعلم .

تنبيه٣ : من الضعيف الوارد أيضاً:

---

(١) البخاري (٣٠٢٧) ، ومسلم (٢٩١٨) .

(٢) روي: أي جمع .

(٣) المراد بالكنزين الذهب والفضة والمراد: كنزا كسرىٰ وقيصر ملكي العراق والشام.

(٤) صحيح أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

(٥) أخرجه مسلم (٥٢٣).

أن قريظة لما نقضت العهد أرسل رسول الله ﷺ سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد ابن عبادة سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة يأتونه بالخبر أحق أن يهود بني قريظة نقضوا العهد وإنه قال لهم «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَتَنْظُرُوا أَحَقٌّ مَا بَلَغَنَا عَنْهُمْ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لِي لَحْنًا أَعْرِفُهُ وَلَا تَفُتُّوا فِي أَعْضَادِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فَاجْهُرُوا بِهِ لِلنَّاسِ.

قَالَ: فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْهُمْ، قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، فَدَخَلُوا مَعَهُمْ حِصْنَهُمْ فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْمُوَادَعَةِ وَتَجْدِيدِ الْحِلْفِ فَقَالُوا:الْآنَ وَقَدْ كُسِرَ جَنَاحُنَا وَأَخْرَجَهُمْ، يُرِيدُونَ بَنِي النَّضِيرِ.(١)

وَنَالُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَجَعَلَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يُشَاتِمُهُمْ فَأَغْضَبُوهُ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ: إِنَّا وَاللهِ مَا جِئْنَا لِهَذَا، وَلَمَا بَيْنَنَا أَكْبَرُ مِنَ الْمُشَاتَمَةِ.

ثُمَّ نَادَاهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يَا بَنِي قُرَيْظَةَ، وَأَنَا خَائِفٌ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ بَنِي النَّضِيرِ أَوْ أَمَرَّ مِنْهُ.

فَقَالُوا: أَكَلْتَ أَيْرَ أَبِيكَ.

فَقَالَ: غَيْرُ هَذَا مِنَ الْقَوْلِ كَانَ أَجْمَلَ بِكُمْ وَأَحْسَنَ.

نَالُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالُوا: مَنْ رَسُولُ اللهِ؟ لَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَين مُحَمَّد،

---

(١) يعني أن رسول الله ﷺ حاربهم كما تقدم ذكر خبرهم ،وقصتهم نزل فيهم أول سورة الحشر استنزلهم رسول الله ﷺ والمسلمون من حصونهم وأمر بقطع النخل.

وتقدم ذكر الأحاديث الواردة في شأنهم لأجل خيانتهم ومحاولتهم قتل الرسول ﷺ .

فَشَاتَمَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَشَاتَمُوهُ، وَكَانَ رَجُلًا فِيهِ حِدة، فَقَالَ لَهُ سعد بن عُبَادَةَ: دَعْ عَنْكَ مُشَاتَمَتَهُمْ، لَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرْبَى مِنَ الْمُشَاتَمَةِ. ثُمَّ أَقْبَلَ السَّعْدَانِ وَمَنْ مَعَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالُوا:عَضَلٌ وَالْقَارَةُ.أيْ كَغَدْرِهِمْ بِأَصْحَابِ الرَّجِيعِ خُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ...**»

وهذا لا أعلم له إسناداً صحيحاً، وبعضه لا يُستغرَب، ولا يبعُد حصوله والله أعلم .

توقع النبي ﷺ خيانة بني قريظة

أخرج مسلم عن أبي السائب مولي هشام بن زهرة أنه دخل علي أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ، قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ، فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبْتُ لِأَقْتُلَهَا، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنِ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ:« **خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ** »[1].

---

(١) وهذا موطن الشاهد وظاهر الحديث فإن استئذان الفتي كان أثناء حفر الخندق، وهذا قبل مجيء الأحزاب ، فيدل علىٰ توقُّع النبي ﷺ الخيانة منهم مبكراً، وأن النبي ﷺ أرسل السعدين –

فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمِ الْفَتَى، قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا ادْعُ اللهَ يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ:

«اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ» ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ**»(١).

نصر الله تعالي

وما يعلم جنود ربك إلا هو

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ

=

ﷺ ــ لهم ليقفا بأنفسهما على الخيانة ليزول ما في أنفسهما مما كان بينهما من ود قديم إذا ما حاربهم.....

وقد يكون معرفته ﷺ بخيانتهم قبل مبكراً ساعة إرسال الزبير بفرسه بالسلاح إلي بني قريظة وسيأتي في موقف الزبير ﷺ أثناء الحصار، ولا يبعُد أن يكون ﷺ علم خيانتهم بواسطة الوحي والله أعلم .

(١) برقم (٢٢٣٦) .

جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا، الأحزاب الأية (١٠)}.

فالظاهر أنهم قد يئسوا من طول الانتظار، والمدينة طُوِّقَتْ بالخندق حولها يحميها من دخولهم ، بل المسلمون يُهاجمونهم .

وكان أكثر الأحزاب مأجورين ممن وبَّشهتم قريش وحزَّبوهم لحرب المسلمين فلم يصبروا، فكفي الله بجنوده التي لم يعلمها إلا هو المؤمنين.

فمحصل الروايات :

أن الله تعالي بعث الريح علي المشركين فكفي الله المؤمنين القتال وكان الله قويـًا عزيزاً، فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصَّنوا في صياصيهم[١] ورجع رسول الله ﷺ إلي المدينة فوضع السلاح ،وأمر بقبَّة من آدم فَضُربت علي سعدٍ رضي الله عنه في المسجد .

فجاء جبريل عليه السلام وإن علي ثناياه لنقع الغبار فقال ما سيأتي .

ففي رواية البخاري[٢] لما رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: « **قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ وَاللهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا**» وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِم.

---

(١) صياصيهم: أي حصونهم أو بيوتهم.

(٢) برقم (٤١١٧).

وفي رواية مسلم[١] عن عائشة رضي الله عنها قالت: أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ عرق رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ، فَضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ يَعُودُهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلَاحَ، فَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ، فَقَالَ: وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟ وَاللهِ، مَا وَضَعْنَاهُ اخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَأَيْنَ؟**» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى سَعْدٍ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ وَالنِّسَاءُ، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ.

وفي رواية ابن أبي شيبة[٢]:

فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالرَّحِيلِ وَلَبِسَ لَأْمَتَهُ، فَخَرَجَ فَمَرَّ عَلَى بَنِي غَنْمٍ، وَكَانُوا جِيرَانَ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَنْ مَرَّ بِكُمْ؟ فَقَالُوا: مَرَّ بِنَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ، وَكَانَ دِحْيَةُ تُشْبِهُ لِحْيَتُهُ وَسُنَّتُهُ وَوَجْهُهُ بِجِبْرِيلَ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَاصَرَهُمْ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، فَلَمَّا اشْتَدَّ حَصْرُهُمْ وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ، قِيلَ لَهُمْ: انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ الذَّبْحُ. قَالُوا: نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**» فَنَزَلُوا، وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأُتِيَ بِهِ عَلَى

---

(١) برقم (١٧٦٩).

(٢) في «المصنف»(٧/ ٣٧٣) وأحمد(٢٥٠٩٧).

حِمَارٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ [١] مِنْ لِيفٍ، قَدْ حُمِلَ عَلَيْهِ، وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَمْرٍو، حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ النِّكَايَةِ وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ. قَالَتْ: لَا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا [٢]، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ دُورِهِمْ، الْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: قَدْ أَنَى لِي أَنْ لَا أُبَالِيَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ. قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَلَمَّا طَلَعَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ**» .

فَقَالَ عُمَرُ: سَيِّدُنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: أَنْزِلُوهُ، فَأَنْزَلُوهُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْكُمْ فِيهِمْ**» قَالَ سَعْدٌ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ، أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحُكْمِ رَسُولِهِ**» .

قَالَتْ: ثُمَّ دَعَا سَعْدٌ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا، فَأَبْقِنِي لَهَا، وَإِنْ كُنْتَ قَطَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ. قَالَتْ: فَانْفَجَرَ كَلْمُهُ، وَكَانَ قَدْ بَرِئَ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا مِثْلُ الْخُرْصِ، وَرَجَعَ إِلَى قُبَّتِهِ الَّتِي ضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. قَالَتْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ بُكَاءَ عُمَرَ مِنْ بُكَاءِ ﷺ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنَا فِي حُجْرَتِي، وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح:

---

(١) إكاف: هو للحمار بمنزلة السرج للفرس .

(٢) لا يرجع إليهم شئ: أي لا يُرَدَّ عليهم الجواب.

٢٩] . قَالَ عَلْقَمَةُ: قُلْتُ: أَيْ أُمَّهْ، فَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ؟ قَالَتْ: كَانَتْ عَيْنُهُ لَا تَدْمَعُ عَلَى أَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا وَجِدَ، فَإِنَّمَا هُوَ آخِذٌ بِلِحْيَتِهِ » (١).

وسيأتي ذكر الروايات الصحيحة عند ذكر غزوة بني قريظة ومجمل ما ذُكر أسانيده صحيحة .

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد بسند صحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حُبِسْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَنِ الصَّلَاةِ، حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْمَغْرِبِ بِهَوِيٍّ مِنَ اللَّيْلِ، حَتَّى كُفِينَا،(٢) وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: {وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ، وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب: ٢٥] قَالَ: «فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِلَالًا، فَأَقَامَ صَلَاةَ الظُّهْرِ

(١) وهذا وإن كان بإسناد فيه جهالة، لكن مجموع الشواهد التي في الباب تبين أنه أصل القصة صحيح كما سيأتي ،إلا أن قوله «كانت عينه لا تدمع على أحد »فيها نكارة . وإن جود الإسناد الحافظ ابن كثير من هذا الوجه في «البداية والنهاية » (٤/ ١٤١) ففي السند جهالة كما أشرت قبل ، وفيه: وَيَرْمِي سَعْدًا رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، يُقَالُ لَهُ حبان بْنُ الْعَرِقَةِ، بِسَهْمٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرَقَةِ، فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ، فَقَطَعَهُ، فَدَعَا الله عَزَّ وَجَلَّ سَعْدٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ. قَالَتْ: وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. ولذلك نزلوا على حكمه ــ فيما سيأتي ـ ظنًّا منهم أنه سيرفق بهم في الحكم ،فالله أعلم بتفاصيل ذلك لكن صح أنه جرح في الأكحل وأنه انفجر جُرحه علي ما سيأتي تفصيله، حتي قال ابن كثير في« البداية والنهاية» (٣/ ١٢٣) في تعقيبه علي دعاء سعد بن معاذ علي بني قريظة :

« وَقَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَةَ وَلِيِّهِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ أَقَرَّ اللهُ عَيْنَهُ فَحَكَمَ فِيهِمْ بِقُدْرَتِهِ وَتَيْسِيرِهِ وَجَعَلَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ ذَلِكَ» ا.هـ

(٢) وفي رواية الدارمي (١٥٦٥) :« ... حَتَّى ذَهَبَ هَوِيٌّ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى كُفِينَا....»

فَصَلَّاهَا، وَأَحْسَنَ صَلَاتَهَا، كَمَا كَانَ يُصَلِّيهَا فِي وَقْتِهَا، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْعَصْرَ، فَصَلَّاهَا وَأَحْسَنَ صَلَاتَهَا، كَمَا كَانَ يُصَلِّيهَا فِي وَقْتِهَا، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْمَغْرِبَ، فَصَلَّاهَا كَذَلِكَ» ، قَالَ: وَذَلِكُمْ قَبْلَ أَنْ يُنْزِلَ اللهُ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ {فَرِجَالًا، أَوْ رُكْبَانًا} [البقرة: ٢٣٩] »[(١)].

وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفي الله المؤمنين القتال وكان الله قويـًا عزيزاً.

موقف الزبير رضي الله عنه في حصار الأحزاب وإرساله عيناً علي بني قريظة

أخرج البخاري [(٢)] عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ يَوْمَ الأَحْزَابِ؟**» قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ؟**»، قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**».

وأخرج مسلم [(٣)] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، يَوْمَ الْخَنْدَقِ مَعَ النِّسْوَةِ فِي أُطُمِ حَسَّانَ، فَكَانَ يُطَأْطِئُ لِي مَرَّةً فَأَنْظُرُ، وَأُطَأْطِئُ لَهُ مَرَّةً فَيَنْظُرُ، فَكُنْتُ أَعْرِفُ أَبِي إِذَا مَرَّ عَلَى فَرَسِهِ فِي السِّلَاحِ، إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. قَالَ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: فَذَكَرْتُ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في«المصنف» (١/ ٤١٦) وأحمد في «المسند »(١١١٩٨) وغيرهما وهو الوجه الذي صوَّبه الدارقطني في «العلل» (١١/ ٣٠٠) .

(٢) برقم (٢٨٥٦) .

(٣) برقم (٢٤١٦) وهو في صحيح البخاري (٣٧٢٠) .

ذَلِكَ لِأَبِي فَقَالَ: وَرَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ ﷺ، يَوْمَئِذٍ أَبَوَيْهِ، فَقَالَ: «**فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**».

وفي رواية البخاري [١] :« فنظرت، فإذا أنا بالزبير علي فرسه يختلف إلي مبني قريظة مرتين أو ثلاثاً [٢].والأُطم :أي الحصن .

❁ موقف حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يوم الأحزاب أثناء الحصار

أخرج مسلم في صحيحه [٣] من طريق الأعمش عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ رَجُلٌ:

لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ [٤] ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» .

فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ:

«**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، [١] ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**»، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ:

---

(١) برقم (٣٧٢٠) .

(٢) كأنه كان يراقبهم أن يفعلوا شيئاً زائداً إلي جانب خيانتهم .

(٣) برقم (١٧٨٨) .

(٤) قرّ: أي برد .

«**قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ**»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ (٢) حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، (٣)فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ:

«**قُمْ يَا نَوْمَانُ**»(٤).

=

(١) وهذا يدل علي شدَّة الموقف وعظم المطلب. وأما موقف الزبير رضي الله عنه إنما كان لبني قريظة، فكان أخفَّ من موقف حذيفة رضي الله عنه، إذ سيحتاج إلي الدخول بين صفوف الأحزاب للإتيان بخبرهم ..... وهذا فيه من المشقة والعناء ما فيه .

(٢) يعني : أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس، ولا من تلك الريح الشديدة شيئاً ، بل عافاه الله منه ببركة استجابته لأمر النبي ﷺ وطاعته فيما وجَّهه له، ودعائه له ﷺ ،واستمر ذلك اللطف به ومعافاته من البرد حتي عاد إلي النبي ﷺ فلما عاد ، عاد إليه البرد الذي يجده الناس .

ولفظة : «الحمَّام» عرَبية وهي مذكر مشتقٌ من الحميم ، وهي بمعنى : الماء الحار .

(٣) وفي هذا الموقف من الحكم والمصالح والمحاسن والدروس مالا يعلمه إلا الله .

(٤) وفي مستخرج أبي عوانة (٦٧٤٠) أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَيَأْتِينَا بِخَبَرِهِمْ؟**» ، قَالَ: فَمَا قَامَ أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: اعْفِنِي، فَقَالَ:«**يَا عُمَرُ**» ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْفِنِي، فَقَالَ: «**يَا حُذَيْفَةُ**» ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:

=

«**انْطَلِقْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَأْتِنِي بِخَبَرِهِمْ وَلَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَرْجِعَ**» ، قَالَ: فِي لَيْلَةٍ قُرَّةٍ شَدِيدَةِ الْقُرِّ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ احْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ حَتَّى يَرْجِعَ**» ، قَالَ: فَأَخَذْتُ قَوْسِي وَشَدَدْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ الْقَوْمَ فَإِذَا هُمْ عِنْدَ نَارِهِمْ يَصْطَلُونَ، قَالَ: وَإِذَا أَبُو سُفْيَانَ فِي الْقَوْمِ، قَالَ: فَجَلَسْتُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِيكُمْ مِنْ غَيْرِكُمْ، لَعَلَّ فِيكُمْ غَيْرَكُمْ لِيَنْظُرِ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ، قَالَ: فَبَادَرْتُ صَاحِبِي، وَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟، فَقَالَ: أَنَا فُلَانٌ، قَالَ: فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ قَالَ: فَقَطَعَتْ أَطْنَابَهُمْ، وَأَطْفَتْ نَارَهُمْ، وَلَقُوا شِدَّةً وَبَلَاءً، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَثِبُ إِلَى بَعِيرِهِ، وَإِنَّهُ لَمَعْقُولٌ، قَالَ: فَأَخَذْتُ قَوْسِي ثُمَّ أَخَذْتُ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي فَوَضَعْتُهُ فِي كَبِدِ قَوْسِي، ثُمَّ هَمَمْتُ أَنْ أَرْمِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ : «لَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَرْجِعَ» ، قَالَ: فَرَدَدْتُ سَهْمِي ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، وَلَكَأَنِّي أَمْشِي فِي حَمَّامٍ ذَاهِبًا وجَائِيًا، قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَيْتُ أَخْبَرْتُهُ عَادَ إِلَيَّ الْقُرُّ، فَأَخَذَتْنِي الرِّعْدَةُ مِنْ شِدَّةِ الْقُرِّ، قَالَ فَجَعَلْتُ أَدْنُو مِنْ قَدَمِ النَّبِيِّ ﷺ قُرْبًا سَرَّهُ»كذا باللفظ الذي فيه طلب أبي بكر وعمر من النبي ﷺ أن يعفيهما من إتيانه بخبر القوم، وهو غريب المعني منكر السند، فإنه من طريق أبي سعد – وهو سعيد بن المرزبان البقال – وهوضعيف لا يحتج به ، رواه عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن حذيفة رضي الله عنه به ..

وقد خالفة الأعمش – كما في رواية مسلم المتقدمة– ،ولم يذكر– في روايته – طلب أبي بكر ثم عمر من النبي ﷺ.

ورواه أبو عوانة (٦٨٤٢) والبيهقي في «الدلائل»(٣/ ٤٥١) من طريق عبد العزيز بن أخي حذيفة عن حذيفة رضي الله عنه به ،وليس فيه طلب أبي بكر وعمر من النبي ﷺ أن يعفيهما.

ثم رأيت له طريقاً آخر أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٠٧) وأحمد في «المسند» (٢٣٣٣٤) بهذا السياق الطويل من طريق محمد بن كعب القرظي عن حذيفة ولم يسمع

موقف لصفية رضي الله عنها عمة النبي ﷺ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عَبَّادٍ قَالَ: كَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي فَارِعٍ، حِصْنُ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَتْ:

وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مَعَنَا فِيهِ، مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ.

قَالَتْ صَفِيَّةُ، فَمَرَّ بِنَا رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ، فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، وَقَدْ حَارَبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، وَقَطَعَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ،وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنَّا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ فِي نُحُورِ عَدُوِّهِمْ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُمْ إِلَيْنَا إِنْ أَتَانَا آتٍ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا حَسَّانُ، إِنَّ هَذَا الْيَهُودِيَّ كَمَا تَرَى يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى عَوْرَتِنَا مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ يَهُودَ، وَقَدْ شُغِلَ عَنَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَانْزِلْ إِلَيْهِ فَاقْتُلْهُ، قَالَ:غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا بْنَةَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْتُ مَا أَنَا بِصَاحِبِ هَذَا: قَالَتْ:فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ، وَلَمْ أَرَ عِنْدَهُ شَيْئًا، احْتَجَزْتُ ثُمَّ أَخَذْتُ عَمُودًا، ثُمَّ نَزَلْتُ مِنْ الْحِصْنِ إِلَيْهِ، فَضَرَبْتُهُ بِالْعَمُودِ حَتَّى قَتَلْتُهُ. قَالَتْ: فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْهُ، رَجَعْتُ إِلَى الْحِصْنِ، فَقُلْتُ:

يَا حَسَّانُ، انْزِلْ إِلَيْهِ فَاسْلُبْهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي مِنْ سَلَبِهِ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ، قَالَ: مَا لِي بِسَلَبِهِ مِنْ حَاجَة يَا بنت عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ».[1]

=

منه. وليس فيه أيضا طلب أبي بكر وعمر من رسول الله ﷺ أن يعفيهما من الإرسال، وأخشى أن يكون ذلك من أفاعيل الروافض الخبثاء ، فذلك مثل صنائع مثل هذه قبَّحهم الله، والله أعلم

(١) أخرجه البيهقي في «الكبري» (٦/ ٥٠٢) من طريق ابن إسحاق به .

❁ المدة التي حاصر الكفار المدينة ودعاؤه علي المشركين

لم أقف علي خبر صحيح يفيد مقدار المدَّة التي حاصَر المشركون الصحابة رضي الله عنهم فيها :

=

وهو إسناد حسن، ولم أقف علي أحد من أهل الحديث نفي سماع عباد من صفية رضي الله عنها، ومن ثَم استدل به من اتهم حسان بن ثابت بالجُبن،وليس بلازم لوصح، فقد يكون مريضاً يومها وقد كان يهجوا المشركين ولو كان جبانا لعيَّروه في أشعارهم، فهذا مرتع الشعراء، وحوله يصولون ويجولون، فما كان جباناً رضي الله عنه، وقد حكى سخافتهم هذه ابن كثير في «البداية والنهاية»(٦/ ٥٠) فقال رحمه الله :

حَكَى السُّهَيْلِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ حَسَّانُ جَبَانًا شَدِيدَ الْجُبْنِ.

قَالَ: وَأَنْكَرَ آخَرُونَ ذَلِكَ، وَطَعَنُوا فِي الْخَبَرِ، فَقَالُوا: هُوَ مُنْقَطِعٌ قَالُوا: وَقَدْ كَانَ يُهَاجِي الْمُشْرِكِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ؛ كَابْنِ الزِّبَعْرَى، وَضِرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ، وَغَيْرِهِمَا، فَلَمْ يُعَيِّرْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِالْجُبْنِ قَالَ: وَمِمَّنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ الشَّيْخُ أَبُو عُمَرَ النَّمَرِيُّ قَالُوا: وَبِتَقْدِيرِ صِحَّةِ الْخَبَرِ، لَعَلَّهُ كَانَ مُنْقَطِعًا فِي الْآطَامِ لِعِلَّةٍ عَارِضَةٍ، وَمَالَ إِلَى هَذَا السُّهَيْلِيُّ وَاللهُ أَعْلَمُ.

وله طريق آخر أخرجه الحاكم (٤/ ٥٦)من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن صفية بنت عبد المطلب وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

قَالَ عُرْوَةُ: وَسَمِعْتُهَا تَقُولُ: «أَنَا أَوَّلُ امْرَأَةٍ قَتَلَتْ رَجُلًا كُنْتُ فِي فَارِعِ حِصْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وَكَانَ حَسَّانُ مَعَنَا فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ حِينَ خَنْدَقَ النَّبِيُّ ﷺ».

لكن غريب تعليق الذهبي عليه في «التلخيص» بقوله :

«عروة لم يدرك صفية» مع تصريحه بالسماع في الخبر كما تقدم والسند سالم إليه إلا أن تكون كلمة «وسمعتها» تصحيف «وسمعها» والله أعلم.

وقد ذُكر في روايات مرسلة أن ذلك كان قريبًا من عشرين ليلة وأخذوا بكل ناحية حتي لايدري الرجل أتم صلاته أم لا .

قال: ووجَّهوا نحو منزل رسول الله ﷺ كتيبة غليظة فقاتلوهم يومًا إلي الليل فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبيﷺولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يُصلُّوا العصر علي نحو ما أرادوا .

لكن في مسند أحمد[١] بعضه بإسناد صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَاتَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَدُوًّا، فَلَمْ يَفْرُغْ مِنْهُمْ حَتَّى أَخَّرَ الْعَصْرَ عَنْ وَقْتِهَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ مَنْ حَبَسَنَا عَنِ الصَّلاةِ الْوُسْطَى، فَامْلأْ بُيُوتَهُمْ نَارًا، وَامْلأْ قُبُورَهُمْ نَارًا**» أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ .

وفي الصحيح[٢] عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَلأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ**».

وفي رواية البخاري[٣] عن عُمَر بْن الخَطَّابِ رضي الله عنه ، جَاءَ يَوْمَ الخَنْدَقِ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، جَعَلَ يَسُبُّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ، حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ، قَالَ النَّبِيُّﷺ : «**وَاللهِ مَا صَلَّيْتُهَا**» فَنَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) برقم (٢٧٤٥) .

(٢) البخاري (٢٩٣١) ومسلم (٦٢٧) .

(٣) برقم (٤١١٢) .

بُطْحَانَ، فَتَوَضَّأَ لِلصَّلاَةِ وَتَوَضَّأْنَا لَهَا، فَصَلَّى العَصْرَ بَعْدَمَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا المَغْرِبَ ».

وفي رواية النسائي [١]:« شَغَلَنَا الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَنْ صَلاَةِ الظُّهْرِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ».

تنبيه :

قال جمهور العلماء[٢] مِنْهُمُ الشَّافِعِيُّ:

هَذَا الصَّنِيعُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ مَنْسُوخٌ بِشَرْعِيَّةِ صَلاَةِ الْخَوْفِ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ مَشْرُوعَةً إِذْ ذَاكَ فلهذا أَخَّروها يومئذ وهو مشكل قال ابْنَ إِسْحَاقَ وَجَمَاعَةً ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى صَلاَةَ الْخَوْفِ بِعُسْفَانَ وَقَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ وَهُوَ إِمَامٌ فِي الْمَغَازِي قَبْلَ الْخَنْدَقِ وَكَذَلِكَ ذَاتُ الرِّقَاعِ ذَكَرَهَا قَبْلَ الْخَنْدَقِ فَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ تَأْخِيرَ الصَّلاة يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَقَعَ نِسْيَانًا كَمَا حَكَاهُ شُرَّاحُ مُسْلِمٍ عَنْ بَعْضِ النَّاسِ فَهُوَ مُشْكِلٌ إِذْ يَبْعُدُ أَنْ يَقَعَ هَذَا مِنْ جَمْعٍ كَبِيرٍ مَعَ شِدَّةِ حِرْصِهِمْ على المحافظة على الصَّلاَةِ، كَيْفَ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُمْ تَرَكُوا يَوْمَئِذٍ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ حَتَّى صَلَّوُا الْجَمِيعَ فِي وقت العشاء؟ فالله أعلم.

سياق أحوال الأحزاب والمنافقين ويهود بني قريظة وما فعلت كل طائفة تجاه رسول الله ﷺ كما في كتاب الله .

---

(١) برقم (١٦٣٧) وإسناده صحيح .

(٢) فيما حكاه عنهم الحافظ ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية»(٤/ ١٢٥) .

قد أنزل الله تعالي فيها صدر سورة «الأحزاب» قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ١٤ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ١٥ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٦ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧ ۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٩ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ٢٠ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم

مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ[1] وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الأحزاب.

موقف مشركي غطفان مع رسول الله ﷺ ومحاولته مهادنتهم وعقد صلحاً معهم لمصلحة المسلمين في المدينة.

غطفان هذه كانت حزبـًا ممن تحزَّبوا علي الرسول والصحابة رضي الله عنهم

---

(١) حتي إن ابن كثير استنبط في «البداية والنهاية» (٤/ ١٣١) فقال: «وَفِي قَوْلِهِ: (وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) إِشَارَةٌ إِلَى وَضْعِ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ وَهَكَذَا وَقَعَ وَلَمْ تَرْجِعْ قُرَيْشٌ بَعْدَهَا إِلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ كَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنِ الْخَنْدَقِ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِيمَا بَلَغَنَا: «**لَنْ تَغْزُوَكُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ ولكنكم تغزونهم**».

قال: فلم تغز قُرَيْشٌ بَعْدَ ذلك وَكَانَ يَغْزُوهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى فَتَحَ الله عَلَيْهِ مَكَّةَ وَهَذَا بَلَاغٌ مِنِ ابْنِ إِسْحَاقَ. لكنه الواقع الذي حصل والله الموفق.

قلت «محمد» الحديث المشار إليه أخرجه البخاري (٤١٠٩) عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «**نَغْزُوهُمْ، وَلاَ يَغْزُونَنَا**».

وقائدهم ـ كما في كتب السير ـ هو: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن فزارة من المشركين .

فأخرج البزار [١] بسند حسن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ الْحَارِثُ الْغَطَفَانِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، نَاصِفْنَا تَمْرَ الْمَدِينَةِ، وَإِلَّا مَلَأْنَاهَا عَلَيْكَ خَيْلا وَرِجَالا، فَقَالَ: حَتَّى أَسْتَأْمِرَ السُّعُودَ، سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، وَسَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، يَعْنِي: يُشَاوِرُهُمَا، فَقَالا: لا وَاللهِ، مَا أَعْطَيْنَا الدَّنِيَّةَ مِنْ أَنْفُسِنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالإِسْلامِ؟ ! فَرَجَعَ إِلَيْهِ الْحَارِثُ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: غَدَرْتَ يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: فَقَال حَسَّانٌ:

يَا حَارِ مَنْ يَغْدِرُ بِذِمَّةِ جَارِهِ ... مِنْكُمْ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لا يَغْدِر

إِنْ تَغْدِرُوا فَالْغَدْرُ مِنْ عَادَاتِكُمْ ... وَاللُّؤْمُ يَنْبُتُ فِي أُصُولِ السَّخْبَرِ [٢]

وَأَمَانَةُ النَّهْدِيِّ حَيْثُ لَقِيتَهَا ... مِثْلُ الزُّجَاجَةِ، صَدْعُهَا لا يُجْبَرِ

قَالَ: فَقَالَ الْحَارِثُ: كُفَّ عَنَّا يَا مُحَمَّدُ لِسَانَ حَسَّانٍ، فَلَوْ مُزِجَ بِهِ مَاءُ الْبَحْرِ لَمَزَجَهُ.

دعاء النبي ﷺ على الكفار يوم الأحزاب

---

(١) في «البحر الزخار»(٨٠١٧) والطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٨ رقم (٥٤٠٩) وأبو نعيم في «المعرفة» (٣١٣٨) وابن الأثير في «أسد الغابة » (٥٣٢) وغيرهم من نفس طريق البزار بنحو من ألفاظه .
وله طريق آخر منقطع أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة »لابن هشام (٢/ ١٩٩) .

(٢) السخبر: هُوَ شَجَرٌ تَأْلَفه الحيَّات فَتَسْكُنُ فِي أُصُولِهِ، الْوَاحِدَةُ: سَخْبَرَةٌ.

أخرج البخاري وغيره[١] عن عَبْدَ اللهِ بْن أَبِي أَوْفَى ﷺ، يَقُولُ: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ عَلَى المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ».

شعار الصحابة ﷺ يوم الأحزاب

أخرج عبد الرزاق[٢] عن الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ يَقُولُ وَذَكَرَ الْحَرُورِيَّةَ تَبْيِيتَهُمْ، فَقَالَ: قَالَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُفِرَ الْخَنْدَقُ وَهُوَ يَخَافُ أَنْ يُبَيِّتَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ: «إِنْ بُيِّتْتُمْ فَإِنَّ دَعْوَاكُمْ حم لَا يُنْصَرُونَ».

وفي رواية النسائي[٣] بإسناد رجاله معدلون عن البراء ﷺ قال: قال ﷺ: «إِنَّكُمْ تَلْقَوْنَ عَدُوَّكُمْ غَدًا، فَلْيَكُنْ شِعَارُكُمْ حم لاَ يُنْصَرُونَ دَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ».[٤]

---

(١) برقم (٤١١٥) ومسلم (١٧٤٢).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٩٤٦٧)، وأشار الترمذي عقب روايته (١٦٨٢) إلى أنه روي مرسلاً، ولكن رواه باللفظ المذكور موصولاً معمر والثوري عن أبي إسحاق عن المهلب وهو أوثق الناس فيه.

ورواه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧٥) - واللفظ له - من طريق زهير.

(٣) في «الكبرى» (١٠٣٧٦).

(٤) وملخص أسانيد اللفظين: «أنهما حديث واحد رواه أبو إسحاق السبيعي واختلف عليه:

فرواه معمر والثوري عنه عن المهلب بن أبي صفرة عمن سمع النبي ﷺ ..فذكره

أخرجه أبو داود (٢٥٩٧) وعبد الرزاق، والصحابة ﷺ كلهم عدول.

ورواه شريك عنه عن المهلب قال: حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ.

ضعف قصة مبارزة علي ﷺ - المشهورة-

لعمرو بن ود العامري الكافر

ذكر الحافظ البيهقي في «دلائل النبوة»(٣/ ٤٣٨) عن ابن إسحاق أَنَّ عَلِيًّا طَعَنَهُ تَرْقُوَتَهُ، حَتَّى أَخْرَجَهَا مِنْ مَرَاقِّهِ، فَمَاتَ فِي الْخَنْدَقِ، وَبَعَثَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَشْتَرُونَ جِيفَتَهُ بِعَشَرَةِ آلَافٍ، فَقَالَ ﷺ: « **هُوَ لَكُمْ. لَا نَأْكُلُ ثَمَنَ الْمَوْتَى** »

قَالَ: وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ فَنَادَى، مَنْ يُبَارِزُ فَقَامَ عَلِيٌّ ﷺ وَهُوَ مُقَنَّعٌ فِي الْحَدِيدِ، أَظُنُّهُ عَمْرًا فَقَالَ: أَنَا لَهَا يَا نَبِيَّ اللهِ. فَقَالَ: إِنَّهُ عَمْرٌو اجْلِسْ، وَنَادَى عَمْرٌو، أَلَا رَجُلٌ وَهُوَ يُؤَنِّبُهُمْ وَيَقُولُ أَيْنَ جَنَّتُكُمُ الَّتِي تَزْعُمُونَ أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ دَخَلَهَا. أَفَلَا تُبْرِزُونَ إِلَيَّ رَجُلًا؟ فَقَامَ عَلِيٌّ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ نَادَى الثالثة، فقال:

وَلَقَدْ بُحِحْتُ مِنَ النِّدَاءِ ... بِجَمْعِكُمْ: هَلْ مِنْ مُبَارِزْ

وَوَقَفْتُ إِذْ جَبُنَ الْمُشَجَّعُ ... مَوْقِفَ الْقِرْنِ الْمُنَاجِزْ

=

أخرجه أحمد(١٦٦١٥) والنسائي (٨٨١٠) وشريك سيء الحفظ .

ورواه زهير عنه عن المهلب قال قال أصحاب النبي ﷺ كما تقدم.

وزهير قد روىٰ عن أبي إسحاق بعد الاختلاط.

ورواه شيبان والأجلح عنه عن البراء بن عازب ﷺ باللفظ الثاني المذكورأخرجه النسائي وغيره والأقوىٰ رواية الثوري ومن معه لما تقدم ذكره .

وَلِذَاكَ إِنِّي لَمْ أَزَلْ ... مُتَسَرِّعًا قَبْلَ الْهَزَاهِزْ

إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْفَتَى ... وَالْجُودَ مِنْ خَيْرِ الْغَرَائِزْ

فَقَامَ عَلِيٌّ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا، فَقَالَ: إِنَّهُ عَمْرٌو. قَالَ: وَإِنْ كَانَ عَمْرًا. فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَشَى إِلَيْهِ. حَتَّى أَتَاهُ وهو يقول:

لا تعجلنّ فقد أتاك ... مُجِيبُ صَوْتِكَ غَيْرُ عَاجِزْ

ذُو نِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ ... وَالصِّدْقُ مَنْجَى كُلِّ فَائِزْ

إِنِّي لأرجو أن أقيم ... عَلَيْكَ نَائِحَةَ الْجَنَائِزْ

مِنْ ضربة نجلاء ... يبقى ذِكْرُهَا عِنْدَ الْهَزَاهِزْ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: وَمَنْ أَنْتَ. قَالَ: أَنَا عَلِيٌّ. قَالَ: ابْنُ عَبْدِ مناف فقال:

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: غَيْرُكَ يَا بن أَخِي وَمِنْ أَعْمَامِكَ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْكَ، فَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أُهَرِيقَ دَمَكَ، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: لَكِنِّي وَاللهِ مَا أَكْرَهُ أَنْ أُهَرِيقَ دَمَكَ، فَغَضِبَ، فَنَزَلَ وَسَلَّ سَيْفَهُ كَأَنَّهُ شُعْلَةُ نَارٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ عَلِيٍّ مُغْضَبًا، وَاسْتَقْبَلَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه بِدَرَقَتِهِ فَضَرَبَهُ وَعَمْرٌو فِي الدَّرَقَةِ فَقَدَّهَا، وَأَثْبَتَ فِيهَا السَّيْفَ، وَأَصَابَ رَأْسَهُ فَشَجَّهُ، وَضَرَبَهُ عَلِيٌّ عَلَى حَبْلِ الْعَاتِقِ فَسَقَطَ، وَثَارَ الْعَجَاجُ، وَسَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ التَّكْبِيرَ، فَعَرَفَ أَنَّ عَلِيًّا قَدْ قَتَلَهُ، فَتَمَّ عَلِيٌّ رضي الله عنه يَقُولُ:

عَلَيَّ تَقْتَحِمُ الْفَوَارِسُ هَكَذَا...عَنِّي وَعَنْهُمْ أَخَّرُوا أَصْحَابِي

الْيَوْمَ يَمْنَعُنِي الْفِرَارَ حَفِيظَتِي...وَمُصَمِّمٌ فِي الرَّأْسِ لَيْسَ بِنَابِي

فَذَكَرَ أَبْيَاتًا آخِرِهُنَّ:

عَبَدَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ عَقْلِهِ...وَعَبَدْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ

فهذا ذكره ابن إسحاق[1] بغير سند

وله شاهد[2] مقتصراً علي ذكر من قُتل من المشركين يوم الأحزاب عدَّ منهم: عمرو بن ود وهو ثابت السند.

ولكن إسناده ليس فيه ذكر قصة المبارزة بينه وبين علي ﷺ بهذا السياق، ويبعد أن لا يكون من المسلمين شجعان غير علي بن أبي طالب ﷺ يقوم له، وقد رأيت ما كان منهم يوم المبارزة في غزوة بدر، ويبعد أن يقول له رسول الله ﷺ «**إنه عمرو**»مع ما سبق من علي ﷺ وشجاعته المعروفة في مبارزته يوم بدر في الذين اختصموا في ربهم...، والله أعلم .

وغريب أن يظهر في هذه الرواية الحال لما برز لهم عمرو بمن ود بمظهر الضعف التربوي يقول له رسول الله ﷺ «إنه عمرو» ويظهر النبي ﷺ بمظهر الخائف الوجل على عليّ بن أبي طالب، ولم يبرز له غير عليٍّ مع كثرة الشجعان بين يديه ﷺ كحمزة وعمر والمقدادبن الأسود وغيرهما ﷺ!

---

(١)كما في «سيرة ابن هشام»(٢/ ٢٠١).

(٢)عند الحاكم (٣/ ٣٣)

وثم أسانيد فيها ضعف حاصلها أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُتِلَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، فَبَعَثَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِ ابْعَثْ إِلَيْنَا بِجَسَدِهِ وَنُعْطِيَكَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَاخَيْرَ فِي جَسَدِهِ وَلَا فِي ثَمَنِهِ**» فالله أعلم بحقيقة ذلك

وقد رواه البيهقي[1] بإسناد ثابت إلى عروة بن الزبير مرسلاً:

فَذَكَرَ قِصَّةَ الْخَنْدَقِ، وَقَتْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَمْرَو بْنَ عَبْدِ وُدٍّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلِيٌّ رضي الله عنه نَحْوَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَوَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: « هَلَّا اسْتَلَبْتَ دِرْعَهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْعَرَبِ دِرْعٌ خَيْرٌ مِنْهَا » ، فَقَالَ: « ضَرَبْتُهُ فَاتَّقَانِي بِسَوَادِهِ فَاسْتَحْيَيْتُ ابْنَ عَمِّي أَنْ أَسْتَلِبَهُ». وهذا ليس له إسناد ثابت فيما وقفت عليه مع غرابة لفظه والله أعلم .

تنبيه:

القصة التي فيها أن نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ عَامِرِ بْنِ أُنَيْفِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ قُنْفُذِ بْنِ هِلَالِ بْنِ خَلَاوَةَ بْنِ أَشْجَعَ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ، أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، وَإِنَّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّمَا أَنْتُ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنْ اسْتَطَعْتُ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ. فَخَرَجَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَكَانَ لَهُمْ نَدِيمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: يَا بَنِي قُرَيْظَةَ، قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي إِيَّاكُمْ، وَخَاصَّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، قَالُوا: صَدَقْتُ، لَسْتُ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ لَيْسُوا كَأَنْتُمْ،

---

(١) في «الكبري» (٦/ ٥٠٢).

الْبَلَدُ بَلَدُكُمْ، فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَحَوَّلُوا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَإِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ قَدْ جَاءُوا لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ ظَاهَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، وَبَلَدُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ بِغَيْرِهِ، فَلَيْسُوا كَأَنْتُمْ، فَإِنْ رَأَوْا نُهْزَةً أَصَابُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لَحِقُوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ بِبَلَدِكُمْ، وَلَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهْ إِنْ خَلَا بِكُمْ، فَلَا تُقَاتِلُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ ثِقَةً لَكُمْ عَلَى أَنْ تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُنَاجِزُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، فَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ: قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي لَكُمْ وَفِرَاقِي مُحَمَّدًا، وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقًّا أَنْ أُبْلِغَكُمُوهُ، نُصْحًا لَكُمْ، فَاكْتُمُوا عَنِّي، فَقَالُوا: نَفْعَلُ، قَالَ: تَعْلَمُوا أَنَّ مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَقَدْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ:

إِنَّا قَدْ نَدِمْنَا عَلَى مَا فَعَلْنَا، فَهَلْ يُرْضِيكَ أَنْ نَأْخُذَ لَكَ مِنْ الْقَبِيلَتَيْنِ، مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ رِجَالًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَنُعْطِيكَهُمْ، فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ثُمَّ نَكُونُ مَعَكَ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُمْ؟ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: أَنْ نَعَمْ. فَإِنْ بَعَثَتْ إِلَيْكُمْ يَهُودُ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ فَلَا تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى غَطَفَانَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ، إِنَّكُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا أَرَاكُمْ تَتَّهِمُونِي، قَالُوا: صَدَقْتُ، مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ، قَالَ: فَاكْتُمُوا عَنِّي، قَالُوا: نَفْعَلُ، فَمَا أَمْرُكَ؟ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ وَحَذَّرَهُمْ مَا حَذَّرَهُمْ.

وهذا لا يصح سنده وإنما ذكره ابن إسحاق في «السيرة» [١] بغير سند.

ولكن أخرج البيهقي في «الدلائل» بإسنادٍ ظاهره الحُسْن عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ نُعَيْمٌ رَجُلًا نَمُومًا، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَقَالَ: إِنَّ يَهُودَ قَدْ بَعَثَتْ إِلَيَّ: إِنْ كَانَ يُرْضِيكَ عَنَّا أَنْ تَأْخُذَ رِجَالًا رَهْنًا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ، مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَنَدْفَعَهُمْ إِلَيْكَ، فَتَقْتُلَهُمْ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَاهُمْ، فَأَخْبَرَهُمْ ذَلِكَ. فَلَمَّا وَلَّى نُعَيْمٌ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا الْحَرْبُ خَدْعَةٌ**» [٢] هكذا الرواية. [٣]

---

(١) كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٢٩).

(٢) في «دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٤٤٧) عن أبي العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، ثنا يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها به.

وخالفه محمد بن عبد الله بن نمير فرواه عن يونس بنفس الإسناد مقتصراً علي قوله ﷺ: «**الحرب خدعة**» ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع؛ لكن وإن كان أحمد بن عبد الجبار دون محمد بن عبد الله، إلا أن العلماء صحَّحُوا سماعه للسيرة فتحسينه باللفظ الماضي ليس بمستبعد والله أعلم.

(٣) والظاهر أنه أتي غطفان وقريشاً فأعلمهم فبارز القوم وأرسلوا إلي بني قريظة عكرمة وجماعة معه ،واتفق ذلك ليلة السبت يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم فاعتلت اليهود بالسبت، ثم أيضا طلبوا الرهن توثقة، فأوقع الله بينهم ،واختلفوا علي ما في كتب «المغازي» وقد ذكر الحافظ في «البداية والنهاية» (٤/ ١٢٨) ذلك فقال :قُلْتُ: وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْظَةُ لَمَّا يَئِسُوا مِنِ انْتِظَامِ أَمْرِهِمْ مَعَ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يريدون مِنْهُ الصُّلْحَ عَلَى أَنْ يَرُدَّ بَنِي النَّضِيرِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالله أَعْلَمُ.

لكن الذي صح في ذلك من ناحية الأسانيد ذكرته والله أعلم أي ذلك بتفصيله كان.

المهم أن الله تعالي أرسل عليهم ريح الصبا يوم الخندق حتي كفئت قدورهم علي أفواههم ونزعت فساطيطهم حتي أمتعتهم، وأرسل الله جنوداً لم تُري – يعني الملائكة–، علي ما في كتاب الله وبعض تفاصيله في كتب المغازي.

ولكن الملائكة لم تقاتل يوم الأحزاب لأنه لم يكن قتال إنما هي مُناوشَات ولعلَّ الريح المذكور هي التي أشار إليها الرسول ﷺ بقوله:

« **نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ** ». (١)

والصَّبا الريح التي تهبُّ من مَشرق الشمس، أرسلها عليهم ريحًا باردة في ليلة شاتية فقلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم وقلبت قدورهم وكان ذلك سبب رجوعهم وانهزامهم. (٢)

سياق ماحصل من بعث الله الريح علي المشركين وهو معني قوله ﷺ « نصرت بالصبا »

أخرج ابن أبي شيبة (٣) بسند حسن عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ: خَرَجْتُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَقْفُو آثَارَ النَّاسِ ، فَسَمِعْتُ وَئِيدَ الْأَرْضِ وَرَائِي، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ ، يَحْمِلُ مِجَنَّهُ ، فَجَلَسْتُ إِلَى الْأَرْضِ،

=

وأما قوله ﷺ: «الحرب خدعة » فله شاهد كذا مختصراً في صحيح البخاري (٣٠٢٩) ومسلم (١٧٤٠) ، أما أن ذلك هو سبب قوله، فالأسانيد في ذلك تقدَّم ما فيها .

(١) صحيح أخرجه البخاري (١٠٣٥) ومسلم (٩٠٠) .

(٢) وأما الدبور: فهي الريح التي تهبُّ من مغرب الشمس وبها كان هلاك قوم عاد .

(٣) في «المصنف »(٧/ ٣٧٣) .

قَالَتْ: فَمَرَّ سَعْدٌ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا أَطْرَافُهُ ، فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أَطْرَافِ سَعْدٍ، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ ، قَالَتْ: فَمَرَّ يَرْتَجِزُ وَهُوَ يَقُولُ:

لَيْتَ قَلِيلًا يُدْرِكِ الْهَيْجَا حمَلْ ... مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلْ

قَالَتْ:

فَقُمْتُ فَاقْتَحَمْتُ حَدِيقَةً، فَإِذَا فِيهَا نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ تَسْبِغَةٌ لَهُ، تَعْنِي الْمِغْفَرَ ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: وَيْحَكِ مَا جَاءَ بِكِ؟ وَيْحَكِ مَا جَاءَ بِكِ؟ وَاللهِ إِنَّكِ لَجَرِيئَةٌ ، مَا يُؤَمِّنُكِ أَنْ يَكُونَ تَحَوُّزٌ وَبَلَاءٌ ، قَالَتْ: فَمَا زَالَ يَلُومُنِي حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنَّ الْأَرْضَ انْشَقَّتْ فَدَخَلْتُ فِيهَا ، قَالَ: فَرَفَعَ الرَّجُلُ التَّسْبِغَةَ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ، قَالَ فَقَالَ:

يَا عُمَرُ، وَيْحَكَ، قَدْ أَكْثَرْتَ مُنْذُ الْيَوْمَ ، وَأَيْنَ التَّحَوُّزُ أَوِ الْفِرَارُ إِلَّا إِلَى اللهِ ، قَالَتْ: وَيَرْمِي سَعْدًا رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ حِبَّانُ بْنُ الْعَرِقَةِ بِسَهْمٍ، فَقَالَ:خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِقَةِ ، فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ فَقَطَعَهُ فَدَعَا اللهَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَرَقَأَ كَلْمُهُ ، وَبَعَثَ اللهُ الرِّيحَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ {وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا } [الأحزاب: ٢٥] فَلَحِقَ أَبُو سُفْيَانَ بِتِهَامَةَ،وَلَحِقَ عُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرِ بْنِ حِصْنٍ وَمَنْ مَعَهُ بِنَجْدٍ، وَرَجَعَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ فَتَحَصَّنُوا فِي صَيَاصِيهِمْ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَمَرَ بِقُبَّةٍ فَضُرِبَتْ عَلَى سَعْدٍ فِي الْمَسْجِدِ وَوُضِعَ السِّلَاحُ، قَالَتْ: فَأَتَاهُ جِبْرِيل فَقَالَ:

أَقَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ،وَاللهِ مَا وَضَعَتِ الْمَلَائِكَةُ السِّلَاحَ، فَاخْرُجْ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَقَاتِلْهُمْ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالرَّحِيلِ وَلَبِسَ لَأْمَتَهُ ، فَخَرَجَ فَمَرَّ عَلَى بَنِي غَنْمٍ ، وَكَانُوا جِيرَانَ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ: مَنْ مَرَّ بِكُمْ؟ فَقَالُوا: مَرَّ بِنَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ ، وَكَانَ دِحْيَةُ تُشْبِهُ لِحْيَتُهُ وَسُنَّتُهُ وَوَجْهُهُ بِجِبْرِيلَ ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَاصَرَهُمْ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، فَلَمَّا اشْتَدَّ حَصْرُهُمْ وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَيْهِمْ قِيلَ لَهُمُ: انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْتَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ أَنَّهُ الذَّبْحُ ، فَقَالُوا: نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ ابْنِ مُعَاذٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :« انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » ، فَنَزَلُوا وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى سَعْدٍ ، فَحُمِلَ عَلَى حِمَارٍ لَهُ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ ، وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَمْرٍو ، حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ النِّكَايَةِ وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ ، لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ دَارِهِمِ الْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: قَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لَا يُبَالِيَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، فَلَمَّا طَلَعَ على رسول الله ﷺ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ** (١)**فَأَنْزِلُوهُ**» .

---

(١) وهذا اللفظ الثابت:«**قوموا إلي سيدكم**»، والطرق الصحيحة المعروفة كلها ليس فيها « **قوموا لسيِّدكم** » والأول بمعنىٰ قوموا لمعاونته ، بخلاف الثاني ، فمحتمل معنىٰ قوموا لمنزلته.

والذي استدل بها من جوَّز القيام للقادم هيبة وتكريماً.وكيف وفي الحديث قرينة وهي قوله«**فأنزلوه**» والتي تَخْدِشُ فِي الِاسْتِدْلَال بِقِصَّةِ سَعْدٍ عَلَىٰ مَشْرُوعِيَّةِ الْقِيَامِ الْمُتَنَازَعِ فِيهِ، ولَوْ كَانَ الْقِيَامُ الْمَأْمُورُ بِهِ لِسَعْدٍ هُوَ الْمُتَنَازَعَ فِيهِ لَمَا خَصَّ بِهِ الْأَنْصَارَ فَإِنَّ الْأَصْلَ فِي أَفْعَالِ الْقُرَبِ التَّعْمِيمُ، وَلَوْ كَانَ الْقِيَامُ لِسَعْدٍ عَلَىٰ سَبِيلِ الْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ لَكَانَ هُوَ ﷺ أَوَّلَ مَنْ فَعَلَهُ وَأَمَرَ بِهِ مَنْ حَضَرَ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ فَلَمَّا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ وَلَا فَعَلَهُ وَلَا فَعَلُوهُ دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْقِيَامِ لِغَيْرِ مَا وَقَعَ فِيهِ النِّزَاعُ، وَإِنَّمَا هُوَ لِيُنْزِلُوهُ عَنْ دَابَّتِهِ لِمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْمَرَضِ وراجع «فتح الباري»لابن حجر(١١/ ٥١).

قَالَ عُمَرُ: سَيِّدُنَا اللهُ ، قَالَ:«**أَنْزِلُوهُ**».قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِﷺ : «**احْكُمْ فِيهِمْ**»، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ وَتُقَسَّمَ أَمْوَالُهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ :«**لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ**»، قَالَ: ثُمَّ دَعَا اللهَ سَعْدٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ عَلَى نَبِيِّكَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَ، وَإِنْ كُنْتَ قَطَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ، فَقَالَ: فَانْفَجَرَ كَلْمُهُ وَكَانَ قَدْ بَرَأَ حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهُ إِلَّا مِثْلُ الْخُرْصِ.

قَالَتْ:فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِﷺ وَرَجَعَ سَعْدٌ إِلَى قُبَّتِهِ الَّتِي كَانَ ضَرَبَ عَلَيْهِ ﷺ قَالَتْ: فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللهِﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، قَالَتْ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَعْرِفُ بُكَاءَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ بُكَاءِ عُمَرَ وَأَنَا فِي حُجْرَتِي،وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللهُ {رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} الفتح: ٢٩. قَالَ عَلْقَمَةُ: فَقُلْتُ أَيْ أُمَّهْ، فَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِﷺ يَصْنَعُ ؟ قَالَتْ:كَانَتْ عَيْنُهُ لَا تَدْمَعُ عَلَى أَحَدٍ،وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا وَجَدَ فَإِنَّمَا هُوَ آخِذٌ بِلِحْيَتِهِ» (١)

❁ قول النبي ﷺ بعد غزوة الأحزاب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ:«**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلاَ شَيْءَ بَعْدَه**».(٢)

---

(١) كما أجزم بوهم لفظة :« كَانَتْ عَيْنُهُ لَا تَدْمَعُ عَلَى أَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا وَجَدَ فَإِنَّمَا هُوَ آخِذٌ بِلِحْيَتِهِ» ، وإن قال ابن كثيرفي«البداية والنهاية» (٤/ ١٤٢) :« وَهَذَا الْحَدِيثُ إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ »فقد صح عنه رسول الله ﷺ أنه بكي علي ولده إبراهيم وقال ﷺ:«**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ،وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»أخرجه البخاري(١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥).

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤١١٤) .

وفي صحيح البخاري [١] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلاَثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**».

❁ بشارة من النبي ﷺ حين أجلي الله الأحزاب

عن سُلَيْمَان بْن صُرَدٍ، رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: حِينَ أَجْلَى الأَحْزَابَ عَنْهُ: «**الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ**». [٢]

❁ من الفوائد المأخوذة من غزوة الأحزاب

اهتمام المسلم بالدعاء عند المُلمات مع الأخذ بالأسباب ، ولقد دعي رسول الله ﷺ علي الأحزاب وفي المواطن العصيبة كما تقدم ذكر ذلك في مواطن الشدة في غزوة بدروأُحد والأحزاب وفي حنين يأتي....وفي مواطن شتي كما تقدم وسيأتي .

قال عبد الله بن أَبِي أَوْفَى رضي الله عنهما : دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ عَلَى المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ**». [١]

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤١١٩) .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤١١٠) .

ومنها:

جواز بل استحباب مشاركة القائد أصحابه في أعمالهم، فلذلك جميل الأثر، وقد فعله ﷺ في حفر الخندق، شارك الصحابة،وحمل التراب وقال الشعر أحيانا كما في هذا الموطن وفي الجوع كان يربط الحجارة علي بطنه من شدة الجوع ، كان مصابهم مصابه ﷺ.[٢]

=

(١) صحيح البخاري (٢٩٣٣) ومسلم (١٧٤٢).

(٢) يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا، إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا**» كما تقدم وأمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت رضي الله عنه أن يهجو المشركين بقوله: «**اهجهم جبريل معك**».

وقال : «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة**» وقال: «**أصدق كلمة قالها لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل ، وكاد أمية بن الصلت أن يسلم**»...يُصَدِّق بعض ما قال .

ولا معارضة بين هذا وبين قوله تعالي: {وما علمناه الشعر وما ينبغي له}.

إذ من الشعر ما هو ممدوح، فإن كان فلا بأس به، وإلا فالشعراء- في الجملة - يتبعهم الغاوون كما قال تعالي، ثم لا يوصف ﷺ بأنه شاعر لكونه قال من الشعر ما هو حق بعد مرةبيت أو بيتين، ولذلك كانت دعوىٰ كفار قريش أنه شاعر دعوىٰ كاذبة كذَّبَها المتمَرِّسون في الشعر منهم كضماد الأزدي رضي الله عنه وأنيس أخي أبي ذر الغفاري رضي الله عنهما وغيرهما كما تقدم .وهذا كله في روايات صحيحة ثابتة، ولو فَهِم الكفار أنه شاعر لقوله بيتين من الشعر لاحتجوا عليه بذلك أنه شاعر،

ولما دعي إلي طعام له أُعدَّ، دعاهم معه، ولما انشغلوا عن الصلاة بمراقبة المشركين كان معهم ، وقال: « **شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا** ».

ومنها:

بيان غدر اليهود حتى لأوطانهم- أحيانا - ونقضهم لعهودهم كما فعل يهود بني قريظة مع المشركين عبدة الأصنام، رغم أن هؤلاء أهل كتاب وهؤلاء عبدة أوثان كيف يلتقيان؟! ، ولكن الغدر في دمائهم يجري..

جمعهم هم وعبدة الأوثان الحسد للنبي ﷺ وسفالة الأخلاق.....

ومنها:

حرمة الغدر، إذ هو من صفات اليهود ،وينصب لكل غادر لواء يو م القيامة عند إسته يقال هذه غدرة فلان ..

وأعظم الغدر غدر الرعية لأميرهم الذي سلَّموا له أمره ، ثم يطعنون فيه بالكلام أو التأليب،بغيبته،أو بنصحه علي الملأ، فيؤلِّبون عليه، وإذا ما واجههم أنكروا وقالوا بنقيض ذلك وجَهَرُوا به، وسمَّاه الصحابة على عهد رسول الله ﷺ

=

ولاتهموا القرآن الذي فيه: «**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**» بالكذب،مع توفُّر الدواعى لقولهم لو كان، ولنُقل إلينا، ولكن ما حصل شيءٌ من ذلك.

النفاق كما صرَّح به ابن عمر، ومن المسلمين مَن يشابههم الآن في بعض هذه الخصال ..ولا حول ولا قوة إلا بالله .

واستنبط ابن عمر، هذا الغدر في الناس ، فجمع أهله ونهاهم عن نزع اليد من طاعة يزيد بن معاوية، لما بويع له من بعد أبيه رضي الله عنه بالخلافة..[1]

ومنها:

أن الله تعالي يمدّ أهل الخير والفضل في الشدائد بمنح تثبِّتهم ،فالشدة التي تقدمت بالصحابة والنبي ﷺ من جوعهم وخوفهم، وشدة البرد عليهم والخيانة من اليهود الذين يسكنون المدينة معهم، ونقضهم العهد معهم..

حصلت كرامة عجيبة: بتكثير طعام جابر رضي الله عنه حتى يكفي أعداداً غفيرة ، **وثانية:** وعدٌ منه ﷺ بالفتح، **وثالثة:** بتملُّك كنوز وفتح البلاد، **ورابعة:** بهبوب الريح الشديد علي الكفار ، **وخامسة:** بتحول حال حذيفة فبعد أن كان في برد شديد وقر، خرج يأتي بخبر القوم كأنه يمشي في حمام ـ أي جو ساخن ـ وهذا يثبِّت القلوب، **وأخري:**بتمييز المنافق الذي يقول:{ما وعدنا الله ورسوله إلا

---

(١) أعني ما أخرجه البخاري (٧١١١) ومسلم (١٧٣٥) عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: لَمَّا خَلَعَ أَهْلُ المَدِينَةِ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ، جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ، حَشَمَهُ وَوَلَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**» وَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ غَدْرًا أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُبَايَعَ رَجُلٌ عَلَى بَيْعِ اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُنْصَبُ لَهُ القِتَالُ، وَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْكُمْ خَلَعَهُ، وَلاَ بَايَعَ فِي هَذَا الأَمْرِ، إِلَّا كَانَ الفَيْصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ.

غروراً} ممن قال :{هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانـًا وتسليمـًا } ...

ومنها:

الأخذ بأسباب السلامة من حفر الخندق لأن العدو الذي معهم لا يواجَه لكثرته، والعدة التي مع أولئك المشركين كثيرة ، والحرب خدعة ، فدفعهم الله تعالي بقدرته ثم بالأسباب التي أخذوا بها .

ومنها:

شدّ النبي من أزر الصحابة ﷺ ومواساته لهم ،ثم الدعاء لله بالنصر وهزيمة الأحزاب، ينبئنا أنه مهما بلغ الإنسان من قدرات فهو يحتاج ـ ولو في بعض الأحيان ـ إلي من يواسيه ويشدّ من أزره ، ولذا فعلته خديجة ﷺ مع رسول الله ﷺ حين رجع إليها من غار حراء يرجف فؤاده ....– فقالت له : كلا والله لا يخزيك الله أبداً، وقد تقدم .

ومنها:

عظم المدح والثناء علي الله قبل سؤال المسألة فهذا من آداب الدعاء [1] حيث قال ﷺ : «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ،..**» ثم دعا فقال «**اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ** »، لأنه سبحانه يحب المدح ويجازي عليه .

---

(١) وإن كان النبي ﷺ لم يراع هذا على الدوام في دعائه.

ومنها:

حصول البركة من الاستجابة لرسول الله ﷺ .

فاستجابة حذيفة رضي الله عنه في القيام للإتيان بخبر القوم ، وفي تنفيذ أمره ﷺ له «**وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ** » أظهرت الخير في الاستجابة فاستجابته في الذهاب بَدَّل الله القرَّ – شدَّة البرودة – دفئًا، ومراعاته لقوله ﷺ «**وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»–فامتنع من قتل أبي سفيان – فكان في عدم قتله فتح أبواب خير له وللمسلمين في هذه الغزوة وما كان بعد.

فقد أسلم أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه بعد، وكذا ولده معاوية رضي الله عنه ،وصار بعد أميراً للمؤمنين وكم فتح الله به من بلاد الكفر[1].

تري لو قتل حذيفة رضي الله عنه أبا سفيان يومها لقُتِل هو أولاً، ولكم نفع الله الأمة ببقاء حذيفة، ولأذعر الكفار علي المسلمين، والمسلمون في حالة لا يُحسَدُون عليها من الإرهاق والضعف بسبب الحِصارمن جهة، وخيانة اليهود لهم من جهة أُخرى ،... فسبحان مَن في طاعته وطاعة رسوله ﷺ الربح كله، وفي مخالفته الخسران الكبير..فكم في طواعية رسول الله ﷺ من خير،وكم في مخالفته من شر.

ومنها:

---

(١)وراجع كتابي «شفاء صدور الموحدين بذكر مناقب خال المؤمنين معاوية الأمين».

ما كان عليه رسول الله ﷺ من الحكمة البالغة في اختياراته، الشخص المناسب لكل مهمة، ووضع كل صحابي في مكانه اللائق به .

إن شخصية حذيفة رضي الله عنه هي من أعظم الشخصيات الجديرة بفعل أمر النبيﷺ علي التمام وعلي الوجه المرضي، وكذلك إرسال السعدين بالذات رضي الله عنهما – في حالة صحة الخبر – لمعرفة خيانة بني قريظة،إنما كان ليقفا بأنفسهما على خيانة بني قريظة ،فتنقطع حبال الودّ التي كانت بينهما، حتى إذا حَكَم ﷺ، أو حُكِّم أحد السعدين فيهم بعد لا تأخذه فيهم رأفة، ولا رحمة، ولا هوادة، ليوافق الحكم بعد وجه الحكمة،ولا يكون لبني قريظة أي مناصر من جهة المسلمين ، فيهلكهم الملك سبحانه بلا شفقة عليهم من أحد من المسلمين، فيُحدث شقاقًا.

ومنها:

البشارة العظيمة التي تحقَّقَت بعدُ للمسلمين وقد أعلمه الله بها فطمأنت المسلمين: « **نَغْزُوهُمْ، وَلاَ يَغْزُونَنَا**».

وهو الذي حصل بالفعل كما يأتي في أحداث السيرة صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به ،وخاب من تردَّدَ في تصديقه عليه الصلاة والسلام .

يهود بني قريظة في المدينة وما آل أمرهم إليه بعد

أولئك الذين كفروا ونقضوا العهد الذي كان بينهم بين رسول الله ﷺ ومالئوا

الأحزاب عليه ﷺ خيانة له ولديارهم – يا ويحهم – على خلاف المعهود المُفترَض، [١] فما أغنوا عنهم شيئًا، وباؤا بغضب من الله وتركهم كفار قريش وأوباشهم في المدينة – وهم قلة – يحكم فيهم رسول الله ﷺ.

وخسرت صفقتهم في الدنيا والآخرة،فلا حصَّلوا خيراً لديارهم، ولا هم آمنوا برسول الله ﷺ فنفعهم وعصمهم إيمانهم، فغزاهم النبي ﷺ بعد غزوة الأحزاب مباشرة كما تقدمت الإشارة إلي بعض ذلك قريبًا.

❁ سياق الآيات في متابعة غزوة قريظة بعد كفاية الله المؤمنين الأحزاب

قال تعالي: {وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا}.

❁ حكم سعد رضي الله عنه فيهم بحكم الملك وما حصل له بعد.

أخرج البخاري [٢] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، يُقَالُ لَهُ حِبَّانُ بْنُ العَرِقَةِ وَهُوَ حِبَّانُ بْنُ قَيْسٍ، مِنْ بَنِي مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ رَمَاهُ فِي الأَكْحَلِ،[٣] فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي المَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ

---

(١) إذ هم أهل كتاب، أقرب إلى الديانات والوحي من كفار قريش عبدة الأوثان الذين ليس لهم مل!

(٢) برقم (٤١٢٢) ومسلم (١٧٦٩).

(٣) وهو وريد في وسط الذراع.

قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الغُبَارِ، فَقَالَ:

«قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ، اُخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَيْنَ فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَرَدَّ الحُكْمَ إِلَى سَعْدٍ [1]، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ: أَنْ تُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ[2]، قَالَ سعد رضي الله عنه:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ، حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الحَرْبَ فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا، فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ فَلَمْ يَرُعْهُمْ، وَفِي المَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا:

يَا أَهْلَ الخَيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ مِنْهَا رضي الله عنه.

---

(١) وفي رواية مسلم (١٧٦٨) أن قريظة نزلوا علي حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فأرسل رسول الله ﷺ فأتاه علي حمار، فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله ﷺ للأنصار: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**».. ثم قال: «**إن هؤلاء نزلوا علي حكمك**» فذكره.

(٢) وفي روايةعند البخاري ومسلم: قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ المَلِكِ» وربما قال: «قضيت فيهم بحكم الملك».

الإسراع إلى بني قريظة

أخرج مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: نَادَى فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ انْصَرَفَ عَنِ الْأَحْزَابِ: «**أَنْ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**»، فَتَخَوَّفَ نَاسٌ فَوْتَ الْوَقْتِ، فَصَلَّوْا دُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ ».(١)

وَقَالَ آخَرُونَ: لَا نُصَلِّي إِلَّا حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَإِنْ فَاتَنَا الْوَقْتُ، قَالَ: فَمَا عَنَّفَ وَاحِدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ.

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٩٤٦) ومسلم (١٧٧٠) واللفظ لمسلم ولفظ البخاري :«**لا يصلين أحد العصر** ».

ولعل الرواي في رواية مسلم تصرف في اللفظة وقد قال الحافظ في الفتح(٧/ ٤٠٩) :وَقَدْ جَمَعَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ بِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ قَبْلَ الْأَمْرِ كَانَ صَلَّى الظُّهْرَ وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُصَلِّهَا فَقِيلَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّهَا لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ وَلِمَنْ صَلَّاهَا لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ وَجَمَعَ بَعْضُهُمْ بِاحْتِمَالِ أَنْ تَكُونَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ رَاحَتْ بَعْدَ طَائِفَةٍ فَقِيلَ لِلطَّائِفَةِ الْأُولَى الظُّهْرَ وَقِيلَ لِلطَّائِفَةِ الَّتِي بَعْدَهَا الْعَصْرَ وَكِلَاهُمَا جَمْعٌ لَا بَأْسَ بِهِ لَكِنْ يُبْعِدُهُ اتِّحَادُ مَخْرَجِ الْحَدِيثِ لِأَنَّهُ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ كَمَا بَيَّنَّاهُ بِإِسْنَادٍ وَاحِدٍ مِنْ مَبْدَئِهِ إِلَى مُنْتَهَاهُ فَيَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنْ رِجَالِ إِسْنَادِهِ قَدْ حَدَّثَ بِهِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَحَمَلَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَنْ بَعْضِ رُوَاتِهِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ وَلَمْ يُوجَدْ ذَلِكَ ثُمَّ تَأَكَّدَ عِنْدِي أَنَّ الِاخْتِلَافَ فِي اللَّفْظِ الْمَذْكُورِ مِنْ حِفْظِ بَعْضِ رُوَاتِهِ»

ورواية البخاري (٩٤٦) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: «**لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**» فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ.

خروج الملائكة للقتال مع المسلمين حين ذهبوا إلي بني قريظة

أخرج البخاري[١] عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ، مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ».

وأخرج البخاري عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: « قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟

وَاللهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ ».[٢]

وروى أحمد عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الْأَحْزَابِ، «دَخَلَ الْمُغْتَسَلَ يَغْتَسِلُ، وَجَاءَ جِبْرِيلُ، فَرَأَيْتُهُ مِنْ خَلَلِ الْبَابِ قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ الْغُبَارُ» ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَوَضَعْتُمْ أَسْلِحَتَكُمْ؟ فَقَالَ: «**مَا وَضَعْنَا أَسْلِحَتَنَا بَعْدُ، انْهَضْ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ**».[٣]

سياق آخر لإصابة سعد رضي الله عنه ودعائه علي بني قريظة وذكر عددهم

---

(١) برقم (٤١١٨).

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٢٨١٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٣٩٩) بإسناد علي شرط مسلم .

أخرج أحمد والنسائي بسند صحيح من طريق الليث بن سعد عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّهُ قَالَ: «رُمِيَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَطَعُوا أَكْحَلَهُ، فَحَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّارِ، فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ، فَتَرَكَهُ، فَنَزَفَهُ الدَّمُ، فَحَسَمَهُ أُخْرَى، فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ» .

قَالَ: «اللهُمَّ لَا تُخْرِجْ نَفْسِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَاسْتَمْسَكَ عِرْقُهُ فَمَا قَطَرَ قَطْرَةً حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَحَكَمَ أَنْ تُقْتَلَ رِجَالُهُمْ وَيُسْتَحْيَى نِسَاؤُهُمْ ويَسْتَعِينُ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَصَبْتَ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ**»[1] .

وَكَانُوا أَرْبَعَمِائَةٍ،[2] فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَتْلِهِمُ انْفَتَقَ عِرْقُهُ، فَمَاتَ.

❁ شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه يوم بني قريظة

أخرج البخاري في صحيحه عَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَسَّانَ: «**اهْجُهُمْ - أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ**».[1]

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٧٧٣) والترمذي (١٥٩٢) والنسائي في«الكبري » (٨٦٢٦) .

(٢) وهذا هو المعتمد الذي صح به الدليل في ذكر عددهم وإلا فقد قيل كان عددهم ستمائة أو سبعمائة، .....

حكي ذلك ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤١٤) قال: « وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللَّهِ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ وَكَعْبُ ابْنُ أَسَدٍ رَأْسُ الْقَوْمِ وَهُمْ سِتُّمِائَةٍ أَوْ سَبْعُمِائَةٍ، وَالْمُكَثِّرُ لَهُمْ يَقُولُ: كَانُوا مَا بَيْنَ الثَّمَانِمِائَةِ وَالتِّسْعِمِائَةِ».

والمعتمد ما صح به السند أنهم أربعمائة وبالله التوفيق .

وعلقه البخاري [٢] بزيادة عن البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ قُرَيْظَةَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ: «**اهْجُ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ**» [٣].

حصر النبي ﷺ بني قريظة وماذا صنع بهم

=

(١) أخرج البخاري (برقم (٣٢١٣) ومسلم (٢٤٨٦) وبوب البخاري للحديث(٤١١٧) بَابُ مَرْجِعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَحْزَابِ، وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ .

(٢) برقم (٤١٢٤) .

(٣) وقد وصله النسائي في «الكبري » (٨٢٣٦) بسند حسن وفيه التقييد بأن ذلك يوم بني قريظة، فإن رسول الله ﷺ قد طلب من حسان رضي الله عنه هجاء قريش كما في صحيح مسلم (٢٤٩٠) عن عائشة رضي الله عنها إن رسول الله ﷺ قال: «**اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ**» فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: «**اهْجُهُمْ**» فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَاتَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي**» .

فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ ﷺ، يَقُولُ لِحَسَّانَ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ**»، وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى**» .

ومعني أدلع لسانه:أي أخرجه عن الشفتين،أي لأمزِّقن أعراضهم تمزيق الجِلد .

ومعني شفي واشتفي :أي شفي المؤمنين ، واشتفي هو بما ناله من أعراض .

ومدة حصرهم خمسة وعشرين يومـًا كما سيأتي حتي جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب..لما أخرجه النسائي [١] وغيره بسند صحيح عن عَطِيَّةَ الْقُرَظِيَّ ﷺ قال: «عَرَضْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ قُرَيْظَةَ فَكَانَ مَنْ أَنْبَتَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ خُلِّيَ سَبِيلُهُ فَكُنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنْبِتْ فَخُلِّيَ سَبِيلِي».

واستدل بهذا الحديث من يري الإنبات دليل البلوغ وهو أرجح وأصح.

وأخرج ابن إسحاق بإسناد حسن [٢] عَنْ عَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُقْتَلَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ كُلُّ مَنْ أَنْبَتَ مِنْهُمْ، وَكُنْتُ غُلَامًا، فَوَجَدُونِي لَمْ أُنْبِتْ، فَخَلَّوْا سَبِيلِي. [٣]

وهذا دليل علي أنه ﷺ قَتَل المقاتِلة وتَرَكَ الصبيان .

وسيترك ﷺ النساء بطبيعة الحال فإنه نهي عن قتل النساء لكونها ما كانت تقاتل. [١]

---

(١) في «الكبرى» (٨٥٦٧) .

(٢) كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٤٤).

وفي رواية أبي داود (٤٤٠٤) بسند صحيح عن عَطِيَّة الْقُرَظي، قَالَ: «كُنْتُ مِنْ سَبْيِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَكَانُوا يَنْظُرُونَ، فَمَنْ أَنْبَتَ الشَّعْرَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ لَمْ يُقْتَلْ، فَكُنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنْبِتْ.

(٣) ففي الصحيحين البخاري (٣٠١٥) ومسلم (١٧٤٤) عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُول الله ﷺ، «فَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ» كذا نهي عن قتل النساء في الحرب .

❁ عدد المقاتلين من بني قريظة يوم ذاك

أخرج الترمذي[١] بإسناد صحيح عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه ، أَنَّهُ قَالَ: رُمِيَ يَوْمَ الأَحْزَابِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَطَعُوا أَكْحَلَهُ أَوْ أَبْجَلَهُ، فَحَسَمَهُ رَسُولُ ﷺ بِالنَّارِ، فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ، فَتَرَكَهُ فَنَزَفَهُ الدَّمُ، فَحَسَمَهُ أُخْرَى، فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، قَالَ: اللَّهُمَّ لاَ تُخْرِجْ نَفْسِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَاسْتَمْسَكَ عِرْقُهُ، فَمَا قَطَرَ قَطْرَةً، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَحَكَمَ أَنْ يُقْتَلَ رِجَالُهُمْ وَتُسْتَحْيَا نِسَاؤُهُمْ، يَسْتَعِينُ بِهِنَّ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

«أَصَبْتَ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ، وَكَانُوا أَرْبَعَ مِائَةٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَتْلِهِمْ انْفَتَقَ عِرْقُهُ فَمَاتَ».

وقد تقدم عزو الرواية للنسائي وغيره في فصل دعاء سعد علي بني قريظة والإشارة إلي عددهم هناك.

تنبيه :

تقدم أن بني قريظة نزلوا علي حكم سعد بن معاذ فَقَالَ ﷺ : **«يَا سَعْدُ إِنَّ هَؤُلاَءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ»** وهذا في الصحيح.[٢]

وثّم روايات مرسلة أن كفار بني قريظة بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ : أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْأَوْسِ،

---

(١) برقم (١٥٨٢) وأصله في مسلم (٢٢٠٨) وليس فيه ذكر العدد .

(٢) البخاري (٣٨٠٤) ومسلم(١٧٦٨).

لِنَسْتَشِيرَهُ فِي أَمْرِنَا، فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ، وَجَهَشَ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ، فَرَقَّ لَهُمْ، وَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا لُبَابَةَ! أَتَرَى أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ، إِنَّهُ الذَّبْحُ قَالَ أَبُو لبَابَة: فول الله مَا زَالَتْ قَدَمَايَ مِنْ مَكَانِهِمَا حَتَّى عَرَفت أَنِّي قَدْ خُنْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ثُمَّ انْطَلَقَ أَبُو لُبَابَةَ عَلَى وَجْهِهِ وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى ارْتَبَطَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى عَمُودٍ مِنْ عُمُدِهِ. وَقَالَ:

لَا أَبْرَحُ مَكَانِي هَذَا حَتَّى يَتُوبَ اللهُ عَلَيَّ مِمَّا صَنَعْتُ، وَعَاهَدَ اللهَ: أَنْ لَا أَطَأَ بَنِي قُرَيْظَةَ أَبَدًا، وَلَا أُرَى فِي بَلَدٍ خُنْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ فِيهِ أَبَدًا...القصة وفيها نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنفال.

ثم أنزل الله توبته بعد في قصة بين رسول الله ﷺ وأم سلمة رضي الله عنها [1].

فتح الله علي المسلمين بعد افتتاح قريظة والنضير

أخرج البخاري[2] عن أنس رضي الله عنه قالُ:«كَانَ الرَّجُلُ يَجْعَلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ النَّخَلاَتِ ، حَتَّى افْتَتَحَ قُرَيْظَةَ، وَالنَّضِيرَ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ».

أي ردَّ عليهم نَخيلَهم لأن الله أغناه .

---

(١) وهذه إنما ذكرها ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام » (٢/ ٢١٢) بسند مرسل .

وثم طريق آخر من مرسل الزهري، وإنما نبهت عليها لبيان ضعفها مع شهرتها والله أعلم .

(٢) برقم(٣١٢٨) .

وفي رواية عن سليمان التيمي قال: سمعت أنسـًا رضي الله عنه يقول : «وَإِنَّ أَهْلِي أَمَرُونِي أَنْ آتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَسْأَلَهُ الَّذِي كَانُوا أَعْطَوْهُ أَوْ بَعْضَهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَعْطَاهُ أُمَّ أَيْمَنَ، فَجَاءَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فَجَعَلَتِ الثَّوْبَ فِي عُنُقِي، تَقُولُ: كَلَّا وَالَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ لاَ يُعْطِيكَهُمْ وَقَدْ أَعْطَانِيهَا، أَوْ كَمَا قَالَتْ: وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «لَكِ كَذَا» وَتَقُولُ: كَلَّا وَاللهِ، حَتَّى أَعْطَاهَا - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ - عَشَرَةَ أَمْثَالِهِ، أَوْ كَمَا قَالَ[1].

ولقد كان لحيي بن أخطب اليهودي الإسرائيلي كنز خبأه من المسلمين وأعلم عمه سعية بمكانه، ويأتي حيلة أخذ النبي ﷺ له قريبـًا إن شاء الله، عند غزو رسول الله ﷺ خيبر، حيث دلَّه سعيَة أخوه ، وكان قد خبَّأه حيي بن أخطب.

وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه

قَدْ تَقَدَّمَ: أَنَّ حِبَّانَ بْنَ الْعَرِقَةِ لَعَنَهُ اللهُ رَمَاهُ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ فَحَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَيًّا بِالنَّارِ فَاسْتَمْسَكَ الْجُرْحُ، وَكَانَ سَعْدٌ دَعَا اللهَ أَنْ لَا يُمِيتَهُ حَتَّى يُقِرَّ عَيْنَهُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَذَلِكَ حِينَ نَقَضُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ وَالذِّمَامِ وَمَالُوا عَلَيْهِ مَعَ الْأَحْزَابِ، فَلَمَّا ذَهَبَ الْأَحْزَابُ وَانْقَشَعُوا عَنِ الْمَدِينَةِ، وَبَاءَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ بِسَوَادِ الْوَجْهِ وَالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُحَاصِرَهُمْ كَمَا تَقَدَّمَ فَلَمَّا ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ وَأَخَذَهُمْ من كل جانب أنابوا أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَحْكُمَ فِيهِمْ بِمَا أَرَاهُ اللهُ فَرَدَّ الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى رَئِيسِ الْأَوْسِ، وَكَانُوا حُلَفَاءَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَرَضُوا بِذَلِكَ ،وَيُقَالُ بَلْ نَزَلُوا ابْتِدَاءً عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ، لِمَا يَرْجُونَ

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤١٢٠) . وراجع «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢١٠).

مِنْ حُنُوِّهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ وَمَيْلِهِ إِلَيْهِمْ ،وَلَمْ يَعْلَمُوا بِأَنَّهُمْ أَبْغَضُ إِلَيْهِ مِنْ أَعْدَادِهِمْ مِنَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، لِشِدَّةِ إِيمَانِهِ وَصِدِّيقِيَّتِهِ ﷺ وَأَرْضَاهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَانَ فِي خَيْمَةٍ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ فجئ بِهِ عَلَى حِمَارٍ تَحْتَهُ إِكَافٌ قَدْ وُطِّئَ تَحْتَهُ لِمَرَضِهِ وَلَمَّا قَارَبَ خَيْمَةَ الرَّسُولِ ﷺ أَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ هُنَاكَ، بِالْقِيَامِ لَهُ قِيلَ:

لِيَنْزِلَ مِنْ شِدَّةِ مَرَضِهِ، وَقِيلَ تَوْقِيرًا لَهُ بِحَضْرَةِ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِمْ لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي نُفُوذِ حُكْمِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ فَلَمَّا حَكَمَ فِيهِمْ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَأَقَرَّ اللهُ عَيْنَهُ وَشَفَى صَدْرَهُ مِنْهُمْ وَعَادَ إِلَى خَيْمَتِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ النَّبوي صُحْبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ دَعَا الله عزوجل أَنْ تَكُونَ لَهُ شَهَادَةٌ وَاخْتَارَ اللهُ لَهُ مَا عِنْدَهُ فَانْفَجَرَ جُرْحُهُ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمْ يَزَلْ يَخْرُجُ مِنْهُ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ ﷺ.(١)

بشارات وكرامات ومنازل لسعد بن معاذ ﷺ

أخرج البخاري ومسلم(٢) عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**».

وأخرج مسلم(٣) عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ:- وَجَنَازَتُهُ مَوْضُوعَةٌ - يَعْنِي سَعْدًا -« **اهْتَزَّ لَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ**».

---

(١) من كلام ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٤٣- ١٤٤).

(٢) البخاري (٣٨٠٣) ومسلم (٢٤٦٦) وهو في مسند أحمد برقم (١١١٨٤) عن أبي سعيد الخدري بسند صحيح أيضاً.

(٣) برقم (٢٤٦٧).

وأخرج البخاري ومسلم[١] عن أَنَس رضي الله عنه، قَالَ: أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ جُبَّةُ سُنْدُسٍ، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الحَرِيرِ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا**».

وفي رواية مسلم[٢] عن البراء رضي الله عنه قال: أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، حُلَّةُ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَلْمِسُونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فَقَالَ: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنْهَا وَأَلْيَنُ**».

وأخرج ابن سعد (٣) عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ أَكْحَلُ سَعْدٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَثَقُلَ حَوَّلُوهُ عِنْدَ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا رُفَيْدَةُ. وَكَانَتْ تداوي الجرحى. فكان النبي ﷺ إِذَا مَرَّ بِهِ يَقُولُ: « **كَيْفَ أَمْسَيْتَ؟**» وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ: « **كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟**» فَيُخْبِرُهُ. حَتَّى كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي نَقَلَهُ قَوْمُهُ فِيهَا فَثَقُلَ فَاحْتَمَلُوهُ إِلَى بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ. وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا كَانَ يَسْأَلُ عَنْهُ. وَقَالُوا قَدِ انْطَلَقُوا بِهِ. فخرج رَسُولُ اللهِ ﷺ وَخَرَجْنَا مَعَهُ فَأَسْرَعَ الْمَشْيَ حَتَّى تَقَطَّعَتْ شُسُوعُ نِعَالِنَا وَسَقَطَتْ أَرْدِيَتُنَا عَنْ أَعْنَاقِنَا. فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتْعَبْتَنَا فِي الْمَشْيِ فَقَالَ:

إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَسْبِقَنَا الْمَلائِكَةُ إِلَيْهِ فَتَغْسِلُهُ كَمَا غَسَلَتْ حَنْظَلَةَ فَانْتَهَى رَسُولُ اللهِ - ﷺ إِلَى الْبَيْتِ وَهُوَ يُغْسَلُ وَأُمُّهُ تَبْكِيهِ وَهِيَ تَقُولُ:

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٢٦١٥) ومسلم (٢٤٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٦٨).

(٣) في «الطبقات الكبري» (٢/ ٤٢٧) وسنده ثابت.

وَيْلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدَا ... حَزَامَةً وَجِدَّا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كُلُّ نَائِحَةٍ تَكْذِبُ [١] إِلا أُمَّ سَعْدٍ ثُمَّ خَرَجَ بِهِ. قَالَ يَقُولُ لَهُ الْقَوْمُ أَوْ مَنْ شَاءَ اللهُ مِنْهُمْ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا حَمَلْنَا مَيِّتًا أَخَفَّ عَلَيْنَا مِنْ سَعْدٍ. فَقَالَ:

مَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ يَخِفَّ عَلَيْكُمْ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا. قد سَمَّى عِدَّةً كَثِيرَةً لَمْ أَحْفَظْهَا. لَمْ يَهْبِطُوا قَطُّ قَبْلَ يَوْمِهِمْ قَدْ حَمَلُوهُ مَعَكُمْ».

وفي سنن النسائي [٢] بسند حسن عن واقد بن عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا وَاقِدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ: إِنَّ سَعْدًا كَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ وَأَطْوَلَهُ، ثُمَّ بَكَى فَأَكْثَرَ الْبُكَاءَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ إِلَى أُكَيْدِرٍ صَاحِبِ دُومَةَ بَعْثًا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِجُبَّةِ دِيبَاجٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا الذَّهَبُ، فَلَبِسَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَقَعَدَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ، وَنَزَلَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْمِسُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِمَّا تَرَوْنَ**».

وقد يحمل قوله: «**فيها الذهب**» أن ذلك قبل التحريم أو أن الذهب الذي فيها كان مذهبـًا ولكن ليس من الذهب الخالص كما في حال الحُلَّة السيراء التي أهداها رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه فقد كان فيها سيور مُذَهَّبه، وليست ذهبـًا خالصـًا .

---

(١) ولعل هذا كان قبل تحريم النياحة والله أعلم، وإلا فالمستقر تحريم النياحة .

(٢) «الكبري» برقم (٩٥٤٤).

وقد ورد التقييد في رواية أحمد[١] ولفظها: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ أُكَيْدِرَ دُومَةَ أَهْدَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ جُبَّةَ حَرِيرٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْهَى نَبِيُّ اللهِ ﷺ عَنِ الْحَرِيرِ، فَلَبِسَهَا فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ**» .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَخَفَّ جَنَازَتَهُ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: « **إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ** ».[٢]

وأخرج النسائي[٣] بإسناد جيد عن ابن إدريس عن عبيد الله عن نافع عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ**

---

(١) برقم (١٣٤٥٥)بسندٍ صححه ابن كثير (٤/ ١٤٧) علي شرط الشيخين.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٤٩) بإسناد صحيح علي شرط مسلم ، وله شاهد مرسل أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة » (١٥٠٤) .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺعَادَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ قَالَ: فَدَعَا لَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهُ مَرَّتْ بِهِ رِيحٌ طَيِّبَةٌ قَالَ: فَقَالَ: «**هَذَا رُوحُ سَعْدٍ قَدْ مُرَّ بِهِ**» قَالَ: فَلَمَّا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ سَعْدًا كَانَ رَجُلًا بَادِنًا وَإِنَّا وَجَدْنَاهُ خَفِيفًا قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ«**أَحَسِبْتُمْ أَنَّكُمْ حَمَلْتُمُوهُ وَحْدَكُمْ، أَعَانَتْكُمْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ**».

فهذا يقوي رواية الترمذي ويكون المتن صحيحاً والله أعلم.

(٣) في «الكبري» (٢١٩٣) وقد جود الإسناد ابن كثير في «البداية والنهاية » (٤/ ١٤٥) فقال: «إسناده جيد»، لكن قال البزار: رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسلاً .

السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ».

وأخرج ابن إسحاق[1] بإسناد حسن عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ:

لَمَّا دُفِنَ سَعْدٌ وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ ﷺ، سَبَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَبَّحَ النَّاسُ مَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ فَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مِمَّ سَبَّحْتُ؟ قَالَ: «**لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ، حَتَّى فَرَّجَهُ اللهُ عَنْهُ**».[2]

تنبيه:

ما ورد من أن سبب الاهتزاز من أن ذلك حبًا في لقاء سعد بن معاذ، وأنه قيل : إنما قال السرير لكون السرير يطلق على العرش كما في قوله تعالي:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿١٠٠﴾ ﴾ يوسف.

وكذلك : ما أخرجه ابن سعد [3] من طرقٍ عن مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِحُبِّ لِقَاءِ اللهِ سَعْدًا، قَالَ: إِنَّمَا يَعْنِي السَّرِيرَ، قَالَ: إِنَّمَا تَفَسَّخَتْ أَعْوَادُهُ، قَالَ: وَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْرَهُ فَاحْتُبِسَ، فَلَمَّا خَرَجَ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا حَبَسَكَ؟ قَالَ: «**ضُمَّ سَعْدٌ فِي الْقَبْرِ ضَمَّةً فَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُ**».

---

(١) كما في البداية والنهاية (٤/ ١٤٥) .

(٢) وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ** » وقد خرجته في كتابي«الفوائد النيرة» (٢٢٧) وذكرت طرقه هناك .

(٣) في «الطبقات الكبري»(٣/ ٣٣١)، وابن حبان (٧٠٣٤)، والحاكم (٣/ ٢٠٦)

فهذا يبين أن سبب كشف ضمة القبر عن سعد دعاؤه ﷺ.

إلا أن هذا إسنادٌ ضعيفٌ.[١]

وكذلك: ما ورد من أن سبب تلك الضَمَّة أنه كان يقصر في بعض الطهور من البول.

فهذا لايصح له سند وقد علَّقت على نكارته سنداً ومتناً في تحقيقي لكتاب التذكرة «للقرطبي» .

وأما :

ما رواه البخاري ومسلم[٢] عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**اهْتَزَّ العَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**».

وَعَنِ الأَعْمَشِ قال: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، مِثْلَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ لِجَابِرٍ، فَإِنَّ البَرَاءَ يَقُولُ: اهْتَزَّ السَّرِيرُ[٣]، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنَ هَذَيْنِ الحَيَّيْنِ ضَغَائِنُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**».

فهذا يحمل علي ما يكون بين بني آدم مما لايبلغ دينهم، كما ذكرنا ذلك في غير هذا الموطن ، أو يحمل علي أن هذا هو تصور جابر عنهم وليس بصحيح .

---

(١) فإن عطاءً قد اختلط، وقد سمع محمد منه بعد الاختلاط، ولذا لا يستقيم تصحيح الحاكم له، ولا موافقة الذهبي للحاكم، إلا أن أصله صحيح كما تقدم.

(٢) البخاري (٣٨٠٣) ومسلم .

(٣) أي: ليس العرش الذي اهتز وإنما الذي اهتز السرير .

أو يحمل علي أن قول البراء رضي الله عنه مبني علي نسيانه اللفظ ، وإلا فصحَّ عن غيره أنه قال :«العرش»، لا «السرير» والله أعلم .

وعلى كلٍ لا مأخذ علي الصحابة رضي الله عنهم في ذلك، وقد تناولتُ مثل هذا في كتابي « ردع المجرم عن سب المسلم».

فائدة حكاها الحافظ ابن كثير[1] قال :

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: حَدِيثُ اهْتِزَازِ الْعَرْشِ ثَابِتٌ مُتَوَاتِرٌ. قَالَ السُّهَيْلِيُّ: رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ مِنْهُمْ جَابِرٌ، وَأَبُو سَعِيدٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَرُمَيْثَةُ بِنْتُ عَمْرٍو. قَالَ: وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ؛ لِأَنَّ الْعَرْشَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ وَالِاهْتِزَازُ. قَالَ: وَمَا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ مِنْ تَضْعِيفِهِ لِهَذَا الْحَدِيثِ، وَتَوْهِينِهِ لِلتَّحَدُّثِ بِهِ، فَلَعَلَّهُ لَمْ يَصِحَّ عَنْهُ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

قتل امرأة من بني قريظة

أخرج أبو داود[2] بإسناد حسن عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمْ يُقْتَلْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ ، قَالَتْ وَاللهِ إِنَّهَا لِعِنْدِي تَحَدَّثُ مَعِي، تَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قتل رِجَالَهَا فِي السُّوقِ، إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا: أَيْنَ فُلَانَةُ؟ قَالَتْ: أَنَا وَاللهِ، قَالَتْ: قُلْتُ لها: ويلك مالك؟ قَالَتْ أُقْتَلُ! قُلْتُ وَلِمَ؟ قَالَتْ: لِحَدَثٍ أَحْدَثْتُهُ، قَالَتْ: فَانْطُلِقَ بِهَا فَضُرِبَتْ عُنُقُهَا، وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ

---

(١) في "البداية والنهاية" (٤/ ١٤٧) .

(٢) برقم (٢٦٧١) وابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢١٦).

فَوَاللهِ مَا أَنْسَى عَجَبًا مِنْهَا، طِيبَ نَفْسِهَا وَكَثْرَةَ ضَحِكِهَا وَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا تُقْتَلُ». (١)

وقد تقدم في خبر عائشة رضي الله عنها الثابت قالت:

فأتاهم فحاصرهم خمسة وعشرين يومًا فلما اشتدَّ حصارهم ..الأثر

فعل بهم هذا حتي جهدهم الحصار، وقد قال تعالي:

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الأحزاب .

كذا ورث المسلمون أرضهم وديارهم، وأموالهم فصارت غنائم للمسلمين

❁ الفوائد والدروس من غزوة بني قريظة

من ذلك: ماكان عليه الصحابة رضي الله عنهم من سرعة الإستجابة لرسول الله

---

(١) أي: تكثر من الضحك وهي منشرحة الصدر لقتلها.

ويظهر لي أنها كانت تضحك استهزاء من المسلمين أو غيظاً لهم، فيدل هذا علي جلدها في العداوة والإصرار علي الكفر ،ولا يبعد أن تكون هذه المرأة ممن كان يؤلِّب علىٰ المسلمين، وهذه قد تضرّ بعد لو لم تُقتل،ولذلك أمر رسول الله بقتلها، ولا يعارض بهذا النهي عن قتل النساء، لأن من كانت تقاتل أو تحرِّض علىٰ القتال أو تَعرَّت للمسلمين أو نحو ذلك،أنها تُقتَل.

وقد ذكر ابن إسحاق خلاد بن سويد ممن استشهد يوم بني قريظة، وأن هذه المرأة طرحت عَلَيْهِ رَحًى، فَشَدَخَتْهُ شَدْخًا شَدِيدًا، فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لَهُ لَأَجْرَ شَهِيدَيْنِ**» .

لكن قال الخطابي: يقال: إنها كانت شتمتِ النبيَّ ﷺ.

ﷺ حيث قال لهم: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ».

فَأَدْرَكَ بَعْضهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، وقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي».

وقد قال كعب بن مالك إذ فاته أن يخرج في غزوة تبوك بعد رسول الله ﷺ يلحق بالقوم بعد الوصول قال: «وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ ».

وسيأتي مطولاً في قصة تخلُّفه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك .

وصح عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ – وهو من أئمة التابعين – قَالَ: «إِذَا فُتِحَ لِأَحَدِكُمْ بَابُ خَيْرٍ فَلْيُسْرِعْ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ» (١).

هكذا فليبادر المؤمن بالمسارعة في الخير.

❁ ومن تلك الفوائد والدروس:

أنه ليس كل خلاف مذموم فقد يكون الخلاف سائغًا، لايعنَّف المخالف ولا يضلَّل، فليس كل مُخَالف يحكم عليه بالضلال وهذا محله، الخلاف في الثوابت المنهجية هو الذي فيه حق وضلال . وأما الخلاف في بعض الإجتهادات الفقهية فلا يبدع المخالف، فالحكم فيها راجح مرجوح...

ومن ذلك:

قوة عقيدة الصحابة رضي الله عنهم، فموقف سعد رضي الله عنه مع أن اليهود كانوا يرجون أن

(١)أخرجه ابن المبارك في «الزهد » (١١٧) وأبو نعيم في «الحلية»(٥/ ٢١١) بسند صحيح .

يَحكُم لهم لما كان بينهم قديمـًا من ودّ ، ولذلك حَكَّموه،ومع ذلك لم يُثْنه ما كان بينهم من وُدٍّ قديم عن الشدَّة عليهم في الحكم لكونهم خانوا الله ورسوله والمؤمنين،وإنما هو تَجَذُّر عقيدة الولاء والبراء في قلوب الصحابة ﷺ .

فإن كان أبوك أو أخوك أو حميمك مثلاً عاصيـًا منحرفـًا أو مبتدعـًا خارجيـًا أو صوفيـًا...، فلا بد أن تتبرأ منه وتبين حاله وتحذِّر منه، وعلي الملأ إذا نشر معتقده الفاسد علي الملأ، وإلا فعقيدة الولاء والبراء عندك غير صافية .

ومن هنا يظهر الخلل في معتقد الذين يتعصَّبون لمشايخهم المخالفين للسلف، ويردُّون الحق، ويغمطون أهله بدلاً من الاعتراف لهم، والإنصاف معهم ،والله المستعان .

ومن ذلك:

بيان منزلة سعد بن معاذ حيث وافق حكمه حكم الله واهتز له عرش الرحمن ، وكم كان حكيمـًا رشيداً موفَّقـًا مسدداً.

ولما دعا استُجيب له، دعا الله أن يفجُرَها- أي جراحته - فلما حَكَم انفجر كُلْمُه فمات من هذه الضَّربة التي رماه بها حَبَان بنُ العَرَقة قبَّحه الله، ولا عجب فهو سيد الأنصار ﷺ بنص رسول الله ﷺ .

ومن ذلك:

جواز هجاء الكفار وفضل حسان ﷺ في الشِّعر وتأييد جبريل عليه السلام له .

ومن ذلك:

جواز القيام للقادم إذا كان لسبب: كإنزاله أو لخدمته أو معانقته أو نحو ذلك كما كان الحال حينما قال رسول الله ﷺ «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ**».

أما لغير ذلك فلم يكن من هدي الصحابة مع نبيهم ﷺ ذلك مع إجلالهم له، ما كانوا يفعلونه لعلمهم بكراهته(١).

وأما إذا أحب الإنسان ذلك فليتبوأ مقعده من النار لعموم قوله ﷺ: « **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(٢) فلا يجوز القيام لأحد تعظيماً

ومن ذلك:

ذكر علامة من علامات البلوغ وهو الإنبات، إنبات العانة فمن أنبت صار بالغاً، بدلالة ما حصل مع النبي ﷺ يوم بني قريظة ،فمن أنبت قتله، ومن لم يكن أنبت اعتبر صغيراً غير بالغ.

ومن ذلك: عظم الفتح علي المسلمين بعد غزوة النضير وقريظة وتقدم قول أنس بن مَالِكٍ رضي الله عنه : «كَانَ الرَّجُلُ يَجْعَلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ النَّخَلاَتِ، حَتَّى افْتَتَحَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ».

---

(١) ففي سنن الترمذي (٢٧٥٤) وغيره وهو ثابت عن أَنَسٍ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ.

(٢) رواه الترمذي في « سننه » (٢٧٥٥) وهو حديث صحيح.

قتل أبي رافع عبد الله بن الحقيق اليهودي[١]

أخرج البخاري [٢]عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَهْطًا مِنَ الأَنْصَارِ إِلَى أَبِي رَافِعٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَتِيكٍ بَيْتَهُ لَيْلًا فَقَتَلَهُ وَهُوَ نَائِمٌ»

❁ سبب التهييج علي قتله:

كان هذا الرجل تاجراً من أهل الحجاز، وكان يعادي النبي ﷺ والصحابة كعداوة كعب بن الأشرف وقد قتله الأوس من الأنصار رضي الله عنهم كما تقدم

قال ابن إسحاق[٣]:

قَالَ لَمَّا قَتَلَتِ الْأَوْسُ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ اسْتَأْذَنَتِ الْخَزْرَجُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي قَتْلِ سَلَّامِ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ وَهُوَ بِخَيْبَرَ فَأَذِنَ لَهُمْ قَالَ فَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ مِمَّا صَنَعَ اللهُ لِرَسُولِهِ أَنَّ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ كَانَا

---

(١) ويقال: سلَّام بن أبي الحقيق.

وقد ذكر بعض العلماء أن مقتله كان عقب غزوة بدر كالبخاري وغيره ووجهه أن المؤمنين كانوا في ضعف، كما هو ظاهر من السياق.

وقد ذكرها ابن إسحاق وتبعه ابن كثير وغيره عقب غزوة بني قريظة، في هذا الموطن والله أعلم ، وعلي كل حال العبرة مأخوذة، والفقه الحاصل أياً كان وقتها والله الموفق .

(٢) برقم (٤٠٣٨) .

(٣) فيما حكاه الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤٢٠) .

يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ لَا تَصْنَعُ الْأَوْسُ شَيْئًا إِلَّا قَالَتِ الْخَزْرَجُ وَاللهِ لَا تَذْهَبُونَ بِهَذِهِ فَضْلًا عَلَيْنَا وَكَذَلِكَ الْأَوْسُ فَلَمَّا أَصَابَتِ الْأَوْسُ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ تَذَاكَرَتِ الْخَزْرَجُ مَنْ رَجُلٌ لَهُ مِنَ الْعَدَاوَةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا كَانَ لِكَعْبٍ فَذكرُوا ابن أَبِي الْحُقَيْقِ وَهُوَ بِخَيْبَرَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ». (١)

فالله أعلم بحقيقة ما كان ولكن قد كان الصحابة رضي الله عنهم يسابق بعضهم بعضاً في مثل ذلك. (٢)

بعث رسول الله ﷺ رهطاً إلي أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاًوهو نائم فقتله كما تقدم .

❁ تفاصيل قصة مقتله - لعنه الله -

أخرج البخاري (١) عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ اليَهُودِيِّ رِجَالًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَتِيكٍ

---

(١) وهذا سنده مرسل كما تري.

(٢) فمن ذلك ما أخرجه أبو يعلي في «مسنده» (٢٩٥٣) بسند صحيح عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: افْتَخَرَ الحَيَّانِ مِنَ الأَنْصَارِ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ، فَقَالَتِ الأَوْسُ: مِنَّا غَسِيلُ المَلاَئِكَةِ حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ، وَمِنَّا مَنِ اهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَمِنَّا مَنْ حَمَتْهُ الدَّبْرُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الأَقْلَحِ، وَمِنَّا مَنْ أُجِيزَتْ شَهَادَتُهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَقَالَتِ الخَزْرَجِيُّونَ: مِنَّا أَرْبَعَةٌ جَمَعُوا القُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَجْمَعْهُ غَيْرُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو زَيْدٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ.

فهذا يدل علي وجود التصاول بين الأوس والخزرج في مثل هذا ،ونعم المسارعة في مثل قتل هؤلاء المجرمين الذين عداوتهم تضرّ الاسلام والمسلمين ، والله أعلم .

وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الحِجَازِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ، وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ، [٢] فَقَالَ عَبْدُ اللهِ لِأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ، وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ، لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ البَابِ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً. [٣] وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ، فَهَتَفَ بِهِ البَوَّابُ، يَا عَبْدَ اللهِ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ البَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، [٤] فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ البَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الأَغَالِيقَ عَلَى وَتِدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا، فَفَتَحْتُ البَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عَلاَلِيَّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ، [٥] فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنِ القَوْمُ نَذِرُوا بِي

=

(١) برقم (٤٠٣٦).

(٢) أي: رجعوا بمواشيهم التي ترعي.

(٣) وفي رواية البخاري (٤٠٤٠).

فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَتِيكٍ: امْكُثُوا أَنْتُمْ حَتَّى أَنْطَلِقَ أَنَا فَأَنْظُرَ،قَالَ:فَتَلَطَّفْتُ أَنْ أَدْخُلَ الحِصْنَ، فَفَقَدُوا حِمَارًا لَهُمْ، قَالَ: فَخَرَجُوا بِقَبَسٍ يَطْلُبُونَهُ، قَالَ:فَخَشِيتُ أَنْ أُعْرَفَ، قَالَ:فَغَطَّيْتُ رَأْسِي وَجَلَسْتُ كَأَنِّي أَقْضِي حَاجَةً.

(٤) وفي رواية البخاري أيضاً :فَدَخَلْتُ ثُمَّ اخْتَبَأْتُ فِي مَرْبِطِ حِمَارٍ عِنْدَ بَابِ الحِصْنِ.

(٥) وفي رواية البخاري: ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ،فَلَمَّا هَدَأَتِ الأَصْوَاتُ، وَلاَ أَسْمَعُ حَرَكَةً خَرَجْتُ، قَالَ:وَرَأَيْتُ صَاحِبَ البَابِ، حَيْثُ وَضَعَ مِفْتَاحَ الحِصْنِ فِي كَوَّةٍ، فَأَخَذْتُهُ فَفَتَحْتُ بِهِ بَابَ الحِصْنِ،

لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ، لاَ أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ البَيْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ [١]فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَصَاحَ، فَخَرَجْتُ مِنَ البَيْتِ، فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟[٢] فَقَالَ: لِأُمِّكَ الوَيْلُ، إِنَّ رَجُلًا فِي البَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ[٣] وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ[٤] حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ،[٥] فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الأَبْوَابَ بَابًا بَابًا، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي، وَأَنَا أُرَى أَنِّي قَدِ انْتَهَيْتُ إِلَى الأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ

=

قَالَ: قُلْتُ: إِنْ نَذِرَ بِي القَوْمُ انْطَلَقْتُ عَلَى مَهَلٍ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، فَغَلَّقْتُهَا عَلَيْهِمْ مِنْ ظَاهِرٍ.

(١) وفي رواية البخاري: ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى أَبِي رَافِعٍ فِي سُلَّمٍ، فَإِذَا البَيْتُ مُظْلِمٌ، قَدْ طَفِئَ سِرَاجُهُ، فَلَمْ أَدْرِ أَيْنَ الرَّجُلُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ قَالَ: مَنْ هَذَا؟.

(٢) وفي رواية البخاري : ثُمَّ جِئْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ كَأَنِّي مُغِيثٌ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي، فَقَالَ: مَا لَكَ لِأُمِّكَ الوَيْلُ.

(٣) أثخنته: أي بالغت في جراحته .

(٤) ضبة السيف: أي حدّ السيف .

(٥) وفي رواية البخاري: فَإِذَا هُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ، فَأَضَعُ السَّيْفَ فِي بَطْنِهِ ثُمَّ أَنْكَفِئُ عَلَيْهِ حَتَّى سَمِعْتُ صَوْتَ العَظْمِ . ....

مُقْمِرَةٍ، فَانْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ،(١) ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى البَابِ، فَقُلْتُ: لاَ أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ: أَقَتَلْتُهُ؟ فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ (٢)قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ، فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الحِجَازِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَقُلْتُ: النَّجَاءَ،(٣) فَقَدْ قَتَلَ اللهُ أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ،(٤) فَقَالَ: «ابْسُطْ رِجْلَكَ» فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا، فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ ».(٥)

❁ **وفي قصة أبي رافع من الفوائد:**

---

(١) **وفي رواية البخاري:** ثُمَّ خَرَجْتُ دَهِشًا حَتَّى أَتَيْتُ السُّلَّمَ، أُرِيدُ أَنْ أَنْزِلَ فَأَسْقُطُ مِنْهُ، فَانْخَلَعَتْ رِجْلِي فَعَصَبْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ أَصْحَابِي أَحْجُلُ.....

(٢) صياح الديك : أي وجه الصبح .

(٣) النجاء : أي أسرعوا وانجوا بأنفسكم.

(٤) وفي رواية البخاري : فَقُلْتُ: انْطَلِقُوا فَبَشِّرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِنِّي لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَسْمَعَ النَّاعِيَةَ، فَلَمَّا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ صَعِدَ النَّاعِيَةُ، فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: فَقُمْتُ أَمْشِي مَا بِي قَلَبَةٌ، فَأَدْرَكْتُ أَصْحَابِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ ﷺ فَبَشَّرْتُهُ.

(٥) قوله : فإنها لم أشتكها قط : أي أم أشعر بألم منها ، وكأنها لم تصب بشيء .

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٥٦) :

«يُحْتَمِلُ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عَتِيكٍ لَمَّا سَقَطَ مِنْ تِلْكَ الدَّرَجَةِ، انْفَكَّتْ قَدَمُهُ، وَانْكَسَرَتْ سَاقُهُ، وَوُثِئَتْ رِجْلُهُ وَيَدُهُ، فَلَمَّا عَصَبَهَا اسْتَكَنَّ مَا بِهِ؛ لِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَمْرِ الْبَاهِرِ، وَلَمَّا أَرَادَ الْمَشْيَ أُعِينَ عَلَى ذَلِكَ؛ لِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْجِهَادِ النَّافِعِ، ثُمَّ وَصَلَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَاسْتَقَرَّتْ نَفْسُهُ، ثَاوَرَهُ الْوَجَعُ فِي رِجْلِهِ، فَلَمَّا بَسَطَ رِجْلَهُ وَمَسَحَ رَسُولُ الله ﷺ، ذَهَبَ مَا كَانَ بِهَا مِنْ بَأْسٍ فِي الْمَاضِي، وَلَمْ يَبْقَ بِهَا وَجَعٌ يُتَوَقَّعُ حُصُولُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، جَمْعًا بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَالَّتِي تَقَدَّمَتْ. وَالله أَعْلَمُ ».

ماكان عليه الصحابة رضي الله عنهم من المسارعة في نصرة الإسلام وقتل أعداء الله الذين يقفون حائط صدٍ أما دعوة الإسلام.

ومنها:

حسن تدبير الصحابة فنون اغتيال الكفار، والمهارة العالية العجية المبهرة في ذلك .

يظهر هذا في مناداته عليه، ووصوله إلي ذلك في الظلمة ، مع أن النبي ﷺ ما خطط لهم هذا التخطيط رضي الله عنهم، وما أمرهم به ﷺ وإنما التنظيم من فعلهم أو فعله أميرهم رضي الله عنه !

ومنها: توفيق الله وسداده وإعانته لهم، حيث استأذنوا رسول الله في ذلك، لم يرغمهم ولا أمرهم، فأذن لهم .

ومنها: عند التجمُّع يتأمَّر رجل علي القوم في السفر[1] كما فُعل ـ وفي ذلك حديث: «**إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فِي سَفَرٍ فَأَمِّرُوا أحدكم**» وفي تصحيحه نزاع بين العلماء.

تنبيه:

---

(١) وليست هذه الإمارة كإمارة الحزبيين التي هي خارجة علي السلطان منشقَّة عنه وتطعن فيه سرَّاً وتشتِّت شملَ الأمة، إنما الإمارة لتنظيم الأمور بغير تَعَصُّب ولا تحزُّب ولا تأليب على حاكم، ولا إسرار بأمر دونه، ومتي رجعوا إلى بلدهم انتهى التأمير ولا إمارة.

وأما إذا أرسلهم الإمام فلابد من تأمير أمير يؤمِّره لهم كما فعل رسول الله ﷺ وإلا اختاروا هم أميراً .

وليس في هذا جواز اغتيال الكفار الذين دخلوا بعهد وأمان في بلاد المسلمين فهذا غير هذا،لا يلتقي به لا من قريب ولا من بعيد، هذا الكافر كان صاحب حرب لاعهد له، وأما اليوم فالخوارج يغتالون هؤلاء المُؤَمَّنين،وهم أهل عهد قتلهم غدر وخيانة، وليس كل عدو يعني يجوز حربه ـ لا سيما من آحاد القوم لأن مثل هذا لا بد أن يستأذن الإمام فيه، فتنبه إلى الفارق، بل الإمام نفسه لا يجوز له قتله بعد تأمينه، هذا غدر وخيانة، فكيف بغير الامام، والله المستعان.

زواج النبي ﷺ بأم حبيبة

قد ذكر أصحاب المغازي في هذا الموطن تزويج النبي ﷺ من أم حبيبة بنت أبي سفيان بعد أن كان زوجها عبيد الله بن جحش الذي تَنَصَّر.

وقد طعن البعض في رواية مسلم (٢٥٠١) التى فيها عرض أبي سفيان أن يزوج رسول الله ﷺ ابنته .

كيف يطلب أبو سفيان بن حرب ذلك للنبي ﷺ بعد فتح مكة ورسول الله ﷺ متزوج بها أصلاً قبل ذلك ؟ .

وراجع تحرير ذلك في كتاب «شفاء صدور الموحدين بذكر مناقب خال المؤمنين معاوية الأمين ».

وفي الباب خبر مشهور – في هذا التوقيت - :

وهوأن عمرو بن العاص رضي الله عنه قد ذهب إلي النجاشي تحسُّبًا من ظهور النبي ﷺ علي أهل مكة فيكون عنده في مأمن، وأخذ معه من الهدايا التي يُحبُها النجاشي .

قال عمرو بن العاص:«فوالله إنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ. قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ. قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ وَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ، فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ.

قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ إِلَيَّ مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيْكَ أَدَمًا كَثِيرًا، قَالَ: ثُمَّ قَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا، فَأَعْطِنِيهِ لِأَقْتُلَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا، قَالَ:

فَغَضِبَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ كَسَرَهُ، فَلَوْ انْشَقَّتْ لِي الْأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَاللهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَهُ، قَالَ: أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ! قَالَ: قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَكَذَاكَ هُوَ؟ قَالَ: وَيْحَكَ يَا عَمْرُو أَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ وَاللهِ لَعَلَى الْحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ، قَالَ: قُلْتُ: أَفَتُبَايِعُنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَبَسَطَ

يَدَهُ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إِسْلَامِي». (١)

ثم ذهب عمرو لرسول الله ﷺ فالتقي هو وخالد بن الوليد فتزامن مرادهما واستقام الميسم ، فانطلقا إلي رسول الله ﷺ سويـًا....الحديث .

تنبيه :

اختلف في وقت إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه وهجرته:

فقيل :هاجر بعد الحديبية ، وقبل خيبر، وكانت الحديبية في ذي القعدة سنة ست، وخيبر بعدها في المحرم سنة سبع، وقيل: بل كان إسلامه سنة خمس بعد فراغ رسول الله ﷺ من بني قريظة، وليس بشيء، وقيل كان إسلامه سنة ثمان ، وقال بعضهم : كان على خيل رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ويوم الحديبية سنة ست، وهذا القول مردود ، فإن الصحيح أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كان على خيل المشركين يوم الحديبية. (٢)

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» ط ابن رجب بمصر(٢/ ٢٤٥) بسند فيه لين وقد قوَّاه محقق الكتاب برواية مسلم في قصة موت عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وهو خطأ إذا قارنت المتن بالمتن.

(٢) قاله ابن الأثير في «أسد الغابة»(٢/ ١٤٠) ذلك أن ابن إسحاق دَوَّنَ شيئاً يتعلق بإسلام عمرو ابن العاص وهجرته إلى الحبشة ولقاء النجاشي ...في هذا الموطن بعد بني قريظة، وتبعه ابن هشام في «السيرة»(٢/ ٢٤٥) وسيأتي الكلام على قصة إسلام عمرو بن العاص في موطنها إن شاء الله بعد الحديبية.

زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش التي كانت تسامي عائشة رضي الله عنها في المنزلة

وكانت قبله زوجة مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه .

وقد ذكر أصحاب المغازي وغيرهم أن رسول الله ﷺ تزوجَها بعد بني قريظة،وهذا هو الأشهر وقد نزل في تزويجها قرأن يتلى

قال ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ الأحزاب.

حتي قالت عائشة رضي الله عنها :

«لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} الأحزاب ».(١)

أي أن زيداً كان يأتي يشكوها لرسول الله ﷺ فيقول له :« أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تخشاه(٢) ثم طلَّقها زيد رضي الله عنه فلما انقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ.

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٧٧).

(٢) بنحو هذا في صحيح البخاري (٤٧٨٧).

ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ. (١)

وفي رواية: «وَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَنْكَحَنِي فِي السَّمَاءِ». (٢)

قصة زواجه ﷺ من زينب

أخرج أحمد (٣) بإسناد صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْدٍ: «**اذْهَبْ فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ**».

قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَاهَا، قَالَ: وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا، فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَهَا، قال هاشم: حِينَ عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَهَا، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَنكصْتُ عَلَى عَقِبَيَّ، فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ أَبْشِرِي، أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُكِ. قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُؤَامِرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ - يَعْنِي الْقُرْآنَ - وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ. قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَطْعَمَنَا عليها الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ، - قَالَ هَاشِمٌ: فِي حَدِيثِهِ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا حِينَ أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، أُطْعِمْنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ - فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ، فَخَرَجَ

(١) صحيح أخرجه البخاري (٧٤٢٠).

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٧٤٢١).

(٣) في «المسند» (١٣٠٢٥).

رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاتَّبَعْتُهُ، فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نِسَائِهِ، فَجَعَلَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ وَيَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أُخْبِرَ، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ، فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَنَزَلَ الْحِجَابُ قَالَ: وَوُعِظَ الْقَوْمُ بِمَا وُعِظُوا بِهِ. قَالَ هَاشِمٌ فِي حَدِيثِهِ: {لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ}[الأحزاب: ٥٣] {وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} [الأحزاب: ٥٣]».

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَعْرَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَعْضِ نِسَائِهِ فَصَنَعَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا ثُمَّ وَضَعَتْهُ فِي تَوْرٍ فَقَالَتْ: اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّ هَذَا مِنَّا لَهُ قَلِيلٌ قَالَ أَنَسٌ: وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ فِي جَهْدٍ فَجِئْتُ بِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَعَثَ بِهَذَا أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَيْكَ وَهِيَ تُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَتَقُولُ: «أَخْبِرْهُ أَنَّ هَذَا مِنَّا لَهُ قَلِيلٌ» فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: ضَعْهُ فَوَضَعْتُهُ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَادْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا فَسَمَّى رِجَالًا كَثِيرًا، وَقَالَ: وَمَنْ لَقِيتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَدَعَوْتُ مَنْ قَالَ لِي، وَمَنْ لَقِيتُ من المسلمين، فجئت والبيت وَالصُّفَّةَ وَالْحُجْرَةَ مَلْأَى مِنَ النَّاسِ فَقُلتُ: يَا أَبَا عُثْمَانَ كَمْ، كَانُوا؟

فَقَالَ: كَانُوا زُهَاءَ ثَلاثِمِائَةٍ قَالَ أَنَسٌ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: جِئْ بِهِ. فَجِئْتُ بِهِ إِلَيْهِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَدَعَا وَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ قَالَ: لِيَتَحَلَّقْ عَشَرَةٌ عَشَرَةً وَلْيُسَمُّوا وَلْيَأْكُلْ كُلَّ إِنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ فَجَعَلوا يُسَمُّونَ وَيَأْكُلُونَ حَتَّى أَكَلُوا كُلَّهُمْ

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: ارْفَعْهُ قَالَ: فَأَخَذْتُ التَّوْرَ فَمَا أَدْرِي أَهُوَ حِينَ وَضَعْتُ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ أَخَذْتُ؟

قَالَ: وَتَخَلَّفَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ وَزَوْجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي دَخَلَ بِهَا مَعَهُمْ مُولِيَةٌ وَجْهَهَا إِلَى الْحَائِطِ فَأَطَالُوا الْحَدِيثَ فَشَقُّوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً وَلَوْ أُعْلِمُوا كَانَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ عَزِيزًا، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ فَسَلَّمَ عَلَى حُجَرِهِ وَعَلَى نِسَائِهِ.

فَلَمَّا رَأَوْهُ قَدْ جَاءَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ثَقُلُوا عَلَيْهِ، ابْتَدَرُوا بِالْبَابِ فَخَرَجُوا وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَرْخَى السِّتْرَ وَدَخَلَ الْبَيْتَ وَأَنَا فِي الْحُجْرَةِ فَمَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ يَسِيرًا وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا، فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا إِلَى قَوْلِهِ: بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا قَالَ أَنَسٌ: فَقَرَأَهُنَّ عَلَيَّ قَبْلَ النَّاسِ، فَأَنَا أَحْدَثُ النَّاسِ بِهِنَّ عَهْدًا».(١)

ومن مناقبها رضي الله عنها:

ما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لُحُوقًا؟ قَالَ: «**أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**»، فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا، فَكَانَتْ سَوْدَةُ أَطْوَلَهُنَّ يَدًا، فَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّمَا كَانَتْ طُولَ يَدِهَا الصَّدَقَةُ، وَكَانَتْ أَسْرَعَنَا لُحُوقًا بِهِ وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ.(٢)

---

(١) إسناده حسن أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٥٩) ولبعض أجزاءه شواهد في الصحيحين.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (١٤٢٠).

وفي صحيح مسلم [١] عن عائشة رضي الله عنها وهي تحكي عن زينب: «وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ. وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا، تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ، ...

وتقول عنها: «... وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالوَرَعِ...» [٢].

مع قوله تعالي: «وأزواجه أمهاتهم».

وذكرها الله في القرآن، وتقدم ذكر البركة التي حصلت في زواجها..

غزوة بني لِحيان وفيها شرعت صلاة الخوف بعُسفَان [٣]

---

(١) برقم (٢٤٤٢) حديثة الإفك.

(٢) كما في صحيح البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠).

(٣) وقد اختلف العلماء هل غزوة بني عُسفان كانت قبل الأحزاب أم بعدها؟

فزعم الشافعي وغيره أن صلاة الخوف إنما شُرعت بعد الخندق، لأنهم أخَّروا الصلاة يوم الأحزاب بسبب القتال، ولو كانت صلاة الخوف مشروعة يوم الأحزاب ما أخَّر النبي ﷺ صلاة العصر حتي غربت الشمس، ومع ذلك فإن كثيراً من أصحاب السير والمغازي يذكرونها قبل الأحزاب فالله أعلم.

وقد أشار الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٩٤) إلي هذا الخلاف وحكي عن الشافعي ما ذُكر، ولذلك أورد ابن إسحاق في «السيرة» وتبعه ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٢٥٠) قصة غزوة بني لحيان هذه بعد غزوة بني قريظة فتبعتُهما، لا سيما وأن ابن إسحاق إمام من أئمة السيرة معروف.

قد وردت روايات فيها ضعف أن رسول الله ﷺ خرج طالبًا بدماء الذين قتلوا في غزوة الرجيع[1] ليصيب من بني لحيان غرَّة، فالله أعلم بحقيقة ما كان والأسانيد لا تصح بذلك .

وأخرج أحمد بإسناد صحيح علي شرط الشيخين عَنْ أَبِي عَيَّاشٍ الزُّرَقِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعُسْفَانَ فَاسْتَقْبَلَنَا الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَهُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، «فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ» ، فَقَالُوا: قَدْ كَانُوا عَلَى حَالٍ لَوْ أَصَبْنَا غِرَّتَهُمْ، ثُمَّ قَالُوا: تَأْتِي عَلَيْهِمُ الْآنَ صَلَاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، قَالَ: «فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ} [النساء: ١٠٢] .

قَالَ: فَحَضَرَتْ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخَذُوا السِّلَاحَ، قَالَ: فَصَفَفْنَا خَلْفَهُ صَفَّيْنِ، قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ فَرَكَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ رَفَعَ فَرَفَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّفِّ الَّذِي يَلِيهِ، وَالْآخَرُونَ قِيَامٌ يَحْرُسُونَهُمْ، فَلَمَّا سَجَدُوا وَقَامُوا جَلَسَ الْآخَرُونَ فَسَجَدُوا فِي مَكَانِهِمْ، ثُمَّ تَقَدَّمَ هَؤُلَاءِ إِلَى مَصَافِّ هَؤُلَاءِ، وَجَاءَ هَؤُلَاءِ إِلَى مَصَافِّ هَؤُلَاءِ، قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ فَرَكَعُوا جَمِيعًا، ثُمَّ رَفَعَ فَرَفَعُوا جَمِيعًا، ثُمَّ سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَالصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ، وَالْآخَرُونَ قِيَامٌ يَحْرُسُونَهُمْ، فَلَمَّا جَلَسَ جَلَسَ الْآخَرُونَ، فَسَجَدُوا ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ انْصَرَفَ، قَالَ: فَصَلَّاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) أولئك العشرة الذين كانوا في سرية عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، والذين كان منهم خبيب، وقد تقدم أنهم ذُكروا لقوم من هذيل يقال لهم بنو لحيان فقتلوهم وقصتهم وهي في الصحيح (٤٠٨٦) ولا أعلم سبباً لخروج النبي ﷺ إلي بني لحيان إلا هذا والله أعلم .

مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً بِعُسْفَانَ، وَمَرَّةً بِأَرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ ».[١]

وفي صحيح مسلم[٢] عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: «غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ، فَقَاتَلُونَا قِتَالًا شَدِيدًا، فَلَمَّا صَلَّيْنَا الظُّهْرَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ مِلْنَا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً لَاقْتَطَعْنَاهُمْ، فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَقَالُوا: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلَاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَوْلَادِ، فَلَمَّا حَضَرَتِ الْعَصْرُ قَالَ: صَفَّنَا صَفَّيْنِ، وَالْمُشْرِكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، قَالَ: فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَبَّرْنَا، وَرَكَعَ فَرَكَعْنَا، ثُمَّ سَجَدَ، وَسَجَدَ مَعَهُ الصَّفُّ الْأَوَّلُ، فَلَمَّا قَامُوا سَجَدَ الصَّفُّ الثَّانِي، ثُمَّ تَأَخَّرَ الصَّفُّ الْأَوَّلُ، وَتَقَدَّمَ الصَّفُّ الثَّانِي، فَقَامُوا مَقَامَ الْأَوَّلِ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَبَّرْنَا، وَرَكَعَ، فَرَكَعْنَا، ثُمَّ سَجَدَ وَسَجَدَ مَعَهُ الصَّفُّ الْأَوَّلُ، وَقَامَ الثَّانِي، فَلَمَّا سَجَدَ الصَّفُّ الثَّانِي، ثُمَّ جَلَسُوا جَمِيعًا، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ». قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ:« ثُمَّ خَصَّ جَابِرٌ أَنْ قَالَ: كَمَا يُصَلِّي أُمَرَاؤُكُمْ هَؤُلَاءِ ».

وهذا الحديث فيه ذكر صورة من صور كيفية صلاة الخوف ،والعلماءذكروا هذا الحديث هنا ولكن لا أدري هل جُهينة في عُسفان أم لا .

❁ ما حصل في هذه الغزوة

أخرج مسلم[٣] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى الْمَهْرِيِّ، أَنَّهُ أَصَابَهُمْ بِالْمَدِينَةِ جَهْدٌ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٤٢٣٧) وأحمد (١٦٥٨٠) وأبو داود (١٢٣٦) .

(٢) برقم (٨٤٠) .

(٣) برقم (١٣٧٤) .

وَشِدَّةٌ، وَأَنَّهُ أَتَى أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي كَثِيرُ الْعِيَالِ، وَقَدْ أَصَابَتْنَا شِدَّةٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْقُلَ عِيَالِي إِلَى بَعْضِ الرِّيفِ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: لَا تَفْعَلْ، الْزَمِ الْمَدِينَةَ، فَإِنَّا خَرَجْنَا مَعَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ - أَظُنُّ أَنَّهُ قَالَ - حَتَّى قَدِمْنَا عُسْفَانَ، فَأَقَامَ بِهَا لَيَالِيَ، فَقَالَ النَّاسُ: وَاللهِ مَا نَحْنُ هَا هُنَا فِي شَيْءٍ، وَإِنَّ عِيَالَنَا لَخُلُوفٌ مَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ:

«مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنِي مِنْ حَدِيثِكُمْ ؟

وَالَّذِي أَحْلِفُ بِهِ - أَوْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - لَقَدْ هَمَمْتُ - أَوْ إِنْ شِئْتُمْ لَا أَدْرِي أَيَّتَهُمَا قَالَ - لَآمُرَنَّ بِنَاقَتِي تُرْحَلُ، ثُمَّ لَا أَحُلُّ لَهَا عُقْدَةً حَتَّى أَقْدَمَ الْمَدِينَةَ»، وَقَالَ:

«اللهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا، أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنَ الْمَدِينَةِ شِعْبٌ، وَلَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكَانِ يحرسَانِهَا حَتَّى تَقْدَمُوا إِلَيْهَا»، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: **«ارْتَحِلُوا»**، فَارْتَحَلْنَا، فَأَقْبَلْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَالَّذِي نَحْلِفُ بِهِ أَوْ يُحْلَفُ بِهِ - الشَّكُّ مِنْ حَمَّادٍ - مَا وَضَعْنَا رِحَالَنَا حِينَ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ حَتَّى أَغَارَ عَلَيْنَا بَنُو عَبْدِ اللهِ بْنِ غَطَفَانَ، وَمَا يَهِيجُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ شَيْءٌ».

أي أن المدينة كانت محمية في غيابهم وما كان يمنعهم من دخولها في غيابنا إلا حراسة الملائكة كما أخبر رسول الله ﷺ.

والظاهر أن الأعداد الكثيرة كانت مع النبي ﷺ في بني غزوة لحيان وهو:

❁ سبب خوف الصحابة علي أهليهم في المدينة

وأخرج مسلم (١) عن أَبي سَعِيدٍ، مَوْلَى الْمَهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي لَحْيَانَ مِنْ هُذَيْلٍ، فَقَالَ: «**لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا، وَالْأَجْرُ بَيْنَهُمَا**». ومعني لينبعث : أي لينتهض إلي العدو (٢).

وقوله: « الأجر بينهما»: أي تناوب الغزو بينهما لأن القاعد أعان الغازي فكأنه خدم الذي ذهب إلي الغزو وأعان أهل بيته (٣).

هجمة من هجمات المشركين علي المدينة (٤)

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: كَانَتِ الْعَضْبَاءُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَكَانَتْ مِنْ سَوَابِقِ الْحَاجِّ، فَأُسِرَ الرَّجُلُ وَأُخِذَتِ الْعَضْبَاءُ مَعَهُ(٥).

---

(١) برقم (١٨٩٦).

(٢) «شرح الكرماني» علي شرح السنة للبغوي »(٤/ ٣١٢) وكذا قال الشيرازي صاحب «المفاتيح في شرح المصابيح» (٤/ ٣٤١).

(٣) **قال النووي في «شرح مسلم » (١٣/ ٤٠) عقب شرح الحديث** :« وقد اتفق العلماء علي أن بني لحيان كانوا في ذلك الوقت كفاراً فبعث ﷺ إليهم بعثاً يغزوهم ، وأراد أن يخرج من كل قبيلة نصف عددِها فقال:« من كل رجلين أحدهما ».

(٤) وليس في هذا مناقضة لقوله ﷺ:« «**نَغْزُوهُمْ، وَلاَ يَغْزُونَنَا**»، لأن هذا لا يقال عنه غزو.

(٥) سابقة الحاج : أراد العضباء فإنها كنت لا تُسبق،أو لا تكاد تُسبق مَعروفة بذلك.

قَالَ: فَمَرَّ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي وَثَاقٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ تَأْخُذُونِي وَتَأْخُذُونَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«نَأْخُذُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ». قَالَ: وَقَدْ كَانَتْ ثَقِيفُ قَدْ أَسَرُوا رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: فِيمَا قَالَ: وَإِنِّي مُسْلِمٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ[1] أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ». قَالَ:

وَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، وَإِنِّي ظَمْآنُ فَاسْقِنِي. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذِهِ حَاجَتُكَ».

ثُمَّ فُدِيَ بِالرَّجُلَيْنِ، وَحَبَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَضْبَاءَ لِرَحْلِهِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ أَغَارُوا عَلَى سَرْحِ الْمَدِينَةِ فَذَهَبُوا بِهَا وَكَانَتِ الْعَضْبَاءُ فِيهِ، قَالَ: وَأَسَرُوا امْرَأَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ: فَكَانُوا إِذَا نَزَلُوا أَرَاحُوا إِبِلَهُمْ بِأَفْنِيَتِهِمْ قَالَ: فَقَامَتِ الْمَرْأَةُ ذَاتَ لَيْلَةٍ بَعْدَمَا نَامُوا، فَجَعَلَتْ كُلَّمَا أَتَتْ عَلَى بَعِيرٍ رَغَا[2] حَتَّى أَتَتْ عَلَى الْعَضْبَاءِ فَأَتَتْ عَلَى نَاقَةٍ ذَلُولٍ مُجَرَّسَةٍ[3] فَرَكِبَتْهَا، ثُمَّ وَجَّهَتْهَا قِبَلَ الْمَدِينَةِ قَالَ: وَنَذَرَتْ إِنِ اللهُ أَنْجَاهَا عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، فَلَمَّا قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ عُرِفَتِ النَّاقَةُ فَقِيلَ نَاقَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

---

(١) أي: وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح،لأنك إن قُلتها قبل فإنه كان لايجوز أَسَرَكَ لأنك أسلَمتَ قبل الأسرِ، فكنت فزت بالإسلام، والسلامة من الأسر، ومن اغتنام مالك.

وأما: إذا أسلمت بعد الأسر فيسقط الخيار في قتلك، ويبقي الخيار في الاسترقاق والمنِّ والفداء.

(٢) **رغا**: أي يُحدثُ صوتاً يدلّ علي هَرَبِها يحسّ الكفار به.

(٣) ناقة ذلول مجرسة: أي مُذلَّلَـه.

قَالَ فَأُخْبِرَ ﷺ بِنَذْرِهَا، أَوْ أَتَتْهُ فَأَخْبَرَتْهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**بِئْسَمَا جَزَتْهَا أَوْ بِئْسَمَا جَزَيْتِيهَا**» .

إِنِ اللهُ أَنْجَاها عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا.

قَالَ: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ». (١)

غزوة بني المصطلق وهي غزوة المرسيع

وكانت سنة ستة في شعبان، وفي ذلك نزاع فقيل سنة أربع. (٢)

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٨٦٢) ومسلم (١٦٤١) .

(٢) الظاهر أن هذه الغزوة كانت قبل غزوة الأحزاب خلافاً لمن أرَّخها بعد الأحزاب، فإن سعد بن معاذ كان له كلام عقب غزوة بني المصطلق في حادثة الإفك في ردِّه علي سعد بن عبادة ، وقد مات سعد عقب غزوة بني قريظة والتي كانت بعد الأحزاب ،فلو كانت غزوة بني المصطلق عقب الأحزاب لم يكن لسعد بن معاذ كلام فيها فضلاً عن أن يكون له كلام فيما بعدها لكونه مات قبلها، والمتيقن أن غزوة بني المصطلق بعد السنة الرابعة فإنها كانت بعد ضرب الحجاب كما نصت عائشة في حديث الإفك ، وإنما فرض الحجاب في السنة الرابعة .

وقيل كانت بني المصطلق بعد الأحزاب لأن ابن عمر رضي الله عنه صرح في رواية البخاري (٢٥٤١) أنه كان في جيش بني المصطلق وهو وإنما استُجيز في الجهاد يوم الخندق كما في رواية البخاري (٤٠٩٧) ومسلم (١٨٦٨) فتكون بني المصطلق بعد الأحزاب، بعد إجازة ابن عمر رضي الله عنه في الجهاد ، لذلك جعلتُ ترتيبها هنا، والله أعلم.

وغزاها رسول الله ﷺ لبني المصطلق-وهم من خزاعة- واستعمل ﷺ علي المدينة أبا ذر الغفاري لما بلغه أن بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث ابن أبي ضرار والد جويرية بنت الحارث التي تزوجها النبي ﷺ بعد هذا.

فلما سمع بهم خرج إليهم حتي لقيهم علي ماء من مياههم يقال له.

«المريسيع» من ناحية قديد الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق، وقَتل من قُتل منهم ونَقل رسول الله ﷺ أموالهم ونساءهم وأبناءهم [١].

ومع أني لم أجد سنداً بهذا السياق إلا أن المعروف أن بعض ذلك قد حصل .

أخرج البخاري ومسلم [٢]عن ابْن عَوْنٍ، قَال: كَتَبْتُ إِلَى نَافِعٍ، فَكَتَبَ إِلَيَّ «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَغَارَ عَلَى بَنِي المُصْطَلِقِ [٣] وَهُمْ غَارُّونَ [٤]، وَأَنْعَامُهُمْ [٥] تُسْقَى عَلَى المَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ [٦]، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ [١]، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةَ»، حَدَّثَنِي بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الجَيْشِ .

---

(١) كما في سيرة « ابن هشام » و«البداية والنهاية» (٤/ ١٧٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٤١) ومسلم (١٧٣٠) .

(٣) وبوب البخاري له بباب جواز الإغارة علي الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام.

(٤) غارون : أي غافلون ، المعني أنه أخذهم علي غرة وبعثه .

(٥) الأنعام: هي الإبل والبقر والغنم ، وأثر ما تطلق علي الإبل .

(٦) مقاتلتهم: أي الرجال الذين بلغوا وهم علي استعداد للقتال .

فكانت جويرية رضي الله عنها في ذلك السبي .

وأخرج البخاري عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَرَأَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ العَزْلِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ، فَأَصَبْنَا سَبْيًا مِنْ سَبْيِ العَرَبِ، فَاشْتَهَيْنَا النِّسَاءَ، وَاشْتَدَّتْ عَلَيْنَا العُزْبَةُ وَأَحْبَبْنَا العَزْلَ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَعْزِلَ، وَقُلْنَا نَعْزِلُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَبْلَ أَنْ نَسْأَلَهُ ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَفْعَلُوا، مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلَّا وَهِيَ كَائِنَةٌ**».(٢)

قال ابْنُ إِسْحَاق، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ - أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ - وَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا، قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي فَكَرِهْتُهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى مِنْهَا مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ.

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ

=

(١) سبي ذراريهم : أي أخذهم سبياً ووزعهم علي الغانمين بعد أن ضرب عليهم الرقِّ وهم النساء والأولاد غير البالغين .

(٢) صحيح أخرجه البخاري(٤١٣٨) .

الشَّمَّاسِ - أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ - فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي. قَالَ: «**فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟**» .

قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَقْضِي كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ**» قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ:

«**قَدْ فَعَلْتُ**» . قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ، قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا.(١)

وقد ذكر ابن إسحاق أن حديث الإفك في غزوة المريسيع.(٢)

وقد ذكر البخاري تحت التبويب لغزوة بني المصطلق غزوة نجد

وذكر فيها قصة الرجل الذي اخترط سيف النبي ﷺ وهو نائم:

وهي ما رواه البخاري عن جابر بْن عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، أَخْبَرَ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: « **إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٣٦٥) من طريق ابن إسحاق به وإسناده حسن .

(٢) كذا في صحيح البخاري وبوب البخاري لذلك بباب غزوة بني المصطلق .

يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: «اللهُ» - ثَلاَثًا -»،وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ (١).

وقد ذكر ابن هشام في هذا الموطن ما حصل من ابن سلول من قوله:« لئن رجعنا إلي المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ».

لكن لم أقف علي سند ثابت يثبت أن ذلك الموطن هو موطنها،وإنما الذي في الصحيح أن ذلك كان في غزاة، وأن ذلك كان خارج المدينة وهذا سياقه، ولكن ليس فيه أنه قاله في هذا الموطن، وأن زيد بن أرقم مشى إلي رسول الله ﷺ يخبره بمقولة ابن سلول، فالله أعلم .

فأخرج البخاري ومسلم (٢) عن جابر رضي الله عنه قال:كُنَّا فِي غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي جَيْشٍ- فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**» فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**» وَكَانَتِ الأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ المُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ المُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ.

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤١٣٩)ومسلم (٨٤٣).

(٢) البخاري (٤٩٠٧) ومسلم (٢٥٨٤) .

❁ وقد ذكر ابن هشام أيضـًا:

أن رسول الله تنبَّأ بموت رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء يهود ، وهو كهف للمنافقين مات في ذلك اليوم ،وأن الريح هاجت لموته

ولعله لذلك لما قدم رسول الله ﷺ من سفر، فلما كان قُرب المدينة هاجت ريح شديده تكاد أن تدفن الراكب.(١)

فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَلَمَّا كَانَ قُرْبَ الْمَدِينَةِ هَاجَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ تَكَادُ أَنْ تَدْفِنَ الرَّاكِبَ فَزَعَمَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بُعِثَتْ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ**» فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا مُنَافِقٌ عَظِيمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَدْ مَاتَ ».(٢)

ولكن لا يظهر صحة سبب ورود الحديث،وأنه في ذلك التوقيت، فالله أعلم.

❁ وفي غزوة بني المصطلق من الفوائد والدروس

حُسن رعاية الله تعالي للمؤمنين، فإن الصحابة رضي الله عنهم لما اشتهوا النساء أحلَّ الشرع العزل عن النساء، فجعل لهن مخرجـًا، سبحانه له الحمد .

ومنها:

---

(١) أي : تغيبه عن الناس وتذهب به لشدتها .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٨٢) .

إثبات القدر كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ، قَالَ: أَصَبْنَا سَبَايَا، فَكُنَّا نَعْزِلُ، ثُمَّ سَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَنَا: «وَإِنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ؟ وَإِنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ؟ وَإِنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ؟ مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا هِيَ كَائِنَةٌ».(١)

وقدَّر الله مقادير السموات والأرض قبل أن يخلُق السموات والأرض بخمسين ألف سنة .

طعن ابن سلول في النبي ﷺ ورميه ومن معه بالأزلاء وتحريشه بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم .

أخرج الترمذي (٢) بإسناد صحيح عن جابرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ يَرَوْنَ أَنَّهَا غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لِلأَنْصَارِ، فَسَمِعَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ؟**» قَالُوا: رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ كَسَعَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»، فَسَمِعَ ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَالَ: أَوَقَدْ فَعَلُوهَا؟ وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**» وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو،

---

(١) صحيح أخرجه البخاري(٢٥٤٢)ومسلم (١٤٣٨).

(٢) برقم (٣٣١٥) بإسناد علي شرط الشيخين والحديث عندهما البخاري (٤٩٠٥) ومسلم (٢٥٨٤) من نفس الطريق ولكن ليس فيه تسمية الغزوة بغزوة بني المصطلق ، ولذا أوردتُ لفظ رواية الترمذي.

فَقَالَ: لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَاللهِ لَا تَنْقَلِبُ حَتَّى تُقِرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ العَزِيزُ، فَفَعَلَ .

فقول الرواي -وهو أعلم بما روي -« يرون أنها غزوة بني المصطلق » دليل علي أن ذلك كان في غزوة بني المصطلق.

وهذه سياق آخر يرويه غير جابر رضي الله عنه :

أخرج البخاري [١] عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ، يَقُولُ: لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَقَتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ} [المنافقون:١] فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: « **إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ** ».

وتنبيه :

علي مرسل ـ اشتهرت صحته لدى العامة وليس كذلك

عن محمد بن سيرين [٢]

---

(١) البخاري (٤٩٠٠) ومسلم (٢٥٨٤) .

(٢) أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة » (١/ ٣٦٦) .

قال: كان النبي ﷺ معتجراً ، وكان بين رجل من الأنصار وبين رجل من قريش كلام حتي اشتدّ بينهما .

وَاجْتَمَعَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَبَلَغَ عَبْدَ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ فَنَادَى: غَلَبَنِي عَلَى قَوْمِي مَنْ لَا قَوْمَ لَهُ، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ ثُمَّ خَرَجَ يَسْعَى، ثُمَّ ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ} [الحجرات: ١] ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «**مَا لَكَ يَا عُمَرُ، كَأَنَّكَ مُغْضَبٌ؟**» فَقَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمُنَافِقَ يُنَادِي: غَلَبَنِي عَلَى قَوْمِي مَنْ لَا قَوْمَ لَهُ، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «**فَأَرَدْتَ مَاذَا يَا عُمَرُ؟**» قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَعْلُوهُ بِسَيْفِي حَتَّى يَسْكُتَ قَالَ: «**لَا تَفْعَلْ، وَلَكِنْ نَادِ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ**» قَالَ: تَرَحَّلُوا وَسِيرُوا، حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ يَوْمٌ تَعَجَّلَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ حَتَّى أَنَاخَ عَلَى مَجَامِعِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، وَجَاءَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ وَتَشَعَّبُوا فِي الطَّرِيقِ حَتَّى جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: لَا وَاللهِ لَا تَدْخُلُهَا حَتَّى يَأْذَنَ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَعْلَمَ الْيَوْمَ مَنِ الْأَعَزُّ مِنَ الْأَذَلِّ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، فَانْصَرَفَ عَبْدُ اللهِ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَاشْتَكَى إِلَيْهِ مَا صَنَعَ بِهِ ابْنُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى ابْنِهِ أَنْ خَلِّ عَنْهُ، فَدَخَلَ فَلَبِثَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَلْبَثَ». وهذا لايصح مع شهرته.

=

وله طرق أخري مراسيل ليس فيها شيئ يصح فيما أعلم .

وثم موقف آخر أصح:

رواه أبو هُرَيْرَةَ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ وَهُوَ فِي ظِلِّ أَجَمَةٍ، فَقَالَ: قَدْ غَبَّرَ عَلَيْنَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ، فَقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَالَّذِي هُوَ أَكْرَمَكَ وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لَوْ شِئْتَ لَآتِيَنَّكَ بِرَأْسِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا، وَلَكِنْ بِرَّ أَبَاكَ**»(١)

❁ وفي حدث فعل ابن سلول هذا من الفوائد والدروس

أن المنافقين لا يؤتَمنُون فإنهم متي وَجَدُوا فجوة نصُّوا منها للإيقاع بين المسلمين فالانتباه لصنيعهم فراسة البصير .

ومنها:

حداد ألسنتهم في الطعن، يَسلُقون المسلمين بألسنةٍ حداد مع شحَّتهم علي الخير .

ومنها :

ضرورة دفع كل ما يفرِّق بين المسلمين، فكلها منتنة جاهلية قذرة ، فالتحزبات– التي يُطلق عليها البُلْه عملاً جماعيـًا – والمحاققات التي تتولَّد منها تفرقة بين المسلمين...لابد أن تُدفَع في مَهدها حتى يصير المسلمون يداً واحدة على من سواهم، بصر الله المسلمين بحقائق الأمور.

---

(١) أخرجه ابن وهب في «الجامع»(١١٤)والبزار(٧٩٧٨) وابن حبان(٤٢٨) وهو حديث حسن كما قلت في كتابي «بر الوالدين وفقه التعامل مع الوالدين».

ومنها:

أن المنافق لا صدق عنده فإذا ما ضُيِّق عليه في باب، فالكذب يفضحه كما حصل من ابن سلول.

ومنها:

أن الله يبرِّيء ساحة المؤمنين كما في قصة إخبار زيد بن الأرقم بما قال ابن سلول فنزلت الآيات تُصَدِّق زيداً ﷺ.

ومنها:

جواز نقل ما يكون بين الرعية للسلطان ليأخذ حذره، وليس هو من النميمة المنهي عنها في قوله ﷺ في حديث حذيفة ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**» [1] وقد نصَّ العلماء علي جواز ذلك كما بينته في كتابي «نصح الحكام بين الغلو والتفريط».

ومنها:

شدَّة غيرة عمر ﷺ فإنه اخترق سيفه لما بلغته مقالة ابن سلول خوفًا من أن تُمَزِّق كلمته الشَّمل، وتفرِّق بين المسلمين.

ومنها:

حُسن حكمة النبي ﷺ، فإنه أمر المسلمين بالرحيل ليدفع أثر الكلام، وأبى

---

(١) أخرجه البخاري(٦٠٥٦) ومسلم (١٠٥).

ﷺ قتل ابن سلول لأجل عزوته ومنزلته ،وخوف كلام الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، وبالفعل لو فعل لكان...فـﷺ .

ألم تر إلي نزاعهم في حادثة الإفك حتي رمي بعضهم بعضاً بالنفاق كيف كانت حكمته ﷺ ؟

ومنها:

أن المنافقين يستغلُّون الفُرَص للوقيعة بين المسلمين، والعلمانيون والليبراليون من أذنابهم كذلك اليوم .

ومنها:

اتقاء الشُّبَه فإن عمر لما استأذن رسول الله ﷺ في قتل ابن سلول قال:

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»، فكأنه ﷺ اتقي كلام الناس لمصلحة الدعوة .

نزول آية التيمم(١)

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى التِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ

(١) وصرَّح في حديث الإفك كما سيأتي بفقدان العُقد من عائشة ﷺفدل علي أن ذلك- الحديث حديث التيمم هذا - كان في غزوة بين المصطلق .

الصِّدِّيقِ، فَقَالُوا:

أَلاَ تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلاَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي،

«فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا»، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: فَبَعَثْنَا البَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَأَصَبْنَا العِقْدَ تَحْتَهُ » (١).

❁ دروس وفوائد من القصة الماضية

أُخذ منها :

مشروعية التيمم ، وفضل عائشة وأن ذلك من بركة آل أبي بكر، أخذ ذلك من قول أسيد بن حضير رضي الله عنه المتقدم.

ومنها: مشروعية تأديب الرجل ابنته ولو كانت عند زوجها، وحُسن أدب عائشة رضي الله عنها في كونها لم تردّ عليه شيئـًا، مع كِبَرِ سنِّها، وعُلُو مكانتها فهي ذات شأن. (١)

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٣٤) ومسلم (٣٦٧) .

وجواز السفر بالنساء في الحروب، والأولي أن لا يكون خوفًا من تعرضهن لأذى الكفار، والله أعلم .

قصة حادثة الإفك

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، فَخَرَجَ سَهْمِي عَلَيْهِنَّ مَعَهُ، فَخَرَجَ بِي رَسُولُ الله ﷺ قَالَتْ:

وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلَقَ لَمْ يَهِجْهُنَّ اللَّحْمُ فَيَثْقُلْنَ، وَكُنْتُ إِذَا رَحَلَ لِي بَعِيرِي جَلَسْتُ فِي هَوْدَجِي، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمُ الَّذِينَ يُرَحِّلُونَ لِي وَيَحْمِلُونَنِي، فَيَأْخُذُونَ بِأَسْفَلَ الْهَوْدَجِ، فَيَرْفَعُونَهُ، فَيَضَعُونَهُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ، فَيُشِدُّونَهُ بِحِبَالِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُونَ بِرَأْسِ الْبَعِيرِ، فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ. قَالَتْ: فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ سَفَرِهِ ذَلِكَ، وَجَّهَ قَافِلًا، حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنْ الْمَدِينَةِ نزل منزلا، فَبَاتَ بِهِ بَعْضَ اللَّيْلِ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ، فَارْتَحَلَ النَّاسُ، وَخَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي، وَفِي عُنُقِي عِقْدٌ لِي، فِيهِ جَزْعُ ظِفَارٍ، فَلَمَّا فَرَغْتُ انْسَلَّ مِنْ عُنُقِي وَلَا أَدْرِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى الرَّحْلِ ذَهَبْتُ أَلْتَمِسُهُ فِي عُنُقِي، فَلَمْ أَجِدْهُ، وَقَدْ أَخَذَ النَّاسُ فِي الرَّحِيلِ، فَرَجَعْتُ إِلَى مَكَانِي الَّذِي ذَهَبْتُ إِلَيْهِ، فَالْتَمَسْتُهُ حَتَّى وَجَدْتُهُ،

=

(١) وما ردَّ بلال بن عبد الله بن عمر علي أبيه لما سَبَّه، وكذا عبد الرحمن بن أبي بكر سَبَّه والده..والأدلة على تقرير هذا الأدب كثيرة.

وَجَاءَ الْقَوْمُ خِلَافِي، الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونَ لِي الْبَعِيرَ، وَقَدْ فَرَغُوا مِنْ رِحْلَتِهِ، فَأَخَذُوا الْهَوْدَجَ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنِّي فِيهِ، كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَاحْتَمَلُوهُ، فَشَدُّوهُ عَلَى الْبَعِيرِ، وَلَمْ يَشُكُّوا أَنِّي فِيهِ، ثُمَّ أَخَذُوا بِرَأْسِ الْبَعِيرِ، فَانْطَلَقُوا بِهِ، فَرَجَعْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ وَمَا فِيهِ مِنْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٍ، قَدْ انْطَلَقَ النَّاسُ.

قَالَتْ: فَتَلَفَّفْتُ بِجِلْبَابِي، ثُمَّ اضْطَجَعْتُ فِي مَكَانِي، وَعَرَفْتُ أَنْ لَوْ قَدْ افْتُقِدْتُ لَرُجِعَ إِلَيّ. قَالَت: فو الله إِنِّي لَمُضْطَجِعَةٌ إِذْ مَرَّ بِي صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ، وَقَدْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْ الْعَسْكَرِ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ، فَلَمْ يَبِتْ مَعَ النَّاسِ، فَرَأَى سَوَادِي، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيَّ، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْنَا الْحِجَابُ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ظَعِينَةُ رَسُولِ اللهِﷺ ! وَأَنَا مُتَلَفِّفَةٌ فِي ثِيَابِي، قَالَ: مَا خَلَّفَكَ يَرْحَمُكِ اللهُ ؟

قَالَتْ: فَمَا كَلَّمَتْهُ، ثُمَّ قَرَّبَ الْبَعِيرَ، فَقَالَ: ارْكَبِي، وَاسْتَأْخَرَ عَنِّي. قَالَتْ: فَرَكِبْتُ، وَأَخَذَ بِرَأْسِ الْبَعِيرِ، فَانْطَلَقَ سَرِيعًا، يطْلب النَّاس، فو الله مَا أَدْرَكْنَا النَّاسَ، وَمَا افْتُقِدَتْ حَتَّى أَصْبَحْتُ، وَنَزَلَ النَّاسُ، فَلَمَّا اطْمَأَنُّوا طَلَعَ الرَّجُلُ يَقُودُ بِي، فَقَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا:فارتعج الْعَسْكَر، ووالله مَا أَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ اشْتَكَيْتُ شَكْوَى شَدِيدَةً، وَلَا يَبْلُغُنِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَقَدْ انْتَهَى الْحَدِيثُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَإِلَى أَبَوَيَّ لَا يَذْكُرُونَ لِي مِنْهُ قَلِيلًا وَلَا كثيراً، إِلَّا أَنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْضَ لُطْفِهِ بِي، كُنْتُ إِذَا اشْتَكَيْتُ رَحِمَنِي، وَلَطَفَ بِي، فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِي فِي شَكْوَايَ تِلْكَ، فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، كَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ وَعِنْدِي أُمِّي تُمَرِّضُنِي- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهِيَ أُمُّ رُومَانَ، وَاسْمُهَا

زَيْنَب بِنْت عَبْدِ دُهْمَانَ، أَحَدُ بَنِي فِرَاسِ ابْن غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ- قَالَ: كَيْفَ تِيكُمْ، لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَتْ: حَتَّى وَجَدْتُ فِي نَفْسِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، حِينَ رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ مِنْ جَفَائِهِ لِي: لَوْ أَذِنْتَ لِي، فَانْتَقَلْتُ إِلَى أُمِّي، فَمَرَّضْتنِي؟ قَالَ:

لَا عَلَيْكِ. قَالَتْ: فَانْتَقَلْتُ إِلَى أُمِّي، وَلَا عِلْمَ لِي بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ، حَتَّى نَقِهْتُ مِنْ وَجَعِي بَعْدَ بِضْعٍ وَعَشْرَيْنِ لَيْلَةً، وَكُنَّا قَوْمًا عَرَبًا، لَا نَتَّخِذُ فِي بُيُوتِنَا هَذِهِ الْكُنُفَ الَّتِي تَتَّخِذُهَا الْأَعَاجِمُ، نَعَافُهَا وَنَكْرَهُهَا، إِنَّمَا كُنَّا نَذْهَبُ فِي فُسَحِ الْمَدِينَةِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ النِّسَاءُ يَخْرُجْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي حَوَائِجِهِنَّ، فَخَرَجْتُ لَيْلَةً لِبَعْضِ حَاجَتِي وَمَعِي أُمُّ مِسْطَحِ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَتْ أُمُّهَا بِنْتَ صَخْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ، خَالَةَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، قَالَت:

فو الله إِنَّهَا لَتَمْشِي مَعِي إِذْ عَثَرْتُ فِي مِرْطِهَا ، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ ! وَمِسْطَحٌ لَقَبٌ وَاسْمُهُ عَوْفٌ، قَالَتْ: قُلْتُ: بِئْسَ -لَعَمْرُ اللهِ- مَا قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَتْ: أَوْ مَا بَلَغَكَ الْخَبَرُ يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: وَمَا الْخَبَرُ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِالَّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، قَالَت: قلت: أوقد كَانَ هَذَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ وَاَللهِ لَقَدْ كَانَ.

قَالَت: فو الله مَا قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَقْضِيَ حَاجَتِي، وَرجعت، فو الله مَا زِلْتُ أَبْكِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ الْبُكَاءَ سَيَصْدَعُ كَبِدِي، قَالَتْ: وَقُلْتُ لِأُمِّي: يَغْفِرُ اللهُ لَكِ، تَحَدَّثَ النَّاسُ بِمَا تَحَدَّثُوا بِهِ، وَلَا تَذْكُرِينَ لِي مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا! قَالَتْ: أَيْ بُنَيَّةُ،

خَفِّضِي عَلَيْك الشَّأْن، فو الله لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ حَسْنَاءُ، عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، لَهَا ضَرَائِرُ، إلَّا كَثَّرْنَ وَكَثَّرَ النَّاسُ عَلَيْهَا.

قَالَتْ: وَكَانَ كَبُرَ ذَلِكَ عِنْدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ بن سَلُولَ فِي رِجَالٍ مِنْ الْخَزْرَجِ مَعَ الَّذِي قَالَ مِسْطَحٌ وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَذَلِكَ أَنَّ أُخْتَهَا زَيْنَبَ بِنْتُ جَحْشٍ كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ تَكُنْ مِنْ نِسَائِهِ امْرَأَةٌ تُنَاصِينِي فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ غَيْرُهَا، فَأَمَّا زَيْنَبُ فَعَصَمَهَا اللهُ تَعَالَى بِدِينِهَا فَلَمْ تَقُلْ إلَّا خَيْرًا وَأَمَّا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فَأَشَاعَتْ مِنْ ذَلِكَ مَا أَشَاعَتْ، تُضَادُّنِي لِأُخْتِهَا، فَشَقِيَتْ بِذَلِكَ.

فَلَمَّا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، قَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ:

يَا رَسُولَ اللهِ، إنْ يَكُونُوا مِنْ الْأَوْسِ نَكْفِكَهُمْ، وَإِنْ يَكُونُوا مِنْ إخْوَانِنَا مِنْ الْخَزْرَجِ، فمرنا بِأَمْرك، فو الله إنَّهُمْ لَأَهْلٌ أَنْ تُضْرَبَ أَعْنَاقُهُمْ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ ابْن عُبَادَةَ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَرَى رَجُلًا صَالِحًا، فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، لَا نَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ، أَمَا وَاَللهِ مَا قُلْتَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ إلَّا أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُمْ مِنْ الْخَزْرَجِ وَلَوْ كَانُوا مِنْ قَوْمِكَ مَا قُلْتَ هَذَا، فَقَالَ أُسَيْدٌ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ، قَالَتْ: وَتَسَاوَرَ النَّاسُ، حَتَّى كَادَ يَكُونُ بَيْنَ هَذَيْنِ

قَالَتْ فَدَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَاسْتَشَارَهُمَا ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَثْنَى عَلَيَّ خَيْرًا وَقَالَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ مِنْهُمْ إلَّا خَيْرًا، وَهَذَا الْكَذِبُ وَالْبَاطِلُ، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَإِنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ النِّسَاءَ لَكَثِيرٌ، وَإِنَّكَ لَقَادِرٌ عَلَى أَنْ تَسْتَخْلِفَ، وَسَلْ الْجَارِيَةَ، فَإِنَّهَا سَتَصْدُقُكَ.

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ لِيَسْأَلَهَا، قَالَتْ: فَقَامَ إِلَيْهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَضَرَبَهَا ضَرْبًا شَدِيدًا، وَيَقُولُ: اُصْدُقِي رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَتْ: فَتَقُولُ وَاللهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كُنْتُ أَعِيبُ عَلَى عَائِشَةَ شَيْئًا، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَعْجِنُ عَجِينِي، فَآمُرُهَا أَنْ تَحْفَظَهُ، فَتَنَامُ عَنْهُ، فَتَأْتِي الشَّاةُ فَتَأْكُلُهُ.

قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَعِنْدِي أَبَوَايَ، وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، وَأَنَا أَبْكِي، وَهِيَ تَبْكِي مَعِي، فَجَلَسَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ مَا قَدْ بَلَغَكِ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ، فَاتَّقِي اللهَ، وَإِنْ كُنْتِ قَدْ قَارَفْتِ سُوءًا ، مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ فَتُوبِي إِلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عباده، قَالَت: فو الله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَالَ لِي ذَلِكَ، فَقَلَصَ دَمْعِي، حَتَّى مَا أُحِسَّ مِنْهُ شَيْئًا، وَانْتَظَرْتُ أَبَوَيَّ أَنْ يُجِيبَا عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَلَمْ يَتَكَلَّمَا قَالَتْ: وَايْمُ اللهِ لَأَنَا كُنْتُ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي، وَأَصْغَرَ شَأْنًا مِنْ أَنْ يُنْزِلَ اللهُ فِيَّ قُرْآنًا يُقْرَأُ بِهِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَيُصَلَّى بِهِ، وَلَكِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي نَوْمِهِ شَيْئًا يُكَذِّبُ بِهِ اللهُ عَنِّي، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَتِي، أَوْ يُخْبِرُ خَبَرًا، فَأَمَّا قُرْآنٌ ينزل فىّ، فو الله لَنَفْسِي كَانَتْ أَحْقَرَ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ. قَالَتْ: فَلَمَّا لَمْ أَرَ أَبَوَيَّ يَتَكَلَّمَانِ، قَالَتْ: قُلْتُ لَهُمَا: أَلَا تُجِيبَانِ رَسُولَ اللهِ ﷺ ؟

قَالَتْ: فَقَالَا: وَاللهِ مَا نَدْرِي بِمَاذَا نجيبه، قَالَت: وو الله مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ دَخَلَ عَلَيْهِمْ مَا دَخَلَ عَلَى آلِ أَبِي بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، قَالَتْ: فَلَمَّا أَنْ اسْتَعْجَمَا عَلَيَّ، اسْتَعْبَرْتُ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللهِ لَا أَتُوبُ إِلَى اللهِ مِمَّا ذَكَرْتَ أَبَدًا. وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ لَئِنْ أَقْرَرْتُ بِمَا يَقُولُ النَّاسُ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، لَأَقُولَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ،

وَلَئِنْ أَنَا أَنْكَرْتُ مَا يَقُولُونَ لَا تُصَدِّقُونَنِي. قَالَتْ: ثُمَّ الْتَمَسْتُ اسْمَ يَعْقُوبَ فَمَا أَذْكُرُهُ، فَقُلْتُ:

وَلَكِنْ سَأَقُولُ كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تصفون» .

قَالَت: فو الله مَا بَرِحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسَهُ حَتَّى تَغَشَّاهُ مِنْ اللهِ مَا كَانَ يَتَغَشَّاهُ، فَسُجِّيَ بِثَوْبِهِ وَوُضِعَتْ لَهُ وِسَادَةُ مِنْ أَدَمٍ تَحْتُ رَأْسِهِ، فَأَمَّا أَنَا حِينَ رَأَيْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا رَأَيْت، فو الله مَا فَزِعْتُ وَلَا بَالَيْتُ، قَدْ عَرَفْتُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ غَيْرُ ظَالِمِي، وأمّا أبواي، فو الّذي نَفْسُ عَائِشَةَ بِيَدِهِ، مَا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى ظَنَنْتُ لَتَخْرُجَنَّ أَنَفْسُهُمَا، فَرَقًا مِنْ أَنْ يَأْتِيَ مِنْ اللهِ تَحْقِيقُ مَا قَالَ النَّاسُ، قَالَتْ: ثُمَّ سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَجَلَسَ، وَإِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الْعَرَقَ عَنْ جَبِينِهِ، وَيَقُولُ: أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتَكِ، قَالَتْ: قُلْتُ: بِحَمْدِ اللهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَخَطَبَهُمْ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ أَمَرَ بِمِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ، وَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وَحَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَكَانُوا مِمَّنْ أَفْصَحَ بِالْفَاحِشَةِ، فَضُرِبُوا حَدَّهُمْ ».(١)

❁ وفي حادثة الإفك فوائد ودروس :

(١) هذا إسناده حسن أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة »لابن هشام (٢/ ٣٠٢) .

والحديث في صحيح البخاري(٢٦٦١) ومسلم (٢٢٧٠) وإنما ذكرتُ متن رواية ابن إسحاق للتصريح فيه بأن ذلك كان في غزوة بني المصطلق، وسياقه أتم وفيه زيادة وفوائد جمَّة كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية » (٤/ ١٨٣) لما ذكره .

منها:

أن المنح تأتي من المحن ،فكانت محنة علي عائشة رضي الله عنها فنزل فيها قرآن يتلي إلي يوم القيامة .

ومنها:

أن الفضل الذي حصل لعائشة رضي الله عنها بعد الإفك أعظم مما لو لم تُبتلِ.

ومنها:

أن الله تعالي يبتلي عبده ليرفعه لا ليهلكه – ولذا يلطف سبحانه به – .

ومنها:

فضيلة اجتماع الكلمة،أُخذ هذا من فعل النبي ﷺ لما تنازع الصحابة السعدان وأسيد بن حضير – ورسول الله ﷺ علي المنبر– فما زال يخفِّضهم حتي سكنوا ونزل .

ومنها:

جواز لبس العقود وإعارتها واستعارتها، ومشروعية القُرعة عند السفر بإحدي الزوجات.

وأنبه إلي ضعف المشهور الذي رواه ابن إسحاق[1] عَنْ بَعْضِ رِجَالِ بَنِي النَّجَّارِ:

---

(١) كما في « سيرة ابن هشام » (٢/ ٢٧٠) مرسلاً .

أَنَّ أَبَا أَيُّوب خَالِدَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ أَيُّوبَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ، أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟ قَالَ: بَلَى، وَذَلِكَ الْكَذِبُ، أَكُنْت يَا أُمَّ أَيُّوبَ فَاعِلَةٌ؟

قَالَتْ: لَا وَاَللهِ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَهُ، قَالَ: فَعَائِشَةُ وَاَللهِ خَيْرٌ مِنْكَ.

ومع عدم استبعاد وقوع مثل هذا، ولائق به أن يحصل بين أبي أيوب وزوجته مثل هذا إلا أني لم أقف له علي إسناد يثبت على شهرته والله أعلم .

قصة نزول قوله تعالى

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الحجرات

أخرج أحمد بسندٍ حسن لشواهده عن الْحَارِث بْن أَبِي ضِرَارٍ الْخُزَاعِيِّ، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَدَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ، فَدَخَلْتُ فِيهِ، وَأَقْرَرْتُ بِهِ، فَدَعَانِي إِلَى الزَّكَاةِ، فَأَقْرَرْتُ بِهَا، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَرْجِعُ إِلَى قَوْمِي، فَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ، فَمَنْ اسْتَجَابَ لِي جَمَعْتُ زَكَاتَهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ رَسُولًا لِإِبَّانِ كَذَا وَكَذَا لِيَأْتِيَكَ مَا جَمَعْتُ مِنَ الزَّكَاةِ، فَلَمَّا جَمَعَ الْحَارِثُ الزَّكَاةَ مِمَّنْ اسْتَجَابَ لَهُ، وَبَلَغَ الْإِبَّانَ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُبْعَثَ إِلَيْهِ، احْتَبَسَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ، فَلَمْ يَأْتِهِ، فَظَنَّ الْحَارِثُ أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ فِيهِ سَخْطَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ، فَدَعَا بِسَرَوَاتِ قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُمْ:

إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ وَقَّتَ لِي وَقْتًا يُرْسِلُ إِلَيَّ رَسُولَهُ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الزَّكَاةِ، وَلَيْسَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ الْخُلْفُ، وَلَا أَرَىٰ حَبْسَ رَسُولِهِ إِلَّا مِنْ سَخْطَةٍ كَانَتْ، فَانْطَلِقُوا، فَنَأْتِيَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَىٰ الْحَارِثِ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِمَّا جَمَعَ مِنَ الزَّكَاةِ، فَلَمَّا أَنْ سَارَ الْوَلِيدُ حَتَّىٰ بَلَغَ بَعْضَ الطَّرِيقِ، فَرِقَ، فَرَجَعَ، فَأَتَىٰ رَسُولَ الله ﷺ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ الْحَارِثَ مَنَعَنِي الزَّكَاةَ، وَأَرَادَ قَتْلِي، فَضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ الْبَعْثَ إِلَىٰ الْحَارِثِ، فَأَقْبَلَ الْحَارِثُ بِأَصْحَابِهِ إِذْ اسْتَقْبَلَ الْبَعْثَ وَفَصَلَ مِنَ الْمَدِينَةِ، لَقِيَهُمُ الْحَارِثُ، فَقَالُوا:

هَذَا الْحَارِثُ، فَلَمَّا غَشِيَهُمْ، قَالَ لَهُمْ: إِلَىٰ مَنْ بُعِثْتُمْ؟ قَالُوا: إِلَيْكَ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ كَانَ بَعَثَ إِلَيْكَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، فَزَعَمَ أَنَّكَ مَنَعْتَهُ الزَّكَاةَ، وَأَرَدْتَ قَتْلَهُ قَالَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ، مَا رَأَيْتُهُ بَتَّةً، وَلَا أَتَانِي فَلَمَّا دَخَلَ الْحَارِثُ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ:

«**مَنَعْتَ الزَّكَاةَ، وَأَرَدْتَ قَتْلَ رَسُولِي؟**» قَالَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ، وَلَا أَتَانِي، وَمَا أَقْبَلْتُ إِلَّا حِينَ احْتَبَسَ عَلَيَّ رَسُولُ رَسُولِ الله ﷺ، خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ كَانَتْ سَخْطَةً مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَرَسُولِهِ. قَالَ: فَنَزَلَتِ الْحُجُرَاتُ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ، فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا

فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦] إِلَى هَذَا الْمُكَانِ: {فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحجرات: ٨. (١)

سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين

الذين كانوا قد اجتووا المدينة وقتلوا راعي رسول الله ﷺ (٢)

قال ابن سعد : سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين في شوال سنة ست من مهاجرة النبي ﷺ. (٣)

وقصة هؤلاء: أخرجها البخاري ومسلم (١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَدِمَ أُنَاسٌ مِنْ عُكْلٍ أَوْ عُرَيْنَةَ، فَاجْتَوَوْا المَدِينَةَ «فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، بِلِقَاحٍ، وَأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ

(١) أخرجه أحمد (١٨٤٥٩) والطبراني في «الكبير»(٣٣٩٥)، وله شاهد من حديث علقمة بن ناجية قال : بعث إلينا رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط يصدق أموالنا....الحديث.

أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٣٥) والطبراني في «الكبير»(١٨/ ٦ رقم (٤،٦) فأرجو أن يُحَسَّن الخبر لطرقه وشواهده .

(٢) الذين روىٰ حديثهم البخاري(١٥٠١) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه :أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ اجْتَوَوْا المَدِينَةَ «فَرَخَّصَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ، فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا، وَأَبْوَالِهَا»، فَقَتَلُوا الرَّاعِيَ، وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ بِالحَرَّةِ يَعَضُّونَ الحِجَارَةَ.

(٣) «الطبقات الكبري»(٢/ ٧١).

أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا»فَانْطَلَقُوا، فَلَمَّا صَحُّوا، قَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَاقُوا النَّعَمَ، فَجَاءَ الخَبَرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ جِيءَ بِهِمْ، «فَأَمَرَ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسُمِرَتْ أَعْيُنُهُمْ، وَأُلْقُوا فِي الحَرَّةِ، يَسْتَسْقُونَ فَلاَ يُسْقَوْنَ» . قَالَ أَبُو قِلاَبَةَ:

«فَهَؤُلاَءِ سَرَقُوا وَقَتَلُوا، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ».

وفي رواية عنه(٢): أَنَّ نَاسًا مِنْ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ قَدِمُوا المَدِينَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَتَكَلَّمُوا بِالإِسْلاَمِ، فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ: إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ، وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رِيفٍ، وَاسْتَوْخَمُوا المَدِينَةَ، «فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَوْدٍ وَرَاعٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِيهِ فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا»، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا نَاحِيَةَ الحَرَّةِ، كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ، وَقَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، «فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَسَمَرُوا أَعْيُنَهُمْ، وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمْ، وَتُرِكُوا فِي نَاحِيَةِ الحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالِهِمْ».(٣)

=

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٣٣) ومسلم (١٦٧١) .

(٢) هي في صحيح البخاري (٤٢٩٢).

(٣) ولا تعارض بين هذا وبين نهيه عن المثلى، لأن هذه عقوبة على جرائم متعدِّدة ، ومنها ما أشار إليها أبو قلابة رحمة الله نفسه كما تقدم ،والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ

وفي رواية مسلم [١] عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَفَرٌ مِنْ عُرَيْنَةَ، فَأَسْلَمُوا وَبَايَعُوهُ، وَقَدْ وَقَعَ بِالْمَدِينَةِ الْمُومُ، وَهُوَ الْبِرْسَامُ[٢]، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ، وَزَادَ: وَعِنْدَهُ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَرِيبٌ مِنْ عِشْرِينَ، فَأَرْسَلَهُمْ إِلَيْهِمْ، وَبَعَثَ مَعَهُمْ قَائِفًا[٣] يَقْتَصُّ أَثَرَهُمْ.

وقد ذكر بعض المؤرخين أن السرية كانت عشرين رجلاً، ولكن هذا من كلام الواقدي.

ولما قطع النبي ﷺ أيديهم لم يحسمها، بخلاف المقطوع يده في حدِّ السَّرقة، فإن يده تحسم لئلا تنزف ويموت، وليس حدَّه الموت، بل حدُّه قطع اليد فقط، فعقوبة هؤلاء غير عقوبة السارق.

ولم يتكلم من الأفاضل أحد ويذكر أن هذا من المُثلَىٰ التي نهى ﷺ عنها حتىٰ جاء المتفلسفة بفذلكة القول بحنان قلوبهم يُقَيمُون فعل رسول الله ﷺ – يا ويحهم – !

= خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ المائدة.

(١) برقم (١٦٧١).

(٢) وهو نوع من اختلال العقل، ويطلق على ورم الرأس، أو ورم الصدر، وأصل اللفظة سريانية كما قال النووي في «شرح مسلم» والله أعلم.

(٣) القائف: هو الذي يتَّبع الأثر.

وفيما تقدَّم دروس وفوائد :

منها: أن حصول جرأة الكفار على المسلمين إنما تكون عند استشعارهم بضعف المسلمين،فهؤلاء الخونة الذين غدروا لما ضاعت هيبة جيش المسلمين في أنفسهم، أحدثوا النكاية فيهم، ومن حكمة النبي ﷺ أن عاقبهم بهذه العقوبة الشديدة التي لم يسبق أن عوقب بها أحد، والهدف من ذلك ردع من تُسَوّل له نفسه من أمثالهم الاعتداء على سرح المسلمين، أو التعرُّض لحرماتهم أو حرمة امرأة أو صبي منهم، فحينما تقوى الجيوش تهابها الأعداء بل لا تقرب حماها، وتستطيع أن تحافظ على مقدَّرات شعوبها، وثرواتها،بل يهاب الخصوم من دخل في حماها،وسيأتي في فتح مكة انتقام النبي ﷺ من كفار مكة لما اعتدوا على رجل من خزاعة وهم كفار لكونهم كانوا داخلين في حلف رسول الله ﷺ وسيأتي إرساله ﷺ أفراد للفتك ببعض صناديد الكفر –كما سيأتي– إنما هو لإظهار هذا، ألا فليفهم هذا القادة والزعماء والرؤساء، فإنه من مصدر عِزِّ الشُّعوب .

ومنها:

أن جزاء السيئة سيئة مثلها ،و يعاقب صاحبها وإن سماحة الإسلام لها مواطن ، والرحمة والشفقة لها مواطن ، ليس في كل موطن ، وعلى أي حال، فللسماحة مقام كما أن للشدة مواطن .

ومنها:

حكمة النبي في معاقبتهم بهذه العقوبة التى تردع من تسوِّل له نفسه خيانة

المسلمين أو الاعتداء عليهم،أو الاستخفاف بهم .....، وهذا مما يُرهِب الكفار، ويُظهر قوة المسلمين وشوكتهم، فيهابهم مَن تُسَوِّل له نفسه فعل المكيدة ضدَّهم

ومنها:

أن من قطعت يده لِردَّته فإنها لا تُحسَم، بخلاف عقوبة السارق فإنها تقطع يده وتحسم، لئلا تُنزَف حتىٰ يموت صاحبها ، وعقوبته ليست القتل ، والله أعلم .

بعث النبي ﷺ بعثاً لقتل بعض كفار قريش [١]

أخرج البخاري [٢]عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْثٍ وَقَالَ لَنَا: «**إِنْ لَقِيتُمْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا - لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَّاهُمَا - فَحَرِّقُوهُمَا بِالنَّارِ**» قَالَ: ثُمَّ أَتَيْنَاهُ نُوَدِّعُهُ حِينَ أَرَدْنَا الخُرُوجَ، فَقَالَ: «**إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحَرِّقُوا فُلاَنًا وَفُلاَنًا بِالنَّارِ، وَإِنَّ النَّارَ لاَ يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللهُ، فَإِنْ أَخَذْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا**».

وقد ذكر العلماء أن الرجلين هما :هبار بن الأسود ورفيقه اللذان نخسا بعير زينب بنت رسول الله ﷺ عند هجرتها فخافت فأسقطت حملها ومرضت من ذلك، وهما قرشيان .ثم أسلم هبَّار بن الأسود – على ما في بعض الروايات ، فقد جاءت عدة روايات مفادها ذلك وفي مفاريدها كلام .

---

(١) وسُمِّيت هذه السرية بسرية حمزة بن عمرو الأسلمي، كما سيأتي في رواية أحمد .

(٢) برقم (٢٩٥٤) .

وقد أخرج ابن حبان [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا لَقِيتُمْ هَبَّارَ بْنَ الْأَسْوَدِ وَنَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ فَحَرِّقُوهُمَا بِالنَّارِ» ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: «لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلَّا اللهُ وَلَكِنْ إِذَا لَقِيتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا».

فدل على أنهما المذكوران والله أعلم، وكانا من قريش، وهذا يستلزم أن يكون حصل قبل الحديبية، لأن بعد الحديبية كان صلحاً لا يبعث ﷺ إلى أحد من قريش من يَقتله لأن هذا يكونُ مناقضاً للعهد، ولذلك وضعتها قبل الحديبية ،وإن كنت لا أعلم تحديد تاريخها،فهذا يكون مقام تدوينها إن شاء الله.

❁ وسبب تسميتِها بسرية حمزة بن عمرو الأسلمي .

ما أخرجه أحمد[٢] بإسنادٍ يحسن إن شاء الله من طريق مُحَمَّد بْن حَمْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَّرَهُ عَلَى سَرِيَّةٍ، فَخَرَجْتُ فِيهَا فَقَالَ: «**إِنْ أَخَذْتُمْ فُلَانًا فَأَحْرِقُوهُ بِالنَّارِ**» ، **فَلَمَّا وَلَّيْتُ نَادَانِي، فَقَالَ: «إِنْ أَخَذْتُمُوهُ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّهُ لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ، إِلَّا رَبُّ النَّارِ»**.

❁ وفي هذا الفصل من الفوائدوالدروس:

منها :

تحريم التعذيب بالنار لرجوع النبي ﷺ عن الأمر بإحراق هذين، وأما حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال:«**نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَقَالَ**

(١) برقم (٥٦١١) وله طريق آخر عند البزار في «البحر الزخار»(٨٠٦٧) .

(٢) في «المسند»(١٦٠٣٤) وأبو داود (٢٦٧٣).

تَحْتَهَا، فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِبَيْتِهِنَّ، فَتُحْرَقَ عَلَى مَنْ فِيهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: هَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً »[١].

فلعل هذا كان في شرع من قبلنا، وشرع من قبلنا ليس شرعـًا لنا إلا إذا وافق شرعنا،والله أعلم .

ومنها :

إظهارعزة الإسلام وقوته، فما نسي رسول الله ﷺ ما حصل من زمن يوم أن فعلا بزينب رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ ما فعلا، فانتظر حتى سنحت الفرصة، وأدَّب من اعتدى، وجعل منه عبرة لغيره .

ومنها :

إرهاق كفار قريش بكثرة الغزو لهم، وإرسال السرايا لإرعاب الكفار، وعدم تحقيق الأمن لهم بما فعلوه مع النبي ﷺ والصحابة، حيث أخرجوهم من ديارهم .

أسر رجل من ثقيف ردّاً على أسر ثقيف رجلين من أصحاب النبي ﷺ [٢]

---

(١) الذي أخرجه ابن حبان (٥٦٤٧) بسند ثابت .

(٢) فيا لعزَّة المسلمين ، سكت النبي ﷺ والصحابة بلا جهاد في حالة الاستضعاف – مع شجاعتهم ..لكن لم ينسَوا !- حتى إذا ما اشتدَّ عزمهم وقويت شوكتُهم، بدأوا يؤدِّبون كل ندل دنيء كان قد سوَّلت له نفسه قبل الاعتداء على حرمة مسلم، ولو كان رجلاً واحداً ، فأبصر فنون القيادات

وهذا الحدث وإن كنت لا أعلم توقيته بالضبط ، لكنه حتماً سيكون قبل الحديبية، لأن بعد الحديبية إنما هو صلح ومسالمة، ليس شيئاً من ذلك .

أخرج قصته مسلم [١] عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه ، قَالَ:

كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِي عُقَيْلٍ [٢]، فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،[٣] وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ[٤]، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ، قَالَ:

يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ:

«**مَا شَأْنُكَ؟**» فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي، وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فَقَالَ: «**إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ**»[٥]، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ:

=

!وحِكَم التشريعات، ومقاصد الشرع، ومنهم يتعلم المتعلِّمون فنون القيادات التي تَستَرِدّ عزَّة المسلمين ، وأسأل الله أن ييسِّر بحثاً في «فنون القيادة في ضوء الشريعة الاسلامية» .

(١) برقم (١٦٤١).

(٢) لأن بني عقيل وثقيف صاروا لُحمة واحدة .

(٣) إذ يمكن أن يبتلى المسلمون بنكبة من الكفار أحياناً لا إشكال، فلا تتهوَّك .

(٤) هي ناقة يقال لها العضباء، متميِّزة ذلول وسريعة،وكانت هذه الناقة لرجل من بني عقيل، ثم انتقلت إلى رسول الله ﷺ، وكانت تسبق الحجاج،ولذا قيل لها :« سابقة الحاج »، كانت لا تُسبق، أو لا تكاد تُسبَق، معروفة بذلك .

(٥) وفيه دليل على جواز مثل ذلك ، لأن فيه إهانة لحلفاء المأسور، فكان الاعتداء عليه، إعتداء على حلفه المسلمين .

يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» .

قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ،(١) قَالَ: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ»، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟».

قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، وَظَمْآنُ فَأَسْقِنِي، قَالَ: «هَذِهِ حَاجَتُكَ»،(٢) فَفُدِيَ بِالرَّجُلَيْنِ، قَالَ:

وَأُسِرَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَأُصِيبَتِ الْعَضْبَاءُ، فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْوَثَاقِ وَكَانَ الْقَوْمُ يُرِيحُونَ نَعَمَهُمْ بَيْنَ يَدَيْ بُيُوتِهِمْ، فَانْفَلَتَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ الْوَثَاقِ، فَأَتَتِ الْإِبِلَ، فَجَعَلَتْ إِذَا دَنَتْ مِنَ الْبَعِيرِ رَغَا (٣)فَتَتْرُكُهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْعَضْبَاءِ، فَلَمْ تَرْغُ، قَالَ: وَنَاقَةٌ مُنَوَّقَةٌ فَقَعَدَتْ فِي عَجُزِهَا، ثُمَّ زَجَرَتْهَا فَانْطَلَقَتْ، وَنَذِرُوا بِهَا فَطَلَبُوهَا فَأَعْجَزَتْهُمْ، قَالَ:

وَنَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، فَلَمَّا قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ رَآهَا النَّاسُ، فَقَالُوا: الْعَضْبَاءُ نَاقَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّهَا نَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا

---

(١) قال هذا لمعرفته بأن من أسلم عُصم دمه ، و لم يعمل بمقتضاها الخوارج اليوم ،فإنهم يقتلون اليوم من ينطق بهذه الكلمة بحجة تكفيره.

(٢) كذا بجرأة يطلبه لسابق لمعرفتهم برحمة رسول الله ﷺ بالأسارى ،كما حكى هذه الطبيعة الصحابى فى قوله «وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا»، تلك المعرفة التى لم يعمل بمقتضاها الخوارج إن كانوا عرفوها ، فيقتلون اليوم من ينطق بهذه الكلمة .

(٣) يعني أظهر صوته المعروف .

لَتَنْحَرَنَّهَا، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ، بِئْسَمَا جَزَتْهَا، نَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ» (١).

ومن أعظم فوائد القصة:

تدبُّر الرسول ﷺ لأحوال أفراد المسلمين فضلاً عن جماعتهم –فليتعلَّم القادة – يرسل البعوث لاستنقاذ الأسرى من أيد الكافرين .

ومنها:

تهيئة الله تعالى للمسلمين وللمرأة، فلقد كان أسر العضباء ناقة رسول الله ﷺ خير في المستقبل،فها هي قد نجت بسببها المرأة اليوم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .وعسى أن تكرهوا شيئـًا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً.

غزوة الحديبية

وكانت سنة ست للهجرة النبوية بلا خلاف .

---

(١) لكن قوله «لا نذرفي معصية الله » يظهر أنه لا متعلق له بالحديث، كقوله :«ولا فيما لا يملك العبد»، لأن نذر نحر الناقة، ليس بمعصية ، وإنما مقصود النبي ﷺ:أن هذه الناقة خاصة يُنتَفع بحياتها، لا تذبح فالإبل سواها كثير، وأما هذه فناقة متميِّزة: بأنها ذلول لا تُسبق...ووجه تمييز آخر أيضاً : بأنها قد أصابتها بركة رسول الله ﷺ، فليس من الحكمة أن تُنحر.

وفي صحيح البخاري ومسلم[١] أن النبي ﷺ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ فِي ذِي القَعْدَةِ، إِلَّا الَّتِي اعْتَمَرَ مَعَ حَجَّتِهِ عُمْرَتَهُ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ، وَمِنَ العَامِ المُقْبِلِ وَمِنَ الجِعْرَانَةِ، حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ، وَعُمْرَةً مَعَ حَجَّتِهِ.

يعني : اعتمر ﷺ في العام الذي بعد الحديبية في ذي القعدة لما ردَّه كفَّار قريش، وجعلوا الصلح على أن لا يعتمر هذا العام، فوفَّى لهم ﷺ.

❁ حاصل ما كان في هذه الغزوة بإيجاز

أن رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين ذهبوا لمكة لأداء عمرة،لا لقتال، ومكة هي بلد المهاجرين أصلاً، وليس لأحدٍ أن يمنع أحداً منها من أي جنس من أجناس الناس،وإنما أرادوا العمرة فقط، ولكن الكفار بكبرهم وتمادي ظلمهم أرادوا منعهم – وهذا من تتابع ظلمهم لهم، فليس لأحد أن يصد عن البيت الحرام مَن أراده[٢]، ولا هذا في ملَّة من الملل أصلاً، فالبيت الحرام جعله الله مثابة للناس جميعاً وأمناً ما عدا المشركين من أمثال كفار مكة[٣] ولذلك

---

(١) البخاري (١٧٨٠) ومسلم (١٢٥٣).

(٢) ففي سنن النسائي (٥٨٥) وغيره بسند صحيح عنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لَا تَمْنَعُوا أَحَدًا طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ وَصَلَّى أَيَّةَ سَاعَةٍ شَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ**»

(٣) فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ التوبة: ٢٨ وهؤلاء المشركون إنما هم أصحاب خرافات، أحدثوا عند البيت بدعاً كفرية،أوثاناً تُعبَد من دون الله لا يُقرُّها شرع ولا دين،ولا عقل، سيَّبوا السوائب،وجعلوا

جُنَّ جُنون المسلمين ، كيف يُصَدون عن البيت وهو حقُّهم وهم أصحاب الشهامة، والشجاعة، والبطولة...والحق معهم في جميع المِلل وعدوهم على الباطل في جميع الأعراف، وليست بأول اعتداءات هؤلاء الكفار عليهم ، فقد جَرَّدُوهم من حقوقهم الآدمية أخذوا أموالهم، وباعوا دورهم، وحصروهم في شِعب أبي طالب ،وعذَّبوهم.....فلذلك كانوا على شغفٍ أن يُحاربوهم لوجود هذه الدوافع.

❁ عدد الذين كانوا مع النبي ﷺ في عمرة الحديبية [١]

أخرج البخاري [٢] عَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَالحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ، فَنَزَحْنَاهَا، حَتَّى لَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً... [٣]

ولكن في صحيح البخاري [٤] عَنْ قَتَادَةَ، قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ: بَلَغَنِي أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ: «كَانُوا أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً»[١]، فَقَالَ لِي سَعِيدٌ: حَدَّثَنِي جَابِرٌ: «كَانُوا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً، الَّذِينَ بَايَعُوا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ».

=

البحيرة، والوصيلة والحام، افتراءً على الله، وصوَّروا تماثيل على هيئة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يستقسمان بالأزلام، أفكانا عليهما السلام يفعلان هذا الرجس والفسق؟!

(١) وسُمِّيت بالحديبية لبئر كان الصحابة عنده .

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٧).

(٣) وفي صحيح مسلم(١٧٢٩) ذكر نفس العدد ، ولكن غير منصوص على أنها غزوة الحديبية .

(٤) برقم (٤١٥٣).

وكذا في صحيح البخاري في موطن آخر قوله :« كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً »[٢].

ولكن في صحيح البخاري[٣]عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ: «**أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ**» وَكُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ.

وقال البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رضي الله عنه : أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ أَوْ أَكْثَرَ...[٤]

وأخرج ابن إسحاق[٥] عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ، لَا يُرِيدُ قِتَالًا، وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ سَبْعِينَ بَدَنَةً، وَكَانَ النَّاس سبع مائَة رَجُلٍ، فَكَانَتْ كُلُّ بَدَنَةٍ عَنْ عَشَرَةِ نَفَرٍ.[٦]

=

(١) عَدَلَ الصَّحَابِيُّ عَنْ قَوْلِهِ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ إِلَى قَوْلِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةٍ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْجَيْشَ كَانَ مُنْقَسِمًا إِلَى الْمِئَاتِ وَكَانَتْ كُلُّ مِائَةٍ مُمْتَازَةً عَنِ الْأُخْرَى إِمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْقَبَائِلِ وَإِمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الصِّفَاتِ...قاله الحافظ في «الفتح»(٧/ ٤٤٤).

(٢) البخاري (٣٥٧٦) ومسلم (١٨٥٦).

(٣) برقم (٤١٥٤).

(٤) وهذا في صحيح البخاري (٤١٥١).

(٥) كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٣٠٩).

(٦) **وقد تعقب ابن كثير في «البدية والنهاية »(٤/ ١٩٦) ابن إسحاق في روايته فقال:«الْمَقْصُودُ** أَنَّ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ كُلَّهَا مُخَالِفَةٌ لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ إسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة، وَهُوَ- وَاللهُ أَعْلَمُ- إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ تَفَقُّهًا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْبُدْنَ كُنَّ سَبْعِينَ بَدَنَةً وَكُلُّ

وفي رواية البخاري من نفس الطريق[١]:«بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ... ».

وفي صحيح البخاري[٢]عن عَبْد اللهِ بْن أَبِي أَوْفَى رضي الله عنهما: « كَانَ أَصْحَابُ الشَّجَرَةِ أَلْفًا وَثَلاَثَ مِائَةٍ، وَكَانَتْ أَسْلَمُ ثُمْنَ المُهَاجِرِينَ ».

وفي صحيح مسلم [٣]عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ الشَّجَرَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَايِعُ النَّاسَ، وَأَنَا رَافِعٌ غُصْنًا مِنْ أَغْصَانِهَا عَنْ رَأْسِهِ، وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً...».

والذي يظهر لي والله أعلم :

أن العدد كان يتراوح ما بين الأربعمائة والخمسمائة وألف، ومن قال غير ذلك فكأنه قرُب من العدد ولم يتقنه أو لم يعدّه الصحابة عدًّا مضبوطًا، وقد يكون بعضهم علم ما لم يعلم الأخر، فيكون الصواب مع من زاد .

=

مِنْهَا عَنْ عَشَرَةٍ على اختياره، فيكون المهلُّون سبع مائة، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يُهْدِيَ كُلُّهُمْ، وَلَا أَنْ يُحْرِمَ كُلُّهُمْ أَيْضًا، فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ طَائِفَةً مِنْهُمْ فِيهِمْ: أَبُو قَتَادَةَ، وَلَمْ يُحْرِمْ أَبُو قَتَادَةَ حَتَّى قَتَلَ ذَلِكَ الْحِمَارَ الْوَحْشِيَّ فَأَكَلَ مِنْهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَحَمَلُوا مِنْهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَثْنَاءِ الطريق فقال: هل منكم أَحَدٌ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهَا أَوْ أَشَارَ إِلَيْهَا؟ قَالُوا :لا ، فقال :كُلُوا مَا بَقِيَ من الحمار.

وقال الحافظ ابن حجرفي «الفتح»(٧/ ٤٤١)» بنحو مما قال ابن كثير رحمه الله .

والحديث المشار إليه في قصة الحمار الوحشي أخرجها البخاري (١٨٢٤) ومسلم (١١٩٦)وستأتي.

(١) البخاري برقم (٤١٥٧).

(٢) برقم (٤١٥٥).

(٣) برقم(١٨٥٨).

وقد حكى الحافظ في «الفتح» عن ابن دحية قال: «إِنَّ سَبَبَ الِاخْتِلَافِ فِي ذكر عَدَدِهِمْ أَنَّ بعض الَّذِي ذَكَرَ عَدَدَهُمْ لَمْ يَقْصِدِ التَّحْدِيدَ وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ بِالْحَدْسِ وَالتَّخْمِينِ وَاللهُ أَعْلَمُ»[١].

وَتُعُقِّبَ بِإِمْكَانِ الْجَمْعِ[٢].

❁ اصطياد حماراً وحشياً وهُم في الطريق

أخرج البخاري[٣] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، قَالَ: انْطَلَقَ أَبِي عَامَ الحُدَيْبِيَةِ، فَأَحْرَمَ أَصْحَابُهُ وَلَمْ يُحْرِمْ، وَحُدِّثَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ عَدُوًّا يَغْزُوهُ، فَانْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ، فَبَيْنَمَا أَنَا مَعَ أَصْحَابِهِ تَضَحَّكَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِحِمَارِ وَحْشٍ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَطَعَنْتُهُ، فَأَثْبَتُّهُ، وَاسْتَعَنْتُ بِهِمْ فَأَبَوْا أَنْ يُعِينُونِي، فَأَكَلْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَخَشِينَا أَنْ نُقْتَطَعَ، فَطَلَبْتُ النَّبِيَّ ﷺ، أَرْفَعُ فَرَسِي شَأْوًا وَأَسِيرُ شَأْوًا، فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ بَنِي غِفَارٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، قُلْتُ: أَيْنَ تَرَكْتَ النَّبِيَّ ﷺ؟ قَالَ: تَرَكْتُهُ بِتَعْهَنَ، وَهُوَ قَائِلٌ السُّقْيَا[٤]، فَقُلْتُ:

---

(١) «فتح الباري»(٧/ ٤٤١، ٤٤٤).

(٢) وانظر «فتح الباري» في الموطن الثاني بتصرُّف.

(٣) برقم (٢٨٢٦).

(٤) بتعهن: اسم لعين ماء في طريق مكة.

قايل السقيا: عازم أن يقيل في السقيا من القيلولة

يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَهْلَكَ يَقْرَءُونَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ وَرَحْمَةَ اللهِ، إِنَّهُمْ قَدْ خَشُوا أَنْ يُقْتَطَعُوا دُونَكَ فَانْتَظِرْهُمْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصَبْتُ حِمَارَ وَحْشٍ، وَعِنْدِي مِنْهُ، فَاضِلَةٌ؟ فَقَالَ لِلْقَوْمِ: «**كُلُوا**» وَهُمْ مُحْرِمُونَ.

ذلك أن المحرِم لا يصطاد - هو ممنوع من الصيد -

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ المائدة.

❁ تزكية الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا في الحديبية جميعاً

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ الفتح.

أخرج البخاري (١) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ: «**أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ**» وَكُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ.

أخرج مسلم (٢) عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ**».

---

(١) برقم (٤١٥٤).

(٢) برقم (٢٤٩٥).

وفي رواية [١] عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، يَقُولُ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم: ٧١] فَقَالَ ﷺ: قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: ٧٢].

والذين كانوا تحت الشجرة هم أهل الحديبية وسميت هذه المبايعة ببيعة الرضوان.

بيعة الرضوان

سُمِّيت بذلك لأن الله قد رضي عنهم بنص القرآن الكريم وكانت هذه المبايعة على الموت .

أخرج البخاري [٢] عَنْ سَلَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ثُمَّ عَدَلْتُ إِلَى ظِلِّ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا خَفَّ النَّاسُ قَالَ: «**يَا ابْنَ الأَكْوَعِ أَلاَ تُبَايِعُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**وَأَيْضًا**» فَبَايَعْتُهُ الثَّانِيَةَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تُبَايِعُونَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: عَلَى المَوْتِ.

وفي رواية : [٣] عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِسَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ:

---

(١) برقم (٢٤٩٦).

(٢) أخرجه البخاري(٢٩٦٠) ومسلم (١٨٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤١٦٩).

« عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ؟ قَالَ: عَلَى المَوْتِ ».

وعنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ الشَّجَرَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَايِعُ النَّاسَ، وَأَنَا رَافِعٌ غُصْنًا مِنْ أَغْصَانِهَا عَنْ رَأْسِهِ، وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، قَالَ: «لَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ، وَلَكِنْ بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ». (١)

والأمر قريب، كما لا منافاة بين هذا وبين ما أخرجه البخاري (٢) عن ابْن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: «رَجَعْنَا مِنَ العَامِ المُقْبِلِ فَمَا اجْتَمَعَ مِنَّا اثْنَانِ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي بَايَعْنَا تَحْتَهَا، كَانَتْ رَحْمَةً مِنَ اللهِ»، فَسَأَلْتُ نَافِعًا: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعَهُمْ، عَلَى المَوْتِ؟ قَالَ: «لاَ، بَلْ بَايَعَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ» والصبر بمعنى عدم الفرار .

❁ وقد عدُّوا ذلك فتحًا :

أخرج البخاري (٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح: ١]. قَالَ: الحُدَيْبِيَةُ.

وفي الصحيح (٤) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : «أَنَّ النَّاسَ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ تَفَرَّقُوا فِي ظِلاَلِ الشَّجَرِ، فَإِذَا النَّاسُ مُحْدِقُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ

---

(١) كما في رواية مسلم (١٨٥٨).

(٢) برقم (٢٩٥٨).

(٣)أخرجه البخاري (٤١٧٢).

(٤) برقم (٤١٨٧).

اللهِ، انْظُرْ مَا شَأْنُ النَّاسِ قَدْ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَوَجَدَهُمْ يُبَايِعُونَ، فَبَايَعَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عُمَرَ فَخَرَجَ فَبَايَعَ».

وفي صحيح مسلم [١] عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُ كَانَ آخِذًا بِأَغْصَانِ الشَّجَرَةِ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ أَبُو سِنَانٍ وَهُوَ وَهْبُ بْنُ مِحْصَنٍ أَخُو عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ.

وقت بيعة الرضوان تحديداً وذكر أول من بايع

أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه ..وفيه قال:وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَمَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ اليُمْنَى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ - فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ - هَذِهِ لِعُثْمَانَ»... [٢]

وقد ذكر ابن إسحاق [٣] بسند فيه انقطاع أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ: لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ، فَدَعَا رَسُولُ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ.

ثم أُتى أن الذي أشيع عن أمر قتل عثمان رضي الله عنه باطل.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

فخَرَجَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ، أَوْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا، فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

---

(١) برقم(١٨٥٨).

(٢) برقم ٤٠٦٦.

(٣) كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٣١٥).

فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ، فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ حِينَ فَرَغَ مِنْ رِسَالَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ: إِنْ شِئْتُ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ ﷺ وَاحْتَبَسَتْه قُرَيْشٌ عِنْدَهَا، فَبَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَدْ قُتِلَ[1].

فضل من شهد بيعة الرضوان

تقدم قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ الفتح.

وأخرج مسلم[2] عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ».

وعنده[3] عن أُم مُبَشِّرٍ رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ:

«لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا}

---

(١) هذا كما تري ليس له إسناد – فيما وقفت عليه – إنما حكاه عنه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/ ٣١٥) عنه.

(٢) برقم (٢٤٩٥).

(٣) برقم (٢٤٩٦).

[مريم: ٧١] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: ٧٢].

وسيأتي لما انكشف المسلمون يوم حُنَين قال قال رسول الله ﷺ:

«**أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ**»...[١] أي: يا أصحاب الشجرة، وأصحاب بيعة الرضوان- وسيأتي – لأنهم عُرِفُوا بذلك لعظمة ما قاموا به.

❁ وكان الصحابة رضي الله عنهم يَعرفون قدر بيعة الرضوان فيكرمون أبناءهم تكريمًا لأبائهم

فأخرج البخاري[٢] الرواية وفيها: قال أسلم :خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه إِلَى السُّوقِ، فَلَحِقَتْ عُمَرَ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، هَلَكَ زَوْجِي وَتَرَكَ صِبْيَةً صِغَارًا، وَاللهِ مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعًا، وَلاَ لَهُمْ زَرْعٌ وَلاَ ضَرْعٌ، وَخَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمُ الضَّبُعُ، وَأَنَا بِنْتُ خُفَافِ بْنِ إِيْمَاءَ الغِفَارِيِّ، «وَقَدْ شَهِدَ أَبِي الحُدَيْبِيَةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ».

فَوَقَفَ مَعَهَا عُمَرُ وَلَمْ يَمْضِ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرٍ ظَهِيرٍ كَانَ مَرْبُوطًا فِي الدَّارِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ مَلَأَهُمَا طَعَامًا، وَحَمَلَ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَابًا، ثُمَّ نَاوَلَهَا بِخِطَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتَادِيهِ، فَلَنْ يَفْنَى حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللهُ بِخَيْرٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَكْثَرْتَ لَهَا؟ قَالَ عُمَرُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَاللهِ

---

(١) كما في صحيح مسلم (١٧٧٥).

(٢) برقم (٤١٦٠).

إِنِّي لَأَرَى أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَا، قَدْ حَاصَرَا حِصْنًا زَمَانًا فَافْتَتَحَاهُ، ثُمَّ أَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ سُهْمَانَهُمَا فِيهِ.

❁ وكذا التابعون إلى فضلهم ينظرون :

فعَنِ العَلاَءِ بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَقِيتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ ﷺ، فَقُلْتُ: «طُوبَى لَكَ، صَحِبْتَ النَّبِيَّ ﷺ وَبَايَعْتَهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثْنَا بَعْدَهُ»[1].

تخلُف عثمان ﷺ عن البيعة وسبب ذلك

قَالَ رجل : يَا ابْنَ عُمَرَ، إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَسَهْمَهُ**» وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ اليُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**». فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**» فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ[2].

---

(١) أخرج البخاري (٤١٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٨).

❁ خفاء الشجرة التى بايعوا تحتها على جُلّ الصحابة رضي الله عنهم

والحمد لله الذي له الحكمة البالغة رَحِمَ عباده .

ففي صحيح البخاري (١) قول سعيد بن المسيب عن أبيه«أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَرَجَعْنَا إِلَيْهَا العَامَ المُقْبِلَ فَعَمِيَتْ عَلَيْنَا ».

وقَالَ جَابِرٌ: «لَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ لَأَرَيْتُكُمْ مَوْضِعَ الشَّجَرَةِ »(٢).

وفي صحيح مسلم (٣)عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: «كَانَ أَبِي مِمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺعِنْدَ الشَّجَرَةِ»، قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا فِي قَابِلٍ حَاجِّينَ، فَخَفِيَ عَلَيْنَا مَكَانُهَا، فَإِنْ كَانَتْ تَبَيَّنَتْ لَكُمْ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ».

تحبيش كفار قريش لرسول الله ﷺ والمؤمنين

أخرج البخاري(٤) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ، يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ قَالاَ:

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺعَامَ الحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا أَتَى ذَا الحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ الهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ، وَسَارَ

---

(١) برقم (٤١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٥٤) ومسلم (١٨٥٦).

(٣) برقم (١٨٥٩).

(٤) برقم (٤١٧٨).

النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ، وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ:

«أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ البَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ المُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا البَيْتِ، لاَ تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلاَ حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ، قَالَ:

«امْضُوا عَلَى اسْمِ اللهِ».

❁ الطريق الذي سار فيه النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية من أول عسفان(طريق ذات الحنظل)[1].

أخرج البزار بإسنادٍ يُحسن[2] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِعُسْفَانَ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ عُيُونَ الْمُشْرِكِينَ الآنَ عَلَى

---

(١) وهي ثنية بالحجاز، وقيل موضع في ديار بني أسد .

(٢) كما في «كشف الأستار»(١٨١٢) .

وقد ذكر ابن سعد في «طبقاته الكبري»(٤/ ٢٣٨)دار الكتب العلمية ترجمة عمرو بن عبدنهم،قال : عمرو بن عبدنهم الأسلمي. خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهﷺ إِلَى الحديبية وكان دليله على طريق ثنية ذات الحنظل. انطلق أمام رسول الله ق بأمره حَتَّى وقف به عليها، فقال رسول اللهق:« وَالَّذِي نفسي

ضَجْنَانَ، **فَأَيُّكُمْ يَعْرِفُ طَرِيقَ ذَاتَ الْحَنْظَلِ؟**» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَمْسَى: «**هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَنْزِلُ فَيَسْعَى بَيْنَ يَدَيِ الرِّكَابِ؟**»

فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَنَزَلَ، فَجَعَلَتِ الْحِجَارَةُ تَنْكُبُهُ، وَالشَّجَرُ يَتَعَلَّقُ بِثِيَابِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْكَبْ**» ، ثُمَّ نَزَلَ آخَرُ، فَجَعَلَتِ الْحِجَارَةُ تَنْكُبُهُ، وَالشَّجَرُ يَتَعَلَّقُ بِثِيَابِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْكَبْ**» ، ثُمَّ وَقَعْنَا عَلَى الطَّرِيقِ، حَتَّى سِرْنَا فِي ثَنِيَّةٍ يُقَالُ لَهَا: الْحَنْظَلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِثْلُ هَذِهِ الثَّنِيَّةِ إِلا كَمَثَلِ الْبَابِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، قِيلَ لَهُمْ: {ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ}** [البقرة: ٥٨] ، لا يَجُوزُ أَحَدٌ اللَّيْلَةَ هَذِهِ الثَّنِيَّةَ إِلا غُفِرَ لَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُسْرِعُونَ وَيَجُوزُونَ، وَكَانَ آخِرُ مَنْ جَازَ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ فِي آخِرِ الْقَوْمِ، قَالَ: فَجَعَلَ النَّاسُ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى تَلَاحَقْنَا، قَالَ: فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَنَزَلْنَا.

❁ سياق قصة الحديبية بطولها كما في «الصحيح»[(١)]

عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالاَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ**[(١)]**، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ**»

=

بيده ما مثل هَذِهِ الثنية الليلة إلّا مثل الباب الَّذِي قَالَ الله لبني إِسْرَائِيل ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ. وقال: لا يجوز هَذِهِ الثنية الليلة أحد إلّا غفر له» .

(١) برقم (٢٧٣١)

فَوَاللهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الجَيْشِ [٢]، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ [٣] نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ [٤] عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ [٥] فَأَلَحَّتْ [٦]، فَقَالُوا: خَلأَتْ القَصْوَاءُ، خَلأَتْ القَصْوَاءُ [٧]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا خَلأَتْ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ [٨]، وَلَكِنْ حَبَسَهَا [٩] حَابِسُ الفِيلِ**»

ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ [١٠] إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**».

=

(١) طليعة: مقدمة الجيش

(٢) بقترة الجيش: الغبار الأسود الذي أثارته حوافر خيل الجيش.

(٣) **يركض**: من الركض وهو الضرب بالرجل على الدابة لاستعجالها في السير.

(٤) بالثنية: هي الطريق في الجبل وقيل هي موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية.

(٥) حل حل: صوتٌ تزجر به الدابة لتحمل على السير.

(٦) فألحت: لزمت مكانها ولم تنبعث.

(٧) خلأت: حزنت وتصعبت. والقصواء من القصو وهو قطع طرف الأذن سميت به ناقة رسول الله ﷺ لأن طرف أذنها كان مقطوعاً.

(٨) بخلق: بعادة.

(٩) حابس الفيل: الله تعالى الذي حبس الفيل حين جيء به لهدم الكعبة.

(١٠) يعظمون فيها حرمات الله: يكفون فيها عن القتال تعظيما لحرم الله تعالى.

ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ [١] حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلٍ [٢] المَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا [٣]، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ [٤] حَتَّى نَزَحُوهُ [٥] وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ العَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللهِ مَا زَالَ يَجِيشُ [٦] لَهُمْ بِالرِّيِّ [٧] حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ [٨]، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ [٩]، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ [١٠] مِيَاهِ الحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمُ العُوذُ. [١١]

---

(١) فعدل عنهم: ولَّى راجعاً.

(٢) ثمد: حفرة فيها ماء قليل.

(٣) يتبرضه: يأخذونه قليلاً قليلاً.

(٤) فلم يلبثه: لم يتركوه يثبت ويقيم.

(٥) نزحوه: لم يبقوا منه شيئاً.

(٦) يجيش: يفور.

(٧) بالري: ما يرويهم من الماء.

(٨) صدروا عنه: رجعوا عنه.

(٩) عيبة نصح: محل نصحه وموضع سره وأمانته، والعيبة في الأصل ما يوضع فيه الثياب لحفظها والنصح الخلوص من الشوائب.

(١٠) أعداد: جمع عد وهو الماء الذي لا انقطاع له والمراد الكثرة.

(١١) العوذ: النوق التي ولدت حدثيا فهي ذات لبن.

المَطَافِيلُ [١]، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ [٢]عَنِ البَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ[٣]، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً[٤]، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ[٥]:

فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا[٦]، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي [٧]، وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ»، فَقَالَ بُدَيْلٌ:

سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لاَ حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ،

---

(١) المطافيل: النوق التي معها أولادها وأصله الأمهات التي معها أطفالها

والمراد من قوله :معهم العوذ المطافيل: أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان يتزودون من ألبانها ،ولا يرجعون حتى يناجزوا رسول الله ﷺ ويمنعوه من الدخول إلى مكة.

(٢) صادوك: مانعوك.

(٣) أنهكتهم: أضعفت قوتهم وأموالهم وأهزلتهم.

(٤) ماددتهم مدة: جعلت بيني وبينهم مدة صلح وهدنة.

(٥) أظهر: غلبت عليهم.

(٦) جموا: استراحوا من جهد الحرب.

(٧) تنفرد سالفتي: ينفصل مقدم عنقي أي حتى أقتل.

قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، أَلَسْتُمْ بِالوَالِدِ[1]؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ:

أَوَلَسْتُ بِالوَلَدِ[2]؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ:

أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ، فَلَمَّا بَلَّحُوا[3] عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ، قَالُوا:ائْتِهِ، فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ:

أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ اجْتَاحَ[4] أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى

---

(١) بالوالد: مثل الوالد في الشفقة والمحبة.

(٢) بالولد: مثل الولد في النصح لوالده.

(٣) بلحوا: امتنعوا.

(٤) اجتاح: أهلك واستأصل.

أَوْشَابًا [١] مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا [٢] أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ [٣]، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟

قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي [٤] لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ، قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ المِغْفَرُ [٥]، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ [٦]، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟ وَكَانَ المُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ

---

(١) أوباشاً: أخلاطاً.

(٢) خليقاً: حقيقاً.

(٣) امصص ببظر اللات: البظر قطعة لحم بين جانبي فرج المرأة ،وقيل غير ذلك، وكان من عادة العرب أن يقولوا لمن يسبُّونه أو يشتمونه:امصص بظر أمه ،فاستعار أبو بكر رضي الله عنه ذلك في اللات لتعظيمهم إياها، فقصد المبالغة في سَبِّه، واللات اسم لصنم من أصنام قريش أو أنصابهم.

(٤) يد كانت لك: نعمة لك علي، لم أجزك بها لم أكافئك عليها.

(٥)المغفر: ما يوضع على الرأس تحت الخوذة من زرد منسوج ويسدل على الوجه ليحميه من ضربات السلاح.

(٦) غدر: يا غدر وهو صيغة مبالغة من الغدر.

ﷺ: «أَمَّا الإِسْلامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا المَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ[١] أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ:

فَوَاللهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، =

وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ[٢] مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً[٣] إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ[٤]، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ[٥] إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ[٦]:

---

(١) يرمق: يلحظ.

(٢) إن رأيت: ما رأيت.

(٣) تَنَخَّم: أخرج نُخامة وهي ما يخرج من الصدر إلى الفم.

(٤) ابتدروا أمره: أسرعوا في تلبيته وتنفيذه.

(٥) يحدُّون: من الإحداد وهو شدة النظر أي لا يتأملونه ولا يديمون النظر إليه.

(٦) رجل: هو الحُليس بن علقمة الحارثي.

دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا فُلاَنٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ**[1]، **فَابْعَثُوهَا لَهُ**» [2]

فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلاَءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ البُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ**».

فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو[3]، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**» قَالَ مَعْمَرٌ:

قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**»، قَالَ سُهَيْلٌ:

---

(١) يعظمون البدن: أي لا يستحلونها ولا يعتدون عليها والبدن جمع بدنة وهي ما يهدى للحرم من الإبل أو البقر.

(٢) فابعثوها له: أثيروها أمامه.

(٣) وقد كان أسيراً يوم بدر كما تقدَّم.

أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ المُسْلِمُونَ:

وَاللهِ لاَ نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ**» ثُمَّ قَالَ:

«**هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**».

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ البَيْتِ، وَلاَ قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ**» - قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «**لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**» - فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَطُوفَ بِهِ**».

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لاَ تَتَحَدَّثُ العَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً[1]، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، قَالَ المُسْلِمُونَ:

سُبْحَانَ اللهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى المُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ، [2]وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ

---

(١) ضغطة: مفاجأة وقهراً.

(٢) يرسف: يمشي مشياً بطيئاً بسبب القيود.

حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ المُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**إِنَّا لَمْ نَقْضِ الكِتَابَ بَعْدُ**»، قَالَ: فَوَاللهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَجِزْهُ لِي**»، قَالَ:

مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: «**بَلَى فَافْعَلْ**»، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى المُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللهِ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ:

فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا، قَالَ: «**بَلَى**»، قُلْتُ:

أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ، قَالَ:

«**بَلَى**»، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ [1] فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ:

«**إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي**».

قُلْتُ:

أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ:

«**بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ**»، قَالَ: قُلْتُ:

لاَ، قَالَ: «**فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ**»، قَالَ:

---

(١) الدنية: النقيصة والمذلة.

فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ:

بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ:

أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ[1]، فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَى الحَقِّ، قُلْتُ:

أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ:

بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ، - قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ -:

فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا[2]، قَالَ:

---

(١) بغرزه: ما يكون للإبل بمنزلة الركاب للفرس والمعنى تمسك بأمره ولا تخالفه.

(٢) واضح أن مقولة عمر رضي الله عنه هذه – وإن كانت لائقة به - سندها منقطع، فإن بين الزُّهري وبين عمر رضي الله عنه مفَاوز والله أعلم وسيأتي أن عمر لما ظهر منة الاعتراض على صلاة رسول الله ﷺ على ابن سلول لما مات قال عمر رضي الله عنه: « فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَتُصَلِّي عَلَى عَدُوِّ اللهَّ عَبْدِ اللهَّ بْنِ أَبَيٍّ بن سَلُولَ؟ الْقَائِلِ كَذَا يَوْمَ كَذَا، وَالْقَائِلِ كَذَا يَوْمَ كَذَا؟ أُعَدِّدُ أَيَّامَهُ، وَرَسُولُ اللهَّ ﷺ يَتَبَسَّمُ حَتَّى إِذَا أَكْثَرْتُ قَالَ: «**يَا عُمَرُ، أَخِّرْ عَنِّي، إِنِّي قَدْ خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، قَدْ قِيلَ لِي: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ فَلَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ، لَزِدْتُ**». قَالَ: ثُمَّ صلى الله عَلَيْهِ رَسُولُ اللهَّ ﷺ وَمَشَى مَعَهُ حَتَّى قَامَ عَلَى قَبْرِهِ، حَتَّى فُرِغَ مِنْهُ. قَالَ: فَعَجِبْتُ لِي وَلِجُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ». وسند هذا حسن يأتي في وفاة ابن سلول- قبَّحة الله – فعمر رضي الله عنه أهل لكل فضيلة، فلا يبعد أن يكون عمل لذلك أعمالاً.

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ[١]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ:

«قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا».

قَالَ: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ:

يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ [٢]فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا[٣] غَمًّا[٤]، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ[٥]} [الممتحنة: ١٠] حَتَّى بَلَغَ بِعِصَمِ الكَوَافِرِ[٦] فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ، كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَالأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، ثُمَّ

---

(١) قضية الكتاب: كتابة العهد والإشهاد عليه.

(٢) حالقك: هو خراش بن أمية الخزاعي.

(٣) يقتل بعضنا: من شدة الازدحام على النحر والحلق.

(٤) غمًّا: حزناً على عدم المبادرة للامتثال.

(٥) فامتحنوهن: فاختبروهن.

(٦) بعصم الكوافر: بعصم جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد الزواج .

والكوافر: جمع كافرة والمراد المشركة، والمعنى : لا تقيموا على نكاحهن ،ولا تتمسكوا بالزوجية بينكم وبينهن.

رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا:

العَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا(١)، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ(٢)، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ(٣) جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ(٤)الآخَرُ(٥)، فَقَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ، فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ(٦)، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ (٧)، وَفَرَّ الآخَرُ حَتَّى أَتَى المَدِينَةَ، فَدَخَلَ المَسْجِدَ يَعْدُو، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُ:

«**لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا**»(٨).

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

---

(١) العهد الذي جعلت لنا: أي نطالبك بالوفاء بالعهد الذي أعطيته لنا، وهو أن ترد إلينا من جاءك منا ولو كان مسلماً.

(٢) رجلان: هما خنيس بن جابر ومولى يقال له كوثر ، والذي أرسلهما في طلبه الأخنس بن شريق.

(٣) فلان: هو خنيس.

(٤) فاستله: أخرجه من غمده.

(٥) الآخر: صاحب السيف.

(٦) فأمكنه منه: أعطاه إياه بيده حتى تمكن منه.

(٧) بَرَد: كناية عن أنه مات لأن البرودة تلزم عن الموت.

(٨) ذعراً: فزعاً وخوفاً.

قُتِلَ وَاللهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ[١]، فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، قَدْ وَاللهِ أَوْفَى اللهُ ذِمَّتَكَ[٢]، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللهُ مِنْهُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**وَيْلُ أُمِّهِ**[٣] **مِسْعَرَ حَرْبٍ**[٤]، **لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ**»[٥] فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ البَحْرِ[٦] قَالَ:

وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لاَ يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ[٧] فَوَاللهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ[٨] خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللهِ[٩] وَالرَّحِمِ[١٠]، لَمَّا أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ

---

(١) وإني لمقتول: سيقتلني إن لم تردوه عني.

(٢) قد والله أوفى الله ذمتك: ليس عليك عتاب منهم فيما صنعت أنا.

(٣) ويل أمه: الويل العذاب وهي كلمة أصلها دعاء عليه ولكنها استعملت هنا للتعجب من عمله.

(٤) مسعر حرب: محرك لها وموقد لنارها والمسعر في الأصل العود الذي تحرك به النار.

(٥) لو كان له أحد: أي لو وجد معه أحد ينصره ويعاضده.

(٦) سيف البحر: ساحله.

(٧) عصابة: جماعة أربعون فما فوق.

(٨) بعير: بخبر عير وهي القافلة من الإبل المحملة بالبضائع والأموال.

(٩) تناشده: تسأله وتطلب منه بإلحاح.

(١٠) الرحم: القرابة أي يسألونه بحق الله تعالى وبحق القرابة بينهم وبينه.

أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ [١] مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} [٢] [الفتح: ٢٤] حَتَّى بَلَغَ {الحَمِيَّةَ [٣] حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ} [الفتح: ٢٦] وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ، وَلَمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ البَيْتِ [٤].

موقف فاشل من مواقف كفار قريش المخزية الخائبة

أخرج مسلم [٥] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه «أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ، يُرِيدُونَ غِرَّةَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَأَخَذَهُمْ سِلْمًا [٦] فَاسْتَحْيَاهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} [الفتح: ٢٤] ».

---

(١) ببطن مكة: داخل مكة وهي الحديبية لأنها من الحرم.

(٢) أظفركم عليهم: خولكم النصر والغلبة عليهم.

(٣) (الحمية) الأنفة فمنعوكم من دخول المسجد الحرام.

(٤) قَالَ البخاري عقب الآيات في تفسير مفرداتها: « مَعَرَّةٌ العُرُّ: الجَرَبُ، تَزَيَّلُوا: تَمَيَّزُوا، وَحَمَيْتُ القَوْمَ: مَنَعْتُهُمْ حِمَايَةً، وَأَحْمَيْتُ الحِمَى: جَعَلْتُهُ حِمًى لاَ يُدْخَلُ، وَأَحْمَيْتُ الحَدِيدَ وَأَحْمَيْتُ الرَّجُلَ: إِذَا أَغْضَبْتَهُ إِحْمَاءً».

(٥)برقم (١٨٠٨)

(٦) سلماً : أي أسراً،وهذا يدلك على يقظة قيادة جيش المسلمين، وهذا مما ينبغي أن تكون عليه القيادة.

أي انقادوا إلى المسلمين ، وأُخذوا قهراً، وأسلموا أنفسهم عجزاً، فرضوا بالأسر، فكأنهم قد صولحوا على ذلك.

ومحتمل أن يكون ذلك قبل الحديبية، وهو سبب رضا كفار قريش بالصُّلح.

وفي ذلك يقول حسان الشعر متمدِّحاً لنفسه لما أرسلوا إليه يقول الشعر في قريش لكونه أشد عليهم من النبل قال :

فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَقَالَ اللهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ

وَقَالَ اللهُ: قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ... وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ[1].

مبحث مهمّ في اهتمام النبي ﷺ بتعليم التوحيد وأبواب من العلم في وسط مثل هذه الأجواء العصيبة

❁ أخرج البخاري[2] وغيره عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه ، أَنَّهُ قَالَ:

(١) كما في صحيح مسلم (٢٤٩٠).

(٢) برقم (٤١٤٧) ومسلم (٧١).

صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ**»؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:« **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**[1]، **فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ** ».فهذا كان في أيام الحديبية.

❁ **وكان ﷺ يعلمهم المسائل الفقهية – والحالة هذه – .**

في الصحيح [2]عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَآهُ وَقَمْلُهُ يَسْقُطُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: «**أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَحْلِقَ، وَهُوَ بِالحُدَيْبِيَةِ، لَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ أَنَّهُمْ يَحِلُّونَ بِهَا، وَهُمْ عَلَى طَمَعٍ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ الفِدْيَةَ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَنْ يُطْعِمَ فَرَقًا بَيْنَ سِتَّةِ مَسَاكِينَ، أَوْ يُهْدِيَ شَاةً، أَوْ يَصُومَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ».

ونزلت الآية .

بل في أثناء الإغارة على خيبر ينادي منادي رسول الله ﷺ:« فَلَجَئُوا إِلَى الحِصْنِ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ وَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ**»، وَأَصَبْنَا حُمُرًا، فَطَبَخْنَاهَا، فَنَادَى مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ، فَأُكْفِئَتْ القُدُورُ بِمَا فِيهَا.[3]

---

(١) والنوء : هو منزل القمر ، كانوا : يقولون :مطرنا بنوء كذا ، وسقينا بنوء كذا .

(٢)برقم (٤١٥٩)

(٣) أخرجه البخاري(٢٩٩١).

في هذه الأجواء يعلِّمهم المنهيات والمأمورات؟!

❁ وفي غزوة خيبر

لما توجَّه رسول الله ﷺ أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير، الله أكبر، الله أكبر ، لا إله إلا الله :

قال أبو مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ**»، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ لِي: «**يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ**». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: «**لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[1].

فمع الأحوال العصيبة في الحروب ورسول الله ﷺ يعلِّمهم الأحكام العملية، ويعلِّمهم العقيدة ، وكيف تكون الأذكار ، فلا ينفك عن هذا في وقت دون وقت .

❁ وفي غزوة أخري :

يُعلِّق على رجل كان لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقِيلَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ**

(١) أخرجه البخاري(٤٢٠٥) ومسلم (٢٧٠٤)

أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ:

فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ سَيْفَهُ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ:

«**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».[1]

❁ وفي موطن آخر يعلِّق على مثله :

في غزوة خيبر قال بمثله، ثُمَّ أَمَرَ بِلاَلًا فَنَادَى بِالنَّاسِ: «**إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**»[2].

يعلِّمهم الايمان بالقدر، والاخلاص، وعدم الاغترار بالعمل الصالح ...في ظل هذه الأجواء.

❁ وفي صحيح البخاري[1] في يوم خيبر قال ابن عمر رضي الله عنه :

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٢)

(٢) أخرجه البخاري(٣٠٦٢).

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ أَكْلِ الثُّومِ، وَعَنْ لُحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ» .

وفي حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ لُحُومِ الحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ».[٢]

مع ما أصابهم يومها من المجاعة ،ورخَّص لهم في الخيل .[٣]

❁ علمهم يوم خيبر أحكامًا عملية تتعلَّق بالبيوع .

عن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ، يَقُولُ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِخَيْبَرَ بِقِلَادَةٍ فِيهَا خَرَزٌ وَذَهَبٌ، وَهِيَ مِنَ الْمَغَانِمِ تُبَاعُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالذَّهَبِ الَّذِي فِي الْقِلَادَةِ فَنُزِعَ وَحْدَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَزْنًا بِوَزْنٍ**»[٤]

❁ فما كانوا يتركون التعلم في وقت أبداً، لا الأحكام العملية ولا الاعتقادية

...

❁ وفي صحيح البخاري[٥] يوم خيبر النهي عن أكل الثوم.

=

(١) برقم (٤٢١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢١٦).

(٣) راجع صحيح البخاري (٤٢١٩/ ٤٤٢٠).

(٤) أخرجه مسلم (١٥٩١).

(٥) برقم (٤٢١٥).

❁ وفي صحيح مسلم [١] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نهي رسول الله ﷺ عن متعة النساء يوم خيبر .

❁ وعند عبد الرزاق وابن ماجة وغيرهما [٢] بسند حسن عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ الْحَكَمِ ، قَالَ: أَصَبْنَا يَوْمَ خَيْبَرَ غَنَمًا فَانْتَهَبَهَا النَّاسُ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَقُدُورُهُمْ تَغْلِي ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: نُهْبَةٌ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: «**أَكْفِئُوهَا فَإِنَّ النُّهْبَةَ لا تَحِلُّ ، فَكَفَئُوا مَا بَقِيَ فِيهَا**».

فلينظر من يقولون كتِّل ثم ثقِّف أين هم من هذا....!

ولينظر من يقسِّمون الدين إلى لُبٍّ وقشور أين هم من هذا؟!

ولينظر من يأمرون بوقف التعليم وقت الدعوة للإنتخابات وحفظ القرآن

واجب الوقت عندهم: (الانتخابات البرلمانية وتحقيق الديمقراطية وتنشيط الدعوة للانضمام إلى الأحزاب السياسية التي هي منازعات للأمراء، والمسارعة إلى الكراسي... والله المستعان .

ثم يطلبون مع ذلك تحقيق شريعة..ماهذا ؟!

تسديد الله لنبيِّه ﷺ والصحابة رضي الله عنهم

في وقعة الحديبية وتسهيل الله لهم أمورهم

---

(١) برقم (١٤٠٧).

(٢) «المصنف»عبد الرزاق (١٨٨٤١)و«السنن»لابن ماجة (٣٩٣٨)و«الأحاد والمثاني»(٩٣٥) لابن أبي عاصم.

أخرج البخاري[١] عن أبي حَصِينٍ قَالَ: قَالَ أَبُو وَائِلٍ: لَمَّا قَدِمَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ﷺ مِنْ صِفِّينَ[٢] أَتَيْنَاهُ نَسْتَخْبِرُهُ، فَقَالَ:

«اتَّهِمُوا الرَّأْيَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمْرَهُ لَرَدَدْتُ، وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، وَمَا وَضَعْنَا أَسْيَافَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا لِأَمْرٍ يُفْظِعُنَا إِلَّا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ قَبْلَ هَذَا الأَمْرِ، مَا نَسُدُّ مِنْهَا خُصْمًا إِلَّا انْفَجَرَ عَلَيْنَا خُصْمٌ مَا نَدْرِي كَيْفَ نَأْتِي لَهُ».

ذلك أن الكثير كان يسعون للصلح بين المسلمين، ولكن كلما فتحوا بابًا للصلح أُغلق، وانفتحت أبواب تمنعه، بل وتجلب ضدَّه، فحَدَّثهم ﷺ بما حصل لهم يوم صلح الحديبية من تسهيل الله لهم، وتسديده لأفعالهم ورعايته لشؤونهم، وما ذلك إلا لاتباع الهدي النبوي،فلو اتبعوا رسول الله ﷺ يوم صفِّين لسَهُل لهم أمرهم وتم الصلح الذي في مصلحتهم، كما حصل لهم يوم صلح الحديبية، وقد كان فيه مصلحتهم، والسنة لا تُتَّهم وإنما الآراء هي التي تُتهم فليعودوا على أنفسهم باللوم، هذا المراد من قول سهل ﷺ .

والشاهد: تسهيل الله لأمرهم وتسديده لهم يوم الحديبية ..

❁ الكرامات التي أجراها الله لنبيه ﷺ في صلح الحديبية

---

(١) برقم (٤١٨٩).

(٢) يوم الحرب التي كانت بين طائفتي علي ومعاوية ﷺ يوم موقعة صفين لما كثر القتلى بين الفريقين والله المستعان .

من ذلك : ما أخرجه البخاري[١] عَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه ، قَالَ: تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ،[٢] كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وَالحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ، فَنَزَحْنَاهَا فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَاهَا، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا ثُمَّ «دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَدَعَا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا، فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرِكَابَنَا».

وأخرج البخاري[٣] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما ، قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ، فَجَهِشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ:«**مَا لَكُمْ** ؟» قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلاَ نَشْرَبُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، كَأَمْثَالِ العُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً.

وفي قصة الحديبية فوائد كثيرة،الاستفاضة فيها يطول ، تحتمل مؤلفـًا مستقلاً لسنا بصدد سردِها الآن .

---

(١) أخرجه (٤١٥٠).

(٢) يَقُولُ الزُّهْرِيِّ: فَمَا فُتِحَ فِي الْإِسْلَامِ فَتْحٌ قَبْلَهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ، إِنَّمَا كَانَ الْقِتَالُ حَيْثُ الْتَقَى النَّاسُ، فَلَمَّا كَانَتْ الْهُدْنَةُ، وَوُضِعَتْ الْحَرْبُ، وَآمَنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالْتَقَوْا فَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمُنَازَعَةِ، فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدٌ بِالْإِسْلَامِ يَعْقِلُ شَيْئًا إِلَّا دَخَلَ فِيهِ، وَلَقَدْ دَخَلَ فِي تِينِكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلُ مَنْ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ.حكاه ابن هشام في «السيرة »(٢/ ٣٢٢).

(٣) برقم (٣٥٧٦).

❁ ومن الكرامات التي كانت لرسول الله ﷺ في هذه الغزوة ، إطلاع الله نبيَّهﷺ على سلوك الطريق الأكثر أمنًا للمسلمين :

وذلك أن رسول الله ﷺ والصحابة لما كانوا ببعض الطريق قال رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ**».

فَوَاللهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا: خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**مَا خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ**[(١)]**، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ**[(٢)]».

ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً**[(٣)] **يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ**[(٤)] **إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**».

ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ المَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ

(١) بخُلق: بعادة.

(٢) حبسها: منعها من السير ودخول مكة.وحابس الفيل: الله تعالى الذي حبس الفيل حين جيء به لهدم الكعبة.

(٣) خطة : حالة وقضية.

(٤) يعظمون فيها حرمات الله: يكفون فيها عن القتال تعظيما لحرم الله تعالى.

اللهِ ﷺ العَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ... (١)

❁ سبب عدم إسراع الصحابة في تنفيذ أمر رسول الله حينما قال: « قُومُوا فَانحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا ». (٢)

الظاهر: أنهم كانوا رضي الله عنهم يشكُّون في استقرار الأمر ،يظنون أن الأمر يمكن أن يتغيَّر ويأتي أمر جديد مخالف إلى ما كانوا يحبون أو يهوون .

يدل على ذلك ما أخرجه ابن إسحاق (٣) قال : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: حَلَقَ رِجَالٌ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَقَصَّرَ آخَرُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **يَرْحَمُ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ** ».

قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « **يَرْحَمُ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ** »، قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « **يَرْحَمُ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ** »، قَالُوا:

وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « **وَالْمُقَصِّرِينَ** »، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ: فَلِمَ ظَاهَرْتَ التَّرْحِيمَ لِلْمُحَلِّقِينَ دُونَ الْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: « **لَمْ يَشُكُّوا** ». (٤)

---

(١) صحيح أخرجه البخاري(٢٧٣٢، ٢٧٣١).

(٢) مع أن عروة بن مسعود وصفهم فقال: «وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ».

(٣) كما في « السيرة »لابن هشام (٢/ ٢٨٧).

(٤) وإسناده حسن، وأخرجه أحمد (٢٣٦٢) وأبو داود (١٧٤٩) وصرَّح ابن إسحاق بالتحديث كما رأيت ، فانتفت تُهمة تدليسه.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ[١]: حَدَّثَنِي مُجَاهِدٌ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَهْدَى عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي هَدَايَاهُ جَمَلًا لِأَبِي جَهْلٍ، فِي رَأْسِهِ بُرَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ، يَغِيظُ بِذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ.

❁ ما حدث بعد إبرام الصلح

أخرج مسلم[٢] عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه وهو يحكي الصلح قال: «ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَاسَلُونَا الصُّلْحَ حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ، وَاصْطَلَحْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ تَبِيعًا لِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ أَسْقِي فَرَسَهُ، وَأَحُسُّهُ، وَأَخْدِمُهُ، وَآكُلُ مِنْ طَعَامِهِ، وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، قَالَ:

فَلَمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، أَتَيْتُ شَجَرَةً فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا، قَالَ:

فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَجَعَلُوا يَقَعُونَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَبْغَضْتُهُمْ، فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى، وَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ وَاضْطَجَعُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي، يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، قُتِلَ ابْنُ زُنَيْمٍ، قَالَ: فَاخْتَرَطْتُ سَيْفِي، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَى أُولَئِكَ الْأَرْبَعَةِ وَهُمْ رُقُودٌ، فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ، فَجَعَلْتُهُ ضِغْثًا فِي يَدِي، قَالَ:

---

(١) يعني بالإسناد السالف وهو حسن كما قلت والله أعلم.

(٢) في «صحيحه»(١٨٠٧).

ثُمَّ قُلْتُ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ، لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسُوقُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ:

وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ، يُقَالُ لَهُ: مِكْرَزٌ يَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى فَرَسٍ، مُجَفَّفٍ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**دَعُوهُمْ، يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ، وَثِنَاهُ**»، فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنْزَلَ اللهُ: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} [الفتح: ٢٤].(١)

❁ من فوائد هذا الصلح ـ صلح الحديبية ـ للمسلمين :

(١) وانظر الفارق: موقف سهيل بن عمرو لما كان كافراً : لم يترك ولده أبا جندل لرسول الله، ورسول الله ﷺ يستسمحه، دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ق: «**إِنَّا لَمْ نَقْضِ الكِتَابَ بَعْدُ**»، قَالَ: فَوَاللهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَجِزْهُ لِي**»، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: «**بَلَى فَافْعَلْ**»، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللهِ...كما في صحيح البخاري (٢٧٣١).

ولكن هنا:فمع ما عملوا بعد إبرام الصُّلح يقول ﷺ: «**دعوهم** ...» وفي كل هذا حِكم،ولاضيم ولا دنيّة فيه...وقد تقَدَّم أنهم أمسكوا بثمانين رجلاً هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم مسلَّحين يريدون غرَّة النبي ﷺ كما في صحيح مسلم (١٨٠٨)، فأخذهم أسرىٰ واستحياهم .

أي: استبقاهم وتركهم أحياءً، ولم يقتلهم، وفي رواية: «فأعتقهم» فليست مواقفه ﷺ العظيمة الرفيعة كمواقف الكفار، فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

الناظر إلى ما تقدم من أحداث، يجد أن الحروب المستمرة أرهقت الصحابة رضي الله عنهم ، فكان في هذا الصلح إسكان للمسلمين وراحة لهم ،حيث توقَّفت الحروب بين هؤلاء وهؤلاء فأمن المسلمون وتمكَّنﷺ من العبادة والدخول إلى مكة لزيارة البيت الحرام، وبالتالي الفسح في الدعوة إلى الله تعالى ، ونشر الإسلام لا سيما في أرحام المهاجرين الذين كانوا هاجروا قبل وتركوهم .

فكان في هذا الصلح نشراً للإسلام .

وإيضاح ذلك: أن عدداً من المسلمين يوم الحديبية – سنة ست للهجرة – كان عدد مَن مع النبي ﷺ ما بين ألف وأربعمائه إلى ألف وخمسمائة لا يتجاوز ذلك.

بينما صار عدد من كان مع النبي ﷺ يوم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة لا يقل عن عشرة آلاف – كما سيأتي بيان ذلك – كل ذلك بفضل الله ثم بالقيادة النبوية الناجحة الحكيمة المؤيَّدة من قِبَل الله تعالى .

❁ ومن الفوائد والدروس المستفادة من صلح الحديبية :

أن وجوب احترام القادة يؤدي إلى النجاح وإرهاب الأعداء، ألا فليعي الخوارج ومن تأثَّر بهم الدرس.

فعروة بن مسعود وغيره ممن ينقل إليهم الأحوال، كان عين ما حصل في صُلح الحديبية من الكفار، رأوا إجلال الصحابة وهيبتهم لرسول الله ﷺ،وليت من يُعلنون بالنصح للأمراء علناً، ويغتابونهم، ويُزَكُّون أصحاب الميادين

والثورات،المشجِّعون للتحزبات التي تؤسَّس من دون الحاكم، ، فإن هذا كله يجر إلى الطعن في الأمراء وسوء الأدب معهم، وهلُم للفساد جرَّاً. (١)

ومنها:

أن الصحابة قد استفادوا – وهم الأفاضل الكبار – أن تسهيل الله لهم، يكون بسبب سلامة الصدو، والنية السليمة والعزم الصادق على الخير، فلما تعطَّلت بعض أمورهم اتهموا رأيهم وأنفسهم، ونصحهم سهل بن حُنيف ﷺ بذلك يوم صفين .

فأخرج البخاري (٢)من طريق الأَعْمَش، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ – شَهِدْتَ صِفِّينَ ؟ قَالَ: نَعَمْ – فَسَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، يَقُولُ: «اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ، رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا أَسْيَافَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا لِأَمْرٍ يُفْظِعُنَا، إِلَّا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ غَيْرِ أَمْرِنَا هَذَا».

فالله يجعل لأوليائه المخرج مما هم فيه، وما عليهم إلا أن يقوموا بأسباب الفرج والله الموفق .

ومنها :

ظهور حكمة النبي ﷺ في خطابه لكفار قريش، فهو ﷺ يعلم حال كل رسول يأتي من عند كفار قريش، فيقابله ويخاطبه بما يُسَهل له وللصحابة

---

(١) وراجع كتابي «نصح الحكام بين الغلو والتفريط».

(٢) برقم (٣١٨١) ومسلم (١٧٨٥).

رضي الله عنه مرادهم.

فأحدهم: يواجَه بالتهديد كعروة بن مسعود .

والآخر : يأمر ﷺ الصحابة بإرسال البُدن يراها إظهاراً لشعائر الحرم لكونه من قوم يُعَظِّمون البُدن، وهذا يساعد على مراده ﷺ.

وتظهر حكمته ﷺ بالبداءة بنفسه في النحر والحلق، وتظهر حكمتة ﷺ في مواساة الصحابة والعمل على إذهاب غيظ قلوبهم .

ولما ردّ ﷺ أبا جندل والتحق به أبو بصير رضي الله عنهما - وظاهِره رضا بالضَّيم - ، أضَرُّوا بكفار قريش أيما ضرر حتى ألجئوهم إلى التنازل عن بعض بنود العقد الجائر، وفي كل ذلك مصالح للمسلمين .

ومنها :

تقدير الله الخير لرسوله ﷺ وللصحابة، وهذا واضح من سياق القصة ..

ومنها :

موقف الزوجة الصالحة مع زوجها القائد أو الداعي، أعني موقف أم سلمة مع رسول الله ﷺ حيث أمرته بالبداءة بنفسه بالحَلق وغيره مما يدل على التحلل الأكبر، ليعلموا استقرار الأمر فيفعلون رضي الله عنهم، وقد يحتاج كثير من القادة لمثل هذه أحيانـًا.

ومنها :

بيان ما كان عليه النبي ﷺ من عدم الغدر بمن كان يُكِنُّ كل سوء له ولمن آمن معه ، وكان وكان ،ولو كان الغدر لكافر - أعني موقفه مع أبي بصير وأبي جندل وعدم مخالفة بنود العهد مع من جاء يرصف في قيوده وظُلم وأُذي ... ، فهو كما قال أبو سفيان وقد سأله هرقل : هل يغدر ؟قال لا ..كما تقدَّم .

ومنها :

جواز التبرُّك بآثار النبي ﷺ إن وجدت في حياته لتدليك الصحابة وجوههم بنخامته ﷺ وهذا لا يشاركه ﷺ فيه أحد لتخصيص الدليل به ، فلا يشاركه فيه بقية الأولياء، ولا الصالحين، وقد رددنا على من خالف هذا في كتابنا «لمع الأدلة في بيان عقيدة أهل السنة ».

ومنها :

جواز هجاء الكفار بالشعر كما فعل حسان بن ثابت رضي الله عنه .

ومنها :

عدم الزواج من الكافرات- أعني غير الكتابيات – الوثنية أوالمجوسية أما زواج الكتابيات فجائز بأدلة ذكرتها في كتابي «تبصير النساء» وقد فعله بعض الصحابة رضي الله عنهم .

غَزْوَةِ ذِي قَرَدَ[1]

(١) وقد ذكر البخاري غزوة ذي قَرَدَ بعد الحديبية وقبل خيبر وهو أشبه بما ذكره ابن إسحاق وتبعه ابن كثير في «البداية والنهاية »(٤/ ١٧٤ بتحقيقي) ط دار ابن رجب.فرجح على هذا أن تُذكر

وهي الغزوة التي أغاروا فيها على لقاح رسول الله ﷺ قبل خيبر بثلاث .[١]
واللقَاح: الْإِبِل الْحَوَامِل ذَوَات الألبان كما سيأتي.

وذُو قرد: مَاء على نَحْو بريد من الْمَدِينَة مِمَّا يَلِي بِلَاد غطفان، وَقيل على مَسَافَة يَوْم مِنْهَا.

أخرج البخاري [٢]عن سَلَمَة بْنِ الأَكْوَعِ، قال:

خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالأُولَى[٣]، وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَرْعَى بِذِي قَرَدَ [٤]، قَالَ: فَلَقِيَنِي غُلاَمٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ

=

هذه الغزوة في أوائل سنة سبع من الهجرة ، فإن خيبر كانت في صفر منها، لكن لم تكن غزوة ذي قرد بينها وبين خيبر ثلاث سنوات على ما قال ابن إسحاق فالله أعلم ،وعلى كل العبرة مأخوذة .
وقد رتبهم البخاري:الحديبية ثم عكل وعرينة ثم ذي قرد ثم خيبر، على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

(١) قال ابن إسحاق كما في «السيرة »لابن هشام (٢/ ٢٨١) ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺالْمَدِينَةَ، فَلَمْ يُقِمْ بِهَا إِلَّا لَيَالِيَ قَلَائِلَ، حَتَّى أَغَارَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، فِي خَيْلٍ مِنْ غَطَفَانَ عَلَى لِقَاحٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺبِالْغَابَةِ، وَفِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ وَامْرَأَةٌ لَهُ، فَقَتَلُوا الرَّجُلَ، وَاحْتَمَلُوا الْمَرْأَةَ فِي اللِّقَاحِ.
وهَذَا الرجل الغفاريّ: هُوَ ابْن أَبِي ذَر، كَمَا صرح بذلك ابْن سعد. وَاسم امْرَأَته ليلى.

(٢) برقم (٤١٩٤) ومسلم (١٨٠٦).

(٣) بالأولى: أي بصلاة الصبح.

(٤) بذي قرد: اسم مكان فيه ماء على مسيرة ليلتين من المدينة، بينها وبين خيبر على طريق الشام وكانت هذه الغزوة في ربيع الأول سنة ست للهجرة.

ﷺ، قُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟ قَالَ: غَطَفَانُ، قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلاَثَ صَرَخَاتٍ يَا صَبَاحَاهْ[1]، قَالَ فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لاَبَتَيِ المَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ، وَقَدْ أَخَذُوا يَسْتَقُونَ مِنَ المَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي، وَكُنْتُ رَامِيًا، وَأَقُولُ: أَنَا ابْنُ الأَكْوَعْ ... وَاليَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ.[2]

وَأَرْتَجِزُ[3]، حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ اللِّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ[4] مِنْهُمْ ثَلاَثِينَ بُرْدَةً[5]، قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، قَدْ حَمَيْتُ القَوْمَ المَاءَ[1] وَهُمْ

=

القرد في اللغة: الصوف الرديء وما تساقط من الوبر والصوف.

(١) **يا صباحاه**: كلمة يقولها المستغيث والألف فيها عوض عن لام المستغاث والهاء للسكت فهي منادىٰ علىٰ وجه الاستغاثة وتقال أيضاً لاستنفار من كان غافلاً عن عدوه ليتأهب للقائه قال في النهاية: هذه كلمة يقولها المستغيث وأصلها إذا صاحوا للغارة، لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ويسمون يوم الغارة يوم الصباح فكأن القائل يا صباحاه يقول قد غشينا العدو وقيل إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال فإذا عاد النهارعاودوه فكأنه يريد بقوله يا صباحاه قد جاء وقت الصباح فتأهبوا للقتال.

(٢) اليوم يوم الرضع: قالوا معناه اليوم يوم هلاك اللئام وهم الرضع من قولهم لئيم راضع أي رضع اللؤم وقيل لأنه يمص حلمة الشاة والناقة لئلا يسمع السؤال والضيفان صوت الحلاب فيقصدوه وقيل معناه اليوم يعرف من رضع كريمة فأنجبته أو لئيمة فهجنته.

(٣) أرتجز: أقول شعراً من بحر الرجز.

(٤) استلبت: أخذت قهراً منهم.

(٥) بردة: كساء مخطَّط يلتحف به.

عِطَاشٌ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: «**يَا ابْنَ الأَكْوَعِ، مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ**» [٢] قَالَ: ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى دَخَلْنَا المَدِينَةَ.

وهذا سياق آخر للخبر أتم :

أخرج أحمد ومسلم [٣] عن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه، قَالَ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَخَرَجْنَا أَنَا وَرَبَاحٌ غُلَامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَخَرَجْتُ بِفَرَسٍ لِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أُبْدِيَهُ مَعَ الْإِبِلِ، فَلَمَّا كَانَ بِغَلَسٍ غَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُيَيْنَةَ عَلَى إِبِلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَتَلَ رَاعِيَهَا وَخَرَجَ يَطْرُدُهَا هُوَ وَأُنَاسٌ مَعَهُ فِي خَيْلٍ، فَقُلْتُ: يَا رَبَاحُ، اقْعُدْ عَلَى هَذَا الْفَرَسِ فَأَلْحِقْهُ بِطَلْحَةَ وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ أُغِيرَ عَلَى سَرْحِهِ، قَالَ:

وَقُمْتُ عَلَى تَلٍّ فَجَعَلْتُ وَجْهِي مِنْ قِبَلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ نَادَيْتُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ:

يَا صَبَاحَاهْ، ثُمَّ اتَّبَعْتُ الْقَوْمَ مَعِي سَيْفِي وَنَبْلِي، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ، وَذَلِكَ حِينَ يَكْثُرُ الشَّجَرُ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ جَلَسْتُ لَهُ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَمَيْتُ، فَلَا يُقْبِلُ عَلَيَّ فَارِسٌ إِلَّا عَقَرْتُ بِهِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَنَا أَقُولُ:

=

(١) حميت القوم الماء: منعتهم من الشرب.

(٢) فأسجح: معناه فأحسن وارفق والسجاحة السهولة أي لا تأخذ بالشدة، بل ارفق فقد حصلت النكاية في العدو ولله الحمد.

(٣) مسند أحمد (١٦٥٣٩) ومسلم (١٨٠٧) وعلَّق البخاري منه قول سلمة رضي الله عنه: «وأنا ابن الأكوع » فقط.

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ ... وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

فَأَلْحَقُ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ فَأَرْمِيهِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَيَقَعُ سَهْمِي فِي الرَّجُلِ حَتَّى انْتَظَمْتُ كَتِفَهُ فَقُلْتُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ، فَإِذَا كُنْتُ فِي الشَّجَرِ أَحْرَقْتُهُمْ بِالنَّبْلِ، فَإِذَا تَضَايَقَتِ الثَّنَايَا عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَرَدَيْتُهُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَمَا زَالَ ذَاكَ شَأْنِي وَشَأْنَهُمْ، أَتْبَعُهُمْ فَأَرْتَجِزُ حَتَّى مَا خَلَقَ اللهُ شَيْئًا مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا خَلَّفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي، فَاسْتَنْقَذْتُهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ.

ثُمَّ لَمْ أَزَلْ أَرْمِيهِمْ حَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ رُمْحًا، وَأَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً يَسْتَخِفُّونَ مِنْهَا، وَلَا يُلْقُونَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ حِجَارَةً، وَجَمَعْتُ عَلَى طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا امْتَدَّ الضُّحَى أَتَاهُمْ عُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ مَدَدًا لَهُمْ وَهُمْ فِي ثَنِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ، ثُمَّ عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَأَنَا فَوْقَهُمْ، فَقَالَ عُيَيْنَةُ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى؟ قَالُوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرْحَ مَا فَارَقَنَا بِسَحَرٍ حَتَّى الْآنَ، وَأَخَذَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا وَجَعَلَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، قَالَ عُيَيْنَةُ: لَوْلَا أَنَّ هَذَا يَرَى أَنَّ وَرَاءَهُ طَلَبًا لَقَدْ تَرَكَكُمْ، لِيَقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ، فَقَامَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ، فَصَعِدُوا فِي الْجَبَلِ، فَلَمَّا أَسْمَعْتُهُمُ الصَّوْتَ قُلْتُ: أَتَعْرِفُونِي؟ قَالُوا: وَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَطْلُبُنِي مِنْكُمْ رَجُلٌ فَيُدْرِكُنِي وَلَا أَطْلُبُهُ فَيَفُوتُنِي، قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: إِنْ أَظُنُّ، قَالَ: فَمَا بَرِحْتُ مَقْعَدِي ذَلِكَ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى فَوَارِسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ، وَإِذَا أَوَّلُهُمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ، وَعَلَى أَثَرِهِ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَى أَثَرِ أَبِي قَتَادَةَ الْمِقْدَادُ الْكِنْدِيُّ، فَوَلَّى الْمُشْرِكُونَ مُدْبِرِينَ وَأَنْزِلُ مِنَ الْجَبَلِ، فَأَعْرِضُ لِلْأَخْرَمِ فَآخُذُ عِنَانَ فَرَسِهِ فَقُلْتُ:

يَا أَخْرَمُ، ائْذَنِ الْقَوْمَ - يَعْنِي احْذَرْهُمْ - فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَقْطَعُوكَ، فَاتَّئِدْ حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ: يَا سَلَمَةُ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عِنَانَ فَرَسِهِ فَيَلْحَقُ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَاخْتَلَفَا طَعْنَتَيْنِ، فَعَقَرَ الْأَخْرَمُ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ، فَتَحَوَّلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى فَرَسِ الْأَخْرَمِ فَيَلْحَقُ أَبُو قَتَادَةَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَاخْتَلَفَا طَعْنَتَيْنِ، فَعَقَرَ بِأَبِي قَتَادَةَ وَقَتَلَهُ أَبُو قَتَادَةَ، وَتَحَوَّلَ أَبُو قَتَادَةَ عَلَى فَرَسِ الْأَخْرَمِ، ثُمَّ إِنِّي خَرَجْتُ أَعْدُو فِي أَثَرِ الْقَوْمِ، حَتَّى مَا أَرَى مِنْ غُبَارِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا، وَيُعْرِضُونَ قَبْلَ غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ إِلَى شِعْبٍ فِيهِ مَاءٌ، يُقَالُ لَهُ:

ذُو قَرَدٍ، فَأَرَادُوا أَنْ يَشْرَبُوا مِنْهُ، فَأَبْصَرُونِي أَعْدُو وَرَاءَهُمْ، فَعَطَفُوا عَنْهُ وَاشْتَدُّوا فِي الثَّنِيَّةِ - ثَنِيَّةِ ذِي نَثْرٍ -، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ فَأَلْحَقُ رَجُلًا فَأَرْمِيهِ، فَقُلْتُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ، قَالَ: فَقَالَ: يَا ثُكْلَ أُمِّ أَكْوَعُ بُكْرَةٍ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، أَيْ عَدُوَّ نَفْسِهِ، وَكَانَ الَّذِي رَمَيْتُهُ بُكْرَةً، فَأَتْبَعْتُهُ سَهْمًا آخَرَ فَعَلِقَ بِهِ سَهْمَانِ، وَيَخْلُفُونَ فَرَسَيْنِ، فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوقُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلَّيْتُهُمْ عَنْهُ ذُو قَرَدٍ، فَإِذَا بِنَبِيِّ اللهِ ﷺ فِي خَمْسِمِائَةٍ، وَإِذَا بِلَالٌ قَدْ نَحَرَ جَزُورًا مِمَّا خَلَّفْتُ، فَهُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ ﷺ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَلِّنِي فَأَنْتَخِبَ مِنْ أَصْحَابِكَ مِائَةً، فَآخُذَ عَلَى الْكُفَّارِ بِالْعَشْوَةِ - أي بالسواد من الليل - فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ، قَالَ: «**أَكُنْتَ فَاعِلًا ذَلِكَ يَا سَلَمَةُ؟**» ، قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي أَكْرَمَكَ ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ فِي ضُوءِ النَّارِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمْ يُقْرَوْنَ الْآنَ بِأَرْضِ غَطَفَانَ، فَجَاءَ

رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ فَقَالَ: مَرُّوا عَلَى فُلَانٍ الْغَطَفَانِيِّ فَنَحَرَ لَهُمْ جَزُورًا، قَالَ: فَلَمَّا أَخَذُوا يَكْشِطُونَ جِلْدَهَا رَأَوْا غَبَرَةً فَتَرَكُوهَا وَخَرَجُوا هَرَابًا فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

« خَيْرُ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرُ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ»، فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ سَهْمَ الرَّاجِلِ وَالْفَارِسِ جَمِيعًا ثُمَّ أَرْدَفَنِي وَرَاءَهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا قَرِيبًا مِنْ ضَحْوَةٍ وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَا يُسْبَقُ جَعَلَ يُنَادِي: هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ؟ أَلَا رَجُلٌ يُسَابِقُ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ فَأَعَادَ ذَلِكَ مِرَارًا وَأَنَا وَرَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُرْدِفِي، قُلْتُ لَهُ:

أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا، وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا، قَالَ: لَا، إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي خَلِّنِي فَلَأُسَابِقُ الرَّجُلَ، قَالَ: «إِنْ شِئْتَ» ، قُلْتُ: أَذْهَبُ إِلَيْكَ، فَطَفَرَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، وَثَنَيْتُ رِجْلَيَّ فَطَفَرْتُ عَنِ النَّاقَةِ، ثُمَّ إِنِّي رَبَطْتُ عَلَيْهَا شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، يَعْنِي اسْتَبْقَيْتُ نَفَسِي، ثُمَّ إِنِّي عَدَوْتُ حَتَّى أَلْحَقَهُ فَأَصُكَّ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِيَدَيَّ، قُلْتُ: سَبَقْتُكَ وَاللهِ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: فَضَحِكَ وَقَالَ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ[1] .

غَزْوَةِ خَيْبَرَ[2]

(١) وفي صحيح مسلم »زيادة تأتي في ذكر غزوة خيبر إن شاء الله .

(٢) وخيبر مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية بُرد من المدينة إلى جهة الشام ، سميت باسم رجل من العماليق نزلها كما في«فتح الباري »(٧/ ٥٧٣) ، وهو اسم الحصن الذي فتحه علي رضي الله عنه

وكانت بعد غزوة ذي قَرَدَ بثلاثة أيام .

فأخرج مسلم عن سلمة بن الأكوع ﷺ في حديثه المتقدم الطويل

=

-كما سيأتي – ومن أعظم هذه الحصون «القموص» وهو أعظم حصونهم، ومنه سُبيت صفية بنت حيي والله أعلم

وهنا فائدة ذكرها مُحَمَّد بْن إِسْحَاقَ قال:

وَكَانَ جَمِيعُ مَا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنَفْسِهِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ غَزْوَةً، مِنْهَا غَزْوَةُ وَدَّانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بُوَاطَ، مِنْ نَاحِيَةِ رَضْوَى، ثُمَّ غَزْوَةُ الْعَشِيرَةِ، مِنْ بَطْنِ يَنْبُعَ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْأُولَى، يَطْلُبُ كُرْزَ بْنَ جَابِرٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى، الَّتِي قَتَلَ اللهُ فِيهَا صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ، حَتَّى بَلَغَ الْكُدْرَ، ثُمَّ غَزْوَةُ السَّوِيقِ، يَطْلُبُ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ غَطَفَانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ ذِي أَمِرٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَحْرَانَ، مَعْدِنٌ بِالْحِجَازِ، ثُمَّ غَزْوَةُ أُحُدٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ، ثُمَّ غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْآخِرَةِ، ثُمَّ غَزْوَةُ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، ثُمَّ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي لِحْيَانَ، مِنْ هُذَيْلٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ ذِي قَرَدٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ، ثُمَّ غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَةِ،لَا يُرِيدُ قِتَالًا، فَصَدَّهُ الْمُشْرِكُونَ، ثُمَّ غَزْوَةُ خَيْبَرَ، ثُمَّ عُمْرَةُ الْقَضَاءِ، ثُمَّ غَزْوَةُ الْفَتْحِ، ثُمَّ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ الطَّائِفِ، ثُمَّ غَزْوَةُ تَبُوكَ. قَاتَلَ مِنْهَا فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ: بَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وَالْخَنْدَقِ، وَقُرَيْظَةَ، وَالْمُصْطَلِقِ، وَخَيْبَرَ، وَالْفَتْحِ، وَحُنَيْنٍ، وَالطَّائِفِ».

وبعض هذه الحوادث لم أر سنداً يصح بها فأعرضنا عنها لمراعاة شرطنا في الكتاب، وفيما صح سنده غنىً، وقد سبقنا إلى هذه الطريقة البخاري ومسلم رحمهما الله .

قَالَ: فَوَاللهِ، مَا لَبِثْنَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ...الحديث [١].

إنصراف النبي ﷺ من الحديبية إلى خيبر

كانت في أول سنة سبع على خلاف عند بعض العلماء، فبعضهم يقول سنة ست وصوَّب ابن كثير [٢] أنها كانت أول سنة سبع .

أخرج البيهقي [٣] بإسناد حسن عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، والمسور بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ جَمِيعًا، قَالَا: انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْفَتْحِ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا خَيْبَرَ قال: « **وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هذه**» خَيْبَرَ فَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ فَأَقَامَ بِهَا [٤] حَتَّى سَارَ إِلَى خَيْبَرَ فِي الْمُحَرَّمِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) برقم (١٨٠٧).

(٢) كما في «البداية والنهاية »(٤/ ٢٠٤).

(٣) في «دلائل النبوة»(٤/ ١٩٧).

(٤) وقد ذُكر أن رسول الله ﷺ أقام في المدينة بعد الحديبية عشرين ليلة أو نحوها ثم خرج إلى خيبر وبعضهم يقول : عشر ليال ،وبعضهم يقول: خمسة عشر يوماً .فالله أعلم ، ثم إن الحافظ ابن حجر في «الفتح »(٧/ ٥٧٣)رجَّح رأياً أغفل فيه قول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه المتقدم في شأن غزوة ذي قرد : «فَوَاللهِ، مَا لَبِثْنَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ » فالظاهر أنهم مكثوا ثلاث ليال فقط . إلا أن يفهم أن الثلاث هي الثلاث التي قضاها رسول الله ﷺ في المدينة بعد الانصراف من ذي قَرَدَ. وقد حكى ابن هشام في «السيرة »(٢/ ٣٣٠)عن ابْن إِسْحَاقَ قال :

ﷺ بِالرَّجِيعِ - وَادٍ بَيْنَ خَيْبَرَ وَغَطَفَانَ - فَتَخَوَّفَ أَنْ تَمُدَّهُمْ غَطَفَانُ، فَبَاتَ بِهِ حَتَّى أَصْبَحَ فَغَدَا إِلَيْهِمْ.

❁ استخلاف النبي ﷺ رجلاً على المدينة

أخرج الطحاوي وغيره بسندٍ صحيح عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: «قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيْبَرَ وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، يَؤُمُّ النَّاسَ فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ ، فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى بِسُورَةِ مَرْيَمَ وَفِي الثَّانِيَةِ بِوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ»(١).

فدل على أنه ﷺ استخلف مكانه رجلاً على المدينة .

وجاءت تسمية الرجل سباع بن عُرفطة الغفاري رضي الله عنه

=

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى خَيْبَرَ سَلَكَ عَلَى عِصْرٍ - جبل بَين الْمَدِينَة ووادي الْفَرْع- فَبَنَى لَهُ فِيهَا مَسْجِداً، ثُمَّ عَلَى الصَّهْبَاءِ - مَوضِع بَينه وَبَين خَيبر رَوْحَة- ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ بِجَيْشِهِ، حَتَّى نَزَلَ بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ الرَّجِيعُ، فَنَزَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَطَفَانَ، لِيَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يُمِدُّوا أَهْلَ خَيْبَرَ، وَكَانُوا لَهُمْ مُظَاهِرِينَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَبَلَغَنِي أَنَّ غَطَفَانَ لَمَّا سَمِعَتْ بِمَنْزِلِ رَسُولِ الله ﷺ -ليعاونوا- مِنْ خَيْبَرَ جَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ خَرَجُوا لِيُظَاهِرُوا- ليعاونوا- يَهُودَ عَلَيْهِ، حَتَّى إِذَا سَارُوا مَنْقَلَةً - مرحلة- سَمِعُوا خَلْفَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ حِسًّا، ظَنُّوا أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَالَفُوا إِلَيْهِمْ، فَرَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، فَأَقَامُوا فِي أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَخَلَّوْا بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وَبَيْنَ خَيْبَرَ.

(١) في «شرح معاني الآثار»(١٠٩٣).

فأخرج الفسوي وغيره [١] بسندٍ حسن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مِثْلَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ الْغِفَارِيَّ فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ.

فقر الصحابة رضي الله عنهم وقلة ما في اليد من الطعام

مع ما هم فيه من الجهد !

أخرج البخاري [٢] عن سُوَيْد بْن النُّعْمَانِ رضي الله عنه أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ خَيْبَرَ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالصَّهْبَاءِ، وَهِيَ أَدْنَى خَيْبَرَ، «فَصَلَّى العَصْرَ، ثُمَّ دَعَا بِالأَزْوَادِ ، فَلَمْ يُؤْتَ إِلَّا بِالسَّوِيقِ، فَأَمَرَ بِهِ فَثُرِّيَ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَكَلْنَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى المَغْرِبِ، فَمَضْمَضَ وَمَضْمَضْنَا، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ».

أي خلط السويق الذي هو أشبَه بالقمح أو الدقيق بالماء .

وفي صحيح البخاري [٣] عن أنس رضي الله عنه قال: «أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ خَيْبَرَ، وَالمَدِينَةِ ثَلاَثَ لَيَالٍ يُبْنَى عَلَيْهِ بِصَفِيَّةَ».

فَدَعَوْتُ المُسْلِمِينَ إِلَى وَلِيمَتِهِ، وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خُبْزٍ وَلاَ لَحْمٍ، وَمَا كَانَ فِيهَا إِلَّا أَنْ أَمَرَ بِلاَلًا بِالأَنْطَاعِ فَبُسِطَتْ، فَأَلْقَى عَلَيْهَا التَّمْرَ وَالأَقِطَ وَالسَّمْنَ.. الحديث

---

(١) في «المعرفة والتاريخ»(٢/ ٧٣٩) والطحاوي في «شرح المعاني »(١٠٩٤) والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩/ ٦٨) .

(٢) برقم (٢٠٩).

(٣) برقم (٤٢١٣).

وفي رواية لما أصبح عروسًا بها [١]: فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، مَا أَصْدَقَهَا؟ قَالَ: نَفْسَهَا، أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ، جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوسًا، فَقَالَ:

«مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ» وَبَسَطَ نِطَعًا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السَّوِيقَ، قَالَ: فَحَاسُوا حَيْسًا، فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وفي صحيح البخاري [٢] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه، قَالَ: «كُنَّا مُحَاصِرِينَ قَصْرَ خَيْبَرَ، فَرَمَى إِنْسَانٌ بِجِرَابٍ فِيهِ شَحْمٌ، فَنَزَوْتُ لِآخُذَهُ، فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

وفي صحيح البخاري عن ابْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه، أَصَابَتْنَا مَجَاعَةٌ يَوْمَ خَيْبَرَ فَإِنَّ القُدُورَ لَتَغْلِي، قَالَ: وَبَعْضُهَا نَضِجَتْ، فَجَاءَ مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ: «**لاَ تَأْكُلُوا مِنْ لُحُومِ الحُمُرِ شَيْئًا، وَأَهْرِقُوهَا**». [٣]

وفي حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «...فَلَمَّا أَمْسَى النَّاسُ مَسَاءَ اليَوْمِ الَّذِي فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ، أَوْقَدُوا نِيرَانًا كَثِيرَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا هَذِهِ النِّيرَانُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُوقِدُونَ؟**» قَالُوا: عَلَى لَحْمٍ، قَالَ: «**عَلَى أَيِّ لَحْمٍ؟**» قَالُوا: لَحْمِ حُمُرٍ

---

(١) برقم (٣٧١).

(٢) برقم (٤٢١٤).

(٣) برقم (٤٢٢٠).

الإِنْسِيَّةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَهْرِيقُوهَا وَاكْسِرُوهَا**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْ نُهَرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا؟ قَالَ: «**أَوْ ذَاكَ**». فَلَمَّا تَصَافَّ القَوْمُ ....الحديث. (١)

وهذا من الابتلاءات، والله أعلم .

وفي هذا التوقيت اتخذ رسول الله ﷺ أنسًا يخدمه، وكان في ذلك الوقت قد ناهز الاحتلام .

أخرج البخاري (٢)عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ: «**التَمِسْ غُلاَمًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ**» فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِي، وَأَنَا غُلاَمٌ رَاهَقْتُ الحُلُمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ:

«**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**».

ثُمَّ قَدِمْنَا خَيْبَرَ فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الحِصْنَ.... الحديث.

❁ إشراف النبي ﷺ على خيبر

أخرج ابن إسحاق بإسنادٍ فيه انقطاع ورجل لا يُعرف عَنْ أَبِي مُعَتِّبٍ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا أَشْرَفَ عَلَى خَيْبَرَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ، وَأَنَا فِيهِمْ: قِفُوا، ثُمَّ قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٩٦) ومسلم (١٨٠٢).

(٢) برقم (٢٨٩٣) ومسلم (١٣٦٥).

«اللَّهمّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا، أَقَدِمُوا بِسْمِ اللهِ». قَالَ: وَكَانَ يَقُولُهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ لِكُلِّ قَرْيَةٍ دَخَلَهَا....الحديث.(١)

❁ سياق الأحداث التي حصلت يوم خيبر:

أخرج البخاري عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَسِرْنَا لَيْلًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ لِعَامِرٍ: يَا عَامِرُ أَلاَ تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام»(٢/ ٣٢٩)ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٥٩(٩٠٢) قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ ٱلْأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُعَتِّبٍ...فذكره.

وأبو مروان هذا لا يعرف، وثَمَّ خلاف على عطاء، والمدار على أبي مروان أيضاً.

انظر «سنن النسائي»(٨٧٧٦) و«صحيح ابن خزيمة»(٢٧٠٩) ومعجم الطبراني (٨/ ٣٣رقم (٧٢٩٨) و«دلائل النبوة »للبيهقي (٤/ ٢٠٤).

وله طريق آخر عن كعب الأحبار يقسم أن صهيباً حدثه أن محمداً ﷺ لم يكن يرى قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها «اللَّهمّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ..» فذكره. أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٧٧٥) ورجاله معدَّلون لكن ليس فيه التنصيص على أن ذلك كان في غزوة خيبر والله أعلم .

[١]؟ وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلًا شَاعِرًا، فَنَزَلَ يَحْدُو [٢] بِالقَوْمِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا أَبْقَيْنَا[٣] ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... إِنَّا إِذَا صِيحَ [٤] بِنَا أَبَيْنَا[٥]

وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا[٦]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ هَذَا السَّائِقُ**».

قَالُوا: عَامِرُ بْنُ الأَكْوَعِ، قَالَ: «**يَرْحَمُهُ اللهُ**» قَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ[٧]:

وَجَبَتْ يَا نَبِيَّ اللهِ[٨]، لَوْلاَ أَمْتَعْتَنَا بِهِ[٩]؟

---

(١) هنيهاتك:جمع هنيهة مصغر هنة وفي نسخة هنياتك.جمع هنية وهي كناية عن كل شيء لا تذكره باسمه،ولا تخص به شيئاً من غيره، وقيل معناها الأراجيز جمع أرجوزة وهي القصيدة من بحر الرجز.

(٢) يحدو: من الحدو وهو الغناء للإبل عند سوقها.

(٣) ما أبقينا: أي خلفنا وراءنا مما اكتسبنا من الآثام وما أبقيناه وراءنا من الذنوب فلم نتب منه.

(٤) صيح بنا: دعينا إلى غير الحق.

(٥) أبينا: امتنعنا من دعوة غيرالحق،وفي نسخة (أتينا) أي إذا دعينا إلى القتال أو الحق جئنا إليه.

(٦) عولوا: قصدوا واستغاثوا.

(٧)القائل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٨) وجبت: ثبتت له الشهادة التي يعقبها دخول الجنة ببركة دعائك.

(٩) امتعتنا به: هلا أبقيته لنا لنتمتع بشجاعته.

فَأَتَيْنَا خَيْبَرَ فَحَاصَرْنَاهُمْ حَتَّى أَصَابَتْنَا مَخْمَصَةٌ[١] شَدِيدَةٌ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَمْسَى النَّاسُ مَسَاءَ اليَوْمِ الَّذِي فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ، أَوْقَدُوا نِيرَانًا كَثِيرَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا هَذِهِ النِّيرَانُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُوقِدُونَ؟**» قَالُوا: عَلَى لَحْمٍ، قَالَ: «**عَلَى أَيِّ لَحْمٍ؟**» قَالُوا: لَحْمِ حُمُرِ الإِنْسِيَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَهْرِيقُوهَا وَاكْسِرُوهَا**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْ نُهَرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا؟ قَالَ: «**أَوْ ذَاكَ**». فَلَمَّا تَصَافَّ القَوْمُ[٢] كَانَ سَيْفُ عَامِرٍ قَصِيرًا، فَتَنَاوَلَ بِهِ سَاقَ يَهُودِيٍّ لِيَضْرِبَهُ، وَيَرْجِعُ ذُبَابُ سَيْفِهِ[٣]، فَأَصَابَ عَيْنَ رُكْبَةِ عَامِرٍ فَمَاتَ مِنْهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَفَلُوا قَالَ سَلَمَةُ: رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي، قَالَ:

«**مَا لَكَ**» قُلْتُ لَهُ: فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ[٤]؟

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كَذَبَ مَنْ قَالَهُ، إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ** - وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ - **إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ**[٥]، **قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا**[٦] **مِثْلَهُ**»[٧]

---

(١) مخمصة: مجاعة.

(٢) تصاف القوم: تقابلوا صفوفاً للقتال.

(٣) ذباب سيفه: حدّه.

(٤) حبط علمه: أي بطل عمل عامر لأنه قتل نفسه بسيفه.

(٥) لجاهد :يجهد نفسه بالطاعة. (مجاهد) في سبيل الله تعالى.

(٦) بها: بهذه الخصلة الحميدة وهي الجهاد مع الجهد.

(٧) برقم (٤١٩٦).

وأخرج البخاري[١] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى الصُّبْحَ بِغَلَسٍ، ثُمَّ رَكِبَ فَقَالَ: « **اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ: {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ}!**» الصافات: ١٧٧، فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِي السِّكَكِ[٢] وَيَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ وَالخَمِيسُ[٣] - قَالَ: وَالخَمِيسُ الجَيْشُ[٤] - فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَتَلَ المُقَاتِلَةَ[٥] وَسَبَى الذَّرَارِيَّ[٦]

، فَصَارَتْ صَفِيَّةُ لِدِحْيَةَ الكَلْبِيِّ، وَصَارَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا، وَجَعَلَ صَدَاقَهَا عِتْقَهَا » فَقَالَ عَبْدُ العَزِيزِ[٧]، لِثَابِتٍ:

يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَنْتَ سَأَلْتَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: مَا أَمْهَرَهَا؟ قَالَ: أَمْهَرَهَا نَفْسَهَا.

---

(١) برقم (٩٤٧).

(٢) السكك: جمع سكة وهي الزقاق.

(٣) قولهم محمد والخميس :أرادوا الجيش ، لأن الجيش يكون خمسة أقسام :ميمنة وميسرة ومقدمة وساق وقلب وفي رواية مسلم (١٣٦٥)كرروا: محمد والخميس محمد والخميس محمد والخميس

(٤) وفي رواية البخاري (٢٩٩١) فَلَجَئُوا إِلَى الحِصْنِ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ وَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**».

(٥) **المقاتلة**: الرجال الذين يقدرون على حمل السلاح ومن شأنهم القتال.

(٦) **سبي الذراري**:أخذهم عبيدا والذراري جمع ذرية وهي من كان دون البلوغ من الأولاد والمراد هنا غير المقاتلة من أولاد ونساء وغيرهم.

(٧) راوي الحديث عن ثابت عن أنس رضي الله عنه.

كذا فتحت خيبر قهراً لا صلحاً كما صُرِّح به في رواية الصحيح قال:« فَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً »

خروج ملكهم مرحب يخطر بسيفه

أخرج مسلم [١] حديث سلمة بن الأكوع الذي تقدم ذكره في غزوة ذي قَرَد وتتمته: قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه بعد ذكر الانصراف من غزوة ذي قَرَد :

«..فَوَاللهِ، مَا لَبِثْنَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَجَعَلَ عَمِّي عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بِالْقَوْمِ تَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا، فَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا، وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**مَنْ هَذَا؟**» قَالَ: أَنَا عَامِرٌ، قَالَ: «**غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ**»، قَالَ: وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اسْتُشْهِدَ، قَالَ:

فَنَادَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، لَوْلَا مَا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ، قَالَ: خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ، وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ، قَالَ: وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ، قَالَ: فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ، وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَى

(١) برقم (١٨٠٧).

نَفْسِهِ، فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ، فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ، قَالَ سَلَمَةُ: فَخَرَجْتُ، فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ: بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ،قَتَلَ نَفْسَهُ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، قَالَ: «**كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ**»، ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدُ، فَقَالَ:

«**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**» - أَوْ «**يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**» -، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلِيًّا، فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ، حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَبَسَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ(١)، وَخَرَجَ مَرْحَبٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ ... كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ

---

(١) وستأتي رواية البخاري قال علي رضي الله عنه: فَقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**».

هذا هو المشهور وعليه أكثر العلماء أن قاتل مرحب هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وأما ما أخرجه ابن إسحاق [١] قال :حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ سَهْلٍ[٢]، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ لِهَذَا؟ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَنَا لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا وَاَللهِ الْمَوْتُورُ الثَّائِرُ، قُتِلَ أَخِي بِالْأَمْسِ، فَقَالَ: فَقُمْ إِلَيْهِ،اللَّهمّ أَعِنْهُ عَلَيْهِ. قَالَ: فَلَمَّا دَنَا أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ، دَخَلَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ عُمْرِيَّةٌ[٣] مِنْ شَجَرِ الْعُشَرِ [٤]، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَلُوذُ بِهَا مِنْ صَاحِبِهِ، كَلَّمَا لَاذَ بِهَا مِنْهُ اقْتَطَعَ صَاحِبُهُ بِسَيْفِهِ مَا دُونَهُ مِنْهَا، حَتَّى بَرَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ، وَصَارَتْ بَيْنَهُمَا كَالرَّجُلِ الْقَائِمِ، مَا فِيهَا فَنَنٌ، ثُمَّ حَمَلَ مَرْحَبٌ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، فَضَرَبَهُ، فَاتَّقَاهُ بِالدَّرَقَةِ، فَوَقَعَ سَيْفُهُ فِيهَا، فَعَضَّتْ بِهِ فَأَمْسَكَتْهُ، وَضَرَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حَتَّى قَتَلَهُ.

وإسناده حسن إلا أن أكثر العلماء على الأصح من الروايات أن قاتل مرحب هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولعل محمد بن مسلمة رضي الله عنه أجهده ثم انصرفا حتى سهُل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه قتله بعد، والله أعلم .

---

(١) كما في «السيرة النبوية »لابن هشام (٢/ ٣٣٣) .

(٢) وعبد الله بن سهل هو ابن عبد الرحمن بن سهل أخو بني حارثة كما في «مسند أحمد»(١٥١٣٤) وأخرجه البيهقي أيضاً في «الدلائل» (٩/ ٢٢١) من نفس الطريق .

(٣) عمرية: قديمَة.

(٤) الْعشَر: شجر أملس مستو ضَعِيف الْعود.

وعلى كل أصح الروايات أن قاتله هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا أوجه أن يخرج قائد جيش اليهود لقائد جيش المسلمين، هذا هو اللائق بالموقف والله أعلم.

❁ علي بن أبي طالب رضي الله عنه حامل الراية في غزوة خيبر وكان الفتح على يديه

أخرج البخاري (١) عَنْ سَلَمَةَ بن الأكوع رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ رَمِدًا، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَحِقَ بِهِ، فَلَمَّا بِتْنَا اللَّيْلَةَ الَّتِي فُتِحَتْ قَالَ:

«**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يُفْتَحُ عَلَيْهِ**» فَنَحْنُ نَرْجُوهَا، فَقِيلَ: هَذَا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ، فَفُتِحَ عَلَيْهِ

وأخرج (٢) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ**».

فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟»، فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَمَرَ، فَدُعِيَ لَهُ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ: نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ:

---

(١) برقم (٤٢٠٩) ومسلم (٢٤٠٧).

(٢) برقم (٤٢١٠) ومسلم (٢٤٠٦).

«عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».

وفي صحيح مسلم [1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ قَالَ: فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا، قَالَ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَقَالَ:

«امْشِ، وَلَا تَلْتَفِتْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْكَ» قَالَ فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟

قَالَ: «قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ».

❁ وقد وردت زيادة في مناقب علي رضي الله عنه

ما أخرجه أحمد عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عِصْمَةَ الْعِجْلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ الرَّايَةَ فَهَزَّهَا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ يَأْخُذُهَا بِحَقِّهَا» ، فَجَاءَ فُلَانٌ فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «أَمِطْ» ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: «أَمِطْ» ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لأُعْطِيَنَّهَا رَجُلًا لَا يَفِرُّ، هَاكَ يَا عَلِيُّ»

---

(١) برقم (٢٤٠٥).

فَانْطَلَقَ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ خَيْبَرَ وَفَدَكَ، وَجَاءَ بِعَجْوَتِهِمَا وَقَدِيدِهِمَا قَالَ مُصْعَبٌ: «بِعَجْوَتِهَا وَقَدِيدِهَا» (١).

وفي النفس من سنده شيء فإن فيها ما ليس في الروايات الأخرى، فيها هنا معنى زائد وتعلَّق به الروافض في غلوّهم، والله أعلم .

وقد أخرج أحمد والبيهقي (٢) واللفظ له، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ:لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَخَذَ اللِّوَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَرَجَعَ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَخَذَهُ عُمَرُ فَرَجَعَ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ وَقُتِلَ مَحْمُودُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَرَجَعَ النَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«**لأدفعن لو أتى غَدًا لِرَجُلٍ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ لَنْ يَرْجِعَ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ**» .

فَبِتْنَا طَيِّبَةً أَنْفُسُنَا أَنَّ الْفَتْحَ غَدًا فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْغَدَاةَ، ثُمَّ دَعَا بِاللِّوَاءِ ،وَقَامَ قَائِمًا فَمَا مِنَّا مِنْ رَجُلٍ لَهُ مَنْزِلَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرَّجُلَ حَتَّى تَطَاوَلَتْ أَثَالُهَا، وَرَفَعْتُ رَأْسِي لِمَنْزِلَةٍ كَانَتْ لِي مِنْهُ فَدَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ يَشْتَكِي عَيْنَهُ فَمَسَحَهَا ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ اللِّوَاءَ فَفَتَحَ

---

(١) فقد أخرجه أحمد (١١١٢٢) وقال ابن كثير في «البداية والنهاية »(٤/ ٢١٢):« تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ وَإِسْنَادُهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَفِيهِ غَرَابَةٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِصْمَةَ، وَيُقَالُ ابن أعصم، وهكذا يُكَنَّىٰ بِأَبِي عَلْوَانَ الْعِجْلِيِّ وَأَصْلُهُ مِنَ الْيَمَامَةِ سَكَنَ الْكُوفَةَ وَقَدْ وثَّقه ابْنُ مَعِينٍ، وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ لَا بَأْسَ بِهِ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ شَيْخٌ، وَذَكَرَهُ ابْنُ حِبَانَ فِي الثِّقات، وَقَالَ يُخْطِئُ كَثِيرًا وَذَكَرَهُ فِي الضُّعَفَاءِ، وَقَالَ يُحَدِّثُ عَنِ الْأَثْبَاتِ مِمَّا لَا يُشْبِهُ حَدِيثَ الثِّقَاتِ حَتَّىٰ يَسْبِقَ إِلَىٰ الْقَلْبِ أَنَّهَا مَوْهُومَةٌ أَوْ مَوْضُوعَةٌ».

(٢) في «المسند » (٢٢٩٩٣)والبيهقي في «الكبرىٰ»(٩/ ٢٢٢) وفي «الدلائل»(٤/ ٢١٠).

فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ بُرَيْدَةَ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ مَرْحَبٍ.

وهذا إسناد رجاله معدَّلون وسنده جيد، وليس فيه تنقُّصًا من أبي بكر ﷺ، ولم يُر متنقِّصًا لأبي بكر ﷺ، وقد يكون أبو بكر أرهقهم فسهل الفتح على عليٍّ ﷺ، وإلا فعلى ﷺ ما كان يتنقَّص أبا بكر بهذا،ولا تعلَّق صحابي واحد بها في تفضيل عليٍّ على أبي بكر ﷺ، والفهم ما فهموه والله الموفق.

وأخرج البيهقي[1] بسند صحيح عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ وَاتَّبَعَهُ، فَقَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ خَيْبَرَ غَنِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَسَّمَ، وَقَسَمَ لَهُ فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا هَذَا؟

قَالَ: قَسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:

مَا هَذَا يَا مُحَمَّدُ قَالَ:« **قَسْمٌ قَسَمْتُهُ لَكَ**» قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**» ثُمَّ نَهَضُوا إِلَى قِتَالِ الْعَدُوِّ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:« **هُوَ هُوَ**» قَالُوا نَعَمْ. قَالَ: «**صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ**»، فَكَفَّنَهُ النبي ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ، مِمَّا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ:

« **اللهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ قُتِلَ شَهِيدًا أَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ**»

وهذه الصلاة التي صلاها ﷺ لا النهج العام أن الشهيد لا يصلى عليه.

---

(١)في «دلائل النبوة »٤/ ٢٢١) وأخرجة الطبراني في «الكبير »(٧/ ٢٧١رقم (٧١٠٨)

فما فعله ﷺ مع هذا الصحابي محمول على الخصوصية، والله أعلم .

وأخرج أبو داود [١] بإسناد رجاله ثقات[٢] عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَاتَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ، فَغَلَبَ عَلَى النَّخْلِ وَالْأَرْضِ، وَأَلْجَأَهُمْ إِلَى قَصْرِهِمْ، فَصَالَحُوهُ عَلَى أَنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّفْرَاءَ، وَالْبَيْضَاءَ، وَالْحَلْقَةَ، وَلَهُمْ مَا حَمَلَتْ رِكَابُهُمْ، عَلَى أَنْ لَا يَكْتُمُوا،وَلَا يُغَيِّبُوا شَيْئًا، فَإِنْ فَعَلُوا فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ، وَلَا عَهْدَ فَغَيَّبُوا مَسْكًا لِحُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ كَانَ قُتِلَ قَبْلَ خَيْبَرَ، كَانَ احْتَمَلَهُ مَعَهُ يَوْمَ بَنِي النَّضِيرِ حِينَ أُجْلِيَتْ النَّضِيرُ فِيهِ حُلِيُّهُمْ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِسَعْيَةَ:

«**أَيْنَ مَسْكُ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ؟**»، قَالَ:

أَذْهَبَتْهُ الْحُرُوبُ وَالنَّفَقَاتُ، فَوَجَدُوا الْمَسْكَ[٣]، فَقَتَلَ ابْنَ أَبِي الْحُقَيْقِ

---

(١) برقم (٣٠٠٦).

(٢) وقد حكم الحافظ في «الفتح »(٧/ ٥٩٠) ط دار الحديث بذلك الحكم تحفُّظاً من أن رواية عبيد الله بن عمر قال: أحسبه عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ فذكر .

(٣) ولفظ الرواية عند ابن حبان (٥١٩٩) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّ حُيَيٍّ: «**مَا فَعَلَ مَسْكُ حُيَيٍّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنَ النَّضِيرِ؟**»، فَقَالَ: أَذْهَبَتْهُ النَّفَقَاتُ وَالْحُرُوبُ فَقَالَ ﷺ: «**الْعَهْدُ قَرِيبٌ وَالْمَالُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ**»، فَدَفَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِلَى الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، فَمَسَّهُ بِعَذَابٍ، وَقَدْ كَانَ حُيَيٌّ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ دَخَلَ خَرِبَةً، فَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُ حُيَيًّا يَطُوفُ فِي خَرِبَةِ هَاهُنَا، فَذَهَبُوا فَطَافُوا، فَوَجَدُوا الْمِسْكَ فِي خَرِبَةٍ فَقَتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ابْنَيْ أَبِي حَقِيقٍ وَأَحَدُهُمَا زَوْجُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَسَبَى رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيَّهُمْ، وَقَسَمَ أَمْوَالَهُمْ لِلنَّكْثِ الَّذِي نَكَثُوهُ.

وَسَبَى نِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيَّهُمْ،[١] وَأَرَادَ أَنْ يُجْلِيَهُمْ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، دَعْنَا نَعْمَلْ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، وَلَنَا الشَّطْرُ مَا بَدَا لَكَ، وَلَكُمُ الشَّطْرُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِي كُلَّ

امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ ثَمَانِينَ وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ، وَعِشْرِينَ وَسْقًا مِنْ شَعِيرٍ[٢].

وفي رواية ابن ابن حبان[١] وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَأْتِيهِمْ كُلَّ عَامٍ يَخْرُصُهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يُضَمِّنُهُمُ الشَّطْرَ، قَالَ: فَشَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ شِدَّةَ خَرْصِهِ، وَأَرَادُوا

=

وفي «سيرة ابن هشام »(٢/ ٣٣٧) فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهَّ ﷺالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، فَقَالَ: عَذِّبْهُ حَتَّىٰ تَسْتَأْصِلَ مَا عِنْدَهُ، فَكَانَ الزُّبَيْرُ يَقْدَحُ بِزَنْدٍ فِي صَدْرِهِ، حَتَّىٰ أَشْرَفَ عَلَىٰ نَفْسِهِ...ولم أجد سنداً ثابتاً بهذا ، وفي رواية ابن حبان السالفة ما يشهد لبعض ذلك والله أعلم .

(١) قال ابن كثير في «البداية والنهاية »(٤/ ٢٢٦) بعد ذكره أن رسول الله ﷺصالحهم علىٰ ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والكراع والحلقة ، وعلىٰ البز إلا ما كان علىٰ ظهر الأرض – يعني لباسهم – قال : قُلْتُ: «وَهَذَا لَمَّا كَتَمُوا وَكَذَبُوا وَأَخْفَوْا ذَلِكَ الْمَسْكَ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ تَبَيَّنَ أنه لا عهد لهم فقتل ابني أَبِي الْحُقَيْقِ وَطَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِهِ بِسَبَبِ نَقْضِ الْعُهُودِ مِنْهُمْ وَالْمَوَاثِيقِ».

(٢) ولذلك قال عمر بن الخطاب ﷺ : «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ «كَانَ عَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَىٰ أَنَّا نُخْرِجُهُمْ إِذَا شِئْنَا، فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلْيَلْحَقْ بِهِ، فَإِنِّي مُخْرِجٌ يَهُودَ»، فَأَخْرَجَهُمْ.

أخرجه أبو داود (٣٠٠٧) بسندٍ حسن، وبنحوه في صحيح مسلم (١٥٥١) وغيره ، فقرُّوا بها حتىٰ أجلاهم عمر إلىٰ تيماء وأريحاء.

أَنْ يَرْشُوهُ، فَقَالَ: «**يَا أَعْدَاءَ اللهِ أَتُطْعِمُونِي السُّحْتَ، وَاللهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَأَنْتُمْ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ مِنَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَى أَنْ لَا أَعْدِلَ عَلَيْكُمْ**»، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.

قَالَ: وَرَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعَيْنَيْ صَفِيَّةَ خُضْرَةً، فَقَالَ:

«يَا صَفِيَّةُ مَا هَذِهِ الْخُضَرَةُ؟، فَقَالَتْ: كَانَ رَأْسِي فِي حِجْرِ بْنِ أَبِي حَقِيقٍ وَأَنَا نَائِمَةٌ،فَرَأَيْتُ كَأَنَّ قَمَرًا وَقَعَ فِي حِجْرِي، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَلَطَمَنِي،وَقَالَ: تَمَنَّيْنَ مَلِكَ يَثْرِبَ؟ قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ قَتَلَ زَوْجِي وَأَبِي وَأَخِي، فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ، وَيَقُولُ: «**إِنَّ أَبَاكِ أَلَّبَ عَلَيَّ الْعَرَبَ وَفَعَلَ وَفَعَلَ**»حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي(٢)، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِي كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ ثَمَانِينَ وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ كُلَّ عَامٍ وَعِشْرِينَ وَسْقًا مِنْ شَعِيرٍ.

=

(١) برقم (٥١٩٩) وسيأتي التعليق على صحتها قريباً إن شاء الله، وأصل القصة في «صحيح البخاري».

(٢) الله أكبر الله أكبر ليتعلَّم أصحاب المهارات العلية والطب النفسي!

ولقد بلغ من مهاراته ﷺ في هذا الباب : أنه عاشر من الزوجات الكبيرة التي تكبره بسنوات(خديجة رضي الله عنها)، ومن تصغره بنحو أربعين سنة(عائشة رضي الله عنها) والمطلَّقة (زينب التي كانت زوجة زيد قبل)، والتي توفي عنها زوجها (كأُم سلمة) والمسبية ابنتي رئيس قومها، وصارتا من الإماء (كصفية وجويرية).

كانت فيهنَّ الجميلة الملَّاحة التي لايراها أحد إلا أخذت بنفسه(كجويرية وصفية) .

=

كان فيهن التي لا تصلح إلا له، لجمالها البارع.

كذا كانت تحته ابنة ألدِّ أعدائه إليه (ابنة أبي سفيان بن حرب)- أم حبيبة- وكان أخوها إذ ذاك يُعاديه ويحاربه ويؤَلِّب عليه أوباش العرب كما في غزوة الأحزاب ..

كانت تحته ابنة ملك اليهود (صفية) وابنة سيد بني المصطلق سيد قومه- الحارث المصطلقي والد (جويرية) كان فيهنَّ ابنة الملك وما دونه.كانت تحته ابنة المسلم الصديق، وابنة فاروق الأمة – وزيراه وأحب الناس إليه – وابنة مَن هو دون ذلك،فيهن المسكينة الأرملة، وفيهن من فيها حدَّة وسورة،تسرع إليها الفينة بعد الفينة(زينب بنت جحش) ، كانت تحته الغيراء شديدة الغيرة ،كانت تحته ابنة الفقير والغني ، ومَن كان لديها أولاد من غيره كأُم سلمة.

تحته مَن كانت تنجب ، ومن لم تكن تنجب..، وكن يغرن عليهن كبقية النساء، وكان يعاني من الفقر والجوع حتى يربط الأحجار على بطنه من شدَّة الجوع ... والمشاكل على الصَّعيد الداخلي والخارجي، وبين أصحابه وبعض إخوانهم، والحروب بينه وبين أعدائه مستمرَّة .

منهن مّن كانت عالمة فقيهة عالمة بالطب وأنساب العرب والشرع والتربية ...كعائشة ب ، ومَن هي دون ذلك، ومع ذلك الإختلاف بينهن في المنشأ وأصل التربية وما اعتدن عليه ... لم يأت من واحدة منهن شكاية لأحد، وكُنَّ تسعة في آن واحد ..ومع ذلك استطاع أن يجمع بينهن، ويقوم بحقوقهن على الوجه الأكمل الذي لا تدركه امرأة كانت مع زوج وحدها –ولو كانت ذات حظوة عنده – فصلوات الله عليه وسلامه.

كل هذا مع انشغاله بحقوق الأمَّة مِن الدعوة إلى الله، والمواصلة في الصيام، ومشاركة أصحابه الهموم والأحزان والأفراح، ومجابهة خطط الأعداء من منافقين وعباد أوثان ويهود ونصارى على كثرتهم، ومع هذا لم يشغله كل ذلك عن أداء حقوق ربه في العبادة على الوجه الأكمل !!

إنها شخصية فذَّة .

فَلَمَّا كَانَ زَمَنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، غَشُّوا الْمُسْلِمِينَ، وَأَلْقَوْا ابْنَ عُمَرَ مِنْ فَوْقِ بَيْتٍ(١)، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:

=

وما حصل بينهن ولا منهن إلا ما اقتضته حكمة اللطيف الخبير سبحانه مما جُبلت عليه النساء، لنتعلم كيفية التعامل مع الزوجات.....وشرح هذا وتفصيله يحتمل مصنفاً مستقلاً نافعاً يبيِّن فنون التعامل مع الزوجات، وكيف كانت قيادته ﷺ لزوجاته رضي الله عنهن .

(١) وفي صحيح البخاري (٢٧٣٠) لَمَّا فَدَعَ أَهْلُ خَيْبَرَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، قَامَ عُمَرُ خَطِيبًا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَقَالَ:

«**نُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمُ اللهُ**» وَإِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ خَرَجَ إِلَى مَالِهِ هُنَاكَ، فَعُدِيَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَفُدِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلاَهُ، وَلَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرَهُمْ، هُمْ عَدُوُّنَا وَتُهَمَتُنَا وَقَدْ رَأَيْتُ إِجْلاَءَهُمْ، فَلَمَّا أَجْمَعَ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ أَتَاهُ أَحَدُ بَنِي أَبِي الحُقَيْقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتُخْرِجُنَا وَقَدْ أَقَرَّنَا ﷺ، وَعَامَلَنَا عَلَى الأَمْوَالِ وَشَرَطَ ذَلِكَ لَنَا، فَقَالَ عُمَرُ:

أَظَنَنْتَ أَنِّي نَسِيتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيْبَرَ تَعْدُو بِكَ قَلُوصُكَ لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ**».

فَقَالَ: كَانَتْ هَذِهِ هُزَيْلَةً مِنْ أَبِي القَاسِمِ، قَالَ:كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللهِ، فَأَجْلاَهُمْ عُمَرُ، وَأَعْطَاهُمْ قِيمَةَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الثَّمَرِ،مَالًا وَإِبِلًا، وَعُرُوضًا مِنْ أَقْتَابٍ وَحِبَالٍ وَغَيْرِ ذَلِك» ومعنى قوله كانت هزيلة يعني عكس الجدّ، يعترض على عمر لمعرفته أنه لا يخالف رسول الله ﷺ!! حتى استنبط منه الحافظ في «الفتح »(٥/ ٣٢٩) فقال: «وَفِيهِ أَنَّ أَفْعَالَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَقْوَالَهُ مَحْمُولَةٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ حَتَّى يقوم دَلِيل الْمَجَاز».

مَنْ كَانَ لَهُ سَهْمٌ مِنْ خَيْبَرَ، فَلْيَحْضُرْ حَتَّى نَقْسِمَهَا بَيْنَهُمْ، فَقَسَمَهَا عُمَرُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ رَئِيسُهُمْ: لَا تُخْرِجْنَا دَعْنَا نَكُونُ فِيهَا كَمَا أَقَرَّنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ عُمَرُ لِرَئِيسِهِمْ:

أَتَرَاهُ سَقَطَ عَنِّي قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ: « **كَيْفَ بِكَ إِذَا أَفَضَتْ بِكَ رَاحِلَتُكَ نَحْوَ الشَّامِ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا** »وَقَسَمَهَا عُمَرُ بَيْنَ مَنْ كَانَ شَهِدَ خَيْبَرَ مِنْ أَهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ

وهذه القصة يُجزم بصحتها.(١)

وفِي الْقِصَّةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَدَاوَةَ تُوَضِّحُ الْمُطَالَبَةَ بِالْجِنَايَةِ كَمَا طَالَبَ عُمَرُ الْيَهُودَ بِفَدَعِ ابْنِهِ، وَرَجَّحَ ذَلِكَ بِأَنْ قَالَ لَيْسَ لَنَا عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ فَعَلَّقَ الْمُطَالَبَةَ بِشَاهِدِ الْعَدَاوَةِ وَإِنَّمَا لَمْ يَطْلُبِ الْقِصَاصَ لِأَنَّهُ فُدِعَ وَهُوَ نَائِمٌ فَلَمْ يَعْرِفْ أَشْخَاصَهُمْ كما قاله المهلب رحمه الله. (٢)

---

(١) وإن كان في السند شك في قول عبيد بن عمر في روايته عن نافع عن ابن عمر ففي صحيح البخاري (٢٣٢٨)عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر معاملة النبي ﷺ لأهل خيبر في القدر الذي كان يعطيه لزوجاته، وكذا في صحيح البخاري (٢٣٢٩) و(٢٣٣١).

وفي صحيح البخاري (٢٣٣٨) إشارة عمر على رسول الله إقرار أهل خيبر عليها ، وأنه أجلاهم بعد إلى تيماء وأريحاء وهي في صحيح مسلم (١٥٥١) ولكن ليست بهذا الطول .

وفي صحيح البخاري(٢٧٣٠) –كما تقدم – تعدِّي اليهود على عبد الله بن عمر من الليل وفدع يده ورجله، وإجلاء عمر لهم عنها –على الخلاف في تفسير « فدع» ،هل هي بمعنى : سحروه وهو نائم فالتوت يداه ورجلاه، أم هي بمعنى: ضربوه أو ألقَوه من فوق بيت فأُصيبت يداه ورجلاه

(٢) فيما حكاه الحافظ في «الفتح»(٥/ ٣٢٩) عنه.

قدوم أبي هريرة رضي الله عنه المدينة في رهط من قومه

بعد ذهاب النبي ﷺ إلى خيبر (١) .

أخرج أحمد بسندٍ صحيح عن خُثَيْم يَعْنِي ابْن عِرَاكٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي رَهْطٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بِخَيْبَرَ، وَقَدِ اسْتَخْلَفَ

---

(١) وأبو هريرة رجل من عظماء الأمة بل الأمم الكبار حيث لم يمكث مع النبي ﷺ إلا أقل من أربع سنوات فقط، ومع ذلك حمل علماً غزيراً من علوم الإسلام في أقسام الشريعة حتى لُقِّب بعد بحافظ الصحابة...وإنه لعجب من عظم توفيق الله ومنَّته عليه، مع جملة المناقب التي قالها رسول الله ﷺ في شأنه مما ليس المقام مقام الاستفاضة فيه هنا .

- ذكَّرنا – والله – بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها التي لم تمكث مع النبي ﷺ أكثر من ثمان سنوات ومع ذلك لا تسأل عن علمها في الفقه والمعتقد والسير وأنساب العرب والطب والتربية وجودَة الذهن...وغير ذلك، مع انشغال النبي ﷺ عنها بمهمات الأمة من جهاد، وتعليم، ورعاية ومصالح الرعية غيرها بل ومصالح زوجاته – اللواتي هنَّ مختلفات الطباع والأسنان والأحوال – ومع ذلك روى الترمذي(٣٨٨٣) بسند ثابت عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلاَّ وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا.
- وذكَّرنا ذكَّرنا أبو هريرة بزيد بن ثابت الذي تعلَّم لغة يهود والسريانية – لغتين – حتى صار مترجِماً يكتب الكتب لهم ويقرأ كتبهم ...كل هذا في مدَّة لم تتجاوز عشرين يوماً !

فكيف إذا طال بنا الكلام عن بعضهم في الجهاد ،أو الزهد ،أو الورع ،أو الحكمة ،أو فنون القيادة ، أو التضحية والشجاعة، أو الفتوحات .....وهذا مما غاب عن الضُّلَّال الذين لم يعطوهم حقوقهم فقدحوا فيهم، وأخرجوا من زبالة أذهانهم وأفكارهم ما فاحت نجاسته في حق سادات الأمة بل سادات الأمم بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وللحديث عن هذا شجون .. رضي الله عنهم أجمعين.

سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ:« فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى بـ: {كهيعص} ،وَفِي الثَّانِيَةِ: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} .

قَالَ: فَقُلْتُ لِنَفْسِي: «وَيْلٌ لِفُلَانٍ إِذَا اكْتَالَ اكْتَالَ بِالْوَافِي، وَإِذَا كَالَ كَالَ بِالنَّاقِصِ»، قَالَ: «فَلَمَّا صَلَّى زَوَّدَنَا شَيْئًا حَتَّى أَتَيْنَا خَيْبَرَ، وَقَدِ افْتَتَحَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ» ، قَالَ: «**فَكَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ فَأَشْرَكُونَا فِي سِهَامِهِمْ** ».[١]

وفي صحيح البخاري[٢]قول أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: «شَهِدْنَا خَيْبَرَ» الحديث.

وهذا يدل على أنه رضي الله عنه لما ذهب إلى المدينة، لم يتوان بل خرج مباشرة إلى خيبر [٣]، لكن يبدوا أنه أتاهم متأخراً كما يدل عليه سياق الأحاديث.

وفي صحيح البخاري معلقـًا.[٤]

عن سَعِيد بْن العَاصِ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَانَ عَلَى سَرِيَّةٍ مِنَ

المَدِينَةِ قِبَلَ نَجْدٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَدِمَ أَبَانُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخَيْبَرَ بَعْدَ مَا افْتَتَحَهَا، وَإِنَّ حُزْمَ خَيْلِهِمْ لَلِيفٌ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ تَقْسِمْ لَهُمْ، قَالَ أَبَانُ: وَأَنْتَ بِهَذَا يَا وَبْرُ، تَحَدَّرَ مِنْ رَأْسِ ضَأْنٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**يَا أَبَانُ اجْلِسْ**»

---

(١) برقم (٨٥٥٢) .

(٢) برقم (٤٢٠٣).

(٣) وصاحب الهمة العالية ذو همة من يومه الأول !.

(٤) برقم (٤٢٣٨) وهو موصول بلفظ نحوه يأتي .

فَلَمْ يَقْسِمْ لَهُمْ. أراد احتقاره ، وصغر قدره عنده، وأنه مثل الوبر الذي يتدلى من رأس الضأن، في قلة المنفعة والمبالاة ،ولم يرُدّ ﷺ ما قاله الصحابي في شأن أخيه لحكمة وعدل.

وفي صحيح البخاري[١] سياق آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِخَيْبَرَ بَعْدَ مَا افْتَتَحُوهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْهِمْ لِي، فَقَالَ بَعْضُ بَنِي سَعِيدِ بْنِ العَاصِ: لاَ تُسْهِمْ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه :

«هَذَا قَاتِلُ ابْنِ قَوْقَلٍ».

فَقَالَ ابْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ: وَاعَجَبًا لِوَبْرٍ، تَدَلَّى عَلَيْنَا مِنْ قَدُومِ ضَأْنٍ، يَنْعَى عَلَيَّ قَتْلَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْرَمَهُ اللهُ عَلَى يَدَيَّ، وَلَمْ يُهِنِّي عَلَى يَدَيْهِ، قَالَ:

«فَلاَ أَدْرِي أَسْهَمَ لَهُ أَمْ لَمْ يُسْهِمْ لَهُ ».

فهذا يدل على أن أبا هريرة رضي الله عنه حضر غزوة خيبر، لكن يبدوا أنه حضر متأخراً، وتقدم ما هو أصرح من ذلك .

❁ ما فتح الله به على المؤمنين في غزوة خيبر

أخرج البخاري [٢] عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، يَقُولُ: افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ، وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً[١]، إِنَّمَا غَنِمْنَا البَقَرَ وَالإِبِلَ وَالمَتَاعَ وَالحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى وَادِي القُرَى...الحديث .

---

(١) برقم (٢٨٢٧).

(٢)برقم (٤٢٣٤).

وفي رواية مسلم [٢] قوله: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا وَرِقًا، غَنِمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ.

وفي صحيح البخاري [٣] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ قُلْنَا الآنَ نَشْبَعُ مِنَ التَّمْرِ». وفي رواية ابن عمر رضي الله عنه [٤] قَالَ:

«مَا شَبِعْنَا حَتَّى فَتَحْنَا خَيْبَرَ».

❁ دليل غنيمة الصحابة بعض الحُلي: ما أخرجه مسلم [٥] عن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ، يَقُولُ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِخَيْبَرَ بِقِلَادَةٍ فِيهَا خَرَزٌ وَذَهَبٌ، وَهِيَ مِنَ الْمَغَانِمِ تُبَاعُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالذَّهَبِ الَّذِي فِي الْقِلَادَةِ فَنُزِعَ وَحْدَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَزْنًا بِوَزْنٍ**».

من كرامات رسول الله ﷺ يوم خيبر

❁ أخرج البخاري [٦] عن يَزِيد بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ، فَقُلْتُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ، مَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ،

=

(١) يعني: ذهباً كثيراً، وإلا فقد غنموا بعض الحلى كما سيأتي.

(٢) برقم (١١٥).

(٣) برقم (٤٢٤٢).

(٤) في صحيح البخاري برقم (٤٢٤٣).

(٥) برقم (١٥٩١).

(٦) برقم(٤٢٠٦).

فَقَالَ النَّاسُ: أُصِيبَ سَلَمَةُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ «فَنَفَثَ فِيهِ ثَلاَثَ نَفَثَاتٍ، فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ».

❁ ومن ذلك :

بصاقه على عين على بن أبي طالب رضي الله عنه فبرئت، وكان قد أصابه الرمد، وتقدَّم في موطنه .

❁ ومن ذلك – بل من معجزاته – عصمة الله لنبيه وقد أكل من الشاة المسمومة وإخباره بذلك، ولم يضُرُّه السمّ.

فأخرج البخاري [١] عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه :

أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: أَلاَ نَقْتُلُهَا، قَالَ: «لاَ»، فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وفي رواية مسلم [٢]: فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ، قَالَ:

«مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ» قَالَ: - أَوْ قَالَ - «عَلَيَّ» .

وأخرج البخاري [١] عن عَائِشَة رضي الله عنها قَالَتْ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي [٢] مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ».

---

(١) برقم (٢٦١٧).

(٢) برقم(٢١٩٠).

وفي مسند أحمد[٣] بسند صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْيَهُودِ أَهْدَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَاةً مَسْمُومَةً، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَقَالَ:

«**مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا صَنَعْتِ؟**» قَالَتْ: أَحْبَبْتُ - أَوْ أَرَدْتُ - إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَإِنَّ اللهَ سَيُطْلِعُكَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ نَبِيًّا أُرِيحُ النَّاسَ مِنْكَ،قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِذَا وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا احْتَجَمَ»، قَالَ: «فَسَافَرَ مَرَّةً، فَلَمَّا أَحْرَمَ، وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَاحْتَجَمَ».

ولذلك يرى البعض أن النبي ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة

وسيأتي مزيد عن الشاة المسمومة في ذكر وفاته ﷺ.

قصة رجل قتل نفسه في هذه الغزوة وما قاله رسول الله ﷺ في ذلك.

أخرج البخاري حديثه عن أبي هُرَيْرَة ﷺ، قَالَ: شَهِدْنَا خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ: «**هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ**».

فَلَمَّا حَضَرَ القِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ أَشَدَّ القِتَالِ، حَتَّى كَثُرَتْ بِهِ الجِرَاحَةُ، فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ يَرْتَابُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ أَلَمَ الجِرَاحَةِ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى كِنَانَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا أَسْهُمًا فَنَحَرَ بِهَا نَفْسَهُ، فَاشْتَدَّ رِجَالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ. فَقَالُوا:

=

(١) معلقا مجزوماً به برقم (٤٤٢٨) ووصله البيهقي في «الدلائل»(٧/ ١٧٢).

(٢) أبهري: هو عرق مرتبط بالقلب إذا انقطع مات الإنسان .

(٣) برقم (٢٧٨٤) .

يَا رَسُولَ اللهِ، صَدَّقَ اللهُ حَدِيثَكَ، انْتَحَرَ فُلاَنٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ: «قُمْ يَا فُلاَنُ، فَأَذِّنْ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ»[١].

زواج النبي ﷺ من صفية بنت حيي رضي الله عنه

أخرج البخاري[٢] عن أنس رضي الله عنه قال: قَدِمْنَا خَيْبَرَ فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الحِصْنَ، ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ، حَلَّتْ فَبَنَى بِهَا، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطَعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ». فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى صَفِيَّةَ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى المَدِينَةِ قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ.

وفي رواية[٣] عن أنس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «أَقَامَ عَلَى صَفِيَّةَ بِنْتِ = حُيَيٍّ بِطَرِيقِ خَيْبَرَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، حَتَّى أَعْرَسَ بِهَا، وَكَانَتْ فِيمَنْ ضُرِبَ عَلَيْهَا الحِجَابُ».

وكان زوجها كنانة بن أبي الحقيق قتله رسول الله ﷺ مع المقاتَلة.

---

(١) برقم (٤٢٠٣) وأخرجه مسلم (١١١)، ووقع في بعض النسخ: قول أبي هريرة: شهدنا حنيناً، وصوَّبه القاضي عياض فقال: الصواب شهدنا خيبر.

(٢) برقم (٤٢١١).

(٣) في صحيح البخاري (٤٢١٢).

سياق آخر لزواجه ﷺ من صفية رضي الله عنها مع ذكر الأحداث

أخرج البخاري[1] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَزَا خَيْبَرَ، فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلاَةَ الغَدَاةِ بِغَلَسٍ، فَرَكِبَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَرَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ، وَأَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ، فَأَجْرَى نَبِيُّ اللهِ ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، ثُمَّ حَسَرَ الإِزَارَ عَنْ فَخِذِهِ حَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ فَخِذِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا دَخَلَ القَرْيَةَ قَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ}** [الصافات: ١٧٧]».

قَالَهَا ثَلاَثًا، قَالَ:

وَخَرَجَ القَوْمُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ، قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: وَالخَمِيسُ - يَعْنِي الجَيْشَ - قَالَ: فَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً، فَجُمِعَ السَّبْيُ، فَجَاءَ دِحْيَةُ الكَلْبِيُّ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ، قَالَ: «**اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً**»، فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، لاَ تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ، قَالَ: «**ادْعُوهُ بِهَا**».

فَجَاءَ بِهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ:

---

(١) برقم (٣٧١) وأخرجه مسلم أيضاً برقم (١٣٦٥).

«**خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا**»، قَالَ: فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا، فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، مَا أَصْدَقَهَا؟ قَالَ: نَفْسَهَا، أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ، جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ.

فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوسًا، فَقَالَ: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ**» وَبَسَطَ نِطَعًا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السَّوِيقَ، قَالَ: فَحَاسُوا حَيْسًا، فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

تنبيه:

الحديث محمول على أنه ﷺ استبرأها قبل إتيانها، ولا يتخيل أنه ﷺ ينهى الرجل عن سقي مائه زرع غيره ثم هو ﷺ يفعله [1].

---

(١) ويؤيده رواية البخاري (٤٢١١) عن أنس رضي الله عنه قال: «...فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الرَّوْحَاءِ حَلَّتْ فَبَنَى بِهَا، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطَعٍ صَغِيرٍ..الحديث. ومعنى «حَلَّت» أي طهرت من الحيض. وفي رواية ابن أبي شيبة (٧/ ٢٩٣) قول أنس رضي الله عنه: ...فَقَسَمَ الْغَنَائِمَ فَوَقَعَتْ صَفِيَّةُ فِي سَهْمِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، فَقِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّهُ قَدْ وَقَعَتْ جَارِيَةٌ جَمِيلَةٌ فِي سَهْمِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، اشْتَرَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْعَةِ أَرْؤُسٍ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تُصْلِحُهَا، قال ثابت – الراوي عن أنس –: وَلَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: وَتَعْتَدُّ عِنْدَهَا...وإسناده على شرط مسلم.

وعند ابن سَعْدٍ في «طبقاته» (٨/ ١٢٣) مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ، وَأَصله عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي قِصَّةِ صَفِيَّةَ قَالَ أَنَسٌ وَدَفَعَهَا إِلَى أُمِّي أُمِّ سُلَيْمٍ حَتَّى تُهَيِّئَهَا وَتُصَبِّنَهَا وَتَعْتَدَّ عِنْدَهَا وَإِطْلَاقُ الْعِدَّةِ عَلَيْهَا مَجَازٌ عَنِ الِاسْتِبْرَاءِ، وَاللهُ أَعْلَمُ. قاله الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤٨٠).

وقد ورد أن أبا أَيُّوبَ خَالِد بْن زَيْدٍ، أَخُا بَنِي النَّجَّارِ بات مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ، يَحْرَسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيُطِيفُ بِالْقُبَّةِ، حَتَّى أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى مَكَانَهُ قَالَ: مَالك يَا أَبَا أَيُّوبَ؟

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، خِفْتُ عَلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ، وَكَانَتْ امْرَأَةً قَدْ قَتَلْتَ أَبَاهَا وَزَوْجَهَا وَقَوْمَهَا، وَكَانَتْ حَدِيثَةَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، فَخِفْتهَا عَلَيْكَ. فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**اللَّهمّ احْفَظْ أَبَا أَيُّوبَ كَمَا بَاتَ يَحْفَظُنِي**».

ولكن لم أقف لذلك على سند يثبت والله أعلم [١].

نهي النبي ﷺ عن وطء النساء حتى تستبرأ

أخرج أحمد [٢] بسند حسن عَنْ حَنَشٍ الصَّنْعَانِيِّ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَرْيَةً مِنْ قُرَى الْمَغْرِبِ يُقَالُ لَهَا: جَرَبَّةُ، فَقَامَ فِينَا خَطِيبًا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي لَا أَقُولُ فِيكُمْ إِلَّا مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

=

فلا يظن ظان أنه بنى بها دون استبراء فإن عدَّة المسبية حيضة واحدة كما بيناه في كتاب «تبصير النساء»، ويحتمل أن يكون ذلك قبل نهيه في الحديث أن يسقي الرجل ماءه زرع غيره.فإن رسول الله ﷺ إنما نهى عن ذلك في تلك الغزوة كما سيأتي في الباب الأتي عقب هذا والله أعلم .

وقد قال رسول الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْقِيَ مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ**» - يَعْنِي: إِتْيَانَ الْحَبَالَى -»وسيأتي ذكره في غزوة حنين إن شاء الله.

(١) وإنما قاله ابن إسحاق -كما في «السيرة»لابن هشام (٢/ ٣٤٠) - بغير سند .

(٢) برقم (١٦٩٩٧) وابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام».

قَامَ فِينَا يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَقَالَ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْقِيَ مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ**»- يَعْنِي إِتْيَانَ الْحَبَالَى مِنَ السَّبَايَا - وَأَنْ يُصِيبَ امْرَأَةً ثَيِّبًا مِنَ السَّبْيِ حَتَّى يَسْتَبْرِئَهَا - يَعْنِي إِذَا اشْتَرَاهَا - .

وَأَنْ يَبِيعَ مَغْنَمًا حَتَّى يُقْسَمَ، وَأَنْ يَرْكَبَ دَابَّةً مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَعْجَفَهَا رَدَّهَا فِيهِ، وَأَنْ يَلْبَسَ ثَوْبًا مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَخْلَقَهُ رَدَّهُ فِيهِ».

منزلة صفية رضي الله عنها من السبي

تقدم في حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :« خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ} [الصافات: ١٧٧] »، قَالَ: وَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.وَوَقَعَتْ فِي سَهْمِ دِحْيَةَ جَارِيَةٌ جَمِيلَةٌ، فَاشْتَرَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْعَةِ أَرْؤُسٍ، ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تُصَنِّعُهَا لَهُ وَتُهَيِّئُهَا - قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ - وَتَعْتَدُّ فِي بَيْتِهَا[1]، وَهِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، قَالَ: وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلِيمَتَهَا التَّمْرَ وَالْأَقِطَ وَالسَّمْنَ، فُحِصَتِ الْأَرْضُ أَفَاحِيصَ، وَجِيءَ بِالْأَنْطَاعِ، فَوُضِعَتْ فِيهَا، وَجِيءَ بِالْأَقِطِ وَالسَّمْنِ فَشَبِعَ النَّاسُ، قَالَ:

وَقَالَ النَّاسُ: لَا نَدْرِي أَتَزَوَّجَهَا، أَمِ اتَّخَذَهَا أُمَّ وَلَدٍ؟ قَالُوا: إِنْ حَجَبَهَا فَهِيَ امْرَأَتُهُ، وَإِنْ لَمْ يَحْجُبْهَا فَهِيَ أُمُّ وَلَدٍ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ حَجَبَهَا، فَقَعَدَتْ عَلَى

---

(١) وهذا يؤيد أن رسول الله ﷺ لم يقربها إلا بعد استبرائها ، فقوله هذا معناه تعتد في بيتها: أي تستبرئ فإنها كانت مُسبية يجب استبراؤها، وجعلَها في مدة الاستبراء في بيت أم سليم، فلما انقضى الاستبراء جهَّزتها أم سليم، وهيأتها أي زينَتها وجمَّلتها على عادة العروس.

عَجُزِ الْبَعِيرِ، فَعَرَفُوا أَنَّهُ قَدْ تَزَوَّجَهَا، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، دَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدَفَعْنَا، قَالَ: فَعَثَرَتِ النَّاقَةُ الْعَضْبَاءُ، وَنَدَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَنَدَرَتْ، فَقَامَ فَسَتَرَهَا، وَقَدْ أَشْرَفَتِ النِّسَاءُ، فَقُلْنَ:أَبْعَدَ اللهُ الْيَهُودِيَّةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، أَوَقَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: إِي وَاللهِ، لَقَدْ وَقَعَ[1].

❁ تنبيه بشأن أخذ رسول الله ﷺ صفيَّة دون غيره:

لم يخصّ نفسه بشيء لا يحل له، وإنما كان في أخذه ﷺ لها فوائد تحتمل رسالة مستقلة، إذ أخذه لها قطع للنزاعات عليها – وقد ظهر هذا النزاع لما وقعت في سهم دحية رضي الله عنه – فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، لاَ تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ...فلا تصلح إلا له ليستقيم الأمر .

❁ ومن وجه الحكمة في أخذها:

اختيار الكفء المناسب: فهي بنت سيد قومها، ثم هي سيدة قريظة فكيف تستقيم مع غيره ﷺ؟

ومَن يُرَوِّدها غيره، من يَقدر على هذا ، وتقدَّم قوله لها بشأن أبيها الذي ألَّبَ عليَّ العرب فقتله ﷺ، وقد قُتِل زوجها وهي عزيزةٌ أبيَّة، سيدة قومِها حَسَبًا وجمالاً ؟...وقد ليَّن قلبها ﷺ وتمكَّنت مَحبَّته من قلبها، ورضيت به زوجًا وبدينه اعتناقًا، وبشريعته منهاجًا .

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٦٥) .

فكم كان الصحابي حكيماً لما قال لرسول الله ﷺ: « أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، لاَ تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ»!.

ثم إن تزويجها بعد ذلك كله حِكَم قد خَفِيَت على الزنادقة، والله المستعان

ومن الحكمة في تزوجها :

تحقيق الرؤيا التي رأتها قبل وحكتها للنبي ﷺ أن قمراً وقع في حجرها .فلأنها من الله، فلا يبعد أن يكون أخذه ﷺ لها بوحي من الله، وإن كان في ذلك بُعد، لأنه لو كان لافتخرت على بقية أمهات المؤمنين كما افتخرت زينب رضي الله عنها حين قالت:

« زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ».(١)

ومن ذلك :

تعليم المسائل الفقهية في شأن زواجه ﷺ والتي منها: الرحمة بعزيز قوم ذل ، ومشروعية مواساة المساكين، ومشروعية أن يكون الصداق عتقاً، فلا يشترط أن يكون مالاً، ووجوب استبراء المُسبية، وظهور مهارة النبي ﷺ في ترويد نفس مَن قَتَل ﷺ أباها وزوجها كنانة بن أبي الحقيق وأخاها وعمَّها .

كيف تعيش تحت رجل قد وقع منه ذلك ؟

فما زال بها حتى أنساها أباها – وهو سيد قومه – وزوجها – الذي كان رئيس قومه، مع أن العادة : أن الحُبَّ- في الجملة- للحبيب الأوَلِ .

---

(١) كما في صحيح البخاري (٧٤٢٠).

لقد انقلب بعد أن كان عدواً لدوداً لها، صار أحب الناس إليها، تُوالى في محبته وتعادي..، وكرامة ظهرت في وليمتها، ومعرفة التفريق بين الإماء والحرائر في أمر الحجاب، وظهور حُسن بطانته ﷺ التي ظهرت في إشارة الصحابي رضي الله عنه على النبي ﷺ بأخذ صفية لكونها لا تصلح إلا له، فنعم البطانة ولم يقع في نفس واحد منهم شيء من استئثاره بالجميلة دونهم،وأخذها من دحية رضي الله عنه بعدما أخذها، فسبحان الله أي رجال هؤلاء !

ومن ذلك :

سرعة استجابة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ فيما يشتَهونه ، فقد كانوا يفضِّلونه على أنفسهم رضي الله عنهم .

ثم إن رسول الله ﷺ لم يعتدِ – في أخذها له – على حق أحد من أصحابه،فقد اختار حقَّه ﷺ فوافق وجه الحكمة، فماذا ؟

وقد أخرج أبو داود [١] بسندٍ صحيح عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَتْ صَفِيَّةُ مِنَ الصَّفِيِّ»

والصفي فسره محمد بن سيرين فيما أخرجه أبو داود[٢] قَالَ: عَنْ سَهْمِ النَّبِيِّ ﷺ الصَّفِيِّ؟ قَالَ: «كَانَ يُضْرَبُ لَهُ بِسَهْمٍ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ وَالصَّفِيُّ يُؤْخَذُ لَهُ رَأْسٌ مِنَ الخُمُسِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ».

---

(١) برقم (٢٩٩٤).

(٢) برقم (٢٩٩٢)وصححه الحافظ في «الفتح»(٧/ ٥٩٣).

وهو قول عبد الرزاق [١].

وأخرج [٢] بسندٍ صحيح عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: «كَانَ سَهْمُ النَّبِيِّ ﷺ يُدْعَى الصَّفِيَّ، إِنْ شَاءَ عَبْدًا، وَإِنْ شَاءَ فَرَسًا، يَخْتَارُهُ قَبْلَ الْخُمْسِ، ويَضْرِبُ لَهُ سَهْمَهُ، إِنْ شَهِدَ وَإِنْ غَابَ، وَكَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ مِنَ الصَّفِيِّ».

ومن مرسل قتادة قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا غَزَا كَانَ لَهُ سَهْمٌ صَافٍ، يَأْخُذُهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَهُ، فَكَانَتْ صَفِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ السَّهْمِ، وَكَانَ إِذَا لَمْ يَغْزُ بِنَفْسِهِ ضُرِبَ لَهُ بِسَهْمِهِ وَلَمْ يُخَيَّرْ»[٣].

وَقِيلَ:

إِنَّ صَفِيَّةَ كَانَ اسْمُهَا قَبْلَ أَنْ تُسْبَى زَيْنَبَ فَلَمَّا صَارَتْ مِنَ الصَّفِيِّ سُمِّيَتْ صَفِيَّةَ.[٤]

وتقدم أن النبي ﷺ اشتري صفية بسبعة أرؤس ثم دفعها إلى أم سليم تقوم بتهيئتها له كما في صحيح مسلم [٥] والله الموفق .

---

(١) في «المصنف»(٤/ ٣٠٠).

(٢) في «المصنف»(٩٤٨٥).

(٣) أخرج ذلك أبو داود (٢٩٩٣) وفي سنده ضعف .

(٤) حكاه الحافظ في «الفتح»(٧/ ٤٨٠).

(٥) برقم (١٣٥٦).

كيفية تقسيم أرض خيبر بين الغانمين

أخرج البخاري[١] عن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ:

«أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ أَتْرُكَ آخِرَ النَّاسِ بَبَّانًا لَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ، مَا فُتِحَتْ عَلَيَّ قَرْيَةٌ إِلَّا قَسَمْتُهَا كَمَا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ وَلَكِنِّي أَتْرُكُهَا خِزَانَةً لَهُمْ يَقْتَسِمُونَهَا».

أي: يقتسمون ما فيها كل وقت .

وأخرج أبو داود[٢] بسند صحيح عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ، قَالَ:

«قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ نِصْفَيْنِ، نِصْفًا لِنَوَائِبِهِ وَحَاجَتِهِ[٣]، وَنِصْفًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ،قَسَمَهَا بَيْنَهُمْ عَلَى ثَمَانِيَةَ عَشَرَ سَهْمًا».

---

(١) برقم (٤٢٣٥) .

(٢) برقم (٣٠١٠) .

(٣) يعني لما نزل به من ضيوف، أو تأليف قلوب، أو إعطاء لفقراء، أو لمصالح عامة، يصرفه ﷺ في السلاح والكراع ومصالح المسلمين.

فلما مات اعتقدت فاطمة رضي الله عنها وأزواج النبي ﷺ - أو أكثرهن - أن هذه الأراضي تكون موروثة عنه، ولم يبلغهن ما ثبت عنه ﷺ من قوله :« «**لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**» كما في الصحيح (٣٠٩٣) ومسلم (١٧٥٩) والخلفاء من بعده ﷺ صاروا على ضربه لم يخالفوا - وهو موطن مدح - خفي على الطاعنين على أبي بكر ثم عمر رضي الله عنهما من الروافض الشيعة أصحاب الفطر المنكوسة - قبحهم الله - الذين يعتبرون المدح قدحاً ...والله المستعان.

الامتناع من الإسهام لمن شهد خيبر من العبيد والنساء والصبيان

لم يُسهِم رسول الله لمن شهد خيبر من العبيد والنساء والصبيان ، وإنما رضخ لهم فأعطاهم شيئًا غير معلوم، ليس سهمًا .

فأخرج أبو داود [١] بإسناد صحيح عُمَيْرٌ مَوْلَى آبِي اللَّحْمِ[٢]، قَالَ: «شَهِدْتُ خَيْبَرَ مَعَ سَادَتِي، فَكَلَّمُوا فِيَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَمَرَ بِي فَقُلِّدْتُ سَيْفًا، فَإِذَا أَنَا أَجُرُّهُ فَأُخْبِرَ أَنِّي مَمْلُوكٌ، فَأَمَرَ لِي بِشَيْءٍ مِنْ خُرْثِيِّ الْمَتَاعِ».[٣]

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَمْ يُسْهِمْ لَهُ».

❁ كيفية الإسهام من غنائم خيبر

أخرج البخاري[٤] عن نافع عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: «قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ لِلْفَرَسِ سَهْمَيْنِ، وَلِلرَّاجِلِ سَهْمًا».

قَالَ: فَسَّرَهُ نَافِعٌ فَقَالَ:

«إِذَا كَانَ مَعَ الرَّجُلِ فَرَسٌ فَلَهُ ثَلَاثَةُ أَسْهُمٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَسٌ فَلَهُ سَهْمٌ».

---

(١) برقم (٢٧٣٠) ربعض أصحاب السنن وأحمد (٢١٩٤٠).

(٢) وعمير هذا مولى، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: «كَانَ حَرَّمَ اللَّحْمَ عَلَى نَفْسِهِ فَسُمِّيَ آبِي اللَّحْمِ».

(٣) خرثي المتاع :أي أثاث البيت أوالمتاع أو الغنائم .

(٤) برقم (٤٢٢٨) ومسلم (١٧٦٢) .

❁ وأعطى رسول الله ﷺ لأصحاب السفينة الذين أتوا من الحبشة

فأخرج البخاري [١] عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ:

«قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَنِ افْتَتَحَ خَيْبَرَ فَقَسَمَ لَنَا، وَلَمْ يَقْسِمْ لِأَحَدٍ لَمْ يَشْهَدِ الفَتْحَ غَيْرَنَا».

وستأتي قصة رجوعهم في باب قدوم أبي موسى ومن معه من الحبشة في بضعة وخمسين نفراً.

إستعمال النبي ﷺ رجلاً يباشر إنتاج خيبر

أخرج البخاري [٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى خَيْبَرَ، فَجَاءَهُ بِتَمْرٍ جَنِيبٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكُلُّ تَمْرِ خَيْبَرَ هَكَذَا؟**»، قَالَ: لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَنَأْخُذُ الصَّاعَ مِنْ هَذَا بِالصَّاعَيْنِ، وَالصَّاعَيْنِ بِالثَّلاَثَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ تَفْعَلْ، بِعِ الجَمْعَ بِالدَّرَاهِمِ، ثُمَّ ابْتَعْ بِالدَّرَاهِمِ جَنِيبًا**».

وذلك أن التساوي في الأجناس التي يدخلها الربا واجب، ومنها التمر .

وقد ذكر بعض أصحاب السير أن رسول الله ﷺ أمَّر عليهم عبد الله بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء ثمارها ثم يضمنهم إياه، فلما قتل عبد الله بن رواحة بمؤتة أرسل غيره، فالله أعلم [٣].

---

(١) برقم (٤٢٣٣) وأخرجه مسلم (٢٥٠٢).

(٢) برقم (٢٢٠١) ومسلم (١٥٩٣) .

(٣) «البداية والنهاية »(٤/ ٢٤٦).

تعهد الصحابة أموالهم بخيبر بأنفسهم

أخرج ابن إسحاق بسند حسن عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ إِلَى أَمْوَالِنَا بِخَيْبَرَ نَتَعَاهَدُهَا، فَلَمَّا قَدِمْنَا تَفَرَّقْنَا فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ: فَعُدِيَ عَلَيَّ تَحْتَ اللَّيْلِ، وَأَنَا نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِي، فَفُدِعَتْ يَدَايَ مِنْ مِرْفَقَيَّ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اسْتَصْرَخَ عَلَيَّ صَاحِبَايَ، فَأَتَيَانِي فَسَأَلَانِي:

مَنْ صَنَعَ هَذَا بِكَ؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي،قَالَ: فَأَصْلَحَا مِنْ يدىّ، ثمَّ قدمَا بِي عَلَى عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالَ: هَذَا عَمَلُ يَهُودَ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَنَّا نُخْرِجُهُمْ إِذَا شِئْنَا، وَقَدْ عَدَوْا عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، فَفَدَعُوا يَدَيْهِ، كَمَا قَدْ بَلَغَكُمْ، مَعَ عَدْوِهِمْ عَلَى الْأَنْصَارِيِّ قَبْلَهُ، لَا نَشُكُّ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهُ، لَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ بِخَيْبَرَ فَلْيَلْحَقْ بِهِ، فَإِنِّي مُخْرِجٌ يَهُودَ، فَأَخْرَجَهُمْ.(١)

وبعض الصحابة جعل نصيبة من خيبر وقف لله

كعمر بنِ الخطاب رضي الله عنه فقد أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ: «**إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا**» قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ، أَنَّهُ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الفُقَرَاءِ،

---

(١) كما في «السيرة النبوية »لابن هشام (٢/ ٣٥٧) وأصل قصة فدع يد عبد الله بن عمر ورجله، وأنه هو سبب إجلاء عمر رضي الله عنه لهم في صحيح البخاري(٢٧٣٠) وغيره .

وَفِي القُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَابْنِ السَّبِيل وَالضَّيْفِ...الحديث[١].

وعلى هذا الحديث دارت جُلُّ أحكام الوقف في الإسلام، واحتملت مصنفاً قام به أحد إخواننا طلاب العلم محمود بن شعيشع وفقه الله «أحكام الوقف».

في الطريق من الانصراف عن خيبر

أخرج مسلم[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ قَفَلَ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، سَارَ لَيْلَهُ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْكَرَى[٣] عَرَّسَ[٤]، وَقَالَ لِبِلَالٍ: «**اكْلَأْ لَنَا اللَّيْلَ**»[٥]، فَصَلَّى بِلَالٌ مَا قُدِّرَ لَهُ، وَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَلَمَّا تَقَارَبَ الْفَجْرُ اسْتَنَدَ بِلَالٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ مُوَاجِهَ الْفَجْرِ، فَغَلَبَتْ بِلَالًا عَيْنَاهُ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا بِلَالٌ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى ضَرَبَتْهُمُ الشَّمْسُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوَّلَهُمُ اسْتِيقَاظًا، فَفَزِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَيْ بِلَالُ**» فَقَالَ بِلَالُ: أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ - بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ - بِنَفْسِكَ، قَالَ: «اقْتَادُوا»، فَاقْتَادُوا رَوَاحِلَهُمْ شَيْئًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: =

---

(١) والقصة بوقفه لذلك في صحيح البخاري (٢٧٣٧) ومسلم (١٦٣٢).

(٢) برقم (٦٨٠).

(٣) الكري: النعاس.

(٤) عرس: يقال عرس إذا نزل المسافرون للراحة في آخر الليل.

(٥) أي ارقبه واحرسه حتى لا يضيع الوقت وقت صلاة الصبح.

«**مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا**»، فَإِنَّ اللهَ قَالَ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: ١٤] قَالَ يُونُسُ: وَكَانَ ابْنُ شِهَابٍ: «يَقْرَؤُهَا لِلذِّكْرَى».

كذا صُرِّح في هذه الرواية أن ذلك كان عند رجوعهم من خيبر .

تنبيه :

ورد في حديث ابْن مَسْعُودٍ قال: أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ لَيْلًا، فَنَزَلْنَا دَهَاسًا مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ: «**مَنْ يَكْلَؤُنَا**[(١)]؟» فَقَالَ بِلَالٌ: أَنَا، قَالَ: «**إِذًا تَنَامَ**» ، قَالَ: لَا، فَنَامَ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، فَاسْتَيْقَظَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فِيهِمْ عُمَرُ، فَقَالَ: أَهْضِبُوا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ:

«**افْعَلُوا مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ**» ، فَلَمَّا فَعَلُوا، قَالَ: «**هَكَذَا فَافْعَلُوا، لِمَنْ نَامَ مِنْكُمْ أَوْ نَسِيَ**» [(٢)].

كذا هذه الرواية، فالحارس في الروايتين هو بلال،والصلاة التي نام عنها هي الفجر ،والفعل هو الفعل ،ولكن في الأولى أن ذلك كان منصرفهم من خيبر ، وفي هذه الرواية أن منصرفهم كان من الحديبية [(٣)]!

---

(١) أي من يحرسنا .

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٥٧) والبيهقي في «الدلائل»(٤/ ٢٧٤) بسندٍ حسن، وفي سنده عبد الرحمن ابن أبي علقمة قد اختلف في صحبته، والأصح أن لا صحبة له ، لكن روىٰ عنه جمع ، ويحسن حديثه إن شاء الله إذا لم يرو ما يستنكر .

(٣) وفي صحيح البخاري (٣٤٤)من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه وقعة أخرىٰ مثلها ما أيقظهم إلا حر الشمس.

وقد أجاب البيهقي فقال[١]:

«يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ التَّارِيخُ لِنُزُولِ السُّورَةِ دُونَ هَذِهِ الْقِصَّةِ فَإِنْ كَانَ التَّارِيخُ لَهُمَا جَمِيعًا فَيُشْبِهُ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ نَوْمُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ وَقَعَ مَرْجِعَهُمْ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ ثُمَّ وَقَعَ مَرْجِعَهُ مِنْ خَيْبَرَ، وَقَدْ رَوَى عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ وَأَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ نَوْمَهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ، وَذَكَرَا فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ حَدِيثًا فِي الْمِيضَأَةِ،[٢] وَلَا أَدْرِي أَكَانَ ذَلِكَ مَرْجِعَهُمْ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ أَوْ مَرْجِعَهُمْ مِنْ خَيْبَرَ أَوْ وَقْتًا آخَر.

فوائد ودروس من غزوة خيبر

اشتملت قصة غزوة خيبر على دروس وعبر وفوائد وأحكام كثيرة :

❁ منها :

جواز قتال الكفار في الأشهر الحرم، لأن النبي ﷺ قد سار إلى خيبر في المحرم، وأنه غدا عليهم بعد يوم من منزله بالرجيع، وذاك الوادي بين مكة وغطفان كما تقدم، والمحرَّم من الأشهر الحرم .

❁ ومنها:

جواز الإغارة على من بلغته الدعوة بغير إنظار =

=

وفي «دلائل النبوة »(٤/ ١٥٦) رواية أخرىٰ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن ذلك كان منصرفهم من تبوك .!

(١) في «دلائل النبوة »(٤/ ٢٧٥) .

(٢) وهو حديث في صحيح مسلم (٦٨١).

وهذا جمعًا بين أنه ﷺ غزا خيبر ولم يسبق إنظار – فلم يعلموا إلا حين فجأهم فقالوا :«محمد والخميس ».

وتقدم قوله ﷺ لما دخل خيبر«..**الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحةقوم فساء صباح المنذرين**» فدل على أنهم بلغتهم الدعوة.

وأما من لم تكن بلغتهم الدعوة:

ففي الرواية عند البخاري ومسلم عن على رضي الله عنه [١]–حين بعثه –قال ﷺ له :

«**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**».

ومنها :

أن تقسيم الغنائم على السهام كما فعل النبي ﷺ في غنائم خيبر على سهامهم «إِذَا كَانَ مَعَ الرَّجُلِ فَرَسٌ فَلَهُ ثَلَاثَةُ أَسْهُمٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَسٌ فَلَهُ سَهْمٌ».

هكذا فسره نافع مولى ابن عمر [٢].

وفي صحيح مسلم [٣]عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَسَمَ فِي النَّفَلِ، لِلْفَرَسِ سَهْمَيْنِ، وَلِلرَّجُلِ سَهْمًا».

(١) البخاري (٣٧٠) ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) كما في رواية البخاري(٤٢٢٨).

(٣) برقم (١٧٦٢) وهو في صحيح البخاري أيضاً برقم (٢٨٦٣) بنحو من ألفاظه .

❁ ومنها :

أكل الطعام الذي يصاب من المشركين قبل القسمة لمن يحتاج إليه بشرط أن لا يدَّخِره لقول عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا مُحَاصِرِي خَيْبَرَ، فَرَمَى إِنْسَانٌ بِجِرَابٍ فِيهِ شَحْمٌ، فَنَزَوْتُ لِآخُذَهُ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ فَاسْتَحْيَيْتُ»(١).

فلولا جواز أخذه ما اقترب ليأخذه، ولا ضحك النبي ﷺ، لكنه استحيا لمكانة النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر (٢):

«النَّبِيَّ ﷺ أقرّ ابن مُغَفَّلٍ عَلَى الِانْتِفَاعِ بِالْجِرَابِ الْمَذْكُورِ.

=

وبوب النووي لذلك بباب كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين .

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٤) ومسلم (١٧٧٢) وفي لفظ: «أَصَبْتُ جِرَابًا مِنْ شَحْمٍ، يَوْمَ خَيْبَرَ، قَالَ: فَالْتَزَمْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا أُعْطِي الْيَوْمَ أَحَدًا مِنْ هَذَا شَيْئًا، قَالَ: «فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ مُتَبَسِّمًا»وعند ابن إسحاق كما في «السيرة»لابن هشام(٢/ ٣٣٩) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ، قَالَ: فَلَقِيَنِي صَاحِبُ الْمَغَانِمِ الَّذِي جُعِلَ عَلَيْهَا، فَأَخَذَ بِنَاحِيَتِهِ وَقَالَ: هَلُمَّ هَذَا نَقْسِمُهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا والله لَا أُعْطِيكَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يُجَابِذُنِي الْجِرَابَ. قَالَ: فَرَآنَا رَسُولُ الله ﷺ وَنَحْنُ نَصْنَعُ ذَلِكَ. قَالَ:

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ ضَاحِكًا، ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبِ الْمَغَانِمِ: لَا أَبَا لَكَ، خَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ. قَالَ: فَأَرْسَلَهُ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي وَأَصْحَابِي، فَأَكَلْنَاهُ.ولكن سنده منقطع .

(٢) في «فتح الباري»(٩/ ٦٣٨).

وَفِيهِ جَوَازُ أَكْلِ الشَّحْمِ مِمَّا ذَبَحَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ وَلَوْ كَانُوا أهل حَرْب».

وأما شرطية عدم الادخار وضمّه لنفسه فذلك لعموم حُرمة الأخذ من الغنيمة

وقد قال رسول الله ﷺ في شأن رجل شهد له الصحابة بالبلاء في سبيل الله:

«بَلىٰ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا....الحديث».[١]

❁ **ومنها :**

أَنَّ مَدَدَ الْجَيْشِ إِذَا حَضَرَ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ يُسْهَمُ لَهُ إِنْ رَضِيَ الْجَمَاعَةُ كَمَا وَقَعَ لِجَعْفَرٍ وَالْأَشْعَرِيِّينَ وَلَا يُسْهَمُ لَهُمْ إِذَا لَمْ يَرْضَوْا كَمَا وَقَعَ لِأَبَانَ بْنِ سَعِيدٍ وَأَصْحَابِهِ وَبِذَلِكَ يُجْمَعُ بَيْنَ الْأَخْبَارِ. [٢]

قال أبو موسى رضي الله عنه: «قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَنِ افْتَتَحَ خَيْبَرَ فَقَسَمَ لَنَا، وَلَمْ يَقْسِمْ لِأَحَدٍ لَمْ يَشْهَدِ الفَتْحَ غَيْرَنَا».

وهذه قصة أبان بن سعيد

قَدِمَ أَبَانُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخَيْبَرَ بَعْدَ مَا افْتَتَحَهَا، وَإِنَّ حُزْمَ خَيْلِهِمْ لَلِيفٌ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ تَقْسِمْ لَهُمْ، قَالَ أَبَانُ: وَأَنْتَ بِهَذَا يَا وَبْرُ، تَحَدَّرَ مِنْ رَأْسِ ضَأْنٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

---

(١) كما في صحيح البخاري (٤٢٣٤).

(٢) قاله الحافظ في «الفتح»(٧/ ٤٩٨).

«يَا أَبَانُ اجْلِسْ» فَلَمْ يَقْسِمْ لَهُمْ .

❁ ومنها :

تحريم لحوم الحمر الأهلية وأن ما لا يؤكل لحمه لا يطهر بالزكاة وتقدم أن رسول الله ﷺ لما طبخوها قال:

«أَكْفِئُوا القُدُورَ، فَلاَ تَطْعَمُوا مِنْ لُحُومِ الحُمُرِ شَيْئًا».

ومعلوم أن هذه الحمر ذُكيت فلو أن الزكاة تطهرها لما نهى رسول الله ﷺ عنها .

❁ ومنها :

تحريم متعة النساء،حرم النبي ﷺذلك يوم خيبر، وهي حرام إلى يوم القيامة وقد تناولت حيثيات التحريم عند شرحي ل «شرح السنة » للبربهاري .

❁ ومنها :

جواز المساقاة والمزارعة وبيان ذلك أن النبي ﷺ أقرَّ يهود خيبر على المزارعةعلى الشطر، وأنهم قالوا: فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ دَعْنَا نَعْمَلُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَلَنَا الشَّطْرُ وَلَكُمُ الشَّطْرُ.

وراجع المتعلق بالإجارات في كتابنا «البشارة بذكر الأحكام المتعلقة بالإجارة».

❁ ومنها :

إثبات عقد الصلح والتوثيق من أرباب التُّهم ، وذلك أن النبي قد صَالَح يهود خيبر، وأقر أبو بكر ذلك الصلح وهم أهل تُهم ، حتى أنهم ألقَوا ابن عمر من فوق بيت حتى فدعوا رجله..كما تقدم ، فلولا أن عقد الصلح مع أصحاب التهم جائز لما صح هذا ،وقد عقد النبي ﷺ صلحاً مع كفار قريش وهم عبدة أصنام،وهم بعقد صلح مع غطفان أثناء غزوة الأحزاب.

❁ ومنها :

أن من خالف من أهل الذمة ما شرط عليه انتقد عهده وأهدردمه،لأن النبي ﷺ قتل – في خيبر– المقاتلة بسبب كتمان ما اتفقوا عليه، وكانوا قد غيبوا كنز حيي بن أخطب والد صفية أم المؤمنين رضي الله عنها ،وعمر رضي الله عنه جعل ذلك نقضاً للعهد مع يهود خيبر .

❁ ومنها :

أن من أخذ شيئاً من الغنيمة قبل القسمة لم يمتلكه، ولو كان دون حقه، لأن دحية الكلبي لما أخذ صفية رضي الله عنها من السبي لم يمتلكها، بل أُمرأن يتركها، ولو كان ملكها بأخذه لها ما انتزعت منه وقد ملكها، لأن هذا ظلم له، وأخذ لحقِّه، فدلَّ على أنه ما تملَّك ما أخذه من الغنيمة قبل القسمة .

❁ ومنها :

أن الإمام مخيَّر في أرض العُنوة بين قسمتها وتركها ، فإن رسول الله ﷺ قسمها، ثم إن عمر رضي الله عنه قسمها ثم قال: فمن كان له مال فليلحَقَ به، فإني مُخرج يهود، فأجلاهم عمر إلى تيما ء وأريحاء كما تقدم .

وقد أعطى النبي ﷺ خيبر قبل لليهود أن يعملوا فيها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها [١].

❁ ومنها :

جواز إجلاء أهل الذمة إذا استُغنى عنهم، فإن رسول الله ﷺ أبقاهم ، فلما استُغنى عنهم بتفرُّغ الصحابة إليها ولم يعد للمسلمين حاجة إليهم أجلاهم عمر كما تقدم .

❁ ومنها :

جواز البناء بالأهل في السفر، فإن رسول الله ﷺ بنى بصفية، تزوجها وجَهَّزَتها له أمُ سليم رضي الله عنها وأهدَتها له من الليل فأصبح عَروسًا فلا غَضَاضَة في ذلك .

❁ ومنها :

عدم ترك طالب العلم تعَلُّم وتعليم ما يتعلق بالأحكام الشرعية حتى في أصعب الظروف ساعات القتال وأثناء الفتوحات، فتعليم العلم كان مستمرًّاً حتى في أصعب الظروف، فينهي ﷺ عن الربا، وبعض المحرمات .

ففي صحيح مسلم [٢] عن فَضَالَةَ بْن عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، يَقُولُ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِخَيْبَرَ بِقِلَادَةٍ فِيهَا خَرَزٌ وَذَهَبٌ، وَهِيَ مِنَ الْمَغَانِمِ تُبَاعُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالذَّهَبِ الَّذِي فِي الْقِلَادَةِ فَنُزِعَ وَحْدَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

---

(١) كما في صحيح البخاري(٤٢٤٨) وغيره.

(٢) برقم (١٥٩١).

«الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَزْنًا بِوَزْنٍ».

❁ ومنها:

عدم تخميس الطعام الذي يكون من الغنائم إنما يأكل إنسان كفايته وينصرف

وذلك لما أخرجه أبو داود [١] بإسناد صحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: قُلْتُ: « هَلْ كُنْتُمْ تُخَمِّسُونَ - يَعْنِي الطَّعَامَ - فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: «أَصَبْنَا طَعَامًا يَوْمَ خَيْبَرَ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ فَيَأْخُذُ مِنْهُ مِقْدَارَ مَا يَكْفِيهِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ».

❁ ومنها :

جواز الأكل من طعام أهل الكتاب ، وقبول هداياهم .

فإن رسول الله ﷺ لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سُمّ [٢]

وقد قبل رسول الله ﷺ هداياهم،وقبل إبراهيم ﷺ ما أهداه الجبار الكافر لزوجته سارة رضي الله عنها، وقد ذكرتُ دلائل ذلك في كتابي«جامع أحكام الهبات» وهو مطبوع، والله الهادي إلى سواء السبيل.

❁ ومنها :

إثبات الكرامات والمعجزات لرسول الله ﷺ وإعانة الله له بالنصر، وأن

---

(١) برقم (٢٧٠٤) وقد حسنه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية »(٤/٢٢٠) وليته صححه .

(٢) كما في صحيح البخاري (٤٢٤٩).

من استجاب لأمر رسول الله ﷺ ولو كان كارهاً أبدله الله فتحاً قريباً .

وقد وعد الله الصحابة رضي الله عنهم على إثر ما حصل في الحديبية الفتح القريب.
وقال ﷺ :«**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ إِلَّا بَدَّلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ**»(١).

❁ ومنها :

أن مخالفة بنود العهد يوجب العقوبة، وذلك عين ما حصل من سَعيَة اليهودي لمَّا كتم مكان الكنز الذي غيَّبه حيي بن أخطب.

❁ ومنها : أن عاقبة الإعراض عن قبول الهدي ذلة ومهانة وقد قال رسول الله ﷺ :« **وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**»(٢).

❁ ومنها :

أن من أعظم الموارد العظيمة للدولة الاسلامية:الغنائم التي تكون من آثار الجهاد، ففيه سعة الرزق كما تقدم في الحديث الماضي، فإن الصحابة ما شبعوا حتى فتحت خيبر وغنموا المتاع والطعام والثياب،وكانوا قبل ذلك في فقر.

❁ ومنها :

عظم حياء الصحابة من النبي ﷺ، فقد أراد الصحابي رضي الله عنه أن يأخذ جراب الشحم لنفسه فاستحيا من النبي ﷺ أن يراه يأخذه ....إلخ الفوائد التي =

---

(١) وقد خرجته في كتابي «الفوائد النيرة ».

(٢) وخرَّجته في كتابي «البشارة بذكر الأحكام المتعلقة بالإجارة ».

تحتمل مؤلَّفاً مُستقلاً تذكر فيه مع دلائلها ويربط بالواقع، يسر الله به .

خبر الشاة المسمومة التي سمَّتها اليهودية لرسول الله ﷺ

أخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ» فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ: «**إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟**».

فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ:

«**مَنْ أَبُوكُمْ؟**»، قَالُوا: فُلاَنٌ، فَقَالَ:

«**كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلاَنٌ**»، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالَ:

«**فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟**»

فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا[1]، فَقَالَ لَهُمْ:

«**مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟**»، قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اخْسَئُوا فِيهَا، وَاللهِ لاَ نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا**».

ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟**»، فَقَالُوا:

نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِمِ، قَالَ: «**هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟**».

---

(١) ومع ذلك وضعوا له السم اختباراً مع ظهور دلائل نبوته ﷺ !لا حول ولا قوة إلا بالله .

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟**»، قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ.[١]

وأخرج أحمد[٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**إِذَا وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا احْتَجَمَ**» ، قَالَ: «**فَسَافَرَ مَرَّةً، فَلَمَّا أَحْرَمَ، وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَاحْتَجَمَ**»

ولكن أخرج أبو داود[٣] عن أبي سلمة قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ**» زَادَ: فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ فَقَالَ:

«**ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ**» فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الْأَنْصَارِيُّ فَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ:

«**مَا حَمَلَكِ عَلَى الَّذِي صَنَعْتِ؟**» قَالَتْ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقُتِلَتْ، ثُمَّ قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ :«**مَازِلْتُ أَجِدُ مِنَ الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ فَهَذَا أَوَانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي**» كذا رواه أبو سلمة مرسلاً.

ورواه البيهقي[١] موصولاً عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه .وإسناده حسن موصولاً يُصَحح على الوجهين، ومعناه ليس بمُستبعد، والله أعلم .[٢]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٦٩).

(٢) برقم (٢٧٨٤) بسندٍ حسنه الحافظ ابن كثير في «تاريخه»(٤/ ٢٣٥) وليته صححه .

(٣) برقم (٤٥١٢).

وقال البيهقي في موطن آخر[٣] عقب المرسل: «قُلْتُ (البيهقي): وَرُوِّينَاهُ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهَا فِي الِابْتِدَاءِ، ثُمَّ لَمَّا مَاتَ بِشْرُ بن البراء» والله أعلم .

وللخبر رواية أخرى في بعض ألفاظها غرابة أو نكارة :

=

(١) في «السنن الكبرىٰ »(٨/ ٨٣) .

(٢) ولو صُحِّح المرسل ، فله شاهد مرسلاً .أخرجه البيهقي في «الدلائل»(٤/ ٢٦٠) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مالك: أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَهْدَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ شَاةً مَصْلِيَّةً بِخَيْبَرَ فَقَالَ مَا هَذِهِ فَقَالَتْ هَدِيَّةٌ وَحَذِرَتْ أَنْ تَقُولَ: مِنَ الصَّدَقَةِ فَلَا يَأْكُلُ، قَالَ: فَأَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَكَلَ أَصْحَابُهُ ثُمَّ قَالَ: أَمْسِكُوا، ثُمَّ قَالَ لِلْمَرْأَةِ: هَلْ سَمَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ؟

قَالَتْ: مَنْ أَخْبَرَكَ هَذَا؟ .

قَالَ: هَذَا الْعَظْمُ لِسَاقِهَا، وَهُوَ فِي يَدِهِ. قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: لِمَ؟ قَالَتْ: أَرَدْتُ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا أَنْ يَسْتَرِيحَ مِنْكَ النَّاسُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ، قَالَ فَاحْتَجَمَ النَّبِيُّ ﷺعَلَى الْكَاهِلِ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَاحْتَجَمُوا فَمَاتَ بَعْضُهُمْ .

وهذا مرسل جيد ، فإذا انضاف إلىٰ المرسل السابق – علىٰ فرض ترجيحه – فإنه يزيد المرسل قوة ،وله طرق أخرىٰ ، ويثبت الخبر :

أن النبي ﷺ أخبر أن الشاة مسمومة ، وإنما أكل في بداية الأمر ثم أُخبر ليكون أبلغ في حصول الكرامة أو المعجزة ، فها هو ﷺ أكل من السم ولم يضرُّه ، ولكن وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ، والله الهادي إلىٰ سواء السبيل .

(٣) في«دلائل النبوة »(٤/ ٢٦٢-٢٦٣).

أخرجها البزار [١] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ يَهُودِيَّةً أَهْدَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ شَاةً سَمِيطًا، فَلَمَّا بَسَطَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ،قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«**أَمْسِكُوا، فَإِنَّ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهَا يُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ**» فَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَتِهَا:«**أَسَمَمْتِ طَعَامَكِ هَذَا ؟**» .

قَالَتْ: نَعَمْ،قَالَ:«**مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ؟**» قَالَتْ: أَحْبَبْتُ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا أَنْ أُرِيحَ النَّاسَ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا عَلِمْتُ أَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيُطْلِعُكَ عَلَيْهِ، فَبَسَطَ يَدَهُ وَقَالَ:«**كُلُوا بِسْمِ اللهِ**» قَالَ: فَأَكَلْنَا وَذَكَرْنَا اسْمَ اللهِ، فَلَمْ يَضُرَّ أَحَدًا مِنَّا.

قال الحافظ ابن كثير: «قُلْتُ:« وَفِيهِ نَكَارَةٌ وَغَرَابَةٌ شَدِيدَةٌ وَاللهُ أَعْلَمُ.».

قلت «محمد »: يقصد – والله أعلم–لفظة:

{فَبَسَطَ يَدَهُ وَقَالَ«**كُلُوا بِسْمِ اللهِ**»، قَالَ: فَأَكَلْنَا وَذَكَرْنَا اسْمَ الله فلم يضر أحداً مِنَّا}.ولعلها من أخطاء عبد الملك بن أبي نضرة أحد رواته عن أبيه عن أبي سعيد.

وله طريق آخر [٢] عن أنس بنحو منه ، وفيه عنعنة مدلس .

وعلى كل لسنا في حاجة لتثبيت هذا الإسناد وأصل القصة ثابتة

---

(١) كما في «كشف الأستار»(٢٤٢٤)قال: حَدَّثَنَا هِلالُ بْنُ بِشْرٍ وَسُلَيْمَانُ بْنُ سَيْفٍ الْحَرَّانِيُّ، قَالا: ثنا أَبُو غِيَاثٍ سَهْلُ بْنُ حَمَّادٍ، ثنا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ به .. وقَالَ:لا نَعْلَمُ يُرْوَىٰ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ إلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(٢) عند البزار قبله برقم (٢٤٢٣).

بما تقدم من ألفاظ ، والجواب على اللفظ المستغرب ممكن، والله أعلم .

انصراف النبي ﷺ من خيبر إلى وادي القرى[١]

أخرج البخاري[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً، إِلَّا الأَمْوَالَ وَالثِّيَابَ وَالمَتَاعَ، فَأَهْدَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ، يُقَالُ لَهُ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ، لِرَسُولِ اللهِ ﷺ غُلاَمًا، يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ، فَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى وَادِي القُرَى، حَتَّى إِذَا كَانَ بِوَادِي القُرَى، بَيْنَمَا مِدْعَمٌ يَحُطُّ رَحْلًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذَا سَهْمٌ عَائِرٌ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الجَنَّةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا» .

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّاسُ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ - أَوْ شِرَاكَيْنِ - إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:

« شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ - أَوْ: شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ-».

وفي رواية[٣]:فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصَبْتُ شِرَاكَيْنِ لِنَعْلَيْنِ لِي، قَالَ: فَقَالَ:

«يُقَدُّ[٤] لَكَ مِثْلَهُمَا مِنْ النَّارِ».

---

(١) وادي القرىٰ: هو الآن قرية عامرة شمال المدينة علىٰ قرابة ٣٥٠ كيلوا من المدينة .

(٢) برقم (٦٧٠٧) ومسلم (١١٥).

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في«السيرة »لابن هشام (٢/ ٣٣٩) وإسناده حسن .

(٤) يقد : يقطع .

وفي صحيح البخاري[١] عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا جَاءَ وَادِيَ القُرَى إِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ لَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ:

«**اخْرُصُوا**»، وَخَرَصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، فَقَالَ لَهَا:

«**أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا**» فَلَمَّا أَتَيْنَا تَبُوكَ قَالَ:

«**أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلاَ يَقُومَنَّ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ**» فَعَقَلْنَاهَا وَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَأَلْقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّءٍ، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْدًا وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ[٢]، فَلَمَّا أَتَى وَادِيَ القُرَى قَالَ لِلْمَرْأَةِ: «**كَمْ جَاءَ حَدِيقَتُكِ**»[٣] قَالَتْ: عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، خَرْصَ رَسُولِ اللهِ ﷺ....الحديث .فهذا دليل على أن هذا الوادي دان للمؤمنين وسيطر عليه النبي ﷺ،والله أعلم.

ما حصل في أرض فدَك بعد خيبر[٤]

---

(١) برقم (١٤٨١) .

(٢) كتب له ببحرهم :أي أقرَّه النبي ﷺ ملكاً عليهم مقابل ما التزمه من الجزية.

(٣) كم جاءت حديقتك : أي كم بلغ ثمرها .

(٤) قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ خَيْبَرَ قَذَفَ الله الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ أَهْلِ فَدَكٍ، حِينَ بَلَغَهُمْ مَا أَوْقَعَ الله تَعَالَى بِأَهْلِ خَيْبَرَ،فَبَعَثُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يُصَالِحُونَهُ عَلَى النِّصْفِ من فدك، فَقدمت عَلَيْهِ رُسُلُهُمْ بِخَيْبَرَ،أَوْ بِالطَّائِفِ،أَوْ بَعْدَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، كَانَتْ فَدَكُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَالِصَةً،لِأَنَّهُ لَمْ يُوجَفْ عَلَيْهَا بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ.

أخرج البخاري[١] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها :أَنَّ فَاطِمَةَ، عَلَيْهَا السَّلاَمُ، أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، تَطْلُبُ صَدَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكٍ، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ[٢] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ:«**لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا المَالِ**».يَعْنِي :- مَالَ اللهِ - **لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى المَأْكَلِ**».

وَإِنِّي وَاللهِ لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ،وَلَأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ،وَذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحَقَّهُمْ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي

وكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله سنتهم ثم يُجعل الباقي في السلاح ـ أي الجهاد ـ

❁ **وفي الخبر منقبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه من وجوه:**

منها: ثناء علي رضي الله عنه عليه، وذلك على خلاف ما يفهم الشيعة الروافض الخبثاء الأغبياء ،والله المستعان .

قدوم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وأخيه في بضع وخمسين من الحبشة بعد فتح رسول الله ﷺ خيبر

---

(١) برقم (٣٧١١) ومسلم (١٧٥٩).

(٢) فدل على أن رسول الله ﷺ كان قد خمَّس أرض خيبر .

بَلَغَهُمْ مَخْرَجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُمْ باليمن فخرجوا مهاجرين في بعض وَخَمْسِينَ رَجُلًا فِي سَفِينَةٍ، فَأَلْقَتْهُمْ سَفِينَتُهُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَوَافَقُوا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طالب وأصحابه عندهم،فأمره جَعْفَرٌ بِالْإِقَامَةِ، فَأَقَامُوا عِنْدَهُ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ زَمَنَ خيبر (١).

قال وأبو مُوسَى شَهِدَ مَا جَرَى بَيْنَ جَعْفَرٍ وَبَيْنَ النَّجَاشِيِّ،فَأَخْبَرَ عَنْهُ،ثم عادوا بعد.

فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: «**قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَنِ افْتَتَحَ خَيْبَرَ فَقَسَمَ لَنَا، وَلَمْ يَقْسِمْ لِأَحَدٍ لَمْ يَشْهَدِ الفَتْحَ غَيْرَنَا**»(٢).

في الطريق بعد غزوة خيبر عند المرجع :

أخرج البخاري (٣)عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ،أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ**» ، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ لِي: «**يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ**».

---

(١) راجع صحيح البخاري (٤٢٣٠).

(٢) برقم (٤٢٣٣) .

(٣) برقم (٤٢٠٥) وأخرجه مسلم (٢٧٠٤).

قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:

«**أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: «**لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**».

وهذا يبين أن حياتهم بكامِلها ما بين علم ،تعلُّم وتعليم وتربية وتصفية حتى في أوقات الشدائد .

وموقف آخر :

عن أَنَسَ بْن مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ أَخْدُمُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ رَاجِعًا وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ، قَالَ: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**» ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى المَدِينَةِ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا، كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا**»[1].

حادث آخر في الطريق

أخرج البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَقْفَلَهُ مِنْ عُسْفَانَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَقَدْ أَرْدَفَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، فَعَثَرَتْ نَاقَتُهُ، فَصُرِعَا جَمِيعًا، فَاقْتَحَمَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «**عَلَيْكَ المَرْأَةَ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٩) ومسلم (١٣٦٥).

فَقَلَبَ ثَوْبًا عَلَى وَجْهِهِ، وَأَتَاهَا، فَأَلْقَاهُ عَلَيْهَا، وَأَصْلَحَ لَهُمَا مَرْكَبَهُمَا، فَرَكِبَا وَاكْتَنَفْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمَّا أَشْرَفْنَا عَلَى المَدِينَةِ قَالَ: «**آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ**»(١). فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى دَخَلَ المَدِينَةَ.

وبناؤه بصفية كان وهم آيبون من خيبر.

قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

اشتهر في هذا المقام أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قدم على رسول الله ﷺ في هذا التوقيت هو ومن معه ممن هاجروا الهجرة الأولى إلى الحبشة– الهجرة الأولى –، وأن رسول الله ﷺ أرسل عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي طالبًا منه أن يرجعهم، فحملهم في سفينتين فقدم بهم عمرو بن أمية إلى رسول الله ﷺ وهو بخيبر بعد الحديبية ، فَقَبَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَين عَيْنَيْهِ، وَالْتَزَمَهُ وَقَالَ:

«**مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أُسَرُّ: بِفَتْحِ خَيْبَرَ، أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ؟**»(٢).

ومع شهرة هذة الأخبار وكثرة طرقها، فلا يصح منه شيء فيما أعلم ولا حتى بمجموع الطرق،وفي النفس من ألفاظها شيء .

كيف يقول ﷺ هذا لجعفر دون غيره؟

وكيف يُسوِّي بين قدوم رجل من أصحابه، وفتحه لبلاد الكفر؟!

---

(١) برقم (٣٠٨٥) ومسلم (١٣٤٥).

(٢) أخرج ذلك ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٣٥٩).

إلا أن البخاري[١] أخرج عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِاليَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ، وَالآخَرُ أَبُو رُهْمٍ، إِمَّا قَالَ: بِضْعٌ، وَإِمَّا قَالَ:

فِي ثَلاَثَةٍ وَخَمْسِينَ، أَوِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ.

وَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا، يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ: سَبَقْنَاكُمْ بِالهِجْرَةِ، وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا، عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟[٢] قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الحَبَشِيَّةُ هَذِهِ البَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟[٣] قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالهِجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ: كَلَّا وَاللهِ،كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارِ- أَوْ فِي أَرْضِ =

(١) برقم (٤٢٣٠) ومسلم (٢٥٠٣).

(٢) فدل هذا على أنها كانت مستورة الوجه وإلا كان عرفها، وأدلة ستر وجه المرأة ذكرتها باستفاضة في كتابي «تبصير النساء»الجزء الثالث .

(٣) الحبشية:نسبها إلى الحبشة لأنها هاجرت إليها وسكنت فيها. (البحرية): أي التي ركبت البحر عند هجرتها.

- البُعَدَاءِ البُغَضَاءِ بِالحَبَشَةِ،[١] وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ ﷺ وَايْمُ اللهِ[٢] لاَ أَطْعَمُ طَعَامًا وَلاَ أَشْرَبُ شَرَابًا، حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ، وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَاللهِ لاَ أَكْذِبُ وَلاَ أَزِيغُ،[٣] وَلاَ أَزِيدُ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّ عُمَرَ قَالَ: كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «**فَمَا قُلْتِ لَهُ؟**» قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ:

«**لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ - أَهْلَ السَّفِينَةِ - هِجْرَتَانِ**»، قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا، يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلاَ أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الحَدِيثَ مِنِّي،قَالَ أَبُو بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ، إِذَا لَقِيَ الخَيْلَ، أَوْ قَالَ: العَدُوَّ، قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ**»

---

(١) البُعداء: عن الدين جمع بعيد. (البُغَضاء): للدين جمع بغيض. (في الله): في سبيله وطلب رضاه.

(٢) وايم الله: أيمن الله وهو من صيغ القسم.

(٣) أزيغ: أميل عن الحق وأبتعد عنه.

(١).

مجالسة النبي ﷺ لوفد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وسؤالهم الأعاجيب التي رأوها في أرض الحبشة.

أخرج ابن أبي عاصم وغيره(٢) بسند ثابت عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، لَقِيَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ:

«حَدِّثْنِي بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ».

قَالَ: مَرَّتِ امْرَأَةٌ عَلَى رَأْسِهَا مِكْتَلٌ فِيهِ طَعَامٌ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ فَأَصَابَهَا فَرَمَى بِهَا، فَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَهِيَ تُعِيدُهُ فِي مِكْتَلِهَا وَهِيَ تَقُولُ:

وَيْلٌ لَكَ مِنْ يَوْمٍ يَضَعُ الْمَلِكُ كُرْسِيَّهُ، فَيَأْخُذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَقَالَ:

«كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهَا مِنْ شَدِيدِهَا حَقَّهُ وَهُوَ غَيْرُ مُتَعْتَعٍ».

(١)

---

(١) حكيم: أي رجل ذو حكمة وشجاعة. ومعنى تنظروهم: وفي نسخة (تنتظروهم) أي إن هذا الحكيم يقول للعدو إذا واجهه إن أصحابي يحبون القتال في سبيل الله لا يبالون بما يصيبهم في ذلك فانتظروهم حتى يأتوكم. وعلى رواية (لقي الخيل) يحتمل أن يكون خيل المسلمين. ومعناه أن أصحابه كانوا رجالة على أقدامهم فكان يأمر الفرسان أن ينتظروهم ليسيروا معهم إلى العدو

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة»(٥٨٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات»(٨٦٠) وله شواهد ذكرتها في كتابي «الفوائد النيرة في تخريج التذكرة»(٦١٥).

خبر الحجاج بن علاط السُلمي البَهري رضي الله عنه

أخرج أحمد وغيره[٢] عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ عِلَاطٍ:

يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي بِمَكَّةَ مَالًا، وَإِنَّ لِي بِهَا أَهْلًا، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيَهُمْ، فَأَنَا فِي حِلٍّ إِنْ أَنَا نِلْتُ مِنْكَ،أَوْ قُلْتُ شَيْئًا؟

«فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ مَا شَاءَ» ، فَأَتَى امْرَأَتَهُ حِينَ قَدِمَ فَقَالَ:

اجْمَعِي لِي مَا كَانَ عِنْدَكِ،فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ مِنْ غَنَائِمِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ،فَإِنَّهُمْ قَدِ اسْتُبِيحُوا وَأُصِيبَتْ أَمْوَالُهُمْ، قَالَ: فَفَشَا ذَلِكَ فِي مَكَّةَ، وَانْقَمَعَ الْمُسْلِمُونَ، وَأَظْهَرَ الْمُشْرِكُونَ فَرَحًا وَسُرُورًا قَالَ: وَبَلَغَ الْخَبَرُ الْعَبَّاسَ فَعَقِرَ، وَجَعَلَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ، قَالَ مَعْمَرٌ:

فَأَخْبَرَنِي عُثْمَانُ الْجَزَرِيُّ، عَنْ مِقْسَمٍ قَالَ فَأَخَذَ ابْنًا لَهُ يُقَالُ لَهُ: قُثَمُ، فَاسْتَلْقَى فَوَضَعَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

حَيَّ قُثَمْ حَيَّ قُثَمْ ... شَبِيهَ ذِي الْأَنْفِ الْأَشَمْ،

بَنِي ذِي النَّعَمْ ... يَرْغَمْ مَنْ رَغَمْ،

=

(١) غير متعتع : أي غير منقوص .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في«المصنف» (٩٧٧١) وأحمد (١٢٤٠٩) والنسائي في «الكبرى»(٨٥٩٢) وإسناده على شرط الشيخين كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»(٤/ ٢٤٤ بتحقيقي) .

قَالَ ثَابِتٌ: عَنْ أَنَسٍ: ثُمَّ أَرْسَلَ غُلَامًا إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ عِلَاطٍ، وَيْلَكَ مَا جِئْتَ بِهِ، وَمَاذَا تَقُولُ؟

فَمَا وَعَدَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتَ بِهِ. قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ عِلَاطٍ لِغُلَامِهِ:

اقْرَأْ عَلَى أَبِي الْفَضْلِ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: فَلْيَخْلُ لِي فِي بَعْضِ بُيُوتِهِ لِآتِيَهُ، فَإِنَّ الْخَبَرَ عَلَى مَا يَسُرُّهُ، فَجَاءَ غُلَامُهُ فَلَمَّا بَلَغَ بَابَ الدَّارِ، قَالَ:

أَبْشِرْ يَا أَبَا الْفَضْلِ.

قَالَ: فَوَثَبَ الْعَبَّاسُ فَرَحًا حَتَّى قَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَأَخْبَرَهُ مَا قَالَ الْحَجَّاجُ، فَأَعْتَقَهُ .ثُمَّ جَاءَهُ الْحَجَّاجُ، فَأَخْبَرَهُ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ، وَجَرَتْ سِهَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَاصْطَفَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ فَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ، وَخَيَّرَهَا أَنْ يُعْتِقَهَا وَتَكُونَ زَوْجَتَهُ، أَوْ تَلْحَقَ بِأَهْلِهَا، فَاخْتَارَتْ أَنْ يُعْتِقَهَا وَتَكُونَ زَوْجَتَهُ، وَلَكِنِّي جِئْتُ لِمَالٍ كَانَ لِي هَاهُنَا، أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَهُ فَأَذْهَبَ بِهِ، فَاسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَذِنَ لِي أَنْ أَقُولَ مَا شِئْتُ».

فَأَخْفِ عَنِّي ثَلَاثًا، ثُمَّ اذْكُرْ مَا بَدَا لَكَ قَالَ: فَجَمَعَتْ امْرَأَتُهُ مَا كَانَ عِنْدَهَا مِنْ حُلِيٍّ وَمَتَاعٍ، فَجَمَعَتْهُ فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِهِ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثٍ أَتَى الْعَبَّاسُ امْرَأَةَ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ:

مَا فَعَلَ زَوْجُكِ؟ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَتْ: لَا يُخْزِيكَ اللهُ يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا الَّذِي بَلَغَكَ. قَالَ:

أَجَلْ لَا يَحْزُنِّي اللهُ، وَلَمْ يَكُنْ بِحَمْدِ اللهِ إِلَّا مَا أَحْبَبْنَا:

فَتَحَ اللهُ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللهِ، وَاصْطَفَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ لِنَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَتْ لَكِ حَاجَةٌ فِي زَوْجِكِ فَالْحَقِي بِهِ، قَالَتْ: أَظُنُّكَ وَاللهِ صَادِقًا.

قَالَ: فَإِنِّي صَادِقٌ، الْأَمْرُ عَلَى مَا أَخْبَرْتُكِ. فَذَهَبَ حَتَّى أَتَى مَجَالِسَ قُرَيْشٍ وَهُمْ يَقُولُونَ إِذَا مَرَّ بِهِمْ: لَا يُصِيبُكَ إِلَّا خَيْرٌ يَا أَبَا الْفَضْلِ. قَالَ لَهُمْ:

لَمْ يُصِبْنِي إِلَّا خَيْرٌ بِحَمْدِ اللهِ، قَدْ أَخْبَرَنِي الْحَجَّاجُ بْنُ عِلَاطٍ، «أَنَّ خَيْبَرَ قَدْ فَتَحَهَا اللهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللهِ، وَاصْطَفَى صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ، وَقَدْ سَأَلَنِي أَنْ أُخْفِيَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا» ، وَإِنَّمَا جَاءَ لِيَأْخُذَ مَالَهُ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ هَاهُنَا، ثُمَّ يَذْهَبَ.

قَالَ: فَرَدَّ اللهُ الْكَآبَةَ الَّتِي كَانَتْ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ، وَمَنْ كَانَ دَخَلَ بَيْتَهُ مُكْتَئِبًا حَتَّى أَتَوُا الْعَبَّاسَ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ، فَسُرَّ الْمُسْلِمُونَ وَرَدَّ اللهُ - يَعْنِي مَا كَانَ مِنْ كَآبَةٍ - أَوْ غَيْظٍ، أَوْ حُزْنٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ.

قصة قتيل من المسلمين في خيبر

وذكر خبر القسامة

أخرج البخاري[1] عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ هُوَ وَرِجَالٌ مِنْ كُبَرَاءِ قَوْمِهِ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةَ خَرَجَا إِلَى خَيْبَرَ، مِنْ جَهْدٍ

(١) برقم (٧١٩٢).

أَصَابَهُمْ[١]، فَأُخْبِرَ مُحَيِّصَةُ أَنَّ عَبْدَ اللهِ قُتِلَ وَطُرِحَ فِي فَقِيرٍ أَوْ عَيْنٍ[٢]، فَأَتَى يَهُودَ فَقَالَ:

أَنْتُمْ وَاللهِ قَتَلْتُمُوهُ، قَالُوا: مَا قَتَلْنَاهُ وَاللهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَذَكَرَ لَهُمْ، وَأَقْبَلَ هُوَ وَأَخُوهُ حُوَيِّصَةُ - وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ - وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ، فَذَهَبَ لِيَتَكَلَّمَ[٣] وَهُوَ الَّذِي كَانَ بِخَيْبَرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُحَيِّصَةَ:

«**كَبِّرْ كَبِّرْ**» [٤]يُرِيدُ السِّنَّ فَتَكَلَّمَ حُوَيِّصَةُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ مُحَيِّصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِمَّا أَنْ يَدُوا صَاحِبَكُمْ، وَإِمَّا أَنْ يُؤْذِنُوا بِحَرْبٍ**»[٥]، فَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ بِهِ، فَكَتَبَ مَا قَتَلْنَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحُوَيِّصَةَ وَمُحَيِّصَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ: «**أَتَحْلِفُونَ، وَتَسْتَحِقُّونَ دَمَ صَاحِبِكُمْ؟**»، قَالُوا: لاَ، قَالَ:

«**أَفَتَحْلِفُ لَكُمْ يَهُودُ؟**»، قَالُوا: لَيْسُوا بِمُسْلِمِينَ، فَوَدَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عِنْدِهِ[١] مِائَةَ نَاقَةٍ حَتَّى أُدْخِلَتِ الدَّارَ، قَالَ سَهْلٌ: فَرَكَضَتْنِي[٢] مِنْهَا نَاقَةٌ

---

(١) جهد: فقر وشدة وضيق عيش.

(٢) فقير: الفقير فم القناة والحفيرة التي يغرس فيها الفسيلة.

وعين: مكان نبع الماء من الأرض.

(٣) أي شرع محيِّصة في الكلام.

(٤) أي دع الكبير يبدأ بالكلام، هو أولى أن يبدأ بالكلام.

(٥) يؤذنوا: يعلموا ويخبروا يعني إن حلفتم وأقسمتم يستحقون الدية منهم، وإلا يخبرونا أنهم ممتنعون من التزام أحكامنا، فينتقض عهدهم ويصيرون حرباً لنا.

وبقية أحكام «القسامة» محلها كتب الفقه.

وفي رواية [٣]: « حمراء ».

عدَّة سرايا أخرى عقبت ذلك

قد ذكر أصحاب السير عدَّة سرايا أرسلها رسول الله ﷺ للإغارة على الكفار وأعرضنا عن ذكرها لضعف الأسانيد . ومما صحَّ له أسانيد:

❁ سرية إلى ذي الحُرَقة من جهينة

أخرج أحمد والبخاري ومسلم[٤] عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَاهُمْ فَقَاتَلْنَاهُمْ، فَكَانَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِذَا أَقْبَلَ الْقَوْمُ كَانَ مِنْ أَشَدِّهِمْ عَلَيْنَا، وَإِذَا أَدْبَرُوا كَانَ حَامِيَتَهُمْ، قَالَ:

فَغَشِيتُهُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ وَقَتَلْتُهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:

« **يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟** » قَالَ: قُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا مِنَ الْقَتْلِ. فَكَرَّرَهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ إِلَّا يَوْمَئِذٍ.

=

(١) فوداه من عنده: أعطاه الدية من عنده ﷺ قطعاً للنزاع، وجبراً لخاطرهم، وإلا فاستحقاقهم لم يثبت.

(٢) فركضني: أي ضربني أو ما شابه ذلك .

(٣) عند مسلم (١٦٦٩).

(٤) أخرجه أحمد (٢١٧٤٥) والبخاري(٤٢٦٩) ومسلم (٩٦).

❁ سَرِيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ مُجَزِّزٍ الْمُدْلِجِيِّ وَيُقَالُ: إِنَّهَا سَرِيَّةُ الأنصَارِ [١].

أوردها الحافظ ابن كثير رحمه في هذا المقام. [٢]

في الصحيحين عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا. فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا

وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ

---

(١) وقد بوب البخاري للحديث برقم(٤٣٤٠) ومسلم (١٨٤٠) بهذا التبويب، وكذا البيهقي في «الدلائل»(٤/ ٤١١) وكذا الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية »(٤/ ٢٥٤) .

(٢) وقد قال ابن سعد في «طبقاته»(٢/ ١٢٣): ثُمَّ سَرِيَّةُ عَلْقَمَةَ بْنِ مُجَزِّزٍ الْمُدْلِجِيِّ إِلَى الْحَبَشَةِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ مِنْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالُوا: بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْحَبَشَةِ تَرَايَاهُمْ أَهْلُ جُدَّةَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلْقَمَةَ بْنَ مُجَزِّزٍ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ فَانْتَهَى إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ وَقَدْ خَاضَ إِلَيْهِمُ الْبَحْرَ فَهَرَبُوا مِنْهُ فَلَمَّا رَجَعَ تَعَجَّلَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَى أَهْلِهِمْ فَأَذِنَ لَهُمْ فَتَعَجَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ فِيهِمْ فَأَمَّرَهُ عَلَى مَنْ تَعَجَّلَ وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ فَنَزَلُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَأَوْقَدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا وَيَصْطَنِعُونَ فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَوَاثَبْتُمْ فِي هَذِهِ النَّارِ فَقَامَ بَعْضُ الْقَوْمِ فَاحْتَجَزُوا.

وحكى الحافظ ابن حجر في «الفتح»عن ابن إسحاق أن سبب هذه القصة أن وقاص بن مجزز كان قُتل يوم ذي قَرَد، فأراد علقمة بن مجزز أن يأخذ بثأره فأرسله النبي ﷺ في هذه السرية، والله أعلم

غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ:«**لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**».

وقد ورد التصريح باسم من كان مؤمَّراً على هذه السريةأنه عبد الله بن حذافة فكأن البخاري رحمه الله أشار إلى هذا في تبويبه

أعني ما أخرجه ابن أبي شيبة وغيره [1] بسند حسن عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ عَلْقَمَةَ بْنَ مُجززٍ عَلَى بَعْثٍ أَنَا فِيهِمْ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَأْسِ غَزَاتِهِ ، أَوْ كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ اسْتَأْذَنَتْهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْجَيْشِ ، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسٍ السَّهْمِي ، فَكُنْت فِيمَنْ غَزَا مَعَهُ.

فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ أَوْقَدَ الْقَوْمُ نَارًا لِيَصْطَلُوا، أَوْ لِيَصْنَعُوا عَلَيْهَا صَنِيعًا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ- وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ - : أَلَيْسَ لِي عَلَيْكُمَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ؟

قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَمَا أَنَا بِآمُرِكُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ صَنَعْتُمُوهُ ؟

قَالُوا : نَعَمْ

قَالَ : فَإِنِّي أَعْزِمُ عَلَيْكُمْ إِلاَّ تَوَاثَبْتُمْ فِي هَذِهِ النَّارِ فَقَامَ نَاسٌ فَتَحَجَّزُوا

فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُمْ وَاثِبُونَ ، قَالَ :

أَمْسِكُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّمَا أَمْزَحُ مَعَكُمْ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : مَنْ أَمَرَكُمْ مِنْهُمْ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة»(٦/ ٥٤٣) وأخرجه أحمد (١١٦٣٩) .

تُطِيعُوهُ.[١]

فسُمِّي الأمير هنا في هذه الرواية وهو ما أراده البخاري .

وفي هذا المتن تصحيح مفاهيم عند المرجئة الضالين الذين قالوا بطاعة الأمراء مطلقاً في الطاعة والمعصية .

أما أهل السنة فهم وسط بين الخوارج الذين يُسقطون طاعة الحكام مطلقاً إذا عَصَوا، وبين المرجئة الذين يلقون أثواب القداسة على الحكَّام، فيوجِبون لهم الطاعة المطلقة في الطاعة والمعصية. والله الموفق.

إجلاء الرسول ﷺ لليهود كلهم من المدينة.[٢]

أخرج البخاري[٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةِ النَّهَارِ[٤]،لاَ يُكَلِّمُنِي وَلاَ أُكَلِّمُهُ، حَتَّى أَتَى سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَجَلَسَ بِفِنَاءِ[٥] بَيْتِ فَاطِمَةَ، فَقَالَ «**أَثَمَّ**[٦] **لُكَعُ، أَثَمَّ لُكَعُ**»[٧] فَحَبَسَتْهُ شَيْئًا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا تُلْبِسُهُ

---

(١) وقد أشار أبو نعيم في «المعرفة»(٣/ ١٦١٥) إلى رواية الخبر على الإرسال فالله أعلم .

(٢)وهم يهود بني قينُقاع – وهم رهط عبد الله بن سلام رضي الله عنه – ويهود بني حارثة..وكل يهود المدينة.

(٣) برقم (٢١٢٢) ورواه مسلم (٢٤٢١) مختصراً جداً .

(٤) طائفة النهار: قطعة منه.

(٥) بفناء:الموضع المتسع أمام البيت.

(٦) أثمَّ: اسم يشار به للمكان البعيد أي أيوجد هناك في البيت.

(٧) لكع: معناه الصغير بلغة تميم ومراده ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما .

سِخَابًا[١]، أَوْ تُغَسِّلُهُ، فَجَاءَ يَشْتَدُّ [٢] حَتَّى عَانَقَهُ، وَقَبَّلَهُ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَحْبِبْهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ**».

وأبو هريرة رضي الله عنه إنما أسلم في أواخر خيبر فيدل على أن ذلك كان بعد خيبر .

وسيأتي أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي المَسْجِدِ، خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ**»، فَخَرَجْنَا حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ المِدْرَاسِ فَقَالَ: «**أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ، فَمَنْ يَجِدْ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِه**[٣]» .

ويظهر أن رسول الله ﷺ إنما ذهب إلى سوقهم لينظر في شأنهم وقوتهم وعتادهم .. إلى غير ذلك مما يحتاجه من إمكانيات في إجلائهم عن المدينة.

وقد تميَّز هذا السوق بكثرة المكاسب فيه، فعبد الرحمن بن عوف تاجر فيه بأقط وسَمن حتى كَثُر ماله وتزوج ورأى النبي ﷺ عليه أثر صفرة وقال رسول الله ﷺ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»[٤].وكان في هذا السوق الصوَّاغون الذين يبيعون الحلى [٥].

---

(١) سخاباً: قلادة من خرز أو طيب أو قرنفل وقيل غير ذلك..

(٢) يشتد: أي يسرع .

(٣) سيأتي تخريجه بسياقه بطوله قريباً إن شاء الله .

(٤) والحديث بذلك أخرجه البخاري(٢٠٨٤) ومسلم (١٤٢٧).

(٥) فقد أخرج البخاري (٢٠٨٩) ومسلم (١٩٧٩) أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه قَالَ: «كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ المَغْنَمِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الخُمُسِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ

❁ خبر إجلاء اليهود

تقدم سياق ما حصل بشأن اليهود ، حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَقُرَيْظَةُ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ المَدِينَةِ . (١)

وأخرج البخاري ومسلم(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ:

«**انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ**»، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَاهُمْ(٣)، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَادَاهُمْ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**».

فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**ذَلِكَ أُرِيدُ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**»، فَقَالُوا:

=

اللهَّ ﷺ وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِي، فَنَأْتِيَ بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّاغِينَ، وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرُسِي».

(١) وهذا في صحيح البخاري (٤٠٢٨) ومسلم (١٧٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٤٤) ومسلم (١٧٦٥).

(٣) وفي رواية البخاري (٣١٦٧): «فَخَرَجْنَا حَتَّىٰ جِئْنَا بَيْتَ المِدْرَاسِ»والمقصود بالمدراس : الموضع الذي كانوا يقرؤون فيه التوراة.

قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ».[١]

فَقَالَ لَهُمُ الثَّالِثَةَ: فَقَالَ:

«اعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ للهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ[٢] مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا[٣] فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ للهِ وَرَسُولِهِ».[٤]

عمرة القضاة

سُمِّيت عمرة القضاء لأن رسول الله ﷺ قضاها عن السَنَة الماضية التي كان يريد أن يعتمر فيها فصدَّه الكفار يوم الحديبية،وتقدَّم أنه ﷺ عَقَدَ بينه وبينهم صُلْحًا ثم انصرف إلى خيبر ثم تواردت البعوث والسرايا في هذه الفترة،ثم في العام الثاني – على ما اتفقوا عليه- تجهز لعمرة القضاء،ثم دخل مكة.

أخرج البخاري ومسلم[٥] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ، وَقَدْ وَهَنَتْهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَدًا قَوْمٌ قَدْ وَهَنَتْهُمُ الْحُمَّى، وَلَقُوا مِنْهَا شِدَّةً، فَجَلَسُوا مِمَّا يَلِي

---

(١) ذلك أريد: أي هذا ما أريد بقولي: «**أسلموا**» أن تعترفوا لي أني بلغتكم حتىٰ تسقط عني المسئولية ، وتقوم عليكم الحجة .

(٢) أجليكم : أي أخرجكم عن أرضكم .

(٣) وجد منكم بماله شيئاً: تَعَلُّقاً به ومحبة له .

(٤) صحيح: أخرجه البخاري(٣١٦٧) ومسلم (١٧٦٥).

(٥) البخاري برقم (١٦٠٢) ومسلم (١٢٦٦) .

الْحِجْرَ.

وَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ، وَيَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، لِيَرَى الْمُشْرِكُونَ جَلَدَهُمْ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُمَّى قَدْ وَهَنَتْهُمْ ، هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا، إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ»(١).

وفي رواية (٢)لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَامِهِ الَّذِي اسْتَأْمَنَ(٣)، قَالَ: «**ارْمُلُوا**» لِيَرَى الْمُشْرِكُونَ قُوَّتَهُمْ، وَالْمُشْرِكُونَ مِنْ قِبَلِ قُعَيْقِعَانَ.(٤)

وفي لفظ لمسلم(٥):قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَدًا قَوْمٌ قَدْ وَهَنَتْهُمُ الْحُمَّى، وَلَقُوا مِنْهَا شِدَّةً، فَجَلَسُوا مِمَّا يَلِي الْحِجْرَ، وَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺأَنْ يَرْمُلُوا ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ، وَيَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، لِيَرَى الْمُشْرِكُونَ جَلَدَهُمْ

فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُمَّى قَدْ وَهَنَتْهُمْ، هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا

---

(١) الإبقاء عليهم : أي الرفق بهم .

(٢) في صحيح البخاري (٤٢٥٦) .

(٣) لعامه الذي استأمن: عام عمرة القضاء حيث أمنته قريش حتى يدخل مكة ويعتمر.

(٤) من قبل: من جهة، قعيقعان: جبل في مكة كانت قريش مُشرفة من عليه.

(٥) برقم (١٢٦٦).

فعلها رسول الله ﷺ لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم مما قالوه .[١]

لكن لما حج حجة الوداع فعلها ﷺ، فمضت السُّنَّة بها بعد، ولا يقال هي مختصَّة بالموقف في عمرة القضاء، أو بسبب مقولة المشركين الآنفة والله أعلم

وسيأتي مزيد لهذا في عمرة الجُعرانة إن شاء الله .

اهتمام الصحابة رضي الله عنهم في هذه العمرة بالرسول ﷺ لستره من أذى المشركين

أخرج البخاري [٢] عن عبد الله بْن أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قال :«لَمَّا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَتَرْنَاهُ مِنْ غِلْمَانِ المُشْرِكِينَ وَمِنْهُمْ، أَنْ يُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ.

أي خيفة أن يؤذوه [١].

---

(١) وأخرج ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية »لابن هشام(٢/ ٣٧١) بسندٍ فيه مبهم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: صَفُّوا لَهُ عِنْدَ دَارِ النَّدْوَةِ لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَسْجِدَ اضْطَبَعَ بِرِدَائِهِ، وَأَخْرَجَ عَضُدَهُ الْيُمْنَى، ثُمَّ قَالَ:رَحِمَ الله امْرَأً أَرَاهُمُ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً، ثُمَّ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ،وَخَرَجَ يُهَرْوِلُ وَيُهَرْوِلُ أَصْحَابُهُ مَعَهُ،حَتَّى إِذَا وَارَاهُ الْبَيْتُ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ، مَشَى حَتَّى يَسْتَلِمَ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ، ثُمَّ هَرْوَلَ كَذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ، وَمَشَى سَائِرَهَا. فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ. وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ إِنَّمَا صَنَعَهَا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ لِلَّذِي بَلَغَهُ عَنْهُمْ، حَتَّى إِذَا حَجَّ حَجَّةَ الْوَدَاعِ فَلَزِمَهَا،فَمَضَتْ السَّنَّةُ بِهَا،ولا يظهر لي صحته بهذا السياق .

(٢) برقم (٤٢٥٥) .

وفي رواية :[٢]«اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاعْتَمَرْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ طَافَ وَطُفْنَا مَعَهُ، وَأَتَى الصَّفَا وَالمَرْوَةَ وَأَتَيْنَاهَا مَعَهُ» وَكُنَّا نَسْتُرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ يَرْمِيَهُ أَحَدٌ..

وفي رواية [٣] عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ اعْتَمَرَ «فَطَافَ فَطُفْنَا مَعَهُ، وَصَلَّى وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَكُنَّا نَسْتُرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ لاَ يُصِيبُهُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ».

وفي رواية :[٤]

«سَعَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَنَحْنُ نَسْتُرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ يُصِيبَهُ أَحَدٌ بِحَجَرٍ أَوْ بِرَمْيَةٍ».

وأشار الحافظ ابن حجر[٥] إلى رواية عند الإسماعيلي بلفظ:

« قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ طَافَ بِالْبَيْتِ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ فَكُنَّا نَسْتُرُهُ مِنَ السُّفَهَاءِ وَالصِّبْيَانِ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْذُوهُ».

=

(١) ذلك أن الكبار لا يؤذونَه لوجود الصلح بينهم- وإن كان الكفار لا يؤتَمنون- أما الغلمان فقد يقال:لا عتب عليهم فيقومون بإيذاء رسول الله ﷺ .

(٢) عند البخاري برقم (١٧٩١) .

(٣) عند البخاري برقم (٤١٨٨) .

(٤) عند الدارمي (١٩٦٣) بسندٍ صحيح .

(٥) في «الفتح »(٧/ ٥٠٩) .

تنبيه:

الرمل في الطواف وإن كان له سبب ليُرِي الرسول ﷺ المشركين قوتهم إلا أن النبي ﷺ رمل في عمرة الجِعرانة .

ففي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه (١):أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ «اعْتَمَرُوا مِنَ الْجِعْرَانَةِ فَرَمَلُوا بِالْبَيْتِ وَجَعَلُوا أَرْدِيَتَهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ قَدْ قَذَفُوهَا عَلَى عَوَاتِقِهِمُ الْيُسْرَى».

وفي صحيح مسلم (٢):أن رسول الله ﷺ رمل في حجة الوداع ، ولفظه :«...حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا....الحديث».

ومذهب الجمهور أن الرمل ليس مختصاً بعمرة القضاء، فلا يؤخذ بقول من خالف فعل النبي ﷺ ولو كان فهمه من كلام الحبر ابن عباس رضي الله عنه (٣).

زواج النبي ﷺ من ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

تزوج النبي ﷺ ميمونة رضي الله عنها في هذا التوقيت حتى أن العلماء اختلفوا :

هل تزوجها وهو محرم أم وهو حلال؟

---

(١) الذي أخرجه أبو داود (١٨٨٤) بسند قوي

(٢) برقم (١٢١٨) .

(٣) فقد قال ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّمَا سَعَى رَسُولُ الله ﷺ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، لِيُرِيَ الْمُشْرِكِينَ قُوَّتَهُ»أخرجه البخاري (١٦٤٩)ومسلم (١٢٦٦) .

أخرج البخاري [١]عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَبَنَى بِهَا وَهُوَ حَلاَلٌ، وَمَاتَتْ بِسَرِفَ.[٢]

وروي البخاري معلَّقًا[٣]عن ابْنِ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، وَأَبَانُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَطَاءٍ، وَمُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ مَيْمُونَةَ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ».[٤] ووصله ابن حبان [٥] بسند حسن بلفظه .

ولا إشكال في أن زواج النبي ﷺ من ميمونة كان في عمرة القضاء.

وقد تعرَّضتُ لحُكم زواج المُحرم وخِطبته في كتابي «تبصير النساء» قسم النكاح.وكذا في تعليقي على شرحي لمقدمة «أصول التفسير» لشيخ الاسلام ابن تيمية.

وقد قَالَ ابْنُ هِشَامٍ[٦]:وَكَانَتْ جَعَلَتْ أَمْرَهَا إِلَى أُخْتِهَا أُمِّ الْفَضْلِ، وَكَانَتْ

---

(١) برقم (٤٢٥٨) .

(٢) وهو موضع علي بُعد ستة أميال من مكة .

(٣) برقم (٤٢٥٩) .

(٤) لكن الذي أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٢) ومن طريقه الطبري في «تاريخه»(٣/ ٢٤)و الحافظ في «التغليق»(٤/ ١٣٩): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺتَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ فِي سَفَرِهِ ذَلِكَ وَهُوَ حَرَامٌ، وَكَانَ الَّذِي زَوَّجَهُ إِيَّاهَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

(٥) برقم (٤١٣٣).

(٦) في «السيرة النبوية »(٢/ ٣٧٢).

أُمُّ الْفَضْلِ تَحْتَ الْعَبَّاسِ.

فَجَعَلَتْ أُمُّ الْفَضْلِ أَمْرَهَا إِلَى الْعَبَّاسِ، فَزَوَّجَهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ وَأَصْدَقَهَا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أربع مائة دِرْهَمٍ.

ولم أجد هذا مسنداً،وإنما الثابت أن العباس هو الذي زوجها رسول الله ﷺ.والله أعلم .

لكني أُنبِّه على أن المروي عن سعيد بن المسيب أنه قال: وهم ابن عباس في قوله : تزوج ميمونة وهو محرم ،قد أخرجه أبو داود [١] بسند منقطع والله أعلم .

وهذا سياق آخر للأحداث أثناء هذه العمرة بزيادة تعليق

أخرج الحاكم [٢] بسند حسن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما :أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ رضي الله عنها وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثًا، فَأَتَاهُ حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ قَدِ انْقَضَى أَجَلُكَ فَاخْرُجْ عَنَّا[٣] قَالَ: **«وَمَا عَلَيْكُمْ لَوْ تَرَكْتُمُونِي فَأَعْرَسْتُ** [٤].

---

(١) سنن أبي داود (١٨٤٥) .

(٢) في «المستدرك »(٤/ ٣٣).

(٣) ويأتي في الباب الأتي أنهم لما يخاطبوه صراحة بذلك، بل أرسلوا إليه مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(٤) فأعرست :أي تزوجت .

وفي بعض الروايات صرَّح لهم بأنه نكح امرأة، ويريد أن يبن بها ، فذكر السبب في إرادته المكث أكثر ، ولكن لم أر له سنداً يصح بهذا والله أعلم .

بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ فَصَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا فَحَضَرْتُمُوهُ؟» قَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا فِي طَعَامِكَ فَاخْرُجْ عَنَّا، فَخَرَجَ بِمَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ ﵂ حَتَّى أَعْرَسَ بِهَا بِسَرِفٍ». (١)

وكأنه ﷺ أراد تأليفهم بذلك فأبو عليه وقالوا ما قالوا.

وبنى بها وهو حلال ﷺ، وقد يكون عقد عليها وهو محرم وبنى بها وهو حلال .

فثَمَّ تعارض بين هذا وبين نهيه ﷺ عن نكاح المحرم محله ليس هنا. (٢)

إرسال كفار قريش لرسول الله ﷺ

أن يخرج بعد يومه الثالث من مكة

تقدم أن كفار قريش لما عقدوا الصلح كان من بنوده أن يدخلوا مَكَّة فيقيموا بها ثلاثاً ولا يدخلونها بسلاح إلا جلبان السلاح- وهو القراب وما فيه -(٣) ، ولا يخرج بأحد من أهلها، ولا يمنع أحداً يمكث بها ممن كان معه.

---

(١) وأخرجه أيضاً الطبري في «تاريخه» (٣/ ٢٥) والطبراني في «الكبير»(١١/ ١٧٣رقم (١١٤٠١) والطحاوي في «شرح المشكل»(٥٨٠٥)والضياءفي«المختارة»(٢٣٨)كلهم من طريق ابن إسحاق عن أبان بن صالح وعبد الله بن نجيح عن عطاء بن أبي رباح ومجاهد عن ابن عباس ﵄ به.

(٢) وراجع تحريري لذلك في شرحي لمقدمة «أصول التفسير»لشيخ الاسلام ابن تيمية صـ(٢٣٣)

(٣) وهو ألطف من الجراب يكون من الأدم يوضع فيه السيف مُغمَداً، ويطرح فيه الراكب سوطه وأداته ويُعَلَّق في الرحل .

فلما دخلها في عمرة القضاء ....

فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ قَالُوا لِعَلِيٍّ: هَذَا آخِرُ يَوْمٍ مِنْ شَرْطِ صَاحِبِكَ، فَأْمُرْهُ فَلْيَخْرُجْ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «نَعَمْ»، فَخَرَجَ[1].

ويحتمل أن يكونوا أرسلوا حويطب بن عبد العزى ، ثم لما رأو علياً أرسلوه لرسول الله ﷺ تذكيراً بالعهد الذي كان في بنود صلح الحديبية.

وفي صحيح البخاري [2] في حديث البراء بن عازب الطويل: «...فَلَمَّا دَخَلَهَا وَمَضَى الأَجَلُ، أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ اخْرُجْ عَنَّا، فَقَدْ مَضَى الأَجَلُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَتَبِعَتْهُمْ ابْنَةُ حَمْزَةَ: يَا عَمِّ يَا عَمِّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه [3] فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: «**دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ**» فَحَمَلَتْهَا،

---

(١) كما في الرواية في صحيح مسلم (١٨٧٣) وفي رواية البخاري (٤٢٥٢) أن العقد كان فيه : « وَلاَ يُقِيمَ بِهَا إِلَّا مَا أَحَبُّوا، فَاعْتَمَرَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ،فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالَحَهُمْ، فَلَمَّا أَنْ أَقَامَ بِهَا ثَلاَثًا، أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ» كذا من طريق فليح بن سليمان .

(٢) برقم (٢٦٩٩) .

(٣) وفي رواية للواقدي– وهم متروك –عَلَامَ نَتْرُكُ ابْنَةَ عَمِّنَا يَتِيمَةً بَيْنَ ظَهَرَانَيِ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمْ يَنْهَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ إِخْرَاجِهَا، فَخَرَجَ بِهَا فَتَكَلَّمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ وَصِيَّ حَمْزَةَ، وَكَانَ النَّبِيّ ﷺ قَدْ آخَى بَيْنَهُمَا حِينَ آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ أَنَا أَحَقُّ بِهَا ابْنَةُ أَخِي، فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ جَعْفَرٌ قَالَ: الْخَالَةُ وَالِدَةٌ، وَأَنَا أَحَقُّ بِهَا لِمَكَانِ خَالَتِهَا عِنْدِي أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ وَقَالَ عَلِيٌّ: أَلَا أَرَاكُمْ تَخْتَصِمُونَ هِيَ ابْنَةُ عَمِّي وَأَنَا أَخْرَجْتُهَا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَيْهَا سَبَبٌ دُونِي، وَأَنَا أَحَقُّ بِهَا

فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ، وَزَيْدٌ، وَجَعْفَرٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَحَقُّ بِهَا وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي، وَقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي،وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي، فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا، وَقَالَ: «**الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**» وَقَالَ لِعَلِيٍّ: «**أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ**»، وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي»، وَقَالَ لِزَيْدٍ: «**أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلاَنَا** ...الحديث»

كذا قام ﷺ بإرضاء النفوس الثلاثة – وهذا من حكمته في تطييب الخواطر – وقضى بها لجهة الأمومة، فإنها المقدَّمة في باب الحضانة– في الجملة – كما بينته في أبواب الحضانة من كتابي «تبصير النساء» المجلد الخامس.

وقد نادت ابنة حمزة رسول الله ﷺ بعمي –وهو ابن عمها – إجلالاً لكبره وعلو منزلته،وصدقت فإن النبي ﷺ أخو حمزة من الرضاعة.

سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني فزارة

وهي من هوازن

أخرج أحمد ومسلم[1] من طريق إِيَاس بْن سَلَمَة، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ وَأَمَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْنَا، قَالَ: غَزَوْنَا فَزَارَةَ فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْمَاءِ أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ فَعَرَّسْنَا، قَالَ: فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ فَشَنَنَّا الْغَارَةَ، فَقَتَلْنَا عَلَى الْمَاءِ مَنْ قَتَلْنَا قَالَ سَلَمَةُ:

= مِنْكُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**أَنَا أَحْكُمُ بَيْنَكُمْ، أَمَّا أَنْتَ يَا زَيْدُ فَمَوْلَى اللهِ وَمَوْلَى رَسُولِ اللهِ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَلِيُّ فأخي**» وعزاه إليه الحافظ ابن كثير في «البدية والنهاية»(٤/ ٢٦٣).

(١) أخرجه أحمد(١٦٥٠٢) ومسلم (١٧٥٥) .

ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى عُنُقٍ مِنَ النَّاسِ فِيهِ الذُّرِّيَّةُ وَالنِّسَاءُ نَحْوَ الْجَبَلِ، وَأَنَا أَعْدُو فِي آثَارِهِمْ، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُونِي إِلَى الْجَبَلِ، فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ .

فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ، قَالَ: فَجِئْتُ بِهِمْ أَسُوقُهُمْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه حَتَّى أَتَيْتُهُ عَلَى الْمَاءِ وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ فَزَارَةَ، عَلَيْهَا قَشْعٌ مِنْ أَدَمٍ وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَرَبِ، قَالَ: فَنَفَّلَنِي أَبُو بَكْرٍ ابْنَتَهَا قَالَ:

فَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، ثُمَّ بِتُّ فَلَمْ أَكْشِفْ لَهَا ثَوْبًا، قَالَ: فَلَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي السُّوقِ فَقَالَ لِي: «**يَا سَلَمَةُ، هَبْ لِي الْمَرْأَةَ**» .

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَرَكَنِي حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي السُّوقِ فَقَالَ: «**يَا سَلَمَةُ، هَبْ لِي الْمَرْأَةَ لِلَّهِ أَبُوكَ**».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ،وَاللهِ أَعْجَبَتْنِي مَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا وَهِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَبَعَثَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَفِي أَيْدِيهِمْ أُسَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَفَدَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ .

وشعار الصحابة: في الحرب يومئذٍ: «أمت أمت»[1].

فأخرج النسائي[2] عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ:

---

(١) وهي بمعنى: أُقتل أُقل .

(٢) برقم (٨٨١١).

«كُنَّا مَعَ أَبِي بَكْرٍ لَيْلَةَ بَيَّتْنَا هَوَازِنَ أَمَّرَهُ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَانَ شِعَارُنَا أَمِتْ أَمِتْ».

وأخرج البخاري ومسلم[1] عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً فِيهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ قِبَلَ نَجْدٍ، فَغَنِمُوا إِبِلًا كَثِيرَةً، فَكَانَتْ سِهَامُهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ بَعِيرًا، أَوْ أَحَدَ عَشَرَ بَعِيرًا وَنُفِّلُوا بَعِيرًا بَعِيرًا».

وأخرج أبو داود[2] بسند رجاله مُعَدَّلون[3] عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً إِلَى نَجْدٍ فَخَرَجْتُ مَعَهَا، فَأَصَبْنَا نَعَمًا كَثِيرًا، فَنَفَّلَنَا أَمِيرُنَا بَعِيرًا بَعِيرًا لِكُلِّ إِنْسَانٍ، ثُمَّ قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَسَمَ بَيْنَنَا غَنِيمَتَنَا، فَأَصَابَ كُلَّ رَجُلٍ مِنَّا اثْنَيْ عَشَرَ بَعِيرًا بَعْدَ الْخُمُسِ».

وَمَا حَاسَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالَّذِي أَعْطَانَا صَاحِبُنَا، وَلَا عَابَ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا صَنَعَ، فَكَانَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنَّا ثَلَاثَةَ عَشَرَ بَعِيرًا بِنَفْلِهِ.

وهذه الرواية فيها معنى مغاير:

وهو أن النفل للجنود كان من رأس الغنيمة لا مما بقي من الخُمس، والثقات لم يذكروا هذا التفصيل، والأصل أن النفل إنما يكون بعد إخراج الخمس والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٤) ومسلم (١٧٤٩).

(٢) رقم (٢٧٤٣).

(٣) في سنده عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعن.

وأما كونها سرية شجاع بن الوليد الأسدي كما سمَّاها ابن كثير [١] وغيره .

فإنما هو من طريق الواقدي وهو غير محمود الرواية ، والله أعلم .

إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه –

وكان ذا منزلة في أهل مكة

قد ورد في قصة إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه ذهب إلى النجاشي ومعه جماعة فوافق هناك عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى النجاشي ،وأنه طلب من النجاشي أن يعطيه إياه ليقتله ليُسَرَّ بذلك كفار مكة ، ولكن رَدَّ عليه النجاشي بشده وضربه في وجهه .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [٢]: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ رَاشِدٍ مَوْلَى حَبِيبِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ فِيهِ، قَالَ: لَمَّا انْصَرَفْنَا مَعَ الْأَحْزَابِ عَنْ الْخَنْدَقِ جَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ، كَانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَعْلَمُونَ وَاَللَّهِ أَنِّي أَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الْأُمُورَ عُلُوًّا مُنْكَرًا، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَمْرًا، فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ؟ قَالُوا: وَمَاذَا رَأَيْتُ؟ قَالَ: رَأَيْتُ أَنْ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونَ عِنْدَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنَا كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَإِنَّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ وَإِنْ

---

(١) في«البداية والنهاية »(٤/ ٢٦٩) .

(٢)كما في «السيرة النبوية »لابن هشام (٢/ ٢٧٧) ومن طريقه أحمد (١٧٧٧٧) وسيأتي التعليق على صحته قريباً، وسيأتي لفظ رواية أحمد مستقلاً بمغايرة إن شاء الله.

ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفُوا، فَلَنْ يَأْتِيَنَا مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرٌ، قَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّأْيُ قُلْتُ: فَاجْمَعُوا لَنَا مَا نُهْدِيهِ لَهُ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمَ، فَجَمَعْنَا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ.

فو الله إِنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ. قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ. قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ

لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ وَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ، فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ إِلَيَّ مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيْكَ أَدَمًا كَثِيرًا، قَالَ:

ثُمَّ قَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ:

أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا، فَأَعْطِنِيهِ لِأَقْتُلَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا، قَالَ: فَغَضِبَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ كَسَرَهُ، فَلَوْ انْشَقَّتْ لِي الْأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَيْهَا الْمَلِكُ، وَاللهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَهُ، قَالَ: أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ! قَالَ: قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَكَذَاكَ هُوَ؟ قَالَ: وَيْحَكَ يَا عَمْرُو أَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ وَاللهِ لَعَلَى الْحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ، قَالَ: قُلْتُ: أَفَتُبَايِعُنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَبَسَطَ يَدَهُ، فَبَايَعْتُهُ

عَلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إِسْلَامِي.

ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِدًا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِأُسْلِمَ، فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ، وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ، فَقُلْتُ: أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ؟ قَالَ: وَاَللهِ لَقَدْ اسْتَقَامَ الْمَنْسِمُ[1] وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ، أَذْهَبُ وَاَللهِ فَأُسْلِمَ، فَحَتَّى مَتَى، قَالَ: قُلْتُ: وَاَللهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لأسلم. قَالَ: فقد منا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ[2] وَبَايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ، فَقُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ يُغْفَرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلَا أَذْكُرُ مَا تَأَخَّرَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا عَمْرُو، بَايِعْ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا، قَالَ: فَبَايَعْتُهُ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ.[3]

---

(١) المنسم : معناه تبيَّن الطريق ووضح .

(٢) وفي شأن قصة إسلامه خبر رواه الواقدي فيما حكاه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٢٧٢) وهذا لا يصح سندها لحال الواقدي فإنه متروك ، ومع ذلك لم أر في المتن ألفاظاً مستنكرة ،وسيأتي فيما ورد بإسناد حسن في قصة إسلام خالد بن الوليد ا ما يؤيِّد بعضه.والله أعلم .

(٣) وسند الخبر صحيح رجاله ثقات حبيب بن أبي أوس ذكر ابن حبان في ثقات التابعين ،، وحكىٰ مغلطاي في «إكماله»٣/ ٣٥٥) عن ابن خلفون أنه ذكره في «الثقات» وروي عنه راويان ، وذكره الحافظ في «الاصابة في أسماء الصحابة»(٢/ ١٣) وغيره، وذكره ابن يونس في «تاريخه» (٢٨٠) فيمن شهد فتح مصر ، وعليه نزل يوسف بن أبي عقيل والد الحجاج بن يوسف الثقفي ، فدل

وأصح الروايات في باب إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه :

ما رواه مسلم [١] عَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ[٢]، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ:

إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ[٣]، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

=

على أن له إدراكاً، ولم يبق في حجة الوداع أحد إلا وقد أسلم وشهدها ، فيكون هذا صحابياً وقد أسلمت ثقيف كلها كما بيناه في غير هذا الموطن، وتحسين حديثه أولى من قول الحافظ عنه في «التقريب» : مقبول كما بينته في كتابي «التعليقات الجياد» وأما راشد مولى حبيب فقد قال ابن معين وسئل عنه :«ثقة يروي عنه المصريين» حكى ذلك عنه الدارمي في «سؤالاته»(٣٣٠) وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل »(٣/ ٤٨٧)، وابن إسحاق مدلس ولكنه صرح بالتحديث، وقال الألباني في «الإرواء»(٥/ ١٢٣)عن الخبر:« إسناده حسن أو قريب منه رجاله ثقات غير حبيب ابن أبي أوس ، ذكره ابن يونس فيمن شهد فتح مصر، ووثقه ابن حبان» والله أعلم .

(١) برقم (١٢١).

(٢) في سياقة الموت: أي حال حضور الموت.

(٣) كنت على أطباق ثلاث: أي على أحوال ثلاث قال الله تعالى« لتركبن طبقا عن طبق ».

فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «**مَا لَكَ يَا عَمْرِو؟**».

قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «**تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟**».

قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**[1]**؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**».

وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ

ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا[2] فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ، وَلَا نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا[3].

ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ[4] وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي.

سياق مغاير بعض الشيء لقصة إسلام

---

(١) إن الإسلام يهدم ما قبله: أي يسقطه ويمحو أثره.

(٢) لعله رضي الله عنه يقصد أمور الإمارات، والحكم والحروب التي كان فيها مع معاوية رضي الله عنهما فهو قلق رضي الله عنه على حاله في ذلك الوقت.

(٣) أي صبُّوا عليَّ التراب صبًّا بغير أن وقوف على قبري.

(٤) الجزور: الناقة.

عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما

أخرج أحمد [١] بسند ثابت عن عَمْرُو بْن الْعَاصِ رضي الله عنه مِنْ فِيهِ، قَالَ: لَمَّا انْصَرَفْنَا مِنَ الْأَحْزَابِ عَنِ الْخَنْدَقِ، جَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا يَرَوْنَ مَكَانِي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَعْلَمُونَ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الْأُمُورَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا، فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ؟

قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ؟

قَالَ: رَأَيْتُ أَنْ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونَ عِنْدَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنَا، كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَإِنَّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عُرِفُوا، فَلَنْ يَأْتِيَنَا مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرٌ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّأْيُ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: فَاجْمَعُوا لَهُ مَا نُهْدِي لَهُ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمُ، فَجَمَعْنَا لَهُ أُدْمًا كَثِيرًا، فَخَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ، فَوَاللهِ إِنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ:

فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ، فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ .

---

(١) برقم (١٧٧٧٧) .

قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ لِي مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا؟ قَالَ: قُلْتُ:

نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ أَهْدَيْتُ لَكَ أُدْمًا كَثِيرًا، قَالَ: ثُمَّ قَدَّمْتُهُ إِلَيْهِ، فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا، فَأَعْطِنِيهِ لِأَقْتُلَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا، قَالَ: فَغَضِبَ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنْ قَدْ كَسَرَهُ، فَلَوِ انْشَقَّتْ لِي الْأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ، ثُمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَاللهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَهُ، فَقَالَ: أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ؟ قَالَ:

قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَكَذَاكَ هُوَ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا عَمْرُو، أَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ وَاللهِ لَعَلَى الْحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ، قَالَ:

قُلْتُ: فَبَايِعْنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: نَعَمْ، فَبَسَطَ يَدَهُ وَبَايَعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إِسْلَامِي، ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِدًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لِأُسْلِمَ، فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ، وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ، فَقُلْتُ: أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ؟ قَالَ: وَاللهِ لَقَدِ اسْتَقَامَ الْمَنْسِمُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ، أَذْهَبُ وَاللهِ أُسْلِمُ، فَحَتَّى مَتَى؟ قَالَ:

قُلْتُ: وَاللهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِأُسْلِمَ، قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدِمَ خَالِدُ ابْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلَا أَذْكُرُ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«يَا عَمْرُو، بَايِعْ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا»، قَالَ: فَبَايَعْتُهُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ.

غزوة ذات الرقاع [١]

وقد دوَّنها بعض العلماء بعد موقعة بئر معونة، لكن الصواب أنها بعد خيبر، لأن أبا موسى الأشعري كان فيها، وأبو موسى ما قدم إلا عقيب غزوة خيبر، فلذا دوَّنتها في ترتيبها هنا والله الموفق.

قال عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَوَازَيْنَا العَدُوَّ، فَصَافَفْنَا لَهُمْ، «فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، فَقَامَتْ طَائِفَةٌ مَعَهُ تُصَلِّي وَأَقْبَلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى العَدُوِّ، وَرَكَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَكَانَ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَمْ تُصَلِّ، فَجَاءُوا، فَرَكَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِمْ رَكْعَةً

---

(١) وكانت قِبَل نجد، وسبب تسميتها بهذا الإسم ما أخرجه البخاري (٤١٢٨) ومسلم (١٨١٦) عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا، وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ، لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الخِرَقِ عَلَى أَرْجُلِنَا»، وَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا ثُمَّ كَرِهَ ذَاكَ، قَالَ: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ، كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ»

فترتيبها هنا فنسأل الله الإخلاص في السرِّ والعلَن.

وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَرَكَعَ لِنَفْسِهِ رَكْعَةً وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ». (١)

وقال جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بِأَصْحَابِهِ فِي الخَوْفِ فِي غَزْوَةِ السَّابِعَةِ، غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ» (٢).

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، فَلَقِيَ جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ، فَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ، وَأَخَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ رَكْعَتَيِ الخَوْفِ». (٣)

قصة الرجل

الذي اخترق سيف رسول الله ﷺ وهو نائم ليفتك به (٤)

---

(١) أخرجه البخاري(٩٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٢٥).

(٣) علقها البخاري مجزوماً بها برقم (٤١٢٧).

(٤) وقد ورد تسمة الرجل (غورث بن الحارث) ولكن بإسناد فيه عمرو بن عبيد القدري المعتزلي الضال رأس الفرقة الضالة، قال ابن كثير في «البداية والنهاية »(٤/ ٩٧): « وَهُوَ وَإِنْ كَانَ لَا يُتَّهَمُ بتعمُّد الْكَذِبِ فِي الْحَدِيثِ إِلَّا أَنَّهُ مِمَّنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْوَىٰ عَنْهُ لِبِدْعَتِهِ وَدُعَائِهِ إِلَيْهَا.»

وأصل القصة ثابت في الصحيحين ، ولكن ليس فيها تسمية الرجل ب(غورث بن الحارث)

وفي صحيح البخاري (٤١٣٦) : قَالَ مُسَدَّدٌ، عَنْ أَبِي عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، اسْمُ الرَّجُلِ غَوْرَثُ بْنُ الحَارِثِ، وَقَاتَلَ فِيهَا مُحَارِبَ خَصَفَةَ..كذا مقطوع ، وستأتي رواية به موصولة بعد تعليقين.

قد ورد هذا في عدة طرق بألفاظ متقاربة ،وكان ذلك في غزوة محارب خصفة من بني ثعلبة من غطفان:

فمن هذه الأحاديث: ما أخرجه البخاري [١] عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، أَخْبَرَ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: « إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللهُ، - ثَلاَثًا - » **وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ.**

وفي لفظ مسلم [٢]عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرِّقَاعِ، قَالَ: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُعَلَّقٌ بِشَجَرَةٍ، فَأَخَذَ سَيْفَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَتَخَافُنِي؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ»، قَالَ: فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَغْمَدَ السَّيْفَ، وَعَلَّقَهُ.

قَالَ: فَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الْأُخْرَى رَكْعَتَيْنِ، قَالَ: فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ، وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ.

---

(١) برقم (٢٩١٠).

(٢) برقم (٨٤٣).

في رواية [١]:عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، مُحَارِبَ خَصَفَةَ بِنَخْلٍ، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ: عَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ - أَوْ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ - حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللهُ».

قَالَ: فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ لَهُ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي»، قَالَ: كُنَّ خَيْرًا مِنِّي، قَالَ: «تَشَهَّدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ ».

قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أُعَاهِدُكَ عَلَى أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، قَالَ: فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الظُّهْرِ أَوِ الْعَصْرِ - شَكَّ أَبُو عَوَانَةَ - أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِصَلَاةِ الْخَوْفِ قَالَ: فَكَانَ النَّاسُ طَائِفَتَيْنِ: طَائِفَةً بِإِزَاءِ الْعَدُوِّ، وَطَائِفَةً يُصَلُّونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الَّذِينَ مَعَهُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا، فَكَانُوا مَكَانَ أُولَئِكَ، وَجَاءَ أُولَئِكَ فَصَلَّوْا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ، فَكَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ.

ضعف قصة المرأة التي أصيبت في هذه الغزوة [٢]

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَمِّي صَدَقَةُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ عَقِيلِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٢٥٠٤) وعبد بن حميد - كما في المنتخب -(١٠٩٤) وأبو يعلى (١٧٧٨) وابن حبان (٢٨٨٣) وغيرهم من طريق أبي بشر عن سليمان بن قيس اليشكري عن جابر رضي الله عنه به ، ولم يسمع أبو بشر من سليمان بن قيس ، فالسند منقطع إلا أن جملة المعنى موجود في الأحاديث التي قبله وهي صحيحة، والله أعلم .

(٢) وفي هذه الأجواء كانت القصة المشهورة حراسة عمار بن ياسر وعباد بن بشر رضي الله عنهما .

جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، فَأَصَابَ رَجُلٌ امْرَأَةَ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَافِلًا، أَتَى زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِبًا، فَلَمَّا أُخْبِرَ الْخَبَرَ حَلَفَ لَا يَنْتَهِي حَتَّى يُهْرِيقَ فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ دَمًا، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْزِلًا، فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا لَيْلَتَنَا (هَذِهِ)؟.

قَالَ: فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَرَجُلٌ آخَرُ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَا: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَكُونَا بِفَمِ الشِّعْبِ.

قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ قَدْ نَزَلُوا إِلَى شِعْبٍ مِنَ الْوَادِي، وَهُمَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ. (١)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ، قَالَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ أَيَّ اللَّيْلِ تُحِبُّ أَنْ أَكْفِيكَهُ: أَوَّلَهُ أَمْ آخِرَهُ؟ قَالَ: بَلْ اكْفِنِي أَوَّلَهُ، قَالَ:

فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ فَنَامَ، وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي، قَالَ: وَأَتَى الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ الْقَوْمِ. قَالَ: فَرَمَى بِسَهْمٍ، فَوَضَعَهُ فِيهِ، قَالَ: فَنَزَعَهُ وَوَضَعَهُ، فَثَبَتَ قَائِمًا، قَالَ: ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ. قَالَ:

---

(١) كما في «السيرة النبوية» لابن هشام(٢/ ٢٠٩) وسبب ضعفها جهالة عقيل بن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ عَادَ لَهُ بِالثَّالِثِ، فَوَضَعَهُ فِيهِ، قَالَ: فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ فَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أَثْبَتُّ [١]، قَالَ: فَوَثَبَ فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذِرَا بِهِ، فَهَرَبَ. قَالَ: وَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنْ الدِّمَاءِ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! أَفَلَا أَهْبَبْتَنِي [٢] أَوَّلَ مَا رَمَاكَ؟ قَالَ:

كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِدَهَا، فَلَمَّا تَابَعَ عَلَيَّ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَأَذِنْتُكَ، وَأَيْمُ اللهِ، لَوْلَا أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِهِ، لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنْفِدَها.

قصة جمل جابر رضي الله عنه في هذه الغزوة

وما كان من بركاته ومعجزاته ﷺ في هذا الجمل

أخرج ابن إسحاق وأحمد بسند حسن عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ:خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، عَلَى جَمَلٍ لِي ضَعِيفٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: جَعَلَتْ الرِّفَاقُ تَمْضِي، وَجَعَلْتُ أَتَخَلَّفُ، حَتَّى أَدْرَكَنِي رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ:

مَالك يَا جَابِرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هَذَا، قَالَ: أَنِخْهُ، قَالَ: فَأَنَخْتُهُ، وَأَنَاخَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: أَعْطِنِي هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ، أَوْ اقْطَعْ لِي عَصًا مِنْ شَجَرَةٍ، قَالَ: فَفَعَلْتُ. قَالَ: فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَخَسَهُ بِهَا

---

(١) وَأثبت: أي جرحت جرحاً لَا يُمكن التحرك مَعَه.

(٢) أي :أيقظتني.

نَخَسَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: ارْكَبْ، فَرَكِبْتُ، فَخَرَجَ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، يُوَاهِقُ[1] نَاقَتَهُ مُوَاهَقَةً.

قَالَ: وَتَحَدَّثْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِي: أَتَبِيعُنِي جَمَلَكَ هَذَا يَا جَابِرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلْ أَهَبُهُ لَكَ، قَالَ:

لَا، وَلَكِنْ بِعْنِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: فَسُمْنِيهِ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِدِرْهَمٍ، قَالَ: قُلْتُ: لَا.[2]

إِذَنْ، تَغْبِنُنِي يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: فَبِدِرْهَمَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ثَمَنِهِ حَتَّى بَلَغَ الْأُوقِيَّةَ. قَالَ: فَقُلْتُ:

أَفَقَدْ رَضِيتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَهُوَ لَكَ، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ. قَالَ:

ثُمَّ قَالَ: يَا جَابِرُ، هَلْ تَزَوَّجْتَ بَعْدُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: أَثَيِّبًا أَمْ بِكْرًا؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: أَفَلَا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ! قَالَ:

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبِي أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ بَنَاتٍ لَهُ سَبْعًا، فَنَكَحْتُ امْرَأَةً جَامِعَةً، تَجْمَعُ رُءُوسَهُنَّ، وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: أَصَبْتَ إِنْ شَاءَ اللهُ، أَمَا إِنَّا لَوْ قَدْ جِئْنَا صِرَارًا[1] أَمَرْنَا بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ، وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا يَوْمَنَا ذَاكَ، وَسَمِعَتْ بِنَا، فَنَفَضَتْ نَمَارِقَهَا[2] قَالَ: قُلْتُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَنَا مِنْ نَمَارِقَ، قَالَ:

---

(١) يواهق نَاقَته: يعارضها فِي الْمَشْي لسرعته.

(٢) وفي رواية البخاري(٢٩٦٧) قال فَقَالَ لِي: «كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: بِخَيْرٍ، قَدْ أَصَابَتْهُ بَرَكَتُكَ، قَالَ: «أَفَتَبِيعُنِيهِ؟» قَالَ: فَاسْتَحْيَيْتُ وَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَاضِحٌ غَيْرُهُ...الحديث .

إِنَّهَا سَتَكُونُ، فَإِذَا أَنْتَ قَدِمْتُ فَاعْمَلْ عَمَلًا كَيِّسًا. قَالَ: فَلَمَّا جِئْنَا صِرَارًا أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ، وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَلَمَّا أَمْسَى رَسُولُ اللهِ ﷺ دَخَلَ وَدَخَلْنَا، قَالَ: فَحَدَّثْتُ الْمَرْأَةَ الْحَدِيثَ، وَمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَتْ: فَدُونَكَ، فَسَمْعٌ وَطَاعَةٌ.

قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخَذْتُ بِرَأْسِ الْجَمَلِ، فَأَقْبَلْتُ بِهِ حَتَّى أَنَخْتُهُ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: ثُمَّ جَلَسْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَرِيبًا مِنْهُ، قَالَ: وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَأَى الْجَمَلَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا:

يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا جَمَلٌ جَاءَ بِهِ جَابِرٌ، قَالَ: فَأَيْنَ جَابِرٌ؟ قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ، قَالَ: فَقَالَ: يَا بن أَخِي خُذْ بِرَأْسِ جَمَلِكَ، فَهُوَ لَكَ، وَدَعَا بِلَالًا، فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ بِجَابِرٍ، فَأَعْطِهِ أُوقِيَّةً. قَالَ: فَذَهَبْتُ مَعَهُ، فَأَعْطَانِي أُوقِيَّةً، وَزَادَنِي شَيْئًا يَسِيراً. قَالَ: فو الله مَا زَالَ يَنْمِي عِنْدِي، وَيَرَى مَكَانَهُ مِنْ بَيْتِنَا، حَتَّى أُصِيبَ أَمْسِ فِيمَا أُصِيبَ لَنَا يَعْنِي يَوْمَ الْحَرَّةِ [٣][١]. وهذا من شؤم منازعة الأمراء على الصالح والطالح. والله المستعان.

=

(١) صرار: مَوضِع علىٰ ثَلَاثَة أَمْيَال من الْمَدِينَة.

(٢) النمارق: جمع نمرقة، وَهِي الوسادة الصَّغِيرَة.

(٣) يُرِيد وقْعَة الْحَرَّة الَّتِي كَانَت بِالْمَدِينَةِ أَيَّام يزِيد بن مُعَاوِيَة علىٰ يَد مُسلم بن عقبَة المري، الّذي يُسَمِّيه أهل الْمَدِينَة: مُسْرِف بن عقبَة، وَكَانَ سَببهَا أَن أهل الْمَدِينَة خلعوا يزِيد بن مُعَاوِيَة، وأخرجوا مَرْوَان بْن الحكم وَبنىٰ أُميَّة، وَأمرُوا عَلَيْهِم عبد الله بن حَنْظَلَة الغسيل، الّذي غسلت

وهذا من شؤم منازعة الأمراء: اسقاط هيبة الكبار، ونهب الأموال ،واختلال الأمن ، وضياع العلم ،وانتشار الفوضى، وتبييت الغارات،وسفهاء الأحلام لا يعون دروساً، والسعيد مَن وعظ بغيره.

فكأن الله تعالى جمع لوالد جابر رضي الله عنه هنا العوض – الجنة التي هي ثمن أنفسهم إذا مات المرء شهيداً–، والمعوَّض الذي هو حاجة عبد الله في بناته إذ مات وهو قلقٌ عليهنَّ – من تربية وتأديب، إذ هيأ الله له زوجة تُعينه على ذلك

=

أَبَاهُ الْمَلَائِكَة يَوْم أحد، وَلم يُوَافق على هَذَا الْخلْع أحد من الصَّحَابَة الَّذين كَانُوا فيهم – فيما أعلم – بل نهوهم.

وَكَانَ من أَمر جَابر فِي هَذَا الْيَوْم أَنه أَخذ يطوف فِي أَزِقَّة الْمَدِينَة، والبيوت تنتهب وَهُوَ أعمى، وَهُوَ يعثر فِي الْقَتْلَى، وَيَقُول:تعس من أَخَاف رَسُول الله ﷺ يُرِيد حَدِيثه ﷺ:من أَخَاف الْمَدِينَة فقد أَخَاف مَا بَين جَنْبي، وكل هذا صحت الأسانيد به، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام(٢/ ٢٠٦) وأحمد في «المسند»(١٥٠٢٦) من طريقه .

والحديث أخرجه البخاري (٢٠٩٧) ومسلم (٧١٥) عن جابر رضي الله عنه به ولكن ليس بهذا التمام، وليس فيه التقييد بأن ذلك كان في غزوة ذات الرقاع، فلأجل ذلك أوردت متن ابن إسحاق وأحمد، واخترت لفظ ابن إسحاق لعلو سنده، إذ قد رواه أحمد من طريقه، وقال ابن كثير في «تاريخه»(٤/ ١٠٠): « وَقَدْ جَاءَ تَقْيِيدُهُ بِهَذِهِ الْغَزْوَةِ وَجَاءَ تَقْيِيدُهُ بِغَيْرِهَا كَمَا سَيَأْتِي وَمُسْتَبْعَدٌ تَعَدَادُ ذَلِكَ وَاللهُ أَعْلَمُ ».لكن الدليل أثبت أن ذلك كان في هذه الغزوة .

وديونه: بورك لولده في حصاده، حتي قضى له الديون وسَلِم البيدر كأنه لم ينقص تمرة. (١)

وأعان الله جابر بن عبد الله رضي الله عنه في طلبه للعلم وأعطاه الزيادة من الفقه، ووسع عليه في ذلك حتى صار من علماء الصحابة والفقهاء الكبار ، وكأن رسول الله تعالى صنع مع جابر في أمر الجَعل بنحو صنيعه سبحانه مع والده عبد الله بن حرام رحمه الله – مع الفارق بين فعل الله وفعل العبد. (٢)

فوائد ودروس من غزوة ذات الرقاع

من الدروس والفوائد من غزوة ذات الرقاع ما يلي :

رعاية الله تعالى لرسوله وحفظه له:

فاعجب من رجل في يده السيف سلطـًا، ما أخذه منه أحد من جهة من الجهات، وما حال بينه وبين ضرب النبي ﷺ بالسيف أحد، وما هذا إلا مصداقـًا لقوله تعالى لرسوله ﷺ:«**والله يعصمك من الناس**»، ولذلك كان النبي ﷺ متيقنـًا أنه لا يصيبه أحد بسوء، وقد أجاب الرجل بلسان الواثق بربه سبحانه !

---

(١) وتناولت شيئاً يتعلق بشخصية جابر بن عبد الله في كتابي «خطب ودروس العام بصحيح القصص» يسر الله إخراجه. والله أعلم .

(٢) وقد أشار السهيلي في«الروض الأنف»(٦/ ٢٤٨)إلى شيء من ذلك، فتعقبه ابن كثير رحمه الله فقال في «البداية والنهاية» (٤/ ١٠٠):«وَهَذَا الَّذِي سَلَكَهُ السُّهَيْلِيُّ هَاهُنَا إِشَارَةٌ غَرِيبَةٌ وَتَخَيُّلٌ بَدِيعٌ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ».

❁ ومن ذلك :

مشروعية صلاة الخوف وبيان بعض كيفياتها .

❁ ومن ذلك : الجَلَد وقوة التحمل مع الشدائد التي واجهت أصحاب رسول الله ﷺ حتى أوصلوا لنا الدين رضي الله عنهم فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء، نُقبت = أقدامهم ، وصاروا يلفُّون الخِرق على الأقدام..في سبيل الله حتى أوصلوا لنا الإسلام كما أنزله الله.فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

❁ ومنها :

رعاية الصحابة رضي الله عنهم لراحة النبي ﷺ حيث كانوا إذا أتوا على شجرة ظليلة تركوها لرسول الله ﷺ .

❁ ومنها :

منزلة العفو، فإن رسول الله ﷺ لما عفا عن الرجل كان من آثار ذلك أنه ذهب إلى قومه فقال لهم :«جئتكم من عند خير الناس».

❁ ومنها :

عظم بركة النبي ﷺ في قصة جمل جابر رضي الله عنه وفي الأُوقية، وعظم عطاء الله له، وما حصل لأصحابه وأبنائهم رضي الله عنهم حتى بَعدَ ممات آبائهم ، فهذا جزء من ذلك .

❁ ومنها :

تواضع النبي ﷺ حيث نام تحت شجرة كأصحابة، لم يكن ليتميَّز عنهم ، وما تواضع عبدٌ لله إلا رفعه .

❁ ومنها :

استحباب كتمان العمل الصالح، فإن أبا موسى رضي الله عنه كره إفشاء ما حصل لهم من مشَقَّة وما تحمَّلوه في غزواتهم مع النبي ﷺ مع أن الحاجة داعية لحكاية ما كان، وهذا من إخلاصه رضي الله عنه وكتمان العمل الصالح أسهل من معاناة مرض القلب بالعجب أو الرياء أو رؤية النفس.

❁ومنها:

تفضيل التزَوّج بالبكر على الثيب في الجملة إلا لضرورة لأن النبي ﷺ قال «**هلا بكراً**» وفي تفضيل الثيب على البكر والعكس وجهات نظر تختلف كما في قصة زواج جابر رضي الله عنه ، ولقد انتفع جابر أيما انتفاع، وقد تعرَّضتُ لوجوه تفضيل هذه أو تلك في غير هذا الموطن .

❁ ومنها :

حيلة النبي ﷺ لإعطاء جابر رضي الله عنه الجمل والدراهم حتى لا يشعر بتفضُّل عليه في العطاء فصلى الله على معلِّم الناس الخير .

❁ ومنها :

استحباب الرجحان في الميزان للمشتري كما فعل بلال بأمر النبي ﷺ، فقد أمر بذلك ﷺ في موطن آخر فقال للوزان الذي كان يزن بالأجر :

«زن وأرجح»[١].

غزوة مؤتة

{وتسمى بغزوة زيد بن حارثة رضي الله عنه}.[٢]

وسمي بجيش الأمراء لأن رسول الله ﷺ رتب فيه الأمراء قال: «**إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ**» كما سيأتي.

سبب الغزوة:

قال الحافظ ابن حجر: «يُقَالُ إِنَّ السَّبَبَ فِيهَا أَنَّ شُرَحْبِيلَ بْنَ عَمْرٍو الْغَسَّانِيَّ وَهُوَ مِنْ أُمَرَاءِ قَيْصَرَ عَلَى الشَّامِ قَتَلَ رَسُولًا أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَاحِبِ بُصْرَى وَاسْمُ الرَّسُولِ الْحَارِثُ بْنُ عُمَيْرٍ فَجَهَّزَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ عَسْكَرًا فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ

---

(١) وهو حديث ثابت أخرجه أحمد (١٩٠٩٨) والنسائي في «الكبري» (٢٢٠٨٨) وغيرهما.

(٢) وهو المقصود بما أخرجه البخاري (٤٢٥٠) ومسلم (٢٤٢٦) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُسَامَةَ عَلَى قَوْمٍ فَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ: «**إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَايْمُ اللهِ لَقَدْ كَانَ خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ،وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ،وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ**».

وقد كان رسول الله ﷺ يؤمِّره كثيراً، قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤٩٨): «وَقَدْ تَتَبَّعْتُ مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الْمَغَازِي مِنْ سَرَايَا زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ فَبَلَغَتْ سَبْعًا كَمَا قَالَهُ سَلَمَةُ رضي الله عنه» وعدَّهم رحمه الله.

قلت: «محمد» المذكور من تأمير النبي ﷺ له كثيراً أخرجه ابن حبان (٧١٧٤) بسندٍ صحيح عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، أَنَّهُ قَالَ: «غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، وَمَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ تِسْعَ غَزَوَاتٍ، أَمَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْنَا».

وَفِي مَغَازِي أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْجَيْشَ إِلَى مُؤْتَةَ فِي جُمَادَى مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَكَذَا قَالَ ابن إِسْحَاقَ وَمُوسَى بْنَ عُقْبَةَ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَغَازِي :

لَا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ إِلَّا مَا ذَكَرَ خَلِيفَةُ فِي «تَارِيخِهِ» أَنَّهَا كَانَتْ سَنَةَ سَبْعٍ ».[1]

فالله أعلم بأسباب ذلك لم أقف على أسانيد صحيحة بذلك .

أخرج ﷺ أميراً في ثلاثة آلاف[2] إلى أرض البلقاء من أرض الشام ،

---

(١) «فتح الباري»(٧/ ٥١١).

(٢) هذا على ما ذكره ابن إسحاق في «السيرة» بسند مرسل .

وحُكي أن المشركين كانوا مائة ألف، هذا أقل ما قيل في عدد الروم، وإلا فقد نُقل أنهم مائتي ألف والله أعلم .

لكن يظهر لي نكارة ذكر العدد المذكور، كيف يرسل ﷺ ثلاثة آلاف من المسلمين في مقابلة مائة فضلاً عن مائتين، يعني أن كل مسلم يقابله ثلاثة وثلاثون شخصاً من الكفار- على القول بأنهم مائة ألف -ونحو سبعين شخصاً - على القول بأن الروم مائتي ألف - والحكمة تقتضي أن لا يقابل هؤلاء هؤلاء أبداً ، بل هو التهوُّر!

ألم تر إلى رسول الله ﷺ يوم الأحزاب كان عدد الكفار عشرة آلاف ممن وبَّشهم كفار قريش ضدَّ المسلمين في المدينة، وما رضي النبي ﷺ بمواجهة المسلمين لهم وكل فرد في مقابلة ثلاثة فقط ،كما لم يُؤذَن بالجهاد في بداية أمر الدعوة وهم بمكة لنفس العلَّة، فكيف يبعثهم في هذه الغزوة ليواجهوا ليواجه كل واحد نحو سبعين من الروم ؟.

وأخرج البخاري[١] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ» قَالَ عَبْدُ اللهِ: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَوَجَدْنَاهُ فِي القَتْلَى، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ، مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ».

وفي رواية[٢]:

«فَعَدَدْتُ بِهِ خَمْسِينَ، بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ، لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ» يَعْنِي فِي ظَهْرِهِ».

كأنه يقول: كلهم وهو قبل غير مدبر، وهذا دالٌ على شجاعته العظيمة رضي الله عنه

=

وأيضاً: في صلح الحديبية كان المسلمون ألف وخمسمائة – على أكثر ما قيل في عددهم – وعدد كفار قريش ألفان أو أكثر، ومع كل ذلك قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**» يحاول المحافظة على المسلمين لا يقحمهم فيما يستنفذهم فكيف يبعثهم ﷺ إلى هذا العدد الكثير في غزوة مؤته؟. فلا صحة سند، ولا حكمة في الإرسال، فقد ينظر الكاتب في السيرة النبوية إلى عظمة الشجاعة فقط، ولا ينظر إلى نكارة الحدث وهذا مما لا ينبغي، وإلا فالتناقض كما يُري والله المستعان.

ولكن المقطوع به أنهم عدد كثير، وعدد المسلمين كان أقل بكثير والله أعلم.

(١) برقم (٤٢٦١).

(٢) في صحيح البخاري(٤٢٦٠).

ويُجمع بين اللفظين – فيما يتعلَّق بعدد الضربات– أن العدد قد لا يكون له مفهوم.

أو يقال : الزيادة باعتبار ما وجد فيه من رمي بالسهام، فإن ذلك غير موجود في الرواية الأولى.

أو أن الخمسين مقيَّدة بكونها ليس منها شيء في دبره، أي ظهره، والباقي في أماكن أخرى من جسده، ولا يستلزم من ذلك أن يكون قد ولَّى دبره.

وقد أشار بعضهم إلى أن رواية: «بِضْعًا وَتِسْعِينَ، مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ»أثبت والله أعلم .[1]

تنبيه :

اشتهر أن المسلمين مَضَوْا حَتَّى نَزَلُوا مَعَانَ، مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَبَلَغَ النَّاسَ أَنَّ هِرَقْلَ قَدْ نَزَلَ مَآبَ[2]، مِنْ أَرْضِ البلقاء، فِي مائَة أَلْفٍ مِنْ الرُّوم، وانضمّ إِلَيْهِم من لَخْمٍ وَجُذَامٍ وَالْقَيْنِ وبهراء وبلىّ مائَة أَلْفٍ مِنْهُمْ، عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ بَلِيٍّ ثُمَّ أَحَدُ إِرَاشَةَ، يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ زَافِلَةَ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ أَقَامُوا عَلَى مَعَانَ لَيْلَتَيْنِ يُفَكِّرُونَ فِي أَمْرِهِمْ وَقَالُوا: نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنُخْبِرُهُ بِعَدَدِ عَدُوِّنَا، فَإِمَّا أَنْ يُمِدَّنَا بِالرِّجَالِ، وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ، فَنَمْضِيَ لَهُ.

قَالَ: فَشَجَّعَ النَّاسَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَقَالَ: يَا قَوْمِ، وَاَللهِ إِنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ،

---

(١) انظر «فتح الباري »(٧/ ٦٣٣) ط دار الحديث .

(٢) مآب: اسْم مَدِينَة فِي طرف الشَّام من نواحي البلقاء.

لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ، مَا نُقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللهُ بِهِ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِمَّا ظُهُورٌ وَإِمَّا شَهَادَةٌ. قَالَ: فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ وَاللهِ صَدَقَ ابْنُ رَوَاحَةَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَمَضَى النَّاسُ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِتُخُومِ [1] الْبَلْقَاءِ لَقِيَتْهُمْ جُمُوعُ هِرَقْلَ، مِنْ الرُّومِ وَالْعَرَبِ، بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْبَلْقَاءِ يُقَالُ لَهَا مَشَارِفُ، ثُمَّ دَنَا الْعَدُوُّ، وَانْحَازَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا مُؤْتَةُ، فَالْتَقَى النَّاسُ عِنْدَهَا، فَتَعَبَّأَ لَهُمْ الْمُسْلِمُونَ، فَجَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَتِهِمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ، يُقَالُ لَهُ: قُطْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِمْ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ عُبَايَةُ بْنُ مَالِكٍ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ عُبَادَةُ بْنُ مَالِكٍ. [2]

وهذا لا يصح له سند فيما وقفت عليه وإن تغنَّى به القُصاص والله أعلم .

فضائل الأئمة الثلاثة – أمراء غزوة مؤتة رضي الله عنه –

الأول : زيد بن حارثة رضي الله عنه

قدَّمه رسول الله ﷺ في الإمرة على ابن عمِّه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

أخرج ابن أبي شيبة [3] بإسناد حسن عن البهي عن عَائِشَة رضي الله عنها قالت: «مَا

---

(١) التخوم: الحُدُود الفاصلة بَين أَرض وَأَرض، وَهِي جمع: تخم.

(٢) انظر «السيرة النبوية لابن هشام »(٢/ ٣٧٥).

(٣) في «المصنف »(٦/ ٣٩٢) والنسائي في «الكبرىٰ»(٨١٢٦) وغيرهما، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية »(٤/ ٢٩٠):

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي جَيْشٍ قَطُّ إِلَّا أَمَّرَهُ عَلَيْهِمْ وَلَوْ كَانَ حَيًّا بَعْدَهُ لَاسْتَخْلَفَهُ».

وتقدَّم قوله ﷺ لما طعن الناس في إمارة ولده أُسامة رضي الله عنه: «**إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ**»(١).

وَقَالَ ﷺ لِزَيْدٍ: «**أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلانَا**»(٢).

ولما نعاهم- الثلاثة- ﷺ ورضي عنهم قال: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ** - وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَتَذْرِفَانِ - **ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ**».

=

«هَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ وَهُوَ غَرِيبٌ جِدًّا» أ.هـ

قلت«محمد»: لعل استغرابه له من جهة المفهوم من قولها رضي الله عنها أنه يفضِّله على أبي بكر وعمر، والمشهور المعروف ما قاله ابن عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»

أخرجه البخاري (٣٦٩٧).

ورواية البهي عن عائشة في صحيح مسلم.

(١) أخرجه البخاري(٣٧٣٠) ومسلم (٢٤٢٦).

(٢) كما في صحيح البخاري(٢٦٩٩).

وَقَالَ: «**مَا يَسُرُّنَا أَنَّهُمْ عِنْدَنَا**» قَالَ أَيُّوبُ أَوْ قَالَ:

«**مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ**»(١)

فهذه شهادة لهم الثلاثة رضي الله عنهم

والثاني :جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

فكان أكبر من علي بعشر سنوات، أسلم مبكراً، وهاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة ، وهو من أصحاب السفينة الذين لهم هجرتان(٢).

وكانت له مواقف مشهورة مع النجاشي ضدَّ عمرو بن العاص قديماً لما أرسل كفار مكة وفد قريش إلى النجاشي ليردَّ من هاجر إلى بلاده إليهم ...تقدَّم ذكرها في موطنها .

ثم قدم على رسول الله ﷺ يوم خيبر وقدَّمه رسول الله ﷺ على عبد الله بن

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٨).

(٢) «...قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الحَبَشِيَّةُ هَذِهِ البَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالهِجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ: كَلَّا وَاللهِ، كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ - أَوْ فِي أَرْضِ - البُعَدَاءِ البُغَضَاءِ بِالحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ ﷺ وَايْمُ اللهِ لاَ أَطْعَمُ طَعَامًا وَلاَ أَشْرَبُ شَرَابًا،حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَىٰ وَنُخَافُ، وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَاللهِ لاَ أَكْذِبُ وَلاَ أَزِيغُ، وَلاَ أَزِيدُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّ عُمَرَ قَالَ: كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «**فَمَا قُلْتِ لَهُ؟**» قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «**لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ - أَهْلَ السَّفِينَةِ - هِجْرَتَانِ**» أخرجه البخاري(٤٢٣٠) ومسلم (٢٥٠٢).

رواحة رضي الله عنهما طُعن كثيراً وهو ممسك باللواء يوم مؤتة كما سيأتي.

وكان ابن عمر رضي الله عنه يسلِّم على ولده عبد الله قال الشَّعْبِيّ،إِنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، كَانَ إِذَا سَلَّمَ عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: «السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الجَنَاحَيْنِ».[١]

وهذا لا يقوله ابن عمر إلا عن توقيف سمعه من النبي ﷺ.

سمي بذلك لما أخبر به ﷺ أن الله تعالى أبدله عن يديه اللتين قطعتا في غزوة مؤتة جناحين يطير بهما في الجنة.

وكان كريمًا جَوَّاداً ممدحًا محسنًا للمساكين:

ففي صحيح البخاري[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّاسَ، كَانُوا يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ[٣] وَإِنِّي كُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِي[٤] حَتَّى لاَ آكُلُ الخَمِيرَ[٥] وَلاَ أَلْبَسُ الحَبِيرَ[٦]، وَلاَ يَخْدُمُنِي فُلاَنٌ وَلاَ فُلاَنَةٌ،[٧] وَكُنْتُ أُلْصِقُ بَطْنِي

---

(١) أخرجه البخاري(٣٧٠٩).

(٢) برقم (٥٤٣٢).

(٣) أكثر: أي في روايته للحديث.

(٤) بشبع بطني:أي رضيت بشبع بطني ولم أطلب زيادة على ذلك فتهيأ لي من سماع حديثه ما لم يتهيأ لغيري.

(٥) الخمير: الخبز الذي خمر وجعل في عجينه الخميرة ويروى (الخبيز) وهو الخبز المأدوم.

(٦) الحبير: الجديد والحسن أو ما كان موشى ومخططا من الثياب.

(٧)فلان وفلانة: ليس لي خادم من ذكر أو أنثى وإنما أخدم نفسي.

بِالحَصْبَاءِ مِنَ الجُوعِ،[١] وَإِنْ كُنْتُ لَأَسْتَقْرِئُ الرَّجُلَ الآيَةَ، هِيَ مَعِي، كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي، وَكَانَ أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمِسْكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، كَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا العُكَّةَ[٢] الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، فَنَشُقُّهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا ».

وأخرج الإمام أحمد وغيره بسند صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «مَا احْتَذَى النِّعَالَ، وَلَا رَكِبَ الْكُورَ وَلَا رَكِبَ الْمَطَايَا، وَلَا وَطِئَ التُّرَابَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».[٣]

وَكَأَنَّهُ إِنَّمَا يُفَضِّلُهُ فِي الْكَرَمِ .

ومن فضائله قوله ﷺ : «**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي** »[٤].

والثالث: عبد الله بن رواحة ﷺ :

فهو ممن شهد بدراً وأحداً والأحزاب والحديبية وخَيبر، وكان ﷺ يبعثه رسول الله ﷺ على خرصها كما تقدم .

وتقدم ذكر فضله ضمن الثلاثة الأمراء.

---

(١) بالحصباء: بالأرض لتنكسر شدة الجوع.

(٢) العكة: وعاء من جلد يجعل فيه السمن وغيره .

(٣) أخرجه أحمد (٩٣٥٣) والنسائي في «الكبرىٰ»(٨١٠١) والترمذي(٣٧٦٤) وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»(٤/ ٢٩٢):«وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ إِلَىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ وَكَأَنَّهُ إِنَّمَا يُفَضِّلُهُ فِي الْكَرَمِ».

(٤) كما في صحيح البخاري (٢٦٩٩).

وتقدم قوله لنفسه قبل عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: حَضَرَتْ حَرْبٌ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ:

يَا نَفْسِ أَلا أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةْ ... أَحْلِفُ بِاللهِ لَتَنْزِلِنَّهْ

طَائِعَةً أَوْ لتكرهنه[١] .

وأخرج البخاري[٢] عن أبي هُرَيْرَةَ، فِي قَصة، يَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَخًا لَكُمْ لاَ يَقُولُ الرَّفَثَ»- يَعْنِي بِذَاكَ ابْنَ رَوَاحَةَ- قَالَ:

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ .... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ

أَرَانَا الهُدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالكَافِرِينَ المَضَاجِعُ

وهذا موقف عظيم قام به في وجوه المنافقين قَبل :

أخرج البخاري ومسلم[٣] عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ

وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، قَالَ: حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ،

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ٤٠١) وإسناده حسن.

(٢) برقم (٦١٥١).

(٣) البخاري برقم (٤٥٦٦) ومسلم(١٧٩٨).

فَإِذَا فِي المَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَاليَهُودِ وَالمُسْلِمِينَ، وَفِي المَجْلِسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خَمَّرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ:

لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَيُّهَا المَرْءُ إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ،إِنْ كَانَ حَقًّا فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَاليَهُودُ، حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: « **يَا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟ - يُرِيدُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ - قَالَ: كَذَا وَكَذَا** ».

قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ عَنْهُ...الحديث.

حَدِيثٌ فِيهِ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ لِأُمَرَاءِ هَذِهِ السَّرِيَّةِ {زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم}

أخرج ابن خزيمة وغيره بسند صحيح عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:« **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ، فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَعْرًا، فَقَالَا: اصْعَدْ، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أُطِيقُهُ، فَقَالَا: إِنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ، فَصَعِدْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ إِذَا بِأَصْوَاتٍ شَدِيدَةٍ، قُلْتُ: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟**

قَالُوا: هَذَا عُوَاءُ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ انْطُلِقَ بِي، فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيبِهِمْ، مُشَقَّقَةٍ أَشْدَاقُهُمْ، تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ، فَقَالَ: خَابَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ سُلَيْمَانُ: مَا أَدْرِي أَسَمِعَهُ أَبُو أُمَامَةَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمْ شَيْءٌ مِنْ رَأْيِهِ؟

ثُمَّ انْطَلَقَ، فَإِذَا بِقَوْمٍ أَشَدَّ شَيْءٍ انْتِفَاخًا وَأَنْتَنِهِ رِيحًا،وَأَسْوَئِهِ مَنْظَرًا، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ قَتْلَى الْكُفَّارِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا بِقَوْمٍ أَشَدَّ شَيْءٍ انْتِفَاخًا، وَأَنْتَنِهِ رِيحًا، كَأَنَّ رِيحَهُمُ الْمَرَاحِيضُ،قُلْتُ:مَنْ هَؤُلَاءِ؟

قَالَ: هَؤُلَاءِ الزَّانُونَ وَالزَّوَانِي،ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا أَنَا بِنِسَاءٍ تَنْهَشُ ثُدِيَّهُنَّ الْحَيَّاتُ، قُلْتُ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ يَمْنَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ أَلْبَانَهُنَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا أَنَا بِالْغِلْمَانِ يَلْعَبُونَ بَيْنَ نَهْرَيْنِ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ ؟

قَالَ: هَؤُلَاءِ ذَرَارِي الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ شَرَفَ شَرَفًا، فَإِذَا أَنَا بِنَفَرٍ ثَلَاثَةٍ يَشْرَبُونَ مِنْ خَمْرٍ لَهُمْ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ جَعْفَرٌ، وَزِيدٌ، وَابْنُ رَوَاحَةَ، ثُمَّ شَرَفَنِي شَرَفًا آخَرَ، فَإِذَا أَنَا بِنَفَرٍ ثَلَاثَةٍ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ ؟

قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَهُمْ يَنْظُرُونِي »[1].

أمر النبي للسرية ﷺ

(١) أخرجه ابن خزيمة(١٩٨٦) وابن حبان (٧٤٩١) والطبراني في «الكبير»(٨/ ١٥٧رقم (٧٦٦٧) والحاكم(٢/ ٢٢٨) وقد أخرجه أيضاً أبو زرعة الرازي في كتابه الجليل«دلائل النبوة» كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٢٩٦) وساق سنده وهو من نفس الطريق.

أخرج البخاري[١] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ....**» .

في ساحة المعركة

أخرج أبو داود[٢] بسندٍ حسن عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - قَالَ أَبُو دَاوُدَ:

هُوَ يَحْيَى بْن عَبَّادٍ - حَدَّثَنِي أَبِي الَّذِي أَرْضَعَنِي وَهُوَ أَحَدُ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ وَكَانَ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ غَزَاةِ مُؤْتَةَ قَالَ: وَاللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى جَعْفَرٍ حِينَ «**اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءَ فَعَقَرَهَا، ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ**»[٣] .

وفي رواية :

«**....ثُمَّ عَقَرَهَا ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ يَقُولُ:**

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا ... طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا

الرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا ... كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا

---

(١) صحيح أخرجه البخاري(٤٢٦١) .

(٢) برقم(٢٥٧٣).

(٣) ولا أدري وجه قول أبي دَاوُدَ: «هَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ» ، وإلا فقد حسن إسناده الحافظ في «الفتح»(٧/ ٦٣٣) - وهو كذلك- وعزاه لابن إسحاق بنفس الاسناد وهو في«السيرة»لابن هشام (٢/ ٣٧٨).

عَلَيَّ إِذْ لَاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا »[١].

وأخرج البخاري[٢] عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ**» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ: «**حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ**».

وفي الصحيح[٣] عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: لَمَّا جَاءَ قَتْلُ ابْنِ حَارِثَةَ، وَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنهم ، جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْرَفُ فِيهِ الحُزْنُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَأَنَا أَطَّلِعُ مِنْ صَائِرِ البَابِ، تَعْنِي مِنْ شَقِّ البَابِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَيْ رَسُولَ اللهِ إِنَّ نِسَاءَ جَعْفَرٍ، قَالَ: وَذَكَرَ بُكَاءَهُنَّ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْهَاهُنَّ،قَالَ: فَذَهَبَ الرَّجُلُ ثُمَّ أَتَى، فَقَالَ: قَدْ نَهَيْتُهُنَّ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يُطِعْنَهُ، قَالَ: فَأَمَرَ أَيْضًا، فَذَهَبَ ثُمَّ أَتَى فَقَالَ: وَاللهِ لَقَدْ غَلَبْنَنَا، فَزَعَمَتْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ مِنَ التُّرَابِ**»[٤].

---

(١) خرجها ابن إسحاق في «السيرة»(٢/ ٣٧٨).

(٢) برقم (٤٢٦٢).

(٣) البخاري برقم (٤٢٦٣) ومسلم (٩٣٥) .

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»(٧/ ٥١٥) :«وَوَجْهُ الْمُنَاسَبَةِ فِي قَوْلِهِ احْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ دُونَ أَعْيُنِهِنَّ مَعَ أَنَّ الْأَعْيُنَ مَحَلُّ الْبُكَاءِ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ النَّهْيَ لَمْ يَقَعْ عَنْ مُجَرَّدِ الْبُكَاءِ بَلْ عَنْ قَدْرٍ زَائِدٍ عَلَيْهِ مِنْ صِيَاحٍ أَوْ نِيَاحَةٍ والله أعلم».

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَرْغَمَ اللهُ أَنْفَكَ،فَوَاللهِ مَا أَنْتَ تَفْعَلُ، [١]وَمَا تَرَكْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنَ العَنَاءِ ». [٢]

تنبيه١:

الوارد في صحيح البخاري عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أُغْمِيَ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ، فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ عَمْرَةُ تَبْكِي وَاجَبَلاَهْ، وَاكَذَا وَاكَذَا، تُعَدِّدُ عَلَيْهِ، فَقَالَ حِينَ أَفَاقَ: مَا قُلْتِ شَيْئًا إِلَّا قِيلَ لِي: آنْتَ كَذَلِكَ . [٣]

في هذه الرواية أنه مات رضي الله عنه على فراشه ، بينما المتقدم من الروايات أنه مات في ساحة القتال وأخبر النبي ﷺ بموته في غزوة مؤتة .

والجواب أن لا إشكال مطلقاً :

إلا إذا قلنا إن موت عبد الله بن رواحة رضي الله عنه كان في ذلك المرض ،ولا دليل على هذا، فقد يكون ما حصل من أخته عمرة إنما كان في مرض له عابراً أُغمي عليه فيه ثم شُفي وعاش بعده زمناً حتى مات في غزوة مؤتة والله الموفق .

---

(١) وفي رواية ابن إسحاق كما قال ابن هشام في « السيرة النبوية »(٢/ ٣٨١) بسندٍ حسن :«..... قَالَتْ: وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: أبعدك الله!فو الله مَا تَرَكْتَ نَفْسَكَ وَمَا أَنْتَ بِمُطِيعٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ. قَالَتْ: وَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَحْثِيَ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ.

(٢) وهذا محمول من عائشة رضي الله عنها على أنها أرادت:ما قمت بما أوجبه الله عليك ثم تنتقل إلى ما يزيد عليه ﷺ العناء.

(٣) برقم (٤٢٦٧).

تنبيه٢:

في هذا المقام رواية مشهورة :

فَلَمَّا الْتَقَوْا أَخَذَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الرَّايَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأُتِيَ بِالْفَرَسِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: تَعْلَمُ أَنَّهَا الْفَرَسُ الَّتِي قُتِلَ عَلَيْهَا الرَّجُلُ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا قَالَ: أَيُّهَا الْقَوْمُ إِنِّي مُبْتَغٍ لِنَفْسِي فَابْتَغُوا لِأَنْفُسِكُمْ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا رَكِبَهَا حَادَ حَيْدَةً فَقَالَ:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ ... كَارِهَةً أَوْ لَتُطَاوِعَنَّهْ

مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّهْ .....

كذا بلفظ : «فَلَمَّا رَكِبَهَا حَادَ حَيْدَةً » ..!!

ولا يصح بهذا اللفظ [١].

وقد أخرجه ابن أبي شيبة وابن ماجة وابن أبي عاصم [٢] بسندٍ حسن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: حَضَرْتُ حَرْبًا فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ: يَا نَفْسِ أَلَا أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّهْ، أَحْلِفُ بِاللهِ لَتَنْزِلِنَّهْ طَائِعَةً أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ» كذا مختصراً وليس فيه أنه حاد حيدة.

وهل يقال: إن نفس عبد الله بن رواحة كانت تكره الجنة وتحيد عنها ؟!

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور(٢٨٣٥) بإسناد مرسل.

(٢) في «المصنف»(٥/ ٢٧٩) وعنه ابن ماجة (٢٧٩٣) وابن أبي عاصم في «الجهاد»(٢٥٨)وغيرهم .

وتاريخ شجاعته معروف، تأبى نفسه أن تحيد حيدة والله أعلم .

ثم وقفت على رواية عند ابن إسحاق [١] قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عَبَّادٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي الَّذِي أَرْضَعَنِي، وَكَانَ أَحَدَ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: فَلَمَّا قُتِلَ جَعْفَرٌ أَخَذَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ رَوَاحَةَ الرَّايَةَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بِهَا، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ، فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ، وَيَتَرَدَّدُ بَعْضَ التَّرَدُّدِ، ثُمَّ قَالَ:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ ... لَتَنْزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنّه ... مَا لي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّهْ

قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ ... هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّهْ

وَقَالَ أَيْضًا:

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي ... هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيتْ

وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتُ ... إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتُ

يُرِيدُ صَاحِبَيْهِ: زَيْدًا وَجَعْفَرًا، ثُمَّ نَزَلَ. فَلَمَّا نَزَلَ أَتَاهُ ابْنُ عَمٍّ لَهُ بِعَرْقٍ [٢] مِنْ لَحْمٍ فَقَالَ: شُدَّ بِهَذَا صُلْبَكَ، فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيتُ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا لَقِيتُ، فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ انْتَهَسَ [٣] مِنْهُ نَهْسَةً، ثُمَّ سَمِعَ الْحَطْمَةَ [٤] فِي نَاحِيَةِ النَّاسِ، فَقَالَ:

---

(١) كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٣٧٩-٢٨٠).

(٢) الْعرق: الْعظم الّذي عَلَيْهِ بعض لحم.

(٣) انتهس: أَخذ مِنْهُ بفمه يَسِيراً.

(٤) الحطمة: زحام النَّاس وحطم بَعضهم بَعْضًا.

وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا ! ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ،ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَتَقَدَّمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

ثمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ ثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ [١]أَخُو بَنِي الْعَجْلَانِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اصْطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ، قَالُوا: أَنْتَ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. فَاصْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَلَمَّا أَخَذَ الرَّايَةَ دَافَعَ الْقَوْمَ، وَحَاشَى [٢]بِهِمْ، ثُمَّ انْحَازَ وَانْحِيزَ عَنْهُ، حَتَّى انْصَرَفَ بِالنَّاسِ.

ويظهر لي أن التردُّد المذكور ليس بمعنى الجُبن ولعله من التردد في تغليب جانب الإقتحام أم لا، وأشار الراوي بقوله : « **وَيَتَرَدَّدُ بَعْضَ التَّرَدُّدِ**» إلى أن مثل هذا من ابن رواحة رضي الله عنه مما هو شيء لا يُلتفت إليه .

قتال خالد بن الوليد رضي الله عنه

في غزوة مؤتة ومباشرة المؤمنين للقتال

قال خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ: «لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ»[٣].

وفي رواية قال: «لَقَدْ دُقَّ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، وَصَبَرَتْ فِي يَدِي صَفِيحَةٌ لِي يَمَانِيَةٌ »[١].

---

(١) وَهُوَ ثَابت بن أقرم بن ثَعْلَبَة بن عدي بن العجلان الْبلوىٰ ثمَّ الْأَنْصَارِيّ.وَكَانَ مَقْتَله سنة إِحْدَىٰ عشرَة فِي الرِّدَّة .

(٢) وحاشىٰ بهم : انحاز بهم،وَهُوَ من الحشىٰ،وَهِي النَّاحِيَة.

(٣) أخرجه البخاري(٤٢٦٥).

وهذا يدل على أن المسلمين قد باشروا قتالاً،وأن خالد بن الوليد ﷺ لم يقتصر على حوز المسلمين والنجاة بهم،بل باشر القتال، وثَمَّ أدلة أُخرى .

وأخرج مسلم [٢]عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلَبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺعَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِخَالِدٍ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ؟**».

قَالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ[٣]، قَالَ: «**ادْفَعْهُ إِلَيْهِ**»، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺفَاسْتُغْضِبَ، فَقَالَ:

=

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٦) .

(٢) برقم (١٧٥٣).

(٣) فقد ورد أنه كان للمقتول سيف أشقر على سُرج مُذَهَّب، وسلاح مُذَهَّب ...وهذا كثير فأخرج أحمد (٢٣٩٩٧) وأبو داود(٢٧١٩)بإسناد صحيح عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ مَنْ خَرَجَ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ، وَرَافَقَنِي مَدَدِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ، لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ سَيْفِهِ، فَنَحَرَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَزُورًا، فَسَأَلَهُ الْمَدَدِيُّ طَائِفَةً مِنْ جِلْدِهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَاتَّخَذَهُ كَهَيْئَةِ الدَّرَقِ، وَمَضَيْنَا، فَلَقِينَا جُمُوعَ الرُّومِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَشْقَرَ عَلَيْهِ سَرْجٌ مُذَهَّبٌ، وَسِلَاحٌ مُذَهَّبٌ، فَجَعَلَ الرُّومِيُّ يُغْرِي بِالْمُسْلِمِينَ، وَقَعَدَ لَهُ الْمَدَدِيُّ خَلْفَ صَخْرَةٍ، فَمَرَّ بِهِ الرُّومِيُّ فَعَرْقَبَ فَرَسَهُ، فَخَرَّ وَعَلَاهُ فَقَتَلَهُ، وَحَازَ فَرَسَهُ وَسِلَاحَهُ، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ، بَعَثَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَأَخَذَ مِنْهُ السَّلَبَ، قَالَ عَوْفٌ: فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا خَالِدُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَضَى بِالسَّلَبِ لِلْقَاتِلِ.

«لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ».

وفي رواية مسلم أيضًا عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ مَنْ خَرَجَ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ، وَرَافَقَنِي مَدَدِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ...الحديث.

فدل على أن ذلك كان في غزوة مؤته، ويدل أيضًا على مباشرة القتال،لا أن خالد ابن الوليد رضي الله عنه حاز الجيش وانسحب فحسب كما يفهمه البعض، فالأحاديث تدل على أنهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم، وقتلوا من أُمرائهم واستخدموا السيوف ...

فانْدَقَّتْ فِي يَدِ خالد بن الوليد رضي الله عنه يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ وَمَا ثبت في يديه إلا صفيحة يَمَانِيَةٌ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُمْ أَثْخَنُوا فِيهِمْ قَتْلًا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمَا

=

قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي اسْتَكْثَرْتُهُ، قُلْتُ: لَتَرُدَّنَّهُ إِلَيْهِ أَوْ لَأُعَرِّفَنَّكَهَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ. قَالَ عَوْفٌ: فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّةَ الْمَدَدِيِّ، وَمَا فَعَلَهُ خَالِدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا خَالِدُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، اسْتَكْثَرْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا خَالِدُ، رُدَّ عَلَيْهِ مَا أَخَذْتَ مِنْهُ» . قَالَ عَوْفٌ: فَقُلْتُ: دُونَكَ يَا خَالِدُ، أَلَمْ أَفِ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟ »، فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «يَا خَالِدُ، لَا تَرُدَّهُ عَلَيْهِ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِيَ أُمَرَائِي لَكُمْ صَفْوَةُ أَمْرِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ كَدَرُهُ؟».

قَدَرُوا عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْهُمْ، وَهَذَا وَحْدَهُ دَلِيلٌ مُسْتَقِلٌّ كما قال ابن كثير رحمه[١] وَاللهُ أَعْلَمُ.

بل إن قوله ﷺ في صحيح البخاري[٢]: «....**ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ**».دليل قوي وحده على ظهورهم والله أعلم .

ما حصل لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وما قيل عن أهله بعد موته وسبب تسميته بذي الجناحين

قد ذكر ابن هشام [٣]عن بعض من يثق به من أهل العلم:أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أَخَذَ اللِّوَاءَ بِيَمِينِهِ فَقُطِعَتْ، فَأَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقُطِعَتْ، فَاحْتَضَنَهُ بِعَضُدَيْهِ حَتَّى قُتِلَ رضي الله عنه وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَأَثَابَهُ اللهُ بِذَلِكَ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ شَاءَ. وَيُقَالُ: إِنَّ رَجُلًا مِنْ الرُّومِ ضَرَبَهُ يَوْمَئِذٍ ضَرْبَةً، فَقَطَعَهُ بِنِصْفَيْنِ.[٤]

وهذا وإن كان إسناداً ضعيفـاً لإرساله على شهرته بالتسليم إلا أن الحافظ ابن كثير قال :

---

(١) كما في «البداية والنهاية»(٤/ ٢٥٨).

(٢) برقم (٣٧٥٧).

(٣) في «السيرة النبوية »(٢/ ٣٧٨) .

(٤) وهذا إسناد ضعيف لإرساله على شهرته.

وَمِمَّا يَشْهَدُ لِمَا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ مِنْ قَطْعِ يَمِينِهِ وَهِيَ مُمْسِكَةٌ اللِّوَاءَ ثُمَّ شِمَالِهِ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، ثَنَا عمر بن علي، عن إسمعيل بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ عَامِرٍ قَالَ:كَانَ ابن عمر إذا حي ابن جعفر قال: السَّلام عليك يا بن ذِي الْجَنَاحَيْنِ(١).

وأيضا أنبِّه على:

نكارة المروي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ**».

وقد تكلَّمت على علَّة سنده في غير هذا الموطن وأزيد هنا :

ما وجه اختصاص آل جعفر رضي الله عنه بذلك وقد قتل معه زيد بن حارثة وابن رواحة رضي الله عنهما ،فكلاهما كان معه بل كان زيد أميره ومُفضَّلاً عليه، فقد أمَّره ﷺ أول الثلاثة، وأُخبر ﷺ بقتلهم وأخبَر في آن واحد، وكانا في معركة واحدة ، فلا وجه لتفضيل جعفر عليهما بذلك،والله أعلم ؟

والنبي ﷺ لا يخص آل ابن عمه في هذا المقام بمثل ذلك وكان عملُ الثلاثة واحداً، ولربما يُخشى من قوله ﷺ ذلك أن يقع شيءٌ في النفوس بسبب هذا التفضيل، فإذا انضاف ذلك إلى ما بيناه من علَّة إسناده أوجب ردَّ الحديث،لا سيما عند من يصحح حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «**كُنَّا نَرَى الِاجْتِمَاعَ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصَنْعَةَ الطَّعَامِ مِنَ النِّيَاحَةِ**».

(١) صحيح وقد تقدم .

وهما متناقضان أو مشكلان ، وأرى أن كليهما ضعيف كما بينت ذلك في غير هذا الموطن.

كيف يكون صناعة الطعام لأهل الميت من النياحة- التي هي من أعمال الجاهلية – والنبي ﷺ يأمر بها ؟!

وكَانَتْ عائشة رضي الله عنها إِذَا مَاتَ المَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا، فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا، أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتِ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ المَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ**»وهو في الصحيحين خرَّجته في كتابي «فقه التعامل مع الجار وبيان حقوقه» .

إخباره ﷺ الصحابة بما حصل مع الأمراء قبل أن يأتي الخبر

أخرج أبي شيبة والنسائي بإسناد حسن عن أبي قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشَ الْأُمَرَاءِ، وَقَالَ: «**عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ**» ، فَوَثَبَ جَعْفَرٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا كُنْتُ أَرْهَبُ أَنْ تَسْتَعْمِلَ عَلَيَّ زَيْدًا ، فَقَالَ: «**امْضِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيٌّ ذَلِكَ خَيْرٌ**»، فَانْطَلَقُوا فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ [1] وَأَمَرَ فَنُودِيَ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: « **ثَابَ خَيْرٌ، ثَابَ خَيْرٌ ثَلَاثًا** ».

---

(١) وفي هذا دليل على جواز نعي الميت في المسجد وعلى المنبر.

أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي ، فَانْطَلَقُوا فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَقُتِلَ زَيْدٌ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا ، اشْهَدُوا لَهُ بِالشَّهَادَةِ وَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

«اللَّهُمَّ إِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ، فَأَنْتَ تَنْصُرُهُ» .

فَمِنْ يَوْمَئِذٍ سُمِّيَ سَيْفَ اللهِ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « انْفِرُوا فَأَمِدُّوا إِخْوَانَكُمْ ، وَلَا يَتَخَلَّفَنَّ مِنْكُمْ أَحَدٌ، فَنَفَرُوا مُشَاةً وَرُكْبَانًا، وَذَلِكَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ ...الخبر . (١)

❁ وهذا سياق آخر فيه دعاء النبي ﷺ لآل جعفر

=

وأنبه على قصور حصل مني في الجزء الأول من كتابي «جامع أحكام الميت » الطبعة الأولى، وهو أني ذكرتُ هناك أن النبي ﷺ نعى النجاشيَّ في اليوم الذي مات فيه وأن ذلك كان على المنبر ، وهو خطأ لم يكن ذلك في المسجد، وعلى كل الحكم ثابت بجواز نعي الأموات في المساجد ،لكن أخذاً من قصة غزوة مؤتة كما ترى لا من رواية نعي النبي ﷺ النجاشي ، وهذا الحكم الشرعي ليس مخالفاً لما بُنيت له المساجد بل هو من المقاصد الشرعية الحسنة المطلوبة لتكثير عدد المصلين على الميت ، وذلك الجواز ما لم يكن في النعي فخر أو خيلاء أو رياء أو جزم لمعين بشهادة أو بجنة أو بنار ، وما ورد في النهي عن نعي الميت لا يصح له سند ، كما بينته في كتابي «جامع أحكام الميت » الجزء الأول وغيره.

(١) صحيح أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤١٢) وأحمد(٢٢٥٥١) والنسائي في «الكبرى»(٨١٠٣) وغيرهم .

أخرج الإمام أحمد بسندٍ صحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشًا، اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وقال:«**فَإِنْ قُتِلَ زَيْدٌ - أَوِ اسْتُشْهِدَ - فَأَمِيرُكُم جَعْفَرٌ، فَإِنْ قُتِلَ - أَوِ اسْتُشْهِدَ - فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ**».

فَلَقُوا الْعَدُوَّ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَتَى خَبَرُهُم النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ:

«**إِنَّ إِخْوَانَكُمْ لَقُوا الْعَدُوَّ، وَإِنَّ زَيْدًا أَخَذَ الرَّايَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ - أَوِ اسْتُشْهِدَ - ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ بَعْدَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ - أَوِ اسْتُشْهِدَ -، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ - أَوِ اسْتُشْهِدَ - ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ**» فَأَمْهَلَ، ثُمَّ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ - ثَلاثًا - أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَالَ: «**لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ ادْعُوا إِلِي ابْنَيِ أَخِي**»

قَالَ: فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: ادْعُوا إِلَيَّ الْحَلاقَ، فَجِيءَ بِالْحَلاقِ فَحَلَقَ رُءُوسَنَا، ثُمَّ قَالَ:

«**أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي**».

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا، فَقَالَ:

«اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ» ، قَالَهَا ثَلاثَ مِرَارٍ، قَالَ: فَجَاءَتِ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ:

«الْعَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».[١]

قال الحافظ ابن كثير:[٢]

«وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَرْخَصَ لَهُمْ فِي الْبُكَاءِ ثَلَاثَةَ أَيَّام ثمَّ نَهَاهُمْ عَنْهُ بَعْدَهَا ».

رجوع الصحابة من غزوة مؤتة وإقبالهم علي المدينة

اشتُهر في الكُتب أنه لَمَّا أَقْبَلَ أَصْحَابُ مُؤْتَةَ تَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، وَلَقِيَهُمُ الصِّبْيَانُ يَشْتَدُّونَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُقْبِلٌ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى دَابَّةٍ فَقَالَ: خُذُوا الصِّبْيَانَ فَاحْمِلُوهُمْ وَأَعْطُونِي ابْنَ جَعْفَرٍ.

فَأُتِيَ بِعَبْدِ اللهِ فَأَخَذَهُ فحمله بين يديه فجعلوا يَحْثُونَ عَلَيْهِمْ بِالتُّرَابِ وَيَقُولُونَ: يَا فُرَّارُ فَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ:« **لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ وَلَكِنَّهُمُ الْكُرَّارُ إن شاء الله عزوجل**» .

كذا رواه ابن إسحاق[٣] مرسلاً إذ هو من رواية عروة وهو تابعي.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٥٠) والنسائي في «الكبرىٰ»(٩٢٤٩) .

(٢) «البداية والنهاية»(٤/ ٢٨٨) .

(٣) أخرج ذلك ابن إسحاق كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية»(٤/ ٢٨٣).

قال الحافظ ابن كثير:

وَهَذَا مُرْسَلٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَفِيهِ غَرَابَةٌ[١]،وَعِنْدِي أَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ قَدْ وَهِمَ فِي هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الْجَيْشِ، وَإِنَّمَا كَانَ لِلَّذِينِ فَرُّوا حِينَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ، وَأَمَّا بَقِيَّتُهُمْ فَلَمْ يَفِرُّوا بَلْ نُصِرُوا كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ للمسلمين وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ فِي قَوْلِهِ ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ فَفَتَحَ اللهُ عَلَى يديه، فما كان المسلمون ليسمونهم فراراً بعد ذلك وإنما تلقوهم إكراماً وَإِعْظَامًا، وَإِنَّمَا كَانَ التَّأْنِيبُ، وَحَثْيُ التُّرَابِ لِلَّذِينِ فَرُّوا وَتَرَكُوهُمْ هُنَالِكَ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه .

هذا الذي ورد من عدة وجوه بهذا المعني لم يثبت منها شيء – فيما أعلم – والله أعلم .

وإنما في صحيح مسلم[٢]عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه ، قَالَ:«كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ، قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِي

---

(١) ويظهر وجه استغرابه والله أعلم، كيف يقع مثل ذلك ممن يفضلوهم إذ هم قادمون من الغزو والصحابة يحترم بعضهم بعضاً- في الجملة –لا سيما في حضور النبي ﷺ، وكيف ينكر الصحابة انسحاب ثلاثة آلاف من مئتى ألف،وهو عين الرُّشد الذي أقرَّهم ﷺ عليه،فكيف يُنكرون رضي الله عنهم على القادمين من الغزو ما هو موافق للحكمة التي أقرَّها ﷺ، ويُقرُّها العقل؟

فهذا وجه استغراب ابن كثير وقوع مثل هذا منهم تجاه الغزاة،لا سيما وهم بين يدي النبي ﷺ .

(٢) برقم (٢٤٢٨) .

إِلَيْهِ، فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ، فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ، قَالَ: فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ، ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ».

تنبيه :

قد ورد عَنِ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ زوجة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قَالَتْ: لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ أَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**تَسَلَّبِي ثَلَاثًا ثُمَّ اصْنَعِي مَا شِئْتِ**».

ومعنى تسلبي: أي البسي ثوب الحداد الأسود.

وهذا الحديث وإن قواه بعض العلماء إلا أن البعص أعلَّه سنداً ومتناً، وقد عدَّه بعض العلماء من الغرائب المنكرة الشاذة المطروحة كابن رجب الحنبلي رحمه الله ، وقد تعرَّضتُ لنقد سنده ومتنه في كتابي «تبصير النساء»[(١)].

الفوائد والدروس المستنبطة من غزوة مؤتة

في قصة غزوة مؤتة فوائد كثيرة :

❁ منها :

جَوَازُ الْإِعْلَامِ بِمَوْتِ الْمَيِّتِ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنَ النَّعْيِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ

قاله الحافظ ابن حجر:[(٢)]

---

(١) في(٢/ ٣٦٠- ٣٦٢) باب الجنائز فصل حداد المتوفي عنها زوجها، وكذلك في كتابي «المقترح في تيسير دراسة المصطلح» صـ ٣٣٤ وما بعدها تفصيل لشرح علَّته والله الموفق.

(٢) في «فتح الباري»(٧/ ٥١٣) .

وأقول وبالله التوفيق:نعي الميت جائز وبأي طريقة ولو في المسجد وعلى أي وجه ما لم يكن ثَمَّ فخر أو كذب...إلخ.

فمطلق الإعلام بموت الميت جائز وليس فيه ترك للأولى.

ولهم في ذلك أدلة كثيرة، منها نعي النجاشي في اليوم الذي مات فيه، ونعى الذين قتلوا في غزوة مؤته...ونعى التي كانت تقم المسجد .

وأما ما ورد بخلاف ذلك من النهي عن النعي فلا يصح سنده كما بينته في غير هذا الموطن [١] .

❁ ومنها :

جواز تعليق الإمارة بشرط كما حصل منه ﷺ حيث قال: زيد بن حارثة ، فإن قُتل فجعفر ، فإن قُتل فعبد الله بن رواحة.

ويبدو أن رسول الله ﷺ كان يَشعُر بما سيحصل إذ لم يكن هذا من عادته مع من يؤمِّره،أنه كان يقول :إن قتل فلان ففلان ، وإن قتل فلان ففلان..

فتعلمنا من ذلك طريقة وفقهاً .

❁ ومنها :

جواز تولية عدَّة أُمراء بالترتيب، كما فعل ﷺ فقد ولَّاهم مرتين فانعقدت.

وهل تنعقد الولاية الثانية في الحال أم لا تنعقد إلا بعد حصول الشرط ؟

---

(١) في «جامع أحكام الميت»(١/ ٥٠) .

وقد استظهر الحافظ ابن حجر: أنها تنعقد في الحال، ولكن بشرط الترتيب، وقيل: تنعقد لواحد لا بعينه، وتتعيَّن لمن عينه الإمام على الترتيب ، وقيل : تنعقد للأول فقط ، وأما الثاني فبطريق الاختيار [١].

❁ ومنها :

أن اختيار الإمام مُقَدَّم على غيره لأنه أعرف بالمصلحة العامة، وهذا معلوم شرعـًا وعقلاً أوضح من أن يُستدَلَ عليه .

❁ ومنها :

جواز التأمُّر في الحرب بغير تأمير إذا شغر المكان من أمير، وهذا واضح فإن خالد بن الوليد أخذ الراية من غير تأمير فانعقدت ولم ينكر رسول الله ﷺ .

قَالَ الطَّحَاوِيُّ :

« هَذَا أَصْلٌ يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُقَدِّمُوا رَجُلًا إِذَا غَابَ الْإِمَامُ يَقُومُ مَقَامَهُ إِلَى أَنْ يَحْضُرَ». [٢]

---

(١) ونص كلام الحافظ في «الفتح»(٧/ ٥١٣): «وَفِيهِ جَوَازُ تَعْلِيقِ الْإِمَارَةِ بِشَرْطٍ وَتَوْلِيَةُ عِدَّةِ أُمَرَاءَ بِالتَّرْتِيبِ وَقَدِ اخْتُلِفَ هَلْ تَنْعَقِدُ الْوِلَايَةُ الثَّانِيَةُ فِي الْحَالِ أَوْ لَا وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهَا فِي الْحَالِ تَنْعَقِدُ وَلَكِنْ بِشَرْطِ التَّرْتِيبِ وَقِيلَ تَنْعَقِدُ لِوَاحِدٍ لَا بِعَيْنِهِ وَتَتَعَيَّنُ لِمَنْ عَيَّنَهَا الْإِمَامُ عَلَى التَّرْتِيبِ وَقِيلَ تَنْعَقِدُ لِلْأَوَّلِ فَقَطْ وَأَمَّا الثَّانِي فَبِطَرِيقِ الِاخْتِيَارِ وَاخْتِيَارُ الْإِمَامِ مُقَدَّمٌ عَلَى غَيْرِهِ لِأَنَّهُ أَعْرَفُ بِالْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ ».

(٢) حكاه عنه الحافظ في «الفتح»(٧/ ٥١٣) .

يعني إذا شغر الزمان من الإمام ، لا أن يؤمِّروا رجلاً من قِبَلهم لم يؤمِّره الإمام كما يفعل الحزبيون والتكفيريون اليوم، فإنهم يؤمِّرون من هو منسلخ من طاعة الإمام

وفي الباب ما أخرجه أبو داود [١] بسندٍ قوي عن عُقْبَةَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَسَلَحْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ سَيْفًا، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ: لَوْ رَأَيْتَ مَا لَامَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَعَجَزْتُمْ إِذْ بَعَثْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ فَلَمْ يَمْضِ لِأَمْرِي، أَنْ تَجْعَلُوا مَكَانَهُ مَنْ يَمْضِي لِأَمْرِي؟**» .

فهذا دليل قوي في الباب هذا مفهومه ، ولا يخدم الحزبيين – هداهم الله – .

❁ **ومنها :**

جَوَازُ الِاجْتِهَادِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، لأن الصحابة رضي الله عنهم اجتهدوا

فاتخذوا خالد بن الوليد أميراً فأمضيت إمارته، وفي أخذ هذا مما حصل في هذه الغزوة شيء إلا أن تقرير المسألة صحيح فإن الصحابة رضي الله عنهم اجتهدوا في مواطن في حياته ﷺ كما في قصة الوليد والغنم الذي جُلد فيه العسيف الذي زنى بامرأة الذي كان يعمل عنده .. وغير ذلك، ومحل دراسة المسألة كتب أصول الفقه.

❁ **ومنها :**

أن في القصة عَلمـًا ظاهراً من أعلام النبوة ، إذ قد أخبر رسولُ الله ﷺ الصحابة بما حصل دون أن يأتي الرسول،ولا مراسل ولا اتصال فمن أعلمه ؟

---

(١) برقم (٢٦٢٧).

❁ ومنها : فضيلة ظاهرة لخالد بن الوليد وذلك في قوله ﷺ :«حتي إذا أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليه» ولمن ذكر من الصحابة ، وقد تقدَّم ذكر فضائل الأُمرَاء الثلاثة.

❁ ومنها :

حنكة خالد بن الوليد رضي الله عنه وتضَلُّعه في فنون إدارة الحروب .

❁ ومنها :

مشروعية الانتصاب للعزاء على هيئةٍ لا كهيئته اليوم التي فيها التكلُّف الواضح وإنما كما فعل النبي ﷺ حيث جلس ﷺ يُعرَف فيه الحزن، وقد علاه الوقار ﷺ.

❁ ومنها :

جواز نظر مَن شأنه الاحتجاب كالنساء – من شقِّ الباب – لمصلحة

حيث الإطلاع على أحوال القوم للفقه في ذلك كما فعلت عائشة رضي الله عنها ، فقد نظرت من شق الباب إلى الأمور كيف تسير، وذلك لذكر ما يتلى في بيوتهن من الحكم ، ولما نظرت تعلَّمت فعلَّمت رضي الله عنها ، وأما عكس ذلك – أعني نظر الرجال للنساء من شق الباب فلا إلا إذا كانت مصلحة كنظر لخطبة أحيانـًا كما فعل جابر بن عبد الله رضي الله عنه حيث اختبأ لمن يريد الزواج منها في أصول النخل حتى رأى منها

ما يعجبه فتزوجها والله أعلم .

❁ ومنها :

جواز إطلاق الدعاء بلفظه ولكن لا يقصد الداعي إيقاعه بالمدعو به لأن قول عائشة رضي الله عنها : «أرغم الله بأنفك» أي ألصقه بالتراب، لم تُرد حقيقة إيقاعه بالمدعو عليه ، وإنما جرت عادة العرب بإطلاق هذه اللفظة الشماتة بمن يقال له .

ومنه قوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : «**ثكلتك أمك**» .

وقوله ﷺ لصفية لما حاضت في الحج : «**عقرى حلقى**» الذي معناه الدعاء بالداء في الحلق والعقر .

وقوله ﷺ لغيرها : «**تربت يمينك**».

قال الحافظ ابن حجر (١) :

فيه إِطْلَاقُ الدُّعَاءِ بِلَفْظٍ لَا يَقْصِدُ الدَّاعِي إِيقَاعَهُ بِالْمَدْعُوِّ بِهِ لِأَنَّ قَوْلَ عَائِشَةَ أَرْغَمَ اللهُ أَنْفَكَ أَيْ أَلْصَقَهُ بِالتُّرَابِ وَلَمْ تُرِدْ حَقِيقَةَ هَذَا وَإِنَّمَا جَرَتْ عَادَةَ الْعَرَبِ بِإِطْلَاقِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ فِي مَوْضِعِ الشَّمَاتَةِ بِمَنْ يُقَالُ لَهُ.

وَوَجْهُ الْمُنَاسَبَةِ فِي قَوْلِهِ «**احْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ دُونَ أَعْيُنِهِنَّ**» مَعَ أَنَّ الْأَعْيُنَ مَحَلُّ الْبُكَاءِ:

الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ النَّهْيَ لَمْ يَقَعْ عَنْ مُجَرَّدِ الْبُكَاءِ بَلْ عَنْ قَدْرٍ زَائِدٍ عَلَيْهِ مِنْ صِيَاحٍ أَوْ نِيَاحَةٍ وَاللهُ أعلم.

---

(١) في «فتح الباري» (٧/ ٥١٥) .

❁ ومنها : بيان بعض فضائل الأمراء الثلاثة .....إلى غير ذلك من الفوائد التي لا يتسع المقام لذكره

بعث النبي ﷺ السرايا إلى ملوك الآفاق

وكتابته إليهم يدعوهم إلى الله، يدعوهم للدخول في الإسلام

أخرج مسلم [١] عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : «أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى»، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ.[٢]

وقد أمر ﷺ الصحابة رضي الله عنهم من يتعلم لغة يهود ، واللغة السريانية...

فعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ:

أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قَالَ:« **إِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ**» قَالَ:

فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ. وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ.[١]

---

(١) برقم (١٧٧٤) .

(٢) وقد بوَّب النووي بباب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل ، وذكر ابن كثير في «البداية والنهاية»(٤/ ٣٠٨) هذا الحديث في هذا الموطن من السيرة ، فتابعته في الترتيب هنا وبالله التوفيق .

وفي رواية [٢] قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ؟ إِنَّهَا تَأْتِينِي كُتُبٌ**» قَالَ: قُلْتُ: لَا.

قَالَ: «فَتَعَلَّمْهَا» فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

وهذا من أثر الحرص الشديد، وحسن اختيار الكاتب له ﷺ للرسائل، فكيف باختياره كاتب وحي رب العالمين؟[٣]

وهي كياسة وفطنة منه ﷺ تبعه فيها الخليفة الراشد أبو بكر ثم عثمان رضي الله عنه في جمع المصحف بين اللوحين[٤] ومدح عليٌّ رضي الله عنه عثمانَ ودافع عنه لأجله،

=

(١) أخرجه الترمذي (٢٧١٥) وقد خرجت هذا وعلَّقت عليه عند تحقيقي للمصاحف لابن أبي داود. الله أكبر على هممهم العظيمة، يتعلَّم لغةً في أقل من نصف شهر!

(٢) رواها أحمد(٢١٥٨٧).

(٣) ومن ثَمَّ كانت منقبة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أن كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ كما بينته في كتابي «شفاء صدور الموحدين بذكر مناقب خال المؤمنين».

(٤) ففي صحيح البخاري (٤٦٧٩) أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه - وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الوَحْيَ - قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ فِي المَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ القُرْآنَ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: «كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟» فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللهُ لِذَلِكَ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لاَ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، وَلاَ نَتَّهِمُكَ، «كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ

فقال: « لَوْ وُلِّيتُ مِثْلَ الَّذِي وُلِّيَ لَصَنَعْتُ مِثْلَ الَّذِي صَنَعَ» ،والتلاميذ نتاج الشيوخ، فلا تعجب . .

وصول خطاب رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم وحديث أبي سفيان بن حرب إليه لما سأله.

أخرج الطبراني والبيهقي وغيرهما واللفظ له بسند حسن عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

حَدَّثَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ مِنْ فِيهِ قَالَ كُنَّا قَوْمًا تُجَّارًا وَكَانَتِ الْحَرْبُ قَدْ حَضَرَتْنَا حَتَّى نَهَكَتْ أَمْوَالَنَا فَلَمَّا كَانَتِ الْهُدْنَةُ هُدْنَةُ الْحُدَيْبِيَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ نَأْمَنْ أَنْ وَجَدْنَا أَمْنًا فَخَرَجْتُ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ مَعَ رَهْطٍ مِنْ قريش فو الله مَا عَلِمْتُ بِمَكَّةَ امْرَأَةً وَلَا رَجُلًا إِلَّا قَدْ حَمَّلَنِي بِضَاعَةً وَكَانَ وَجْهُ مَتْجَرِنَا مِنَ الشَّامِ غَزَّةَ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ فَخَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَاهَا وَذَلِكَ حِينَ ظَهَرَ قَيْصَرُ صَاحِبُ الرُّومِ عَلَى مَنْ كَانَ فِي بِلَادِهِ مِنَ الْفُرْسِ فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا وَرُدَّ عَلَيْهِ صَلِيبَهُ الْأَعْظَمُ وَقَدْ كَانَ اسْتَلَبُوهُ إِيَّاهُ فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِحِمْصَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَخَرَجَ مِنْهَا يَمْشِي مُتَشَكِّرًا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِيُصَلِّيَ فِيهِ تُبْسَطُ لَهُ الْبُسُطُ وَتُطْرَحُ لَهُ عَلَيْهَا

=

ﷺ»، فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: «كَيْفَ تَفْعَلاَنِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ ﷺ؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ واللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّىٰ شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُمْتُ فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرِّقَاعِ وَالأَكْتَافِ،وَالعُسُبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ...الخبر، والشاهد قوله عنه :«إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك».

الرَّيَاحِينُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى إِيلِيَاءَ فَصَلَّى بِهَا فَأَصْبَحَ ذَاتَ غَدَاةٍ وَهُوَ مَهْمُومٌ يُقَلِّبُ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَتْ لَهُ بَطَارِقَتُهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ لَقَدْ أَصْبَحْتَ مَهْمُومًا فَقَالَ:

أَجَلْ فَقَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ فَقَالَ: أُرِيتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ أَنَّ مَلَكَ الْخِتَانِ ظَاهِرٌ فَقَالُوا: وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تَخْتَتِنُ إِلَّا يهود وهم تَحْتَ يَدَيْكَ فِي سُلْطَانِكَ فَإِنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ هَذَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُمْ فَابْعَثْ فِي مَمْلَكَتِكَ كُلِّهَا فَلَا يَبْقَى يَهُودِيٌّ إِلَّا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ فَتَسْتَرِيحَ مِنْ هَذَا الْهَمِّ، فَإِنَّهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ رَأْيِهِمْ يُدَبِّرُونَهُ إِذْ أَتَاهُمْ رَسُولُ صَاحِبِ بُصْرَى بِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ قَدْ وَقَعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ هَذَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الشَّاءِ وَالْإِبِلِ يُحَدِّثُكَ عَنْ حَدَثٍ كَانَ بِبِلَادِهِ فَسَلْهُ عَنْهُ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُ مَا هَذَا الْخَبَرُ الَّذِي كَانَ فِي بِلَادِهِ؟ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ قُرَيْشٍ خَرَجَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَقَدِ اتَّبَعَهُ أَقْوَامٌ وَخَالَفَهُ آخَرُونَ وَقَدْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ مَلَاحِمُ فِي مَوَاطِنَ فَخَرَجْتُ مِنْ بِلَادِي وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَلَمَّا أَخْبَرَهُ الْخَبَرَ قَالَ: جَرِّدُوهُ فَإِذَا هُوَ مَخْتُونٌ فَقَالَ: هَذَا وَاللهِ الَّذِي أُرِيتُ لَا مَا تَقُولُونَ أَعْطِهِ ثَوْبَهُ انْطَلِقْ لِشَأْنِكَ، ثُمَّ دَعَا صَاحِبَ شُرْطَتِهِ فَقَالَ لَهُ:

قَلِّبْ لِيَ الشَّامَ ظَهْرًا وَبَطْنًا حَتَّى تَأْتِيَ بِرَجُلٍ مِنْ قَوْمِ هَذَا أَسْأَلُهُ عن شأنه فو الله إني وأصحابي لبغرّة إِذْ هَجَمَ عَلَيْنَا فَسَأَلَنَا مِمَّنْ أَنْتُمْ، فَأَخْبَرَنَاهُ، فَسَاقَنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ:

فو الله مَا رَأَيْتُ مِنَ رَجُلٍ قَطُّ أَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ أَدْهَى مِنْ ذَلِكَ الْأَغْلَفِ يُرِيدُ هِرَقْلَ فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَالَ: أَيُّكُمْ أَمَسُّ بِهِ رَحِمًا فَقُلْتُ:أَنَا قَالَ:أَدْنُوهُ مِنِّي فَأَجْلَسَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ أَمَرَ بِأَصْحَابِي فَأَجْلَسَهُمْ خَلْفِي وَقَالَ:إِنْ كَذَبَ فَرُدُّوا عَلَيْهِ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ:

فَلَقَدْ عَرَفْتُ أَنْ لَوْ كَذَبْتُ مَا رَدُّوا عَلَيَّ وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأً سَيِّدًا أَتَكَرَّمُ وَأَسْتَحِي مِنَ الْكَذِبِ وَعَرَفْتُ أَنَّ أَدْنَى مَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَرْوُوهُ عَنِّي ثُمَّ يَتَحَدَّثُوا بِهِ عَنِّي بِمَكَّةَ فَلَمْ أَكْذِبْهُ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا لرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ فِيكُمْ فَزَهَّدْتُ لَهُ شَأْنَهُ وَصَغَّرْتُ له أمره فو الله مَا الْتَفَتَ إِلَى ذَلِكَ مِنِّي وَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ مِنْ أَمْرِهِ فَقُلْتُ سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ فَقَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ فَقُلْتُ: مَحْضًا مِنْ أَوْسَطِنَا نَسَبًا قَالَ: فَأَخْبِرْنِي هَلْ كَانَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ أَحَدٌ يَقُولُ مِثْلَ قَوْلِهِ فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِهِ؟

فَقُلْتُ: لَا قَالَ: فَأَخْبِرْنِي هَلْ كَانَ لَهُ مُلْكٌ فَاسْتَلَبْتُمُوهُ إِيَّاهُ فَجَاءَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِتَرُدُّوا عَلَيْهِ مُلْكَهُ؟ فَقُلْتُ:لَا قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَتْبَاعِهِ مَنْ هُمْ فَقُلْتُ الْأَحْدَاثُ وَالضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ فَأَمَّا أَشْرَافُ قَوْمِهِ وَذَوُو الْأَسْنَانِ مِنْهُمْ فَلَا قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَمَّنْ يَصْحَبُهُ أَيُحِبُّهُ وَيَلْزَمُهُ أَمْ يَقْلِيهِ وَيُفَارِقُهُ؟ قُلْتُ: قَلَّ مَا صَحِبَهُ رَجُلٌ فَفَارَقَهُ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ فَقُلْتُ: سِجَالٌ تُدَالُ عَلَيْنَا وَتُدَالُ عَلَيْهِ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي هَلْ يَغْدِرُ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَغْمِزُ فِيهِ إِلَّا هِيَ قُلْتُ لَا وَنَحْنُ منه في مدّة ولا نأمن غدره فو الله مَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا مِنِّي فَأَعَادَ عَلَيَّ الْحَدِيثَ فَقَالَ: زَعَمْتَ أَنَّهُ مِنْ أَمْحَضِهِمْ نَسَبًا وَكَذَلِكَ يَأْخُذُ اللهُ النَّبِيَّ إِذَا أَخَذَهُ لَا يَأْخُذُهُ إِلَّا مِنْ أَوْسَطِ قَوْمِهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ لَهُ مُلْكٌ فَاسْتَلَبْتُمُوهُ إِيَّاهُ فَجَاءَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِتَرُدُّوا عليه ملكه فقلت:

لا وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمُ الْأَحْدَاثُ وَالْمَسَاكِينُ وَالضُّعَفَاءُ وكذلك وَكَذَلِكَ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَسَأَلْتُكَ عَمَّنْ يَتْبَعُهُ أَيُحِبُّهُ وَيَلْزَمُهُ أَمْ يَقْلِيهِ

وَيُفَارِقُهُ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ قَلَّ مَنْ يَصْحَبُهُ فَيُفَارِقُهُ وَكَذَلِكَ حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ لَا تَدْخُلُ قَلْبًا فَتَخْرُجَ مِنْهُ وَسَأَلْتُكَ كَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ فَزَعَمْتَ أَنَّهَا سِجَالٌ يذال عليكم وتذالون عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ تَكُونُ حَرْبُ الْأَنْبِيَاءِ وَلَهُمْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَزَعَمْتَ أنه لا يغدر فلئن كُنْتَ صَدَقْتَنِي لَيَغْلِبَنِّي عَلَى مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَلَوَدِدْتُ أَنِّي عِنْدَهُ فَأَغْسِلُ قَدَمَيْهِ الْحَقْ بِشَأْنِكَ فَقُمْتُ وَأَنَا أَضْرِبُ بِإِحْدَى يَدَيَّ عَلَى الْأُخْرَى [أَقُولُ] أَيْ عِبَادَ اللهِ لَقَدْ ظهر أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ أَصْبَحَ مُلُوكُ بَنِي الْأَصْفَرِ يَخَافُونَهُ فِي سلطانهم(١).

❁ وهذا سياق رواية الصحيحين(٢) أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ:

أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير»(٨/ ١٩رقم(٧٢٧١) والبيهقي في «الدلائل»(٢/ ٦٦)وغيرهما وأصل الرواية في صحيح البخاري تأتي، لكني صدَّرت بهذا الإسناد الحسن لمعاني زائدة ليست في رواية الصحيح .

(٢) البخاري برقم (٧) ومسلم (١٧٧٣).

فَوَاللهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ. ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ ؟

قلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا القَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لاَ قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ. فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا القَوْلَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا القَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ:

رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى

اللهِ. وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ.

وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ. وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.

ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ « **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ** ».وَ **{يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}** قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ. فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا

أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ. وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ، صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ، سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ، أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ.

قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا اليَهُودُ، فَلاَ يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ، فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ اليَهُودِ.

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ، أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لاَ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ العَرَبِ، فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مَلْكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي العِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الفَلاَحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ، فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ.

كتاب رسول الله إلى كسرى ملك الفرس

أخرج البخاري وغيره أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: « بَعَثَ بِكِتَابِهِ رَجُلًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ البَحْرَيْنِ فَدَفَعَهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ المُسَيِّبِ قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ»[١].

❁ بداية تمزيق ملكه ـ قبحه الله ـ ولله الحمد:

أخرج البخاري [٢]عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي اللهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَيَّامَ الجَمَلِ، بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ، قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى، قَالَ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً».

وفي رواية:[٣] عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكَرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ فَارِسَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ[٤]: إِنَّ رَبِّي قَدْ قَتَلَ رَبَّكَ، يَعْنِي كِسْرَى، قَالَ: وَقِيلَ لَهُ، يَعْنِي لِلنَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ اسْتَخْلَفَ ابْنَتَهُ» ، قَالَ: فَقَالَ: «لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمْ امْرَأَةٌ».

تنبؤات النبي ﷺ بشأن كسري

(١) البخاري برقم (٦٤) وبوب له برقم (٤٤٢٤) بباب بَابُ كِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ.

(٢) برقم (٤٤٢٥) عقب السابق وذلك إشارة من البخاري إلى استجابة الله لدعاء نبيه ﷺ أن يمزق الله ملكه.

(٣) أخرجه أحمد(٢٠٤٣٨) بسندٍ على شرط الصحيح.

(٤) القائل هو النبي ﷺ.

أخرج البخاري[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ».

فَبَادَ مُلْكُ الْأَكَاسِرَةِ بِالْكُلِّيَّةِ وَزَالَ مُلْكُ قَيْصَرَ عَنِ الشَّامِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِنْ ثَبَتَ لَهُمْ مُلْكٌ فِي الْجُمْلَةِ بِبَرَكَةِ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُمْ حِينَ عَظَّمُوا كِتَابَهُ وَاللهُ أَعْلَمُ، وقد ذكر هذا ما قال بعض العلماء[٢].

قال ابن كثير رحمه الله عقب الحديث السالف:

قُلْتُ: « وَفِي هَذَا بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ بِأَنَّ مُلْكَ الرُّومِ لَا يَعُودُ أَبَدًا إِلَى أَرْضِ الشَّامِ وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي قَيْصَرَ لِمَنْ مَلَكَ الشَّامَ مَعَ الْجَزِيرَةِ مِنَ الرُّومِ، وَكِسْرَى لِمَنْ مَلَكَ الْفُرْسَ، وَالنَّجَاشِيَّ لِمَنْ مَلَكَ الْحَبَشَةَ، وَالْمُقَوْقِسَ لِمَنْ مَلَكَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ، وَفِرْعَوْنَ لِمَنْ مَلَكَ مِصْرَ كَافِرًا، وَبَطْلَيْمُوسَ لِمَنْ مَلَكَ الْهِنْدَ وَلَهُمْ أَعْلَامُ أَجْنَاسٍ غَيْرُ ذَلِكَ ».[٣]

---

(١) البخاري برقم (٣١٢٠) ومسلم (٢٩١٨).

(٢) كابن كثير في «البداية والنهاية »ولعله اعتمد على ما أخرجه البيهقي في «السنن الكبري » (٩/ ٢٩٩) وغيره من كتبه بسندٍ صحيح عن الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ قال: وَلَمَّا أُتِيَ كِسْرَىٰ بِكِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَزَّقَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: تَمَزَّقَ مُلْكُهُ وَحَفِظْنَا أَنَّ قَيْصَرَ أَكْرَمَ كِتَابَ النَّبِيِّ ﷺ وَوَضَعَهُ فِي مِسْكٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ثَبَتَ مُلْكُهُ».أ هـ قلت «محمد» :وبين الشافعي والحدث مفاوز ومع اشتهار هذا أنه أكرم كتاب رسول الله ﷺ فلم أقف له على سند ثابت ، ويُتداول! والله أعلم .

(٣) «البداية والنهاية»(٤/ ٣٠٩).

وفي صحيح البخاري [١] عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ...فقال ﷺ:« **وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى**»، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: « **كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ** .....قال عدي رضي الله عنه: وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسِمِ ﷺ، يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ...الحديث.

وفي صحيح مسلم [٢] عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**لَتَفْتَحَنَّ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ**»[٣].

بَعْثُهُ ﷺ إِلَى المقوقس صَاحِبِ مَدِينَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ [٤]

قد وردت عدَّة أخبار عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ :أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْقِسَ صَاحِبِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَمَضَى بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُقَوْقِسَ فَقَبَّلَ الْكِتَابَ وَأَكْرَمَ حَاطِبًا وَأَحْسَنَ نُزُلَهُ وَسَرَّحَهُ

---

(١) برقم (٣٥٩٥).

(٢) برقم (٢٩١٩) .

(٣) وفي«دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٨٩) بسند ضعيف عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَيَفْتَتِحَنَّ رَهْطٌ مِنْ أُمَّتِي كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ» فَكُنْتُ أَنَا وَأَبِي فِيهِمْ فَأَصَبْنَا مِنْ ذَلِكَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.» والرهط : الجماعة من الرجال دون العشرة .

وهذا غريب غير معقول المعنى والله أعلم .

(٤) واسمه جريج بن مينا القبطي على ما ذكره ابن كثير«البداية والنهاية »(٤/ ٣١٠) .

إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَهْدَى لَهُ مَعَ حَاطِبٍ كِسْوَةً وَبَغْلَةً سَرْجِهَا وَخَادِمَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا أُمُّ إِبْرَاهِيمَ..[١]

وأخرج البيهقي في «الدلائل»[٢] مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ ثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُقَوْقِسِ مَلِكِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، قَالَ فَجِئْتُهُ بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَنِي فِي مَنْزِلِهِ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ وَقَدْ جَمَعَ بِطَارِقَتَهُ وَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ كَلَامٍ فَأُحِبُّ أَنْ تَفْهَمَ عَنِّي قَالَ قُلْتُ هَلُمَّ قَالَ أَخْبِرْنِي عَنْ صاحبك أليس هو نبي؟

قلت بل هُوَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ فَمَا لَهُ حَيْثُ كَانَ هَكَذَا لَمْ يَدْعُ عَلَى قَوْمِهِ حَيْثُ أَخْرَجُوهُ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى غَيْرِهَا ؟

قَالَ فَقُلْتُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَلَيْسَ تَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَمَا لَهُ حَيْثُ أَخَذَهُ قَوْمُهُ فَأَرَادُوا أَنْ يَصْلُبُوهُ أَلَّا يَكُونَ دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رَفَعَهُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟

فَقَالَ لِي: أَنْتَ حَكِيمٌ قَدْ جَاءَ مِنْ عِنْدِ حَكِيمٍ هَذِهِ هَدَايَا أَبْعَثُ بِهَا مَعَكَ إِلَى

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل»(٥/ ١٦) بسند ثابت إلى عبد الرحمن بن عبد القاري به وَهُوَ مِنْ ثِقَاتِ التَّابِعِينَ الْكِبَارِ، لكنه مختلف في صحبته وجزم بعض العلماء بأن له رؤية ، وُلِدَ فِي أَيَّامِ النُّبُوَّةِ ،وقد روي عن كبار الصحابة عمر وغيره فلا يبعد ثبوت الخبر والله أعلم.

(٢) (٥/ ١٦) .

مُحَمَّدٍ وَأُرْسِلُ مَعَكَ بِبَذْرَقَةٍ يُبَذْرِقُونَكَ إِلَى مَأْمَنِكَ.

قَالَ: فَأَهْدَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ثلاث جوار منهن أُمُّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَوَاحِدَةٌ وَهَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِطُرْفٍ مِنْ طُرَفِهِمْ. (١)

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَنَّهُ أَهْدَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعَ جَوَارٍ إِحْدَاهُنَّ مَارِيَةُ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ وَالْأُخْرَى سِيرِينُ الَّتِي وَهَبَهَا لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَسَّانَ.

وهذا مع شهرته فلم أجد له سنداً ثابتـًا، وفي سنده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف.

---

(١) وقد ذكر بعض العلماء أن الذي كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ هو ممن أهداه المقوقس لرسول الله ﷺ وكان يدخل على أم ولد لرسول الله ﷺ على عادة أهل بلاده فاتُّهم بها .

و قصته أخرجها مسلم (٢٧٧١) عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِأُمِّ وَلَدِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعَلِيٍّ: «اذْهَبْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ» فَأَتَاهُ عَلِيٌّ فَإِذَا هُوَ فِي رَكِيٍّ يَتَبَرَّدُ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: اخْرُجْ، فَنَاوَلَهُ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ، فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ، فَكَفَّ عَلِيٌّ عَنْهُ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ مَا لَهُ ذَكَرٌ.

والمرأة: هي مارية القبطية أم إبراهيم ولد رسول الله ﷺ كما في بعض مصادر التخريج ، كما عند البزار في «البحر الزخار» (٦٣٤) بسندٍ رجاله مُعَدَّلون عَنْ عَلِيٍّ - رضي الله عنه - قَالَ: كَثُرَ عَلَى مَارِيَةَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ فِي قِبْطِيٍّ ابْنِ عَمٍّ لَهَا كَانَ يَزُورُهَا وَيَخْتَلِفُ إِلَيْهَافَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُذْ هَذَا السَّيْفَ فَانْطَلِقْ، فَإِنْ وَجَدْتَهُ عِنْدَهَا فَاقْتُلْهُ**»...وإسناده حسن لولا عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس .

وإنما أردتُ التنبيه على ضعفه، وإن كان وقوع مثله أونحوه ليس بمستبعد حصوله، والله أعلم .

رسالة رسول الله ﷺ إلى بكر بن وائل {بني الكاتب }

أخرج ابن حبان [١] بسند حسن عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَبَ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ: « **مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ أَنْ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا** » قَالَ: فَمَا قَرَأَهُ إِلَّا رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ، فَهُمْ يُسَمَّوْنَ بَنِي الْكَاتِبِ .

غزوة ذات السلاسل

وتأمير عمرو بن العاص رضي الله عنه فيها من بداية إسلامه [٢]

قِيلَ :سُمِّيَتْ ذَاتَ السَّلَاسِلِ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ ارْتَبَطَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مَخَافَةَ أَنْ يَفِرُّوا وَقِيلَ لِأَنَّ بِهَا مَاءٌ يُقَالُ لَهُ السَّلْسَلُ وَذكر بن سَعْدٍ أَنَّهَا وَرَاءَ وَادِي الْقُرَى وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ عَشَرَةُ أَيَّامٍ .

---

(١) برقم (٦٥٥٨) .

وقد أخرجه ابن أبي عاصم في«الآحاد والمثاني»(١٦٢٩) والبزار في«البحر الزخار»(٧٢٣٨) وأبو يعلى(٢٩٤٧) وأبو عوانة في«المستخرج»(٦٧٣٩) وغيرهم من نفس طريق ابن حبان .

وقال الضياء في «المختارة»(٢٤٢٧): «أخرج مسلم بهذا الإسناد حديثين».

(٢) وقد ذكر البيهقي غزوة ذات السلاسل قبل غزوة الفتح ،وقَلَّده الحافظ ابن كثير في الترتيب فقال في «البداية والنهاية »(٤/ ٣١١): ذَكَرَهَا الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ هَاهُنَا قَبْلَ غَزْوَةِ الْفَتْحِ.

قَالَ وَكَانَتْ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَقِيلَ كَانَتْ سنة سبع وَبِه جزم بن أَبِي خَالِدٍ فِي كِتَابِ صَحِيحِ التَّارِيخِ وَنَقَلَ بن عَسَاكِرَ الِاتِّفَاقَ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ بَعْدَ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ إِلَّا ابن إِسْحَاقَ فَقَالَ قَبْلَهَا.(١)

واشتهر عن هذه الغزوة :

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ مِنْ مَشَارِفِ الشَّامِ فَلَمَّا صَارَ إِلَى هُنَاكَ خَافَ مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِ فَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْتَمِدُّهُ، فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ فَانْتَدَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ سَرَاةِ الْمُهَاجِرِينَ رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ .

قال عروة: وعمرو يومئذ في سعد الله وتلك الناحية من قضاعة

قال موسى بن عقبة: لما قَدِمُوا عَلَى عَمْرٍو قَالَ أَنَا أَمِيرُكُمْ وَأَنَا

أَرْسَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَسْتَمِدُّهُ بِكُمْ، فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: بَلْ أَنْتَ أَمِيرُ أَصْحَابِكَ وَأَبُو عُبَيْدَةَ أَمِيرُ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ عَمْرٌو: إِنَّمَا أَنْتُمْ مَدَدٌ أُمْدِدْتُهُ، فَلَمَّا رَأَى ذلك أبو عبيدة – وكان رجلاً حسن الخلق لين الشيمة،سعى لِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عليه وعهده قَالَ: تَعَلَّمْ يَا عَمْرُو أَنَّ آخِرَ مَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ قَالَ:

« إِذَا قَدِمْتَ عَلَى صَاحِبِكَ فَتَطَاوَعَا ».

وَإِنَّكَ إِنْ عَصَيْتَنِي لَأُطِيعَنَّكَ.

---

(١) قاله الحافظ في «الفتح»(٨/ ٧٤) .

فَسَلَّمَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْإِمَارَةَ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ.

و لا أعلم سنداً ثابتاً في ذلك .

ولكن ثبت أن عمرو بن العاص ﷺ كان الأمير في هذه الغزوة .

فأخرج البخاري(١) عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ العَاصِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: «أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عائِشَةُ**»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أَبُوهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**» فَعَدَّ رِجَالًا .

وفي رواية رواها البخاري أيضا زيادة:

«..فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ.(٢)

---

(١) برقم (٣٦٦٢) وانظر صحيح مسلم (٢٣٨٤).

(٢) وهذا مما كان يفخر به أهل الشام أن عمرو بن العاص مع معاوية في حربه ضد علي ﷺ فأخرج أبو داود في كتاب «الزهد»(٢٥) بسندٍ رجاله ثقات عَنْ رَافِعِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ الطَّائِيِّ، قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عَلَيْهَا قَالَ: وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَنْفِرَ مَنْ مَرَّ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالَ: وَكَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ قَالَ:وَهِيَ الْغَزْوَةُ الَّتِي يَفْخَرُ بِهَا أَهْلُ الشَّامِ فَيَقُولُونَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عَلَى جَيْشٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ .

وتعرَّضت لحجج أهل الشام في حربهم لعلي ﷺ في كتابي «شفاء صدور الموحدين في مناقب خال المؤمنين الأمين».

بعض ما حصل في هذه الغزوة

أخرج أبو داود [١] عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ فَأَشْفَقْتُ إِنِ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ فَتَيَمَّمْتُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**يَا عَمْرُو صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟**» فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الِاغْتِسَالِ وَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء: ٢٩] فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا[٢].

وفي رواية البيهقي [٣] عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ:

بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَيْشِ ذِي السَّلَاسِلِ وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّهُ لَمْ يَبْعَثْنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَّا لِمَنْزِلَةٍ لِي عِنْدَهُ، فَأَتَيْتُهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ ؟.

قَالَ: «**عائشة**» قُلْتُ: إِنِّي لَسْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ أَهْلِكَ قَالَ: «فَأَبُوهَا قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ

---

(١) برقم (٣٣٤).

(٢) وفي سنده يحيي بن أيوب فيه كلام ولكن له طريق آخر عقبه برقم(٣٣٥) أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ كَانَ عَلَى سَرِيَّةٍ، وَذَكَرَ نَحْوَهُ. قَالَ: «فَغَسَلَ مَغَابِنَهُ وَتَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ صَلَّى بِهِمْ»، فَذَكَرَ نَحْوَهُ وَلَمْ يَذْكُرِ التَّيَمُّمَ....فبه يصح ، ولكن ليس فيه صراحة أن ذلك كان في غزوة السلاسل لكن الموقف هو ، وكأن أبا داود أراد تقوية الأول بالثاني والله أعلم .

(٣) في «دلائل النبوة»(٤/ ٤٠١).

قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ حَتَّى عَدَّ رَهْطًا قَالَ: قُلْتُفِي نَفْسِي: لَا أَعُودُ أَسْأَلُ عَنْ هَذَا.

وفي رواية [١]: فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ.

ومما ورد ذكره في هذه الغزوة:

ما أخرجه ابن أبي شيبة [٢] بإسناد رجاله ثقات عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ، لِمَ لَمْ يَدَعْ عَمْرٌو النَّاسَ أَنْ يُوقِدُوا نَارًا، أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الَّذِي مَنَعَ النَّاسَ مَنَافِعَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: دَعْهُ قَائِمًا وَلَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْنَا لِعِلْمِهِ بِالْحَرْبِ. [٣]

---

(١) في صحيح البخاري (٤٣٥٦).

(٢) في«المصنف»(٦/ ٥٣٩).

(٣) وهذا وإن كان سنده منقطعاً كما قال الحافظ في «المطالب العالية» برقم(٢١٤٨) فقد رواه الحاكم (٣/ ٣٥) بسند رجاله معدلون وهو حسن- لولا عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس- عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى مَكَانِ الْحَرْبِ أَمَرَهُمْ عَمْرٌو أَنْ لَا يُنَوِّرُوا نَارًا، فَغَضِبَ عُمَرُ وَهَمَّ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ، فَنَهَاهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْكَ إِلَّا لِعِلْمِهِ بِالْحَرْبِ..وله طريق آخر في «السنن الكبرى»(٩/ ٧٠) مرسلاً.

وغريب هو استنكار عمر على من أمره رسول الله ﷺ - إن ثبتت الرواية بشاهدها - إلا إن حمل قوله لأبي بكر على الاستفسار.

وأخرج ابن حبان[1] بسندٍ صحيح عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَهُ فِي ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَسَأَلَهُ أَصْحَابُهُ أَنْ يُوقِدُوا نَارًا، فَمَنَعَهُمْ، فَكَلَّمُوا أَبَا بَكْرٍ، فَكَلَّمَهُ فِي ذَلِكَ.

فَقَالَ: لَا يُوقِدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَارًا إِلَّا قَذَفْتُهُ فِيهَا، قَالَ: فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَهَزَمُوهُمْ، فَأَرَادُوا أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ، فَمَنَعَهُمْ، فَلَمَّا انْصَرَفَ ذَلِكَ الْجَيْشُ ذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَشَكَوْهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ آذَنَ لَهُمْ أَنْ يُوقِدُوا نَارًا فَيَرَى عَدُوُّهُمْ قِلَّتَهُمْ، وَكَرِهْتُ أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ فَيَكُونُ لَهُمْ مَدَدٌ فَيُعْطِفُوا عَلَيْهِمْ، فَحَمِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَهُ، فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**لِمَ؟**» قَالَ: لَأُحِبُّ مَنْ تُحِبُّ، قَالَ: «**عَائِشَةُ**»، قَالَ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «**أَبُو بَكْرٍ**».

❁ رجوع عمرو بن العاص رضي الله عنه من الغزوة بالجنود

أخرج ابن شبة[2] بسند حسن عَنِ الْحَارِثِ بْنِ حَسَّانَ الْبَكْرِيِّ قَالَ: «قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَإِذَا بِلَالٌ مُتَقَلِّدٌ بِالسَّيْفِ، وَإِذَا رَايَاتٌ سُودٌ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الرَّايَاتُ؟ قَالُوا: هَذَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَدِمَ مِنْ غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ».

---

(١) برقم (٤٥٤٠).

(٢) في «تاريخ المدينة المنورة»(١/ ٣٠١).

❁ وفي هذه الغزوة فوائد كثيرة

من أبرزها:

جواز تأمير المفضول على الفاضل إذا امتاز المفضول بصفة تتعلَّق بتلك المهمة كولاية حرب أو إدارة بعض الأمور.

❁ ومنها:

تفضيل أبي بكر على الرجال بإطلاق كما فُضِّلت ابنته على النساء بإطلاق ﵄، وفي المقارنة بينها وبين خديجة ﵂ خلاف تعرَّضت له في كتابي «تبصير النساء».

❁ ومنها : منقبة لعمرو بن العاص وهي تأميره على جيش فيه أبي بكر وعمر ﵃، وإن كان هذا لا يقتضي أفضليته عليهم بإطلاق، وإنما يقتضي أن له فضلاً في الجملة، وقد بعثه رسول الله ﷺ عقيب إسلامه، فظن أنه يُفضِّله على أبي بكر ، فسأل .

وقد أخرج الإمام أحمد بسندٍ صحيح عن عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ﵁ قال: بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ، ثُمَّ ائْتِنِي**» فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ فِيَّ النَّظَرَ ثُمَّ طَأْطَأَهُ، فَقَالَ: «**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ اللهُ وَيُغْنِمَكَ، وَأَرغبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً**» . قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رغبةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنْ

أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1]. فَقَالَ: «يَا عَمْرُو، نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»

وبكل حال فضائله ومناقبه كثيرة تحتمل مؤلفًا مستقلاً.

وقد نال أهل البدع والأهواء منه لكونه كان في صفوف معاوية في قتاله ضد علي رضي الله عنهم جميعًا.!

فهل وجد هؤلاء الضُّلال – الذين ينالون من عرض عمرو رضي الله عنه – لأحد من الصحابة الأفاضل، كلامًا سيئًا في شأنه رضي الله عنه، وهم الذين كانوا يحاربون طائفته، أم أن هؤلاء أعلم منهم وأغير على الدين والحق منهم؟!

فلا والله لا تجد عليًا رضي الله عنه ولا أحداً من طائفته بل ولا صحابيًا وقع في عمرو ابن العاص ببنت شَفَه ! ومناقبه رضي الله عنه جمَّة.... والله المستعان.

موت النجاشي صاحب الحبشة صاحب المنقبة العظمي

آوى المهاجرين الذين هاجروا إلى الحبشة رضي الله عنه

أورد الإمام البيهقي موته في هذا المقام ما أخرج البخاري ومسلم[2] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي اليَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ خَرَجَ إِلَى المُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا».

---

(١) وهذه منقبة له رضي الله عنه والحديث كان في غزوة ذات السلاسل، أول ما غزا بعدما أسلم رضي الله عنه، كما يُفهم من سياقه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٤٥) ومسلم (٩٥١).

وفي حديث جابر رضي الله عنه قال :قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ تُوُفِّيَ اليَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الحَبَشِ، فَهَلُمَّ، فَصَلُّوا عَلَيْهِ**»، قَالَ: فَصَفَفْنَا، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ وَنَحْنُ مَعَهُ صُفُوفٌ قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: عَنْ جَابِرٍ «كُنْتُ فِي الصَّفِّ الثَّانِي»(١).

قال الحافظ ابن كثير(٢):

قُلْتُ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَوْتَ النَّجَاشِيِّ كَانَ قَبْلَ الْفَتْحِ بِكَثِيرٍ فَإِنَّ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٣)أَنَّهُ لَمَّا كَتَبَ إِلَى مُلُوكِ الْآفَاقِ كَتَبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَلَيْسَ هُوَ بِالْمُسْلِمِ....

والمقصود أن البيهقي وابن كثير أوردا وفاته هنا، فتبعتهما في إيراد ذلك في هذه الموطن .

غزوة ابن أبي حدرد بطن إضم

وقتل عامر بن الأضبط الأشجعي (٤)

أخرج ابن إسحاق وغيره(١)عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُسَيْطٍ ، عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ الْأَسْلَمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ ، قَالَ: بَعَثَنَا

---

(١) أخرجه البخاري(١٣٢٠) ومسلم(٩٥١).

(٢) في «البداية والنهاية» (٤/ ٤١١) .

(٣) برقم (١٧٧٤) .

(٤) وكانت هذه الغزوة قبل الفتح، والحديث الآتي في الخصومة في قتل عامر بن الأضبط- والتي هي من آثار قتله – كانت ورسول الله ﷺ بحُنين، فدل ذلك على أن هذه الغزوة كانت قبل فتح مكة وهذا يؤيد ما قال ابن هشام رحمه الله .

رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِضَمَ فِي نَفَرٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رِبْعِيٍّ، وَمُحَلِّم بْنِ جَثَّامَةَ بْنِ قَيْسٍ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ إِضَمَ، مَرَّ بِنَّا عَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَعِيُّ، عَلَى قَعُودٍ (٢) لَهُ، وَمَعَهُ مُتَيِّعٌ (٣) لَهُ، وَوَطْبٌ (٤) مِنْ لَبَنٍ. قَالَ: فَلَمَّا مَرَّ بِنَا سَلَّمَ عَلَيْنَا بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَأَمْسَكْنَا عَنْهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ، فَقَتَلَهُ لِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ، وَأَخَذَ مُتَيِّعَهُ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، نَزَلَ فِينَا: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا، وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا، تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا .....إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

وأخرج البخاري (٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: {وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} النساء: ٩٤.. قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: « كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ المُسْلِمُونَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: {تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا} [النساء: ٩٤] تِلْكَ الغُنَيْمَةُ » قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ السَّلاَمَ .

=

(١) كما في «السيرةالنبوية»لابن هشام»(٢/ ٦٢٦) وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة(٧/ ٤٢٥) وابن أبي حاتم في «تفسيره»(٥٨٢٦).

(٢) الْقعُود: الْبَعِير يقتعده الرَّاعِي فِي كل حَاجَة.

(٣) المتيع: تَصْغِير مَتَاع.

(٤) الوطب: وعَاء اللَّبن.

(٥) برقم (٤٥٩١).

الأقرع بن حابس[١] وعيينة بن حصن[٢]

يختصمان في دم ابن الأضبط إلى رسول الله ﷺ

أخرج أحمد وغيره[٣] عن ضَمْرَةَ بْنِ سَعْدٍ السُّلَمِيَّ، يُحَدِّثُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، وَجَدِّي، وَكَانَا قَدْ شَهِدَا حُنَيْنًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَا: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ، ثُمَّ جَلَسَ إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ، فَقَامَ إِلَيْهِ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرٍ يَطْلُبُ بِدَمِ الْأَشْجَعِيِّ عَامِرِ بْنِ الْأَضْبَطِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ قَيْسٍ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَدْفَعُ عَنْ مُحَلِّمِ بْنِ جَثَّامَةَ لِخِنْدِفٍ، فَاخْتَصَمَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَمِعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تَأْخُذُونَ الدِّيَةَ خَمْسِينَ فِي سَفَرِنَا هَذَا، وَخَمْسِينَ إِذَا رَجَعْنَا**» قَالَ: يَقُولُ عُيَيْنَةُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَا أَدَعُهُ حَتَّى أُذِيقَ نِسَاءَهُ مِنَ الْحُزْنِ مَا أَذَاقَ نِسَائِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**بَلْ تَأْخُذُونَ الدِّيَةَ**». فَأَبَى عُيَيْنَةُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ لَيْثٍ يُقَالُ لَهُ: مُكَيْتِلٌ، رَجُلٌ قَصِيرٌ مَجْمُوعٌ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا وَجَدْتُ لِهَذَا الْقَتِيلِ شَبِيهًا فِي غُرَّةِ الْإِسْلَامِ

---

(١) ذاك الذي كان يدافع عن مُحَلِّمُ بْنِ جَثَّامَةَ.

(٢) وهو رئيس غطفان.

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية»(٢/ ٦٢٦) وأحمد(٢٣٨٨١) وأبو داود(٤٥٠٣) وابن ماجة (٢٦٢٥) وفي إسناده زياد بن ضميرة بن سعد، وهو وإن قال عنه الحافظ في «التقريب» : « مقبول»ولم ينص المزي إلا على راو واحد فقط روى عنه، وعلى هذا ففيه جهالة ، إلا أن ابن حبان ذكره في «الثقات» وقال :روى عنه أهل بلده، لكن الذي يتقوى حديثه برواية الجمع عنه اشتُرط فيه أن لا يروي ما يستنكر، وسيأتي بعض الجواب عما يُستنكر فيه والله أعلم .

إِلَّا كَغَنَمٍ وَرَدَتْ فَرُمِيَ أَوَّلُهَا فَنَفَرَ آخِرُهَا، اسْنُنِ الْيَوْمَ وَغَيِّرْ غَدًا. قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ:

«بَلْ تَقْبَلُونَ الدِّيَةَ فِي سَفَرِنَا هَذَا خَمْسِينَ، وَخَمْسِينَ إِذَا رَجَعْنَا».

فَلَمْ يَزَلْ بِالْقَوْمِ حَتَّى قَبِلُوا الدِّيَةَ، قَالَ: فَلَمَّا قَبِلُوا الدِّيَةَ، قَالَ: قَالُوا: أَيْنَ صَاحِبُكُمْ يَسْتَغْفِرُ لَهُ رَسُولُ اللهِ؟ فَقَامَ رَجُلٌ آدَمُ طَوِيلٌ ضَرْبٌ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ كَانَ تَهَيَّأَ لِلْقَتْلِ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا جَلَسَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَا اسْمُكَ؟».

قَالَ: أَنَا مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«اللَّهُمَّ لَا تَغْفِرْ لِمُحَلِّمٍ، اللَّهُمَّ لَا تَغْفِرْ لِمُحَلِّمٍ»** ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،فَقَامَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَتَلَقَّى دَمْعَهُ بِفَضْلِ رِدَائِهِ، فَأَمَّا نَحْنُ بَيْنَنَا فَنَقُولُ: قَدْ اسْتَغْفَرَ لَهُ، وَلَكِنَّهُ أَظْهَرَ مَا أَظْهَرَ، لِيَدَعَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ[1].

---

(١) قلت«محمد» ولو لم يكن ﷺ دعا له فدعاؤه ﷺ على شخص إذا لم يكن لذلك أهلاً فهي كفارة وذلك لعموم قوله ﷺ **«اللَّهُمَّ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ قُرْبَةً إِلَيْكَ يَوْمَ القِيَامَةِ»** أخرجه البخاري (٦٣٦١) ومسلم (٢٦٠٠).

فالدعاء هنا – إن صح سند الحديث- ليس فيه ما يتبادر للذهن من عدم رأفة النبي ﷺ ورحمته بمن طُلب منه أن يدعو له ، فعلى ذلك هي منقبة لمن دعا عليه الصلاة والسلام عليه.

وأما تقييده ﷺ في المدعو عليه بأن لم يكن أهلاً للدعاء فلما أخرجه مسلم (٢٦٠٣) في قصة دعاء النبي ﷺ على يتيمة أم سليم رضي الله عنها: «...**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ،أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا**

غزوة الفتح { فتح مكة }

كانت في السنة الثامنة للهجرة النبوية [١].

وقد ذكر الله تعالى فتح مكة في كتابه في مواطن.

فقال سبحانه:

﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحديد.

وقال سبحانه:

= يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ،مِنْ أُمَّتِي، بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ،أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

قلت «محمد»: وهذه منها ،فالرجل المذكور دفع الدية ، وأهل القتيل قبلوها، فهذه كفارة للرجل ، فما يستحق الدعاء – والحالة هذه –ثم حصول مصلحة أخري من الدعاء عليه لتطييب خاطر أهل القتيل ولا يمنع أن يكون دعا له ﷺ بالغفران وهي التي أُشير إليها في آخر الرواية:«... **فَأَمَّا نَحْنُ بَيْنَنَا فَنَقُولُ: قَدْ اسْتَغْفَرَ لَهُ، وَلَكِنَّهُ أَظْهَرَ مَا أَظْهَرَ، لِيَدَعَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ**».

(١) وذلك لما أخرجه البخاري (٤٢٧٦) ومسلم (١١١٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «خَرَجَ فِي رَمَضَانَ مِنَ المَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلاَفٍ، وَذَلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ المَدِينَةَ، فَسَارَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ، يَصُومُ وَيَصُومُونَ، حَتَّى بَلَغَ الكَدِيدَ، وَهُوَ مَاءٌ بَيْنَ عُسْفَانَ، وَقُدَيْدٍ أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا».

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ النصر.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ**..» (١)

أي: فتح مكة، والمقصود لا هجرة كاملة.

سبب غزوة الفتح بعد هدنة الحديبية

سبب ذلك:

ما أخرجه البيهقي (٢) بسند حسن عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِعن مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ جَمِيعًا، قَالَا: كَانَ فِي صُلْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ أَنَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي

عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ، فَتَوَاثَبُوا خُزَاعَةُ فَقَالُوا: نَحْنُ نَدْخُلُ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ، وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ فَقَالُوا:

نَحْنُ نَدْخُلُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ. فَمَكَثُوا فِي تِلْكَ الْهُدْنَةِ نَحْوَ السَّبْعَةَ أَوِ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ إِنَّ بَنِي بَكْرٍ الَّذِينَ كَانُوا دَخَلُوا فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٣) ومسلم (١٨٦٤).

(٢) في «السنن الكبرىٰ» (٩/ ٣٩٠) و«دلائل النبوة» (٥/ ٥) وغيره من طريق ابن إسحاق بسنده إلى المسور رضي الله عنه.

وَثَبُوا عَلَى خُزَاعَةَ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي عَقْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَهْدِهِ لَيْلًا بِمَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الْوَتِيرُ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ:

مَا يَعْلَمُ بِنَا مُحَمَّدٌ، وَهَذَا اللَّيْلُ وَمَا يَرَانَا أَحَدٌ. فَأَعَانُوهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْكُرَاعِ وَالسِّلَاحِ، فَقَاتَلُوهُمْ مَعَهُمْ لِلضَّغْنِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ (١) ، وَإِنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ رَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ بِالْوَتِيرِ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُخْبِرُهُ الْخَبَرَ وَقَدْ قَالَ أَبْيَاتَ شِعْرٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ:

اللهُمَّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا

كُنَّا وَالِدًا وَكُنْتَ وَلَدَا ... ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا وَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

فَانْصُرْ رَسُولَ اللهِ نَصْرًا عَتِدَا ... وَادْعُوا عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَدَدَا

فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ قَدْ تَجَرَّدَا ... إِنْ سِيمَ خَسَفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا

فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا ... إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا

وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا ... وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا

---

(١) وإعانة على من دخلوا في عقد رسول الله ﷺ – ولو كانوا كفاراً– يعتبر نقد للعقد الذي كان في الحديبية بينه ﷺ وبين كفار قريش أن لا قتال لمحمد ﷺ ، والذين دخلوا في عقد محمد ﷺ حكمهم حكمهم، فكأن قريشاً نقدت العهد ، ولذلك عملوا الذي فعلوه ليلاً لئلَّا يراهم أحد لعلمهم أن ذلك نقضاً للعهد منهم ، وإنما قاتلوهم للضغن على رسول الله ﷺ ، فأعانوا على من دخل في حلف رسول الله ﷺ.

فَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا ... قَدْ جَعَلُوا لِي بِكَدَاءَ مَرْصَدَا

هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا ... فَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ**».

فَمَا بَرِحَ حَتَّى مَرَّتْ عَنَانَةٌ فِي السَّمَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ**».

وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ بِالْجِهَازِ وَكَتَمَهُمْ مَخْرَجَهُ وَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُعَمِّيَ عَلَى قُرَيْشٍ خَبَرَهُ حَتَّى يَبْغَتَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ.

تنبيه:

اشتُهر في هذه الآونة أن أبا سُفْيَانَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللهِ ﷺ طَوَتْهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ، مَا أَدْرِي أَرَغِبْتُ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ أَمْ رَغِبْتُ بِهِ عَنِّي؟

قَالَتْ:

بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجَسٌ، وَلَمْ أُحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أَصَابَكِ يَا بُنَيَّةُ بَعْدِي شَرٌّ.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَكَلَّمَهُ أَنْ يُكَلِّمَ لَهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، ثُمَّ أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: أَأَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُول الله ﷺ ؟

فو اللهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا الذَّرَّ لَجَاهَدْتُكُمْ بِهِ. ثُمَّ خَرَجَ فَدَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ، وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهَا، وَعِنْدَهَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، غُلَامٌ يَدِبُّ بَيْنَ يَدَيْهَا فَقَالَ:

يَا عَلِيُّ، إِنَّكَ أَمَسُّ الْقَوْمِ بِي رَحِمًا، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ، فَلَا أَرْجِعَنَّ كَمَا جِئْتُ خَائِبًا، فَاشْفَعْ لِي إِلَى رَسُولِ اللهِ فَقَالَ:

وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! وَاللهِ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَمْرٍ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُكَلِّمَهُ فِيهِ. فَالْتَفَتَ إِلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ: يَا بْنَتَ مُحَمَّدٍ، هَلْ لَكِ أَنْ تَأْمُرِي بُنَيَّكَ هَذَا فَيُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَكُونَ سَيِّدَ الْعَرَبِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ؟ قَالَتْ: وَاللهِ مَا بَلَغَ بُنَيَّ ذَاكَ أَنْ يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَا يُجِيرُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

وهذا لم أجد له سنداً ثابتـًا، بل هو ضعيف مرسل،ومعناه منكر. فإن المسلمين يُجير عليهم أدناهم كما في الحديث الثابت.

وقد أمَّنت زينب بنت رسول الله ﷺ أبا العاص كما تقدَّم .

وقال رسول الله ﷺ :«**أجرنا من أجرت يا أم هانيء**» وهو حديث صحيح يدل على نكارة هذا المروي بشأن أبي سفيان بن حرب ، والله أعلم .

---

(١) ذكره ابن هشام في «السيرة النبوية »(٢/ ٣٩٦) .

۞ إخفاء النبي ﷺ جهة غزوه لكفار مكة لفتحها

قد وردت روايات فيها أن رسول الله ﷺ دعا ربه سبحانه أن يُعَمِّي قريشاً حتى يأتيهم بغتةً فقد ورد أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ حِينَ أَدْبَرَ أَبُو سُفْيَانَ : «**اللهُمَّ خُذْ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ فَلَا يَرَوْنَا إِلَّا بَغْتَةً وَلَا يَسْمَعُونَ بِنَا إلا فجأة**»

وفي رواية : أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجَهَازِ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يُجَهِّزُوهُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ابْنَتِهِ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، وَهِيَ تُحَرِّكُ بَعْضَ جَهَازِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ: أَأَمَرَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُجَهِّزُوهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَتَجَهَّزْ، قَالَ: فَأَيْنَ تَرَيْنَهُ يُرِيدُ؟ قَالَتْ: لَا، وَاللهِ مَا أَدْرِي. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَى مَكَّةَ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالتَّهَيُّؤِ، وَقَالَ:

«**اللَّهمّ خُذْ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتَهَا فِي بِلَادِهَا** [(١)]». فَتَجَهَّزَ النَّاسُ.

ولا يصح لهذا سند – فيما اطلعت عليه – . [(٢)] ولكن!

أخرج ابن إسحاق [(١)] بسندٍ حسن عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تُغَرْبِلُ حِنْطَةً لَهَا، فَقَالَ: مَا هَذَا ؟ أَمَرَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) هُوَ من البغتة، وَهُوَ الْفجأَة، يُقَال: بغته الْأَمر وفجأه: إِذا جَاءَ وَلم يعلم بِهِ.

(٢) وإن لم أقف لذلك على أسانيد ، وإنما قاله ابن هشام في «السيرة النبوية»(٢/ ٣٩٧)، فإن سياق الأحداث يدل عليه كما سيأتي والله أعلم.

بِالْجِهَازِ، فَقَالَتْ: نَعَمْ فَتَجَهَّزْ، فَقَالَ: وَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَتْ: مَا سَمَّى لَنَا شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَنَا بِالْجِهَازِ.

وفي قصة تخلُّف كعب بن مالك ﷺ عن غزوة تبوك قال: .... وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا». (٢)

وستأتي في قصة حاطب بن أبي بلتعة أن النبي ﷺ كان يخفى جهة الغزو إلا عن قلَّة من أصحابه.

قصة حاطب بن أبي بلتعة ﷺ في إرساله إلى كفار قريش بالكتاب الذي فيه إخراج سرِّ رسول الله ﷺ أنه يريد فتح مكة

أخرج البخاري ومسلم (٣) عن عليٍّ ﷺ يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ، فَقَالَ: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوا مِنْهَا**»

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ

=

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل»(٥/ ١٢) بسندٍ ثابت إلى ابن إسحاق ، وهو ثابت عن ابن إسحاق إلى عروة .

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٧) وغيره وسيأتي .

(٣) البخاري (٤٢٧٤) ومسلم (٢٤٩٤) .

الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفًا، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلاَ رِضًى بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ**»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ:

«**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**».

فَأَنْزَلَ اللهُ السُّورَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ} [الممتحنة: ١]- إِلَى قَوْلِهِ - {فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [البقرة: ١٠٨].

وأخرج أحمد [١] بإسنادٍ على شرط مسلم [٢] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه:

---

(١) برقم (١٤٧٧٤) ورجال إسناده ثقات.

(٢) كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»(٤/ ٢٨٥) ونص قوله:

أَنَّ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَرَادَ غَزْوَهُمْ، فَدُلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمَرْأَةِ الَّتِي مَعَهَا الْكِتَابُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُخِذَ كِتَابُهَا مِنْ رَأْسِهَا، وَقَالَ: «**يَا حَاطِبُ، أَفَعَلْتَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، أَمَا إِنِّي لَمْ أَفْعَلْهُ غِشًّا لِرَسُولِ اللهِ - وَقَالَ يُونُسُ [١]: غِشًّا يَا رَسُولَ اللهِ - وَلَا نِفَاقًا، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ مُظْهِرٌ رَسُولَهُ، وَمُتِمٌّ لَهُ أَمْرَهُ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ عَزِيزًا بَيْنَ ظَهْرِيهِمْ، وَكَانَتْ وَالِدَتِي مَعَهُمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَّخِذَ هَذَا عِنْدَهُمْ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَلَا أَضْرِبُ رَأْسَ هَذَا؟

قَالَ: «**أَتَقْتُلُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**».

❁ تحرُّك النبي ﷺ بالجيش نحو مكة

أخرج البخاري ومسلم [٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ خَرَجَ فِي رَمَضَانَ مِنَ المَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلاَفٍ، وَذَلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ المَدِينَةَ، فَسَارَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ، يَصُومُ وَيَصُومُونَ، حَتَّى بَلَغَ الكَدِيدَ، وَهُوَ مَاءٌ بَيْنَ عُسْفَانَ، وَقُدَيْدٍ أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا .

وفي رواية ابن إسحاق [١] بسندٍ حسنٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ:

=

«وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ» وهو كذلك.

(١) أي شيخ الإمام أحمد في السند .

(٢) البخاري (٤٢٧٦) ومسلم (١١١٣) .

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ لِسَفَرِهِ، وَاسْتَخْلَفَ على الْمَدِينَة أبارهم، كُلْثُومَ بْنَ حُصَيْنِ ابْن عُتْبَةَ بْنِ خَلَفٍ الْغِفَارِيَّ، وَخَرَجَ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ(٢)، فَصَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْكُدَيْدِ، بَيْنَ عُسْفَانَ وَأَمَجٍ أَفْطَرَ.

وفي رواية البخاري(٣)عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «سَافَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ عُسْفَانَ، ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَرِبَ نَهَارًا لِيُرِيَهُ النَّاسَ، فَأَفْطَرَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ»

قال ابن إسحاق :وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَبْدُ اللهِ ابْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَدْ لَقِيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيْضًا بِنِيقِ الْعُقَابِ، فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَالْتَمَسَا الدُّخُولَ عَلَيْهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ (٤)فِيهِمَا، فَقَالَتْ:

يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصِهْرُكَ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا، أَمَا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي، وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي وَصِهْرِي فَهُوَ الّذي قَالَ لي بِمَكَّةَ مَا قَالَ.

=

(١) كما في «السيرة النبوية»لابن هشام (٢/ ٣٩٩) وأخرجه أيضاً أحمد (٢٨٨٢) من طريق ابن إسحاق .

(٢) قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: فَقَوْلُهُ خَرَجَ لِعَشْرٍ مِنْ رَمَضَانَ مُدْرَجٌ فِي الْحَدِيثِ.... وَهَذَا الْإِدْرَاجُ وَهْمٌ إِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الزُّهْرِيِّ. ثم ذكر دليل الإدراج رحمه الله،وقد حكاه عنه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٢٨٥).

(٣) برقم (٤٢٧٩) .

(٤) وهذا لو صح سنده ففيه أنه حمل معه ﷺ النساء في غزوة فتح مكة، فالله أعلم.

قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ الْخَبَرُ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ، وَمَعَ أَبِي سُفْيَانَ بُنَيٌّ لَهُ.

فَقَالَ: وَاللهِ لَيَأْذَنَنَّ لِي أَوْ لَآخُذَنَّ بِيَدَيْ بُنَيَّ هَذَا، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّى نَمُوتَ عَطَشًا وَجُوعًا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَقَّ لَهُمَا، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمَا، فَدَخَلَا عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَا[1].ويأتي بعض ذلك بالسند الثابت إن شاء الله .

❁ بيان أن الإفطار في هذه الغزوة كان بأمر النبي ﷺ

في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: آذَنَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالرَّحِيلِ عَامَ الْفَتْحِ فِي لَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَخَرَجْنَا صُوَّامًا حَتَّى بَلَغْنَا الْكَدِيدَ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْفِطْرِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ شَرْجَيْنِ مِنْهُمُ الصَّائِمُ وَالْمُفْطِرُ،حَتَّى إِذَا بَلَغْنَا الْمَنْزِلَ الَّذِي نَلْقَى الْعَدُوَّ فِيهِ أَمَرَنَا بالفطر فأفطرنا أجمعون. [2]

وفي صحيح مسلم [3] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما:

---

(١) هذا من كلام ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية »لابن هشام (٢/ ٤٠٠) .

(٢) أخرج ذلك البيهقي في «الدلائل»(٥/ ٢٤).

وفي سنن الترمذي(١٦٨٤) بسند صحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الفَتْحِ مَرَّ الظَّهْرَانِ، فَآذَنَنَا بِلِقَاءِ العَدُوِّ فَأَمَرَنَا بِالفِطْرِ، فَأَفْطَرْنَا أَجْمَعُونَ وأصله في صحيح مسلم (١١٢٠) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : سَافَرْنَا مَعَ رَسُول الله ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ، قَالَ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ**» فَكَانَتْ رُخْصَةً، فَمِنَّا مَنْ صَامَ، وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ، فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ، فَأَفْطِرُوا**» فدل على أن ذلك كان في فتح مكة .

(٣) برقم(١١١٤).

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ، فَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ، حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرِبَ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ، فَقَالَ: «**أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ**».

وأخرج الطيالسي[1] من نفس الطريق على شرط مسلم عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ:

خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ صَائِمًا حَتَّى أَتَى كُرَاعَ الْغَمِيمِ وَالنَّاسُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُشَاةً وَرُكْبَانًا، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ.

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ نَاسًا قَدِ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الصَّوْمُ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ كَيْفَ فَعَلْتَ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَرَفَعَهُ وَشَرِبَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، فَصَامَ بَعْضُ النَّاسِ وَأَفْطَرَ بَعْضٌ فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ بَعْضَهُمْ صَائِمًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُولَئِكَ الْعُصَاةُ**».

❁ قراءة النبي ﷺ يوم الفتح أثناء مسيره إلى مكة:

أخرج مسلم[2] عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيَّ رضي الله عنه يَقُولُ: «قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ[3] فِي مَسِيرٍ لَهُ سُورَةَ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَرَجَّعَ فِي قِرَاءَتِهِ» قَالَ مُعَاوِيَةُ:

---

(١) برقم (١٧٧٢) والبيهقي في «الدلائل»(٥/ ٢٥).

(٢) برقم (٧٩٤).

(٣) وفي صحيح البخاري (٤٨٥٣) :«يوم فتح مكة».

«لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيَّ النَّاسُ لَحَكَيْتُ لَكُمْ قِرَاءَتَهُ».

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ :

وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي ذَلِكَ مَحْمُولَةٌ عَلَى التَّحْزِينِ وَالتَّشْوِيقِ قَالَ وَاخْتَلَفُوا فِي الْقِرَاءَةِ بِالْأَلْحَانِ فَكَرِهَهَا مَالِكٌ وَالْجُمْهُورُ لِخُرُوجِهَا عَمَّا جاء القرآن له من الخشوع والتفهم(١) .

والترجيع :ترديد الصوت في الحلق وقد حكى عبد الله بن مغفل ترجيعه عليه السلام بمد الصوت في القراءة نحو {آآآ} .

قال ابن الأثير:

وهذا إنما حصل منه والله أعلم يوم الفتح لأنه كان راكبًا فحدث الترجيع في صوته.

مرور النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم في طريقهم إلى مكة بمَرِّ الظَّهرَان(٢)

---

(١) «شرح النووي »على صحيح مسلم (٦/ ٨٠).

وقال النووي :أباحها أَبُو حَنِيفَةَ وَجَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ لِلْأَحَادِيثِ وَلِأَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِلرِّقَّةِ وَإِثَارَةِ الْخَشْيَةِ وَإِقْبَالِ النُّفُوسِ عَلَى اسْتِمَاعِهِ قُلْتُ قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي مَوْضِعٍ :أَكْرَهُ الْقِرَاءَةَ بِالْأَلْحَانِ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ لَا أَكْرَهُهَا قَالَ أَصْحَابُنَا لَيْسَ لَهُ فِيهَا خِلَافٌ وَإِنَّمَا هُوَ اخْتِلَافُ حَالَيْنِ فَحَيْثُ كَرِهَهَا أَرَادَ إِذَا مَطَّطَ وَأَخْرَجَ الْكَلَامَ عَنْ مَوْضِعِهِ بِزِيَادَةٍ أَوْ نَقْصٍ أَوْ مَدِّ غَيْرِ مَمْدُودٍ وَإِدْغَامِ ما لا يجوز إدغامه وَنَحْوُ ذَلِكَ وَحَيْثُ أَبَاحَهَا أَرَادَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا تَغَيُّرٌ لِمَوْضُوعِ الْكَلَامِ وَاللهُ أَعْلَمُ .

(٢) وهو على دون مرحلة من مكة .

أخرج البخاري ومسلم[١] عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَجْنِي[٢] الكَبَاثَ[٣] وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالأَسْوَدِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ**» قَالُوا: أَكُنْتَ تَرْعَى الغَنَمَ[٤]؟ قَالَ: «**وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا**».

ولفظ مسلم: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، وَنَحْنُ نَجْنِي الْكَبَاثَ.

وأخرجا[٥] عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: « أَنْفَجْنَا أَرْنَبًا بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، فَسَعَى القَوْمُ، فَلَغَبُوا، فَأَدْرَكْتُهَا، فَأَخَذْتُهَا، فَأَتَيْتُ بِهَا أَبَا طَلْحَةَ، فَذَبَحَهَا وَبَعَثَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِوَرِكِهَا أَوْ فَخِذَيْهَا – قَالَ: فَخِذَيْهَا لاَ شَكَّ فِيهِ – فَقَبِلَهُ ».

قُلْتُ: وَأَكَلَ مِنْهُ؟ قَالَ: وَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ بَعْدُ: قَبِلَهُ .

إسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي المغيرة أخي أم سلمة أم المؤمنين من الرضاعة وهجرتهم رضي الله عنهم إلى رسول الله ﷺ فالتقوا به وهو في طريقه إلى مكة

---

(١) البخاري(٣٤٠٦) ومسلم (٢٠٥٠).

(٢) نجني: من الجني وهو أخذ الثمر من الشجر.

(٣) الكباث: ثمر الأراك يشبه التين يأكله الناس .

(٤) وسبب استنباطهم لذلك من قوله ﷺ «**عليكم بالأسود منه**» فإنه دليل على تمييزه بين أنواعه، والذي يميز بين أنواع ثمر الأراك غالباً من يُلازم رعي الأغنام على ما ألفوه .

(٥) البخاري(٢٥٧٢) مسلم (١٩٥٣).

أخرج الطبراني [١] بسند حسن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا رُهْمٍ كُلْثُومَ بْنَ حُصَيْنٍ الْغِفَارِيَّ، وَخَرَجَ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، «فَصَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْكَدِيدِ مَا بَيْنَ عُسْفَانَ وَأَمَجَ أَفْطَرَ» ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُزَيْنَةَ وَسُلَيْمٍ، وَفِي كُلِّ الْقَبَائِلِ عَدَدٌ وَإِسْلَامٌ، وَأَوْعَبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ والْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، وَقَدْ عَمِيَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ قُرَيْشٍ، فَلَمْ يَأْتِهِمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَبَرٌ، وَلَا يَدْرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ، خَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَتَحَسَّسُونَ وَيَنْتَظِرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبَرًا، أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ، وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَدْ لَقِيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَالْتَمَسَا الدُّخُولَ عَلَيْهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِيهِمَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصِهْرُكَ. قَالَ: «**لَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا، أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي، وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي وَصِهْرِي، فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ**» .

فَلَمَّا أَخْرَجَ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ، وَمَعَ أَبِي سُفْيَانَ بُنَيٌّ لَهُ، فَقَالَ: وَاللهِ لَيَأْذَنَنَّ لِي أَوْ لَآخُذَنَّ بِيَدِ ابْنَيَّ هَذَا، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّى نَمُوتَ عَطَشًا وَجُوعًا، فَلَمَّا بَلَغَ

(١) في «الكبير»(٨/ ٩) رقم (٧٢٦٤) وغيره ، وأخرجه أحمد (٢٣٩٢) مختصراً بنفس السند.

ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَقَّ لَهُمْا، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْا فَدَخَلَا وَأَسْلَمَا، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ قَالَ الْعَبَّاسُ:

وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ، وَاللهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْمِنُوهُ، إِنَّهُ لَهَلَاكُ قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.

قَالَ: فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الْأَرَاكَ فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَلْقَى بَعْضَ الْحَطَّابَةِ، أَوْ صَاحِبَ لَبِنٍ، أَوْ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي مَكَّةَ، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ، فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً.(١)

قَالَ: فَوَاللهِ، إِنِّي لَأَسِيرُ عَلَيْهَا، وأَلْتَمِسُ مَا خَرَجْتُ لَهُ إِذْ سَمِعْتُ كَلَامَ أَبِي سُفْيَانَ، وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ وَهُمَا يَتَرَاجَعَانِ، وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ نِيرَانًا وَلَا عَسْكَرًا قَالَ: يَقُولُ بُدَيْلٌ: هَذِهِ وَاللهِ نِيرَانُ خُزَاعَةَ حَمَشَتْهَا الْحَرْبُ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ: خُزَاعَةُ، وَاللهِ أَذَلُّ وأَلْأَمُ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانُهَا وَعَسْكَرُهَا. قَالَ:

فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ، فَعَرَفَ صَوْتِي، فَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: مَالَكَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي.فَقُلْتُ:وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ وَاللهِ .

قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟

---

(١) وهذا لا يشبه ما فعله حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه فتنبَّه .

قَالَ: قُلْتُ: وَاللهِ لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَارْكَبْ مَعِي هَذِهِ الْبَغْلَةَ حَتَّى آتِيَ بِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسْتَأْمِنَهُ لَكَ، قَالَ: فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ، فَحَرَّكْتُ بِهِ كُلَّمَا مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ وَقَامَ إِلَيَّ، فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجُزِ الْبَغْلَةِ، قَالَ:

أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللهِ!

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمْكَنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَكَضَتِ الْبَغْلَةُ، فَسَبَقَتْهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ الْبَطِيءُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ، فَاقْتَحَمْتُ عَنِ الْبَغْلَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَدَخَلَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمْكَنَ اللهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ، فَدَعْنِي فَلْأَضْرِبَ عُنُقَهُ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَجَرْتُهُ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ لَا يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ دُونِي، فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِي شَأْنِهِ قُلْتُ: مَهْلًا يَا عُمَرُ، أَمَا وَاللهِ لَوْ كَانَ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ مَا قُلْتُ هَذَا، وَلَكِنَّكَ عَرَفْتَ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ قَالَ: مَهْلًا يَا عَبَّاسُ، فَوَاللهِ لَإِسْلَامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا بِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اذْهَبْ بِهِ إِلَى رَحْلِكَ يَا عَبَّاسُ، فَإِذَا أَصْبَحَ فَائْتِنِي بِهِ**». فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي فَبَاتَ عِنْدِي، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا**

اللهُ؟» قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، وَاللهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا .

قَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ هَذِهِ، وَاللهِ كَانَ فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ حَتَّى الْآنَ.

قَالَ الْعَبَّاسُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَسْلِمْ، وَاشْهَدْ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ، قَالَ: فَشَهِدَ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ وَأَسْلَمَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا قَالَ: «نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ» (١).

---

(١) **وعند البيهقي في «الدلائل»(٥/ ٣٢)** بنفس السند الحسن فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ الله! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الشَّرَفَ وَالذِّكْرَ فَأَعْطِهِ شَيْئًا يَتَشَرَّفُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ، وَمَا تَسَعُ دَارِي؟ فَقَالَ: «**مَنْ دَخَلَ الْكَعْبَةَ فَهُوَ آمِنٌ**» فَقَالَ:وَمَا تَسَعُ الْكَعْبَةُ فَقَالَ: من دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ فَقَالَ: وَمَا يَسَعُ الْمَسْجِدُ فَقَالَ:« **مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ فَقَالَ هَذِهِ وَاسِعَةٌ** ».

وفي رواية أبي داود (٣٠٢١)بنفس السند بلفظ:فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهَّ،إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرِ، فَلَوْ جَعَلْتَ لَهُ شَيْئًا، قَالَ:«**نَعَمْ،مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ،وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ**».

أنظر الذي كان قائداً لقومه يوردهم النار يوم الأحزاب وغيره – وبئس الورد المورود –، كيف تبدَّل حاله بعد إسلامه، فصار يطلب لهم النجاة بمجرَّد إسلامه! يحذِّرهم مما يضُرُّهم يقول لهم :«**يا**

فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَبَّاسُ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللهِ فَيَرَاهَا» (١).

قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهِ حَتَّى حَبَسْتُهُ حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَحْبِسَهُ قَالَ: وَمَرَّتْ بِهِ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ قَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟

فَأَقُولُ: سُلَيْمٌ. فَيَقُولُ: مَالِي وَلِسُلَيْمٍ؟

قَالَ: ثُمَّ تَمُرُّ الْقَبِيلَةُ قَالَ:مَنْ هَؤُلَاءِ؟

فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ. فَيَقُولُ:مَا لِي وَلِمُزَيْنَةَ؟

حَتَّى تَعَدَّتِ الْقَبَائِلُ لَا تَمُرُّ قَبِيلَةٌ إِلَّا قَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَأَقُولُ: بَنُو فُلَانٍ. فَيَقُولُ: مَالِي وَلِبَنِي فُلَانٍ. حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْخَضْرَاءِ كَتِيبَةٌ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ لَا يَرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقَ(٢)، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، مَنْ هَؤُلَاءِ يَا عَبَّاسُ؟

=

معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به»رأيت كيف يعمل الإسلام في تزكية أهله بمجرَّد النطق بالشهادتين،والأمثلة كثيرة،موقف هند بنت عتبة،وضماد الأزدي،وغيرهما !

(١) وهذا من حكمته البالغة ﷺ فإن هذا يُذهب ما يمكن أن يكون في نفسه من هذه الشهادة مما قاله لرسول الله ﷺ فيريد أن يُريَه عِزَّة المؤمنين وقوتَهم وأثرَ الإيمان بالله ورسوله، ويُريَه عظمة الله وقدرتَه سبحانه، وامتنانَه على أوليائه،فاللهم لا تحرمنا من منَنِك وعطاياك لا في الدنيا ولا في الآخرة إله الحق، اللهم آمين .

(٢) واشوقاه إلى لقيا أولئك الذين أووا ونصروا دين الكريم الأعلى سبحانه، فما أعظمه من دين، وما أعظمها من شخصيات، ولن يترهم الله أعمالهم ، رضي الله عنهم وﷺ على نبيهم عليه الصلاة والسلام .

قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. قَالَ: مَا لِأَحَدٍ بِهَؤُلَاءِ قِبَلٌ وَلَا طَاقَةٌ، وَاللهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مِلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيمًا(١).

قُلْتُ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، إِنَّهَا النُّبُوَّةُ. قَالَ: فَنَعَمْ إِذَنْ.

قُلْتُ: النَّجَاءُ إِلَى قَوْمِكَ. قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ بِمَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، فَأَخَذَتْ بِشَارِبِهِ، فَقَالَتْ: اقْتُلُوا الدَّسَمَ الْأَحْمَسَ

، فَبِئْسَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ(٢).

قَالَ: وَيْحَكُمْ، لَا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ(٣)، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ، فَهُوَ آمِنٌ .

قَالُوا: وَيْلَكَ وَمَا تُغْنِي عَنَّا دَارُكَ. قَالَ: وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى الْمَسْجِدِ(٤).

---

(١) الله أكبر وأعظم سبحانه سبحانه.

(٢) وسيأتي تأثير الإسلام على قلبها ، وأثر عفوه ﷺ عنها ، يأتي قولها قريباً إن شاء الله .

(٣) نعم فإنه رأى ما لم ترى هي ! أما هي فلا تزال على رؤيتها التي كانت عليها في ضلالها القديم قبل إسلامها .

(٤) وأخرجه الحاكم(٣/ ٤٦) والبيهقي في «الدلائل »(٥/ ٢٧) واخترت سياق رواية الطبراني لأنها أتم وأطول والله الموفق لفعل الخير والحمد لله .

وهذا سياق رواية البخاري:[١] من طريق هِشَام، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الفَتْحِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، يَلْتَمِسُونَ الخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ،فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ .

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا هَذِهِ، لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ: نِيرَانُ بَنِي عَمْرٍو، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: عَمْرٌو أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَدْرَكُوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ، فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺفَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ:«**احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ الخَيْلِ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى المُسْلِمِينَ**». فَحَبَسَهُ العَبَّاسُ، فَجَعَلَتِ القَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ، قَالَ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ؟

قَالَ: هَذِهِ غِفَارُ، قَالَ: مَا لِي وَلِغِفَارَ، ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُذَيْمٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمَرَّتْ سُلَيْمُ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا،قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟

قَالَ: هَؤُلاَءِ الأَنْصَارُ، عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، اليَوْمَ يَوْمُ المَلْحَمَةِ[٢]، اليَوْمَ تُسْتَحَلُّ الكَعْبَةُ[٣]، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا عَبَّاسُ حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ[١]، ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ،وَهِيَ أَقَلُّ الكَتَائِبِ، فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ

(١) برقم (٤٢٨٠).

(٢) الملحمة: يوم القتل وقيل يوم حرب لا يوجد فيه مخلص.

(٣) تستحل الكعبة: يصبح القتال فيها حلالا.

ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟ قَالَ:

«**مَا قَالَ؟**» قَالَ: كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ:

«**كَذَبَ سَعْدٌ**(٢)، **وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللهُ فِيهِ الكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الكَعْبَةُ**» قَالَ: وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُرْكَزَ رَايَتُهُ بِالحَجُونِ. (٣)

قَالَ عُرْوَةُ: وَأَخْبَرَنِي نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ العَبَّاسَ، يَقُولُ لِلزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ هَا هُنَا أَمَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تَرْكُزَ الرَّايَةَ، قَالَ: وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ(٤)، وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ كُدَا، فَقُتِلَ مِنْ خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ رضي الله عنه يَوْمَئِذٍ رَجُلاَنِ: حُبَيْشُ بْنُ الأَشْعَرِ، وَكُرْزُ بْنُ جابِرٍ الفِهْرِيُّ.

❁ صفة دخول رسول الله ﷺ مكة وأوامره لأصحابه ﷺ وأقواله وأفعاله

أولاً : ثيابه ﷺ وما كان يركبه.

لم يكن النبي ﷺ محرمـًا، وكان عليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه، وهو راكب على ناقة .

=

(١) يوم الذمار: يوم الغضب للمحارم والأهل. أو يلزمك فيه حفظي من أن ينالني مكروه.

(٢) كذب: أخطأ الصواب.

(٣) بالحجون: موضع قريب من مقبرة مكة.

(٤) كداء: أعلى مكة. وأما كدا (بغير همز): أسفل مكة.

أخرج البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَامَ الفَتْحِ،وَعَلَى رَأْسِهِ المِغْفَرُ، [١] فَلَمَّا نَزَعَهُ جَاءَ رَجُلٌ [٢] فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ [٣] فَقَالَ «اقْتُلُوهُ». [٤]

وفي صحيح مسلم [٥] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ». أي بغير إحرام .

وفي صحيح البخاري [٦] عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ ﷺ يَقُولُ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ يُرَجِّعُ [٧]». وَقَالَ [١]: لَوْلاَ أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ حَوْلِي لَرَجَّعْتُ كَمَا رَجَّعَ. [٢]

---

(١) المغفر: زرد ينسج من الدرع على قدر الرأس ،أو ما غطى الرأس من السلاح، وقيل حلقة يَتَقَنَّع بها المتسلِّح ويستر بها وجهه غير عينيه.

(٢) رجل: هو أبو برزة الأسلمي ﷺ .

(٣) وقد تقدمت الإشارة إلى ذكر بعض جرائمه قبل في بداية الدعوة،وقيل:أمر ﷺ بقتله لأنه أسلم فبعثه رسول الله ﷺ ليجمع الزكاة وبعث معه رجلاً من الأنصار فقتله في الطريق وارتد مشركاً واتخذ قينتين أي مغنيتين تغنيان له بهجاء رسول الله ﷺ ، فلجرائمة الكبيرة أمر ﷺ بقتله دون غيره.

(٤) البخاري برقم (١٨٤٦) ومسلم (١٣٥٧) .

(٥) برقم (١٣٥٨) .

(٦) برقم (٤٢٨١) .

(٧) يرجع: من الترجيع وهو ترديد القارئ الحرف من الحلق.

وفي صحيح البخاري[٣] عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَخْبَرَتْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَامَ الفَتْحِ مِنْ كَدَاءٍ الَّتِي بِأَعْلَى مَكَّةَ».

وأخرج البخاري ومسلم[٤] عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ تَنْزِلُ فِي دَارِكَ بِمَكَّةَ؟ فَقَالَ: «**وَهَلْ تَرَكَ عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ**[٥]**أَوْ دُورٍ**» وَكَانَ عَقِيلٌ وَرِثَ أَبَا طَالِبٍ هُوَ وَطَالِبٌ، وَلَمْ يَرِثْهُ جَعْفَرٌ وَلاَ عَلِيٌّ رضي الله عنهما، شَيْئًا لِأَنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ، وَكَانَ عَقِيلٌ وَطَالِبٌ كَافِرَيْنِ...الحديث.

وفي صحيح البخاري[٦] عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَرَادَ قُدُومَ مَكَّةَ: «**مَنْزِلُنَا غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ**[٧]**، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الكُفْرِ**»[٨].

=

(١) القائل هو معاوية بن قرة رحمه الله تعالى رواي الحديث.

(٢) كما رجع:أي عبد الله بن مغفل رضي الله عنه

(٣) برقم (٤٢٩٠) .

(٤) البخاري برقم (١٥٨٨) ومسلم (١٣٥١) .

(٥) الرباع:هي المحلة المشتملة على عدَّة بيوت .

(٦) وهي عقب رقم (١٥٨٩) .

(٧)) بخيف بني كنانة: المراد المحصب وهو في أعلى مكة على طيق منى والخيف كل ما نحدر من الجبل وارتفع عن المسيل.

(٨) حيث تقاسوا على الكفر: المكان الذي تحالفوا فيه على إخراج النبي ﷺ وكتبوا الصحيفة على مقاطعة بني هاشم والمطلب وتقدم ذكر ذلك.

يَعْنِي ذَلِكَ المُحَصَّبَ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ، تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، أَوْ بَنِي المُطَّلِبِ: أَنْ لاَ يُنَاكِحُوهُمْ وَلاَ يُبَايِعُوهُمْ، حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ ﷺ .

وفي صحيح مسلم [1] عن أبي هريرة رضي الله عنه : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَجَعَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُمْنَى، وَجَعَلَ الزُّبَيْرَ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُسْرَى، وَجَعَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْبَيَاذِقَةِ، وَبَطْنِ الْوَادِي، فَقَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ**»، فَدَعَوْتُهُمْ، فَجَاءُوا يُهَرْوِلُونَ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**انْظُرُوا، إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا**»، وَأَخْفَى بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ، وَقَالَ: «**مَوْعِدُكُمُ الصَّفَا**»، قَالَ: فَمَا أَشْرَفَ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنَامُوهُ، قَالَ: وَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّفَا، وَجَاءَتِ الْأَنْصَارُ فَأَطَافُوا بِالصَّفَا.

فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ**....الحديث.

ثانياً: أوامره ﷺ بعد ذلك عدم قتل القرشي صبراً ، ثم أمر بعد ذلك بالكف عن قريش تماماً إلا الأربعة الذين أهدر دماءهم ..

---

(١) برقم (١٧٨٠) .

عن عبد اللهِ بْنُ مُطِيعٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «**لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

وأخرج الترمذي(٢) بسند صحيح عَنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ الْبَرْصَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ يَقُولُ: لاَ تُغْزَى هَذِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

وأخرج النسائي(٣) بسند حسن عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ، مِنْهُمْ حَمْزَةُ، فَمَثَّلُوا بِهِ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِثْلَ هَذَا لَنُرْبِيَنَّ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [النحل: ١٢٦]، فَقَالَ رَجُلٌ(٤): لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ :«**كُفُّوا عَنِ الْقَوْمِ غَيْرَ أَرْبَعَةٍ**».

ثالثاً: أسماء من أهدَر رسول الله ﷺ دماء هم من كفار مكة.

أخرج النسائي(٥) بإسناد له طرق يشدُ بعضها بعضاً عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ، وَقَالَ: « **اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ** ».

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٧٨٢).

(٢) برقم (١٦١١).

(٣) في «الكبرىٰ»(١١٢١٥) والترمذي (٣١٢٩) وغيرهما.

(٤) وهو أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه كما هو مبين في الروايات الأخرىٰ.

(٥) في «الكبرىٰ»(٣٥١٦) وأبو داود (٢٦٨٣،٤٣٥٩) والبيهقي في «الكبرىٰ»(٧/ ٦٣).

عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ خَطَلٍ، وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ.

فَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ خَطَلٍ[١] فَأُدْرِكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ فَقَتَلَهُ.

وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقَتَلُوهُ.[٢]

وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ أَخْلِصُوا فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا.

فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَاللهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي فِي الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ مَا يُنَجِّينِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ، اللهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا ﷺ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ، فَلَأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا، فَجَاءَ فَأَسْلَمَ[٣].

وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ[٤]، فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ[٥]، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ،

---

(١) كان له جاريتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، وقُتلت إحدىٰ القينتين واستُؤمن للأخرىٰ، وكان يؤذي رسول الله بمكة.

(٢) قيل إنه قتل قاتل أخيه خطئاً، بعد ما أخذ الدية، ثم ارتدَّ مشركاً، وقد قتله رجل من قومه.

(٣) قيل أنه هرب إلىٰ اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، واستأمنت له من رسول الله ﷺ، فأمنه فذهبت في طلبه حتىٰ أتت به رسول الله ﷺ، فالله أعلم أي ذلك كان ؟.

(٤) قيل إنه كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتدَّ، فالله أعلم.

(٥) قيل: كان أخا عثمان رضي الله عنه من الرضاعة.

يَا رَسُولَ اللهِ بَايِعْ عَبْدَ اللهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**مَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟**» قَالُوا: مَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللهِ مَا فِي نَفْسِكَ هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟ قَالَ:

«**إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ**». (١)

وتقدَّم أن النبي ﷺ أمر بالكف عن كفار قريش إلا أربعة .

رابعاً:

تأمين بعض المسلمين لآحاد الناس وإمضاء النبي ﷺ ذلك:

تقدم تأمين عثمان بن عفان رضي الله عنه لأخيه من الرضاعة عبد الله بن أبي سرح، وتأمين زوجة عكرمة بن أبي جهل لزوجها .

وأخرج ابن إسحاق (١) بإسناد حسن عَنْ أَبِي مُرَّةَ، مَوْلَى عَقِيلِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّ أُمَّ هَانِئٍ بنت أَبِي طَالِبٍ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَرَّ إِلَيَّ رَجُلَانِ مِنْ أَحْمَائِي، مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، وَكَانَتْ عِنْدَ هُبَيْرَةَ بْنِ أَبِي وَهْبٍ

---

(١) **قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»(١١/ ٩)بعد سياق الطريق وعزوه للنسائي:** «وَأَخْرَجَهُ ابن سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ مِنْ مُرْسَلِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَخْصَرَ مِنْهُ وَزَادَ فِيهِ وَكَانَ رَجُلٌ من الْأَنْصَار نذر إن رأى بن أَبِي سَرْحٍ أَنْ يَقْتُلَهُ فَذَكَرَ بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ نَحْو حَدِيث بن عَبَّاسٍ وَأَخْرَجَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ يَرْبُوعٍ وَلَهُ طُرُقٌ أُخْرَى يَشُدُّ بَعْضُهَا ».

الْمَخْزُومِيِّ، قَالَتْ:

فَدَخَلَ عَلَيَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخِي، فَقَالَ: وَاللهِ لَأَقْتُلَنَّهُمَا، فَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِمَا بَابَ بَيْتِي، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ مِنْ جَفْنَةٍ إِنَّ فِيهَا لَأَثَرَ الْعَجِينِ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا اغْتَسَلَ أَخَذَ ثَوْبَهُ فَتَوَشَّحَ بِهِ، ثُمَّ صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ مِنْ الضُّحَى ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيَّ، فَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا يَا أُمَّ هَانِئٍ، مَا جَاءَ بِكَ؟

فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ الرَّجُلَيْنِ وَخَبَرَ عَلِيٍّ، فَقَالَ: « **قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ، وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتُ ، فَلَا يَقْتُلْهُمَا**».

خامساً: طواف النبي ﷺ بالبيت.

عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ مَكَّةَ، وَاطْمَأَنَّ النَّاسُ، خَرَجَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ، فَطَافَ بِهِ سَبْعًا عَلَى رَاحِلَتِهِ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ [٢] فِي يَدِهِ، فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ، دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ، فَفُتِحَتْ

=

(١) كما في «السيرة النبوية »لابن هشام (٢/ ٤١١) وأخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٥٠٩) والطبراني في «الكبير»(٢٤/ ٤٢٠رقم (١٠٢٠) كلهم من طريق ابن إسحاق عن سعيد بن أبي هند عن أبي مرة به .

(٢) **المحجن**: عود معوج الطّرف، يمسِكهُ الرَّاكِب للبعير فِي يَده.

لَهُ، فَدَخَلَهَا، فَوَجَدَ فِيهَا حَمَامَةً مِنْ عِيدَانٍ، فَكَسَرَهَا بِيَدِهِثُمَّ طَرَحَهَا، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ وَقَدْ اُسْتُكِفَّ لَهُ النَّاسُ [١] فِي الْمَسْجِدِ. [٢]

سادساً: إتيان أبي بكر رضي الله عنه بأبيه للنبي ﷺ يبايعه على الإسلام

وما حصل لأخته

أخرج أحمد [٣] بإسناد حسن عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، قَالَتْ:

لَمَّا وَقَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذِي طُوًى، قَالَ أَبُو قُحَافَةَ لِابْنَةٍ لَهُ مِنْ أَصْغَرِ وَلَدِهِ: أَيْ بُنَيَّةُ، اظْهَرِي بِي عَلَى أَبِي قَبِيسٍ.

قَالَتْ: وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ. قَالَتْ: فَأَشْرَفْتُ بِهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ، مَاذَا تَرَيْنَ؟

قَالَتْ: أَرَى سَوَادًا مُجْتَمِعًا، قَالَ: تِلْكَ الْخَيْلُ، قَالَتْ: وَأَرَى رَجُلًا يَسْعَى بَيْنَ ذَلِكَ السَّوَادِ مُقْبِلًا وَمُدْبِرًا. قَالَ: يَا بُنَيَّةُ، ذَلِكَ الْوَازِعُ، يَعْنِي الَّذِي يَأْمُرُ الْخَيْلَ وَيَتَقَدَّمُ

---

(١) استكف لَهُ النَّاس: استجمع، من الكافة، وَهِي الْجَمَاعَة. وَقد يجوز أَن يكون «استكف» هُنَا بِمَعْنى نظرُوا إِلَيْهِ وحدقوا أَبْصَارهم فِيهِ كَالَّذي ينظر فِي الشَّمْس: من قَوْلهم: استكففت الشَّيْء، إِذا وضعت كفك على حاجبيك وَنظرت إِلَيْهِ.

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية »لابن هشام (٢/ ٤١١) والأزرقي في «أخبار مكة »(١/ ١٦٩) وإسناده حسن ، وصفية بنت شيبة صحابية رضي الله عنها صرحت بالسماع من النبي ﷺ كما في صحيح البخاري في غير هذا الحديث .

(٣) برقم (٢٦٩٥٦) .

إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: قَدْ وَاللهِ انْتَشَرَ السَّوَادُ، فَقَالَ: قَدْ وَاللهِ إِذَا دَفَعَتِ الْخَيْلُ، فَأَسْرِعِي بِي إِلَى بَيْتِي،

فَانْحَطَّتْ بِهِ، وَتَلَقَّاهُ الْخَيْلُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَيْتِهِ، وَفِي عُنُقِ الْجَارِيَةِ طَوْقٌ لَهَا مِنْ وَرِقٍ، فَتَلَقَّاهُ رَجُلٌ، فَاقْتَلَعَهُ مِنْ عُنُقِهَا. قَالَتْ: فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِأَبِيهِ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ:

«**هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ**» .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ أَنْتَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ**» .

وفي رواية البيهقي [١] زيادة قول أبي بكر رضي الله عنه : فو الله إِنَّ الْأَمَانَةَ الْيَوْمَ فِي النَّاسِ لَقَلِيلٌ فَأَسْلَمَ، وَدَخَلَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَأْسُهُ كَأَنَّهُ ثَغَامَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ**» . ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِيَدِ أُخْتِهِ، فَقَالَ: أَنْشُدُ بِاللهِ وَالْإِسْلَامِ طَوْقَ أُخْتِي، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: يَا أُخَيَّةُ، احْتَسِبِي طَوْقَكِ.

قال ابن كثير [٢]:

يعني به الصِّدِّيقُ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَى التَّعْيِينِ لِأَنَّ الْجَيْشَ فِيهِ كَثْرَةٌ وَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ مَعَ انْتِشَارِ النَّاسِ وَلَعَلَّ الَّذِي أَخَذَهُ تَأَوَّلَ أَنَّهُ مِنْ حَرْبِيٍّ وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) في «دلائل النبوة»(٥/ ٩٥) .

(٢) في «البداية والنهاية»(٤/ ٣٣٦) .

قال البيهقي:

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَغْنَمُوا شَيْئًا ، وَأَنَّهَا فُتِحَتْ صُلْحًا إِذْ لَوْ فُتِحَتْ عَنْوَةً لَكَانَتْ وَمَا مَعَهَا غَنِيمَةً ، وَلَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ لَا يَطْلُبُ طَوْقَهَا. (١)

سابعاً: إمتناع النبي ﷺ من دخول الكعبة حتى تُمحي الصور

أخرج أحمد (٢) بإسناد صحيح على شرط مسلم عن أبي الزُّبَيْرِ (٣): أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَزْعُمُ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الصُّوَرِ فِي الْبَيْتِ، وَنَهَى الرَّجُلَ أَنْ يَصْنَعَ ذَلِكَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ زَمَنَ الْفَتْحِ، وَهُوَ بِالْبَطْحَاءِ، أَنْ يَأْتِيَ الْكَعْبَةَ فَيَمْحُوَ كُلَّ صُورَةٍ فِيهَا، وَلَمْ يَدْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى مُحِيَتْ كُلُّ صُورَةٍ فِيهِ». (٤)

وهذا مبني على ما علم جابر ﷺ أن المكان نُظِّف وإلا فسيأتي أن النبي ﷺ لما دخل وجد فيه صورة إبراهيم عليه السلام ومريم ﷺ (٥).

---

(١) في «السنن الكبرىٰ»(٩/ ٢٠٤) .

(٢) برقم (١٤٥٩٦).

(٣) وقد تابع وهبُ بن منبه أبا الزبير عند أبي داود (٤١٥٦) وبنفس اللفظ .

(٤) وقد تبَلَّدت طباع بعض الناس اليوم ، فألفوا وجود الصور في المنازل ، بحجة أنها ليس لها ظل ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٥) يبدوا أن هذه الصورة فاتت الصحابة فلم يخرجوها ، والله أعلم .

وأما الثلاث والستون صنمـًا التى كانت فيبدو أنها ما كانت داخل الكعبة والله أعلم .

سابعاً : ما صنعه رسول الله ﷺ حينما دخل الكعبة

أخرج البخاري(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ البَيْتَ، فَوَجَدَ فِيهِ صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ، وَصُورَةَ مَرْيَمَ، فَقَالَ :«**أَمَا لَهُمْ، فَقَدْ سَمِعُوا أَنَّ المَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، هَذَا إِبْرَاهِيمُ مُصَوَّرٌ، فَمَا لَهُ يَسْتَقْسِمُ**».(٢)

وأخرج أحمد بسند حسن عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ:

«كَانَ فِي الْكَعْبَةِ صُوَرٌ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَنْ يَمْحُوَهَا، فَبَلَّ عُمَرُ ثَوْبًا وَمَحَاهَا بِهِ(٣)، فَدَخَلَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا فِيهَا مِنْهَا شَيْءٌ»(٤).

---

(١) برقم (٣٣٥١) .

(٢) وفي رواية البخاري (٤٢٨٨) أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، أَبَىٰ أَنْ يَدْخُلَ البَيْتَ وَفِيهِ الآلِهَةُ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ، فَأُخْرِجَ صُورَةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا مِنَ الأَزْلاَمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **قَاتَلَهُمُ الله، لَقَدْ عَلِمُوا: مَا اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطُّ** »، ثُمَّ دَخَلَ البَيْتَ، فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِي البَيْتِ.

(٣) وهذا يقوي رأي الجمهور بتحريم الصور التي لا ظل لها، ولو لم تكن تمثالاً ، ففيه ردٌ على من خالفهم كما رجحناه في غير هذا الموطن .

(٤) برقم (١٥٢٦١).

وأخرج البخاري ومسلم [١] عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ، وَحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلاَثُ مِائَةِ نُصُبٍ فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: «**جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ، جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**».

وأخرج الطبراني [٢] بسند حسن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَعَلَى الْكَعْبَةِ ثَلَاثُمِائَةِ صَنَمٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا، قَدْ شَدَّ لَهُمْ إِبْلِيسُ أَقْدَامَهُمْ بِالرَّصَاصِ، فَجَاءَ وَمَعَهُ قَضِيبُهُ، فَجَعَلَ يَهْوِي بِهِ إِلَى كُلِّ صَنَمٍ مِنْهَا فَيَخِرُّ لِوَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «**جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**» ، حَتَّى أَمَرَّ بِهِ عَلَيْهَا كُلِّهَا. [٣]

ثامناً: صلاة رسول الله ﷺ في الكعبة:

وفي صحيح مسلم [٤] في حديث فتح مكة: «... وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَقْبَلَ إِلَى الْحَجَرِ، فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ، قَالَ: فَأَتَى عَلَى صَنَمٍ إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ

---

(١) برقم (٢٤٧٨) ومسلم (١٧٨١) .

(٢) في «الكبير»(١٠ / ٢٧٩)رقم(١٠٦٥٦).

(٣) وفي رواية الضياء في «المختارة»(٣٧٨)من نفس الطريق عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ، ﷺيَوْمَ الْفَتْحِ.... وَعَلَى الْكَعْبَةِ ثَلاثُ مِائَةِ صَنَمٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا، قَدْ شَدَّ لَهُمْ إِبْلِيسُ أَقْدَامَهُمْ بِالرَّصَاصِ، فَجَاءَ وَمَعَهُ قَضِيبٌ، فَجَعَلَ يَهْوِي بِهِ إِلَى كُلِّ صَنَمٍ مِنْهَا، فَيَخِرُّ لِوَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «**جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**»حَتَّى أَمَرَّ بِهِ عَلَيْهَا كُلِّهَا.

وفي رواية عقبها بسند مرسل أو أن فيه سقطاً: حَتَّى طَرَحَهُنَّ مِنْ عِنْدِ آخِرِهِنَّ.

(٤) برقم (١٧٨٠)، وراجع صحيح البخاري(٥٠٥).

كَانُوا يَعْبُدُونَهُ، قَالَ: وَفِي يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْسٌ وَهُوَ آخِذٌ بِسِيَةِ الْقَوْسِ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى الصَّنَمِ جَعَلَ يَطْعُنُهُ فِي عَيْنِهِ، وَيَقُولُ: {جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} [الإسراء: ٨١]، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ أَتَى الصَّفَا، فَعَلَا عَلَيْهِ حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللهَ وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوَ.

وفي صحيح البخاري[1] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ الكَعْبَةَ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَبِلاَلٌ، وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ الحَجَبِيُّ فَأَغْلَقَهَا عَلَيْهِ، وَمَكَثَ فِيهَا، فَسَأَلْتُ بِلاَلًا حِينَ خَرَجَ: مَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: جَعَلَ عَمُودًا عَنْ يَسَارِهِ، وَعَمُودًا عَنْ يَمِينِهِ، وَثَلاَثَةَ أَعْمِدَةٍ وَرَاءَهُ، وَكَانَ البَيْتُ يَوْمَئِذٍ عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ، ثُمَّ صَلَّى

وأما قول من نفى أنه ﷺ صلى في البيت فمبنيٌ على ما علم، وقول من أثبت حجة على قول من لم يثبت ، وكان للبيت ستة أعمدة .

❁ قصة إخباره ﷺ أبا سفيان بن حرب بما في نفسه :

أخرج البيهقي[2] بإسناد رجاله ثقات عن يُونس بْن أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي السَّفَرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: رَأَى أَبُو سُفْيَانَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَمْشِي وَالنَّاسُ يَطَئُونَ عَقِبَهُ، فَقَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ: لَوْ عَاوَدْتُ هَذَا الرَّجُلَ الْقِتَالَ؟

---

(١) صحيح البخاري(٥٠٥).

(٢) في «دلائل النبوة»(٥/ ١٠٢) وابن عساكر في «تاريخه»(٢٣/ ٤٥٧) كذا موصولاً من طريق الفريابي عن يونس به.

فَجَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى ضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ : «**إِذًا يُخْزِيكَ اللهُ**».

فَقَالَ أَتُوبُ إِلَى اللهِ وأستغفر الله ما تَفَوَّهْتُ بِهِ[١].

وإني لأستبعد وقوع مثل هذا من أبي سفيان رضي الله عنه وهو في هذه الحالة مستضعف، بعد ما رأى الكتائب، وتيقُّنه أنه نبي يأتيه الوحي من قِبل العلي ، يخبره ببعض خبايا النفوس.

وإنما نبَّهت عليه خشية الاغترار بظاهر صحة إسناده وهو معلول كما أشرنا، والله المستعان .

❁ تخصيص حل مكة لرسول الله ﷺ ساعة من نهار ثم عودة تحريمها مكة

أخرج البخاري ومسلم [٢]عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ، أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ: - وَهُوَ يَبْعَثُ البُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ - ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ، أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الغَدَ مِنْ يَوْمِ الفَتْحِ، سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ: حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

---

(١) لكن رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ»في الجزء المتمم رقم (١٢) من طريق محمد بن عبد الله الأسدي والفضل بن دكين كليهما عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق مرسلاً

وقال البيهقي : وَرَوَاهُ أَيْضًا أَبُو السَّفَرِ وعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ مُرْسَلًا فِي مَعْنَاهُ.

ويبدوا أن الصواب المرسل، وقد يتعلَّق الرافضي الطاعن علىٰ أبي سفيان به لشينه رضي الله عنه وأخطأت استه الحفرة،والحمد لله، والله المستعان .

(٢) البخاري (١٠٤) ومسلم (١٣٥٤).

« إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلاَ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ ».

فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ مَا قَالَ عَمْرٌو قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ لاَ يُعِيذُ عَاصِيًا وَلاَ فَارًّا بِدَمٍ وَلاَ فَارًّا بِخَرْبَةٍ.

وفي رواية [١]:

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ سعيد مَكَّةَ لِقِتَالِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، جِئْتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا، إِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ مَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ عَدَتْ خُزَاعَةُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ هُذَيْلٍ فَقَتَلُوهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِينَا خَطِيبًا، فَقَالَ:

« يَا أَيهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خلق السّماوات وَالْأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ مِنْ حَرَامٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ [٢] فِيهَا شَجَرًا، لَمْ تَحْلِلْ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ يَكُونُ

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية »لابن هشام (٢/ ٢١٥) وأحمد (١٦٣٧٧) بإسناد حسن، ثَنَّيت به لفائدة منهجية في آخره للناصح للحكام، فتنبَّه .

(٢) لَايعضد: لَا يقطع.

بَعْدِي، وَلَمْ تَحْلِلْ لِي إِلَّا هَذِهِ السَّاعَةَ، غَضَبًا عَلَى أَهْلِهَا. أَلَا، ثُمَّ قَدْ رَجَعَتْ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ، فَمَنْ قَالَ لَكُمْ:

إِنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ قَاتَلَ فِيهَا، فَقُولُوا:

إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَلَّهَا لِرَسُولِهِ، وَلَمْ يُحْلِلْهَا لَكُمْ، يَا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنْ الْقَتْلِ، فَلَقَدْ كَثُرَ الْقَتْلُ إِنْ نَفَعَ، لَقَدْ قَتَلْتُمْ قَتِيلًا لَأَدِيَنَّهُ، فَمَنْ قُتِلَ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا فَأَهْلُهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ: إِنْ شَاءُوا فَدَمُ قَاتِلِهِ، وَإِنْ شَاءُوا فَعَقْلُهُ»

ثُمَّ وَدَى رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي قَتَلَتْهُ خُزَاعَةُ.

فَقَالَ عَمْرٌو لِأَبِي شُرَيْحٍ:

انْصَرِفْ أَيُّهَا الشَّيْخُ، فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِحُرْمَتِهَا مِنْكَ[1]، إِنَّهَا لَا تَمْنَعُ سَافِكَ دَمٍ، وَلَا خَالِعَ طَاعَةٍ، وَلَا مَانِعَ جِزْيَةٍ، فَقَالَ أَبُو شُرَيْحٍ: إِنِّي كُنْتُ شَاهِدًا وَكُنْتَ غَائِبًا، وَلَقَدْ أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُبَلِّغَ شَاهِدُنَا.[1]

---

(١) انظر إلى سوء أدب أهل الأهواء والبدع – الذين يقاتلون في الفتن – والمقاتلة للصحابة!

ولقد كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه متغلِّباً أميراً قبل آل مروان حتى ذهب مروان ليبايعه ويأخذ منه أماناً لبني أمية هو وجماعة معه فلَقِيَهُمْ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ مُقْبِلا مِنَ العراق فقال لمروان: أين تريد؟ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ. أَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِهَذَا. تُبَايِعُ لأَبِي خُبَيْبٍ وَأَنْتَ سَيِّدُ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! وَاللهِ لأَنْتَ أَوْلَى بِهَا مِنْهُ....فأثناه في قصة فيها مآسي وإساله دماء، وإلى الله المشتكى.

والقصة بذلك أخرجها ابن سعد في «الطبقات الكبرى»(٥/ ٣٠) بسند ثابت.وفيها ردٌ على دعوى من قال: إن ابن الزبير رضي الله عنه قد خرج على آل مروان، والحق أن آل مروان هم الذين خرجوا عليه بعدما بايعه الأكثر كما بينته كتابي«نصح الحكام بين الغلو والتفريط».

غَائِبَنَا، وَقَدْ أَبْلَغْتُكَ، فَأَنْتَ وَشَأْنُكَ.[٢]

❁ أمر النبي ﷺ بكوف السلاح إلا خزاعة عن بكر وسبب ذلك

ما أخرجه أحمد[٣] بسند حسن عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ مَكَّةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كُفُّوا السِّلَاحَ إِلَّا خُزَاعَةَ عَنْ بَنِي بَكْرٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ قَالَ: «**كُفُّوا السِّلَاحَ**»، فَلَقِيَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ رَجُلًا مِنْ بَنِي بَكْرٍ، مِنْ غَدٍ، بِالْمُزْدَلِفَةِ، فَقَتَلَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ، وَرَأَيْتُهُ وَهُوَ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، قَالَ:

«**إِنَّ أَعْدَى النَّاسِ عَلَى اللهِ مَنْ قَتَلَ فِي الْحَرَمِ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، أَوْ قَتَلَ بِذُحُولِ الْجَاهِلِيَّةِ**».

وله شاهد عن ابن عمر[٤] رضي الله عنه قال: كَانَتْ خُزَاعَةُ حُلَفَاءَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ بَنُو بَكْرٍ ـ رَهْطٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ ـ حُلَفَاءَ لِأَبِي سُفْيَانَ [١]، قَالَ: وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ مُوَادَعَةٌ أَيَّامَ الْحُدَيْبِيَةِ فَأَغَارَتْ بَنُو بَكْرٍ عَلَى خُزَاعَةَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ.

=

(١) وهذا ما على الناصح أن يفعله تجاه مناصحته لإمامه، لا تتأثَّر بطريقة الخوارج أهل البدع.

(٢) تعلموا يا ناصحين للحكام أو السلاطين، ولا تدفعنكم الحماسة لاعتناق طريقة الخوارج.

(٣) برقم (٦٦٨٠).

(٤) أخرجه ابن حبان (٥٩٩٦) وإسناده حسن.

فَبَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْتَمِدُّونَهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُمِدًّا لَهُمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ قُدَيْدًا ثُمَّ أَفْطَرَ، وَقَالَ: «**لِيَصُمِ النَّاسُ فِي السَّفَرِ وَيُفْطِرُوا، فَمَنْ صَامَ أَجْزَأَ عَنْهُ صَوْمُهُ، وَمَنْ أَفْطَرَ، وَجَبَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ**».

فَفَتَحَ اللهُ مَكَّةَ، فَلَمَّا دَخَلَهَا، أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَقَالَ:

«**كُفُّوا السِّلَاحَ إِلَّا خُزَاعَةَ عَنْ بَكْرٍ**»، حَتَّى جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ قُتِلَ رَجُلٌ بِالْمُزْدَلِفَةِ، فَقَالَ:

«**إِنَّ هَذَا الْحَرَمَ حَرَامٌ عَنْ أَمْرِ اللهِ، لَمْ يَحِلَّ لِمَنْ كَانَ قَبْلِي، وَلَا يَحِلُّ لِمَنْ بَعْدِي، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً وَاحِدَةً، وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُشْهِرَ فِيهِ سِلَاحًا، وَإِنَّهُ لَا يَخْتَلِي خَلَاهُ، وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ**. فقال رجل: يا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا الْإِذْخَرَ، فَإِنَّهُ لِبُيُوتِنَا وَقُبُورِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِلَّا الْإِذْخَرَ، وَإِنَّ أَعْتَى النَّاسِ عَلَى اللهِ ثَلَاثَةٌ: مَنْ قَتَلَ فِي حَرَمِ اللهِ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ أَوْ قَتَلَ لِذَحْلِ الْجَاهِلِيَّةِ**».

❁ مقولة الأنصار ضَنًا [٢] برسول الله ﷺ

أخرج أحمد ومسلم [١] عن عَبْد اللهِ بْن رَبَاحٍ، قَالَ: وَفَدَتْ وُفُودٌ إِلَى مُعَاوِيَةَ

=

(١) وقد تقدم أن اعتداء بني بكر على خزاعة- الذين دخلوا في حلف رسول الله ﷺ وإعانة قريش لخزاعة هو النقض للعهد الذي كان بين المسلمين وقريش في الحديبية ، وهو سبب قيام النبي ﷺ بغزوهم في مكة .

(٢) الضنّ برسول الله ﷺ : أي الطمع أن يكون رسول الله ﷺ عندهم ليس عند غيرهم .

أَنَا فِيهِمْ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ فِي رَمَضَانَ، فَجَعَلَ بَعْضُنَا يَصْنَعُ لِبَعْضٍ الطَّعَامَ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ مَا يَدْعُونَا - قَالَ هَاشِمٌ: يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُونَا إِلَى رَحْلِهِ - قَالَ: فَقُلْتُ: أَلَا أَصْنَعُ طَعَامًا فَادْعُوَهُمْ إِلَى رَحْلِي، قَالَ: فَأَمَرْتُ بِطَعَامٍ يُصْنَعُ، وَلَقِيتُ أَبَا هُرَيْرَةَ مِنَ الْعِشَاءِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ الدَّعْوَةُ عِنْدِي اللَّيْلَةَ، قَالَ: أَسَبَقْتَنِي؟ قَالَ هَاشِمٌ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعَوْتُهُمْ فَهُمْ عِنْدِي، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَلَا أُعْلِمُكُمْ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِكُمْ يَا مَعَاشِرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَذَكَرَ فَتْحَ مَكَّةَ، قَالَ: أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ مَكَّةَ، قَالَ: فَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنِّبَتَيْنِ، وَبَعَثَ خَالِدًا عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْأُخْرَى، وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْحُسَّرِ، فَأَخَذُوا بَطْنَ الْوَادِي وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي كَتِيبَتِهِ، قَالَ:

«وَقَدْ وَبَّشَتْ قُرَيْشٌ أَوْبَاشَهَا » قَالَ: فَقَالُوا: نُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ فَإِنْ كَانَ لَهُمْ شَيْءٌ كُنَّا مَعَهُمْ، وَإِنْ أُصِيبُوا أَعْطَيْنَا الَّذِي سُئِلْنَا، قَالَ: فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَنَظَرَ فَرَآنِي، فَقَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ** » فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَقَالَ: « **اهْتِفْ لِي بِالْأَنْصَارِ، وَلَا يَأْتِنِي إِلَّا أَنْصَارِيٌّ** »(٢)، فَهَتَفْتُ بِهِمْ فَجَاءُوا، فَأَطَافُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ (٣)قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

=

(١) مسند أحمد (١٠٩٤٨) وصحيح مسلم (١٧٨٠) .

(٢) اهتف لي بالأنصار: أي صح بهم وادعهم لي .

(٣) فأطافوا به: أي فجاءوا وأحاطوا به وإنما خصَّهم بندائه لثقته بهم ورفعاً لمراتبهم وإظهاراً لجلالتهم وخصوصيتهم.

«**تَرَوْنَ إِلَى أَوْبَاشِ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ**»[١]، ثُمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ: إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى احْصُدُوهُمْ حَصْدًا حَتَّى تُوَافُونِي بِالصَّفَا، قَالَ: فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَانْطَلَقْنَا فَمَا يَشَاءُ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَقْتُلَ مِنْهُمْ مَا شَاءَ، وَمَا أَحَدٌ يُوَجِّهُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ شَيْئًا، قَالَ: فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُبِيحَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ، لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ** » قَالَ: فَغَلَّقَ النَّاسُ أَبْوَابَهُمْ، قَالَ: فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ، قَالَ: وَفِي يَدِهِ قَوْسٌ آخِذٌ بِسِيَةِ الْقَوْسِ، قَالَ: فَأَتَى فِي طَوَافِهِ عَلَى صَنَمٍ إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ يَعْبُدُونَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَطْعَنُ بِهَا فِي عَيْنِهِ، وَيَقُولُ: « **جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ** ».

قَالَ: ثُمَّ أَتَى الصَّفَا فَعَلَاهُ حَيْثُ يُنْظَرُ إِلَى الْبَيْتِ فَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَذْكُرُ اللهَ بِمَا شَاءَ أَنْ يَذْكُرَهُ وَيَدْعُوهُ، قَالَ: وَالْأَنْصَارُ تَحْتَهُ، قَالَ: يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، وَرَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَجَاءَ الْوَحْيُ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ لَمْ يَخْفَ عَلَيْنَا فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يُقْضَى، قَالَ هَاشِمٌ: فَلَمَّا قُضِيَ الْوَحْيُ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَقُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، وَرَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ**؟ » قَالُوا: قُلْنَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: « **فَمَا اسْمِي إِذًا؟ كَلَّا إِنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى**

---

(١) ووبَّشَت قريش أوباشاً لها: أي جمعت جموعاً من قبائل شتى.

اللهِ وَإِلَيْكُمْ[١]، فَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ»، قَالَ: فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: وَاللهِ مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الضِّنَّ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذُرَانِكُمْ».

قوله ﷺ عن مكة: «لا تُغزى بعد اليوم»

أخرج أحمد والترمذي[٢] عَنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ بَرْصَاءَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «لَا تُغْزَى هَذِهِ بَعْدَهَا أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « قُلْتُ: فَإِنْ كَانَ نَهْيًا فَلَا إِشْكَالَ، وَإِنْ كَانَ نَفْيًا فَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: مَعْنَاهُ عَلَى كُفْرِ أَهْلِهَا ». [٣]

❁ نهيه ﷺ عن قتل القرشي صبراً بعد فتح مكة

أخرج مسلم عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطِيعٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ

---

(١) هاجرت إلى الله وإليكم...إلخ: معناه أني هاجرت إلى الله تعالى وإلى دياركم لاستيطانها فلا أتركها ولا أرجع عن هجرتي الواقعة لله تعالى، بل أنا ملازم لكم، المحيا محياكم والممات مماتكم: أي لا أحيا إلا عندكم، ولا أموت إلا عندكم، فلما قال لهم هذا بكوا، واعتذروا، وقالوا: والله ما قلنا كلامنا السابق إلا حرصاً عليك وعلى مصاحبتك ودوامك عندنا، لنستفيد منك ونتبرَّك بك، وتهدينا الصراط المستقيم.

(٢) مسند أحمد (١٩٠٢٠) والترمذي (١٦١١) وهو حديث حسن .

ورواية زكريا عن الشعبي على شرط مسلم .

(٣) «البداية والنهاية »(٤/ ٣٥١) .

فَتْحِ مَكَّةَ: «لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[١].

قال العلماء:

« قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ الْإِعْلَامُ بِأَنَّ قُرَيْشًا يُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ وَلَا يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ كَمَا ارْتَدَّ غَيْرُهُمْ بَعْدَهُ ﷺ مِمَّنْ حُورِبَ وَقُتِلَ صَبْرًا[٢]، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ لَا يُقْتَلُونَ ظُلْمًا صَبْرًا فَقَدْ جَرَى عَلَى قُرَيْشٍ بَعْدَ ذَلِكَ مَا هُوَ مَعْلُومٌ وَاللهُ أَعْلَمُ »[٣] .

❁ صلاة النبي ﷺ في الكعبة :

قد ورد عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه ﷺ ما صلى في الكعبة، وذلك محمول على ما علموا، إذ ما رأوا النبي ﷺ يصلِّي في الكعبة، فتكلَّموا بما علِموا، فإن غيرهم جَزَم بصلاة النبي ﷺ في الكعبة، ومعهم زيادة علم واجب قبولها، فيُقَدَّم قول من عَلِم، والله أعلم .

فأخرج البخاري ومسلم[٤]عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: « دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْبَيْتَ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ، وَبِلَالٌ فَأَطَالَ، ثُمَّ خَرَجَ وَكُنْتُ أَوَّلَ النَّاسِ دَخَلَ عَلَى أَثَرِهِ، فَسَأَلْتُ بِلَالًا: أَيْنَ صَلَّى؟ قَالَ: بَيْنَ العَمُودَيْنِ المُقَدَّمَيْنِ».

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨٢).

(٢) وهذا كما قال هارون الرشيد: «**أنا على يقين أن القرشي لا يتزندق**».أخرجه الفسوي في «المعرفة » (٢/ ١٨١) والخطيب في «تاريخه»(٣/ ٣٤) بسندٍ صحيح عن هارون الرشيد .

(٣) حكاه عنهم النووي في «شرح مسلم»(١٢/ ١٣٤).

(٤) البخاري برقم (٥٠٤) ومسلم (١٣٢٩) .

وفي صحيح البخاري [١] عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه : «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ يَوْمَ الفَتْحِ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ عَلَى رَاحِلَتِهِ مُرْدِفًا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَمَعَهُ بِلاَلٌ، وَمَعَهُ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ مِنَ الحَجَبَةِ، حَتَّى أَنَاخَ فِي المَسْجِدِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِفْتَاحِ البَيْتِ فَفَتَحَ، وَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ أُسَامَةُ، وَبِلاَلٌ، وَعُثْمَانُ، فَمَكَثَ فِيهَا نَهَارًا طَوِيلًا، ثُمَّ خَرَجَ»، فَاسْتَبَقَ النَّاسُ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ، فَوَجَدَ بِلاَلًا وَرَاءَ البَابِ قَائِمًا، فَسَأَلَهُ .

أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَأَشَارَ لَهُ إِلَى المَكَانِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ

قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَهُ كَمْ صَلَّى مِنْ سَجْدَةٍ

وكانت الكعبة يومئذٍ على ستة أعمدة[٢].

❁ قتل خزاعة رجلاً من هذيل:

أخرج أبو داود [٣] بسند صحيح عن أبي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيّ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ قَتَلْتُمْ هَذَا الْقَتِيلَ مِنْ هُذَيْلٍ، وَإِنِّي عَاقِلُهُ، فَمَنْ قُتِلَ لَهُ بَعْدَ مَقَالَتِي هَذِهِ قَتِيلٌ، فَأَهْلُهُ بَيْنَ خِيَرَتَيْنِ: أَنْ يَأْخُذُوا الْعَقْلَ، أَوْ يَقْتُلُوا**»

❁ تسمية مَسلمة الفتح بالطُلقاء

---

(١) البخاري(٢٩٨٨) ومسلم (١٣٢٩) .

(٢) كما في رواية مسلم (١٣٢٩).

(٣) برقم(٤٥٠٤).

تقدم قول أم سليم ﵂ لرسول الله: «اقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك» وأن النبي ﷺ قال لها: «**يا أم سليم إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ**».

وأقرها ﷺ على هذه التسمية وكذلك سماهم أنس بن مالك ﵁.

ولكن !!

لا يجور تسمية صحابي بما يكون فيه شين حتى أنه لا يُفرَّق بين منازل الصحابة ﵃ تفريقًا يكون فيه شين لبعضهم،وإن وردت في قول بعضهم ما يُشين الآخر فلا يُرَدَّد.

والله وعدهم جميعًا بالحسنى فقال : ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحديد.

وكذا أطلق النبي ﷺ حرمة سبابهم – بلا استثناء – فقال :«**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**»(١).

وغيره من الأحاديث كثيرة، وكذلك أقوال الصحابة ﵃ (٢).

---

(١) كما في صحيح البخاري(٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤٠) .

(٢) كما بينت ذلك في كتابي«ردع المجرم عن سب المسلم».

فلا يقال عن صحابي:«آثم غادر خائن » ولا «جلف جاف»– إن صحت اللفظة – ولا «سفيه»لقول بعضهم: «أما سفهاؤنا...» ـ و إن وقعت منى مرة سهوا فغفرانك اللّهم – ولا عن بعضهم: «مجنون، يضحض في بوله»، ولا عن بعضهم: «باغي» ولا «البائس»، ولا تشبيهه ب«وبر تدلى من قدوم ضأن »، ولا «أخطأت استه الحُفرة»ولا قوله عن بعضهم:«من الطلقاء»إذا فُهم من

❁ استقرار الأمر بمكةوتحكيم الشريعة وإقامة الحدود فيهم

ومن ذلك ما أخرجه البخاري[١] عَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا:

وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ » ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا....الحديث وسيأتي في سياق أقضيته ﷺ في مكة ».

فقوله : «أن قريشاً....إلخ» دليل على أن ذلك كان في قريش .

❁ وقد أثنى الله على من أسلم (من قبل الفتح ومن أسلم بعد الفتح)

قال تعالى:

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ

=

ذلك الذم لقول بعضهم ذلك في بعض، كمالا يوصف الصحابي«قلة الأدب» لحدث بدا منه – وإن وردت بقلمِ عالم كابن القيم عفا الله عنه في شأن عوف بن مالك﵁ – ولا«له هنات»وإن جرَت بقلم الذهبي – عفا الله عنه– بشأن معاوية بن أبي سفيان ﵁...، لعموم الأدلة المفضِّلة لهم بإطلاق بلا استثناء والله الموفق ، وراجع كتابي المذكور آنفاً .

(١) البخاري برقم (٣٤٧٥) ومسلم (١٣١٥) .

مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحديد .

❁ **قوله ﷺ « لا هجرة بعد الفتح »**

أخرج البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «لاَ هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا ».(١)

والمعنى: لا هجرة كاملة تلك التى عظَّم الله أجرها للأوائل الذين هاجروا من مكة إلى المدينة فقد جاء مُجَاشِعٌ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَا وَأَخِي، فَقُلْتُ: بَايِعْنَا عَلَى الهِجْرَةِ، فَقَالَ: «**مَضَتِ الهِجْرَةُ لِأَهْلِهَا**»، فَقُلْتُ: عَلاَمَ تُبَايِعُنَا؟ قَالَ: «**عَلَى الإِسْلاَمِ وَالجِهَادِ**».(٢)

❁ **المدة التى أقامها رسول الله ﷺ بمكة بعد غزوة الفتح**

تسعة عشر يوماً أقامها ﷺ في مكة

أخرج البخاري(٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ».

قال الحافظ بن كثير رحمه الله(٤):

---

(١) صحيح أخرجه البخاري(٣٠٧٧) ومسلم (١٣٥٣) .

(٢) صحيح أخرجه البخاري(٢٩٦٢) ومسلم (١٨٦٣) .

(٣) برقم (٤٢٩٨).

(٤) في «البداية والنهاية»(٤/ ٣٦٢).

« لَا خِلَافَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَقَامَ بَقِيَّةَ شَهْرِ رَمَضَانَ يَقْصُرَ الصَّلَاةَ وَيُفْطِرُ، وَهَذَا دَلِيلُ مَنْ قَالَ مِنَ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ الْمُسَافِرَ إِذَا لَمْ يُجْمِعِ الْإِقَامَةَ فَلَهُ أَنْ يَقْصُرَ ويفطر إلى ثماني عَشَرَ يَوْمًا فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ وَفِي الْقَوْلِ الْآخَرِ... كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي مَوْضِعِهِ ».

وأخرج البخاري ومسلم[١] عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «أَقَمْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرًا نَقْصُرُ الصَّلاَةَ» وقد يكون أنس رضي الله عنه لم يعتنٍ بضبط العدد ... والله أعلم .

وأخرج[٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ تِسْعَةَ عَشَرَ يَقْصُرُ، فَنَحْنُ إِذَا سَافَرْنَا تِسْعَةَ عَشَرَ قَصَرْنَا، وَإِنْ زِدْنَا أَتْمَمْنَا».

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقَامَ سَبْعَ عَشْرَةَ بِمَكَّةَ يَقْصُرُ الصَّلَاةَ»[٣].

والمحفوظ الذي في الصحيحين «تسعة عشر».

❁ وهكذا تحقَّقت رؤيةُ رسول الله ﷺ

والتي أخرجها البخاري ومسلم[٤] عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ**

---

(١) البخاري برقم (٢٧٩) ومسلم (٦٩٣).

(٢) أي البخاري برقم (١٠٨٠) وغيره.

(٣) كما في رواية أبي داود (١٢٣٠).

(٤) البخاري برقم (٣٦٢٢) ومسلم (٢٢٧٢) .

هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الفَتْحِ، وَاجْتِمَاعِ المُؤْمِنِينَ وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا، وَاللَّهِ خَيْرٌ فَإِذَا هُمُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ، الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ».

تلخيص ماحكم به ﷺ بمكة من الأحكام والأقضية

❁ من ذلك :

قضاؤه في وليدة زمعة بقوله: «**الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ**».

أخرج البخاري ومسلم[1] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، عَهِدَ إِلَى أَخِيهِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ ابْنَ وَلِيدَةِ زَمْعَةَ مِنِّي فَاقْبِضْهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ عَامَ الفَتْحِ أَخَذَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَقَالَ: ابْنُ أَخِي قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ فِيهِ، فَقَامَ عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ، فَقَالَ: أَخِي، وَابْنُ وَلِيدَةِ أَبِي، وُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَتَسَاوَقَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ أَخِي كَانَ قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ فِيهِ، فَقَالَ عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ: أَخِي، وَابْنُ وَلِيدَةِ أَبِي، وُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ بْنَ زَمْعَةَ**»، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: =

«الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ» ثُمَّ قَالَ لِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: «احْتَجِبِي مِنْهُ» لِمَا رَأَى مِنْ شَبَهِهِ بِعُتْبَةَ فَمَا رَآهَا حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ.

---

(١) البخاري(٢٠٥٣) ومسلم (١٤٥٧) واللفظ له.

❁ ومنها:

قضاؤه في شأن المرأة المخزومية التي سرقت

أخرج البخاري ومسلم[1] عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ فِيهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ.

فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟**».

فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ، قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاخْتَطَبَ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ:

«**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**».

ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقُطِعَتْ يَدُهَا.

قَالَ يُونُسُ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدُ، وَتَزَوَّجَتْ، وَكَانَتْ تَأْتِينِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

❁ ومنها: تحريم نكاح المتعة.

---

(١) صحيح البخاري(٤٣٠٤) ومسلم(١٦٨٨).

أخرج مسلم [١] عن سَبْرَةَ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْمُتْعَةِ عَامَ الْفَتْحِ، حِينَ دَخَلْنَا مَكَّةَ، ثُمَّ لَمْ نَخْرُجْ مِنْهَا حَتَّى نَهَانَا عَنْهَا».

وفي رواية:

عن سَبْرَة بْنِ مَعْبَدٍ رضي الله عنه «أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالتَّمَتُّعِ مِنَ النِّسَاءِ»، قَالَ: «فَخَرَجْتُ أَنَا وَصَاحِبٌ لِي مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، حَتَّى وَجَدْنَا جَارِيَةً مِنْ بَنِي عَامِرٍ كَأَنَّهَا بَكْرَةٌ عَيْطَاءُ، فَخَطَبْنَاهَا إِلَى نَفْسِهَا وَعَرَضْنَا عَلَيْهَا بُرْدَيْنَا، فَجَعَلَتْ تَنْظُرُ فَتَرَانِي أَجْمَلَ مِنْ صَاحِبِي، وَتَرَى بُرْدَ صَاحِبِي أَحْسَنَ مِنْ بُرْدِي، فَآمَرَتْ نَفْسَهَا سَاعَةً ثُمَّ اخْتَارَتْنِي عَلَى صَاحِبِي، فَكُنَّ مَعَنَا ثَلَاثًا، ثُمَّ أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِفِرَاقِهِنَّ».

وقد ورد عند أبي داود [٢] أن تحريم نكاح المتعة كان في حجة الوداع وهو شاذ، والمحفوظ أن ذلك كان عام الفتح كما هي رواية مسلم المتقدمة. [٣]

وأما رواية سلمة بن الأكوع قَالَ: «رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ أَوْطَاسٍ، فِي الْمُتْعَةِ ثَلَاثًا، ثُمَّ نَهَى عَنْهَا» [٤] فلا إشكال فيه فإن يوم فتح مكة هو ويوم أوطاس شيء واحد، وأوطاس واد بالطائف، فلا تَضاد وعلى هذا فحديث سلمة بن الأكوع وحديث سبرة رضي الله عنهما سواء كما قال البيهقي رحمه الله.

---

(١) برقم (١٤٠٦).

(٢) برقم (٢٠٧٢).

(٣) كما مال إليه الألباني رحمه الله.

(٤) وهي رواية مسلم (١٤٠٥).

قال الحافظ بن كثير رحمه الله : [١]

«مَنْ أَثْبَتَ النَّهْيَ عَنْهَا فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ قَالَ إِنَّهَا أُبِيحَتْ مَرَّتَيْنِ، وَحُرِّمَتْ مَرَّتَيْنِ» وَقَدْ نصَّ عَلَى ذَلِكَ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُه.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهَا أُبِيحَتْ وَحُرِّمَتْ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّتَيْنِ .

وَقِيلَ: إِنَّهَا إِنَّمَا حُرِّمَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً وَهِيَ هَذِهِ الْمَرَّةُ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، وَقِيلَ إِنَّهَا إِنَّمَا أُبِيحَتْ لِلضَّرُورَةِ فَعَلَى هَذَا إِذَا وُجِدَتْ ضَرُورَةٌ أُبِيحَتْ وَهَذَا رِوَايَةٌ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَقِيلَ بَلْ لَمْ تُحَرَّمْ مُطْلَقًا [٢]وَهِيَ عَلَى الْإِبَاحَةِ هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَصْحَابِهِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ». [٣]

وثَمَّ إجماع على تحريمها والله أعلم .

❁ مبايعة بعض مَن كان بمكة رسول الله ﷺ

على الإسلام، وموقف هند بنت عتبة رضي الله عنها

وهذا معروف من سياق الأحاديث الصحيحة

أخرج أحمد بسند فيه ضعف عن الْأَسْوَدِ بْنِ خَلَفٍ، أنه رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يُبَايِعُ

---

(١) في «البداية والنهاية»(٤/ ٣٦٤) .

(٢) وفي هذا نظر للتصريح بأن تحريمها صار إلى يوم القيامة في حديث سبرة رضي الله عنه المتقدم وفيه قوله ﷺ :« **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهُ**».

(٣) وحررت ذلك عند شرحي ل «شرح السنة »للبربهاري (٢/٤٥٨وما بعدها).

النَّاسَ يَوْمَ الْفَتْحِ، قَالَ: جَلَسَ عِنْدَ قَرْنِ مَسْقَلَةَ، فَبَايَعَ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالشَّهَادَةِ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا الشَّهَادَةُ؟»(١).

وهذا وإن كان السند ضعيفاً ،لكن المعنى صحيحاً ،أَنَّهُ بَايَعَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وبايع النساء مبايعة كلاماً لم تمس يده يد امرأة لا تحل له ﷺ .

وتقدم إتيان أبي بكر الصديق بوالده لرسول الله ﷺ لما أمره رسول الله ﷺ بتغيير الشيب بالخضاب .

وأخرج البخاري(٢)أَنَّ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: « جَاءَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، ثُمَّ مَا أَصْبَحَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ، أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، قَالَ: «**وَأَيْضًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**»

(٣)قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مِسِّيكٌ(٤)، فَهَلْ عَلَيَّ حَرَجٌ أَنْ أُطْعِمَ مِنَ الَّذِي لَهُ عِيَالَنَا؟ قَالَ:

---

(١)أخرجه أحمد برقم (١٥٤٣١) .

(٢) برقم (٣٨٢٥) ومسلم (١٧١٤) .

(٣) وعلى أحد التفسيرين ففيها مَنقبة لهند بنت عتبة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ يحب أن يعز أهل خبائها

(٤) مَسيك: بخيل سُمِّي بذلك لأنه يُمسك ما في يده ولا يخرجه لأحد.

«لاَ أُرَاهُ إِلَّا بِالْمَعْرُوفِ».

❁ انقطاع أجر الهجرة الكاملة لأهلها[١]

وأخرج البخاري[٢] عَنْ مُجَاشِعِ بْنِ مَسْعُودٍ، انْطَلَقْتُ بِأَبِي مَعْبَدٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيُبَايِعَهُ عَلَى الهِجْرَةِ قَالَ: «**مَضَتِ الهِجْرَةُ لِأَهْلِهَا، أُبَايِعُهُ عَلَى الإِسْلاَمِ وَالجِهَادِ**» فَلَقِيتُ أَبَا مَعْبَدٍ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: «صَدَقَ مُجَاشِعٌ».

وفي رواية[٣] عن مُجَاشِع، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِأَخِي بَعْدَ الفَتْحِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُكَ بِأَخِي لِتُبَايِعَهُ عَلَى الهِجْرَةِ. قَالَ: «**ذَهَبَ أَهْلُ الهِجْرَةِ بِمَا فِيهَا**». فَقُلْتُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُبَايِعُهُ؟ قَالَ: «**أُبَايِعُهُ عَلَى الإِسْلاَمِ، وَالإِيمَانِ، وَالجِهَادِ**» فَلَقِيتُ مَعْبَدًا بَعْدُ، وَكَانَ أَكْبَرَهُمَا، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: «صَدَقَ مُجَاشِعٌ».

❁ تتابع الناس من أهل مكة يتوالون لا سيما الكبار لمبايعة النبي ﷺ ومنهم :صفوان بن أمية

---

(١) ومن هنا يعلم ضلال العبد الخارجي فيروز ذاك الآبق من سيده عبد الله بن أبي أوفى ا ففي مسند أحمد بسند ثابت عن سَعِيد بْنِ جُمْهَان ، قَالَ: كُنَّا مَعَ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي أَوْفَى نُقَاتِلُ الْخَوَارِجَ، وَقَدْ لَحِقَ غُلَامٌ لِابْنِ أَبِي أَوْفَى بِالْخَوَارِجِ، فَنَادَيْنَاهُ يَا فَيْرُوزُ، هَذَا ابْنُ أَبِي أَوْفَى. قَالَ: نِعْمَ الرَّجُلُ لَوْ هَاجَرَ، قَالَ: مَا يَقُولُ عَدُوُّ الله، قَالَ: يَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ لَوْ هَاجَرَ، فَقَالَ: هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَتِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يُرَدِّدُهَا ثَلَاثًا، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺيَقُولُ: « **طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ** »، قَالَ عَفَّانُ: فِي حَدِيثِهِ وَقَتَلُوهُ ثَلَاثًا وقد خرجته في كتابي «مناصحة الخوارج ومن تأثر بهم ».

(٢) برقم (٤٣٠٧) .

(٣) في صحيح البخاري برقم (٤٣٠٥) .

أخرج أحمد[١] بإسناد رجاله ثقات عن طَاوُسٍ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ[٢] أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ هَاجَرَ، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَدْخُلُ مَنْزِلِي، حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَسْأَلَهُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا سَرَقَ خَمِيصَةً لِي لِرَجُلٍ مَعَهُ فَأَمَرَ بِقَطْعِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنِّي قَدْ وَهَبْتُهَا لَهُ، قَالَ:

« **فَهَلَّا قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ** ».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ:لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ هَاجَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :«**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، فَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا** »

وقد أخرج البخاري[٣] عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: زُرْتُ عَائِشَةَ مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ، فَسَأَلْنَاهَا عَنِ الهِجْرَةِ فَقَالَتْ:

«لاَ هِجْرَةَ اليَوْمَ، كَانَ المُؤْمِنُونَ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ عَلَيْهِ، فَأَمَّا اليَوْمَ فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ، وَاليَوْمَ يَعْبُدُ رَبَّهُ حَيْثُ شَاءَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْهِجْرَةَ إِمَّا الْكَامِلَةَ أَوْ مُطْلَقًا قَدِ انْقَطَعَتْ

---

(١) في المسند(١٥٣٠٦).

(٢) وإسناده صحيح إن ثبت سماع طاوس من صفوان بن أمية، وسماعه منه ممكن ليس بمستبعد ، ومع ذلك فقد نفاه البعض.

(٣) برقم (٣٩٠٠) .

بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ لِأَنَّ النَّاسَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَظَهَرَ الْإِسْلَامُ، وَثَبَتَتْ أَرْكَانُهُ وَدَعَائِمُهُ فَلَمْ تَبْقَ هِجْرَةٌ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَعْرِضَ حَالٌ يَقْتَضِي الْهِجْرَةَ بِسَبَبِ مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْحَرْبِ وَعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى إِظْهَارِ الدِّينِ عِنْدَهُمْ فَتَجِبُ الْهِجْرَةُ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، وَهَذَا مَا لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَلَكِنَّ هَذِهِ الْهِجْرَةَ لَيْسَتْ كَالْهِجْرَةِ قَبْلَ الْفَتْحِ، كَمَا أَنَّ كُلًّا مِنَ الْجِهَادِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَشْرُوعٌ مُرَغَّبٌ فيه إلى يوم القيامة ولكن ليس كَالْإِنْفَاقِ وَلَا الْجِهَادِ قَبْلَ الْفَتْحِ فَتْحِ مَكَّةَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الحسنى..الآية»[١]

❁ نزول قوله تعالى:«إذا جاء نصر الله والفتح»

أخرج البخاري[٢]عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ.

فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ .فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي.

يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ} [النصر: ١]؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ عَلَيْنَا،

---

(١) «البداية والنهاية»(٤/٣٦٧).

(٢) برقم (٤٩٧٠).

وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟

فَقُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟

قُلْتُ: «هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ»، قَالَ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ} [النصر: ١] «وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ»، {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر: ٣]، فَقَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ».

وهذا لا ينفي أن السورة نزلت في فتح مكة والله أعلم.

قول عامة العرب قبل فتح مكة وتَلَوُّمهم بإسلامهم الفتح

أخرج البخاري[١] عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو قِلاَبَةَ: أَلاَ تَلْقَاهُ[٢] فَتَسْأَلَهُ؟ قَالَ فَلَقِيتُهُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: كُنَّا بِمَاءٍ مَمَرَّ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ فَنَسْأَلُهُمْ: مَا لِلنَّاسِ، مَا لِلنَّاسِ؟

مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ، أَوْحَى إِلَيْهِ، أَوْ: أَوْحَى اللهُ بِكَذَا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الكَلاَمَ، وَكَأَنَّمَا يُقَرُّ فِي صَدْرِي، وَكَانَتِ العَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلاَمِهِمُ الفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الفَتْحِ، بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلاَمِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلاَمِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: جِئْتُكُمْ وَاللهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَقًّا، فَقَالَ:

---

(١) برقم (٤٣٠٢).

(٢) تلقاه: أي تلقى عمرو بن سلمة رضي الله عنه.

«صَلُّوا صَلاَةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا صَلاَةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا».

فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآنًا مِنِّي، لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبَانِ، فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ، كُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَقَلَّصَتْ عَنِّي، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الحَيِّ: أَلاَ تُغَطُّوا عَنَّا اسْتَ قَارِئِكُمْ؟فَاشْتَرَوْا فَقَطَعُوا لِي قَمِيصًا، فَمَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ فَرَحِي بِذَلِكَ القَمِيصِ.

❁ بعض الفوائد والدروس المستفادة من فتح مكة

في قصة فتح مكة من الفوائد والدروس المستفادة الكثير:

❁ منها:

حكمته ﷺ في تدبير الجيوش ، في دخول مكة كيف يدخلون مكة ، ومن يُهدَر دمه ولو رأوه متعلِّقًا بأستار الكعبة، وأمره العباس أن يوقِف أبا سفيان بمكان ليرى استعراض قوة الجيش الإسلامي، وإعطاء من أعطاه ، ثم اختيار وقت العفوعن كفار مكة...إلخ.

وانظر ردَّه ﷺ على أبي سفيان في قوله يَا رَسُولَ اللهِ، أُبِيحَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ، لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ...ثم أمره الأنصارأن يوافوه على جبل الصفا ، ثم مواجهتهم حينما قال منهم من قال، فقال ﷺ:«**إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ، وَيَعْذِرَانِكُمْ**»

❁ ومنها :

وضع عصبية الجاهلية وجَورِها وربَاها ...تحت قدميه ﷺ .

❁ ومنها :

حسن تقدير الله لرسوله ﷺ ، فقد هيَّأ الله وقدر أن تشارك قريش في قتل رجل من هذيل التي كانت في حلف المسلمين، ليكون هم الذين نقضوا العهد، ثم سلط الله عليهم رسوله ﷺ والمؤمنين رضي الله عنهم .

❁ ومنها :

أثر العفو الجميل فانظر إلى عداوة هند بنت عتبة التى كانت بسببها تبغض رسول الله ﷺ وأهل بيته محبة أن يذلَّهم الله تعالى ثم انقلاب ذلك إلى محبَّة لهم ، فما كان من شيء أحب إليها من أن يعزهم الله من أهل خبائه ﷺ وهذا يُنبئك عن عظيم أثر عفو النبي ﷺ عنها.

❁ ومنها: إظهار فضل الأنصار، وذلك في قوله ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ، فَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ » قَالُوا: وَاللهِ، مَا قُلْنَا إِلَّا ضَنًّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: «**فَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُمْ**».

❁ ومنها :

أن الحسنة تشفع للإنسان، فقد شفع للأنصار فضلهم القديم في استقبال النبي ﷺ وحمايته ...كما شفع لحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى جانب صدقه أنه شهد بدراً .

❁ومنها :

صدق رؤيا النبي ﷺ التي رآها قديماً .

❁ ومنها :

أخذ النبي ﷺ بأسباب النصر من دعائه أن يُعَمِّي أعين المشركين عن وجهته، وتنظيمة الكتائب، وإسراره بخطة الفتح ...إلخ.

❁ ومنها :

صِدق قول هرقل الكافر عن أتباع الرسل: «**بل يزيدون**» .

❁ ومنها : بيان ما كان عليه الصحابيات رضي الله عنهن من المسارعة في تنفيذ الأمر النبوي بحذافيره، وذلك في قضاء رسول الله ﷺ في ولد زمعة : «**هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ بْنَ زَمْعَةَ، الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ، وَاحْتَجِبِي مِنْهُ يَا سَوْدَةُ بِنْتَ زَمْعَةَ**» فَلَمْ تَرَهُ سَوْدَةُ قَطُّ» وفي رواية : «فَلَمْ يَرَ سَوْدَةَ قَطُّ».

❁ ومنها: عدم قبول الشفاعة في حدود الله ولو كانت من الحِب بن الحِب أسامة ابن زيد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**» .

❁ ومنها :

بيان ما كان عليه من قبلنا من بني إسرائيل أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، هذا كان سبب هلاكهم ، فكيف بكثير من بلدان المسلمين المتَّبعين سنن من قبلهم اليوم،لا يُقيمون الحد لا على الشريف ولا على الوضيع،وهذا كان من أسباب هلاكهم، فاللهم غفراً .

وقد قال رسول الله ﷺ: « **وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ** ».[١] وهو ثابت حسن قد خرَّجته في كتابي «الفوائد النيرة».

ومنها :

وفاؤه ﷺ بعهده مع خزاعة- مع أنهم كفار- وترك بني بكر تَصلى النار منهم مع كفار قريش وحدها لا تلوي على شيء لكونهم كانوا حلفاً لقريش، فرسول الله ﷺ كان يدافع عن حلفائه، وهذه عزَّة الإسلام....إلخ الفوائد والدروس الكثيرة ، فلم أقصد الإستقصاء من ذلك في الأبواب حتى لا أطيل، وأسأل الله التوفيق .

سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جذيمة[٢]

أرسله النبي ﷺ إليهم عقب فتح مكة مباشرة .

أخرج البخاري[٣] عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا، فَقَالُوا: صَبَأْنَا صَبَأْنَا[٤]، فَجَعَلَ خَالِدٌ

---

(١) علمت سبب البأس بين الناس اليوم؟

(٢) وبنو جذيمة هي قبيلة من قبائل العرب من كنانة، من البلاد التي حول مكة .

(٣) برقم (٧١٨٩) .

(٤) أي خرجنا من دين إلى دين، وقصدوا الدخول في الإسلام، وخالد رضي الله عنه ظَنَّ أنهم لم ينقادوا فظن أنهم ينتقصون الإسلام، ولم يفهم منهم أنهم أسلموا، ولهذا لم يقولوا أسلمنا.

يَقْتُلُ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، فَأَمَرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنَّا أَنْ يَقْتُلَ أَسِيرَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلاَ يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ**» مَرَّتَيْنِ.

سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى العزى

أخرج النسائي[1] بإسناد قوي عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةٍ، وَكَانَتْ بِهَا الْعُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ، وَكَانَتْ عَلَى ثَلَاثِ سَمُرَاتٍ، فَقَطَعَ السَّمُرَاتِ، وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا**»، فَرَجَعَ خَالِدٌ، فَلَمَّا بَصُرَتْ بِهِ السَّدَنَةُ وَهُمْ حَجَبَتُهَا، أَمْعَنُوا فِي الْجَبَلِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا عُزَّى يَا عُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا، تَحْتَفِنُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**تِلْكَ الْعُزَّى**».

وعند ابن أبي شيبة بإسناد رجاله ثقات عن عبد الله بن حبيب، قال: مر خالد بن الوليد على اللات، فقال:«كفرانك لا سبحانك ... إني رأيت الله قد أهانك»[2].

وأخرج الأزرقي[1] ولكن من طريق الْوَاقِدِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ عَمْرٍو الْهُذَلِيِّ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِعَشْرِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ

---

(١) في «الكبرى»(١١٤٨٣) وأبو يعلى في «مسنده»(٩٠٢) والضياء في «المختارة»(٢٥٨).

(٢) في«المصنف»(٤٠٨/٧) والطبراني في «الكبير»(١٠٦/٤)رقم (٣٨١١).

شَهْرِ رَمَضَانَ، فَبَثَّ السَّرَايَا فِي كُلِّ جِهَةٍ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُغِيرُوا عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَخَرَجَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِي فِي مِائَتَيْنِ قِبَلَ يَلَمْلَمَ، وَخَرَجَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي فِي ثَلَاثِمِائَةٍ قِبَلَ عُرَنَةَ.

وَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْعُزَّى يَهْدِمُهَا، فَخَرَجَ خَالِدٌ فِي ثَلَاثِينَ فَارِسًا مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْعُزَّى، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا فَهَدَمَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: **«أَهَدَمْتَ»** ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: **«هَلْ رَأَيْتَ شَيْئًا؟»** قَالَ: لَا. قَالَ: **«فَإِنَّكَ لَمْ تَهْدِمْهَا، فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَاهْدِمْهَا»** .

فَخَرَجَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَهُوَ مُتَغَيِّظٌ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا جَرَّدَ سَيْفَهُ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ عُرْيَانَةٌ نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا، فَجَعَلَ السَّادِنُ يَصِيحُ بِهَا. قَالَ خَالِدٌ: وَأَخَذَنِي اقْشِعْرَارٌ فِي ظَهْرِي، فَجَعَلَ يَصِيحُ بِهَا وَيَقُولُ:

أَعُزَّى شُدِّي شَدَّةً لَا تُكَذِّبِي ... أَعُزَّى أَلْقِي الْقِنَاعَ وَشَمِّرِي

أَعُزَّى إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْمَرْءَ خَالِدًا ... فَبُوئِي بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنَصَّرِي

فَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِالسَّيْفِ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ:

يَا عُزَّ كُفْرَانَكِ لَا سُبْحَانَكِ ... إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكِ

قَالَ: فَضَرَبَهَا بِالسَّيْفِ، فَجَزَلَهَا بِاثْنَتَيْنِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**نَعَمْ، تِلْكَ الْعُزَّى، قَدْ أَيِسَتْ أَنْ تُعْبَدَ بِبِلَادِكُمْ أَبَدًا**».

=

(١) في «أخبار مكة»(١/ ١٢٧).

ثُمَّ قَالَ خَالِدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِكَ،وَأَنْقَذَنَا بِكَ مِنَ الْهَلَكَةِ، لَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَبِي يَأْتِي الْعُزَّى بِخَيْرِ مَالِهِ مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ، فَيَذْبَحُهَا لِلْعُزَّى، وَيُقِيمُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِلَيْنَا مَسْرُورًا، وَنَظَرْتُ إِلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ أَبِي، وَإِلَى ذَلِكَ الرَّأْيِ الَّذِي كَانَ يُعَاشُ فِي فَضْلِهِ، وَكَيْفَ خُدِعَ حَتَّى صَارَ يَذْبَحُ لِمَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ، فَمَنْ يَسَّرَهُ لِلْهُدَى تَيَسَّرَ لَهُ، وَمَنْ يَسَّرَهُ لِلضَّلَالَةِ كَانَ فِيهَا»**.

وَكَانَ هَدَمَهَا لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَكَانَ سَادِنُهَا أَفْلَحَ بْنَ النَّضْرِ السُّلَمِيَّ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو لَهَبٍ يَعُودُهُ وَهُوَ حَزِينٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا لِي أَرَاكَ حَزِينًا؟

قَالَ: أَخَافُ أَنْ تَضِيعَ الْعُزَّى مِنْ بَعْدِي. قَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ: فَلَا تَحْزَنْ، فَأَنَا أَقُومُ عَلَيْهَا بَعْدَكَ. فَجَعَلَ أَبُو لَهَبٍ يَقُولُ لِكُلِّ مَنْ لَقِيَ:

إِنْ تَظْهَرِ الْعُزَّى كُنْتُ قَدِ اتَّخَذْتُ عِنْدَهَا يَدًا بِقِيَامِي عَلَيْهَا، وَإِنْ يَظْهَرْ مُحَمَّدٌ عَلَى الْعُزَّى – وَمَا أَرَاهُ يَظْهَرُ – فَابْنُ أَخِي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ.

وهذا لا يصح سنده، ونبهت عليه لشهرته والله المستعان .

قصة عجيبة [1]

(١) ذكرها ابن كثير في «البداية والنهاية»(٤/ ٣٦١) عقب قصة إرسال النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى جذيمة عقب فتح مكة .

أخرج النسائي وغيره بسند قوي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً قَالَ: «فَغَنِمُوا، وَفِيهِمْ رَجُلٌ» فَقَالَ لَهُمْ:

«إِنِّي لَسْتُ مِنْهُمْ، عَشِقْتُ امْرَأَةً فَلَحِقْتُهَا، فَدَعُونِي أَنْظُرُ إِلَيْهَا نَظْرَةً، ثُمَّ اصْنَعُوا بِي مَا بَدَا لَكُمْ» قَالَ: «فَإِذَا امْرَأَةٌ طَوِيلَةٌ أَدْمَاءُ» فَقَالَ لَهَا:

«أَسْلِمِي حُبَيْشُ قَبْلَ نَفَادِ الْعَيْشِ أَرَأَيْتِ لَوْ تَبِعْتُكُمْ فَلَحِقْتُكُمْ بِحِلْيَةٍ، أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ أَلَمْ يَكُ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السُّرَى والْوَدَائِقَ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَدَيْتُكَ.

قَالَ: « فَقَدَّمُوهُ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ، فَوَقَفَتْ عَلَيْهِ فَشَهِقَتْ شَهْقَةً أَوْ شَهْقَتَيْنِ، ثُمَّ مَاتَتْ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَحِيمٌ**»(١).

وفي رواية شبيهة بها:

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى»(٨٦١٠) والطبراني في«الكبير»(١١/٣٦٩رقم (١٢٠٣٧) و«الأوسط»(١٦٩٧) والضياء في «المختارة»(٣٦٧) والبيهقي في«الدلائل»(٥/١١٧) عن محمد ابن علي بن حرب المروزي عن علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه به.

وليس في رجاله أدنى ممن يُحسن حديثه وقد صحح إسناده الحافظ في «الفتح»(٨/٥٨) وحسن سنده الألباني في «الصحيحة»(٢٥٩٤) وهو أقرب والله أعلم .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ ابْنِ أَبِي حَدْرَدٍ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ(١): كُنْتُ يَوْمَئِذٍ فِي خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَقَالَ لِي فَتَى مِنْ بَنِي جَذِيمَةَ، وَهُوَ فِي سِنِّي، وَقَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِرُمَّةٍ (٢)، وَنِسْوَةٌ مُجْتَمِعَاتٌ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنْهُ: يَا فَتَى، فَقُلْتُ: مَا تَشَاءُ؟ قَالَ: هَلْ أَنْتَ

(١) وأخرج القصة ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية »لابن هشام (٢/٤٣٣) والفسوي في «المعرفة »(١/٤٠٧) والبيهقي في «الدلائل»(٥/١١٥) كلهم من طريق ابن إسحاق به .

وإسناده حسن إن كان الزهري سمعها من ابن أبي حدرد.

وللقصة طريق آخر: أخرجه النسائي في «الكبرى»(٨٧٨٧) و البزار(١٧٣٢كشف) والطبراني في «الكبير»(١٧/١٧٧رقم (٤٦٧) والبيهقي في «الدلائل»(٥/١١٧) وفي إسناده مجاهيل.

ولفظها: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِذَا بَعَثَ جَيْشًا أَوْ سَرِيَّةً قَالَ لَهُمْ: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَسْجِدًا أَوْ سَمِعْتُمْ مُؤَذِّنًا فَلَا تَقْتُلُوا أَحَدًا » فَبَعَثَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي سَرِيَّةً فَأَمَرَنَا بِذَلِكَ فَخَرَجْنَا نَسِيرُ فِي أَرْضِ تِهَامَةَ، فَأَدْرَكْنَا رَجُلًا يَسُوقُ ظَعَائِنَ فَعَرَضْنَا عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَقُلْنَا أَمُسْلِمٌ أَنْتَ» فَقَالَ: «وَمَا الْإِسْلَامُ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ فَإِذَا هُوَ لَا يَعْرِفُهُ» قَالَ: «فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ فَمَا أَنْتُمْ صَانِعُونَ؟» قُلْنَا:«نَقْتُلُكَ» قَالَ: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَظِرِيَّ حَتَّى أُدْرِكَ الظَّعَائِنَ؟» قُلْنَا:نَعَمْ، وَنَحْنُ مُدْرِكُوكَ فَخَرَجَ فَأَتَى امْرَأَةً وَهِيَ فِي هَوْدَجِهَا فَقَالَ: « أَسْلِمِي حُبَيْشُ قَبْلَ انْقِطَاعِ الْعَيْشِ أَسْلِمِي عَشْرًا وَثَمَانِيًا تَتْرَى وَتِسْعًا وِتْرًا ثُمَّ قَالَ: «أَتَذْكُرْنَ إِذْ طَالَعْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِحِلْيَةٍ أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ، أَلَمْ يَكُ حَقًّا أَنْ يَنُولَ عَاشِقٌ تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ، فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ: إِذْ أَهَلْنَا مَعًا أَثِيبِي بِوَصْلٍ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ أَثِيبِي بِوَصْلٍ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى، وَيَنَأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ ثُمَّ أَتَانَا فَقَالَ: «شَأْنُكُمْ فَقَدَّمْنَاهُ فَضَرَبْنَا عُنُقَهُ فَنَزَلَتِ الْأُخْرَى عَلَيْهِ مِنْ هَوْدَجِهَا فَحَنَتْ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَتْ».

(٢) الرمة: الحَبل البَالِي.

آخِذٌ بِهَذِهِ الرُّمَّةِ، فَقَائِدِي إِلَى هَؤُلَاءِ النِّسْوَةِ حَتَّى أَقْضِيَ إليهنّ حَاجَة، ثمَّ تَرُدَّنِي بَعْدُ، فَتَصْنَعُوا بِي مَا بَدَا لَكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَاللهِ لَيَسِيرٌ مَا طَلَبْتُ. فَأَخَذْتُ بِرُمَّتِهِ فَقُدْتُهُ بِهَا، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ: أَسْلِمِي حُبَيْشِ، [١]عَلَى نَفَذٍ مِنْ الْعَيْشِ:

أَرَيْتُكِ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ ... بِحَلْيَةَ أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ [٢]

أَلَمْ يَكُ أَهْلًا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ ... تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ [٣]

فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهَلْنَا مَعًا ... أَثِيبِي بِوُدٍّ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ [٤]

أَثِيبِي بِوُدٍّ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى ... وَيَنْأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ

فَإِنِّي لَا ضَيَّعْتُ سِرَّ أَمَانَةٍ ... وَلَا رَاقَ عَيْنِي عَنْكَ بَعْدَكَ رَائِقُ [٥]

سِوَى أَنَّ مَا نَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ ... عَنْ الْوُدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامُقُ [٦]

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُ الْبَيْتَيْنِ الْآخِرَيْنِ مِنْهَا لَهُ..

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ، عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ ابْنِ أَبِي حَدْرَدٍ الْأَسْلَمِيِّ

---

(١) حُبَيْش: مرخم حُبيشة.

(٢) والخوانق: موضع حلية.

(٣) الإدلاج: السّير بِاللَّيْلِ. والودائق: جمع وديقة، وَهِي شدَّة الحرِّ فِي الظهيرة.

(٤) الصفائق: صوارف الخطوب وحوادثها، الْوَاحِدَة: صفيقة.

(٥) وَلَا راق: شيء يُعجب به .

(٦) التوامق: الْحبّ.

(قَالَ) قَالَتْ: وَأَنْتَ فَحُيِّيتُ سَبْعًا وَعَشْرًا، وِتْرًا وَثَمَانِيًا تَتْرَى [١]. قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفْتُ بِهِ. فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي أَبُو فِرَاسِ بْنُ أَبِي سُنْبُلَةَ الْأَسْلَمِيُّ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْهُمْ، عَمَّنْ كَانَ حَضَرَهَا مِنْهُمْ، قَالُوا: فَقَامَتْ إِلَيْهِ حِينَ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ، فَمَا زَالَتْ تُقَبِّلُهُ حَتَّى مَاتَتْ عِنْدَهُ.

سير النبي ﷺ إلى هوازن

حتى تجمعوا في وادي حنين [٢]

---

(١) تترى: متتابعة.

(٢) وفي «السيرة النبوية»لابن هشام(٢/ ٤٣٧) قال : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا سَمِعَتْ هَوَازِنُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ ، جَمَعَهَا مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَعَ هَوَازِنَ ثَقِيفٌ كُلُّهَا، وَاجْتَمَعَتْ نَصْرٌ وَجُشَمٌ كُلُّهَا، وَسَعْدُ بْنُ بَكْرٍ، وَنَاسٌ مِنْ بَنِي هِلَالٍ، وَهُمْ قَلِيلٌ، وَلَمْ يَشْهَدْهَا مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ إِلَّا هَؤُلَاءِ، وَغَابَ عَنْهَا فَلَمْ يَحْضُرْهَا مِنْ هَوَازِنَ كَعْبٌ وَلَا كِلَابٌ، وَلَمْ يَشْهَدْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ لَهُ اسْمٌ، وَفِي بَنِي جُشَمٍ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ شَيْخٌ كَبِيرٌ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا التَّيَمُّنَ بِرَأْيِهِ وَمَعْرِفَتَهُ بِالْحَرْبِ، وَكَانَ شَيْخًا مُجَرَّبًا، وَفِي ثَقِيفٍ سَيِّدَانِ لَهُمْ، فِي الْأَحْلَافِ قَارِبُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ مَسْعُودِ ابْنِ مُعَتِّبٍ، وَفِي بَنِي مَالِكٍ ذُو الْخِمَارِ سُبَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَخُوهُ أَحْمَرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَجِمَاعُ أَمْرِ النَّاسِ إِلَى مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ النَّصْرِيِّ. فَلَمَّا أَجْمَعَ السَّيْرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَطَّ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، فَلَمَّا نَزَلَ بِأَوْطَاسٍ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَفِيهِمْ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ فِي شِجَارٍ- والشجار: شبه الهودج إِلَّا أنه مَكْشُوف الْأَعْلَى - لَهُ يُقَادُ بِهِ فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ:

=

بِأَيِّ وَادٍ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: بِأَوْطَاسٍ، قَالَ: نِعْمَ مَجَالُ الْخَيْلِ! لَا حَزْنٌ ضِرِسٌ ، وَلَا سَهْلٌ دَهِسٌ، مَا لِي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ، وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ، وَبُكَاءَ الصَّغِيرِ، وَيُعَارَ الشَّاءِ؟ قَالُوا: سَاقَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ.

قَالَ: أَيْنَ مَالِكٌ؟ قِيلَ: هَذَا مَالِكٌ وَدُعِيَ لَهُ، فَقَالَ: يَا مَالِكُ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ، وَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ كَائِنٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ من الأيّام. مَا لي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ، وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ، وَبُكَاءَ الصَّغِيرِ، وَيُعَارَ الشَّاءِ؟ قَالَ: سُقْتُ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ، قَالَ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ، قَالَ: فَأَنْقَضَ بِهِ – أي زجره ونهاه – . ثُمَّ قَالَ: رَاعِي ضَأْنٍ وَاللَّهِ- يُجَهِّله بذلك -! وَهَلْ يَرُدُّ الْمُنْهَزِمَ شَيْءٌ؟ إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ لَكَ لَمْ يَنْفَعْكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرُمْحِهِ،وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ فُضِحْتُ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، ثُمَّ قَالَ: مَا فَعَلَتْ كَعْبٌ وَكِلَابٌ؟

قَالُوا: لَمْ يَشْهَدْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، قَالَ: غَابَ الْحَدُّ وَالْجِدُّ- يُرِيد الشجَاعَة والحدة -وَلَوْ كَانَ يَوْمَ عَلَاءٍ وَرِفْعَةٍ لَمْ تَغِبْ عَنْهُ كَعْبٌ وَلَا كِلَابٌ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّكُمْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلَتْ كَعْبٌ وَكِلَابٌ، فَمَنْ شَهِدَهَا مِنْكُمْ؟ قَالُوا: عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ، وَعَوْفُ بْنُ عَامِرٍ، قَالَ:

ذَانِكَ الْجَذَعَانِ -يُرِيد أَنَّهُمَا ضعيفان فِي الْحَرْب، بِمَنْزِلَة الْجذع فِي سنّه -مِنْ عَامِرٍ،لَا يَنْفَعَانِ وَلَا يَضُرَّانِ، يَا مَالِكُ، إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ الْبَيْضَةِ بَيْضَةِ هَوَازِنَ – جَمَاعَتهمْ- إِلَى نُحُورِ الْخَيْلِ شَيْئًا، ارْفَعْهُمْ إِلَى مُتَمَنَّعِ بِلَادِهِمْ وَعُلْيَا قَوْمِهِمْ، ثُمَّ الْقَ الصُّبَاءَ – وهم الْمُسلمُونَ عِنْدهم، كَانُوا يسمونهم بِهَذَا لأَنهم صبئوا من دينهم، أَي خَرجُوا من دين الْجَاهِلِيَّة إِلَى الْإِسْلَام- عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ لَحِقَ بِكَ مَنْ وَرَاءَكَ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ أَلْفَاكَ ذَلِكَ قَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ. قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ، إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَكَبِرَ عقلك. وَالله لتطعيننّى يَا مَعْشَرَ هوَازن أَو لأتّكئنّ عَلَى هَذَا السَّيْفِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي. وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ لِدُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ فِيهَا ذِكْرٌ أَوْ رَأْيٌ، فَقَالُوا: أَطَعْنَاكَ، فَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ: هَذَا يَوْمٌ لَمْ أَشْهَدْهُ وَلَمْ يَفُتْنِي. ثُمَّ قَالَ مَالِكٌ لِلنَّاسِ: إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ

لما أراد رسول الله السير إلى هوازن ذُكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعاً وسلاحاً ، فأرسل إليه – وهو يومئذٍ مشرك- أن يعيره إياه.

فأخرج أبو داود وغيره(١) عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَتَتْكَ رُسُلِي فَأَعْطِهِمْ ثَلَاثِينَ دِرْعًا، وَثَلَاثِينَ بَعِيرًا**» قَالَ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَعَوَرٌ مَضْمُونَةٌ، أَوْ عَوَرٌ مُؤَدَّاةٌ، قَالَ: «**بَلْ مُؤَدَّاةٌ**».

وقد روى ابن إسحاق مرسلاً أنه قال – أعني صفوان – :«..لَيْسَ بِهَذَا بَأْس، فَأَعْطَاهُ مائَة دِرْعٍ بِمَا يَكْفِيهَا مِنْ السِّلَاحِ، فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَأَلَهُ أَنْ يَكْفِيَهُمْ حَمْلَهَا، فَفَعَلَ، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ أَلْفَانِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مَعَ عَشَرَةِ آلَافٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ(٢)، فَفَتَحَ اللهُ بِهِمْ مَكَّةَ، فَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَتَّابَ بْنَ أَسِيدِ بْنِ أَبِي الْعِيصِ بْنِ أُمَيَّةَ ابْن

=

فَاكْسِرُوا جُفُونَ سُيُوفِكُمْ، ثُمَّ شُدُّوا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ...وهذا لم يصحب هذا السياق لارساله كما ترىٰ ،وبعضه ثابت وسيأتي تفصيل الثابت في ذلك والله المستعان. **والمقصود**:أنهم تهيَّؤا لرسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ليغلبوا بخيل اللات والعزىٰ جيش محمد رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه أحمد (١٧٩٥٠)و أبو داود(٣٥٦٦) وابن حبان (٤٧٢٠) .

(٢) وفي هذا الباب ما أخرجه أبو داود (٢٦١١) وغيره عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُ مِائَةٍ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ**» وهو حديث ضعيف معلول الصواب فيه الإرسال، وقد نبهت عليه لاشتهار ثبوته .

عَبْدِ شَمْسٍ عَلَى مَكَّةَ، أَمِيرًا عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنْ النَّاسِ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى وَجْهِهِ يُرِيدُ لِقَاءَ هَوَازِنَ »[١].

إرساله ﷺ العيون بين يديه

أخرج أبو داود[٢] بإسناد صحيح عن سَهْل ابْن الْحَنْظَلِيَّةِ رضي الله عنه أَنَّهُمْ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَأَطْنَبُوا السَّيْرَ، حَتَّى كَانَتْ عَشِيَّةً فَحَضَرْتُ الصَّلَاةَ، عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ رَجُلٌ فَارِسٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي انْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَلَى بَكْرَةِ آبَائِهِمْ بِظُعُنِهِمْ، وَنَعَمِهِمْ، وَشَائِهِمْ، اجْتَمَعُوا إِلَى حُنَيْنٍ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ**»، ثُمَّ، قَالَ: «**مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ؟**».

قَالَ أَنَسُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيُّ رضي الله عنه : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَارْكَبْ**».

فَرَكِبَ فَرَسًا لَهُ فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اسْتَقْبِلْ هَذَا الشِّعْبَ حَتَّى تَكُونَ فِي أَعْلَاهُ، وَلَا نُغَرَّنَّ مِنْ قِبَلِكَ اللَّيْلَةَ**».

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى مُصَلَّاهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ أَحْسَسْتُمْ فَارِسَكُمْ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَحْسَسْنَاهُ فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي، وَهُوَ يَلْتَفِتُ إِلَى الشِّعْبِ حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَبْشِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ فَارِسُكُمْ**».

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٤٤٠).

(٢) برقم (٢٥٠١).

فَجَعَلْنَا نَنْظُرُ إِلَى خِلَالِ الشَّجَرِ فِي الشِّعْبِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي انْطَلَقْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَى هَذَا الشِّعْبِ حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اطَّلَعْتُ الشِّعْبَيْنِ كِلَيْهِمَا فَنَظَرْتُ، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ نَزَلْتَ اللَّيْلَةَ؟**» قَالَ: لَا، إِلَّا مُصَلِّيًا أَوْ قَاضِيًا حَاجَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ أَوْجَبْتَ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْمَلَ بَعْدَهَا**».

❁ جمع هوازن النساء والصبيان والإبل والغنم يتكثَّرون بها على رسول الله ﷺ

أخرج أحمد[1] بسندٍ صحيح على شرط مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ هَوَازِنَ جَاءَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ بِالصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ وَالْإِبِلِ وَالنَّعَمِ، فَجَعَلُوهُمْ صُفُوفًا يُكَثِّرُونَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا الْتَقَوْا وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ا - قَالَ عَفَّانُ: وَلَمْ يَضْرِبُوا بِسَيْفٍ وَلَمْ يَطْعَنُوا بِرُمْحٍ - وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ: « **مَنْ قَتَلَ كَافِرًا فَلَهُ سَلَبُهُ** ».

فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ رَجُلًا وَأَخَذَ أَسْلَابَهُمْ

وَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ضَرَبْتُ رَجُلًا عَلَى حَبْلِ الْعَاتِقِ، وَعَلَيْهِ دِرْعٌ، فَأُجْهِضْتُ عَنْهُ، فَانْظُرْ مَنْ أَخَذَهَا، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنَا أَخَذْتُهَا، فَأَرْضِهِ مِنْهَا، وَأَعْطِنِيهَا، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ أَوْ سَكَتَ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ: لَا وَاللهِ لَا يُفِيئُهَا اللهُ عَلَى أَسَدٍ مِنْ أُسْدِهِ وَيُعْطِيكَهَا

(١) في «المسند» (١٣٩٧٥).

فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: « **صَدَقَ عُمَرُ** »[١]. قَالَ: وَكَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: مَا هَذَا مَعَكِ؟ قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ أَنْ أَبْعَجَ بِهِ بَطْنَهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْمَعُ مَا تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ؟

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ انْهَزَمُوا بِكَ، قَالَ: « **إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَانَا وَأَحْسَنَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ** »[٢].

وَيُؤْخَذ من ردِّ النَّبِي ﷺ على أم سليم أَن فرار الْمُسلمين يَوْم حنين لم يكن من الْكَبَائِر، وقد انسحب الصحابة يوم مؤتة ولم يعنفهم ﷺ، ومثلها يوم أحد فر بعضهم، وعفا الله عنهم كما قال في كتابه الكريم، ولم يذمّ أحدٌ أحداً ممن فرَّ يوم أُحد إلا الخوارج على عثمان رضي الله عنه هم الذين طعنوا عليه بهذا بعد أن عفا الله

---

(١) ولكن المحفوظ أن القائل هو أبو بكر الصديق لا عمر، كما قال أبو قتادة رضي الله عنه في روايته لهذا الحديث في صحيح البخاري (٣١٤٢) ومسلم (١٧٥١) فإنه صاحب القصة ، وإلى هذا نحا ابن كثير في «البداية والنهاية»(٤/٣٤٧) فقال « وَقَوْلُ عُمَرَ فِي هَذَا مُسْتَغْرَبٌ وَالْمَشْهُورُ أَنَّ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ».

(٢) وقد روى مسلم (١٨٠٩) مِنْهُ قِصَّةَ خِنْجَرِ أُمِّ سُلَيْمٍ رضي الله عنها . فَقَالَ لَهَا رَسُولُ ﷺ: «مَا هَذَا الْخِنْجَرُ؟» قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ: دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَضْحَكُ،قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ انْهَزَمُوا بِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ**».

عنهم، وقد زجرهم ابن عمر رضي الله عنه وعنف من جاءه ليستخرج منه طعناً على عثمان رضي الله عنه بهذا كما بينته في غير هذا الموطن، فماذا؟

وقول أم سليم هذا في أصحاب رسول الله ﷺ «الطلقاء» لأن النبي ﷺ مَنَّ عليهم وأطلقهم، وكان في إسلامهم ضعف فاعتقدت أم سليم أنهم منافقون وأنهم استحقوا القتل بانهزامهم وغيره، فرَدَّ عليها ﷺ.

وقولها «انهزموا بك»: الباء في بك هنا بمعنى: أي انهزموا عنك على حد قوله تعالى {فاسأل به خبيرا} أي عنه وربما تكون للسببية أي انهزموا بسببك لنفاقهم ، فلا يقال الآن عن بعض الصحابة ذلك على جهة التنقيص لإجماع الأمة على الكف عن مساوئهم إن كانت، كما بينته في غير هذا الموطن .

❁ في الطريق إلى هَوَازن (حُنين) وأمرُ ذاتِ أنواطٍ[1]

أخرج ابن إسحاق وأحمد[2] عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَسِرْنَا مَعَهُ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنْ الْعَرَبِ لَهُمْ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضْرَاءُ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلَّ سَنَةٍ، فَيُعَلِّقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا. قَالَ: فَرَأَيْنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سِدْرَةً خَضْرَاءَ عَظِيمَةً، قَالَ: فَتَنَادَيْنَا مِنْ جَنَبَاتِ الطَّرِيقِ: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **اللهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ، وَالَّذِي**

(١) حُنَين : واد بين مكة والطائف وراء عرفات بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً.

(٢) كما في «السيرة النبوية»(٤/٤٢) وأحمد (٢١٨٩٧) وغيرهم .

نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» . إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»

وفي حديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «فَمَنْ». (١)

❁ إرسال كفار هوازن أيضاً عيوناً لهم للتجسس على رسول الله ﷺ والمسلمين رضي الله عنهم .

أخرج البخاري (٢) عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَيْنٌ مِنَ المُشْرِكِينَ (٣) وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَجَلَسَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ يَتَحَدَّثُ، ثُمَّ انْفَتَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اطْلُبُوهُ، وَاقْتُلُوهُ». فَقَتَلَهُ،فَنَفَّلَهُ سَلَبَهُ.

وفي رواية (٤):

قَالَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَوَازِنَ، فَبَيْنَا نَحْنُ نَتَضَحَّى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ، فَأَنَاخَهُ، ثُمَّ انْتَزَعَ طَلَقًا مِنْ حَقَبِهِ، فَقَيَّدَ بِهِ الْجَمَلَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ يَتَغَدَّى مَعَ الْقَوْمِ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ وَفِينَا ضَعْفَةٌ وَرِقَّةٌ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري(٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩) .

(٢) برقم (٣٠٥١) .

(٣) عين :أي جاسوس .

(٤) أخرجها مسلم برقم (١٧٥٤) .

فِي الظَّهْرِ، وَبَعْضُنَا مُشَاةٌ[١]، إِذْ خَرَجَ يَشْتَدُّ، فَأَتَى جَمَلَهُ، فَأَطْلَقَ قَيْدَهُ ثُمَّ أَنَاخَهُ، وَقَعَدَ عَلَيْهِ، فَأَثَارَهُ فَاشْتَدَّ بِهِ الْجَمَلُ، فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ عَلَى نَاقَةٍ وَرْقَاءَ، قَالَ سَلَمَةُ: وَخَرَجْتُ أَشْتَدُّ فَكُنْتُ عِنْدَ وَرِكِ النَّاقَةِ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ حَتَّى كُنْتُ عِنْدَ وَرِكِ الْجَمَلِ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ حَتَّى أَخَذْتُ بِخِطَامِ الْجَمَلِ فَأَنَخْتُهُ، فَلَمَّا وَضَعَ رُكْبَتَهُ فِي الْأَرْضِ اخْتَرَطْتُ سَيْفِي، فَضَرَبْتُ رَأْسَ الرَّجُلِ، فَنَدَرَ، ثُمَّ جِئْتُ بِالْجَمَلِ أَقُودُهُ عَلَيْهِ رَحْلُهُ وَسِلَاحُهُ، فَاسْتَقْبَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالنَّاسُ مَعَهُ، فَقَالَ: «**مَنْ قَتَلَ الرَّجُلَ؟**» قَالُوا: ابْنُ الْأَكْوَعِ، قَالَ: «**لَهُ سَلَبُهُ أَجْمَعُ**».

❁ لقاء هوازن وثبات النبي ﷺ

أخرج أحمد [٢]بإسناد حسن عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِيَ حُنَيْنٍ قَالَ:

انْحَدَرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ أَجْوَفَ، حَطُوطٍ[٣]، إِنَّمَا نَنْحَدِرُ فِيهِ انْحِدَارًا، قَالَ: وَفِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ[٤]، وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ كَمَنُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ[٥]، وَفِي أَجْنَابِهِ،

---

(١) أي ليسوا ركباناً .

(٢) في «المسند»(١٥٠٢٧) وأخرجه أيضاً ابن إسحاق كما قال ابن هشام (٢/٤٠٤) عن عاصم ابن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن جابر رضي الله عنه .

(٣) أجوف:أي واسع كبير القعر، وحطوط: مبالغة من الحط وهو النزول والتسفُّل.

(٤) عماية الصُّبح: بقية ظلمة اليل .

(٥) الشعاب هُنَا: الطّرق الخفية.

وَمَضَايِقِهِ قَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّئُوا، وَأَعَدُّوا(١) قَالَ: فَوَاللهِ مَا رَاعَنَا، وَنَحْنُ مُنْحَطُّونَ إِلَّا الْكَتَائِبُ، قَدْ شَدَّتْ عَلَيْنَا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَانْهَزَمَ النَّاسُ رَاجِعِينَ فَاسْتَمَرُّوا لَا يَلْوِي أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ، وَانْحَازَ(٢) رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ الْيَمِينِ، ثُمَّ قَالَ: «**إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَيَّ أَنَا رَسُولُ اللهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ**».

قَالَ: فَلَا شَيْءَ(٣) احْتَمَلَتْ الْإِبِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَانْطَلَقَ النَّاسُ إِلَّا أَنَّ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَهْطًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ غَيْرَ كَثِيرٍ، ثَبَتَ مَعَهُ ﷺ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَابْنُهُ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَيْمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ وَهُوَ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنَ(٤)، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: وَرَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ فِي يَدِهِ رَايَةٌ لَهُ سَوْدَاءُ فِي رَأْسِ رُمْحٍ طَوِيلٍ لَهُ أَمَامَ النَّاسِ، وَهَوَازِنُ خَلْفَهُ، فَإِذَا أَدْرَكَ طَعَنَ بِرُمْحِهِ(٥)، وَإِذَا فَاتَهُ النَّاسُ رَفَعَهُ لِمَنْ وَرَاءَهُ، فَاتَّبَعُوهُ.

---

(١) وعند ابن إسحاق كما في «البداية والنهاية»(٤/٣٧٣) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: فَخَرَجَ مَالِكُ ابْنُ عَوْفٍ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى حُنَيْنٍ فَسَبَقَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَيْهَا فَأَعَدُّوا وَتَهَيَّئُوا فِي مَضَايِقِ الْوَادِي وأحنائه وأقبل رسول الله وَأَصْحَابُهُ حَتَّى انْحَطَّ بِهِمُ الْوَادِي فِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ، فَلَمَّا انْحَطَّ النَّاسُ ثَارَتْ فِي وُجُوهِهِمُ الْخَيْلُ فَشَدَّتْ عَلَيْهِمْ وَانْكَفَأَ النَّاسُ مُنْهَزِمِينَ لَا يُقْبِلُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ...والسند حسن

(٢) انحاز :أي تنحى.

(٣) يُرِيد: أي لا أحد يسمع ذلك الكلام .

(٤) وفي «السيرة »لابن هشام عن ابن إسحاق:أنه قتل أيمن بن أم أيمن رضي الله عنه .

(٥) فإذا أدرك طعن برمحه:أي أدرك أحداً من المسلمين.

قَالَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ هَوَازِنَ صَاحِبُ الرَّايَةِ عَلَى جَمَلِهِ ذَلِكَ، يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ، إِذْ هَوَى لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ(١)، وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُرِيدَانِهِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ عَلِيٌّ مِنْ خَلْفِهِ، فَضَرَبَ عُرْقُوبَيِ الْجَمَلِ فَوَقَعَ عَلَى عَجُزِهِ وَوَثَبَ الْأَنْصَارِيُّ عَلَى الرَّجُلِ، فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً أَطَنَّ(٢)قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ فَانْجَعَفَ (٣)عَنْ رَحْلِهِ، وَاجْتَلَدَ النَّاسُ، فَوَاللهِ مَا رَجَعَتْ رَاجِعَةُ النَّاسِ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ حَتَّى وَجَدُوا الْأَسْرَى مُكَتَّفِينَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وفي رواية (٤) زيادة:

«....وَالْتَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ مِمَّنْ صَبَرَ يَوْمَئِذٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ حِينَ أَسْلَمَ، وَهُوَ آخِذٌ بِثَفَرِ بَغْلَتِهِ (٥)، فَقَالَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَنَا ابْنُ أُمِّكَ (٦) يَا رَسُولَ اللهِ.

❁ دعاء رسول الله ﷺ يوم حنين وتضرُّعه لربه وشجاعته وصلابته.

---

(١) هوىٰ ...الخ : أي مال له وقصده .

(٢) أطن :أي من الطنين ،وهو صوت الشيء الصَلب ، أي ظهر صوت القطع .

(٣) انجعف :أي انقلع .

(٤) بإسناد حسن أخرجها ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية»لابن هشام (٢/ ٤٥).

(٥) الثفَر : ي مُؤخر السرج.

(٦) قَوْله:أَنا ابْن أمك:إِنَّمَا هُوَ ابْن عمك، لكنه أَرَادَ أَن يتَقرَّب إِلَيْهِ،لِأَن الْأُم الَّتِي هِيَ الْجدّة قد تجمعهما فِي النّسَب.

أخرج ابن أبي شيبة وأحمد [١] بإسناد صحيح ثلاثي على شرط الشيخين عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ: «**اللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ أَنْ لَا تُعْبَدَ بَعْدَ الْيَوْمِ**»[٢].

وفي حديث أَبِي إِسْحَاقَ [٣]، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْبَرَاءِ، فَقَالَ: أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ؟

فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ مَا وَلَّى، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ النَّاسِ، وَحُسَّرٌ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ، وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ، فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ، فَانْكَشَفُوا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ، فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ، وَهُوَ يَقُولُ:

«أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ، اللهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ».

قَالَ الْبَرَاءُ: «كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، -يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ-».

---

(١) كما في «المصنف»(٦/ ٧٥) وأحمد في «المسند» (١٢٢٢٠).

(٢) وهي نفس المقولة التي قالها يوم بدر كما تقدم: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ لاَ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَوْمِ**» كما في صحيح البخاري(٤٨٧٦) ونفس الكلمة قالها ﷺ يوم أحد في تضرعه ،فعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: «**اللهُمَّ، إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**» و كما في صحيح مسلم(١٧٣٤) قالها يوم بدر وأحد ، وحنين .التضَرع وقت الصعاب .

(٣) الذي أخرجه مسلم (١٧٧٦).

وقوله «اللّهم نزل نصرك»يدل على أن الإعجاب بالكثرة الذي في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ التوبة.

إنما كان لبعض المسلمين ، ولعله كان من الطلقاء من مَسلمة الفتح ، لم يكن من الأوائل، ويدل على ذلك قول أم سليم: «...اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ انْهَزَمُوا بِكَ ».

وعلى كل حال: فقد وعدهم الله جميعـًا الحسنى بلا استثناء لأحد منهم كما في قوله سبحانه: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحديد.

كما لم يكن الخطأ يوم أحد من جميعهم ، ولا أنهم قصدوا مخالفة النبي ﷺ ، وإنما هو التقصير في تنفيذ الأمر النبوي للرماة بحذافيره: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ...**» فظنوا أن الحرب انتهت ،ففعلوا ما فعلوا فحصل ما تقدم ذكره.

كما أن النبي ﷺ لم يظن بالله الظنون يوم الأحزاب .

وقد ألمح البراء بن عازب رضي الله عنه إلى ذلك

ففي صحيح البخاري [1] عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما : أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ ، إِنَّ

(١) برقم (٢٨٦٤) ومسلم (١٧٧١) .

هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ، فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْغَنَائِمِ، وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**».

وفي رواية :

قَالَ البراء رضي الله عنه : لاَ وَاللهِ، مَا وَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحَابِهِ، وَأَخِفَّاؤُهُمْ حُسَّرًا لَيْسَ بِسِلاَحٍ، فَأَتَوْا قَوْمًا رُمَاةً، جَمْعَ هَوَازِنَ، وَبَنِي نَصْرٍ،مَا يَكَادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ، فَرَشَقُوهُمْ رَشْقًا مَا يَكَادُونَ يُخْطِئُونَ، فَأَقْبَلُوا هُنَالِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَقُودُ بِهِ، فَنَزَلَ وَاسْتَنْصَرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**»، ثُمَّ صَفَّ أَصْحَابَهُ[1].

وفي رواية :

قَالَ الْبَرَاءُ: «كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ».

فكيف يفر ﷺ ؟ !

❁ حمي الوطيس في هذه الحرب بين الفريقين وظهور بطولات الصحابة رضي الله عنهم

(١) أخرجها البخاري (٢٩٣٠) ومسلم (١٧٧٦) .

لقد عتب الله على المؤمنين لما أعجبتهم كثرتهم فقال:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ التوبة.

أخرج مسلم[١] قَالَ عَبَّاسٌ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ[٢] رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ[٣] أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ[٤]، قَالَ عَبَّاسٌ رضي الله عنه: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ

---

(١) برقم (١٧٧٥).

(٢) أبو سفيان بن الحارث: أبو سفيان هذا هو ابن عم رسول الله ﷺ قال جماعة من العلماء اسمه هو كنيته وقال آخرون اسمه المغيرة.

(٣) على بغلة له بيضاء: كذا قال في هذه الرواية ورواية أخرى بعدها إنها بغلة بيضاء وقال في آخر الباب في صحيح مسلم (١٧٧٧) على بغلته الشهباء وهي واحدة قال العلماء لا يعرف له ﷺ بغلة سواها.

(٤) يركض بغلته...الخ: أي يضربها برجله الشريفة على كبدها لتسرع.

(١)».

فَقَالَ عَبَّاسٌ: وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا(٢)، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا(٣)، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ.

قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ (٤)يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «هَذَا حِينَ حَمِيَ

---

(١) أصحاب السمرة: هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان ومعناه ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية، وفيه دعاء المقصِّر بما فيه من محاسن ليقوىٰ ويشتد عزمه.

(٢) وكان العباس رضي الله عنه صَيِّتاً قوي الصوت كان يُسمع صوته من علىٰ بُعد ثمانية أميال .

(٣) أي كما تحنَّ علىٰ أولادها،أي لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر علىٰ أولادها

قَالَ الْعُلَمَاءُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ فِرَارَهُمْ لَمْ يَكُنْ بَعِيدًا وَأَنَّهُ لَمْ يَحْصُلِ الْفِرَارُ مِنْ جَمِيعِهِمْ وَإِنَّمَا فَتَحَهُ عَلَيْهِمْ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ مِنْ مُسْلِمَةِ أَهْلِ مَكَّةَ الْمُؤَلَّفَةِ وَمُشْرِكِيهَا الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا أَسْلَمُوا وَإِنَّمَا كَانَتْ هَزِيمَتُهُمْ فَجْأَةً لِانْصِبَابِهِمْ عَلَيْهِمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَرَشْقِهِمْ بِالسِّهَامِ وَلِاخْتِلَاطِ أَهْلِ مَكَّةَ مَعَهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَسْتَقِرَّ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ وَمِمَّنْ يَتَرَبَّصُ بِالْمُسْلِمِينَ الدَّوَائِرَ وَفِيهِمْ نِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ خَرَجُوا لِلْغَنِيمَةِ فَتَقَدَّمَ إِخْفَاؤُهُمْ فَلَمَّا رَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ وَلَّوْا فَانْقَلَبَتْ أُولَاهُمْ عَلَىٰ أُخْرَاهُمْ إِلَىٰ أَنْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا ذَكَرَاللهُ تَعَالَىٰ فِي الْقُرْآنِ».

(٤) والدعوة في الأنصار: هي بفتح الدال يعني الاستغاثة والمنادة إليهم.

الْوَطِيسُ» [١] قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**» قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا[٢]، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا.

رفي رواية أخرجها ابن إسحاق[٣] عن الْعَبَّاسِ ابْن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ: إِنِّي لَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ آخِذٌ بِحَكَمَةِ بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ قَدْ شَجَرْتُهَا بِهَا [٤]، قَالَ: وَكُنْتُ امْرَأً جَسِيمًا شَدِيدَ الصَّوْتِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ حِينَ رَأَى مَا رَأَى مِنْ النَّاسِ: إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ؟

فَلَمْ أَرَ النَّاسَ يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ، فَقَالَ: يَا عَبَّاسُ، اُصْرُخْ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ السَّمُرَةِ، قَالَ: فَأَجَابُوا: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ! قَالَ: فَيَذْهَبُ الرَّجُلُ لِيُثْنِيَ بَعِيرَهُ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَأْخُذُ دِرْعَهُ، فَيَقْذِفُهَا فِي عُنُقِهِ، وَيَأْخُذُ سَيْفَهُ

---

(١) هذا حين حمي الوطيس: قال الأكثرون هو شبه تنور يسجر فيه ويضرب مثلا لشدة الحرب التي يشبه حرَّها حرّه وقد قال آخرون الوطيس هو التنور نفسه، وقال الأصمعي : هي حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد أن يطأ عليها فيقال الآن حمي الوطيس، وقيل:هو الضرب في الحرب، وقيل :هو الحرب الذي يطيس الناس أي يدقهم، قالوا :وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ﷺ.

(٢) فما زلت أرىٰ حدَّهم كليلاً : أي ما زلت أرىٰ قوتهم ضعيفة .

(٣) كما في «السيرة»لابن هشام (٢/٢٤٥) بسند حسن .

(٤) شجرتها بهَا : أَي وَضَعتهَا فِي شَجَرهَا، وَهُوَ مُجْتَمع اللحيين.

وَتُرْسَهُ، وَيَقْتَحِمُ عَنْ بَعِيرِهِ، وَيُخَلِّي سَبِيلَهُ، فَيَؤُمُّ الصَّوْتَ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُم مائَة، اسْتَقْبَلُوا النَّاسَ، فَاقْتَتَلُوا، وَكَانَتْ الدَّعْوَى أَوَّلَ مَا كَانَتْ: يَا لَلْأَنْصَارِ. ثُمَّ خَلَصَتْ أَخِيرًا: يَا لَلْخَزْرَجِ.

وَكَانُوا صُبرًا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَأَشْرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي رَكَائِبِهِ. فَنَظَرَ إِلَى مُجْتَلَدِ الْقَوْمِ [١] وَهُمْ يَجْتَلِدُونَ، فَقَالَ: «**الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ**».

❁ من مواقف أخرى من داخل المعركة.

من ذلك ما أخرجه البخاري [٢] عن أبي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَآخَرُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَخْتِلُهُ مِنْ وَرَائِهِ لِيَقْتُلَهُ، فَأَسْرَعْتُ إِلَى الَّذِي يَخْتِلُهُ، فَرَفَعَ يَدَهُ لِيَضْرِبَنِي وَأَضْرِبُ يَدَهُ فَقَطَعْتُهَا، ثُمَّ أَخَذَنِي فَضَمَّنِي ضَمًّا شَدِيدًا، حَتَّى تَخَوَّفْتُ، ثُمَّ تَرَكَ، فَتَحَلَّلَ، وَدَفَعْتُهُ ثُمَّ قَتَلْتُهُ، وَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَانْهَزَمْتُ مَعَهُمْ، فَإِذَا بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟

قَالَ: أَمْرُ اللهِ، ثُمَّ تَرَاجَعَ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَقَامَ بَيِّنَةً عَلَى قَتِيلٍ قَتَلَهُ فَلَهُ سَلَبُهُ**» فَقُمْتُ لِأَلْتَمِسَ بَيِّنَةً عَلَى قَتِيلِي، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا يَشْهَدُ لِي فَجَلَسْتُ، ثُمَّ بَدَا لِي فَذَكَرْتُ أَمْرَهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: سِلَاحُ هَذَا القَتِيلِ الَّذِي يَذْكُرُ عِنْدِي، فَأَرْضِهِ مِنْهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَلَّا لَا يُعْطِيهِ أُصَيْبِغَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَدَعَ أَسَدًا مِنْ أُسْدِ اللهِ، يُقَاتِلُ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، قَالَ:

---

(١) مجتلد الْقَوْم: مَكَان جلادهم بِالسُّيُوفِ، وَهُوَ حَيْثُ تكون المعركة.

(٢) برقم (٣١٤٢) ومسلم(١٧٥١).

فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَدَّاهُ إِلَيَّ، فَاشْتَرَيْتُ مِنْهُ خِرَافًا، فَكَانَ أَوَّلَ مَالٍ تَأَثَّلْتُهُ فِي الإِسْلاَمِ.

وفي رواية عنه قال: (١)

خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ حُنَيْنٍ، فَلَمَّا التَقَيْنَا كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلاَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَدَرْتُ حَتَّى أَتَيْتُهُ مِنْ وَرَائِهِ حَتَّى ضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَضَمَّنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، فَأَرْسَلَنِي....الحديث

❁ موقف آخر:

أخرجه مسلم (٢) عن إِيَاس بْن سَلَمَة، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْنًا، فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ تَقَدَّمْتُ فَأَعْلُو ثَنِيَّةً، فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرْمِيهِ بِسَهْمٍ فَتَوَارَى عَنِّي، فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ، وَنَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ ثَنِيَّةٍ أُخْرَى، فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَلَّى صَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَرْجِعُ مُنْهَزِمًا، وَعَلَيَّ بُرْدَتَانِ مُتَّزِرًا بِإِحْدَاهُمَا مُرْتَدِيًا بِالْأُخْرَى، فَاسْتَطْلَقَ إِزَارِي (٣) فَجَمَعْتُهُمَا جَمِيعًا، وَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُنْهَزِمًا (٤) وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ

---

(١) في صحيح البخاري أيضاً .

(٢) برقم (١٧٧٧) .

(٣) فاستطلق إزاري: أي انحل لاستعجالي .

(٤) منهزما: قال العلماء قوله منهزماً:حال من ابن الأكوع، صرَّحَ بانهزامه، ولم يرد أن النبي ﷺ انهزم ،وقد قال الصحابة كلهم رضي الله عنهم إنه ﷺ ما انهزم، ولم ينقل أحد قط أنه انهزم ﷺ في موطن من

الشَّهْبَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فَزَعًا**»، فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ (١) نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ: «**شَاهَتِ الْوُجُوهُ**»(٢)، فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللهِ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.(٣)

=

المواطن، وقد نقلوا إجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يعتقد انهزامه ﷺ ولا يجوز ذلك عليه فليتنبَّه إلى هذا . كيف وقد صرَّح البراء بن عازب رضي الله عنه فقال عن يوم حنين: وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ فَقَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ» كما في الصحيحين .وراجع«فتح الباري» (٨/ ٢٨-٢٩)، كيف يقال انهزم ، وقد جاء التصريح بعدم فراره، وتأمل من مواقفه في نفس الغزوة تعلَم شجاعته.

(١) فلما غشوا رسول الله ﷺ: أي أتوه من كل جانب.

(٢)شاهت الوجوه: أي قُبحت.

(٣) وأخرج الطيالسي (١٤٦٨) وابن أبي شيبة (٧/ ٤١٧) وأبو داود(٥٢٣٣) وأحمد (٢٢٤٦٨) بإسناد فيه جهالة عن يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَسَارٍ وَيُكْنَى أَبَا هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفِهْرِيِّ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي حُنَيْنٍ فَسِرْنَا فِي يَوْمٍ قَائِظٍ شَدِيدِ الْحَرِّ فَنَزَلْنَا تَحْتَ ظِلَالِ الشَّجَرِ فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ لَبِسْتُ لَأْمَتِي وَرَكِبْتُ فَرَسِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي فُسْطَاطِهِ فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ قَدْ حَانَ الرَّوَاحُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**أَجَلْ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا بِلَالُ**» فَثَارَ مِنْ تَحْتِ سَمُرَةٍ كَأَنَّ ظِلَّهُ ظِلُّ طَيْرٍ فَقَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَأَنَا فِدَاؤُكَ قَالَ: «**أَسْرِجْ لِي فَرَسِي**» فَأَتَاهُ بِدَفَّتَيْنِ مِنْ لِيفٍ لَيْسَ فِيهِمَا أَشَرٌ وَلَا بَطَرٌ قَالَ: فَرَكِبَ فَرَسَهُ ثُمَّ سِرْنَا يَوْمَنَا فَلَقِينَا الْعَدُوَّ وَتَشَامَّتِ الْخَيْلَانِ، فَقَاتَلْنَاهُمْ فَوَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ كَمَا قَالَ اللهُ

وقد تقدم ذكر موقف أم سليم (الرُميصاء وقيل الغُميصاء[١]) رضي الله عنها.

❁ وصف أنس رضي الله عنه لحمل الكفار عليهم في غزوة حنين

أخرج أحمد[٢] بسند صحيح عن نَافِعٍ أَبي غَالِبٍ الْبَاهِلِيّ،أنه شَهِدَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: فَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ الْعَدَوِيُّ: يَا أَبَا حَمْزَةَ بِسِنٍّ أَيِّ الرِّجَالِ كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِذْ بُعِثَ؟ قَالَ: «ابْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً»، قَالَ: ثُمَّ كَانَ مَاذَا؟ قَالَ: «كَانَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، فَتَمَّتْ لَهُ سِتُّونَ سَنَةً، ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ».

قَالَ: سِنُّ أَيِّ الرِّجَالِ هُوَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «كَأَشَبِّ الرِّجَالِ، وَأَحْسَنِهِ، وَأَجْمَلِهِ، وَأَلْحَمِهِ».

قَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ: هَلْ غَزَوْتَ مَعَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، غَزَوْتُ مَعَهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَخَرَجَ الْمُشْرِكُونَ بِكَثْرَةٍ، فَحَمَلُوا عَلَيْنَا حَتَّى رَأَيْنَا خَيْلَنَا وَرَاءَ ظُهُورِنَا،

=

تَعَالَى فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَا عِبَادَ اللهِ أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيَّ أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**» فَاقْتَحَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ فَرَسِهِ وَحَدَّثَنِي مَنْ كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنِّي أَنَّهُ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فَحَثَا بِهَا فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ وَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» قَالَ يَعْلَى بْنُ عَطَاءٍ: فَأَخْبَرَنَا أَبْنَاؤُهُمْ عَنْ آبَائِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: مَا بَقِيَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا امْتَلَأَتْ عَيْنَاهُ وَفَمُهُ مِنَ التُّرَابِ وَسَمِعْنَا صَلْصَلَةً مِنَ السَّمَاءِ كَمَرِّ الْحَدِيدِ عَلَى الطَّسْتِ الْجَدِيدِ فَهَزَمَهُمُ اللهُ....وإن كان في السند ما قلت،فإن غالب ما فيه في الأحاديث الثابتة والله أعلم.

(١) والعامة يُخطئون في اسمها فيقولون :«الرُمَيسَاء» ويكتبونها «الروميساء أو روميساء».

(٢) برقم (١٢٥٢٩).

وَفِي الْمُشْرِكِينَ رَجُلٌ يَحْمِلُ عَلَيْنَا، فَيَدُقُّنَا، وَيُحَطِّمُنَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ نَزَلَ فَهَزَمَهُمُ اللهُ فَوَلَّوْا، فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ حِينَ رَأَى الْفَتْحَ، فَجَعَلَ يُجَاءُ بِهِمْ أُسَارَى رَجُلًا رَجُلًا، فَيُبَايِعُونَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّ عَلَيَّ نَذْرًا لَئِنْ جِيءَ بِالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ مُنْذُ الْيَوْمِ يُحَطِّمُنَا، لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، قَالَ: فَسَكَتَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَجِيءَ بِالرَّجُلِ، فَلَمَّا رَأَى نَبِيَّ اللهِ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، تُبْتُ إِلَى اللهِ، يَا نَبِيَّ اللهِ، تُبْتُ إِلَى اللهِ، قَالَ: فَأَمْسَكَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يُبَايِعْهُ لِيُوفِيَ الْآخَرُ نَذْرَهُ. قَالَ: فَجَعَلَ يَنْظُرُ النَّبِيَّ ﷺ لِيَأْمُرَهُ بِقَتْلِهِ، وَجَعَلَ يَهَابُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَنْ يَقْتُلَهُ، فَلَمَّا رَأَى نَبِيُّ اللهِ ﷺ أَنَّهُ لَا يَصْنَعُ شَيْئًا بَايَعَهُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ نَذْرِي، قَالَ: «**لَمْ أُمْسِكْ عَنْهُ مُنْذُ الْيَوْمِ، إِلَّا لِتُوفِيَ نَذْرَكَ**».

فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَلَا أَوْمَضْتَ إِلَيَّ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُومِضَ».

قدوم وفد هوازن مسلمين إلى النبي ﷺ

أخرج البخاري[1] أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ،[2] فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَحَبُّ

---

(١) برقم (٢٣٠٧).

(٢) قال الحافظ في «الفتح»(٨/٣٣) عن ابن إِسْحَاقَ قال: حَدَّثَنِي عَمْرو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ تَعْيِينُ الَّذِي خَطَبَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ وَلَفْظُهُ وَأَدْرَكَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ بِالْجِعْرَانَةِ وَقَدْ أَسْلَمُوا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا أَهْلٌ وَعَشِيرَةٌ قَدْ أَصَابَنَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ فَامْنُنْ عَلَيْنَا مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ وَقَامَ

الحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا المَالَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ »، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ انْتَظَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، قَالُوا:

فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي المُسْلِمِينَ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلاَءِ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ**».

=

خَطِيبُهُمْ زُهَيْرُ بْنُ صُرَدَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللَّوَاتِي فِي الْحَظَائِرِ مِنَ السَّبَايَا خَالَاتُكَ وَعَمَّاتُكَ وَحَوَاضِنُكَ اللَّاتِي كُنَّ يَكْفُلْنَكَ وَأَنْتَ خَيْرُ مَكْفُولٍ ثُمَّ أَنْشَدَهُ الْأَبْيَاتَ الْمَشْهُورَةَ أَولهَا:

امْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَرَمٍ .... فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَدَّخِرُ

امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا .... إِذْ فُوكَ تَمْلَؤُهُ مِنْ مَحْضِهَا الدُّرَرُ

وإسناده حسن، وهو في سيرة ابن هشام(٤٨٨/٢) لم أره بسنده الذي ذكره ابن حجر ومن قبله ابن كثير في«البداية والنهاية»(٣٣٨/٢)وعند ابن كثير وابن هشام زيادة :

وقال خطيبهم زهير بن صرد : فقال: يارسول اللَّهِ إِنَّ مَا فِي الْحَظَائِرِ مِنَ السَّبَايَا خَالَاتُكَ وَحَوَاضِنُكَ اللَّاتِي كُنَّ يَكْفُلْنَكَ، فَلَوْ أَنَّا ملحنا ابن أبي شمر، أوالنُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ ثُمَّ أَصَابَنَا مِنْهُمَا مِثْلَ الَّذِي أَصَابَنَا مِنْكَ رَجَوْنَا عَائِدَتَهُمَا وَعَطْفَهُمَا، وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَكْفُولِينَ....

يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ .... امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا

إذ فوك يملاه مِنْ مَحْضِهَا دِرَرُ.

فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّا لاَ نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ**» فَرَجَعَ النَّاسُ، فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ: أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا.

❁ **وهذا سياق آخر للقصَّة :**

أخرجه النسائي(١) بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ أَتَتْهُ وَفْدُ هَوَازِنَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا أَصْلٌ وَعَشِيرَةٌ، وَقَدْ نَزَلَ بِنَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا، مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ.

فَقَالَ: «**اخْتَارُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ، أَوْ مِنْ نِسَائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ**».

قَالُوا: خَيَّرْتَنَا بَيْنَ أَحْسَابِنَا وَأَمْوَالِنَا، بَلْ نَخْتَارُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِذَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ فَقُومُوا فَقُولُوا: إِنَّا نَسْتَعِينُ بِرَسُولِ اللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَوِ الْمُسْلِمِينَ فِي نِسَائِنَا وَأَبْنَائِنَا** ».

فَلَمَّا صَلَّوَا الظُّهْرَ قَامُوا، فَقَالُوا ذَاكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَمَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ**».

فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَتِ الْأَنْصَارَ: مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو تَمِيمٍ فَلَا، وَقَالَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ: أَمَّا أَنَا

(١) في «الكبرى»(٦٤٨٢).

وَبَنُو فَزَارَةَ فَلَا، وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو سُلَيْمٍ فَلَا، فَقَامَتْ بَنُو سُلَيْمٍ فَقَالُوا: كَذَبْتَ، مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، رُدُّوا عَلَيْهِمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، فَمَنْ تَمَسَّكَ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ بِشَيْءٍ فَلَهُ سِتُّ فَرَائِضَ مِنْ أَوَّلِ شَيْءٍ يَفْتَحُهُ اللهُ عَلَيْنَا».

وَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ، وَرَكِبَ النَّاسُ: اقْسِمْ عَلَيْنَا فَيْأَنَا، فَأَلْجَؤُوهُ إِلَى شَجَرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَقَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي، فَوَاللهِ لَوْ أَنَّ لَكُمْ مِثْلَ شَجَرِ تِهَامَةَ نَعَمًا قَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ لَمْ تَلْقَوْنِي بَخِيلًا، وَلَا جَبَانًا، وَلَا كَذُوبًا»**.

ثُمَّ أَتَى بَعِيرًا، فَأَخَذَ مِنْ سَنَامِهِ وَبَرَةً بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَا، إِنَّهُ لَيْسَ لِي مِنَ الْفَيْءِ شَيْءٌ، وَلَا هَذِهِ إِلَّا الْخُمُسُ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ فِيكُمْ».

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ بِكُبَّةٍ مِنْ شَعْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخَذْتُ هَذِهِ لِأُصْلِحَ بِهَا بَرْذَعَةَ بَعِيرٍ لِي، فَقَالَ: **«أَمَّا مَا كَانَ لِي، وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكَ»**، فَقَالَ: أَوَ بَلَغَتْ هَذِهِ؟.

فَلَا أَرَبَ لِي فِيهَا، وَنَبَذَهَا، وَقَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، رُدُّوا الْخِيَاطَ وَالْمِخْيَطَ؛ فَإِنَّ الْغُلُولَ يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عَارًا وَشَنَارًا وَنَارًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

❁ نزول المطر في غزوة حُنين وقوله ﷺ «صلوا في رحالكم»

أخرج ابن أبي شيبة و النسائي[1] بإسناد صحيح عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحُنَيْنٍ، فَأَصَابَنَا مَطَرٌ فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ صَلُّوا

(١) مصنف بن أبي شيبة (٢/ ٤٣) والنسائي في «الكبرى» (٩٢٩).

فِي رِحَالِكُمْ».

كذا تعليم مسائل الأحكام العملية لم ينقطع في أثناء هذه الظروف الصعبة، ولا تُعطَّل .

سرية أوطاس

ومقتل دَريد بن الصِّمةوهزيمةأصحابه [١]

وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ هَوَازِنَ لَمَّا انْهَزَمَتْ ذَهَبَتْ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ فِيهِمُ الرَّئِيسُ مَالِكُ بْنُ عوف النصري فلجأوا إِلَى الطَّائِفِ فَتَحَصَّنُوا بِهَا، وَسَارَتْ فِرْقَةٌ فَعَسْكَرُوا بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ أَوَطَاسٌ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِمْ أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ فَقَاتَلُوهُمْ فَغَلَبُوهُمْ، ثُمَّ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ فَحَاصَرَ أَهْلَ الطَّائِفِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَتَوْا الطَّائِفَ وَمَعَهُمْ مَالِكُ بْنُ عوف وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجه بعضهم إلى نَخْلَةَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيمَنْ تَوَجَّهَ نَحْوَ نَخْلَةَ إِلَّا بَنُو غَيْرَةَ مِنْ ثَقِيفٍ، وَتَبِعَتْ خَيْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَنْ سَلَكَ الثَّنَايَا.[٢]

والواضح :

---

(١) وقد ذكر ابن إسحاق أن دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً .

(٢) قاله ابن كثير في «البداية والنهاية»(٤/ ٣٨٦).

أَنَّ وَادِيَ أَوْطَاسٍ غَيْرُ وَادِي حُنَيْنٍ وَيُوَضِّحُ ذَلِكَ مَا ذَكَرَ بن إِسْحَاقَ أَنَّ الْوَقْعَةَ كَانَتْ فِي وَادِي حُنَيْنٍ وَأَن هوَازن لما انْهَزمُوا صَارَت طَائِفَة مِنْهُم إِلَى الطَّائِفِ وَطَائِفَةٌ إِلَى بَجِيلَةَ وَطَائِفَةٌ إِلَى أَوْطَاسٍ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَسْكَرًا مُقَدَّمُهُمْ أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ إِلَى مَنْ مَضَى إِلَى أَوْطَاسٍ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْبَابِ ثُمَّ تَوَجَّهَ هُوَ وَعَسَاكِرُهُ إِلَى الطَّائِفِ.(١)

وأخرج البخاري (٢) عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ وَهَزَمَ اللهُ أَصْحَابَهُ، قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ، رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمِّ مَنْ رَمَاكَ؟

فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى رضي الله عنه فَقَالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي، فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى، فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلاَ تَسْتَحْيِي،أَلاَ تَثْبُتُ، فَكَفَّ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ.

ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللهُ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ المَاءُ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَقْرِئِ النَّبِيَّ ﷺ السَّلاَمَ، وَقُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي.

وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكُثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ

---

(١) قاله الحافظ ابن حجر في«فتح الباري»(٨/٤٢).

(٢) برقم (٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٩٨).

وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ

فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ**». وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ**».

فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا**».

قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ، وَالأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى.

❁ أمر سبي أوطاس

أخرج مسلم[1] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ بَعَثَ جَيْشًا إِلَى أَوْطَاسَ، فَلَقُوا عَدُوًّا، فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ، وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا، فَكَأَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَحَرَّجُوا مِنْ غِشْيَانِهِنَّ مِنْ أَجْلِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} ﷺ، أَيْ: فَهُنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ.

وقد استدل جماعة من العلماء على إباحة الأمة المشركة[2] بدلالة

---

(١) برقم(١٤٥٦).

(٢) وذلك أن الإماء الكتابيات حلال بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ

ما حصل لسبي أوطاس، ولكن جمهور العلماء على أنهن حرام ، وقالوا : هذه قضية عين، فلعلهن أسلمن أو كنَّ كتابيات، والله أعلم .

غزوة الطائف

وهي سنة ثمان للهجرة،على قول جمهور أهل المغازي.

والطائف بلد كبير مشهور كثير الأعناب والنخيل على بعد ثلاثة مراحل من مكة من جهة المشرق(١).

وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ حُنَيْنٍ وَحَبَسَ الْغَنَائِمَ بِالْجِعْرَانَةِ وَكَانَ مَالِكُ ابْنُ عَوْفٍ النَّضْرِيُّ قَائِدَ هَوَازِنَ لَمَّا انْهَزَمَ دَخَلَ الطَّائِفَ وَكَانَ لَهُ حِصْنُ بَلِيَةَ وَهِيَ بِكَسْرِ اللَّامِ وَتَخْفِيفِ التَّحْتَانِيَّةِ عَلَى أَمْيَالٍ مِنَ الطَّائِفِ فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ سَائِرٌ إِلَى الطَّائِفِ فَأَمَرَ بِهَدْمِهِ .(٢)

ولم أقف لذلك على أسانيد فالله أعلم بحقيقة ما كان .

=

عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ المائدة. أما المشركات فنكاحهن حرام لقوله تعالى﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ ﴿٢٢١﴾ ﴾ البقرة. هذا هو المستقرّ، والله أعلم .

(١) وقد قال الحافظ في«الفتح»(٨/٤٣):هُوَ بَلَدٌ كَبِيرٌ مَشْهُورٌ كَثِيرُ الْأَعْنَابِ وَالنَّخِيلِ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ أَوِ اثْنَتَيْنِ مِنْ مَكَّةَ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ قِيلَ أَصْلُهَا أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اقْتَلَعَ الْجَنَّةَ الَّتِي كَانَتْ لِأَصْحَابِ الصَّرِيمِ فَسَارَ بِهَا إِلَى مَكَّةَ فَطَافَ بِهَا حَوْلَ الْبَيْتِ ثُمَّ أَنْزَلَهَا حَيْثُ الطَّائِفِ فَسُمِّيَ الْمَوْضِعُ بِهَا وَكَانَتْ أَوَّلًا بِنَوَاحِي صَنْعَاءَ.

(٢) قاله الحافظ في «الفتح»(٨/٤٣-٤٤) .

تنبيه:

ورد عن عَبْد اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ حِينَ خَرَجْنَا مَعَهُ إِلَى الطَّائِفِ، فَمَرَرْنَا بِقَبْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ، وَكَانَ بِهَذَا الْحَرَمِ يَدْفَعُ عَنْهُ، فَلَمَّا خَرَجَ أَصَابَتْهُ النِّقْمَةُ الَّتِي أَصَابَتْ قَوْمَهُ بِهَذَا الْمَكَانِ، فَدُفِنَ فِيهِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ دُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ، إِنْ أَنْتُمْ نَبَشْتُمْ عَنْهُ أَصَبْتُمُوهُ مَعَهُ**»، فَابْتَدَرَهُ النَّاسُ فَاسْتَخْرَجُوا الْغُصْنَ .

فهذا على شهرته لا يصح له سند فيما وقفت عليه.[1]

ولكن !

أخرج أحمد[2] عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْحِجْرِ، قَالَ: «**لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ، وَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ، فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَعَقَرُوهَا، وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا، وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا، فَعَقَرُوهَا، فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْمَدَ اللهُ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ، إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللهِ**» ، قِيلَ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:

«**هُوَ أَبُو رِغَالٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ**».

وإسناده حسن.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٨٨) والبيهقي(٤/ ٢٦٥) وفي سنده جهالة .

(٢) برقم (١٤١٦٠) .

وأخرجه ابن حبان[١] أيضاً وغيره وسُمِّي فيه :«أبو رغال ثقيف» ، لكن ليس فيه أن ذلك كان وهو في مسيره ﷺ إلى الطائف ، لكنه محتمل والله أعلم.

❁ غزوة الطائف وحصار النبي ﷺ وأصحابه للطائف رضي الله عنهم

المشهور أن رسول الله ﷺ حينما ذهب إلى الطائف حاصرهم لما تحصَّنوا . فأخرج البخاري[٢] عن سعد رضي الله عنه وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَبِي بَكْرَةَ، وَكَانَ تَسَوَّرَ حِصْنَ الطَّائِفِ فِي أُنَاسٍ فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالاَ: سَمِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ**».

وفي رواية[٣]:

عَنْ أَبِي العَالِيَةِ، أَوْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدًا وَأَبَا بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: عَاصِمٌ قُلْتُ: لَقَدْ شَهِدَ عِنْدَكَ رَجُلاَنِ حَسْبُكَ بِهِمَا، قَالَ: أَجَلْ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَأَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَنَزَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثَالِثَ ثَلاَثَةٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الطَّائِفِ ».

وقد ورد أن رسول الله ﷺ استخدم المنجنيق في هذا الحصار،ولم أجد لذلك إسناداً يصح والله أعلم .

❁ حضُّ النبي ﷺ على رميهم بالسهام

---

(١) في «صحيحه»(٦١٩٧) .

(٢) برقم (٤٣٢٦) .

(٣) في صحيح البخاري(٤٣٢٧) .

أخرج أبو داود بإسناد على شرط مسلم[١] عَنْ أَبِي نَجِيحٍ السُّلَمِيِّ، قَالَ: حَاصَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِقَصْرِ الطَّائِفِ - قَالَ مُعَاذٌ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ بِقَصْرِ الطَّائِفِ بِحِصْنِ الطَّائِفِ كُلَّ ذَلِكَ - فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «**مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَهُ دَرَجَةٌ**» وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَاعِلٌ وِقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهِ مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ أَعْتَقَتِ امْرَأَةً مُسْلِمَةً فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ وِقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهَا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» .

❁ إصرار الصحابة رضي الله عنهم على فتح الطائف

أخرج البخاري[٢] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: لَمَّا حَاصَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الطَّائِفَ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا[٣] قَالَ: «**إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ**». فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ[٤]، وَقَالُوا: نَذْهَبُ وَلاَ نَفْتَحُهُ، وَقَالَ مَرَّةً: «نَقْفُلُ». فَقَالَ: «**اغْدُوا عَلَى القِتَالِ**». فَغَدَوْا

---

(١) برقم (٣٩٦٥) وأخرجه أحمد(١٧٠٢٢) وفي إسناده سالم بن أبي الجعدعن معدان بن أبي طلحة عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه، ورواية سالم – وإن كان مدلساً-عن معدان في صحيح مسلم

(٢) صحيح البخاري(٤٣٢٥)ومسلم (١٧٧٨) .

(٣) أي لم يفتحه.

(٤) فثقل عليهم: اشتدعليهم الرجوع دون فتح.

فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ[1]، فَقَالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ». فَأَعْجَبَهُمْ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ .

قال النووي:

مَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّهُ ﷺ قَصَدَ الشَّفَقَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَالرِّفْقَ بِهِمْ بِالرَّحِيلِ عَنِ الطَّائِفِ لِصُعُوبَةِ أَمْرِهِ وَشِدَّةِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ فِيهِ وَتَقْوِيَتِهِمْ بِحِصْنِهِمْ مع أنه ﷺ علم أورجى أَنَّهُ سَيَفْتَحُهُ بَعْدَ هَذَا بِلَا مَشَقَّةٍ كَمَا جَرَى فَلَمَّا رَأَى حِرْصَ أَصْحَابِهِ عَلَى الْمُقَامِ وَالْجِهَادِ أَقَامَ وَجَدَّ فِي الْقِتَالِ فَلَمَّا أَصَابَتْهُمُ الْجِرَاحُ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ قَصَدَهُ أَوَّلًا مِنَ الرِّفْقِ بِهِمْ فَفَرِحُوا بِذَلِكَ لِمَا رَأَوْا مِنَ الْمَشَقَّةِ الظَّاهِرَةِ وَلَعَلَّهُمْ نَظَرُوا فَعَلِمُوا أَنَّ رَأْيَ النَّبِيِّ ﷺ أَبْرَكُ وَأَنْفَعُ وَأَحْمَدُ عَاقِبَةً وَأَصْوَبُ مِنْ رَأْيِهِمْ فَوَافَقُوا عَلَى الرَّحِيلِ وَفَرِحُوا فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ تَعَجُّبًا مِنْ سُرْعَةِ تَغَيُّرِ رَأْيِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ.

❁ مدة الحصار وما كان من الأنصار رضي الله عنهم :

ذُكر أن مدة الحصار كانت ثلاثين ليلة أو قريبًا من ذلك ، ثم انصرف ﷺ ، وأنه ﷺ دعا لهم عند منصرفه .

---

(١) أصابهم جراح : لأن أهل الحصن رَمُوا عليهم من أعلى السور، فكانوا ينالون منهم بسهامهم،ولا تصل سهام المسلمين إليهم ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح»أنهم رموا على المسلمين سكك الحديد المُحمَّاة ، فلما رأوا ذلك تبين لهم تصويب الرجوع، فلما أعاد ﷺ عليهم القول بالرجوع أعجبهم حينئذ .

قال ابن هشام[١]: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ انْصَرَفَ عَنْ الطَّائِفِ عَلَى دَحْنَا[٢] حَتَّى نَزَلَ الْجِعْرَانَةَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ النَّاسِ، وَمَعَهُ مِنْ هَوَازِنَ سَبْيٌ كَثِيرٌ وَقَدْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَوْمَ ظَعَنَ عَنْ ثَقِيفٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، اُدْعُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَأْتِ بِهِمْ**»[٣].

وقد ذُكر أنه استشهد بالطائف اثني عشر رجلاً، سبعة من قريش وأربعة من الأنصار.

---

(١) في «السيرة النبوية»(٢/ ٤٨٨).

(٢) دحنا: مكان من مخاليف الطَّائِف.

(٣) وقد أخرج أحمد (١٤٧٠٢) والترمذي(٣٩٤٢) وغيرهما بإسنادٍ على شرط مسلم عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، وَأَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا**» – ورواية الترمذي عن أبي الزبير وحده- .ولعل هذا هو السبب في هدايتهم – إن صح الحديث – .

وقد روي الحديث مرسلاً .أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤١١) .

وله شاهد أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة»(٢/ ٤٩٩)..ومع كل هذا فقد ذكر ابن أبي حاتم لأبيه في «العلل»(٢٠٨٠)طريقاً له فقال :«يروى هذا الحديث مرسلا ».

تنبيه :

في الطائف المرأة التي ذكرها عبد الله بن أبي أمية أخو أم سلمة رضي الله عنها . كما في صحيح البخاري (٤٣٢٤) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، وَعِنْدِي مُخَنَّثٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَدًا، فَعَلَيْكَ بِابْنَةِ غَيْلاَنَ، فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ، وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ يَدْخُلَنَّ هَؤُلاَءِ عَلَيْكُنَّ**» ويبدو أن أم سلمة كانت معهم في هذه الغزوة .

وأخرج أحمد ومسلم [١] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: فَتَحْنَا مَكَّةَ ثُمَّ إِنَّا غَزَوْنَا حُنَيْنًا، فَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ بِأَحْسَنِ صُفُوفٍ رُئِيَتْ - أَوْ رَأَيْتَ - فَصُفَّ الْخَيْلُ، ثُمَّ صُفَّتِ الْمُقَاتِلَةُ، ثُمَّ صُفَّتِ النِّسَاءُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، ثُمَّ صُفَّتِ الْغَنَمُ، ثُمَّ صُفَّتِ النَّعَمُ، قَالَ: وَنَحْنُ بَشَرٌ كَثِيرٌ قَدْ بَلَغْنَا سِتَّةَ آلَافٍ، وَعَلَى مُجَنِّبَةِ خَيْلِنَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: فَجَعَلَتْ خُيُولُنَا تَلُوذُ خَلْفَ ظُهُورِنَا، قَالَ: فَلَمْ نَلْبَثْ أَنْ انْكَشَفَتْ خَيْلُنَا، وَفَرَّتِ الْأَعْرَابُ وَمَنْ تَعْلَمُ مِنَ النَّاسِ.

قَالَ: فَنَادَى رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، يَا لَلْمُهَاجِرِينَ**» ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا لَلْأَنْصَارِ، يَا لَلْأَنْصَارِ**» ، قَالَ أَنَسٌ: هَذَا حَدِيثُ عِمِّيَّةٍ، قَالَ: قُلْنَا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ:« **وَأَيْمُ اللهِ مَا أَتَيْنَاهُمْ حَتَّى هَزَمَهُمُ اللهُ**»، قَالَ: فَقَبَضْنَا ذَلِكَ الْمَالَ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الطَّائِفِ، فَحَاصَرْنَاهُمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى مَكَّةَ، قَالَ: فَنَزَلْنَا، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِي الرَّجُلَ الْمِائَةَ، وَيُعْطِي الرَّجُلَ الْمِائَةَ[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٢٦٠٨) ومسلم (١٠٥٩).

(٢) وفي صحيح مسلم (١٠٦٠) عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، قَالَ: «أَعْطَى رَسُولُ الله ﷺ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَبَّاسَ بْنَ مِرْدَاسٍ دُونَ ذَلِكَ»، فَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ ... بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ

فَمَا كَانَ بَدْرٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ

وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا ... وَمَنْ تَخْفِضِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ

قَالَ: «فَأَتَمَّ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ مِائَةً».

قَالَ: فَتَحَدَّثَتِ الْأَنْصَارُ بَيْنَهَا، أَمَّا مَنْ قَاتَلَهُ فَيُعْطِيهِ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يُقَاتِلْهُ فَلَا يُعْطِيهِ قَالَ: فَرُفِعَ الْحَدِيثُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ أَمَرَ بِسَرَاةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**لَا يَدْخُلْ عَلَيَّ إِلَّا أَنْصَارِيٌّ أَوِ الْأَنْصَارُ**» قَالَ: فَدَخَلْنَا الْقُبَّةَ حَتَّى مَلَأْنَا الْقُبَّةَ، قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: « **يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ** – أَوْ كَمَا قَالَ: – **مَا حَدِيثٌ أَتَانِي؟** » قَالُوا: مَا أَتَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا حَدِيثٌ أَتَانِي؟**» . قَالُوا: مَا أَتَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ حَتَّى تَدْخُلُوا بُيُوتَكُمْ؟**» ، قَالُوا: رَضِينَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ أَخَذَ النَّاسُ شِعْبًا، وَأَخَذَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَأَخَذْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ**» قَالُوا: رَضِينَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَارْضَوْا**» أَوْ كَمَا قَالَ.

قال الحافظ ابن كثير :

«وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَفِيهِ مِنَ الْغَرِيبِ قَوْلُهُ «أَنَّهُمْ كَانُوا يَوْمَ هَوَازِنَ سِتَّةَ آلَافٍ »وَإِنَّمَا كانوا في اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَقَوْلُهُ «إِنَّهُمْ حَاصَرُوا الطَّائِفَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» وَإِنَّمَا حَاصَرُوهَا قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ ودون الْعِشْرِينَ لَيْلَةً فَاللهُ أَعْلَمُ ».[1]

❁ ومن أظهر فوائد غزوة الطائف :

أن الصبي المميز والمخنث وإن تعطَّل عضوه فإنه يُمنَع من الدخول على النساء لا لنفسه ولكن لكونة يصف للرجال، كما في وصف المخنَّث لابنة غيلان

❁ ومن ذلك: الحرص على الوقت:

---

(١) «البداية والنهاية»(٤/ ٤٠٨) .

فالحصار لماكان لا ينفع كان رأي النبي ﷺ الانصراف لمصلحة الصحابة ﷺ وفي ذلك التخفيف عليهم ، ولكن همَّة الصحابة ﷺ جعلتهم يُصرُّون على الحصار لفتح البلدة – وقارن بين همة أصحاب النبي محمد ﷺ وقولهم وصنيعهم، قارنه بقول أصحاب موسى ﷺ لمَّا قال لهم ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ المائدة!

فلما شق على الصحابة وافقوا قول رسول الله ﷺ .....والفوائد كثيرة .

بيان حكمة النبي ﷺ في العطاء لقوم دون آخرين و في معالجة الأمور

أخرج البخاري [1] عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ: قَالَ نَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ، حِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَا أَفَاءَ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي رِجَالًا المِائَةَ مِنَ الإِبِلِ.

فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَحُدِّثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ**».

فَقَالَ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ: أَمَّا رُؤَسَاؤُنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا

(١) برقم (٤٣٣١) .

، وَأَمَّا نَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَوَاللهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ**» .

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ رَضِينَا، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ : «**سَتَجِدُونَ أُثْرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ فَإِنِّي عَلَى الحَوْضِ**»(١)

قَالَ أَنَسٌ: «فَلَمْ يَصْبِرُوا» .

وفي رواية :(٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، قَالَ: جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: «**إِنَّ قُرَيْشًا حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ، وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَجْبُرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى بُيُوتِكُمْ**» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «**لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ، أَوْ شِعْبَ الأَنْصَارِ**» .

وفي رواية (٣): وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَهُوَ العَجَبُ، إِنَّ سُيُوفَنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَاءِ قُرَيْشٍ، وَغَنَائِمُنَا تُرَدُّ عَلَيْهِمْ....

---

(١)وهذا دليل على أن من أسباب الورود على حوض نبينا ﷺ الصبر على استئثار الأُمراء بالدنيا .

(٢) عند البخاري(٤٣٣٤) .

(٣) كما في صحيح البخاري(٣٧٧٨) ومسلم (١٠٥٩) .

❁ ومن أجمع الأحاديث في ذلك:

ما أخرجه أحمد (١) بإسناد حسن عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: «**فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟.

قَالَ: «**فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ**» .

قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ، فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟**» ، قَالُوا: بَلِ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ. قَالَ: «**أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ**».

قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ.

---

(١) برقم (١١٧٣٠) .

قَالَ: «أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ» (١)

قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا.

متابعة بعض ما حصل لرسول الله من الأعراب بسبب العطاء (٢)

أخرج البخاري (٣) عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجِعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، وَمَعَهُ بِلاَلٌ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَلاَ تُنْجِزُ لِي مَا وَعَدْتَنِي؟ فَقَالَ لَهُ: «أَبْشِرْ» فَقَالَ: قَدْ أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ أَبْشِرْ، فَأَقْبَلَ عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلاَلٍ كَهَيْئَةِ الغَضْبَانِ، فَقَالَ:

---

(١) وانظر صحيح مسلم (٢٥٠٦).

(٢) وكم تفسد الدنيا قلوباً إذا فتح بالمال على أصحابها، فنسأل الله العافية.

(٣) برقم (٤٣٢٨) ومسلم (٢٤٩٧).

«**رَدَّ البُشْرَى، فَاقْبَلاَ أَنْتُمَا**» قَالاَ: قَبِلْنَا، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ:

«**اشْرَبَا مِنْهُ، وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا وَأَبْشِرَا**».

فَأَخَذَا القَدَحَ فَفَعَلاَ، فَنَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ: أَنْ أَفْضِلاَ لِأُمِّكُمَا، فَأَفْضَلاَ لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً».

ولقد قسَم الله الحكمة بين خَلقه فمِن مُقلٍ ومستكثر، فأبصرهم وأبصر الأعرابي

وهذا كحال بني تميم لمَّا لم يقبلو البشرى فقال ﷺ: «...**يَا أَهْلَ اليَمَنِ، اقْبَلُوا البُشْرَى إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ...**»!

وقصَّتهم في صحيح البخاري (٣١٩٠) فيا لله كم كسب هؤلاء وكم خسر هؤلاء ؟!

وأخرج البخاري أيضًا[1] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ «أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ».

(١) البخاري (٣١٤٩) ومسلم (١٠٥٧).

لكن ليس هذا بصريح أنه في هذا التوقيت[١] فكم تحمَّل ﷺ !

❁ من أثر عطاء رسول الله ﷺ في الناس

أخرج مسلم عَنِ ابْنِ شِهَابٍ[٢]، قَالَ: «غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: «وَاللهِ

---

(١) وأنبِّه على حديث فيه ضعف على شهرته عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا نَقْعُدُ مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِذَا قَامَ قُمْنَا، فَقَامَ يَوْمًا فَقُمْنَا مَعَهُ، حَتَّى لَمَّا بَلَغَ وَسَطَ الْمَسْجِدِ أَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ مِنْ وَرَائِهِ، وَكَانَ رِدَاؤُهُ خَشِنًا، فَحَمَّرَ رَقَبَتَهُ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرَيَّ هَذَيْنِ، فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ مِنْ مَالِكَ، وَلَا مِنْ مَال أَبِيكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، لَا أَحْمِلُ لَكَ حَتَّى تُقِيدَنِي مِمَّا جَبَذْتَ بِرَقَبَتِي**» فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا، وَاللهِ لَا أُقِيدُكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: لَا، وَاللهِ لَا أُقِيدُكَ، فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَ الْأَعْرَابِيِّ أَقْبَلْنَا إِلَيْهِ سِرَاعًا، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**عَزَمْتُ عَلَى مَنْ سَمِعَ كَلَامِي أَنْ لَا يَبْرَحَ مَقَامَهُ حَتَّى آذَنَ لَهُ**»، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِرَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ: «**يَا فُلَانُ، احْمِلْ لَهُ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرًا، وَعَلَى بَعِيرٍ تَمْرًا**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**انْصَرَفُوا**». فهذا بهذا السياق لا يصح.

وقد أخرجه النسائي في «الكبري»(٦٩٥٢) وأبو داود(٤٧٧٥) وغيرهما وفي سنده مجهول ، والصحيح ما تقدم والله أعلم .

(٢) برقم (٢٣١٢) وقد رواه ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن صفوان ،وانظر سنن الترمذي (٦٦٦) .

لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ».

وفي صحيح مسلم [١] عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: «أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ» فَقَالَ أَنَسٌ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا».

نعم ما كان رسول الله يسأل شيئًا فيقول :لا.

وقد ورِث هذا النهج من بعده الخليفة أبو بكر وغيره.[٢]

قدوم مالك بن عوف النصري إلى النبي ﷺ مسلماً

روى مُحَمَّد بْن إِسْحَاقَ مرسلاً أن رَسُولُ الله ﷺ قال : لوفد هوَازن، وَسَأَلَهُمْ عَنْ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ مَا فَعَلَ؟ فَقَالُوا: هُوَ بِالطَّائِفِ مَعَ ثَقِيفٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

أَخْبِرُوا مَالِكًا أَنَّهُ إِنْ أَتَانِي مُسْلِمًا رَدَدْتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَاله، وأعطيته مائَة مِنْ الْإِبِلِ، فَأَتَى مَالِكٌ بِذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنْ الطَّائِفِ. وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ خَافَ ثَقِيفًا عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ مَا قَالَ، فَيَحْبِسُوهُ، فَأَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَهُيِّئَتْ لَهُ، وَأَمَرَ بِفَرَسٍ لَهُ، فَأُتِيَ بِهِ إِلَى الطَّائِفِ، فَخَرَجَ لَيْلًا، فَجَلَسَ عَلَى فَرَسِهِ، فَرَكَضَهُ

---

(١) برقم (٢٣١٢).

(٢) راجع صحيح مسلم (٢٣١٤).

حَتَّى أَتَى رَاحِلَتَهُ حَيْثُ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُحْبَسَ، فَرَكِبَهَا، فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَدْرَكَهُ بِالْجِعْرَانَةِ أَوْ بِمَكَّةَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَاله، وَأَعْطَاهُ مائَة مِنْ الْإِبِلِ، وَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ حِينَ أَسْلَمَ:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ ... فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدِ

أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اُجْتُدِيَ ... وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِي غَدِ(١)

وَإِذَا الْكَتِيبَةُ عَرَّدَتْ أَنْيَابُهَا ... بِالسَّمْهَرِيِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدِ (٢)

فَكَأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ ... وَسْطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرْصَدِ (٣)

فَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، وَتِلْكَ الْقَبَائِلُ:

ثُمَالَةُ، وَسَلِمَةُ (٤) ، وَفَهْمٌ، فَكَانَ يُقَاتِلُ بِهِمْ ثَقِيفًا، لَا يَخْرُجُ لَهُمْ سَرْحٌ إِلَّا أَغَارَ عَلَيْهِ، حَتَّى ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ

فَقَالَ أَبُو مِحْجَنِ (٥) بْنُ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ الثَّقَفِي:

---

(١) هذا خطأ عقدي،ولم يثبت سنده كما سيأتي، وقد أنكر ﷺ نحوه لما قَالَتْ جَارِيَةٌ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«**لاَ تَقُولِي هَكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ**»أخرجه البخاري (٤٠٠١)

(٢) عردت أنيابها: قويت واشتدت. والسمهري: الرمح. والمهند: السَّيف.

(٣) الهباءة: الْغُبَار يثور عِنْد اشتداد الْحَرْب. والخادر: الْأسد فِي عرينه، وَهُوَ حِينَئِذٍ أَشد مَا يكون بَأْساً لخوفه على أشباله، يصفه بِالْقُوَّةِ. والمرصد: الْمَكَان يرقب مِنْهُ، يصفه باليقظة.

(٤) اسم لقبيلتين .

(٥) أَبُو محجن: اسْمه مَالك بن حبيب، على ما في هامش «السيرة »لابن هشام .

هَابَتْ الْأَعْدَاءُ جَانِبَنَا ... ثُمَّ تَغْزُونَا بَنُو سَلِمَهْ

وَأَتَانَا مَالِكٌ بِهِمْ ... نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحُرْمَهْ .[1]

تطييب النبي ﷺ خواطر من لم يعطهم حكمة منه .

تقدم جزمه ﷺ أنه يعطي ناسـًا لحكمة منه ﷺ يتألفهم خشية أن يكبهم الله في النار ، فهو يرغِّبهم في الإسلام ليدخلوا الجنة، لكنه ﷺ على الصعيد الآخر يطيب خواطر من لم يعطه، ويبين لأفراد وجه الحكمة –إذا رأى أهليتهم لذلك كما كان يسر لبعضهم بأسماء المنافقين دون البعض، وكما كان يورّي بأماكن إرادة غزوه إلا عن البعض، وكما كان يسر لبعضهم بأسماء أمراء السوء الصبيان يُسرّ به لبعضهم بما لم يسرّ به للبعض الآخر ...وهذا باب واسع .

والمقصود هنا هو بيان حكمته في تطييب خواطر أقوام لم يعطهم وتبيين وجه الحكمة في ذلك لغيرهم ..

فمن ذلك :

ما أخرجه البخاري[2] عن عَمْرِو بْن تَغْلِب رضي الله عنه قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ، فَكَأَنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**إِنِّي أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلَعَهُمْ**

---

(١) أخرج ذلك ابن إسحاق كما في «السيرة»لابن هشام (٢/ ٤٩١) والطبراني في«الكبير» (١٩/ ٣٠٢) رقم (٦٧٣) وأبو نعيم في «المعرفة »(٦٠٢٣) والبيهقي في «الدلائل »وغيرهم مرسلاً... فهو ضعيف على شهرته، فقد أردت التنبيه على ضعفة، وفي الكلام أخطاء .

(٢) برقم (٣١٤٥) .

وَجزَعَهُمْ[١]، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الخَيْرِ وَالغِنَى، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ».

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ

وفي رواية [٢]:أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ - أَوْ سَبْيٍ - فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:«أَمَّا بَعْدُ فَوَاللهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي = أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ».

وفي رواية مسلم [٣]عن سعد رضي الله عنه قال: أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ، قَالَ: فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ رَجُلًا لَمْ يُعْطِهِ، وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ وَاللهِ، إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» قَالَ: «إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ».

---

(١) ظلعهم:أصل الظلع الاعوجاج والميل والمراد هنا مرض القلب وضعف اليقين.

(٢) في صحيح البخاري(٩٢٣) .

(٣) برقم (١٥٠) .

وأخرج ابن وهب في «الجامع»[١] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ: «**كَيْفَ تَرَى جُعَيْلًا؟**» قَالَ: فَقُلْتُ: مِسْكِينًا كَشَكْلِهِ مِنَ النَّاسِ. قَالَ: «**فَكَيْفَ تَرَى فُلَانًا؟**» قُلْتُ: سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ النَّاسِ.

قَالَ: «**فَجُعَيْلٌ خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ أَوْ آلَافٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ فُلَانٍ**».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَفُلَانٌ هَكَذَا أَوْ أَنْتَ تَصْنَعُ بِهِ مَا تَصْنَعُ؟ فَقَالَ: « إِنَّهُ رَأْسُ قَوْمِهِ، فَأَنَا أَتَأَلَّفُهُمْ فِيهِ » .

اعتراض بعض الجهلة -سلف الخوارج- من أهل الشقاق على رسول الله ﷺ في قسمته[٢]

أخرج البخاري[٣] عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قِسْمَةَ حُنَيْنٍ، قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: مَا أَرَادَ بِهَا وَجْهَ اللهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ: «**رَحْمَةُ اللهِ عَلَى مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**» .

---

(١) أخرجه ابن وهب في «الجامع»(٣٤) وابن عبد الحكم في «فتوح مصر»ص ٣١٦ وأبو نعيم في «الحلية » (١/ ٣٥٣) عن عمرو بن الحارث عن بكر بن سوادة عن أبي سالم الجيشاني عن أبي ذر رضي الله عنه به. وإسناده صحيح كما قال الحافظ في «الإصابة »(١/ ٥٦٩).

وله شاهد مرسل أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٤٥١) عن محمد بن الحارث التيمي مرسلاً بنحو منه .

(٢) بوَّب ابن كثير في «البداية والنهاية »(٤/ ٣٦٢) بنحوه فقال :«ذكر اعْتِرَاضُ بَعْضِ الْجَهَلَةِ مِنْ أَهْلِ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْقِسْمَةِ الْعَادِلَةِ بِالِاتِّفَاقِ».

(٣) برقم (٤٣٣٥) ومسلم (١٠٦٢) .

وفي رواية [١] عَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ نَاسًا، أَعْطَى الأَقْرَعَ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى

عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى نَاسًا، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُرِيدَ بِهَذِهِ القِسْمَةِ وَجْهُ اللهِ، فَقُلْتُ: لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**».

وفي لفظ [٢]: قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ، قَالَ فَقُلْتُ:

وَاللهِ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**» **قَالَ قُلْتُ**: «**لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا**».

وفي حديث جابر رضي الله عنه [٣] قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبِضُ مِنْهَا، يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ، قَالَ: «**وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ

---

(١) في صحيح البخاري (٤٣٣٦) ومسلم(١٠٦٢).

(٢) في صحيح مسلم (١٠٦٢).

(٣) الذي أخرجه مسلم (١٠٦٣).

فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: «مَعَاذَ اللهِ، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» .

وفي رواية (١):

بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْسِمُ غَنِيمَةً بِالْجِعْرَانَةِ، إِذْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: اعْدِلْ، فَقَالَ لَهُ: «لَقَدْ شَقِيتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ».

وفي الصحيحين (٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْدِلْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

«وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه : يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ. يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ - وَهُوَ الْقِدْحُ - ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا

---

(١) في صحيح البخاري(٣١٣٨) .

(٢) البخاري برقم (٦١٦٣) ومسلم (١٠٦٤) واللفظ له .

يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَتَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ، فَوُجِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ، عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي نَعَتَ»

وقد سُقت مرويات أحاديث الخوارج مع تتبع ألفاظ حديث رأس الخوارج وإمامهم هذا ورئيسهم وإمامهم في كتابي «مناصحة الخوارج ومن تأثر بهم» (١) فليراجعه من شاء.

تنبيه :

اشتهر أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَئِذٍ: إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى بِجَادٍ، رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ ابْنِ بَكْرٍ، فَلَا يُفْلِتَنَّكُمْ، وَكَانَ قَدْ أَحْدَثَ حَدَثًا، فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ سَاقُوهُ وَأَهْلَهُ، وَسَاقُوا مَعَهُ الشَّيْمَاءَ، بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى أُخْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ الرَّضَاعَةِ، فَعَنُفُوا عَلَيْهَا فِي السِّيَاقِ، فَقَالَتْ لِلْمُسْلِمِينَ: تَعَلَمُون وَاَللهِ أَنِّي لَأُخْتُ صَاحِبِكُمْ مِنْ الرَّضَاعَةِ، فَلَمْ يُصَدِّقُوهَا حَتَّى أَتَوْا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَلَمَّا انْتُهِيَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُخْتُكَ مِنْ الرَّضَاعَةِ، قَالَ: وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: عَضَّةٌ عَضَضْتَنِيهَا فِي ظَهْرِي وَأَنَا

---

(١) سقت فيه أحاديث الخوارج وصفاتهم وأعمالهم مع ذكر مناصحات السلف فمن بعدهم لهم، وفيه ذكر مواجهات أهل السنة لمن خرج من ضئضئه، والله المستعان.

مُتَوَرِّكَتُكَ [١]، قَالَ: فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَلَامَةَ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ، فَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ، وخيَّرها، وَقَالَ: إِنْ أَحْبَبْتِ فَعِنْدِي مُحَبَّةٌ مُكْرَمَةٌ، وَإِنْ أَحْبَبْت أَن أمتّعك [٢] وَتَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكَ فَعَلْتُ، فَقَالَتْ: بَلْ تُمَتِّعُنِي وَتَرُدُّنِي إِلَى قَوْمِي.

فَمَتَّعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَدَّهَا إِلَى قَوْمِهَا.

فَزَعَمَتْ بَنُو سَعْدٍ أَنَّهُ أَعْطَاهَا غُلَامًا لَهُ يُقَالُ لَهُ مَكْحُولٌ، وَجَارِيَةً، فَزَوَّجَتْ أَحَدَهُمَا الْأُخْرَى، فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ مِنْ نَسْلِهِمَا بَقِيَّةٌ.

فهذا لا يصح له سند فيما وقفت عليه .

إنما رواه ابن إسحاق[٣] مرسلاً، قد أردت التنبيه على ضعفه والحمد لله .

عمرة الجعرانة [٤]

معلوم أن رسول الله ﷺ حج حجة واحدة وهي حجة الوداع ، وذلك كما في حديث أنس رضي الله عنه [٥] قَالَ: اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرْبَعَ عُمَرٍ، كُلَّهُنَّ فِي ذِي القَعْدَةِ،إِلَّا الَّتِي كَانَتْ مَعَ حَجَّتِهِ: عُمْرَةً مِنَ الحُدَيْبِيَةِ فِي ذِي القَعْدَةِ، وَعُمْرَةً

---

(١) متوركتك: حاملتك على وركي.

(٢) أمتعك: أَي أُعْطِيك مَا يكون بِهِ الإمتاع، أَي الِانْتِفَاع.

(٣) كما في «السيرة النبوية »لابن هشام (٢/ ٤٥٨) .

(٤) والجعرانة:موضع خارج الحرم، قال ابن كثير(٤/ ٤٢٢) :«وهم كَالْمُجْمِعِينَ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ بَعْدَ غَزْوَةِ الطَّائِفِ وَقَسْمِ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ» ثم ذكردلائل لذلك .

(٥) أخرجه البخاري (٤١٤٨) ومسلم (١٢٥٣) .

مِنَ العَامِ المُقْبِلِ [١] فِي ذِي القَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مِنَ الجِعْرَانَةِ، حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ فِي ذِي القَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مَعَ حَجَّتِهِ .

وعمرة الجعرانة هذه : اعتمرها النبي ﷺ حيث قسم غنائم حنين .

وقد قال أنس رضي الله عنه : «اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الجِعْرَانَةِ، حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ»[٢] .

ولا حجة في قول من أنكر أن رسول الله ﷺ اعتمر عمرة الجعرانة كابن عمر رضي الله عنه ، ونافع مولاه، فقد أنكره عليه غيره من الصحابة رضي الله عنهم[٣] .

---

(١) وهي عمرة القضاء سميت بذلك لأن رسول الله ﷺ قضىٰ فيها العمرة التي حُبسها في العام قبله بالحديبية ، فقضاها في العام المقبل ، وقد صُرِّح كما تقدم في الأحاديث بتسميتها عمرة القضاء .

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٦٦) .

(٣) ففي صحيح مسلم (١٦٥٦)عَنْ نَافِعٍ،قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ عُمْرَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْجِعْرَانَةِ، فَقَالَ: لَمْ يَعْتَمِرْ مِنْهَا.

قَالَ نَافِعٌ: وَلَمْ يَعْتَمِرْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْجِعْرَانَةِ وَلَوِ اعْتَمَرَ لَمْ يَخْفَ عَلَى عَبْدِ اللهِ بن عمر وذلك عقب رواية البخاري (٣١٤٤) . ولذلك قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»(٤/ ٤٢٠):« وَهَذَا غَرِيبٌ جِدًّا عَنِ ابْنِ عمر ،وعن مَوْلَاهُ نَافِعٍ فِي إِنْكَارِهِمَا عُمْرَةَ الْجِعْرَانَةِ وَقَدْ أَطْبَقَ النَّقَلَةُ مِمَّنْ عَدَاهُمَا عَلَى رِوَايَةِ ذَلِكَ مِنْ أَصْحَابِ الصِّحاح وَالسُّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ وَذَكَرَ ذَلِكَ أصحاب المغازي والسنن كُلُّهُمْ وَهَذَا أَيْضًا كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ البخاري(١٧٧٦) ومسلم(١٢٥٥)مِنْ حَدِيثِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا أَنْكَرَتْ عَلَى ابْنِ عُمَرَ قَوْلَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ وَقَالَتْ: يَغْفِرُ اللهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَا وَهُوَ شَاهِدٌ، وَمَا اعْتَمَرَ

❁ ومما أفتى به ﷺ في عمرته تلك:

ما رواه البخاري[١] عن صَفْوَانَ بْنَ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ، أَنَّ يَعْلَى كَانَ يَقُولُ: لَيْتَنِي أَرَى رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ بِهِ، مَعَهُ فِيهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، «**كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ فِي جُبَّةٍ بَعْدَمَا تَضَمَّخَ بِالطِّيبِ؟**»

فَأَشَارَ عُمَرُ إِلَى يَعْلَى بِيَدِهِ: أَنْ تَعَالَ، فَجَاءَ يَعْلَى فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْمَرُّ الوَجْهِ، يَغِطُّ كَذَلِكَ سَاعَةً، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ: «**أَيْنَ الَّذِي يَسْأَلُنِي عَنِ العُمْرَةِ آنِفًا**» فَالْتُمِسَ الرَّجُلُ فَأُتِيَ بِهِ، فَقَالَ: «**أَمَّا الطِّيبُ الَّذِي بِكَ فَاغْسِلْهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَأَمَّا الجُبَّةُ فَانْزِعْهَا، ثُمَّ اصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ**».

❁ وفي هذه العمرة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ:

«اعْتَمَرُوا مِنَ الْجِعْرَانَةِ فَرَمَلُوا بِالْبَيْتِ وَجَعَلُوا أَرْدِيَتَهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ قَدْ قَذَفُوهَا عَلَى عَوَاتِقِهِمُ الْيُسْرَى».[٢]

فدل فعلهم هذا في عمرة القضاء على أم الرمل لا يختص بما كان في عمرة

=

فِي رَجَبٍ قَطُّ.مَا اعْتَمَرَ عُمْرَةً إِلَّا وَقَدْ شهدها وما اعتمر عمرة قَطُّ إلا وإنه لمعه» ولفظ مسلم :قَالَ: وَابْنُ عُمَرَ يَسْمَعُ، فَمَا قَالَ: لَا، وَلَا نَعَمْ، سَكَتَ.

(١) برقم (٤٣٢٩) ومسلم (١١٨٠).

(٢) وقد أخرج ذلك أبو داود (١٨٨٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به وسنده حسن.

القضاء ليُري الكفار قوتهم ويغيظهم ، لأنهم كانوا في عمرة الجعرانة آمنين .

وهذه العمرة هي الوحيدة – فيما أعلم – التي فيها أن النبي ﷺ قصَّر شعرَه ولم يحلقه،لأنه ﷺ قال اللهم اغفر للمحلقين ثلاثـًا ودعى للمقصِّرين واحدة فقط(١).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ لِي مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه : «أَعَلِمْتَ أَنِّي قَصَّرْتُ مِنْ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ الْمَرْوَةِ بِمِشْقَصٍ؟»(٢) .

فَقُلْتُ لَهُ: لَا أَعْلَمُ هَذَا إِلَّا حُجَّةً عَلَيْكَ(٣).

واعلم أن المتعيَّن أن التقصير من شعر النبي ﷺ كان في عمرة الجعرانة ، وذلك أن عمرة الحديبية التي كانت قبلها والتي بعدها –وهي عمرة القضاء– لم يكن معاوية رضي الله عنه أسلم ، فإن أبا سفيان أباه لم يكن أسلم حينئذٍ أصلاً .

---

(١) كما في صحيح البخاري (١٧٢٨) ومسلم (١٣٠٢) .

(٢) المشقص: سهم فيه نصل عريض .

(٣) أخرجه البخاري (١٧٣٠) ومسلم (١٢٤٦) واللفظ له، وفي التخيير بين الحلق والتقصير ما أخرجه البخاري(١٧٣١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَطُوفُوا بِالْبَيْتِ، وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، ثُمَّ يَحِلُّوا وَيَحْلِقُوا أَوْ يُقَصِّرُوا» كذا خيرهم ، فضلاً عن أنه لم ينكر على من قصر ، وإن كان الحلق أفضل ، فشدة الإنكار على المقصرين والتهكم عليهم ليست موافقة للنبي ﷺ والانشغال والإقبال على النفس في هذه الأونة وتَجَنُّب الجدل أفضل ، والله أعلم .

وقال ابن كثير رحمه الله :[١]

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَتَوَجَّهُ أَنْ يَكُونَ فِي عُمْرَةِ الْجِعْرَانَةِ وَذَلِكَ أَنَّ عُمْرَةَ الْحُدَيْبِيَةِ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى مَكَّةَ فِيهَا بَلْ صُدَّ عَنْهَا كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، وَأَمَّا عُمْرَةُ الْقَضَاءِ فَلَمْ يَكُنْ أَبُو سُفْيَانَ أَسْلَمَ وَلَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ مِنْ أَهْلِهَا أَحَدٌ حِينَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بل خرجوا منها، وتغيبوا عنها مدة مقامه عليه السلام بِهَا تِلْكَ الثَّلَاثَةَ الْأَيَّامِ، وَعُمْرَتُهُ الَّتِي كَانَتْ مَعَ حَجَّتِهِ لَمْ يَتَحَلَّلْ مِنْهَا بِالِاتِّفَاقِ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ هَذَا التَّقْصِيرَ الَّذِي تَعَاطَاهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما مِنْ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ الْمَرْوَةِ إِنَّمَا كَانَ فِي عُمْرَةِ الْجِعْرَانَةِ كَمَا قُلْنَا وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

❁ تلخيص الحوادث الكثيرة في السنة الثامنة للهجرة :

-في جُمادى من هذه السنة حصلت وقعت غزوة مؤتة .

- وفي رمضان غزوة فتح مكة .

- وبعدها في شوال غزوة هوازن بحنين .

- وبعدها كان حصار الطائف .

- ثم كانت عمرة الجُعرانة في ذي القعدة .

- ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة .

وقد ذكر البخاري بعد فتح مكة قصة تخريب خثعم البيت الذي كانت تعبده

---

(١) في «البداية والنهاية »(٤/ ٤٢٢) .

ويسمونه الكعبة اليمانية ، مضاهية للكعبة التي بمكة ، ويسمون التي بمكة الكعبة الشامية .

أخرج البخاري [١] عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخَلَصَةِ**» فَقُلْتُ: بَلَى، فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ، وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، وَكُنْتُ لاَ أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ:

«**اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**» قَالَ: فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ، قَالَ: وَكَانَ ذُو الخَلَصَةِ بَيْتًا بِاليَمَنِ لِخَثْعَمَ، وَبَجِيلَةَ، فِيهِ نُصُبٌ تُعْبَدُ، يُقَالُ لَهُ الكَعْبَةُ، قَالَ: فَأَتَاهَا فَحَرَّقَهَا بِالنَّارِ وَكَسَرَهَا، قَالَ: وَلَمَّا قَدِمَ جَرِيرٌ اليَمَنَ، كَانَ بِهَا رَجُلٌ يَسْتَقْسِمُ بِالأَزْلاَمِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَا هُنَا، فَإِنْ قَدَرَ عَلَيْكَ ضَرَبَ عُنُقَكَ، قَالَ:

فَبَيْنَمَا هُوَ يَضْرِبُ بِهَا إِذْ وَقَفَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ، فَقَالَ: لَتَكْسِرَنَّهَا وَلَتَشْهَدَنَّ: أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَوْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ؟ قَالَ: فَكَسَرَهَا وَشَهِدَ، ثُمَّ بَعَثَ جَرِيرٌ رَجُلًا مِنْ أَحْمَسَ يُكْنَى أَبَا أَرْطَاةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُبَشِّرُهُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا جِئْتُ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ، قَالَ: فَبَرَّكَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ.

---

(١) أخرجه برقم (٣٠٢٠) ومسلم (٢٤٧٦) .

❁ الدروس والفوائد المستفادة من غزوة حنين :

❁ من هذه الدروس:

والفوائد الأخذ بالأسباب وإرسال العيون على الكفار، وإرسال القائد روح البشارة في الجنود مهما كان الموقف ، فرسول الله ﷺ يناديهم ، ويذكرهم بأسمائهم...و محاسنهم الماضية ..وأنهم أصحاب البيعة تحت الشجرة ..يبعث فيهم الأمل .

❁ ومنها :

رحمة الله تعالى بأهل هوازن حيث أرجع إليهم بعض ما أخذ منهم ، وهذا من رأفته ﷺ ورحمته بهم .

❁ ومنها :

التكبير بكبير القوم فقد قال ﷺ لما وجد بالناس عجلة : « **فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ**» فَرَجَعَ النَّاسُ ، فصلى الله وسلم على مُعلَّم البشرية الأدب ﷺ.

❁ ومنها :

عدم تفويت فرص الخير ، فإن رسول الله ﷺ لما دعى لعامر قال ابن أخيه أبو موسى ، ولم يفُته الموقف، أن يطلب من رسول الله ﷺ الإستغفار له .

قال : فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ**». وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ

قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ». فَقُلْتُ: وَلِي يَا رَسُولَ اللهِ فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا**».

قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحَدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ، وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى (١).

ورسول الله لما دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اشْرَبَا مِنْهُ، وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا وَأَبْشِرَا**». فَأَخَذَا القَدَحَ فَفَعَلاَ، فَنَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ: أَنْ أَفْضِلاَ لِأُمِّكُمَا، فَأَفْضَلاَ لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً.. (٢)

وقد قال خالد بن معدان الكلاعي رحمه الله : «إِذَا فُتِحَ لِأَحَدِكُمْ بَابُ خَيْرٍ فَلْيُسْرِعْ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ» (٣).

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه لما تخلف عن غزوة تبوك : فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ (٤).

فلا تؤجل عمل الخير إلى الغد.

❁ ومنها :

التأسي بالصالحين في الصبر وخصال الخير ، فقد قال رسول الله ﷺ :

(١) كما في صحيح البخاري(٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٩٨) .

(٢) كما في صحيح البخاري (٤٣٢٨) ومسلم (٢٤٩٧) .

(٣) وهو ثابت خرَّجته في غير هذا الموطن .

(٤) كما في صحيح البخاري (٤٤١٨)وغيره .

« رَحِمَ الله مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ».

❁ ومنها:

أن الدفاع عن النفس ضد ما اتُهم المرء به ليس داخلاً في الانتصار للنفس ولذلك قال ﷺ : «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ» ، وقد قال يوسف ﷺ : «هي راودتني عن نفسي» .

وأثنى عثمان رضي الله عنه على نفسه وهو محصور...

وكذا عمر لما بلغه الطعن في إمارة أبي بكر أثنى على نفسه بالبرِّ والرشاد ...

❁ ومنها :

أن العبرة ليست بكثرة العمل ، وإنما بالاتباع ، فالخوارج يعملون ويدأبون حتى احتقر الصحابة عبادتهم إلى عبادتهم ، وصيامهم إلى صيامهم ، وصلاتهم إلى صلاتهم ، وقراءتهم إلى قرائتهم..، يرون ذلك بالنسبة لما يفعلون ليس بشيء ، أيديهم كثَفِن الإبل من كثرة البروك للسجود، لم يُر قوماً مثلهم قط ...

ومع ذلك مَرَقوا من الدِّين كما يَمرُق السهم من الرمية،صاروا أئمة في الضلال ، والإحداث في الدين ....

فالعبرة ليست بكثرة العبادة، وإنما بالاتباع وملازمة السنة .

❁ ومنها :

أن الاعجاب بالنفس مرض يُضَيق الصدر، إذ أن كعب بن مالك رضي الله عنه قال :«فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ..» آل إعجابه بقُدرته إلى ضيق الصدر كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ التوبة .

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ التوبة.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ **النحل**.

❁ ومنها :

أن المعصية تجُرّ إلى معصيةٍ فالإعجاب ذنب كان من آثاره التولى والإدبار كما حصل يوم حنين .

❁ ومنها :

أن لولي الأمر أن يفضِّل بعض الرعيَّة بعطية وليس بلازم أن يخبر عن السبب فقد يكون الإخبار عن السبب مناقضة للمصلحة .

❁ ومنها :

أن النصر لم يلزم أن يكون بكثرة عدة ولا عتاد وإن كان المطلوب

تحصيله ، فقد نصر الله الصحابة في بدر وهم أذلَّة ، وكذا في أُحد والأحزاب ومؤتة وغير ذلك ، مواطن كثيرة حتى صَرَّح بذلك ﷺ فقال :«**اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض**»، وأما في حنين فكثرتهم لم تغن عنهم كثرتهم شيئًا ، فدل على أن الإعتماد على كثرة العدد خذلان ، والإعتماد على الله هو المطلوب .

ومنها :

استحباب تأليف القلوب بالمال كما فعل رسول الله ﷺ، وله أثره العظيم على النفوس

ولا يدلّ عطاؤه ﷺ من الدنيا وكذا تأميره... على المحبة و...إذ أنه ﷺ يعطي ليتألف قلب من هو ضعيف الايمان....فيُتنبَّه.

وقد أمَّر عمرو بن العاص رضي الله عنه على جيش فيهم أحب الناس إليه أبو بكر رضي الله عنه

ولقد غاب هذا عن سعد رضي الله عنه ، فإن رسول الله ﷺ ردَّ على هوازن سبيَهم تأليفًا لقلوبهم، وأعطى قريشًا يتألَّف قلوبهم بالمال ويجبر خاطرهم المنكسر . ما لم يُعط الأنصار ، وكان الأنصار أحب إليه ، كما أن عطاء الله تعالى قد يكون استدراجًا للعبد وهو لا يشعر

فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللهَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ

الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام: ٤٤][(١)].

❁ ومنها :

ضرورة النظر في مآلات الأمور ، فإن رسول الله ﷺ لما استؤذن في قتل بعض من فعلوا ما يستوجب قتلهم منع ، لئلا يقول الناس إن محمداً يقتل أصحابه، فابتعد عما يمكن أن يشيعه أصحاب الإشاعات من المنافقين وغيرهم من إشاعات تصدّ بعض الناس عن الدخول في الإسلام ... ﷺ.

❁ ومنها :

جواز الصلاة في الرحال حال المطر وينبه على ذلك في أذانه

فإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ الْمُؤَذِّنَ، إِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ بَارِدَةٌ، أَوْ ذَاتُ مَطَرٍ فِي السَّفَرِ، أَنْ يَقُولَ: «**أَلَا صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ**» وهذا في الصحيحين وغيرهما .

ومنها :

تقديم المشيئة عند العزم أو الإخبار بشيء مستقبل

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٣١١) والطبري في «تفسيره»(١١/ ٣٦١) رقم (١٣٢٤٠) والدولابي في «الكنى» (٦٠٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات»(١٠٢٢،١٠٢١) وغيرهم من طرق عَنْ حَرْمَلَةَ بْنِ عِمْرَانَ التُّجِيبِيِّ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ به..وهو حد يث حسن .

فقد قال رسول الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ**» فَقَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: لاَ نَبْرَحُ أَوْ نَفْتَحَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَاغْدُوا عَلَى القِتَالِ**» قَالَ: فَغَدَوْا فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، وَكَثُرَ فِيهِمُ الجِرَاحَاتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ**»، والأدل على هذا كثيرة .

❁ ومنها :

تقديم النبي ﷺ في الشجاعة على الصحابة رضي الله عنهم جميعـًا، وهذا واضح من صنيعه.

❁ ومنها :

جواز التبرك بآثار النبي ﷺ فقد قال رسول الله ﷺ دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اشْرَبَا مِنْهُ، وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا وَأَبْشِرَا**».

فَأَخَذَا القَدَحَ فَفَعَلاَ، فَنَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ: أَنْ أَفْضِلاَ لِأُمِّكُمَا، فَأَفْضَلاَ لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً ، ولا يلحق بذلك التبرُّك بالصالحين ولا بآثارهم كرسول الله ﷺ وإن كان قال به بعض أهل العلم .

❁ ومنها :

جواز إخبار ولي الأمر بمقولة الناس، وقد أُخبر ﷺ بمقولة الخارجي ذي الخويصرة .

❁ ومنها :

مدح الإنسان في وجهه لمصلحة إن أُمن كما مدح رسول الله هنا الأنصار وغيرهم كثير، ذكر ﷺ فضائلهم في وجوههم ،ولكن السلامة لا يعدلها شيء ...

❁ ومنها :

جواز التقصير في العمرة فقد فعله ﷺ في عمرة الجعرانة ، ومدح المحلِّقين ، فلا حق لمن ينكر على المقصِّرين أو يُشَدّد عليهم.

❁ ومنها :

إقرار تأميرمن أمر الإمام،لأن أبا عامر أمَّر أبا موسى الأشعري رضي الله عنه وأُجيز تأميره وإمارته .

إلى آخر الفوائد والدروس المستفادة ، وهي كثيرة ليس الموطن موطن استيفائها .

غزوة تبوك

(ويطلق على جيشها جيش العسرة)[1]

تمهيد بين يدي هذه الغزوة:

قد أورد ابن إسحاق [1] عدة أسانيد مرسلة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالتَّهَيُّؤِ لِغَزْوِ الرُّومِ، وَذَلِكَ فِي زَمَانٍ مِنْ عُسْرَةِ النَّاسِ، وَشِدَّةٍ مِنْ الْحَرِّ، وَجَدْبٍ

(١) وفي صحيح البخاري(٤٤١٥) ومسلم (١٦٤٩) عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: أَرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَسْأَلُهُ الحُمْلاَنَ لَهُمْ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ العُسْرَةِ،وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ أَصْحَابِي أَرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ...الحديث.

مِنْ الْبِلَادِ: وَحِينَ طَابَتْ الثِّمَارُ، وَالنَّاسُ يُحِبُّونَ الْمُقَامَ فِي ثِمَارِهِمْ وَظِلَالِهِمْ، وَيَكْرَهُونَ الشُّخُوصَ عَلَى الْحَالِ مِنْ الزَّمَانِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَلَّمَا يَخْرُجُ فِي غَزْوَةٍ إلَّا كَنَّى عَنْهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ غَيْرَ الْوَجْهِ الَّذِي يَصْمُدُ لَهُ [٢]، إلَّا مَا كَانَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَإِنَّهُ بَيَّنَهَا لِلنَّاسِ، لِبُعْدِ الشُّقَّةِ [٣] وَشِدَّةِ الزَّمَانِ، وَكَثْرَةِ الْعَدُوِّ الَّذِي يَصْمُدُ لَهُ، لِيَتَأَهَّبَ النَّاسُ لِذَلِكَ أُهْبَتَهُ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ الرُّومَ.

وبعض هذا تجده في الصحيح كما سيأتي، فيؤكد صحة ما رواه ابن إسحاق بالأسانيد المرسلة .

❁ **وأما عن توقيتها:** فقد كانت في العام التاسع للهجرة بعد رجوعه إلى المدينة.

ولما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ التوبة.

عَوَّضَ الله المؤمنين عَنْ تِلْكَ الْمَكَاسِبِ التي تعطلت بعدم دخول الكفار الحرم بِأَمْوَالِ الْجِزْيَةِ الَّتِي يَأْخُذُونَهَا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالَ: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا

=

(١) كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٥١٦) .

(٢) يصمد: يقصد.

(٣) الشقة: بُعد المسير.

يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} .

فَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَمَّا كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ إِيمَانٌ صَحِيحٌ بِأَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ،وَلَا بِمَا جَاءُوا بِهِ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُونَ آرَاءَهُمْ وَأَهْوَاءَهُمْ وَآبَاءَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ، لَا لِأَنَّهُ شَرْعُ اللهِ وَدِينُهُ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِمَا بِأَيْدِيهِمْ إِيمَانًا صَحِيحًا لَقَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ الْأَقْدَمِينَ بَشَّرُوا بِهِ، وَأَمَرُوا بِاتِّبَاعِهِ، فَلَمَّا جَاءَ وَكَفَرُوا بِهِ، وَهُوَ أَشْرَفُ الرُّسُلِ، عُلِم أَنَّهُمْ لَيْسُوا مُتَمَسِّكِينَ بِشَرْعِ الْأَنْبِيَاءِ الْأَقْدَمِينَ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، بَلْ لِحُظُوظِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، فَلِهَذَا لَا يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ بِبَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ كَفَرُوا بِسَيِّدِهِمْ وَأَفْضَلِهِمْ وَخَاتَمِهِمْ وَأَكْمَلِهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ نَزَلَتْ أَوَّلَ الْأَمْرِ بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ، بَعْدَ مَا تَمَهَّدَتْ أُمُورُ الْمُشْرِكِينَ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، فَلَمَّا اسْتَقَامَتْ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ؛ وَلِهَذَا تَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِقِتَالِ الرُّومِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ، وَأَظْهَرَهُ لَهُمْ، وَبَعَثَ إِلَى أَحْيَاءِ الْعَرَبِ حَوْلَ الْمَدِينَةِ فَنَدَبَهُمْ، فَأَوْعَبوا مَعَهُ، وَاجْتَمَعَ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَتَخَلَّفَ بعضُ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي عَامِ جَدْب، وَوَقْتِ قَيْظ وَحَرٍّ، وَخَرَجَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُرِيدُ الشَّامَ لِقِتَالِ الرُّومِ، فَبَلَغَ تَبُوكَ، فَنَزَلَ بِهَا وَأَقَامَ عَلَى مَائِهَا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ

اسْتَخَارَ اللهَ فِي الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ عَامَهُ ذَلِكَ لِضِيقِ الْحَالِ وَضَعْفِ النَّاسِ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللهُ....(١)

❁ مناداة النبي ﷺ بالغزو

لما نزل الأمر الإلهي بالأمر بالغزو انقسم مَن مع رسول الله ﷺ إلى فسطاطين فسطاط نفاق وجهل يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وفسطاط إيمان لا نفاق فيه، وهذه الأيات تظهر أحوال الفريقين بذكر أقوالهم: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٨٧ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨ ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٨٩ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٠ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩١ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ٩٢ ﴾ التوبة.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٣٢).

تجهيز الجيش واستنفار الناس

أخرج أحمد والترمذي [١] بإسناد حسن عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي ثَوْبِهِ، حِينَ جَهَّزَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، قَالَ: فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ، يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: «**مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ**» يُرَدِّدُهَا مِرَارًا.

وفي صحيح البخاري [٢] عن أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ، وَلاَ أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ**»؟ فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ**»؟ فَجَهَّزْتُهُمْ، قَالَ: فَصَدَّقُوهُ [٣] بِمَا قَالَ... وهذا يدل على أن رسول الله ﷺ كان قد دعا إلى الصدقة لتجهيز الجيش، مع أنه سُمِّي جيش العُسرة لأجل ذلك.

وفي هذه الغزوة قلَّ الظهر حتى تولى مَن لم يجد حُملانًا يحمله وعينيه تفيض من الدمع حزنًا ألا يجد ما يُنفق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٦٣٠) والترمذي (٣٧٠١).

(٢) برقم (٢٧٧٨).

(٣) أي صدَّقه الصحابة رضي الله عنهم بما يقول.

رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ التوبة .

وهذا يدلك على أن رسول الله ﷺ استنفر الجميع للجهاد فلم يبق في المدينة إلا من عذر الله أو بعض المنافقين، كما يدل عليه كلام كعب بن مالك رضي الله عنه :«.. فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ...الخبر». ويدل على ذلك أيضاً: قوله تعالى ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ التوبة.

وقد أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره»[1] بسند صحيح على شرط مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه :أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَرَأَ سُورَةَ بَرَاءَةَ فَأَتَى عَلَى هَذِهِ الآيَةِ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ: أَرَى رَبَّنَا يَسْتَنْفِرُنَا شُيُوخًا وَشُبَّانًا، جَهِّزُونِي بَنِيَّ، قَالَ بَنُوهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، قَدْ غَزَوْتَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى مَاتَ، وَغَزَوْتَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى مَاتَ وَغَزَوْتَ مَعَ عُمَرَ حَتَّى مَاتَ، فَنَحْنُ نَغْزُو عَنْكَ، فَأَبَى فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَمَاتَ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ جَزِيرَةً يَدْفِنُوهُ فِيهَا إِلا بَعْدَ تِسْعَةِ أَيَّامٍ فَلَمْ يَتَغَيَّرْ فَدَفَنُوهُ فِيهَا.

❁ قلةُ الظهر للصحابةِ رضي الله عنهم في جيشِ العسرة

(١) برقم (١٠٠٥٥).

أخرج البخاري [١]،عنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: «أَرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَسْأَلُهُ لَهُمُ الْحُمْلَانَ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ أَصْحَابِي أَرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ، فَقَالَ: «**وَاللهِ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ**»، وَوَافَقْتُهُ وَهُوَ غَضْبَانُ وَلَا أَشْعُرُ، فَرَجَعْتُ حَزِينًا مِنْ مَنْعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمِنْ مَخَافَةِ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَأَخْبَرْتُهُمُ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا سُوَيْعَةً إِذْ سَمِعْتُ بِلَالًا يُنَادِي: أَيْ عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ: أَجِبْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُوكَ، فَلَمَّا أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: « **خُذْ هَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ، وَهَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ، وَهَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ، لِسِتَّةِ أَبْعِرَةٍ ابْتَاعَهُنَّ حِينَئِذٍ مِنْ سَعْدٍ، فَانْطَلِقْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ،**

فَقُلْ: إِنَّ اللهَ - أَوْ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ- يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ فَارْكَبُوهُنَّ ». [٢]

---

(١) برقم (٤٤١٥)، ومسلم (١٦٤٩).

(٢) وكفّرَ رسولُ الله ﷺ عن يمينه كما في رواية مسلم عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: «إِنِّي أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي رَهْطٍ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ نَسْتَحْمِلُهُ، فَقَالَ: وَالله لَا أَحْمِلُكُمْ وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ، فَلَبِثْنَا مَا شَاءَ اللهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ بِنَهْبِ إِبِلٍ، فَدَعَا بِنَا، فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرَى، قَالَ: فَلَمَّا انْطَلَقْنَا، قَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: أَغْفَلَنَا رَسُولَ الله ﷺ يَمِينَهُ، لَا يُبَارَكُ لَنَا، فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا أَتَيْنَاكَ نَسْتَحْمِلُكَ، وَإِنَّكَ حَلَفْتَ أَنْ لَا تَحْمِلَنَا، ثُمَّ حَمَلْتَنَا أَفَنَسِيتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ:« **إِنِّي وَالله إِنْ شَاءَ اللهُ، لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا حَمَلَكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**»، وأخرجه البخاري (٦٧١٨).

قَالَ أَبُو مُوسَى: فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي بِهِنَّ، فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَلَكِنْ وَاللهِ لَا أَدَعُكُمْ حَتَّى يَنْطَلِقَ مَعِي بَعْضُكُمْ إِلَى مَنْ سَمِعَ مَقَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ سَأَلْتُهُ لَكُمْ، وَمَنْعَهُ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ، ثُمَّ إِعْطَاءَهُ إِيَّايَ بَعْدَ ذَلِكَ، لَا تَظُنُّوا أَنِّي حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا لَمْ يَقُلْهُ، فَقَالُوا لِي: وَاللهِ إِنَّكَ عِنْدَنَا لَمُصَدَّقٌ، وَلَنَفْعَلَنَّ مَا أَحْبَبْتَ، فَانْطَلَقَ أَبُو مُوسَى بِنَفَرٍ مِنْهُمْ، حَتَّى أَتَوُا الَّذِينَ سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَنْعَهُ إِيَّاهُمْ، ثُمَّ إِعْطَاءَهُمْ بَعْدُ، فَحَدَّثُوهُمْ بِمَا حَدَّثَهُمْ بِهِ أَبُو مُوسَى سَوَاءً».

❁ استخلاف النبي ﷺ علياً على المدينةِ عند خُروجه لغزوةِ تبوك

أخرج البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: «**أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**».(١)

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

وقد ذكر ابن إسحاق أن المُنَافِقِينَ أَرْجَفُوا بِهِ،وَقَالُوا:مَا خَلَّفَهُ إِلَّا اسْتِثْقَالًا لَهُ،وَتَخَفُّفًا مِنْهُ.فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ المُنَافِقُونَ، أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ،رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ سِلَاحَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِالجُرْفِ،فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، زَعَمَ المُنَافِقُونَ أَنَّكَ إِنَّمَا خَلَّفْتَنِي أَنَّكَ اسْتَثْقَلْتَنِي وَتَخَفَّفْتَ مِنِّي، فَقَالَ: «**كَذَبُوا، وَلَكِنِّي خَلَّفْتُكَ لِمَا تَرَكْتُ وَرَائِي، فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ،أَفَلَا تَرْضَى يَا عَلِيُّ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**» فَرَجَعَ عَلِيٌّ إِلَى المَدِينَةِ، وَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ عَلَى سَفَرِهِ. حكاه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٧١) وغيره. ولكن لم أقف له على سندٍ والله أعلم.

أخرجه أحمد [١]، بإسنادٍ صحيح، عن علي رضي الله عنه ، «أَنَّ عَلِيًّا خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى جَاءَ ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ يُرِيدُ غَزْوَةَ تَبُوكَ وَعَلِيٌّ يَشْتَكِي وَهُوَ يَقُولُ: أَتُخَلِّفُنِي مَعَ الْخَوَالِفِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا النُّبُوَّةَ؟».

كذا استخلفه كما استخلف موسى أخاه هارون عليهما السلام، ولا يعني هذا الوصية له خليفة من بعده لما يزعم الضُّلَّال، وإلا لوكان ذلك كذلك كما يزعم الروافض الأغبياء لكان قدحاً في علي رضي الله عنه - البريء من غُلُوهم -أن يجعله رسول الله ﷺ خليفة من بعده ثم هو يبايع أبا بكر مرتين ويعلن تزكيته على ملأ من الناس كما بيَّنته في كتابي «التوضيحات الجلية»، ويكتم هذا البيان والنصح عن الناس الذي أوصى به ﷺ إليه من بعده .. ! فأيُّ غباء هذا ؟!

ودل الحديث السالف على أن ثنية الوداع: جهة الشام من مخرج المدينة، ليست ناحية المدينة من جهة مكة، فيؤكِّد نكارة المروي أن أهل المدينة لما انجفَلُوا يتلقون رسول الله ﷺ، وأبا بكرٍ رضي الله عنه قالوا:

---

(١) برقم (١٤٦٣)، و النسائي(٨٣٨٩).

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا ٠٠ مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ٠٠ مَا دَعَا للهِ دَاعِ

أيها المبعوث فينا ٠٠ جئت بالأمر المطاع

جئت شرّفت المدينة ٠٠ مرحبا يا خير داع

فهذا منكر سنداً،كما بيناه في موطنه قبل في باب الهجرة، ويدلُّ على أن ذلك مما عملت أيديهم، أن ثنية الوداع لم يمر عليها رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه أصلاً أثناء قدومهما المدينة.

وقيل:إذا كان هذا ورد عنهم عند استقبالهم رسول الله ﷺ قافلاً من تبوك، وأيضـاً لم يصح سنده .

❁ عددُ المسلمين في هذه الغزوةِ

لم أقف على العدد تحديداً، ولكن في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه : «... وَالـمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، يُرِيدُ الدِّيوَانَ، قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللهِ...»[1] وكان الظهر قليلاً كما سيأتي.

❁ خروج النبيّ ﷺ يومَ الخميس

(١) كما في صحيح البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

أخرج البخاري، عن كعب بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الخَمِيسِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الخَمِيسِ».(١)

❁ قصة تأخر أبي خيثمة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ

أخرج مسلم(٢) في قصة تخلف كعب بن مالك، وصاحبيه رضي الله عنهما، يحكي عن ذهابه ﷺ إلى تبوك، قال كعب رضي الله عنه: «...فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ... الحديث.(٣)

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٠).

(٢) برقم (٢٧٦٩).

(٣) وقد حكى ابن إسحاق قال:

ثُمَّ إِنَّ أَبَا خَيْثَمَةَ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيَّامًا إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ، فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ لَهُمَا فِي حَائِطِهِ، قَدْ رَشَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا، وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً، وَهَيَّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَامًا. فَلَمَّا دَخَلَ، قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ، فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الضِّحِّ وَالرِّيحِ وَالْحَرِّ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلٍّ بَارِدٍ، وَطَعَامٍ مُهَيَّأٍ، وَامْرَأَةٍ حَسْنَاءَ، فِي مَالِهِ مُقِيمٌ، مَا هَذَا بِالنَّصَفِ! ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَهَيِّئَا، لِي زَادًا، فَفَعَلَتَا. ثُمَّ قَدَّمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ. وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَ أَبَا خَيْثَمَةَ عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ الْجُمَحِيَّ فِي الطَّرِيقِ، يَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فترفقا، حَتَّى إِذَا دَنَوَا مِنْ تَبُوكَ. قَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ لِعُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ: إِنَّ لِي ذَنْبًا، فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَفَعَلَ حَتَّى إِذَا دَنَا. مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِتَبُوكَ، قَالَ النَّاسُ: هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ مُقْبِلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ وَاللهِ أَبُو

❁ ضعفُ قصة تخلف أبي ذر رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ في غزوةِ تبوك عن الركبِ

قَالَ يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ سُفْيَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى تَبُوكَ جَعَلَ لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَتَخَلَّفُ، فَيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَخَلَّفَ فُلَانٌ.

فَيَقُولُ: «**دَعُوهُ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللهُ مِنْهُ**». حَتَّى قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ.

فَقَالَ: «**دَعُوهُ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللهُ مِنْهُ**». فَتَلَوَّمَ أَبُو ذَرٍّ بَعِيرَهُ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ خَرَجَ يَتَّبِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَاشِيًا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ، وَنَظَرَ نَاظِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مَاشٍ عَلَى الطَّرِيقِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُنْ أَبَا ذَرٍّ**». فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ وَاللهِ أَبُو ذَرٍّ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَرْحَمُ اللهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ**». قَالَ: فَضَرَبَ الدَّهْرُ مِنْ ضَرْبِهِ، وَسُيِّرَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى امْرَأَتَهُ وَغُلَامَهُ فَقَالَ: إِذَا مِتُّ فَاغْسِلَانِي وَكَفِّنَانِي مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّونَ بِكُمْ فَقُولُوا: هَذَا أَبُو ذَرٍّ. فَلَمَّا

=

خَيْثَمَةَ. فَلَمَّا أَنَاخَ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوْلَى لَكَ يَا أَبَا خَيْثَمَةَ. ثُمَّ أَخْبَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْخَبَرَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ.

ولم أقف لذلك على إسنادٍ ثابت بهذا السياق.

مَاتَ فَعَلُوا بِهِ كَذَلِكَ، فَاطَّلَعَ رَكْبٌ، فَمَا عَلِمُوا بِهِ حَتَّى كَادَتْ رِكَابُهُمْ تَطَأُ سَرِيرَهُ، فَإِذَا ابْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ: جِنَازَةُ أَبِي ذَرٍّ.

فَاسْتَهَلَّ ابْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي، وَقَالَ: صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَرْحَمُ اللهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ**». وهذا لا يصح.[(١)]

❁ كرامات لرسولِه ﷺ أثناء سيرِهم إلى تبوك

الأولى: فيما أخرجه البيهقي في «الدلائل»[(٢)] بإسنادٍ حسن، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: حَدِّثْنَا مِنْ شَأْنِ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا أَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَذْهَبُ يَلْتَمِسُ الرَّجُلَ فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّ رَقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ، وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه:

يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَوَّدَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا، فَادْعُ اللهَ لَنَا، قَالَ: «**أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتِ السَّمَاءُ فَأَظَلَّتْ ثُمَّ سَكَبَتْ فَمَلَئُوا مَا مَعَهُمْ، ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَجِدْهَا جَاوَزَتِ الْعَسْكَرَ».[(٣)]

---

(١) إسناده مُنقطع، فإن محمد بن كعب القرظي لم يدرك ابن مسعود، وإن حَسَّن إسناده الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية».

(٢) «دلائل النبوة» (٥/ ٢٣١).

(٣) وقد جوَّد سنده الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٧٤).

الثانية: ما أخرجه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه - شَكَّ الْأَعْمَشُ - قَالَ: «لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: افْعَلُوا، قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**نَعَمْ**» قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ، فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، قَالَ:

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ، قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ**».[1]

❁ من مواقفِ المنافقين في هذه الغزوةِ

معرفتهم بالنفاقِ وأهله وبعض قولهم في ذلك الموقف

أخرج ابن إسحاق، [2] بإسنادٍ حسن، عن عَاصِم بْن عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧).

(٢) كما في «السيرة» ابن هشام (٥/ ٤٦٩).

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالَ: قُلْتُ لِمَحْمُودِ: هَلْ كَانَ النَّاسُ يَعْرِفُونَ النِّفَاقَ فِيهِمْ؟

قَالَ: نعم والله، إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَعْرِفُهُ مِنْ أَخِيهِ وَمِنْ أَبِيهِ وَمِنْ عَمِّهِ وَفِي عَشِيرَتِهِ، ثُمَّ يَلْبَسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ مَحْمُودٌ: لَقَدْ أَخْبَرَنِي رِجَالٌ مِنْ قَوْمِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ الْمُنَافِقِينَ مَعْرُوفٌ نِفَاقُهُ، كَانَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ سَارَ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ بِالْحِجْرِ مَا كَانَ، وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ دَعَا، فَأَرْسَلَ اللهُ السَّحَابَةَ، فَأَمْطَرَتْ حَتَّى ارْتَوَى النَّاسُ قَالُوا: أَقْبَلْنَا عَلَيْهِ نَقُولُ: وَيْحَكَ، هَلْ بَعْدَ هَذَا شَيْءٌ! قَالَ: سَحَابَةٌ مَارَّةٌ.![1]

❁ موقفٌ لمنافق آخر من المنافقين:

أخرج ابن إسحاق [2] بإسنادٍ حسن، عن عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالُوا: فَقَالَ زَيْدُ بْنُ اللُّصَيْتِ، وَهُوَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ وَعُمَارَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيُخْبِرُكُمْ عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعُمَارَةُ عِنْدَهُ: «**إِنَّ رَجُلًا قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللهُ وَقَدْ دَلَّنِي اللهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي**

---

(١) وبعضهم كان يعرف أسماء المنافقين كحذيفة وغيره، وبعضهم كان لا يعرف أسماءهم، ولذلك سأل عمر رضي الله عنه حذيفة رضي الله عنه هل سمَّاه رسول ﷺ من المنافقين كما بينته في كتابي «ذم النفاق وأهله وكيفية التعامل مع المنافقين».

(٢) كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٧٠).

هَذَا الْوَادِي، فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا » فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا، فَذَهَبُوا، فَجَاءُوا بِهَا.

فَرَجَعَ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ: وَاللهِ لَعَجَبٌ مِنْ شَيْءٍ حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ آنِفًا، عَنْ مَقَالَةِ قَائِلٍ أَخْبَرَهُ اللهُ عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي قَالَ زَيْدُ بْنُ لُصَيْتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ وَلَمْ يَحْضُرْ رَسُولَ اللهِ ﷺ: زَيْدٌ وَاللهِ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ.

فَأَقْبَلَ عُمَارَةُ عَلَى زَيْدٍ يَجَأُ فِي عُنُقِهِ وَيَقُولُ: إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ، إِنَّ فِي رَحْلِي لَدَاهِيَةً وَمَا أَشْعُرُ، اُخْرُجْ أَيْ عَدُوَّ اللهِ مِنْ رَحْلِي، فَلَا تَصْحَبْنِي».

❁ موقفٌ ثالث، ورابع، لبعض المنافقين في غزوةِ تبوك

أخرج ابن أبي حاتم [1]، بإسنادٍ حسن، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ

: «قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ يَوْمًا: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلاءِ لَا أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لأُخْبِرَنّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ قال عبد الله: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن».

وهذا مَخشِيُّ بنُ حِميَرٍ:

---

(١) في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٩).

أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره»[١] بإسنادٍ حسن، عن كعب بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ مَخْشِيُّ بْنُ حِمْيَرٍ: لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقَاضَى عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِائَةً مِائَةً عَلَى أَنْ نَنْجُوَ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ فِينَا قُرْآنٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: أَدْرَكِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا، فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ هُمْ أَنْكَرُوا وَكَتَمُوا، فَقُلْ: بَلَى، قَدْ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: الَّذِي أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَاءُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَعْتَذِرُونَ، وَقَالَ مَخْشِيُّ بْنُ حِمْيَرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي فَأَنْزَلَ- اللهُ تَعَالَى- فِيهِمْ لَا تَعْتَذِرُوا قَدِ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً فَكَانَ الَّذِي عَفَا اللهُ عَنْهُ: مَخْشِيُّ بْنُ حِمْيَرٍ، فَتَسَمَّى: عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيدًا لَا يَعْلَمُ بِمَقْتَلِهِ فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ لَا يَعْلَمُ مَقْتَلَهِ وَلا مَنْ قَتَلَهُ وَلا يُرَى لَهُ أَثَرٌ وَلا عَيْنٌ».

وقد قال ابن هشام[٢]، عند قول منهم عقب ذكرها، : « يُشِيرُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى تَبُوكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَتَحْسِبُونَ جَلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا! وَاللهِ لَكَأَنَّا بِكُمْ غَدًا مُقَرَّنِينَ فِي الْحِبَالِ، إِرْجَافًا وَتَرْهِيبًا لِلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ مُخَشِّنُ بْنُ حُمَيِّرٍ: وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقَاضِي عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ رجلٍ منّا مائة جَلْدَةٍ، وَإِنَّا نَنْفَلِتُ أَنْ يَنْزِلَ فِينَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ».

يُرجح أن ذلك إنما كان في غزوة تبوك، والله أعلم.

---

(١) (٦/ ١٨٣١).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٧٢).

وستأتي محاولتهم -قبحهم الله- الفتكَ برسوله ﷺ عند مرجعه من غزوة تبوك.

❁ موقفٌ خامس لهم:

لمزهم المطوعين من المؤمنين في الصدقات.

أولئك الأفاضل الذين ورد ذكرهم في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه الطويل في ذكر رسول ﷺ، لما وصل تبوك، وقال ما فعل كعب.... «..فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ...».[1]

❁ مرور النبي ﷺ، والصحابةِ رضي الله عنهم عند سيرهم إلى تبوك بمساكن قوم صالح وثمود،الذين ظلموا أنفسهم فأهلكهم الله

وقد كان صالح عليه السلام مرسلاً إلى قومه في وادي ثمود، فينسب القوم أحيانًا إلى صالح لكونه منهم، وأحيانًا ينسبون إلى ثمود اسم الوادي الذي كانوا يسكنونه.

أخرج الإمام أحمد[2]، بإسنادٍ صحيح على شرط الشيخين[1]،عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ عَامَ تَبُوكَ نَزَلَ بِهِمُ الْحِجْرَ عِنْدَ بُيُوتِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٦٩).

(٢) برقم (٥٩٨٤).

ثَمُودَ، فَاسْتَسْقَى النَّاسُ مِنَ الْآبَارِ الَّتِي كَانَ يَشْرَبُ مِنْهَا ثَمُودُ، فَعَجَنُوا مِنْهَا، وَنَصَبُوا الْقُدُورَ بِاللَّحْمِ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَهَرَاقُوا الْقُدُورَ، وَعَلَفُوا الْعَجِينَ الْإِبِلَ، ثُمَّ ارْتَحَلَ بِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ عَلَى الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَشْرَبُ مِنْهَا النَّاقَةُ، وَنَهَاهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ عُذِّبُوا قَالَ: إِنِّي أَخْشَى أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ».

وهذا صحيح أن ذلك كان في تبوك.

وقد رواه البخاري ومسلم (٢)عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْضَ ثَمُودَ، الحِجْرَ، فَاسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَأَنْ يَعْلِفُوا الإِبِلَ العَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ البِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ».

ولفظ مسلم عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِ الْحِجْرِ: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعَذَّبِينَ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ».

وأصحاب الحِجْرِ هذه في طريقهم إلى تبوك.

تنبيه: على ضعف سياق حديث في الباب.

=

(١) كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٧٠)، وهو كذلك.

(٢) البخاري (٣٣٧٩) و مسلم (٢٩٨٠).

وأخرج الإمام أحمد [١]، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، تَسَارَعَ النَّاسُ إِلَى أَهْلِ الْحِجْرِ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَنَادَى فِي النَّاسِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، قَالَ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُمْسِكٌ بَعِيرَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: مَا تَدْخُلُونَ عَلَى قَوْمٍ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ؟ فَنَادَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعْجَبُ مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ رَجُلٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ يُنْبِئُكُمْ بِمَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ، فَاسْتَقِيمُوا وَسَدِّدُوا، فَإِنَّ اللهَ لَا يَعْبَأُ بِعَذَابِكُمْ شَيْئًا، وَسَيَأْتِي قَوْمٌ لَا يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِشَيْءٍ».

وفي إسناده محمد بن أبي كبشة الأنماري، وهو أقرب إلى جهالة، وإن قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» عنه: (مقبول)، وبعيد هو قول الحافظ ابن كثير [٢] عن الحديث:

«إسناده حسن» .

ثم ما كان الصحابة ينادون رسول ﷺ بهذه الطريقة، بل كانوا يتأدبون معه ﷺ في خطابهم معه، باستثناء بعض الأعراب.

❁ إخبار النبي ﷺ بخبر ناقةقوم صالح عند مرورهم بالحِجْرِ

أخرج أحمد بإسنادٍ صححه الحافظ ابن كثير، عن جابر رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا مَرَّ

(١) في «المسند »برقم (١٨٠٢٩).

(٢) في «البداية والنهاية» (٥/ ٧٦).

رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْحِجْرِ، قَالَ: لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ، وَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ، فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَعَقَرُوهَا.

وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا، وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا، فَعَقَرُوهَا، فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْمَدَ اللهُ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ، إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللهِ، قِيلَ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: هُوَ أَبُو رِغَالٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ». (١)

❁ إخبار رسولِ الله ﷺ بهبوبِ ريح في تبوك قبل أن تهب

أخرج الإمام أحمد (٢) بإسنادٍ صحيح، عن أبي حُميدٍ السَّاعِدِي رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ تَبُوكَ حَتَّى جِئْنَا وَادِيَ الْقُرَى، فَإِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**اخْرُصُوا**» فَخَرَصَ الْقَوْمُ، وَخَرَصَ = رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْمَرْأَةِ: «**أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكِ إِنْ شَاءَ اللهُ**»، قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى قَدِمَ تَبُوكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا سَتَهِبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُومُ مِنْكُمْ فِيهَا رَجُلٌ، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيُوثِقْ عِقَالَهُ**»، قَالَ: قَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: فَعَقَلْنَاهَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ هَبَّتْ عَلَيْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ فِيهَا رَجُلٌ،

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٤١٦٠)، واسناده على شرط مسلم كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٧٦).

(٢) برقم (٢٣٦٠٤)، والبخاري (١٤٨١)، ومسلم (١٣٩٢).

فَأَلْقَتْهُ فِي جَبَلَي طَيِّءٍ، ثُمَّ جَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَلِكُ أَيْلَةَ، فَأَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، فَكَسَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَحْرِهِ، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ وَأَقْبَلْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا وَادِيَ الْقُرَى فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «**كَمْ حَدِيقَتُكِ؟**» قَالَتْ: عَشَرَةُ أَوْسُقٍ، خَرْصُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي مُتَعَجِّلٌ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَتَعَجَّلَ فَلْيَفْعَلْ**».

قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى إِذَا أَوْفَى عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: «**هِيَ هَذِهِ طَابَةُ**» فَلَمَّا رَأَى أُحُدًا قَالَ: «**هَذَا أُحُدٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الْأَنْصَارِ؟**» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي سَاعِدَةَ، ثُمَّ فِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ**».

وفي رواية البيهقي [1]، بسندٍ حسن، عن العباس بن سهل بن سعد الساعدي، أو عن العباس، عن سَهل بن سَعدٍ رضي الله عنه، الشَّكُّ مِنِّي [2] أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ مَرَّ بِالْحِجْرِ وَنَزَلَهَا اسْتَقَى النَّاسُ مِنْ بِئْرِهَا، فَلَمَّا رَاحُوا مِنْهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلنَّاسِ: «**لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا، وَلَا تَتَوَضَّئُوا مِنْهُ لِلصَّلَاةِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَاعْلِفُوهُ الْإِبِلَ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ**».

فَفَعَلَ النَّاسُ مَا أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ، خَرَجَ أَحَدُهُمَا لِحَاجَةٍ وَخَرَجَ الْآخَرُ فِي طَلَبِ بَعِيرٍ لَهُ، فَأَمَّا الَّذِي ذَهَبَ لِحَاجَتِهِ فَإِنَّهُ

---

(١) في "دلائل النبوة" (٥/ ٢٤٠).

(٢) كذا هي الرواية في "الدلائل".

خُنِقَ عَلَى مَذْهَبِهِ، وَأَمَّا الَّذِي ذَهَبَ فِي طَلَبِ بَعِيرِهِ فاحتْمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى طَرَحَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيِّءٍ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ**»، ثُمَّ دَعَا لِلَّذِي أُصِيبَ عَلَى مَذْهَبِهِ فَشُفِيَ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَإِنَّهُ وَصَلَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ قَدِمَ مِنْ تَبُوكَ.

❁ **حراسةُ الصحابةِ رضي الله عنهم لرسولِ اللهِ ﷺ:**

أخرج أحمد (١) والشجري في «الأمالي» بسندٍ حسن، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، : «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَاجْتَمَعَ وَرَاءَهُ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَحْرُسُونَهُ، حَتَّى إِذَا صَلَّى وَانْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: « **لَقَدْ أُعْطِيتُ اللَّيْلَةَ خَمْسًا، مَا أُعْطِيَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: أَمَّا أَنَا فَأُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ عَامَّةً، وَكَانَ مَنْ قَبْلِي إِنَّمَا يُرْسَلُ إِلَى قَوْمِهِ، وَنُصِرْتُ عَلَى الْعَدُوِّ بِالرُّعْبِ، وَلَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ شَهْرٍ لَمُلِئَ مِنْهُ رُعْبًا، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ آكُلُهَا، وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعَظِّمُونَ أَكْلَهَا، كَانُوا يُحْرِقُونَهَا، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسَاجِدَ وَطَهُورًا، أَيْنَمَا أَدْرَكَتْنِي الصَّلَاةُ تَمَسَّحْتُ وَصَلَّيْتُ. وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعَظِّمُونَ ذَلِكَ، إِنَّمَا كَانُوا يُصَلُّونَ فِي كَنَائِسِهِمْ وَبِيَعِهِمْ، وَالْخَامِسَةُ هِيَ مَا هِيَ، قِيلَ لِي: سَلْ فَإِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ قَدْ سَأَلَ، فَأَخَّرْتُ مَسْأَلَتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ لَكُمْ وَلِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ** ».

يعني: الشفاعة.

---

(١) في« مسند »أحمد (٧٠٦٨)، و«الأمالي» للشُّجري (٩٩٤).

❁ معجزةٌ من معجزات النبيِّ ﷺ أخبر بها، وهي من المغيبات يوم تبوك.

أخرج مالك و مسلم [١]، عن أَبِي الطُّفَيْلِ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَخْبَرَه:

«أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ غزوة تَبُوكَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وبين وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، قَالَ: فَأَخَّرَ الصَّلاَةَ يَوْمًا، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، ثُمَّ دَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يَضْحَى النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا فَلاَ يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ، قال: فَجِئْنَاهَا، وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلاَنِ، وَالْعَيْنُ مثل الشراك تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَائها.[٢]

فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَلْ مَسِسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟ فَقَالاَ: نَعَمْ فَسَبَّهُمَا، وَقَالَ لَهُمَا =

مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ[٣]، ثُمَّ غَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ قَلِيلًا قَلِيلًا، حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتِ الْعَيْنُ

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (ص١٤٣)، ومسلم(٧٠٦)، مكرر عقب رقم (٢٢٨١).

(٢) تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَائها: أي تسيل من الماء والمعنى: ماء قليل جداً.

(٣) وفي بعض الروايات إنه لعنهم ودعا عليهم، من كلام ابن إسحاق بغير سندٍ أعلمه لكن في «المسند» لأحمد (٢٣٧٩٢)لما سبقه إلى الماء رهط وردوا الماء قبله«..فَلَعَنَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ»، وإسناده قوي.

بِمَاءٍ كَثِيرٍ[١] فَاسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا».

❁ ضعفُ قصة إرسال قيصر الروم رسولاً إلى النبي ﷺ

عن سعيد بن أبي راشد قال: «لَقِيتُ التَّنُوخِيَّ رَسُولَ هِرَقْلَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحِمْصَ، وَكَانَ جَارًا لِي شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ بَلَغَ الْفَنَدَ أَوْ قَرُبَ، فَقُلْتُ أَلَا تُخْبِرُنِي عَنْ رِسَالَةِ هِرَقْلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَرِسَالَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ؟

فَقَالَ: بَلَى، قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَبُوكَ فَبَعَثَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ إِلَى هِرَقْلَ، فَلَمَّا أَنْ جَاءَهُ كِتَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ دَعَا قِسِّيسِي الرُّومِ، وَبَطَارِقَتَهَا، ثُمَّ أَغْلَقَ عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِمْ بَابًا، فَقَالَ: قَدْ نَزَلَ هَذَا الرَّجُلُ حَيْثُ رَأَيْتُمْ، وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيَّ يَدْعُونِي إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ يَدْعُونِي إِلَى أَنْ أَتَّبِعَهُ عَلَى دِينِهِ، أَوْ عَلَى أَنْ نُعْطِيَهُ مَالَنَا عَلَى أَرْضِنَا، وَالْأَرْضُ أَرْضُنَا، أَوْ نُلْقِيَ إِلَيْهِ الْحَرْبَ، وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْتُمْ فِيمَا تَقْرَءُونَ مِنَ الْكُتُبِ، لَيَأْخُذَنَّ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ، فَهَلُمَّ نَتَّبِعْهُ عَلَى دِينِهِ، أَوْ نُعْطِيهِ مَالَنَا عَلَى أَرْضِنَا، فَنَخَرُوا نَخْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، حَتَّى خَرَجُوا مِنْ بَرَانِسِهِمْ وَقَالُوا: تَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَدَعَ النَّصْرَانِيَّةَ، أَوْ نَكُونَ عَبِيدًا لِأَعْرَابِيٍّ جَاءَ مِنَ الْحِجَازِ.

فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُمْ إِنْ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ، أَفْسَدُوا عَلَيْهِ الرُّومَ رَفَأَهُمْ وَلَمْ يَكَدْ، وَقَالَ: إِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ لَكُمْ لِأَعْلَمَ صَلَابَتَكُمْ عَلَى أَمْرِكُمْ، ثُمَّ دَعَا رَجُلًا مِنْ عَرَبِ تُجِيبَ كَانَ عَلَى نَصَارَى الْعَرَبِ، فَقَالَ: ادْعُ لِي رَجُلًا حَافِظًا لِلْحَدِيثِ، عَرَبِيَّ

---

(١) وفي رواية مسلم: (مُنْهَمِرٍ) أي: كثير الصب، والدفع.

اللِّسَانِ، أَبْعَثْهُ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ بِجَوَابِ كِتَابِهِ، فَجَاءَ بِي، فَدَفَعَ إِلَيَّ هِرَقْلُ كِتَابًا، فَقَالَ: اذْهَبْ بِكِتَابِي إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَمَا ضَيَّعْتُ مِنْ حَدِيثِهِ، فَاحْفَظْ لِي مِنْهُ ثَلَاثَ خِصَالٍ: انْظُرْ هَلْ يَذْكُرُ صَحِيفَتَهُ الَّتِي كَتَبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ، وَانْظُرْ إِذَا قَرَأَ كِتَابِي فَهَلْ يَذْكُرُ اللَّيْلَ، وَانْظُرْ فِي ظَهْرِهِ هَلْ بِهِ شَيْءٌ يَرِيبُكَ؟ فَانْطَلَقْتُ بِكِتَابِهِ حَتَّى جِئْتُ تَبُوكَ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ مُحْتَبِيًا عَلَى الْمَاءِ، فَقُلْتُ: أَيْنَ صَاحِبُكُمْ ؟

قِيلَ: هَا هُوَ ذَا، فَأَقْبَلْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَنَاوَلْتُهُ كِتَابِي، فَوَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ قَالَ:« **مِمَّنْ أَنْتَ؟**» فَقُلْتُ: أَنَا أَحَدُ تَنُوخَ، قَالَ: «**هَلْ لَكَ فِي الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِيَّةِ مِلَّةِ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ؟**» قُلْتُ: إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ، وَعَلَى دِينِ قَوْمٍ لَا أَرْجِعُ عَنْهُ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ، فَضَحِكَ وَقَالَ:« **{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}، يَا أَخَا تَنُوخَ، إِنِّي كَتَبْتُ بِكِتَابٍ إِلَى كِسْرَى فَمَزَّقَهُ، وَاللَّهُ مُمَزِّقُهُ، وَمُمَزِّقٌ مُلْكَهُ، وَكَتَبْتُ إِلَى النَّجَاشِيِّ بِصَحِيفَةٍ، فَخَرَقَهَا وَاللَّهُ مُخْرِقُهُ، وَمُخْرِقٌ مُلْكَهُ، وَكَتَبْتُ إِلَى صَاحِبِكَ بِصَحِيفَةٍ، فَأَمْسَكَهَا فَلَنْ يَزَالَ النَّاسُ يَجِدُونَ مِنْهُ بَأْسًا مَا دَامَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ**»

قُلْتُ: هَذِهِ إِحْدَى الثَّلَاثَةِ الَّتِي أَوْصَانِي بِهَا صَاحِبِي، وَأَخَذْتُ سَهْمًا مِنْ جَعْبَتِي فَكَتَبْتُهَا فِي جِلْدِ سَيْفِي، ثُمَّ إِنَّهُ نَاوَلَ الصَّحِيفَةَ رَجُلًا عَنْ يَسَارِهِ، قُلْتُ: مَنْ صَاحِبُ كِتَابِكُمُ الَّذِي يُقْرَأُ لَكُمْ؟ قَالُوا: مُعَاوِيَةُ، فَإِذَا فِي كِتَابِ صَاحِبِي تَدْعُونِي إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، فَأَيْنَ النَّارُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: سُبْحَانَ اللهِ، أَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ، قَالَ: فَأَخَذْتُ سَهْمًا مِنْ جَعْبَتِي

فَكَتَبْتُهُ فِي جِلْدِ سَيْفِي، فَلَمَّا أَنْ فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ كِتَابِي، قَالَ: إِنَّ لَكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ رَسُولٌ، فَلَوْ وُجِدَتْ عِنْدَنَا جَائِزَةٌ جَوَّزْنَاكَ بِهَا، إِنَّا سَفْرٌ مُرْمِلُونَ، قَالَ: فَنَادَاهُ رَجُلٌ مِنْ طَائِفَةِ النَّاسِ، قَالَ: أَنَا أُجَوِّزُهُ، فَفَتَحَ رَحْلَهُ فَإِذَا هُوَ يَأْتِي بِحُلَّةٍ صَفُورِيَّةٍ، فَوَضَعَهَا فِي حِجْرِي، قُلْتُ: مَنْ صَاحِبُ الْجَائِزَةِ؟ قِيلَ لِي: عُثْمَانُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّكُمْ يُنْزِلُ هَذَا الرَّجُلَ؟.

فَقَالَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ، وَقُمْتُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا خَرَجْتُ مِنْ طَائِفَةِ الْمَجْلِسِ، نَادَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: تَعَالَ يَا أَخَا تَنُوخَ، فَأَقْبَلْتُ: أَهْوِي إِلَيْهِ، حَتَّى كُنْتُ قَائِمًا فِي مَجْلِسِي الَّذِي كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَحَلَّ حَبْوَتَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، وَقَالَ: هَاهُنَا امْضِ لِمَا أُمِرْتَ لَهُ، فَجُلْتُ فِي ظَهْرِهِ، فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي مَوْضِعِ غُضُونِ الْكَتِفِ مِثْلِ الْحَجْمَةِ الضَّخْمَةِ».(١)

بعثه ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أُكَيْدِرِ دَوْمَةَ

أُكَيدِرِبن عبد الملك الكندي ملك كندة(٢)

كان نصرانياً ثم أسلم كذا قيل، ولا دليل بل قال بعضهم لم يسلم بلا خلاف، ومن قال أسلم فقد أخطأ خطئاً فاحشاً.

---

(١) فهذا أخرجه أحمد (١٥٦٥٥)، وفي إسناده جهالة بعض رواته، وإن قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٨١):« حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَإِسْنَادُهُ لَا بَأْسَ به ».

(٢) وهي مدينة لها حصن عادي وهي في برية من أرض فيها نخل وزرع يسقون بالنواضح وحولها حصون قليلة، وغالب زرعهم الشعير، وهي مدينة بين الكوفة المدينة، ودمشق.

قَالَ ابْنَ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَبَعَثَهُ إِلَى أُكَيْدِرِ دَوْمَةَ، وَهُوَ أُكَيْدِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ كَانَ مَلِكًا عَلَيْهَا، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِخَالِدٍ: إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ. فَخَرَجَ خَالِدٌ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ بِمَنْظَرِ الْعَيْنِ، وَفِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ صَائِفَةٍ، وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ، فَبَاتَتْ الْبَقَرُ تَحُكُّ بِقُرُونِهَا بَابَ الْقَصْرِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: هَلْ رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ! قَالَتْ: فَمَنْ يَتْرُكُ هَذِهِ؟ قَالَ: لَا أَحَدَ. فَنَزَلَ فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ، فَأُسْرِجَ لَهُ، وَرَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فِيهِمْ أَخٌ يُقَالُ لَهُ حَسَّانُ. فَرَكِبَ، وَخَرَجُوا مَعَهُ بِمُطَارِدِهِمْ. فَلَمَّا خَرَجُوا تَلَقَّتْهُمْ خَيْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَتْهُ، وَقَتَلُوا أَخَاهُ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيبَاجٍ مُخَوَّصٌ بِالذَّهَبِ، فَاسْتَلَبَهُ خَالِدٌ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ قُدُومِهِ بِهِ عَلَيْهِ.

قال: فَحَدَّثَنِي عَاصِم بن عَمْرو بْنُ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: رَأَيْتُ قَبَاءَ أُكَيْدِرٍ حِينَ قَدِمَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَلْمِسُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَعْجَبُونَ من هَذَا؟ فو الّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا**».

وهذا ذكره ابن كثير في «البداية»(١).

و لم أجده مسنداً بهذا السياق إلا ذكر ابن إسحاق له بالسند الثابت الذي في آخره وطرف منه في «الصحيح»(١).

---

(١) «البداية والنهاية »(٥/ ٨٢).

وعلَّق البخاري[٢]، عن سَعِيد، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ: «إِنَّ أُكَيْدِرَ دُومَةَ أَهْدَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ» حلةً.

=

(١) وأخرج البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٥٠)، بإسنادٍ حسن مرسل، من طريق ابن إسحاق، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ إِلَى أُكَيْدِرَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ كَانَ مَلِكًا عَلَى دُومَةَ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا..» فذكره بنصه وتتمَّته «ثُمَّ إِنَّ خَالِدًا قَدِمَ بِالْأُكَيْدِرِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَحَقَنَ لَهُ دَمَهُ، وَصَالَحَهُ عَلَى الْجِزْيَةِ، وَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَرَجَعَ إِلَى قَرْيَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ طَيِّءٍ يُقَالُ لَهُ بُجَيْرُ بْنُ بُجْرَةَ يَذْكُرُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِخَالِدٍ: إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ، وَمَا كَانَتْ صَنْعَةُ الْبَقَرَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى اسْتَخْرَجَتْهُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي ... رَأَيْتُ اللهَ يَهْدِي كُلَّ هَادِ

فَمَنْ يَكُ حَائِدًا عَنْ ذِي تَبُوكٍ ... فَإِنَّا قَدْ أُمِرْنَا بِالْجِهَادِ

وله طريق آخر أخرج البيهقي عقبه في «الدلائل» بإسنادٍ مرسل، وفيه ضعف، عن عروة قَالَ: «وَلَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَافِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ، بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ فَارِسًا إِلَى أُكَيْدِرَ دُومَةِ الْجَنْدَلِ..» فذكر نحو ما تقدم، إلا أنه ذكر أنه ما كره حتى أنزله من الحصن، وذكر أنه قدم مع أكيدر إلى رسول الله ﷺ، «..ثَمَانِمِائَةٍ مِنَ السَّبْيِ، وَأَلْفَ بَعِيرٍ، وَأَرْبَعِمِائَةِ دِرْعٍ، وَأَرْبَعِمِائَةِ رُمْحٍ، وَأَقْبَلَ خَالِدٌ ﷺ بِأُكَيْدِرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَقْبَلَ مَعَهُ يُحَنَّةُ بْنُ رُومَةَ عَظِيمُ أَيْلَةَ..».

ثم أخرج عقبه إسناداً من طريق بلال بن يحيى أن أبا بكر الصديق ﷺ كان على المهاجرين غزوة دومة الجندل، وخالد بن الوليد ﷺ على الأعراب في غزوة دومة الجندل.

فالله أعلم بصحة تفاصيل ذلك، لكن هذا الوارد قد رأيتَ ما في الأسانيد به،وليس بمستبعد حصوله، والله أعلم.

(٢) برقم (٢٦١٦)، ووصله مسلم عقب رقم (٢٤٦٩).

وفي« الصحيحين »[١]، عن أَنَس ﷺ، قَالَ: أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ جُبَّةُ سُنْدُسٍ، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الحَرِيرِ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا، فَقَالَ:« **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا** ».

ثم إن رسول الله ﷺ أهداها إلى علي بن أبي طالب ﷺ:

ففي صحيح مسلم[٢]، عن عَلِيٍّ ﷺ، أَنَّ أُكَيْدِرَ دُومَةَ أَهْدَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثَوْبَ حَرِيرٍ، فَأَعْطَاهُ عَلِيًّا، فَقَالَ: «**شَقِّقْهُ خُمُرًا بَيْنَ الْفَوَاطِمِ**»[٣]، أو «**بَيْنَ النِّسْوَةِ**».

ويؤيد أن رسول الله ﷺ أرسل جيشًا إلى أُكَيْدِرِ دَوْمَةَ:

ما أخرجه أحمد[٤] بإسنادٍ حسن، عن أنس بن مالك ﷺ قال: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشًا إِلَى أُكَيْدِرَ دُومَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِجُبَّةٍ مِنْ دِيبَاجٍ مَنْسُوجٍ فِيهَا الذَّهَبُ، فَلَبِسَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ - أَوْ جَلَسَ -، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ، ثُمَّ نَزَلَ فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْمِسُونَ الْجُبَّةَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَتَعْجَبُونَ مِنْهَا؟** » قَالُوا: مَا رَأَيْنَا ثَوْبًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ، أَحْسَنُ مِمَّا تَرَوْنَ**».

---

(١) البخاري برقم (٢٦١٥)، ومسلم (٢٤٦٩).

(٢) برقم (٢٠٧١).

(٣) الفواطم ثلاث: فاطمة بنت رسول الله ﷺ ﷺ، وفاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب ﷺ وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب ﷺ.

(٤) في «المسند» برقم (١٢٢٢٣).

وفي رواية أحمد[١]، بسندٍ صحيح عنه، «أَنَّ أُكَيْدِرَ دُومَةَ أَهْدَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ جُبَّةَ سُنْدُسٍ أَوْ دِيبَاجٍ، قَبْلَ أَنْ يَنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ....».

❁ إهداء ملك أيْلَة لرسولِ اللّه ﷺ بغلةً بيضاء وكساه برداً

أخرج البخاري[٢]، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ: «غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَبُوكَ وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ».

ومعنى كتب له ببحرهم: أي أقره النبي ﷺ ملكًا على مقابل ما التزمه من الجزية.

وهذا هو الموطن الذي جاءت فيه الهدية

وفي صحيح البخاري[٣]، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا جَاءَ وَادِيَ القُرَى إِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ لَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**اخْرُصُوا**»، وَخَرَصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، فَقَالَ لَهَا: «**أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَتَيْنَا تَبُوكَ قَالَ: أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلاَ يَقُومَنَّ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ**» فَعَقَلْنَاهَا، وَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَأَلْقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّءٍ، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْدًا

---

(١) في «المسند» برقم (١٣١٤٨).

(٢) برقم (٣١٦١).

(٣) برقم (١٤٨١)، ومسلم(١٣٦٢)، مختصر.

وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ، فَلَمَّا أَتَى وَادِيَ القُرَى قَالَ لِلْمَرْأَةِ: «كَمْ جَاءَ حَدِيقَتُكِ» قَالَتْ: عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، خَرْصَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي مُتَعَجِّلٌ إِلَى المدِينَةِ».

❁ المدةُ التي قضاها رسول الله ﷺ بتبوك

لم أقف على شيءٍ من ذلك مُسنداً، وقد قال ابن إسحاق أنه لم يجاوز بضع عشر ليلة في غزوة تبوك فالله أعلم كم يوم تحديداً قضاها في هذه الغزوة.

❁ خُطبةُ النبي ﷺ في تبوك

ورد في السياق أن كانت خطبة هناك لكن يبدوا أنها لم تكن كبيرة وإلا تواتر نقلها كما في خطبة حجة الوداع.

أخرج أحمد[1] بإسنادٍ صحيح،عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَوْمَ خَطَبَ النَّاسَ بِتَبُوكَ:«مَا فِي النَّاسِ مِثْلُ رَجُلٍ آخِذٍ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَجْتَنِبُ شُرُورَ النَّاسِ، وَمِثْلُ آخَرَ بَادٍ فِي نِعْمَةٍ يَقْرِي ضَيْفَهُ وَيُعْطِي حَقَّهُ».

فدلَّ على وجود خطبة، لكن ما أعلم دليلاً على أنها كانت طويلة، والله أعلم.

❁ إعداد خباء من أدم لرسول الله ﷺ بتبوك وهو مع ذلك منشغل بتعليم الصحابة رضي الله عنهم

في صحيح البخاري[1]، عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ

(١) برقم (١٩٨٧)، وغيره.

فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ[٢]، فَقَالَ: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**».

والغاية: أي راية، سميت بذلك؛ لأنها غاية المتَّبع إذا وقفت وقف وإذا مشت مشى.

فانظر يرحمك الله في ظل هذه الظروف! لا يفتأ يُعلم الصحابة رضي الله عنهم الدين ويبصِّرهم بالفتن، ويُعلِّمهم الأحكام الفقهية العملية، غير منشغل بما فيه عن سؤاله عن الصحابة رضي الله عنهم الذين تغيبوا مع أنهم كثير لا يجمعهم ديوان كذا، وهو في قبَّته هذه التي ليست للراحة، والدعة،والتفاخر،والتلهي بها، والتمتع بزهرة الحياة الدنيا، وزهوها،غير منشغل بذلك كله عن العظات أن يصيبهم بعض ما أصاب من قبلهم من قوم ثمود، وأصحاب الحِجر، يُحَذِّر مما صنعوا.

❁ قصرُ الصلاة برسولِ اللّه ﷺ في تبوك

أخرج مسلم[٣]، عن مُعَاذٍ رضي الله عنه ، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ

=

(١) برقم (٣١٧٦).

(٢) القبة: كل اناء مدور، أدم: جلد مدبوغ.

(٣) برقم (٧٠٦).

تَبُوكَ، فَكَانَ يُصَلِّي الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا».

وعنده[1]، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «جَمَعَ بَيْنَ الصَّلَاةِ فِي سَفْرَةٍ سَافَرَهَا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَجَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، قَالَ سَعِيدٌ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: مَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: أَرَادَ أَنْ لَا يُحْرِجَ أُمَّتَهُ».

❁ قفولُ النبيِّ ﷺ راجعاً إلى المدينةِ لم يلق كيداً ﷺ

ورضي الله عن أصحابه أجمعين.

تنبيه:

اشتهر هنا عن أبي رُهْمٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، الَّذِينَ بَايَعُوهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، يَقُولُ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا سَرَى لَيْلَةً سِرْتُ قَرِيبًا مِنْهُ إِلَيْهِ، وَأُلْقِيَ عَلَيَّ النُّعَاسُ، فَطَفِقْتُ أَسْتَيْقِظُ، وَقَدْ دَنَتْ رَاحِلَتِي مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَيُفْزِعُنِي دُنُوُّهَا، خَشْيَةَ أَنْ أُصِيبَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ، فَأُؤَخِّرُ رَاحِلَتِي، حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي بَعْضَ اللَّيْلِ، فَزَحَمَتْ رَاحِلَتِي رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ، فَأَصَابَتْ رِجْلَهُ، فَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا لِقَوْلِهِ: حَسِّ، فَقُلْتُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: سِرْ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَستخْبِرُنِي عَمَّنْ تَخَلَّفَ مِنْ بَنِي غِفَارٍ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ إِذْ هُوَ يَسْأَلُنِي: مَا فَعَلَ الْحُمْرُ الطُّوَالُ الثِّطَاطُ؟، فَحَدَّثْتُهُ بِتَخَلُّفِهِمْ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ النَّفَرُ السُّودُ - أَوْ قَالَ: الْقِصَارُ الْجِعَادُ الْقِطَاطُ - الَّذِينَ لَهُمْ نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَرْخٍ؟، فتذَكَّرْتُ فِي بَنِي غِفَارٍ، فَلَمْ أَذْكُرْهُمْ حَتَّى ذَكَرْتُ رَهْطًا مِنْ أَسْلَمَ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا

(١) برقم (٧٠٥).

رَسُولَ اللهِ، أُولَئِكَ رَهْطٌ مِنْ أَسْلَمَ، وَقَدْ تَخَلَّفُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَا يَمْنَعُ أَحَدٌ أُولَئِكَ حِينَ يَتَخَلَّفُ، أَنْ يَحْمِلَ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِهِ امْرَأً نَشِيطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّ أَعَزَّ أَهْلِي عَلَيَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنِّي الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْأَنْصَارُ، وَغِفَارٌ، وَأَسْلَمُ». ولكنه لا يصح.[١]

❁ محاولةٌ من المنافقين الفتك برسول الله ﷺ وهو راجع من تبوك[٢]

أخرج الإمام أحمد[٣]، بإسنادٍ جيد، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: إِنَّ رَسُولَ اللهِ أَخَذَ الْعَقَبَةَ، فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ[٤] عَلَى الرَّوَاحِلِ، غَشَوْا عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وُجُوهَ

---

(١) مع شهرته، ولكن أخرجه معمر في «الجامع» (١٩٨٨٢ مصنف) وأحمد في «المسند» (١٩٠٧٢)، وفي إسناده ضعيف، فيه ابن أخي أبي رُهم فيه جهالة لا يعرف.

(٢) وبدأ تنحسر دورالكفار أهل الكتاب، وعبدة الأوثان بظهور قوة النبي ﷺ، وأصحابه ﷺ، ويدب دبيب المنافقين الذين خنست جرأتهم أن يجهروا بالكفر الذي في قلوبهم، فأسلموا ظاهراً خوف القتل، ولكن يُعرَفون في لحن قولهم وسُوء عملهم، وخبث قلوبهم الذي يُجسده العمل ، ولذلك كان الصحابة ﷺ أصحاب فراسة يعرفونهم ويتعاملون معهم بحكمة تعامله ﷺ معهم ، والله المستعان. وراجع كتابي «ذم النفاق وأهله وفقه التعامل مع المنافقين »

(٣) برقم (٢٣٧٩٢) وأصل الحديث في صحيح مسلم (٢٧٧٩) مختصرًا.

(٤) الرهط من الثلاثة إلى العشرة، وربما جاوزا ذلك قليلاً.

الرَّوَاحِلِ[١]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحُذَيْفَةَ: « **قَدْ، قَدْ**[٢] » حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ، فَقَالَ: «**يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟**» فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ وَالْقَوْمُ مُتَلَثِّمُونَ قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟**».

قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « **أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَطْرَحُوهُ** »[٣]، قَالَ: فَسَأَلَ عَمَّارٌ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: نَشَدْتُكَ بِاللهِ، كَمْ تَعْلَمُ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ فَقَالَ: أَرْبَعَةَ عَشَرَ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ فِيهِمْ فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ، فَعَذَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً قَالُوا: وَاللهِ مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللهِ، وَمَا عَلِمْنَا مَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَالَ عَمَّارٌ: أَشْهَدُ أَنَّ الِاثْنَيْ عَشَرَ الْبَاقِينَ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ[٤]».

وفي لفظ ابن ابن أبي شيبة[٥]:«...قَالَ : كَانَ بَيْنَ حُذَيْفَةَ وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعَقَبَةِ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَقَالَ : أُنْشِدُكَ بِالله ، كَمْ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ : فَأَخْبِرْهُ ، فَقَدْ سَأَلَكَ ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ : قَدْ كُنَّا

---

(١) الرواحل: الإبل التي تصلح للأسفار.

(٢) قد قد : لعل معناها كفى كفى، ولعل المعنى: امضي امضي، والله أعلم.

(٣) أي: أرادوا أن يزحموا ناقة رسول الله ﷺ حتى يوقعوه في الوادي مِن عليها.

(٤) يوم يقوم الأشهاد: الأشهاد هم الملائكة .

(٥) (٧/ ٤٤٥) من نفس الطريق.

نُخْبَرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : وَإِنْ كُنْتُ فِيهِمْ ، فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ ، أَشْهَدُ بِاللهِ..».

فحرَّفها المجرم القبيح الرافضي الخبيث ياسر الحبيب، وقرأها على أن كلمة « فَقَالَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ » من قول حذيفة إجابة على السؤال الموجَّه له ليست جملة ابتدائية ليَتَّهِم الأثيمُ أبا موسى بالنفاق، ويخالف معتقد آل البيت في أبي موسى رضي الله عنه ولا عجب!

وليت شعري إن السياق يأباه، ولكنه الحقد على أصحاب محمد وخاصة أبي موسى هو الحامل لهذا المنافق تحت مظلة:«الورقة البحثية» على النيل من أبي موسى ؟

وقد رواه البيهقي من طريق أحمد[1] بلفظ:« قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ- أي لحذيفة -: أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ. قَالَ: كُنَّا نُخْبَرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ، فَإِنْ كُنْتَ ..» .

لكن ليس فيه ذكر أبي موسى، وما المانع أن يكون في بعض الطرق القائل حذيفة وفي بعضها القائل هو أبو موسى :« كُنَّا نُخْبَرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ».

وليس فيه ما يخدم أبدًا أن حذيفة رضي الله عنه قال بأن الأشعري من المنافقين وحاشاه، وكيف وقد كان أحد الحكمين الذي رضيه علي رضي الله عنه – المعصوم عندهم – في التحكيم بينه وبين معاوية رضي الله عنه ؟

---

(١) في«السنن الكبرىٰ»(٩/ ٥٧) من طريق أحمد وهو في المسند (٢٣٣٢١).

وله من الفضائل والمناقب عند على وغيره وعلى لسان رسول الله ما يحتاج إلى مؤلف مستقل، والله المستعان.

دعى له رسول الله ﷺ واستعمله ، وأثنى عليه.

واستعمله الخلفاء الراشدين الذين رضيهم علىٌّ وآل البيت رضي الله عنهم .

❁ دنوه ﷺ من المدينة قافلاً وصلاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، برسول الله ﷺ .

ذكر ابن كثير- رحمه الله- [١]:

«أن فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ هَذِهِ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلْفَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ صَلَاةَ الْفَجْرِ، أَدْرَكَ مَعَهُ الرَّكْعَةَ الثَّانِيَةَ مِنْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَهَبَ يَتَوَضَّأُ وَمَعَهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَأَبْطَأَ عَلَى النَّاسِ، فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَتَقَدَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَلَمَّا سَلَّمَ النَّاسُ أَعْظَمُوا مَا وَقَعَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحْسَنْتُمْ وَأَصَبْتُمْ**». ثم عزا ذلك للبخاري.

والحقيقةُ أنَّ أصل قصة الوضوء التي أراد فيها المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن ينزع خف النبي ﷺ، وقال ﷺ:«..فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ»في«الصحيحين» .[٢]

وفي صحيح مسلم [٣]، (صلاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه برسول الله ﷺ).

---

(١) في «البداية والنهاية » (٥/ ٨٧).

(٢) راجع «صحيح البخاري (٥٧٩٩)، و«صحيح مسلم » (٢٧٤).

(٣) برقم (٢٧٤).

ففيه قال الْمُغِيرَةُ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه: «تَخَلَّفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَخَلَّفْتُ مَعَهُ فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ قَالَ: أَمَعَكَ مَاءٌ؟، فَأَتَيْتُهُ بِمِطْهَرَةٍ(١)، فَغَسَلَ كَفَّيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ= يَحْسِرُ عَنْ ذِرَاعَيْهِ فَضَاقَ كُمُّ الْجُبَّةِ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ الْجُبَّةِ، وَأَلْقَى الْجُبَّةَ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، وَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ، وَمَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ وَعَلَى الْعِمَامَةِ وَعَلَى خُفَّيْهِ، ثُمَّ رَكِبَ وَرَكِبْتُ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَوْمِ، وَقَدْ قَامُوا فِي الصَّلَاةِ، يُصَلِّي بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَقَدْ رَكَعَ بِهِمْ رَكْعَةً، فَلَمَّا أَحَسَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ ذَهَبَ يَتَأَخَّرُ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ، فَصَلَّى بِهِمْ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقُمْتُ، فَرَكَعْنَا الرَّكْعَةَ الَّتِي سَبَقَتْنَا».(٢)

وفي رواية أحمد(٣) «...ثُمَّ عَمَدَ إِلَى النَّاسِ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ قَدَّمُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ يُصَلِّي بِهِمْ، فَأَدْرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ، فَصَلَّى مَعَ النَّاسِ الرَّكْعَةَ الْآخِرَةَ بِصَلَاةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَلَمَّا سَلَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَامَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) وفي الرواية عند الإمام أحمد (١٨١٧٥) عنه، قال: «تَخَلَّفْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَتَبَرَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ وَمَعِي الْإِدَاوَةُ، قَالَ: فَصَبَبْتُ عَلَى يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَنْثَرَ...».

(٢) والحديث في «مسند الطيالسي» (٢٢٠) من طريقٍ آخر بسندٍ ثابت، «أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ لَمَّا صَلَّى وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَذَهَبَ يَتَأَخَّرُ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَنْتَ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِصَلَاةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ»، وأخرجه من نفس الطريق البزار في «البحر الزخار» (١٠١٤)، ولكن ليس فيه التصريح أن ذلك كان عند رجوعه من تبوك صريحاً،وعبد الرحمن رضي الله عنه لم يصل برسول الله ﷺ إلا في هذه المرَّة .

(٣) برقم (١٨١٧٥).

ﷺ، يُتِمُّ صَلَاتَهُ فَأَفْزَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَكْثَرُوا التَّسْبِيحَ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ،أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ،فَقَالَ:«**قَدْ أَحْسَنْتُمْ، وَأَصَبْتُمْ، يَغْبِطُهُمْ أَنْ صَلَّوْا الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا**»

❁ من أقوالِه ﷺ عند دنوه من المدينة

أخرج البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالَ:«**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا،وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ**»(١).

عن عَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى المَدِينَةِ قَالَ: هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٣)، وقد رواه مسلم (١٩١١) عن جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ**» وفي رواية: «**إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ**».

(٢) صحيح أخرجه البخاري(٤٤٢٢)، وسياق مسلم (١٣٦٢) عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ،وَسَاقَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ، ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا وَادِي الْقُرَى،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«**إِنِّي مُسْرِعٌ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِي، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ**»،**فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ**...» فذكره.

عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رضي الله عنه ، قال: **أَذْكُرُ أَنِّي خَرَجْتُ مَعَ الصِّبْيَانِ « نَتَلَقَّى النَّبِيَّ ﷺ، إِلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ مَقْدَمَهُ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ».**[١]

خرجوا يتلقون رسول الله ﷺ عند رجوعه من تبوك إلى ثنية الوداع وهي التي من جهة تبوك في طريق الذهاب من المدينة إلى الشام .

وكانوا إذا ودَّعوا مسافراً خرجوا معه إليها،والثنية الطريق من الجبل،وقيل: ما ارتفع من الأرض.

وفي سنن البيهقي [٢]بسند مرسل لا يصح، عن ابن عَائِشَةَ رضي الله عنه ، يَقُولُ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ جَعَلَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ وَالْوَلَائِدُ يَقُلْنَ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا .... مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا .... مَا دَعَا للهِ دَاعِ

وهذا وإن كان لا يصح، لكن في «صحيح البخاري » تقدم،أنهم خرجوا يتلقون رسول الله ﷺ من ثنية الوداع حينما قدم من تبوك.[٣] والبعض يذكر

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٧).

(٢) «دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٦).

(٢) ففي «صحيح البخاري»(٤٤٢٧) عن الزُّهْرِيِّ عَنِ السَّائِبِ، قال:«أَذْكُرُ أَنِّي خَرَجْتُ مَعَ الصِّبْيَانِ نَتَلَقَّى النَّبِيَّ ﷺ إِلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ مَقْدَمَهُ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ» وقد تقدم.

الشعر هذا أنه لما قدم المدينة يوم الهجرة، وسنده لا يصح كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في موطنه قبل، ويدل على نكارته أن ثنيَّة الوداع جهة

المدينة يمر بها القافل من جهة الشام وتبوك،لامن جهة مكةَ والله أعلم.

وهذا الخطأ كان يخطئ في نسبته العلماء قديمـًا، حتى قال البيهقي[1] رحمه الله عقب ذكر الشعر:

قلتُ (البيهقي): «وَهَذَا يَذْكُرُهُ عُلَمَاؤُنَا عِنْدَ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ مِنْ مَكَّةَ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ عِنْدَهُ، لَا أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ عِنْدَ مَقْدَمِهِ مِنْ تَبُوكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ».

قلت (محمد): ولذا نبَّهت عليه هنا، وفيما تقدم أثناء الكلام على وروده في الهجرة النبوية، ومقامٍ آخر، فلله الحمد والمنة.

❁ من أقواله ﷺ عند رجوعه من غزوة تبوك

في حديث أبي حُمَيدٍ رضي الله عنه، قولُه ﷺ بعد أن أشرفَ على المدينة: «..**إِنَّ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ،ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ**»،فَلَحِقَنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَيَّرَ دُورَ الْأَنْصَارِ، فَجَعَلَنَا آخِرًا فَأَدْرَكَ سَعْدٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ خَيَّرْتَ دُورَ الْأَنْصَارِ، فَجَعَلْتَنَا آخِرًا، فَقَالَ: «**أَوَلَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْخِيَارِ**».[2]

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٢٦٦).

(٢) كما في «صحيح مسلم» (١٣٩٢).

وفي هذا بيان فضل من شهد غزوة تبوك مع النبيِّ ﷺ لسبقهم في الإسلام، ولآثارهم الجميلة في الدين.

حديث كعب بن مالك رضي الله عنه

في تخلُّفه ومن معه عن رسولِ الله ﷺ في غزوةِ تبوك

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه (١):«لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ، أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، كَانَ مِنْ خَبَرِي:

أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ، فِي تِلْكَ الغَزَاةِ، وَاللهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، يُرِيدُ الدِّيوَانَ، قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

(١) وهو حديث في الصحيحين البخاري برقم (٤٤١٨)، ومسلم برقم (٢٧٦٩).

وَالمسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالمسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ:

وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبٌ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ،وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا،وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ:

إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الـمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلاَنِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ

سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الـمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «**تَعَالَ**»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «**مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ**». فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ، لاَ وَاللهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**». فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لاَ تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الـمُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ، فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلاَنِ، قَالاَ مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟

قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ، وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الـمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ

أَشَبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ:

يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ المَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلاَءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا[1]، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ

(١) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»(٨/ ١٢١):« دَلَّ صَنِيعُ كَعْبٍ هَذَا عَلَى قُوَّةِ إِيمَانِهِ وَمَحَبَّتِهِ لله وَلِرَسُولِهِ وَإِلَّا فَمَنْ صَارَ فِي مِثْلِ حَالِهِ مِنَ الْهَجْرِ وَالْإِعْرَاضِ قَدْ يَضْعُفُ عَنِ احْتِمَالِ ذَلِكَ وَتَحْمِلُهُ الرَّغْبَةُ فِي الْجَاهِ وَالْمَالِ عَلَى هِجْرَانِ مَنْ هَجَرَهُ وَلَا سِيَّمَا مَعَ أَمْنِهِ مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي اسْتَدْعَاهُ إِلَيْهِ أَنه لا يكرهه عَلَى فِرَاقِ دِينِهِ لَكِنْ لَمَّا احْتُمِلَ عِنْدَهُ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ مِنَ الِافْتِتَانِ حَسَمَ الْمَادَّةَ وَأَحْرَقَ

رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: «**لاَ، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلاَ تَقْرَبْهَا**»، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ،حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الأَمْرِ، قَالَ كَعْبٌ:

فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «**لاَ، وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبْكِ**». قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: وَاللهِ لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَلاَمِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ، قَدْ ضَاقَتْ

=

الْكِتَابَ وَمَنَعَ الْجَوَابَ هَذَا مَعَ كَوْنِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ الَّذِينَ طُبِعَتْ نُفُوسُهُمْ عَلَى الرَّغْبَةِ وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ الِاسْتِدْعَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ مِنَ الْجَاهِ وَالْمَالِ وَلَا سِيَّمَا وَالَّذِي اسْتَدْعَاهُ قَرِيبُهُ وَنَسِيبُهُ وَمَعَ ذَلِكَ فَغَلَبَ عَلَيْهِ دِينُهُ وَقَوِيَ عِنْدَهُ يَقِينُهُ وَرَجَّحَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ النَّكَدِ وَالتَّعْذِيبِ عَلَى مَا دُعِيَ إِلَيْهِ مِنَ الرَّاحَةِ وَالنَّعِيمِ حُبًّا فِي اللهِ وَرَسُولِهِ كَمَا قَالَ ﷺ وَأَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَعند بن عَائِذٍ أَنَّهُ شَكَا حَالَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ: مَا زَالَ إِعْرَاضُكَ عَنِّي حَتَّى رَغِبَ فِيَّ أَهْلُ الشِّرْكِ ». اهـ

عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ:

لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ قَالَ: «**لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ**».

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**».

قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيتُ. فَوَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ اللهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: {لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالـمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ} [التوبة: ١١٧] إِلَى قَوْلِهِ {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩] فَوَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلاَمِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ - شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ} [التوبة: ٩٥] إِلَى قَوْلِهِ {فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ} [التوبة: ٩٦]، قَالَ كَعْبٌ:

وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} [التوبة: ١١٨]. وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ».

❁ تلخيصُ أحوالِ من تخلَّفوا عن رسولِ ﷺ في غزوةِ تبوك

قال ابن كثير: كَانَ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ:

القسم الأول :مَأْمُورُونَ مَأْجُورُونَ كَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ.(١)

القسم الثاني : وَمَعْذُورُونَ وَهُمُ الضُّعَفَاءُ وَالْمَرْضَى وَالْمُقِلُّونَ وَهُمُ الْبَكَّاءُونَ.(٢)

القسم الثالث: وَعُصَاةٌ مُذْنِبُونَ وَهُمُ الثَّلَاثَةُ (٣)، وَأَبُو لُبَابَةَ وَأَصْحَابُهُ الْمَذْكُورُونَ.

---

(١) يعني: أن رسول ﷺ سمح لهم بالتخلف، أو أمرهم به لمصلحة ما، أمرهم بها مع حبهم أن يكونوا مع رسول ﷺ في الغزوة.

(٢) وهم الذين قال الله تعالى فيه : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ التوبة.

وهم الذين شاركوا الصحابة رضي الله عنهم الأجر حبسهم العذر، وفيهم قال رسول الله ﷺ، كما في صحيح البخاري (٤٤٢٣)، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ».

وأخرجه مسلم (١٩١١)، عن جَابِرٍ رضي الله عنه مطلقاً قيده بغزوة، ولم يذكر أنها تبوك أو غيرها، وقال: «...حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ».

(٣) وهم: كعب بن مالك، وهِلال بن أُمية الواقفي، ومُرارةُ بن الرَّبيع العَمْري رضي الله عنهم.

القسم الرابع :وَآخَرُونَ مَلُومُونَ مَذْمُومُونَ وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ ». اهـ

والآياتُ التي في سورة التوبة بينت صحة هذا التقسيم، الذي قسمه الإمام المفسر ابن كثير رحمه الله تعالى.

هؤلاء المنافقون الذين خُلِّفوا عن رسول الله ﷺ، كَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ.(١)

ثم قال الله تعالى، عنهم للمؤمنين :﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ التوبة .

(١) وهذا صريح في «صحيح البخاري»، و«صحيح مسلم» كما في حديث كعب بن مالك الطويل.

وقد فَضَحَهم القرآن في سورة التوبة (سورة الفاضحة)، ذكرت أقوالهم، وأفعالهم، وبعض أوصافهم.

وقد تناولت ما يتعلق بهم، مع ذكر صفاتهم في كتابي «ذم النفاق، وأهله وذكر صفاتهم وما يتعلق بهم».

الدروسُ المستفادةُ كثيرة من غزوةِ تبوك

هناك دروس مستفادة من قصة غزوة تبوك:

❁ **منها:** خطورة المنافقين على الإسلام وأهله،فكم عَوَّقُوا من مسلم وخذَّلوه وصدُّوه، وكم عانى الإسلام وأهله من جـرَّاء ما صنعوا، فلا القراء سَلِموا منهم، ولا المنفقون سلموا منهم، ولا المجاهدين سلموا منهم، ولا رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن سلموا منهم، فكم طعنوا في الدين، كم سخروا من محسن، وكم شَـوَّهوا من عظمة صرح الدين العظيم، والله من ورائهم محيط.

وقد ذكرتُ أوصافهم، وأعمالهم، وخطرهم، في كتابي المُشار إليه، ذكرتُ ما يتعلَّق بالمنافقين من كلِّ وجهٍ فليراجعه من شاء.

❁ **ومنها:** أن من حلف على يمين فرأى غيرها فليكفر عن يمينه،وليأتي الذي هو خير، كما في حديث المتقدم.

❁ **ومنها:** إرهاب الروم بمثل ما صنع رسول الله ﷺ ، وهي طريقةٌ ينكرها سفهاء الأحلام اليوم في العرُوض الدولية العسكرية.

❁ **ومنها:** أن خِـفَّة ما في أيدي المسلمين وغيرهم، والشدَّةِ، ما جعلتهم يفتقدون مواقف التضحيةِ والفداء والشجاعة .

❁ **ومنها:** أن الصحابة ﷺ لما بذلوا وصَبروا مع رسول ﷺ،كان الله تعالى يمدّ رسولَه بالكرامات التي تطمئن قلوبهم، وتثبت قلوبهم على الإيمان أكثر .

❁ **ومنها:** أن خِـــفَّـــةَ ما في أيديهم ما منعتهم من الصدقة، وقد قال عمار ﷺ : «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**...وعَدّ منها: «..**الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ**..».

❁ **ومنها:** اعانةُ المسلم أخاه على عدم سوء الظن، ودفع الشبهات عن النفس، وذلك فيما فعله أبو موسى الأشعري ﷺ مع أصحابه ﷺ الذين أرسلوه لرسولِ الله ﷺ يطلب منه ما يحملهم عليه.

❁**ومنها:** حالة أصحاب رسول الله ﷺ إذا تعطَّلَت عليهم مكاسب الآخرة، أما الناس اليوم فلربما يبكي إذا تعطلت عليه أمور الدنيا، أما أمور الآخرة ففواتها لا يمثل عنده ما كان يمثل عندهم، أبصرهم لما قال لهم رسول ﷺ: «..لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تُفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ».

لا كالمنافقين الذين يفرَحون بتخلفهم، ومقعدهم خِلاف رسول الله.

ويتعللون بما كان يتعلل به من قبلهم فهؤلاء يتعللون بالحر ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ ﴿٨١﴾ ﴾ التوبة، وهي حجة واهية، ﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ ﴾ الأحزاب ، فالله تعالى

قال: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ التوبة، والذين من قبلهم قالوا لموسى قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المائدة.

فلو مثَّل الواصف كلامهم بوصف مَن يستهزئ بالأوامر النبوية ما كان يُرى أوضح منه مثالاً.

❁ **ومنها:** الدعاء بالبركة على الطعام سبب حصول البركة، وكفايته، لفعله ﷺ.

❁ **ومنها:** أن علاماتِ المنافقين أنهم يكرهون الجهاد كما قال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٨١﴾ ﴾ التوبة ؛ لأنهم يكرهون الإسلام من داخلهم فكيف يبذلون الجهد لنصرته؟!.

❁ **ومنها:** عدم الاعتماد على المنافقين في الجهاد، والمهام العظام، فإن رسول ﷺ كان يسمح لهم بالخروج للجهاد، لكن ما اعتمد على واحدٍ منهم في أمرٍ عظيم أبداً، بل كان يأخذ حِذره منهم كما بينته في غير هذا الموطن.

❁ **ومنها:** بيان بعض كيفيات التعامل مع الكفار.

❁**ومنها:** فرح المسلم بتبرئة ساحة إخوانه، ولذا أسرع المبشرون يبشرون كعب بن مالك ﷺ ويهنئونه، ويتسابق المسلمون في ذلك.

خُلُقٌ فقده كثير ممن يشار إليه أنه من العلماء الكبار اليوم.

وحتى النساء فرحن بتوبة الله على كعب ﷺ بعد ما أصابه من الشدة عليه في ذلك، فإنه حكي حديثه[١] قال: «..وَكَانَ -يعني: النبي ﷺ- يَبْدَأُ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ، وَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ كَلاَمِي، وَكَلاَمِ صَاحِبَيَّ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْ كَلاَمِ أَحَدٍ مِنَ المُتَخَلِّفِينَ غَيْرِنَا، فَاجْتَنَبَ النَّاسُ كَلاَمَنَا، فَلَبِثْتُ كَذَلِكَ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ الأَمْرُ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فَلاَ يُصَلِّي عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، أَوْ يَمُوتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَكُونَ مِنَ النَّاسِ بِتِلْكَ المَنْزِلَةِ فَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلاَ يُصَلِّي وَلاَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ فَأَنْزَلَ اللهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي مَعْنِيَّةً فِي أَمْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**يَا أُمَّ سَلَمَةَ تِيبَ عَلَى كَعْبٍ**»، قَالَتْ: أَفَلاَ أُرْسِلُ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرَهُ؟ قَالَ: «**إِذًا يَحْطِمَكُمُ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمُ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ**»[٢]، حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الفَجْرِ آذَنَ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا، وَكَانَ إِذَا اسْتَبْشَرَ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ القَمَرِ..» الحديث...الله أكبر.

❁ **ومنها:** عاقبة الصدق فإنه منجاة.

---

(١) كما في «صحيح البخاري» (٤٦٧٧).

(٢) هذا خلق مشهور معروف عندهم، رزقنا الله القيام بحقوق الأخوَّة.

❁ ومنها: المكافأة على حسن الصنيع أخذ من فعله ﷺ اتجاه من ذهبوا فبشروه، فقاموا فهنئوه، قال كعب ﷺ: « فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ[1]، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ»، والواضح أنه يحكي فعل طلحة في هذا الموقف.

❁ ومنها : المسارعة في الخيرات أخذ من قوله: «وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ»، ولذا يقول خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ الكلاعي: «إِذَا فُتِحَ لِأَحَدِكُمْ بَابُ خَيْرٍ فَلْيُسْرِعْ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي وقف.

مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ ».[2]

❁ ومنها : قوة يقين كعب ﷺ ، فمع ضيق الصدر، والهمّ، ومقاطعة القوم له، أرسل ملك غسان برسالةٍ فقال: «قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلاَءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا» ﷺ .

❁ ومنها : الأسوة بالصالحين، والتأسي بهم في الخير، فإن كعب ﷺ ائتسى بصاحبيه هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع ﷺ ، وقد شهدا بدراً.

❁ ومنها : سخاء كعب ﷺ في النفقة ، تصَدَّق بثوبه الذي لم يملك غيره واستعار ما يلبسه !

---

(١) يعني في هذا الموطن ، وإلا ففي الروايات الأخرىٰ كثير قاموا يُهنِّئوه .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في«الزهد » (٢٣٣٥) بإسنادٍ صحيح.

❁ **ومنها** : وقوع الذنوب من الجميع، ولو من أكابر القوم.

❁ **ومنها** : قبول هدية الكافر.

❁ **ومنها**: النهي عن الدخول مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن نكون باكين.

❁ **ومنها**: أن إمساك المرء بعض ماله خيرٌ له كما أرشد رسول ﷺ كعب رضي الله عنه.

خبرُ مسجد الضرار الذي بُني للكفر والتفريق بين المسلمين وإرصاداً لمن حارب اللّه ورسوله ﷺ

قصة مسجد الضرار: بيَّنها سبحانه

فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠ ﴾ التوبة.

«وَمَضْمُونُ ذَلِكَ[١]:

أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَنَوْا صُورَةَ مَسْجِدٍ قَرِيبًا مِنْ مَسْجِدِ قُبَاءٍ وَأَرَادُوا أَنْ يُصَلِّيَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ؛ حَتَّى يَرُوجَ لَهُمْ مَا أَرَادُوهُ مِنَ الْفَسَادِ وَالْكُفْرِ وَالْعِنَادِ، فَعَصَمَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ إِلَى تَبُوكَ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنْهَا فَنَزَلَ بِذِي أَوَانٍ - مَكَانٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَاعَةٌ - نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي شَأْنِ هَذَا الْمَسْجِدِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ} [التوبة: ١٠٧] الْآيَةَ.

أَمَّا قَوْلُهُ: (ضِرَارًا) فَلِأَنَّهُمْ أَرَادُوا مُضَاهَاةَ مَسْجِدِ قُبَاءٍ، (وَكُفْرًا) بِاللهِ لَا لِلْإِيمَانِ بِهِ، (وَتَفْرِيقًا) لِلْجَمَاعَةِ عَنْ مَسْجِدِ قُبَاءٍ {وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ} [التوبة: ١٠٧] وَهُوَ أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ الْفَاسِقُ[٢]، قَبَّحَهُ اللهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا دَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَى عَلَيْهِ، ذَهَبَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَاسْتَنْفَرَهُمْ فَجَاءُوا عَامَ أُحُدٍ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا قَدَّمْنَاهُ، فَلَمَّا لَمْ يَنْهَضْ أَمْرُهُ ذَهَبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ قَيْصَرَ؛ لِيَسْتَنْصِرَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ عَلَى دِينِ هِرَقْلَ مِمَّنْ تَنْصَرَّ مَعَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ، وَكَانَ يَكْتُبُ إِلَى إِخْوَانِهِ الَّذِينَ نَافَقُوا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ، وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا، فَكَانَتْ مُكَاتَبَاتُهُ وَرُسُلُهُ تَفِدُ إِلَيْهِمْ كُلَّ حِينٍ، فَبَنَوْا هَذَا الْمَسْجِدَ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، وَبَاطِنُهُ دَارُ حَرْبٍ وَمَقَرٌّ لِمَنْ يَفِدُ

---

(١) على ما قال ابن إسحاق، وحكاه عنه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٨٦-٨٧).

(٢) والطرق في ذلك لا يسلم منها شيء، لكن هذا هو المتداول في الكتب، جُلّ العلماء ينقله.

مِنْ عِنْدِ أَبِي عَامِرٍ الرَّاهِبِ وَمُجَمِّعٌ لِمَنْ هُوَ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ} [التوبة: ١٠٧]. ثُمَّ قَالَ: {وَلَيَحْلِفُنَّ} [التوبة: ١٠٧]. أَيِ الَّذِينَ بَنَوْهُ {إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى} [التوبة: ١٠٧] أَيْ إِنَّمَا أَرَدْنَا بِبِنَائِهِ الْخَيْرَ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [التوبة: ١٠٧]. ثُمَّ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ: {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا} [التوبة: ١٠٨] فَنَهَاهُ عَنِ الْقِيَامِ فِيهِ لِئَلَّا يُقَرِّرَ أَمْرَهُ. ثُمَّ أَمَرَهُ وَحَثَّهُ عَلَى الْقِيَامِ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، وَهُوَ مَسْجِدُ قُبَاءٍ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ، وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي الثَّنَاءِ عَلَى تَطْهِيرِ أَهْلِهِ مُشِيرَةٌ إِلَيْهِ، وَمَا ثَبَتَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[1]

---

(١) برقم (١٣٩٨)، قال ﷺ حينما سئل عن المسجد الذي أُسِّسَ على التَّقْوَىٰ؟ قَالَ: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا»، لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ.

وفي «صحيح البخاري»(٣٩٠٦) في حادثة الهجرة، وفيه: «.. فَلَبِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ المَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ..» الحديث.

وابن كثير يشير: أن كون المسجد النبوي أسس على التقوىٰ من أول يومٍ، لا ينافي أن يكون مسجد قباء أسس على التقوىٰ من أول يومٍ أيضاً. فكلُّ فضيلةٍ لمسجدِ قباء هي لمسجد المدينة من باب أولىٰ، والله أعلم.

والحاصلُ أن العلماءَ اختلفوا ما المقصود بالمسجد الذي أسس على التقوى؟

فرواية البخاري المتقدمة في حادث الهجرة، وكذا مسلم، تفيدان أنه مسجد رسول الله ﷺ مسجد المدينة.

مِنْ أَنَّهُ مَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا يُنَافِي مَا تَقَدَّمَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مَسْجِدُ قُبَاءٍ أُسِّسَ

=

وقولُه تعالى: { لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ } [سورة التوبة] نزلت الآية في أهلِّ قِباء، كانوا يستنجون بالماء وسمي مسجد القبلتين؛ صُلي فيه جهة بيت المقدس ثم إلى جهة الكعبة.

أخرج ابن أبي شيبة (١/ ١١١)، والطبراني في «الكبير» (١٣/ ١٥٧) بإسنادٍ يُحسن لشواهده، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه، قَالَ: «قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ فِي الطَّهُورِ خَيْرًا يَا أَهْلَ قُبَاءَ، أَفَلَا تُخْبِرُونِي؟**» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيْنَا فِي التَّوْرَاةِ الِاسْتِنْجَاءُ بِالْمَاءِ».

وشاهد له عند أبي داود (٤٤) وغيره.

ولا خلاف أن قوله تعالى: {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ } أهل قباء حكاه ابن العربي «عارضة الأحوذي» لا سيما وقوله في الآية { مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ } دليلٌ على أنه مسجد قباء؛ لأنه كان أول مسجدٍ بناه رسول الله ﷺ.

❁ **وله فضلٌ:** فقد قال سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: «لَأَنْ أُصَلِّيَ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ رَكْعَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ آتِيَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ مَرَّتَيْنِ، لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي قُبَاءٍ لَضَرَبُوا إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْإِبِلِ». أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة المنورة» (١/ ٤٢)، بإسنادٍ صحيح.

و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ رَاكِبًا وَمَاشِيًا، فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ».

أخرجه البخاري (١١٩٤)، ومسلم (١٣٩٩).

وليس هذا من شدِّ الرحال؛ لكون المسافة بين المسجدين قريبة.

وفي «صحيح مسلم» (١٣٩٩) عن عبد الله بن دينار، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يَأْتِي قُبَاءً كُلَّ سَبْتٍ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَأْتِيهِ كُلَّ سَبْتٍ».

عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ فَمَسْجِدُ الرَّسُولِ أَوْلَى بِذَلِكَ وَأَحْرَى، وَأَثْبَتُ فِي الْفَضْلِ مِنْهُ وَأَقْوَى، وَقَدْ أَشْبَعْنَا الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ فِي « التَّفْسِيرِ» وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ».

قدوم الوفود على رسول الله ﷺ للإسلام بعد هذا

قدوم وفد ثقيف سنة تسع للهجرة

أولاً: قدوم عُرْوَةِ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ رضي الله عنه :[١]

أخرج ابن أبي حاتم[٢]، عن أَبِيه حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ - وَهُوَ مُحَمَّدٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ يَعْنِي ابْنَ عُمَيْرٍ قَالَ: قَالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ابْعَثْنِي إِلَى قَوْمِي، [٣]أَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلامِ [٤]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، «**انْطَلِقْ**» فَانْطَلَقَ فَمَرَّ عَلَى اللاتِ وَالْعُزَّى لَا عُزَّى[٥]، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا. يَا مَعْشَرَ الْأَحْلافِ، إِنَّ الْعُزَّى لَا عُزَّى، وَإِنَّ اللاتَ لَا لاتَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ فَأَصَابَ أَكْحَلُهُ فَقَتَلَهُ فَبَلَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**هَذَا**

---

(١) الذي كان رسول ﷺ لقريشٍ يوم الحديبية لا تنس.

(٢) في «تفسيره» (١٨٠٤٧).

(٣) ظن أنهم يطيعونه لمنزلته فيهم فقد كان محبباً مطاعاً فيهم، رسول هذه البلاد إلى الأكابر.

(٤) ترون ماذا يفعل الإسلام في أهله، وهو الذي كان يتهكَّم على الصحابة جمعياً، ويهوي بيده إلى لحية النبي ﷺ وذلك يوم صلح الحديبة، وقد تقدم.

(٥) إن ثبت هذا فلعل كان هناك في بعض عُرف الكفر من يعبد اللات والعزى، فليس بلازم أن تكون هي اللات والعزى التي كانتا في مكة، تُعبد قبل فتحها.

مَثَلُهُ كَمَثَلِ صَاحِبِ يس قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ».

وهذا رجاله معدَّلون سوى محمد بن جابر، وهو ابن سيار يُحسن له على مضد، وهو مع هذا منقطع بين عبد الملك وعروة .هذا واضح.

وأخرج ابن إسحاق[١] بنحوه، وفيه زيادة.«...أنه لما انصرف رسول الله ﷺ عن ثقيف، اتَّبَعَ أَثَرَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، حَتَّى أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَسْلَمَ وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ بِالْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، كَمَا يَتَحَدَّثُ قَوْمُهُ:« **إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ**» وَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ فِيهِمْ نَخْوَةَ الِامْتِنَاعِ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ، فَقَالَ عُرْوَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْكَارِهِمْ. فخرج يدعوهم إلى الإسلام....».

وأخرج ابن سعد في «طبقاته»[٢] عن عَفَّانَ بْن مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: «كَانَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيِّ يُشَبَّهُ بِجَبْرَائِيلَ. وَكَانَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ مَثَلَهُ كَمَثَلِ صَاحِبِ يس.

وَكَانَ عَبْدُ الْعُزَّى بن قطن يُشَبَّه بالدجال».[٣]

---

(١) كما في «السيرة النبوية »لابن هشام (٢/ ٥٣٧) .

(٢) (٤/ ١٨٩)، ط دار الكتب العلمية.

(٣) وإسناده رجاله ثقات معدلون، سوىٰ يزيد بن الوليد، وهو الكوفي، ذكره ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٦٢٧)، وقال عنه: «روىٰ عَنْهُ إِدْرِيس الأودي والكوفيون»، فهذا يُحسن له إذا لم يروىٰ ما يُستنكر لرواية الجمع عنه .

وتشبيه دحية وعبد العزى بمن ذُكر ثابتٌ في الأحاديث الصحاح من وجوه أخرى والله أعلم.

ثانيـًا: قدوم وفد ثقيف.

أخرج أحمد بإسنادٍ صحيح إن شاء الله، عن حُمَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ(١)، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، أَنَّ وَفْدَ ثَقِيفٍ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنْزَلَهُمُ الْمَسْجِدَ لِيَكُونَ أَرَقَّ لِقُلُوبِهِمْ، فَاشْتَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ لَا يُحْشَرُوا(٢)، وَلَا يُعْشَرُوا(٣)،

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٩١٣) وأبو داود (٣٠٢٦).

وفي سماع الحسن من عثمان نزاع، حررتُ الراجح فيه، في هامش كتابي «البشارة بذكر الأحكام المتعلقة بالإجارة» ص١٩٧، في فصل أخذ الأجرة على الأذان ، وإسناده قوي، ولولا أن حميد لم أقف الآن على تصريحه بالتحديث وهو مدلس، والأمر قريب إذ هو يروي هنا عن تابعي عن صحابي وقد سمع هو من بعض الصحابة فماذا عساه أن يدلس.؟

(٢) لا يحشروا: أي لا يُندبون إلى الجهاد، ولا يضرب عليهم البعوث.

(٣) لا يُعشروا: أي لا يؤخذ عُشر أموالهم- أي الزكاة- وإنما فسح لهم في تركها؛ لأنها لم تكن واجبة يومئذ عليهم، وإنما تجب بتمام الحول، المهم أنه لا يخدم الذاهب لقبول إسلام الكفار مع رفضهم بعض جزئيات الإسلام ، بل هذا يُنتقض إسلامه أصلاً، وقد خالف قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ البقرة.

ولا يبعد أن يكون الله تعالى أطلع نبيَّه ﷺ على أنهم سيتصدقون ويجاهدون بعد متى تمكَّن الإيمان من قلوبهم كما يُفهم هذا من رواية أبي داود الآتية بعد تعليق ، فأنَّى لغيره أن يعلم بهذا وطريقه إنما هو الوحي، لأنه من علم الغيب ؟

وَلَا يُجَبَّوْا[١]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَكُمْ أَنْ لَا تُحْشَرُوا، وَلَا تُعْشَرُوا، وَلَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ**»

وأخرج أبو داود[٢]، بإسنادٍ. قوي، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْنِي إِمَامَ قَوْمِي، قَالَ: «**أَنْتَ إِمَامُهُمْ وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ وَاتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا**».

وهو الموطن الوحيد – فيما أعلم – الذي فيه أن رسول الله ﷺ أعطى الأمر لمن سأله ،ولا يخدم المنازعين للأمراء الطالبين للإمارة إن استدلُّوا به

ثم هي إمارة ليست كالإمامة الكبرى، وللموقف مُلابسات تمنع الإستدلال به على جواز طلب الإمارة لصراحة النهي منه ﷺ عن طلب الإمارة، وعدم إعطائها لمن سألها كما بينت ذلك في غير هذا الموطن ،ولعل رسول الله ﷺ أقرَّه، لكونه وجده حريصاً على التَّفَقُّه، فأمّره لكونه أعلمُهم وأفقهم، وهو أهل لهذه المسئولية ، وقانا الله تعالى من الشُبه وأهلها.

وأخرج أبو داود[٣]بإسنادٍ جيد، عن وَهْبٍ، قَالَ: سَأَلْتُ جَابِرًا عَنْ

---

(١) لا يُجَبُّوا: أي أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم، ومرادهم أن لا يصلوا.

(٢) برقم (٥٣١)، وقد ثَبَتَ أسانيده جماعةٌ من العلماء: العجلوني، وابن تيمية، وعبد الهادي، والشوكاني، والشيخ أحمد شاكر وغيرهم، وكلامي على أسانيده في هامش كتابي «البشارة بذكر الأحكام المتعلقة بالإجارة»، في باب أخذ الأجرة على الأذان (ص١٦٧).

(٣) برقم (٣٠٢٥)، وأحمد (١٤٦٧٣وما بعده) وغيرهما.

، شَأْنِ ثَقِيفٍ إِذْ بَايَعَتْ؟ قَالَ: اشْتَرَطَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، أَنْ لَا صَدَقَةَ عَلَيْهَا، وَلَا جِهَادَ، وَأَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: «**سَيَتَصَدَّقُونَ، وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا**».

ولقد قال ابن إسحاق: « فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ كِتَابَهُمْ، أَمَّرَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ، وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَحْرَصَهُمْ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْغُلَامَ مِنْهُمْ مِنْ أَحْرَصِهِمْ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ» والله أعلم.

وعلى كل حال لا مُتَعَلَّق لأحدٍ بهذا الحديث في طلب الإمارة التي هي خزيٌ، وندامة، ويأتي المرء مغلولاً بسببها يديه إلى عُنقه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ ﴿١٨﴾ ﴾ الحج [(١)]. والله المستعان.

والمقصود: أنه ظل يتفقه وينصحه رسول الله ﷺ بما يؤهِّله لهذه المَهمة، حتى فَقُه، ثم بعثه إلى ثقيف.

وأخرج الإمام أحمد[(٢)]، بإسنادٍ صحيح، عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ: وَكَانَ آخِرُ شَيْءٍ عَهِدَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيَّ أَنْ قَالَ: «جَوِّزْ فِي صَلَاتِكَ وَاقْدُرِ النَّاسَ بِأَضْعَفِهِمْ، فَإِنَّ مِنْهُمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الْحَاجَةِ».

---

(١) (سورة الحج:١٨).

(٢) في «المسند» برقم (١٧٩١٠).

وفي روايةٍ[١]، «أَنَّ آخِرَ مَا فَارَقَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ قَالَ: **إِذَا صَلَّيْتَ بِقَوْمٍ فَخَفِّفْ بِهِمْ، حَتَّى وَقَّتَ لِي اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**».

بل في صحيح مسلم [٢] عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «**أُمَّ قَوْمَكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَجِدُ فِي نَفْسِي شَيْئًا قَالَ: «**ادْنُهْ**»، فَجَلَّسَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِي صَدْرِي بَيْنَ ثَدْيَيَّ. ثُمَّ قَالَ: «تَحَوَّلْ»، فَوَضَعَهَا فِي ظَهْرِي بَيْنَ كَتِفَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «**أُمَّ قَوْمَكَ. فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ وَحْدَهُ، فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ**».

❁ ونوعٌ آخر من التعليم له:

«أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي**».[٣]

❁ ونوعٌ آخر: عن نَافِع بْن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ،عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ

---

(١) في «المسند» برقم (١٧٩١٤)، وإسناده حسن.

(٢) برقم (٤٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٣).

ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ». (١)

❁ ونوعٌ آخر من التعليم:

أخرج ابن ماجـة(٢)، بإسنادٍ حسن عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، قَالَ: لَمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الطَّائِفِ، جَعَلَ يَعْرِضُ لِي شَيْءٌ فِي صَلَاتِي، حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**ابْنُ أَبِي الْعَاصِ**؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**مَا جَاءَ بِكَ**؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَرَضَ لِي شَيْءٌ فِي صَلَاتِي، حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي. قَالَ: «**ذَاكَ الشَّيْطَانُ، ادْنُهْ**» فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَجَلَسْتُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيَّ، قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ، وَتَفَلَ فِي فَمِي، وَقَالَ: «**اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ**»، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «**الْحَقْ بِعَمَلِكَ**».

والمقصود:

أن رسول الله ﷺ فقَّهه ثم أرسله لقومه لمميزات فيه ليست لغيره، فقيل: إنه كان من أفضل الناس لهم حتى إنه لما مات رسول ﷺ نهاهم عن الردَّة وقال ما حاصله: كنتم آخر من آمن به فلا تكونوا أول من يرتدّ عن دينه، فكان نعم الرجل

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٢) أحمد (١٦٢٦٨).

(٢) برقم (٣٥٤٨).

لهم ﷺ، في حياة النبي ﷺ وبعد مماته، فنعم الأمير كان لهم بخلاف الطالبين للإمارات اليوم

❁ موت عَبْد اللَّهِ بْن أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ- قبَّحه الله –

كم نال رسولَ الله ﷺ منه أَذًى كَثِيرًا حتى بلغ أذاه به إلى أهل بيته ﷺ.[١]

أخرج أبو داود[٢]، وغيره، بإسنادٍ حسن، عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ، قَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ، فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ عَرَفَ فِيهِ الْمَوْتَ، قَالَ: قَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ حُبِّ يَهُودَ، قَالَ: فَقَدْ أَبْغَضَهُمْ أَسَعْدُ بْنُ زُرَارَةَ فَمَهْ فَلَمَّا مَاتَ أَتَاهُ ابْنُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيّ، قَدْ مَاتَ فَأَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ، فَنَزَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَمِيصَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ».

وتقدم أن عبد الله بن عبد الله بنُ أبيّ ﷺ، عرض على النبيِّ ﷺ أن يأتيه برأسه، فأَمَرهُ ببِره وإحسان صحبته.[٣].

---

(١) وتقدم تولِّيه كبر حادثة الإفك الشهيرة التي تقدم ذكرُها.

(٢) برقم (٣٠٩٤) من طريق ابن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد به. وصرح ابن إسحاق بالتحديث من الزهري عند البيهقي في«دلائل النبوة» (٥/ ٢٨٥).

(٣) ففي«الجامع»لابن وهب (١١٤)،و«صحيح ابن حبان»(٤٢٨) بإسنادٍ حسن عن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: «مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ وَهُوَ فِي ظِلِّ أَجَمَةٍ، فقَالَ: قَدْ غَبَّرَ عَلَيْنَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ، فقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لَئِنْ شِئْتَ لَآتِيَنَّكَ بِرَأْسِهِ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا، وَلَكِنْ بِرَّ أَبَاكَ، وَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُ**».

وأخرج البيهقي بإسنادٍ صحيح، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، أَتَى ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ

لِيُكَفِّنَهُ فِيهِ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللهُ عَنْهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ رَبِّي خَيَّرَنِي، فَقَالَ: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ} [التوبة: ٨٠]، وَسَأَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ»، فَقَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ} [التوبة: ٨٤]...».(١)

وفي رواية البخاري(٢) وغيره، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه ،أَنَّهُ قَالَ: «لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَبْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ، وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ: إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرْ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةَ: {وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا}

---

(١) أخرجه البخاري(٤٦٧٠) ومسلم(٢٤٠٠) و البيهقي في «دلائل النبوة»(٥/ ٢٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧١).

[التوبة: ٨٤]، إِلَى قَوْلِهِ {وَهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة: ٨٤].

قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.(١)

وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ ﷺ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ بَعْدَ مَا دُفِنَ، فَأَخْرَجَهُ، فَنَفَثَ فِيهِ مِنْ رِيقِهِ، وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ.(٢)

وفي رواية مسلم(٣): أَتَى النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ قَبْرِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَنَفَثَ عَلَيْهِ مِنْ رِيقِهِ، وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ. وإنما ألبسه رسول الله قميصه مكافأة؛ لكونه كَسَا العباس قميصًا يوم أن جاء يوم بدرٍ أسيراً، فأحب أن يكافئه ﷺ فكانت له يدٌ عند عمِّه(٤)، «**وعَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ**» كما قال ﷺ ،

---

(١) وعند ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٤٩٨) من طريق ابن إسحاق بسندٍ حسن،عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ :«..دُعِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، تَحَوَّلْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي صَدْرِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَتُصَلِّي عَلَى عَدُوِّ الله عَبْدِ الله بْنِ أَبَيٍّ بن سَلُولَ؟ الْقَائِلِ كَذَا يَوْمَ كَذَا،.....»، وفي آخره قَالَ:«فَعَجِبْتُ لِي وَلِجُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ الله ﷺ والله وَرَسُوله أعلم. وفيه نزلت: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ}، فَمَا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ بَعْدَهُ عَلَى مُنَافِقٍ حَتَّى قَبَضَهُ الله تَعَالَى» ولا عتب على عمر فيما فعل في شرح يطول ، لكن قد يُهوِّل الرافضي به .

(٢) وهذا في صحيح البخاري (١٢٧٠).

(٣) برقم (٢٧٧٣).

(٤) وفي صحيح البخاري (٣٠٠٨)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ أُتِيَ بِأُسَارَى، وَأُتِيَ بِالعَبَّاسِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ قَمِيصًا، فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ

ولقدكان ﷺ يجازي من أحسن إليه، وإلى أقاربه كما كان يفعل مع خلائل خديجة رضي الله عنها.

ومع ذلك فإن قميص النبي ﷺ لن ينفعه بشيء لكفره الذي أضمَره، فهو متوَعَّد بالدرك الأسفل من النار –أعاذنا الله من ذلك –.

بعثُ النبيُّ ﷺ أبا بكرٍ الصديقَ رضي الله عنه أميراً على الحجِ سنة تسع للهجرة [١]، ونزولُ سورة براءة

أخرج البخاري [٢]، عن حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه بَعَثَهُ فِي الحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ يَوْمَ النَّحْرِ فِي رَهْطٍ يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ، «**أَلاَ لاَ يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ**».

وفي رواية عنه، قال: «بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فِي تِلْكَ الحَجَّةِ فِي الـمُؤَذِّنِينَ، بَعَثَهُمْ يَوْمَ النَّحْرِ يُؤَذِّنُونَ بِمِنًى، أَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، قَالَ حُمَيْدٌ: ثُمَّ أَرْدَفَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةَ،

=

يَقْدُرُ عَلَيْهِ، فَكَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِيَّاهُ، فَلِذَلِكَ نَزَعَ النَّبِيُّ ﷺ قَمِيصَهُ الَّذِي أَلْبَسَهُ، قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يُكَافِئَهُ».

(١) فقد جزم البخاري بأنه كان في السنة التاسعة فقال: «بَابُ حَجِّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ».

(٢) برقم (١٦٢٢)، ومسلم(١٣٤٧).

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مِنًى يَوْمَ النَّحْرِ بِبَرَاءَةَ[١]، وَأَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ». [٢]

وقد أخرج الإمام أحمد عَنْ مُحَرَّرِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ أَبِيهِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: « كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِبَرَاءَةٌ. فَقَالَ: مَا كُنْتُمْ تُنَادُونَ؟ قَالَ: كُنَّا نُنَادِي: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ، فَإِنَّ أَجَلَهُ أَوْ أَمَدَهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا مَضَتِ الْأَرْبَعَةُ الْأَشْهُرِ فَإِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَحُجُّ هَذَا الْبَيْتَ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ. قَالَ: فَكُنْتُ أُنَادِي حَتَّى صَحِلَ صَوْتِي». [٣]

---

(١) براءة: أي يقرأها على الناس، و براءة اسم لسورة التوبة سميت براءة؛ لأنها تبدأ بقوله تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ ﴾ التوبة.

(٢) عند البخاري برقم (٤٦٥٦).

(٣) أخرجه أحمد (٧٩٧٧) من طريق عن مغيرة،عن الشعبي، عن محرر بن أبي هريرة، عن أبيه، وهذا سندٌ رجاله معدلون، ومُحَرَّر روى عنه جمعٌ، لولا نكارةٌ في متنه، أشار إليها ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٠٥) فقال: «وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ لَكِنْ فِيهِ نَكَارَةٌ مِنْ جِهَةِ قَوْلِ الرَّاوِي: إِنَّ مَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ فَأَجَلُهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ. وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا ذَاهِبُونَ، وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ فَأَجَلُهُ إِلَى أَمَدِهِ بَالِغًا مَا بَلَغَ وَلَوْ زَادَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ أَمَدٌ بِالْكُلِّيَّةِ فَلَهُ تَأْجِيلُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، بَقِيَ قِسْمٌ ثَالِثٌ وَهُوَ مَنْ لَهُ أَمَدٌ يَتَنَاهَى إِلَى أَقَلَّ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ التَّأْجِيلِ، وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَلْتَحِقَ بِالْأَوَّلِ فَيَكُونَ أَجَلُهُ إِلَى مُدَّتِهِ وَإِنْ قَلَّ،وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ يُؤَجَّلُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ؛ لِأَنَّهُ أَوْلَى مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ عَهْدٌ بِالْكُلِّيَّةِ. وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَم ».اهـ

❁ تلخيصُ ما حصلَ في السنةِ التاسعةِ للهجرةِ

١ـ غزوةُ تبوك.

٢ـ مصالحةُ ملك أيلة، وصاحب دومة الجندل رسول الله ﷺ.

٣ـ هدمُ مسجد الضرار الذي بناهُ المنافقون.

٤ـ قدوم وفد ثقيف وصالحوا رسول الله ﷺ عن قومهم، ورجعوا بالأمان إليهم.

٥ـ فيها توفي عبد الله بنُ أبيّ ابن سَلُول رأس المنافقين لعنه الله.

٦ـ حج أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه بالناس بإذن رسول الله ﷺ، وإرسال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الحج بقراءة سورة براءة.

٧ـ قدوم الوفود على رسول الله ﷺ بالإسلام، والمبايعة.

٨ ـ قيل إن النجاشي ملك الحبشة الذي أسلم ، مات في تلك السنة.

٩ـ وفاةُ أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، وصلى عليها ﷺ ودفنها. (١)

=

وفي «مسند أحمد » (٥٩٤) من طريق عَنْ زَيْدِ بْنِ أُثَيْعٍ، عن علي رضي الله عنه، بنحوه، وفيه: «...وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ عَهْدٌ فَعَهْدُهُ إِلَى مُدَّتِهِ...» لكن زيد بن أُثَيْعٍ أقرب إلى الجهالة، وإن وثقه الحافظ ابن حجر في «التقريب»، وفي إسناده أيضاً خلاف.

(١)وعزا ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٠٧) تغسيل أم عطية ونسوة من الأنصار لها، والذي في الصحيحين البخاري (١٢٥٣)، ومسلم (٥٣٩).

تغسيل أم عطية – وحدها- لزينب رضي الله عنها، وهي التي قال لها رسول الله ﷺ: «**اغْسِلْنَهَا ثَلاَثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ أَكْثَرَ...**»،الحديث.

ولعلها كانت تتزعَّم النسوة في التغسيل .

وأما قولُه ﷺ[1] لما أراد دفن ابنته:«..**هَلْ مِنْكُمْ رَجُلٌ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ؟...**».

فلم يدفنها عثمان رضي الله عنه وهو زوجها،وقبرها أبو طلحة رضي الله عنه .

فصُرِّح في رواية أحمد[2]عن أنس رضي الله عنه ،بإسنادٍ صحيح على شرط مسلم، أنها رقية رضي الله عنها لا أم كلثوم، وكان عثمان رضي الله عنه زوج كل واحدة بعد الأخرى ولذا سمي (ذو النورين)، لكن الحافظ[3]يجزمُ بأن تسميتها رقية وهمٌ من حماد، لأن رقيةَ ماتت ببدرٍ.

والشُرَّاح يقولون: عن قول أنس بن مالك رضي الله عنه : «شَهِدْنَا بِنْتًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ....».الحديث[4]،.أنها أم كلثوم، فالله أعلم.

وأما تعيين أن هذا هو الوقت الذي توفيت فيه ابنةُ النبيّ ﷺ،فإنما هو من قولِ الواقدي. والله أعلم.

---

(١)فيما رواه صحيح البخاري(١٢٨٥).

(٢)برقم (١٣٣٩٨).

(٣) ابن حجر في« الفتح» (٢/ ١٥٨).

(٤)الذي أخرجه البخاري (١٢٨٥).

مبادرةُ الناس بإسلامِهم وقدومُ وفود العرب[١] يَفدون على رسول الله ﷺ يدخلون في دين الله أفواجاً.

لما ظهر رسول الله ﷺ على قومه، تَيقن الناس في البلاد الأخرى أنه نبي، فصاروا يدخلون في دين الله أفواجـًا.

فأخرج البخاري[٢]، عن أبي قِلابَةَ، عن عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو قِلاَبَةَ: أَلاَ تَلْقَاهُ فَتَسْأَلَهُ؟ قَالَ فَلَقِيتُهُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: كُنَّا بِمَاءٍ مَمَرَّ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ فَنَسْأَلُهُمْ: مَا لِلنَّاسِ، مَا لِلنَّاسِ؟ مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ، أَوْحَى إِلَيْهِ، أَوْ: أَوْحَى اللهُ بِكَذَا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الكَلاَمَ، وَكَأَنَّمَا يُقَرُّ فِي صَدْرِي، وَكَانَتِ العَرَبُ تَلَوَّمُ[٣] بِإِسْلاَمِهِمُ الفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الفَتْحِ، بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلاَمِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلاَمِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ:

جِئْتُكُمْ وَاللهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَقًّا، فَقَالَ: صَلُّوا صَلاَةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا صَلاَةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا. فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآنًا مِنِّي، لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبَانِ،

---

(١) حتىٰ إن ابن هشام ذكر في «السيرة» (٢/ ٥٠٤) سنة تسع، سنة الوفود؛ لكثرة الوفود الذين أتوا النبي ﷺ فيها للإسلام، كما سيأتي ذلك فيما نورده مما صح، وتركنا كثيراً مما لم يصح،مما هو كثيرٌ تجده مُدوَّناً في الكتب، والله الموفق.

(٢) برقم (٤٣٠٢).

(٣) تَلَوَّمُ بِإِسْلاَمِهِمُ الفَتْحَ:أي تنتظر فتح مكة حتىٰ تُعلن بإسلامها.

فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ، كُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَقَلَّصَتْ عَنِّي...» الحديث.

❁ وفد بني تميم،وأهل اليمن

أخرج البخاري، عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا بَنِي تَمِيمٍ أَبْشِرُوا**» قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَجَاءَهُ أَهْلُ اليَمَنِ، فَقَالَ: «**يَا أَهْلَ اليَمَنِ، اقْبَلُوا البُشْرَى إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ**»، قَالُوا: قَبِلْنَا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ بَدْءَ الخَلْقِ وَالعَرْشِ..».(١)

وفيه(٢)،أنهم سألوه عن هذا الأَمْر؟ قَالَ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ...**»، الحديث.

❁ قدوم رجلين من المشرق

أخرج البخاري(٣)، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه: «أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الـمَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا**» أَوْ: «**إِنَّ بَعْضَ البَيَانِ لَسِحْرٌ**».

وقد ورد في سبب قول النبي ﷺ هذا، ونص كلامِهما خبرٌ طويل أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»، بإسنادٍ لا يصح، أعرضنا عنه، وفيه :أن أحدهما سيد

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣١٩٠).

(٢) برقم (٣١٩١).

(٣) برقم (٥٧٦٧)، ورواه مسلم(٨٦٩) عن عَمَّار رضي الله عنه بسياق آخر.

بني تميم ولا يصح، فإن صحَّ فهما وفدٌ من وفود بني تميم، وإلا فهما ممن قَدِمُوا على رسول الله ﷺ من بعض الوفود المذكورة.

❁ وقد ورد في فضل تميم أحاديث:

منها : أن النبي ﷺ قال عنهم: «**هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي، عَلَى الدَّجَّالِ..**».(١)

وَكَانَتْ سَبِيَّةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَعْتِقِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**».(٢)

❁ قدومُ وفد عبد القيس على النبيِّ ﷺ:

أخرج البخاري ومسلم(٣) عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنِ القَوْمُ؟**» - أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ -، قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «**مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ**»

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٤٣)، ومسلم (٢٥٢٥).

(٢) كما في رواية مسلم السابقة.

(٣) البخاري برقم (٥٣)، ومسلم (١٧).

وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ، وَرُبَّمَا قَالَ: المُقَيَّرِ، وَقَالَ: «**احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ**».

وفيه أنه قال: لِلْأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ رضي الله عنه: « **إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ** »[1] وعلَّمهم أشياء ليس موطن ذكرها هنا.

ولمَّا أتوه ﷺ صلى ركعتين بعد صلاة العصر، ولعلها كانت سنة الظهر التى كان شُغل عنها بهم تأخر عنها، وهما سنة الظهر لانشغالهم بهم.[2]

لكن المشكل أن حديثَ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ جُمُعَةٍ جُمِّعَتْ بَعْدَ جُمُعَةٍ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي مَسْجِدِ عَبْدِ القَيْسِ بِجُوَاثَى مِنَ البَحْرَيْنِ».[3]

وجُوَاثَى: قرية من قرى البحرين.

فهذا السياق يدل على أن قدوم وفد عبد القيس كان قبل فتح مكةَ قديمـًا، بعد بناء مسجد الرسول ﷺ،لا بعد فتح مكةَ، ويُؤيِّده قولهم: «**وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا**

---

(١) وهي في صحيح مسلم أيضاً، ومعنىٰ الحلم : أي العقل ، وأما الأناة فهو التثبُّت، وترك العجلة التي هي دليل علىٰ الطيش.

(٢) ففي «صحيح البخاري» (٤٣٧٠)، قَال النبيُّ ﷺ، لأم سلمة رضي الله عنها :«**يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ، سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ العَصْرِ، إِنَّهُ أَتَانِي أُنَاسٌ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ بِالإِسْلاَمِ مِنْ قَوْمِهِمْ، فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، فَهُمَا هَاتَانِ**».

(٣) أخرجه البخاري(٨٩٢).

الْحَيُّ مِنْ كُفار مُضر، لَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ»، وَاللهُ أَعْلَمُ.[١]

❁ قدوم ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ رسولُ من وراءه:

أخرج البخاري[٢] عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الـمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ فِي الـمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الـمُتَّكِئُ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ أَجَبْتُكَ».

فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الـمَسْأَلَةِ، فَلاَ تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟ فَقَالَ: «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ» فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ» قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ» قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ» فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ...».

---

(١) وقد أشار إلى نحو ذلك الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١١٦).

(٢) برقم (٦٣).

ولعل هذا هو الصحابي الذي قال: «وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَزِيدُ عَلى هذا، وَلَا أَنْقُصُ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»، والقلب إلى أنه هو أميل، وإلا فهو آخر من أهل البادية وفد على رسول الله ﷺ.

وقد أخرج أحمد (١) وغيره من طريق محمد بن الوليد بن نُوَيْفِعٍ، عن كريب مولى ابن عباس، عن ابن عباس رضي الله عنه، أن ضِمَامًا لما انصرف «...وقَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: بِئْسَتِ اللاتُ وَالْعُزَّى، قَالُوا: مَهْ يَا ضِمَامُ، اتَّقِ الْبَرَصَ وَالْجُذَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ، قَالَ: وَيْلَكُمْ، إِنَّهُمَا وَاللهِ لَا يَضُرَّانِ وَلا يَنْفَعَانِ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا اسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ وَلا امْرَأَةٌ إِلا مُسْلِمًا قَالَ: يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا سَمِعْنَا بِوَافِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ»(٢).

---

(١) في «المسند»(٢٣٨٠) والبيهقي في «الدلائل»(٥/ ٣٧٤)

(٢) وهذا إن صح فسياقُ يَدل على أنه رجع إلى قومه قبل الفتح؛ لأن العُزَّى خرَّبها خالد بن الوليد رضي الله عنه أيام الفتح، فيكون هذا الوفد قبل فتح مكة لا بعدها كما مال إلى ذلك ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٣٠)، إلا أن في السند محمد بن الوليد بن نويفع لم يروي عنه إلا راوي واحد، وقال الدارقطني عنه: «يُعتبر به»، وقد تُوبع من سلمة بن كُهيلٍ، لكن المتابعة إما بلفظٍ مختصر = ليس فيه القدر المذكور بشأن اللات والعزى، كما عند أبي داود (٤٨٧)، وإما متابعة من طريق فيه إلى سلمة ابن حميد وهو ضعيف، كما عند الدارمي (٩٧٨)، وابن شبة في «تاريخ المدينة المنورة» (٢/ ٥٢١)، والله أعلم.

❁ قدوم وفد مسيلمة الكذَّاب على رسول الله ﷺ:

وأخرج البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنه، قَالَ: «قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَفِي يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: **«لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ القِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ، مَا رَأَيْتُ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ»** قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّكَ أُرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا أَرَيْتُ، فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي المَنَامِ: أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي»** أَحَدُهُمَا العَنْسِيُّ، وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةُ». (١)

وأخرج البخاري، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِخَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَ فِي كَفِّي سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَكَبُرَا عَلَيَّ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَذَهَبَا، فَأَوَّلْتُهُمَا الكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا، صَاحِبَ صَنْعَاءَ، وَصَاحِبَ اليَمَامَةِ»**. (٢)

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧٣)، ومسلم(٢٢٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٧٤)، ومسلم(٢٢٧٤).

وأخرج البخاري عن عُبَيْد اللهِ بْن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابَ قَدِمَ المَدِينَةَ فَنَزَلَ فِي دَارِ بِنْتِ الحَارِثِ، وَكَانَ تَحْتَهُ بِنْتُ الحَارِثِ بْنِ كُرَيْزٍ، وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ:

خَطِيبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَضِيبٌ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ لَهُ مُسَيْلِمَةُ: إِنْ شِئْتَ خَلَّيْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الأَمْرِ، ثُمَّ جَعَلْتَهُ لَنَا بَعْدَكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ سَأَلْتَنِي هَذَا القَضِيبَ مَا أَعْطَيْتُكَهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا أُرِيتُ، وَهَذَا ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، وَسَيُجِيبُكَ عَنِّي**» فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَنْ رُؤْيَا رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي ذَكَرَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُرِيتُ أَنَّهُ وُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ فَفُظِعْتُهُمَا وَكَرِهْتُهُمَا، فَأُذِنَ لِي فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ: أَحَدُهُمَا العَنْسِيُّ، الَّذِي قَتَلَهُ فَيْرُوزُ بِاليَمَنِ، وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ**».[1]

وأخرج الإمام أحمد[2] بإسنادٍ جيد، عن نُعَيْم بْنِ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: حِينَ قَرَأَ كِتَابَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، قَالَ لِلرَّسُولَيْنِ: فَمَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا؟ قَالَا: نَقُولُ: كَمَا قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاللهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا**».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧٨)، (٤٣٧٩).

(٢) برقم (١٥٩٨٩) وأبو داود (٢٧٦١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٠٩)، وغيرهم.

وأخرج الطيالسي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَدْ جَاءَ ابْنُ النَّوَّاحَةِ وَابْنُ أُثَالٍ رَسُولَيْنِ لِمُسَيْلِمَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: تَشْهَدَانِ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟، فَقَالَا: نَشْهَدُ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ رَسُولُ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ لَّهِ لَوْ كُنْتُ قَاتِلًا رَسُولًا لَقَتَلْتُكُمَا» قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَمَضَتِ السُّنَّةُ بِأَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ قَالَ عَبْدُ اللهِ فَأَمَّا ابْنُ أُثَالٍ فَقَدْ كَفَانَا اللهُ، وَأَمَّا ابْنُ النَّوَّاحَةِ فَلَمْ يَزَلْ فِي نَفْسِي حَتَّى أَمْكَنَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ». (١)

قال الامام البيهقي: «أَمَّا ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ وَقَدْ مَضَى الْحَدِيثُ فِي إِسْلَامِهِ وَأَمَّا ابْنُ النَّوَّاحَةِ فَإِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَتَلَهُ بِالْكُوفَةِ حِينَ أَمْكَنَ اللهُ مِنْهُ».

وأخرج عبد الرزاق، والشاشي بإسنادٍ صحيح، من طريق إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، أَتَى ابْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ فَقَالَ: «إِنِّي مَرَرْتُ بِمَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ بَنِي حَنِيفَةَ، فَسَمِعْتُ يُقْرَأُ فِيهَا بِقِرَاءَةٍ مَا أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ قَالَ: مَا يَقُولُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: وَالطَّاحِنَاتِ طَحْنًا، وَالْعَاجِنَاتِ عَجْنًا، وَالْخَابِزَاتِ خَبْزًا، وَالثَّارِدَاتِ ثَرْدًا، وَاللَّاقِمَاتِ لَقْمًا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللهِ، فَأَتَى بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ، وَأَمِيرُهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ النَّوَّاحَةِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: أَلَمْ تَكُنْ تُخْبِرُنَا أَنَّكَ عَلَى دِينِنَا؟، قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ كُنْتُ أُسِرُّ هَذَا قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا نَحْنُ بِمُحَدِّرِي هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينِ،أَجْلُوهُمْ إِلَى الشَّامِ، فَإِمَّا أَنْ يَفْنِيَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالطَّاعُونِ، وَإِمَّا أَنْ يَتُوبَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ أَنْ

(١) أخرجه الطيالسي (٢٤٨)، ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٣٢)، بإسنادٍ رجاله مُعدَّلُون.

يَتُوبَ عَلَيْهِمْ».[١]

❁ قدوم وفد نجران على النبيِّ ﷺ:

أخرج البخاري[٢] عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاَعِنَاهُ[٣]، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لاَ تَفْعَلْ، فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاَعَنَّا لاَ نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلاَ عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالاَ: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا[٤]، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلاَ تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا.

فَقَالَ: «**لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ**» فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ**» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا أَمِينُ**

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٨٧٠٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٣٩)، والشاشي في «مسنده»(٧٤٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٣٣٣) وغيرهم، وإسناده صحيح كما قلتُ.

(٢) برقم (٤٣٨٠)، ومسلم (٢٤٢٠).

(٣) الملاعَنة هنا: أن يقول كل واحد لمن ينازعه: لعنة الله على الكاذب منا، وهي المُباهلة التي أمر الله رسوله ﷺ بها في قولِه تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ آل عمران كأن يقولون له: إن كنتَ على الحقِّ فقل لعنة الله عليّ إن كنت كاذباً. أي: يُدعَى بالعذاب على المبطل.

(٤) ويبدوا أنه كان قد سألهم الجزية.

هَذِهِ الأُمَّةِ»[١].

❁ **قدوم بعض قوم طَيِّئٍ**-ومنهم عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ- رضي الله عنه : أخرج البخاري عن عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه ، قَالَ: «أَتَيْنَا عُمَرَ فِي وَفْدٍ، فَجَعَلَ يَدْعُو رَجُلًا رَجُلًا وَيُسَمِّيهِمْ، فَقُلْتُ: أَمَا تَعْرِفُنِي يَا أَمِيرَ الـمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: بَلَى، أَسْلَمْتَ إِذْ كَفَرُوا، وَأَقْبَلْتَ إِذْ أَدْبَرُوا، وَوَفَيْتَ إِذْ غَدَرُوا، وَعَرَفْتَ إِذْ أَنْكَرُوا. فَقَالَ عَدِيٌّ: فَلاَ أُبَالِي إِذًا» [٢].

وبوب له الإمام البخاري(بَابُ قِصَّةِ وَفْدِ طَيِّءٍ وَحَدِيثُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه).

❁ **وهذه قصة إسلام عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ الطائي رضي الله عنه :**

أخرج أحمد[٣]، عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: جَاءَتْ خَيْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْ قَالَ: رُسُلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنَا بِعَقْرَبٍ، فَأَخَذُوا عَمَّتِي وَنَاسًا، قَالَ: فَلَمَّا أَتَوْا بِهِمْ

---

(١) ولا يلزم من هذا الحديث تفضيل أبي عبيدة رضي الله عنه على أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما ، فوصفه بذلك لا ينفي أن يكون وصفهما، وغيرهما كذلك، وقد كانوا ورسول الله ﷺ بين أظهرهم يقولون: «أبو بكرٍ وعمر وعثمان... »، كما حرّرتُه في غير هذا المقام.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٣٩٤).

(٣) برقم (١٩٣٨١)، ورواه الترمذي (٢٩٥٣) مختصراً، وهو في «مسند أحمد»مطولاً، وفي سنده عَبَّادَ ابنَ حُبَيْشٍ، لم يوثقه معتبر، وله شواهد بنحوه ذكرها الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٣٤) ولفظ الترمذي «....قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ فِي نَفْسِي: فَأَيْنَ لُصُوصُ طَيِّءٍ..». وهذا يَدل على أن عدي رضي الله عنه من طَيِّءٍ.

رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: فَصَفُّوا لَهُ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَأَى الْوَافِدُ، وَانْقَطَعَ الْوَلَدُ، وَأَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ، مَا بِي مِنْ خِدْمَةٍ، فَمُنَّ عَلَيَّ، مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ. قَالَ: «**مَنْ وَافِدُكِ؟**» قَالَتْ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ. قَالَ: «**الَّذِي فَرَّ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ؟**». قَالَتْ: فَمَنَّ عَلَيَّ، قَالَتْ: فَلَمَّا رَجَعَ وَرَجُلٌ إِلَى جَنْبِهِ نَرَى أَنَّهُ عَلِيٌّ، قَالَ: سَلِيهِ حِمْلَانًا. قَالَ: فَسَأَلَتْهُ، فَأَمَرَ لَهَا. قَالَتْ: فَأَتَانِي، فَقَالَتْ:

لَقَدْ فَعَلْتَ فَعْلَةً مَا كَانَ أَبُوكَ يَفْعَلُهَا. قَالَتْ: ائْتِهِ رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا، فَقَدْ أَتَاهُ فُلَانٌ، فَأَصَابَ مِنْهُ، وَأَتَاهُ فُلَانٌ، فَأَصَابَ مِنْهُ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ امْرَأَةٌ وَصِبْيَانٌ، أَوْ صَبِيٌّ، فَذَكَرَ قُرْبَهُمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مُلْكُ كِسْرَى وَلَا قَيْصَرَ، فَقَالَ لَهُ: « **يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ؟ مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ شَيْءٌ هُوَ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟**»قَالَ: فَأَسْلَمْتُ، فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ، وَقَالَ:

«**إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ، وإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى**»، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَلَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَرْتَضِخُوا مِنَ الْفَضْلِ، ارْتَضَخَ امْرُؤٌ بِصَاعٍ بِبَعْضِ صَاعٍ، بِقَبْضَةٍ، بِبَعْضِ قَبْضَةٍ**». قَالَ شُعْبَةُ: وَأَكْثَرُ عِلْمِي أَنَّهُ قَالَ: «**بِتَمْرَةٍ، بِشِقِّ تَمْرَةٍ. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَاقِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَائِلٌ مَا أَقُولُ: أَلَمْ أَجْعَلْكَ سَمِيعًا بَصِيرًا؟ أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ مَالًا وَوَلَدًا؟ فَمَاذَا قَدَّمْتَ؟ فَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ**

=

وله طريق آخر بمتن نحو هذا أخرجه أحمد (١٨٢٩٠)، وآخر برقم (١٨٢٩٩)، فأرجو أن تثبت القصة به.

يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَلَا يَجِدُ شَيْئًا، فَمَا يَتَّقِي النَّارَ إِلَّا بِوَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوهُ، فَبِكَلِمَةٍ لَيِّنَةٍ، إِنِّي لَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْفَاقَةَ، لَيَنْصُرَنَّكُمُ اللهُ تَعَالَى، وَلَيُعْطِيَنَّكُمْ، أَوْ لَيَفْتَحَنَّ لَكُمْ، حَتَّى تَسِيرَ الظَّعِينَةُ بَيْنَ الْحِيرَةِ ويَثْرِبَ إِنَّ أَكْثَرَ مَا تَخَافُ السَّرَقَ عَلَى ظَعِينَتِهَا».

وأخرج البخاري[1]، عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟»، قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ:«فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهَ»، قُلْتُ: فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّءٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلاَدَ -،« وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، «وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟

فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ »، قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ »، قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى

(١) برقم (٣٥٩٥).

تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسِمِ ﷺ، يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ.».

❁ قدومُ الأشعريين، وأهل اليمن:

قال أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، وَالفَخْرُ وَالخُيَلاَءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالوَقَارُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ**».(١)

ولأهلِ اليمن أحاديث في فضلهم، لكن ليس في الأحاديث التي في قدوم وفدهم، ولا التي في ذِكر فضائِلهم تَعرض لوقتِ وفُودهم.

ثم من الأشعريين من ذهبوا مع أبي موسى رضي الله عنه قديمـًا إلى الحبشة، والتقوا بجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في أرضٍ هم فيها بُعدا غُرباء، ثم أقبَلوا على رسولِ اللهِ ﷺ عَقب غزوة خيبر، فكانت لهم هجرتان كما في قصة أسماء بنت عُميس رضي الله عنها، في محاورتِها لعمر بن خطاب رضي الله عنه.

❁ قدوم الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ رضي الله عنه في وفد كِنْدَةَ:

أخرج أحمد، وابن ماجه(٢)، بسندٍ حسن، عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي وَفْدٍ مِنْ كِنْدَةَ، قَالَ عَفَّانُ: لَا يَرَوْنِي أَفْضَلَهُمْ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَزْعُمُ أَنَّكَ مِنَّا؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَحْنُ بَنُو**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢).

(٢) برقم (٢١٨٤٥) (٢١٨٣٩) وابن ماجه(٢٦١٢).

النَّضْرِ ابْنُ كِنَانَةَ، لَا نَقْفُو أُمَّنَا وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَبِينَا» قَالَ: قَالَ الْأَشْعَثُ: فَوَاللهِ لَا أَسْمَعُ أَحَدًا نَفَى قُرَيْشًا مِنَ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ إِلَّا جَلَدْتُهُ الْحَدَّ».

❁ **قدوم جَرِيْر بن عَبْدِ اللهِ بنِ جَابِرِ بنِ مَالِكٍ البَجَلِيُّ رضي الله عنه:**

أخرج أحمد وغيره، عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شِبْلٍ قَالَ: وَقَالَ جَرِيرٌ رضي الله عنه: «لَمَّا دَنَوْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ أَنَخْتُ رَاحِلَتِي، ثُمَّ حَلَلْتُ عَيْبَتِي، ثُمَّ لَبِسْتُ حُلَّتِي، ثُمَّ دَخَلْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَرَمَانِي النَّاسُ بِالْحَدَقِ، فَقُلْتُ لِجَلِيسِي: يَا عَبْدَ اللهِ، ذَكَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ؟، قَالَ: نَعَمْ، ذَكَرَكَ آنِفًا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ إِذْ عَرَضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ وَقَالَ: **«يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ، أَوْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، إِلَّا أَنَّ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةَ مَلَكٍ»**، قَالَ جَرِيرٌ: فَحَمِدْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا أَبْلَانِي، وقَالَ أَبُو قَطَنٍ: فَقُلْتُ لَهُ: سَمِعْتَهُ مِنْهُ أَوْ سَمِعْتَهُ مِنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شِبْلٍ قَالَ: نَعَمْ».(١)

وفي الصحيحين، عَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: **«مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي»**، وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ إِنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: **«اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا»**.(٢)

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد (١٩١٨٠وما بعده)، وأخرجه النسائي في الكبرىٰ (٨٢٤٤) من طريق آخر مختصراً، وهو صحيح علىٰ شرط الشيخين كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٥، ٣٠٣٦)، ومسلم (٢٤٧٥).

ثم بايع النبيَّ ﷺ: عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».(١)

وفي رواية: «...فَشَرَطَ عَلَيَّ: «وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا..» الحديث.(٢)

وفي روايةٍ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».(٣)

وفي روايةٍ لما قال له: «..عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ - فَلَقَّنَنِي - فِيمَا اسْتَطَعْتُ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».(٤)

وفي رواية عند أحمد(٥) بإسنادٍ قوي، عَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اشْتَرِطْ عَلَيَّ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالشَّرْطِ، قَالَ: «أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْبُدَ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَنْصَحَ الْمُسْلِمَ، وَتَبْرَأَ مِنَ الْمُشْرِكِ».

وقوله رضي الله عنه: ...«رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَالَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ». قَالَ الْأَعْمَشُ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ: كَانَ يُعْجِبُهُمْ هَذَا الْحَدِيثُ لِأَنَّ إِسْلَامَ جَرِيرٍ، كَانَ

(١) صحيح أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٥٧).

(٤) أخرجه مسلم (٥٦).

(٥) برقم (١٩٢٣٣).

بَعْدَ نُزُولِ الْمَائِدَةِ.[١]

وقد قال رسول الله ﷺ له لما أسلم رضي الله عنه: «**أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخَلَصَةِ**»، وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمَ، يُسَمَّى الكَعْبَةَ اليَمَانِيَةَ، فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ، وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، وَكُنْتُ لاَ أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ:

«**اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**»، فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا وَحَرَّقَهَا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ، قَالَ: فَبَارَكَ فِي خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ»[٢]، وقد أرسله ﷺ بعد الفتح استطراداً بعد ذِكر تخريب بيت العزى على يدِ خالد بن الوليد رضي الله عنه.

قال الحافظ ابن كثير[٣]: «وَالظَّاهِرُ أَنَّ إِسْلَامَ جَرِيرٍ رضي الله عنه كَانَ مُتَأَخِّرًا عَنِ الْفَتْحِ بِمِقْدَارٍ جَيِّدٍ».

ثم استدل بما أخرجه أحمد[١]، عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّمَا أَسْلَمْتُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَتِ الْمَائِدَةُ، وَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ بَعْدَ مَا أَسْلَمْتُ».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢).

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤٣٥٦)، ومسلم وقد تقدم.

(٣) في «البداية والنهاية» (٥/ ١٥٠).

وهو ممن قَالَ لَهُ رسولُ الله ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «**اسْتَنْصِتِ النَّاسَ**».[٢]

❁ **قُدومُ وَائِلِ بنِ حُجْرٍ رضي الله عنه أحدُ ملوك اليمن على رسولِ اللهِ ﷺ:**

أخرج الإمام أحمد بسند حسن[٣] عن عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه:

«أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْطَعَهُ أَرْضًا، قَالَ: فَأَرْسَلَ مَعِي مُعَاوِيَةَ أَنْ أَعْطِهَا إِيَّاهُ – أَوْ قَالَ: أَعْلِمْهَا إِيَّاهُ– قَالَ: فَقَالَ لِي مُعَاوِيَةُ: أَرْدِفْنِي خَلْفَكَ، فَقُلْتُ: لَا تَكُونُ مِنْ أَرْدَافِ الْمُلُوكِ، قَالَ: فَقَالَ: أَعْطِنِي نَعْلَكَ، فَقُلْتُ: انْتَعِلْ ظِلَّ النَّاقَةِ، قَالَ: فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ مُعَاوِيَةُ أَتَيْتُهُ، فَأَقْعَدَنِي مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، فَذَكَّرَنِي الْحَدِيثَ فَقَالَ سِمَاكٌ فَقَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ حَمَلْتُهُ بَيْنَ يَدَيَّ».

فكان معاوية رضي الله عنه أسلم بعد الفتح، فيكون إسلامُ وائلٍ رضي الله عنه بعد الفتح، فناسبَ وضع قدومه على رسولِ اللهِ ﷺ في هذا الوقت.

❁ **وفادةُ الحَارِثِ بنِ حَسَّانَ البَكْرِيِّ رضي الله عنه، إلى رسول اللهِ ﷺ:**

أخرج أحمد بإسناد حسن، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ الْبَكْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: «خَرَجْتُ أَشْكُو الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَرَرْتُ

=

(١) وجوَّده ابن كثير ونص كلامه رحمه الله فقال: « تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَهُوَ إِسْنَادٌ جَيِّدٌ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُنْقَطِعًا بَيْنَ مُجَاهِدٍ وَبَيْنَهُ ».

(٢) صحيح أخرجه البخاري(١٢١)، ومسلم (٦٥).

(٣) برقم (٢٧٢٣٩)، وهو عند الترمذي (١٣٨١)، وأبي داود (٣٠٥٨) بلفظ مختصر، وسياق أحمد أتم والله أعلم.

بِالرَّبَذَةِ، فَإِذَا عَجُوزٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مُنْقَطِعٌ بِهَا، فَقَالَتْ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ، إِنَّ لِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَاجَةً، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغِي إِلَيْهِ؟ قَالَ: فَحَمَلْتُهَا، فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَإِذَا الْمَسْجِدُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ، وَإِذَا رَايَةٌ سَوْدَاءُ تَخْفِقُ، وَبِلَالٌ مُتَقَلِّدٌ السَّيْفَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ قَالُوا: يُرِيدُ أَنْ يَبْعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَجْهًا، قَالَ: فَجَلَسْتُ، قَالَ: فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ - أَوْ قَالَ: رَحْلَهُ - فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ، فَسَلَّمْتُ فَقَالَ: «هَلْ كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ شَيْءٌ؟» قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَكَانَتْ لَنَا الدَّبْرَةُ عَلَيْهِمْ، وَمَرَرْتُ بِعَجُوزٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مُنْقَطِعٌ بِهَا، فَسَأَلَتْنِي أَنْ أَحْمِلَهَا إِلَيْكَ، وَهَا هِيَ بِالْبَابِ فَأَذِنَ لَهَا فَدَخَلَتْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ حَاجِزًا، فَاجْعَلِ الدَّهْنَاءَ، فَحَمِيَتِ الْعَجُوزُ، وَاسْتَوْفَزَتْ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِلَى أَيْنَ تَضْطَرُّ مُضَرَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: إِنَّمَا مَثَلِي، مَا قَالَ الْأَوَّلُ:

مِعْزَاةُ حَمَلَتْ حَتْفَهَا، حَمَلْتُ هَذِهِ، وَلَا أَشْعُرُ أَنَّهَا كَانَتْ لِي خَصْمًا أَعُوذُ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ أَنْ أَكُونَ كَوَافِدِ عَادٍ قَالَ: « هِيهْ، وَمَا وَافِدُ عَادٍ؟ » وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْحَدِيثِ مِنْهُ، وَلَكِنْ يَسْتَطْعِمُهُ، قُلْتُ: إِنَّ عَادًا قَحَطُوا فَبَعَثُوا وَافِدًا لَهُمْ، يُقَالُ لَهُ: قَيْلٌ، فَمَرَّ بِمُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ شَهْرًا يَسْقِيهِ الْخَمْرَ، وَتُغَنِّيهِ جَارِيَتَانِ يُقَالُ لَهُمَا: الْجَرَادَتَانِ، فَلَمَّا مَضَى الشَّهْرُ خَرَجَ جِبَالَ تِهَامَةَ، فَنَادَى: اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَجِئْ إِلَى مَرِيضٍ فَأُدَاوِيَهُ، وَلَا إِلَى أَسِيرٍ فَأُفَادِيَهُ، اللهُمَّ اسْقِ عَادًا مَا كُنْتَ مُسْقِيَهُ، فَمَرَّتْ بِهِ سَحَابَاتٌ سُودٌ فَنُودِيَ مِنْهَا: اخْتَرْ، فَأَوْمَأَ إِلَى سَحَابَةٍ مِنْهَا سَوْدَاءَ، فَنُودِيَ

مِنْهَا: خُذْهَا رَمَادًا رِمْدِدًا ولَا تُبْقِ مِنْ عَادٍ أَحَدًا، قَالَ: فَمَا بَلَغَنِي أَنَّهُ بُعِثَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّيحِ، إِلَّا قَدْرَ مَا يَجْرِي فِي خَاتِمِي هَذَا، حَتَّى هَلَكُوا، قَالَ أَبُو وَائِلٍ: وَصَدَقَ قَالَ: فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ وَالرَّجُلُ إِذَا بَعَثُوا وَافِدًا لَهُمْ، قَالُوا: لَا تَكُنْ كَوَافِدِ عَادٍ». (١)

وقد وفد وفدٌ من أهل الحِيرة ستأتي قِصتُهم في مؤخرة عند إخبارِ راهب بموتِ رسول الله ﷺ.

❁ قدوم وفد تَميم بن أوس الدَّارِيُّ رضي الله عنه:

أخرج مسلم (٢) عن فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، قَالَتْ: «قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ، فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ رَكِبَ الْبَحْرَ فَتَاهَتْ بِهِ سَفِينَتُهُ، فَسَقَطَ إِلَى جَزِيرَةٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا يَلْتَمِسُ الْمَاءَ، فَلَقِيَ إِنْسَانًا يَجُرُّ شَعَرَهُ، وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ، وَقَالَ فِيهِ: ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ قَدْ وَطِئْتُ الْبِلَادَ كُلَّهَا، غَيْرَ

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٩٥٤)، وبعض أصحاب السنن الترمذي(٣٢٧٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٥٥٣) مختصراً.

(٢) برقم (٢٩٤٢)، وهذا الحديث رواه الشعبي عن فاطمة بنت قيس، ورواه عن الشعبي جماعة راجع «سنن الترمذي» (٢٢٥٣)، و«مسند أحمد » (٢٧١٠٢)، وكلام الشيخ العثيمين في الطعن في الحديث، لا بينة له بما قال ، وليته ما طعن فيه، فإن كلامه فيه لا قدم له ولا ساق، فالحديث صحيح صححه مسلم وغيره ولم يَطعَن فيه أحد ممن تتبَّعوا أحاديث صحيح مسلم- فيما أعلم - ، وقد دفعت استنكاره للحديث في تعليقي عليه في كتابي«خطب ودروس العام بصحيح القصص» يسَّر الله إخراجه.

طَيْبَةَ، فَأَخْرَجَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى النَّاسِ فَحَدَّثَهُمْ، قَالَ: هَذِهِ طَيْبَةُ وَذَاكَ الدَّجَّالُ».

وفيه أنه ذهب لرسول الله ﷺ، وأسلم بعد هذه الوقعة التي حصلت له.

فقوله: للدجال أن رسول الله ﷺ قد آمن به الناس وَاتَّبَعُوهُ وَصَدَّقُوهُ...».

دليلٌ على أن ذلك كان متأخراً، فإنه قبل ذلك كان ﷺ يُعاني من معارَضَة الناس لا سيما قبل فتح مكة.

❁ وهذا وافدٌ على النبي ﷺ بسبب كلام السبُع له:

أخرج أحمد وعبد بن حميد[1]، بإسنادٍ صحيح، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ، فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي، فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ، فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ، قَالَ: أَلَا تَتَّقِي اللهَ، تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا عَجَبِي ذِئْبٌ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ، يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الْإِنْسِ، فَقَالَ الذِّئْبُ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ مُحَمَّدٌ ﷺ بِيَثْرِبَ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، قَالَ: فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ، حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَزَوَاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنُودِيَ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ لِلرَّاعِي: أَخْبِرْهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَدَقَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ، وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ». وهذا مشعرٌ أنه كان متأخراً بعد فتح مكة،

---

(١) «مسند أحمد»(١١٧٩٢)، و«المنتخب» من مسند عبد بن حميد (٨٧٥).

وسمى وافد السِّبَاع؛ لكون كلام السِّبَاع هو السبب في قدومه على رسول الله ﷺ ، والله أعلم.

❁ ووافد آخر وهو الذي جاء إلى رسولِ اللهِ ﷺ وقال: إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ، وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ...جاء في الوفود

أخرجه ابن جرير الطبري في« تفسيره» بسندٍ جيد، متصل[١].

❁ وقد ذكر بعض العلماء توقيت قصة ثُمَامَةَ بنِ أُثَالٍ رضي الله عنه في الوفود القادمين .[٢]

ولكن في هذا نظر؛ لأن ثُمامة رضي الله عنه لم يفد بنفسه وإنما أُسر وقُدم به في الوثاق ورُبط بسارية من سواري المسجد،كما هو نص حديثه وتقدم.

والظاهرُ من قصته أنها كانت قبل فتح مكة، لأن فيها ما يدل على أنه قدم بعد إسلامه مكة وأهلها حينئذ كفار، فإنه قال لكفار مكة: «وَلاَ وَاللهِ، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ»

فكيف تكون قصَّة وفادته عليه ﷺ بعد فتح مكة؟!.

فحديثه دال عَلَى أَنَّ مَكَّةَ كَانَتْ إِذْ ذَاكَ لمَّا قُدِم به كانت دَارَ حَرْبٍ، لَمْ يُسْلِمْ أَهْلُهَا بَعْدُ ، فَذِكْرُقصَّتِه قبل فتح مكة أَليق.ليس موطنها هنا . وَاللهُ أَعْلَمُ.[٣] .

---

(١)كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١١٣).

(٢)وهي في «صحيح البخاري» (٤٣٧٢)، ومسلم(١٧٦٤).

(٣) وقد رجح نحو ذلك ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١١٧).

❁ وكذا وفد بني عامر التي فيها قصة عامر بن الطفيل الذي كان يريد الغَدْر برسول الله ﷺ ....إلى غير ذلك من الوفود.

❁ وكذلك: وفود دوس، قوم أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، وقد قال الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: إِنَّ دَوْسًا قَدْ هَلَكَتْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ».(١) فاستجاب الله دعاءه وجيىء بهم.

وهذا بعيدٌ أن يكون بعد «فتح مكة» فإن أبا هريرة رضي الله عنه قدم ومعه دوس، وكان قدوم أبي هريرة، ورسولُ الله ﷺ مُحاصر خَيبر كما تقدم، فالله أعلم.

❁ وهناك وفود الجنّ ولكن كانت متقدمة بمكة، وقد تقدم التعليق على ذلك عند الكلام على قولِه تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ الأحقاف .

هذا وقد اقتصرت في ذكر الوفود على ما صحت أسانيده من ذلك عن النبيِّ ﷺ بعد فتح مكة، فما بعدها، فالوفود قدمت أفواجًا إلى رسولِ الله ﷺ طوعًا وكرها، رغبةً في الإسلام ورهبةً من أتباعه، حتى سيطر ضياء الحقِّ على الباطلِّ ولله الحمد والمنة، فلو اتبعنا طريقته ﷺ حصَلنا على نفس النتيجة، وإلا فالواقع خير شاهد، من الجماعات والأحزاب- مع تناحرها - جهودٌ مبذولةٌ وطاقاتٌ جبارةٌ مُهدَرة وتعبٌ مضني، وكلٌ يدَّعي وصلاً بليلا وليلا لا تُقِرُّ لهم بذاك كما

(١) أخرجه البخاري (٤٣٩٢) ومسلم (٢٥٢٤).

يُقال، وكلما تقدموا خطوات في سنوات رجعوها وزيادة، والواقع خير شاهد، والتاريخ يُعيد نفسه!والسعيد من وُعِظ بغيره، والتعيس من وُعظ بنفسه .

ولكن هيهات هيهات أن يدرك من آمن وأنفَقَ بعد الفتح وقاتل من سبقوهم قبل الفتح، لا سيما من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، وإن كان الله تعالى وعد الجميع الحسنى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحديد.

بعثَ النبيُّ ﷺ البعوث أمراء، ودعاة في السنةِ العاشرةِ للهجرةِ

❁ بعث معاذ بن جبل، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

أخرج البخاري(١)، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا مُوسَى، وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى اليَمَنِ، قَالَ: وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلاَفٍ، قَالَ: وَاليَمَنُ مِخْلاَفَانِ، ثُمَّ قَالَ: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا»، فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ كَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَحْدَثَ بِهِ عَهْدًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى، فَجَاءَ يَسِيرُ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ، وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ

(١) برقم(٤٣٤١).

وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ أَيُّمَ هَذَا؟

قَالَ: هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ، قَالَ: لاَ أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، قَالَ: إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لِذَلِكَ فَانْزِلْ، قَالَ: مَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، كَيْفَ تَقْرَأُ القُرْآنَ؟ قَالَ: أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا، قَالَ: فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟ قَالَ: أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللهُ لِي، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي».

وأخرج[1] عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا، فَقَالَ: «وَمَا هِيَ؟»، قَالَ: البِتْعُ وَالمِزْرُ، فَقُلْتُ لِأَبِي بُرْدَةَ: مَا البِتْعُ؟ قَالَ: نَبِيذُ العَسَلِ، وَالمِزْرُ نَبِيذُ الشَّعِيرِ، فَقَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ».

تَنْبِيهٌ:

كَانَ بَعْثُ أَبِي مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ بَعْدَ الرُّجُوعِ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ لِأَنَّهُ شَهِدَ غَزْوَةَ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ أَبَا مُوسَى كَانَ عَالِمًا فَطِنًا حَاذِقًا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يُوَلِّهِ النَّبِيُّ ﷺ، الْإِمَارَةَ وَلَوْ كَانَ فَوَّضَ الْحُكْمَ لِغَيْرِهِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى تَوْصِيَتِهِ بِمَا وَصَّاهُ بِهِ وَلِذَلِكَ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ رضي الله عنهم.

وَأَمَّا الْخَوَارِجُ وَالرَّوَافِضُ فَطَعَنُوا فِيهِ وَنَسَبُوهُ إِلَى الْغَفْلَةِ وَعَدَمِ الْفِطْنَةِ لِمَا

---

(١) البخاري برقم (٤٣٤٣).

صَدَرَ مِنْهُ فِي التَّحْكِيمِ بِصِفِّينَ، قَالَ ابن الْعَرَبِيِّ وَغَيْرُهُ: وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ مَا يَقْتَضِي وَصْفُهُ بِذَلِكَ وَغَايَةُ مَا وَقَعَ مِنْهُ أَنَّ اجْتِهَادَهُ أَدَّاهُ إِلَى أَنْ يَجْعَلَ الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَة من أهل بدر وَنَحْوهم لِمَا شَاهَدَ مِنَ الِاخْتِلَافِ الشَّدِيدِ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ بِصِفِّينَ وَآلَ الْأَمْرُ إِلَى مَا آلَ إِلَيْهِ».(١)

ولولا الإطالة لذكرتُ شيئًا من سيرته في إمارته رضي الله عنه، وشخصيته الفريدة، لكنها تحتاج إلى مصنفٍ مستقل يسر الله به، فإنه رضي الله عنه.

وأخرج البخاري(٢)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الـمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ».

❁ **وهذه وصيَّته ﷺ حِينَ ودَّعَه وهُو في طَرِيقِه إلى اليَمن:**

أخرج أحمد(٣)، عن عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ السكوني، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُوصِيهِ وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧٧)، ط: دار الحديث.

(٢) برقم (١٤٩٦) ومسلم(١٩).

(٣) في «المسند» (٢٢٠٥٢).

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: « يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا، وَقَبْرِي ». فَبَكَى مُعَاذٌ جَذعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا ».

وفي رواية: أنه بكى قال له النبي ﷺ: «لَا تَبْكِ يَا مُعَاذُ لَلْبُكَاءُ، أَوْ إِنَّ الْبُكَاءَ، مِنَ الشَّيْطَانِ».(١)

رُوَيت من طريق عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ السَّكُونِيِّ، أَنَّ مُعَاذًا لَمَّا بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ، يُوصِيَّهِ...».

وصورته صورة المرسل، وفي النفس شيء من قولِه: «الْبُكَاء ، مِنَ الشَّيْطَانِ».

كـــيف وقد أذن بالبكاء، بل وبكى هو على فراق بعض أبنائه ﷺ، وقال: «**إِنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ..**»(٢).

كيف لا يعذب الله به وهو من الشيطان؟

إلا أن قصد البكاء المصحوب بعويلٍ، ونواحٍ وانشغال به عن ركب المعالي ، فهذا نهى عنه النبي ﷺ، وهو من الشيطان حقيقةً والله الموفق.

وَهَذَا الْحَـدِيثُ فِيهِ إِشَارَةٌ وَظُهُورٌ وَإِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ مُعَاذًا، رضي الله عنه ، لَا يَجْتَمِعُ بِالنَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ وَقَعَ، فَإِنَّهُ أَقَامَ بِالْيَمَنِ حَتَّى كَانَتْ حَجَّةُ الْوَدَاعِ، ثُمَّ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٤) ومسلم (٩٢٤).

كَانَتْ وَفَاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ أَحَدٍ وَثَمَانِينَ يَوْمًا مِنْ يَوْمِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ.(١)

وكان قد كلَّفه ﷺ أن يعلم الناس التوحيد، والصلاة، والزكاة ومقاديرها، مما يعمل أهل اليمن فيه الزراعة والحيوانات.

ففي سنن النسائي(٢) بسندٍ حسن، عَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه قَالَ: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، فَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ مِمَّا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرَ، وَمِمَّا سُقِيَ بِالدَّوَالِي نِصْفَ الْعُشْرِ».

وفي رواية أحمد(٣)، بسندٍ حسن عنه، قال: «بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، وَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ مِنْ كُلِّ حَالِمٍ دِينَارًا أَوْ عِدْلَهُ مَعَافِرَ، وَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ بَقَرَةً مُسِنَّةً، وَمِنْ ثَلَاثِينَ بَقَرَةً تَبِيعًا حَوْلِيًّا، وَأَمَرَنِي فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرَ، وَمَا سُقِيَ بِالدَّوَالِي نِصْفَ الْعُشْرِ».

والمقصود:

أن معاذاً رضي الله عنه كَانَ قَاضِيًا لِلنَّبِيِّ ﷺ بِالْيَمَنِ وَحَاكِمًا فِي الْحُرُوبِ، وَمُصَدِّقًا إِلَيْهِ تُدْفَعُ الصَّدَقَاتُ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ ما تقدم من أحاديث.(٤)

---

(١) قاله الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»(٥/ ١٧٣).

(٢) في «الكبرى» (٢٢٨١).

(٣) برقم (٢٢٠٣٧).

(٤) وقد نبَّه على هذا الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٧٦).

وَقَدْ كَانَ بَارِزًا لِلنَّاسِ يُصَلِّي بِهِمُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ

وقد أخرج البخاري(١)، عن عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، أَنَّ مُعَاذًا ﷺ، لَمَّا قَدِمَ اليَمَنَ، صَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ، فَقَرَأَ: {وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥]، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: «لَقَدْ قَرَّتْ عَيْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ».

فدلَّ على أنه كان يصلي بهم، وكان عالمـًا يُفتِيهم ويعلمهم الشرائع.

❁ بعثَ النبيُّ ﷺ علي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد ﷺ إلى اليمن قبل حجة الوداع(٢):

أخرج البخاري(٣)، عن البَرَاء بن عازب ﷺ، بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ إِلَى اليَمَنِ، قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ عَلِيًّا بَعْدَ ذَلِكَ مَكَانَهُ فَقَالَ: «مُرْ أَصْحَابَ خَالِدٍ، مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ أَنْ يُعَقِّبَ مَعَكَ فَلْيُعَقِّبْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُقْبِلْ»، فَكُنْتُ فِيمَنْ عَقَّبَ مَعَهُ، قَالَ: «فَغَنِمْتُ أَوَاقِ ذَوَاتِ عَدَدٍ».

وأخرج الإمام أحمد(٤)، بإسنادٍ حسن، عن بُرَيْدَةَ ﷺ، قَالَ:

---

(١) برقم (٤٣٤٨).

(٢) بعث خالد بن الوليد ﷺ أولاً ومعه البراء بن عازب ﷺ وغيره، ثم بعث علي بن أبي طالب ﷺ، ومعه أبو سعيد الخدري ﷺ، وغيره كما سيأتي.

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٤٩).

(٤) وأصله في «صحيح البخاري» (٤٣٥٠) مختصراً، وإنما ذكرت رواية أحمد لكون سياقتها أطول وهي مفصَّلة، وهي في «المسند» برقم (٢٢٩٦٧).

«أَبْغَضْتُ عَلِيًّا بُغْضًا لَمْ أَبْغِضْهُ أَحَدًا قَطُّ. قَالَ: وَأَحْبَبْتُ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ أُحِبَّهُ إِلَّا عَلَى بُغْضِهِ عَلِيًّا. قَالَ: فَبُعِثَ ذَاكَ الرَّجُلُ عَلَى خَيْلٍ فَصَحِبْتُهُ مَا أَصْحَبُهُ إِلَّا عَلَى بُغْضِهِ عَلِيًّا. قَالَ: فَأَصَبْنَا سَبْيًا.

قَالَ: فَكَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ابْعَثْ إِلَيْنَا مَنْ يُخَمِّسُهُ. قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْنَا عَلِيًّا، وَفِي السَّبْيِ وَصِيفَةٌ هِيَ مِنْ أَفْضَلِ السَّبْيِ فَخَمَّسَ، وَقَسَمَ فَخَرَجَ رَأْسُهُ يَقْطُرُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا الْحَسَنِ مَا هَذَا؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْوَصِيفَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي السَّبْيِ، فَإِنِّي قَسَمْتُ وَخَمَّسْتُ فَصَارَتْ فِي الْخُمُسِ، ثُمَّ صَارَتْ فِي أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ صَارَتْ فِي آلِ عَلِيٍّ وَوَقَعْتُ بِهَا. قَالَ: فَكَتَبَ الرَّجُلُ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: ابْعَثْنِي فَبَعَثَنِي مُصَدِّقًا. قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقْرَأُ الْكِتَابَ وَأَقُولُ: صَدَقَ. قَالَ: فَأَمْسَكَ يَدِي وَالْكِتَابَ، وَقَالَ: « أَتُبْغِضُ عَلِيًّا؟ » قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: « فَلَا تَبْغَضْهُ، وَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّهُ فَازْدَدْ لَهُ حُبًّا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَنَصِيبُ آلِ عَلِيٍّ فِي الْخُمُسِ أَفْضَلُ مِنْ وَصِيفَةٍ » قَالَ: فَمَا كَانَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ بَعْدَ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَلِيٍّ».[1]

---

(١) وقد استشكل وقوع عليّ رضي الله عنه على الجارية بغير استبراء، وكذلك بغض الصحابي بريدة رضي الله عنه علياً رضي الله عنه ،وقد حكى الحافظ في «الفتح»(٨/ ٦٧)،عن أَبي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ قال: «إِنَّمَا أَبْغَضَ الصَّحَابِيُّ عَلِيًّا، لِأَنَّهُ رَآهُ أَخَذَ مِنَ الْمَغْنَمِ فَظَنَّ أَنَّهُ غَلَّ، فَلَمَّا أَعْلَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ أَخَذَ أَقَلَّ مِنْ حَقِّهِ أَحَبَّهُ» .اهـ، قال الحافظ:«وَهُوَ تَأْوِيلٌ حَسَنٌ لَكِنْ يُبْعِدُهُ صَدْرُ الْحَدِيثِ...»بمعنى أنه قال: «أَبْغَضْتُ عَلِيًّا بُغْضًا....إلخ، قبل أن يحصل منه ما حصل نحو الوصفية.

❁ وهذا من سيرةِ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيمن أمَّره رسولُ الله ﷺ عليهم:

أخرج البيهقي، بسند جـوَّده ابن كثير، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْيَمَنِ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَكُنْتُ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، فَلَمَّا أَخَذَ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ سَأَلْنَاهُ أَنْ نَرْكَبَ مِنْهَا وَنُرِيحَ إِبِلَنَا، فَكُنَّا قَدْ رَأَيْنَا فِي إِبِلِنَا خَلَلًا، فَأَبَى عَلَيْنَا، وَقَالَ: إِنَّمَا لَكُمْ مِنْهَا سَهْمٌ كَمَا لِلْمُسْلِمِينَ. قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ عَلِيٌّ وَانْطَلَقَ مِنَ الْيَمَنِ رَاجِعًا أَمَّرَ عَلَيْنَا إِنْسَانًا وَأَسْرَعَ هُوَ فَأَدْرَكَ الْحَجَّ، فَلَمَّا قَضَى حَجَّتَهُ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْجِعْ إِلَى أَصْحَابِكَ حَتَّى تَقْدَمَ عَلَيْهِمْ**».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَقَدْ كُنَّا سَأَلْنَا الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ مَا كَانَ عَلِيٌّ مَنَعَنَا إِيَّاهُ، نَفْعَلَ، فَلَمَّا جَاءَ عَرَفَ فِي إِبِلِ الصَّدَقَةِ أَنْ قَدْ رُكِبَتْ، رَأَى أَثَرَ الْمَرْكَبِ، فَذَمَّ الَّذِي أَمَّرَهُ وَلَامَهُ، فَقُلْتُ أَنَا: إِنْ شَاءَ اللهُ إِنْ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ لَأَذْكُرَنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَأُخْبِرَنَّهُ مَا لَقِينَا مِنَ الْغِلْظَةِ وَالتَّضْيِيقِ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ غَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ مَا كُنْتُ حَلَفْتُ عَلَيْهِ، فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ خَارِجًا مِنْ عِنْدِ

=

فَلَعَلَّ سَبَبَ الْبُغْضِ كَانَ لِمَعْنًى آخَرَ وَزَالَ بِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ عَنْ بُغْضِهِ. وَقَدِ اسْتُشْكِلَ وُقُوعُ عَلِيٍّ عَلَى الْجَارِيَةِ بِغَيْرِ اسْتِبْرَاءٍ وَكَذَلِكَ قِسْمَتُهُ لِنَفْسِهِ فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَمَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ بِكْرًا غَيْرَ بَالِغٍ وَرَأَى أَنَّ مِثْلَهَا لَا يُسْتَبْرَأُ كَمَا صَارَ إِلَيْهِ غَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ حَاضَتْ عَقِبَ صَيْرُورَتِهَا لَهُ ثُمَّ طَهُرَتْ بَعْدَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثُمَّ وَقَعَ عَلَيْهَا وَلَيْسَ مَا يَدْفَعُهُ. وَأَمَّا الْقِسْمَةُ فَجَائِزَةٌ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِمَّنْ هُوَ شَرِيكٌ فِيمَا يَقْسِمُهُ كَالْإِمَامِ إِذَا قَسَمَ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ وَهُوَ مِنْهُمْ، فَكَذَلِكَ مَنْ نَصَّبَهُ الْإِمَامُ قَامَ مَقَامَهُ، وقد يكون علي رضي الله عنه أَدَّاهُ اجْتِهَادُهُ أَنْ لَا اسْتِبْرَاءَ فِيهَا» حكاه الحافظ عن الخطابي. بتصرفٍ يسير جداً، والله أعلم.

رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَقَفَ مَعِي وَرَحَّبَ بِي وَسَأَلَنِي وَسَأَلْتُهُ، وَقَالَ: مَتَى قَدِمْتَ؟ قُلْتُ: قَدِمْتُ الْبَارِحَةَ، فَرَجَعَ مَعِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ فَقَالَ: هَذَا سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الشَّهِيدِ، قَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ**»، فَدَخَلْتُ فَحَيَّيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَجَاءَنِي وَسَلَّمَ عَلَيَّ وَسَأَلَنِي عَنْ نَفْسِي وَعَنْ أَهْلِي فَأَحْفَى الْمَسْأَلَةَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَقِينَا مِنْ عَلِيٍّ مِنَ الْغِلْظَةَ وَسُوءِ الصُّحْبَةِ وَالتَّضْيِيقِ، فَانْتَبَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَعَلْتُ أَنَا أُعَدِّدُ مَا لَقِينَا مِنْهُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسَطِ كَلَامِي ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي، وَكُنْتُ مِنْهُ قَرِيبًا ثُمَّ قَالَ: «**سَعْدُ بْنَ مَالِكٍ الشَّهِيدُ مَهْ، بَعْضَ قَوْلِكَ لِأَخِيكَ عَلِيٍّ، فَوَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ أَخْشَنُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ سَعْدُ بْنَ مَالِكٍ، أَلَا أُرَانِي كُنْتُ فِيمَا يَكْرَهُ مُنْذُ الْيَوْمِ، وَمَا أَدْرِي، لَا جَرَمَ وَاللهِ لَا أَذْكُرُهُ بِسُوءٍ أَبَدًا سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً**».[1]

---

(١) أخرجه البيهقي في« دلائل النبوة» (٥/ ٣٩٨-٣٩٩).

وإسناده، وإن جـوَّده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٧٩)، إلا أن فيه زَيْنَبَ بِنْتَ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ، الأظهر أنها مجهولة، والله أعلم.

وأخرج أحمد (١٥٩٦٠)، والبيهقي في «الدلائل»، بإسنادٍ ضعيف لانقطاعه، عن عَمْرِو بْنِ شَاسٍ الْأَسْلَمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُدَيْبِيَةِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فِي خَيْلِهِ الَّتِي بَعَثَهُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ فَجَفَانِي عَلِيٌّ بَعْضَ الْجَفَاءِ، فَوَجَدْتُ فِي نَفْسِي عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ اشْتَكَيْتُهُ فِي مَجَالِسِ الْمَدِينَةِ، وَعِنْدَ مَنْ لَقِيتُهُ وَأَقْبَلْتُ يَوْمًا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَآنِي أَنْظُرُ إِلَى عَيْنَيْهِ نَظَرَ إِلَيَّ، حَتَّى جَلَسْتُ إِلَيْهِ فَلَمَّا جَلَسْتُ، قَالَ: « **إِنَّهُ وَاللهِ يَا عَمْرُو بْنُ شَاسٍ لَقَدْ آذَيْتَنِي**» فَقُلْتُ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أَعُوذُ بِاللهِ وَالْإِسْلَامِ أَنْ أُؤْذِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي**». وهذا يشهد لبعضه، لكن إسناده لا يصح.

❁ ومن سيرته رضي الله عنه أنه بعثَ رضي الله عنه إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ اليَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ، لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، فَقَسَمَهَا رسول الله ﷺ بَيْنَ بعض الصحابة رضي الله عنهم، فاعترض ذُو الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ الخارجي الأول في هذه الأمة.(١)

ولعلي رضي الله عنه أقضيةٌ، تدلُ على تضلّعِه وأهليته في باب القضاء بين الناس، وليس المقام مقام الاستفاضة في ذلك هنا ، والله أعلم.

=

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا كَثُرَ فِيهِ الْقِيلُ وَالْقَالُ مِنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ بِسَبَبِ مَنْعِهِ إِيَّاهُمُ، اسْتِعْمَالَ إِبِلِ الصَّدَقَةِ وَاسْتِرْجَاعِهِ مِنْهُمُ الْحُلَلَ الَّتِي أَطْلَقَهَا لَهُمْ نَائِبُهُ، وَعَلِيٌّ مَعْذُورٌ فِيمَا فَعَلَ، لَكِنِ اشْتُهِرَ الْكَلَامُ فِيهِ فِي الْحَجِيجِ.

فَلِذَلِكَ وَاللهِ أَعْلَمُ لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ حَجَّتِهِ، وَتَفَرَّغَ مِنْ مَنَاسِكِهِ وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَمَرَّ بِغَدِيرِ خُمٍّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَبَرَّأَ سَاحَةَ عَلِيٍّ وَرَفَعَ مِنْ قَدْرِهِ وَنَبَّهَ عَلَى فَضْلِهِ لِيُزِيلَ مَا وَقَرَ فِي نُفُوسِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ. كما أشار ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٧٩).

قلت (محمد): قيام النبي ﷺ بخُمّ- وهو موضع بين مكةَ والمدينة- لعلّه لأجل ذلك أيضاً كما سيأتي في موطنه – أعني لما قال في خطبته ﷺ هناك: «..**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»...

وذكر أن أهل بيته هم آل علي، وآل عقيل....كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٤٠٨)، وهذا على خلاف ما يفهمه الروافض ، من أن قوله هذا وصية للخلافة من بعده ، سلَّم الله العقول .

(١) وحديثه في «صحيح البخاري» (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)، ذكرنا قصته في كتابنا «مناصحة الخوارج ومن تأثر بهم».

حجةُ الوداع

من السنةِ العاشرة للهجرةِ

بين يدي حجته ﷺ:

وَيُقَالُ لَهَا: (حَجَّةُ الْبَلَاغِ)، وَ(حَجَّةُ الْإِسْلَامِ)، وَ(حَجَّةُ الْوَدَاعِ).

وَحَجَّةُ الْوَدَاعِ؛ لِأَنَّهُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَدَّعَ النَّاسَ فِيهَا، وَلَمْ يَحُجَّ بَعْدَهَا.

❁ **وَسُمِّيَتْ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ**: لِأَنَّهُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَمْ يَحُجَّ مِنَ الْمَدِينَةِ غَيْرَهَا، وَلَكِنْ حَجَّ قَبْلَ الْهِجْرَةِ مَرَّاتٍ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ فَرِيضَةَ الْحَجِّ نَزَلَتْ عَامَئِذٍ. وَقِيلَ: سَنَةَ تِسْعٍ. وَقِيلَ: سَنَةَ سِتٍّ. وَقِيلَ: قَبْلَ الْهِجْرَةِ. وَهُوَ غَرِيبٌ جِدًّا.

❁ **وَسُمِّيَتْ حَجَّةَ الْبَلَاغِ**: لِأَنَّهُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بَلَّغَ النَّاسَ شَرْعَ اللهِ فِي الْحَجِّ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ وَقَوَاعِدِهِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ بَيَّنَهُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَلَمَّا بَيَّنَ لَهُمْ شَرِيعَةَ الْحَجِّ وَوَضَّحَها وَشَرَحَها أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ وَهُوَ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ.(١)

تقدم أن رسول الله ﷺ لم يعتمر إلا أربع عمر فقط، كلهن في ذي القعدة إلا التي في حجته، وهي في أواخر حياته ﷺ.

فقد لُخِّصت حياته ﷺ: فَإِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ بَعْدَ الرِّسَالَةِ يَحْضُرُ

---

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ١٨٢).

مَوَاسِمَ الْحَجِّ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللهِ وَيَقُولُ: «**مَنْ رَجُلٌ يُؤْوِينِي حَتَّى أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي؟ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ**»، حَتَّى قَيَّضَ اللهُ لَهُ جَمَاعَةَ الْأَنْصَارِ يَلْقَوْنَهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، أَيْ عَشِيَّةَ يَوْمِ النَّحْرِ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، ثَلَاثَ سِنِينَ مُتَتَالِيَاتٍ، حَتَّى إِذَا كَانُوا آخِرَ سَنَةٍ بَايَعُوهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ ثَالِثُ اجْتِمَاعِهِ لَهُمْ بِهِ، ثُمَّ كَانَتْ بَعْدَهَا، الْهِجْرَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا قَدَّمْنَا ذَلِكَ مَبْسُوطًا فِي مَوْضِعِهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

❁ **وَفِي حَدِيثِ جَعْفَرِ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، فَاجْتَمَعَ بِالْمَدِينَةِ بَشَرٌ كَثِيرٌ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ أَوْ لِأَرْبَعٍ، فَلَمَّا كَانَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ صَلَّى، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمَّا أَخَذَتْ بِهِ فِي الْبَيْدَاءِ لَبَّى، وَأَهْلَلْنَا لَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ» (١).

حتى أتينا الكعبة فاستلم الركن....على ما سيأتي بيانه.

❁ **تاريخُ خروج النبي ﷺ إلى مكةَ لحجةِ الوداع**

أخرج البخاري (٢) عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، تَقُولُ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ، وَلاَ نُرَى إِلَّا الحَجَّ، حَتَّى إِذَا دَنَوْنَا مِنْ مَكَّةَ، أَمَرَ

---

(١) راجع في ذلك «صحيح مسلم» (١٢١٨) و«السنن الكبرىٰ» للنسائي(٣٧٠٦)، وانظر «البداية والنهاية» (٥/ ١٨٤).

(٢) برقم (١٧٢٠).

رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ، إِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ، ثُمَّ يَحِلُّ».

وفي رواية مسلم، قَالَتْ: «خَرَجْنَا مُوَافِينَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِهِلَالِ ذِي الْحِجَّةِ، لَا نَرَى إِلَّا الْحَجَّ...».(١)

وفي لفظ البخاري(٢)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ المَدِينَةِ بَعْدَ مَا تَرَجَّلَ، وَادَّهَنَ وَلَبِسَ إِزَارَهُ وَرِدَاءَهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَلَمْ يَنْهَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الأَرْدِيَةِ وَالأُزُرِ تُلْبَسُ إِلَّا الـمُزَعْفَرَةَ الَّتِي تَرْدَعُ عَلَى الجِلْدِ، فَأَصْبَحَ بِذِي الحُلَيْفَةِ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى البَيْدَاءِ، أَهَلَّ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَقَلَّدَ بَدَنَتَهُ، وَذَلِكَ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ، فَقَدِمَ مَكَّةَ لِأَرْبَعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الحَجَّةِ...».

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: «صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ أَرْبَعًا، وَبِذِي الحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ بَاتَ حَتَّى أَصْبَحَ بِذِي الحُلَيْفَةِ، فَلَمَّا رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَاسْتَوَتْ بِهِ أَهَلَّ».(٣)

وعنه، قَالَ: «...ثُمَّ صَلَّى بِنَا الْعَصْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ آمِنًا لَا يَخَافُ فِي

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١١).

تنبيه:

ذكر أن النبي ﷺ استعمل على المدينة أبا دُجَانَةَ الأَنْصَارِيَّ سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ السَّاعِدِيَّ رضي الله عنه، ويقال: سِبَاعُ بْنُ عُرْفُطَةَ الْغِفَارِيُّ رضي الله عنه.

(٢) برقم (١٥٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٤٦).

حَجَّةِ الْوَدَاعِ».[١]

❁ صفةُ خروجه ﷺ من المدينةِ إلى مكة للحجِ

أخرج البخاري[٢]، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الـمُعَرَّسِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ يُصَلِّي فِي مسْجِدِ الشَّجَرَةِ، وَإِذَا رَجَعَ صَلَّى بِذِي الحُلَيْفَةِ بِبَطْنِ الوَادِي، وَبَاتَ حَتَّى يُصْبِحَ».

ولفظ مسلم: «...وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا، وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى».[٣]

❁ ومن تواضعه ﷺ أنه حج على راحلة عليها طعامه وشرابه[٤]

ففي صحيح البخاري، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «حَجَّ أَنَسُ ابْنُ مَالِكٍ عَلَى رَحْلٍ،وَلَمْ يَكُنْ شَحِيحًا، وَحَدَّثَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَجَّ عَلَى رَحْلٍ، وَكَانَتْ زَامِلَتَهُ».[٥]

---

(١) كما في «مسند أحمد»(١٣٤٨٨)، بسندٍ حسن.

(٢) برقم (١٥٣٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٢٥٧).

(٤) وعادة الكبار أنه يكون على راحلة وحده، والطعام على غيرها.

(٥) برقم (١٥١٧)، وهو عند البزار في «المسند» (٧٣٤٣) ولفظه، وقال:«أَن النَّبِيّ ﷺ حَجَّ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ وَتَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَقَالَ: حَجَّةٌ لا رِيَاءَ فِيهَا، ولاَ سُمْعَةَ».

وفي رواية: «..عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ، وَقَطِيفَةٍ تُسَوى أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ..».[١]

والمعنى: أنه ومتاعه كان على راحلةٍ واحدة فهي رحلة والزاملة، والله أعلم.

وأخرج أحمد[٢] عن سَعِيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ سَعِيْدِ بنِ العَاصِ القُرَشِيُّ، قَالَ: «صَدَرْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ يَوْمَ الصَّدَرِ، فَمَرَّتْ بِنَا رُفْقَةٌ يَمَانِيَةٌ وَرِحَالُهُمْ الْأُدُمُ، وَخُطُمُ إِبِلِهِمْ الْخُزُمُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَشْبَهِ رُفْقَةٍ وَرَدَتِ الْحَجَّ الْعَامَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ، إِذْ قَدِمُوا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الرُّفْقَةِ».

تنبيه:

لم يثبت حديث فيما أعلم أن رسولَ الله ﷺ حج أو اعتمر ماشيًا، وإنما في عُمَره، وحجته كلَّها حج راكبًا ﷺ، وقد تقدم وصف عُمَرالنبي ﷺ، وأماحجته فتأتي صفتها، ليس في شيء منها أنه حج أو اعتمر ماشيًا، ولله الحمد فقد قطع بفعله ﷺ التكلُّف، والتنطع على أقوام، فلله الحمد.

❁ في طريقه ﷺ للحج عند مروره بـ«وادي العقيق »[٣]:

أخرج البخاري[٤] عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه، يَقُولُ:

---

(١) عند ابن ماجه (٢٨٩٠)، وإسناده ثابت.

(٢) برقم (٦٠١٦) وبعض أصحاب السنن وغيرهم.

(٣) العقيق: هو وادٍ بناحية المدينة.

(٤) برقم (١٥٣٤).

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِوَادِي العَقِيقِ يَقُولُ: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: صَلِّ فِي هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ». (١)

❁ وعند لبسه ﷺ الإحرام تطيب:

ففي صحيح البخاري (٢)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ المُنْتَشِرِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَذَكَرْتُ لَهَا قَوْلَ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه: مَا أُحِبُّ أَنْ أُصْبِحَ مُحْرِمًا أَنْضَخُ طِيبًا، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «أَنَا طَيَّبْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، ثُمَّ طَافَ فِي نِسَائِهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ مُحْرِمًا».

ولفظ مسلم: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنه، عَنِ الرَّجُلِ يَتَطَيَّبُ، ثُمَّ يُصْبِحُ مُحْرِمًا؟ فَقَالَ: مَا أُحِبُّ أَنْ أُصْبِحَ مُحْرِمًا أَنْضَخُ طِيبًا، لَأَنْ أَطَّلِيَ بِقَطِرَانٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ، فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها فَأَخْبَرْتُهَا، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: ... فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «أَنَا طَيَّبْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ....»، الحديث. (٣)

وكأنه ﷺ تطيب قبل أن يطوف على نسائه ليكون ذلك أطيب لنفسه، وأحب إليهن، ثم لما اغتسل من الجنابة، وللإحرام تطيب أيضاً، تطيباً آخر.

ففي بعض الأحاديث قول عائشة رضي الله عنها: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ الطِّيبِ فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يُلَبِّي» (٤).

---

(١) وهو من أقوىٰ الأدلة علىٰ الأمر بالقِران في الحج.

(٢) برقم (٢٧٠).

(٣) أخرجه مسلم (١١٩٢).

(٤) أخرجه مسلم(١١٩٠).

وفي رواية: «..بَعْدَ أَيَّامٍ وَهُوَ مُحْرِمٌ».[١]

وفي رواية: «...بَعْدَ ثَالِثَةٍ وَهُوَ مُحْرِمٌ».[٢]

فهذا يدل عَلَى أَنَّهُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، تَطَيَّبَ بَعْدَ الْغُسْلِ، إِذْ لَوْ كَانَ الطِّيبُ قَبْلَ الْغُسْلِ لَذَهَبَ بِهِ الْغُسْلُ، وَلَمَا بَقِيَ لَهُ أَثَرٌ، وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ يَوْمِ الْإِحْرَامِ، وهذا يبين جوازه وقد فعله ﷺ. فلا تعلُّـــق لأحدٍ من السلف فمن بعدهم بقول من كره الطيب عند الإحرام.[٣] ولكن يكون ذلك قبل لُبس ملابس الإحرام.

❁ وقد لبَّدَ رَأسهُ ﷺ:

الظاهرُ أن الصحابةَ رضي الله عنهم حَلُّوا من العمرةِ إلى أن يأتي يوم التروية، وأما رسولُ الله ﷺ، فحج قارنـًا.[٤]

قالت حفصة رضي الله عنها، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا شَأْنُ النَّاسِ حَلُّوا بِعُمْرَةٍ، وَلَمْ تَحْلِلْ أَنْتَ مِنْ عُمْرَتِكَ؟ قَالَ: «**إِنِّي لَبَّدْتُ رَأْسِي، وَقَلَّدْتُ هَدْيِي، فَلاَ أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ**».[١].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٩٣٤) وإسناده حسن.

(٢) «مُسند الحميدي»(٢١٧) بإسنادٍ صحيح.

(٣) وانظر «البداية والنهاية»(٥/ ١٩١).

(٤) وقد قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الهَدْيَ، وَلَحَلَلْتُ مَعَ النَّاسِ حِينَ حَلُّوا**»، أخرجه البخاري (٧٢٢٩) ومسلم (١٢١١)، أي يحج متمتِّعاً.

❁ صورة التَّلْبِيدُ: وهو أن يَجْعَلَ فِي رَأْسِهِ صَمْغًا ليجتمع الشعر، ولا يصير فيه قمل، ونحوه.

ومعنى: «وَقَلَّدْتُ هَدْيِي»: أي جعلتُ القلائد في العنُق ليُعلم أنه هدي، والهدي: ما يهدى لله تعالى من النعم فيذبح في الحرم، ويوزع على فقرائه.

❁ وساق ﷺ معه الهدي من ذي الحليفة:

كما في «صحيح البخاري»[٢] عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: «تَمَتَّعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ، بِالعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ وَأَهْدَى، فَسَاقَ مَعَهُ الهَدْيَ مِنْ ذِي الحُلَيْفَةِ، وَبَدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَهَلَّ بِالعُمْرَةِ ثُمَّ أَهَلَّ بِالحَجِّ، فَتَمَتَّعَ النَّاسُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِالعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ، فَكَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ أَهْدَى، فَسَاقَ الهَدْيَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُهْدِ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ قَالَ لِلنَّاسِ:

«مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَهْدَى، فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لِشَيْءٍ حَرُمَ مِنْهُ، حَتَّى يَقْضِيَ حَجَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَهْدَى، فَلْيَطُفْ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَلْيُقَصِّرْ وَلْيَحْلِلْ، ثُمَّ لِيُهِلَّ بِالحَجِّ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ هَدْيًا، فَلْيَصُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ». فَطَافَ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ، وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ أَوَّلَ شَيْءٍ، ثُمَّ خَبَّ ثَلاَثَةَ أَطْوَافٍ وَمَشَى أَرْبَعًا، فَرَكَعَ حِينَ قَضَى طَوَافَهُ بِالْبَيْتِ عِنْدَ المَقَامِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ فَانْصَرَفَ فَأَتَى الصَّفَا، فَطَافَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ سَبْعَةَ أَطْوَافٍ، ثُمَّ لَمْ يَحْلِلْ مِنْ

=

(١) أخرجه البخاري (١٥٦٦)، ومسلم (١٢٢٩).

(٢) برقم (١٦٩١)، ومسلم (١٢٢٧).

شَيْءٍ حَرُمَ مِنْهُ حَتَّى قَضَى حَجَّهُ، وَنَحَرَ هَدْيَهُ يَوْمَ النَّحْرِ، وَأَفَاضَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ، ثُمَّ حَلَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَرُمَ مِنْهُ، وَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ أَهْدَى وَسَاقَ الهَدْيَ مِنَ النَّاسِ.

وعند مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، ثُمَّ دَعَا بِنَاقَتِهِ فَأَشْعَرَهَا فِي صَفْحَةِ سَنَامِهَا الْأَيْمَنِ، وَسَلَتَ الدَّمَ، وَقَلَّدَهَا نَعْلَيْنِ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ...» (١).

❁ بدايةُ إهلاله ﷺ، من ذي الحليفة:

أخرج البخاري (٢)، عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قال: «مَا أَهَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا مِنْ عِنْدِ الـمَسْجِدِ»، يَعْنِي مَسْجِدَ ذِي الحُلَيْفَةِ.

وفي «صحيح البخاري» (٣)، عنه، قَالَ: «أَهَلَّ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ اسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ قَائِمَةً»، و«..اسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ قَائِمًا، ثُمَّ يُلَبِّي ..» (٤).

وقد ورد عن ابن عباس أنه ﷺ أَهَلَّ حين اسْتَوَت رَاحِلَتَهُ. (٥)

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٤٣).

(٢) برقم (١٥٤٢)، ومسلم (١١٨٦).

(٣) برقم (١٥٥٢).

(٤) كما في رواية البخاري (١٥٥٣)، وغيره.

(٥) راجع «صحيح البخاري» (١٥٤٥).

وصح عن جابر رضي الله عنه: «أَنَّ إِهْلاَلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ ذِي الحُلَيْفَةِ حِينَ اسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ». (١)

وهو مروي عن أنس رضي الله عنه (٢)، ابن عباس رضي الله عنهما كما قال البخاري عقب الرواية.

فبعضهم يقول: من عند المسجد، وبعضهم يقول: حين استوى الراحلة.

وقد أخرج مسلم (٣)، عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، إِذَا قِيلَ لَهُ: الْإِحْرَامُ مِنَ الْبَيْدَاءِ، قَالَ: الْبَيْدَاءُ الَّتِي تَكْذِبُونَ فِيهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، «مَا أَهَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا مِنْ عِنْدِ الشَّجَرَةِ، حِينَ قَامَ بِهِ بَعِيرُهُ».

وهذا الحديث يجمع بين رواية ابن عمر الأولى، والأخيرة، وهو أن الإحرام كان من عند المسجد، ولكنه بعدما ركب راحلته، واستوت به على البيداء يعني الأرض، وذلك قبل أن يصل إلى المكان المعروف بالبيداء.

أما ما ورد أن رَسُول اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ طَرِيقَ الْفُرْعِ أَهَلَّ إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، وَإِذَا أَخَذَ طَرِيقَ أُحُدٍ أَهَلَّ إِذَا عَلَا عَلَى شَرَفِ الْبَيْدَاءِ»، فَفِيهِ غَرَابَةٌ وَنَكَارَةٌ، كما قال الحافظ ابن كثير. (١)

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (١٥١٥)، وغيره.

(٢) وهذا في «صحيح البخاري» (١٥٤٦) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أنه قَالَ: «...ثُمَّ بَاتَ حَتَّىٰ أَصْبَحَ بِذِي الحُلَيْفَةِ، فَلَمَّا رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَاسْتَوَتْ بِهِ أَهَلَّ». استوت أي: قامت.

(٣) برقم (١١٨٦).

❁ ذكر تلبية رسول ﷺ في الحج:

لبَّى رسولُ الله ﷺ فقال كما في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**» قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنه يَزِيدُ فِيهَا: «لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ، لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ».(٢)

ورسول الله ﷺ كان يرفع صوته بالتلبية.(٣)

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَصْرُخُ بِالْحَجِّ صُرَاخًا.....».(٤)

وقد أمر جبريل رسول الله ﷺ أن يأمر الصحابة رضي الله عنهم أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ (٥).

حديثُ جابر رضي الله عنه في صفةِ حجةِ النبي ﷺ

=

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ١٩٧).

(٢) صحيح أخرجه مسلم (١١٨٤).

(٣) راجع صحيح مسلم (١٦٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٢٤٧).

(٥) ففي «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٧٣) (١٥٠٥٥) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: مُرْ أَصْحَابَكَ يَرْفَعُوا بِالتَّلْبِيَةِ، فَإِنَّهَا شِعَارُ الْحَجِّ**»، وهو حديث له طرق يصح بها، والله أعلم.

وهو أجمع الأحاديث في ذلك :

رواه جَعْفَرُ بنْ محمد حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: «أَتَيْنَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ وَهُوَ فِي بَنِي سَلِمَةَ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَحَدَّثَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: مَكَثَ بِالْمَدِينَةِ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أُذِّنَ فِي النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاجٌّ هَذَا الْعَامَ، قَالَ: فَنَزَلَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ، أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَفْعَلَ مِثْلَ مَا يَفْعَلُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، وَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى إِذَا أَتَى ذَا الْحُلَيْفَةِ، نُفِسَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ بِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟.

قَالَ: «**اغْتَسِلِي، ثُمَّ اسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ، ثُمَّ أَهِلِّي**»، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، أَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ: « **لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ، وَالنِّعْمَةَ، لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ** » وَلَبَّى النَّاسُ، وَالنَّاسُ يَزِيدُونَ ذَا الْمَعَارِجِ، وَنَحْوَهُ مِنَ الْكَلَامِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ، يَسْمَعُ، فَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ شَيْئًا، فَنَظَرْتُ مَدَّ بَصَرِي، وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ رَاكِبٍ، وَمَاشٍ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ شِمَالِهِ مِثْلُ ذَلِكَ.

قَالَ جَابِرٌ: وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، بَيْنَ أَظْهُرِنَا عَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ، فَخَرَجْنَا لَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ، حَتَّى أَتَيْنَا الْكَعْبَةَ، فَاسْتَلَمَ نَبِيُّ اللهِ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ، ثُمَّ رَمَلَ ثَلَاثَةً، وَمَشَى أَرْبَعَةً، حَتَّى إِذَا فَرَغَ، عَمَدَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ فَصَلَّى خَلْفَهُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَرَأَ، {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: ١٢٥]- قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ يَعْنِي جَعْفَرًا: - فَقَرَأَ فِيهَا بِالتَّوْحِيدِ، وَ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، ثُمَّ اسْتَلَمَ الْحَجَرَ، وَخَرَجَ إِلَى الصَّفَا، ثُمَّ قَرَأَ {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ} [البقرة: ١٥٨] ، ثُمَّ قَالَ: «**نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ**»، فَرَقِيَ عَلَى الصَّفَا حَتَّى إِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ كَبَّرَ، قَالَ: « **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ** الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَصَدَقَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ »، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ، ثُمَّ نَزَلَ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي الْوَادِي، رَمَلَ، حَتَّى إِذَا صَعِدَ مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَرَقِيَ عَلَيْهَا، حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ، فَقَالَ عَلَيْهَا كَمَا قَالَ عَلَى الصَّفَا، فَلَمَّا كَانَ السَّابِعُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ.

قَالَ: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ، وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً** »، فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَقَالَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، وَهُوَ فِي أَسْفَلِ الْمَرْوَةِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلِعَامِنَا هَذَا، أَمْ لِلْأَبَدِ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَابِعَهُ، فَقَالَ:« **لِلْأَبَدِ** »، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: « **دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** »، قَالَ: وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ، فَقَدِمَ بِهَدْيٍ وَسَاقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ هَدْيًا، فَإِذَا فَاطِمَةُ رضي الله عنها قَدْ حَلَّتْ، وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا، وَاكْتَحَلَتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: أَمَرَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ بِالْكُوفَةِ – قَالَ جَعْفَرٌ: قَالَ أَبِي: هَذَا الْحَرْفُ لَمْ يَذْكُرْهُ جَابِرٌ – فَذَهَبْتُ مُحَرِّشًا أَسْتَفْتِي بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فِي الَّذِي ذَكَرَتْ فَاطِمَةُ، قُلْتُ: إِنَّ فَاطِمَةَ لَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا، وَاكْتَحَلَتْ، وَقَالَتْ: أَمَرَنِي بِهِ أَبِي، قَالَ: « **صَدَقَتْ،**

صَدَقَتْ، صَدَقَتْ، أَنَا أَمَرْتُهَا بِهِ...». (١)

وفي رواية مسلم قال ﷺ: لعلي رضي الله عنه: «..صَدَقَتْ صَدَقَتْ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟»، قَالَ قُلْتُ: اللهُمَّ، إِنِّي أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ، قَالَ: «فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحِلُّ».

قَالَ: فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ ﷺ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِائَةً، قَالَ: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا، إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى، فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجَازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَنَزَلَ بِهَا، حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ، فَرُحِلَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ:

«إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ

(١) أخرجه أحمد (١٤٤٤٠) ومسلم(١٢١٨) وهذا سياق أحمد، وستأتي الزيادة التي في رواية مسلم على رواية أحمد.

بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «**اللهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا، حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ، وَدَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى «**أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ**»، كُلَّمَا أَتَى جَبَلًا مِنَ الْجِبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا، حَتَّى تَصْعَدَ، حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ، فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّى الْفَجْرَ، حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ، وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيمًا، فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ ظُعُنٌ يَجْرِينَ، فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشِّقِّ

الْآخَرِ يَنْظُرُ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ، حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ، فَحَرَّكَ قَلِيلًا، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى، حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا، مِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا، فَنَحَرَ مَا غَبَرَ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ، فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ، فَطُبِخَتْ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ، فَقَالَ: «**انْزِعُوا، بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ**» **فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ**».

ثم رواه مسلم عن عُمَر بْن حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عن أَبِيه، عن جَابِرٍ فذكره بِنَحْوِه، وذكر قصة أَبي سَيَّارَةَ وأنه كان يدفع بأهل الجاهلية عَلَى حِمَارٍ عُرْيٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**نَحَرْتُ هَاهُنَا، وَمِنًى كُلُّهَا مَنْحَرٌ، فَانْحَرُوا فِي رِحَالِكُمْ، وَوَقَفْتُ هَاهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ، وَوَقَفْتُ هَاهُنَا، وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ**».

❁ الأماكنُ التي صلّى فيها رسولُ الله ﷺ وهو ذاهبٌ من المدينةِ إلى مكةَ في عمرتِه وحجتِه ﷺ

أخرج البخاري [١]، عن مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، قَالَ: «رَأَيْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَتَحَرَّى أَمَاكِنَ مِنَ الطَّرِيقِ فَيُصَلِّي فِيهَا، وَيُحَدِّثُ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يُصَلِّي فِيهَا، وَأَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي فِي تِلْكَ الأَمْكِنَةِ». وَحَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي فِي تِلْكَ الأَمْكِنَةِ، وَسَأَلْتُ سَالِمًا، فَلاَ أَعْلَمُهُ إِلَّا وَافَقَ نَافِعًا فِي الأَمْكِنَةِ كُلِّهَا إِلَّا أَنَّهُمَا اخْتَلَفَا فِي مَسْجِدٍ بِشَرَفِ الرَّوْحَاءِ[٢].

وأخرج [٣]، عن مُوسَى بْن عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنه، أَخْبَرَهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَنْزِلُ بِذِي الحُلَيْفَةِ حِينَ يَعْتَمِرُ، وَفِي حَجَّتِهِ حِينَ حَجَّ تَحْتَ سَمُرَةٍ فِي مَوْضِعِ الـمَسْجِدِ الَّذِي بِذِي الحُلَيْفَةِ، وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ غَزْوٍ كَانَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ هَبَطَ مِنْ بَطْنِ وَادٍ، فَإِذَا ظَهَرَ مِنْ بَطْنِ وَادٍ أَنَاخَ بِالْبَطْحَاءِ الَّتِي عَلَى شَفِيرِ[٤] الوَادِي الشَّرْقِيَّةِ، فَعَرَّسَ ثَمَّ حَتَّى يُصْبِحَ لَيْسَ عِنْدَ الـمَسْجِدِ الَّذِي بِحِجَارَةٍ وَلاَ عَلَى الأَكَمَةِ الَّتِي عَلَيْهَا الـمَسْجِدُ»، كَانَ ثَمَّ خَلِيجٌ يُصَلِّي عَبْدُ اللهِ عِنْدَهُ فِي بَطْنِهِ كُثُبٌ، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَمَّ يُصَلِّي، فَدَحَا السَّيْلُ فِيهِ بِالْبَطْحَاءِ[٥]، حَتَّى دَفَنَ ذَلِكَ الـمَكَانَ، الَّذِي كَانَ عَبْدُ اللهِ يُصَلِّي فِيهِ».

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٨٣)، ومسلم (١١٨٧).

(٢) بشرف الروحاء: موضع مرتفع من مكان الروحاء، والروحاء: اسم موضع على بُعدٍ من المدينة، سميت بذلك؛ لكثرة أرواحها.

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٤٨٤وما بعدها).

(٤) شفير: أي طرف الوادي.

(٥) البطحاء: المسيل الواسع المجتمع فيه صغار الحصى من سيل الماء.

- وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى حَيْثُ الـمَسْجِدُ الصَّغِيرُ الَّذِي دُونَ الـمَسْجِدِ الَّذِي بِشَرَفِ الرَّوْحَاءِ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللهِ يَعْلَمُ المَكَانَ الَّذِي كَانَ صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: ثَمَّ عَنْ يَمِينِكَ حِينَ تَقُومُ فِي الـمَسْجِدِ تُصَلِّي، وَذَلِكَ الـمَسْجِدُ عَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ اليُمْنَى، وَأَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَى مَكَّةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الـمَسْجِدِ الأَكْبَرِ رَمْيَةٌ بِحَجَرٍ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ».

وَأَنَّ ابْنَ عُمَرَ: «كَانَ يُصَلِّي إِلَى العِرْقِ الَّذِي عِنْدَ مُنْصَرَفِ الرَّوْحَاءِ، وَذَلِكَ العِرْقُ انْتِهَاءُ طَرَفِهِ عَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ دُونَ الـمَسْجِدِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الـمُنْصَرَفِ، وَأَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَى مَكَّةَ وَقَدِ ابْتُنِيَ ثَمَّ مَسْجِدٌ، فَلَمْ يَكُنْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ يُصَلِّي فِي ذَلِكَ الـمَسْجِدِ، كَانَ يَتْرُكُهُ عَنْ يَسَارِهِ وَوَرَاءَهُ، وَيُصَلِّي أَمَامَهُ إِلَى العِرْقِ نَفْسِهِ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَرُوحُ مِنَ الرَّوْحَاءِ فَلاَ يُصَلِّي الظُّهْرَ حَتَّى يَأْتِيَ ذَلِكَ الـمَكَانَ، فَيُصَلِّي فِيهِ الظُّهْرَ، وَإِذَا أَقْبَلَ مِنْ مَكَّةَ، فَإِنْ مَرَّ بِهِ قَبْلَ الصُّبْحِ بِسَاعَةٍ أَوْ مِنْ آخِرِ السَّحَرِ عَـرَّسَ[1] حَتَّى يُصَلِّيَ بِهَا الصُّبْحَ».

وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ حَدَّثَهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْزِلُ تَحْتَ سَرْحَةٍ ضَخْمَةٍ دُونَ الرُّوَيْثَةِ، عَنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ، وَوِجَاهَ الطَّرِيقِ فِي مَكَانٍ بَطْحٍ سَهْلٍ، حَتَّى يُفْضِيَ مِنْ أَكَمَةٍ[2] دُوَيْنَ بَرِيدِ الرُّوَيْثَةِ بِمِيلَيْنِ، وَقَدِ انْكَسَرَ أَعْلاَهَا، فَانْثَنَى فِي جَوْفِهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى سَاقٍ، وَفِي سَاقِهَا كُثُبٌ كَثِيرَةٌ».

---

(١) عَرَّسَ: أي نزل آخر الليل يستريح، وينام هناك.

(٢) الأكمة: هي المكان المرتفع مما حوله.

وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، حَدَّثَهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي طَرَفِ تَلْعَةٍ مِنْ وَرَاءِ العَرْجِ، وَأَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَى هَضْبَةٍ عِنْدَ ذَلِكَ الـمَسْجِدِ قَبْرَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ، عَلَى القُبُورِ رَضَمٌ مِنْ حِجَارَةٍ، عَنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ عِنْدَ سَلَمَاتِ الطَّرِيقِ بَيْنَ أُولَئِكَ السَّلَمَاتِ».

كَانَ عَبْدُ اللهِ، يَرُوحُ مِنَ العَرْجِ، بَعْدَ أَنْ تَمِيلَ الشَّمْسُ بِالهَاجِرَةِ، فَيُصَلِّي الظُّهْرَ فِي ذَلِكَ الـمَسْجِدِ.

وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، حَدَّثَهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَزَلَ عِنْدَ سَرَحَاتٍ عَنْ يَسَارِ الطَّرِيقِ فِي مَسِيلٍ دُونَ هَرْشَى، ذَلِكَ الـمَسِيلُ لاَصِقٌ بِكُرَاعِ هَرْشَى، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الطَّرِيقِ قَرِيبٌ مِنْ غَلْوَةٍ».

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ، يُصَلِّي إِلَى سَرْحَةٍ هِيَ أَقْرَبُ السَّرَحَاتِ إِلَى الطَّرِيقِ، وَهِيَ أَطْوَلُهُنَّ.

وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، حَدَّثَهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْزِلُ فِي الـمَسِيلِ الَّذِي فِي أَدْنَى مَرِّ الظَّهْرَانِ، قِبَلَ الـمَدِينَةِ حِينَ يَهْبِطُ مِنَ الصَّفْرَاوَاتِ يَنْزِلُ فِي بَطْنِ ذَلِكَ الـمَسِيلِ عَنْ يَسَارِ الطَّرِيقِ، وَأَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَى مَكَّةَ، لَيْسَ بَيْنَ مَنْزِلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ الطَّرِيقِ إِلَّا رَمْيَةٌ بِحَجَرٍ».

وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، حَدَّثَهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْزِلُ بِذِي طُوًى، وَيَبِيتُ حَتَّى يُصْبِحَ، يُصَلِّي الصُّبْحَ حِينَ يَقْدَمُ مَكَّةَ، وَمُصَلَّى رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَلِكَ عَلَى أَكَمَةٍ غَلِيظَةٍ، لَيْسَ فِي الـمَسْجِدِ الَّذِي بُنِيَ ثَمَّ، وَلَكِنْ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَكَمَةٍ غَلِيظَةٍ».

وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، حَدَّثَهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَقْبَلَ فُرْضَتَيِ الجَبَلِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَبَلِ الطَّوِيلِ، نَحْوَ الكَعْبَةِ، فَجَعَلَ الـمَسْجِدَ الَّذِي بُنِيَ ثَمَّ يَسَارَ الـمَسْجِدِ،

بِطَرَفِ الأَكَمَةِ، وَمُصَلَّى النَّبِيِّ ﷺ أَسْفَلَ مِنْهُ عَلَى الأَكَمَةِ السَّوْدَاءِ، تَدَعُ مِنَ الأَكَمَةِ عَشَرَةَ أَذْرُعٍ أَوْ نَحْوَهَا، ثُمَّ تُصَلِّي مُسْتَقْبِلَ الفُرْضَتَيْنِ مِنَ الجَبَلِ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ الكَعْبَةِ».

دُخول النبيّ ﷺ مكةَ

بَاتَ النَّبِيُّ ﷺ بِذِي طُوًى حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ دَخَلَ مَكَّةَ.

فصلي الصبح حين قدم مكةَ [١]، ثم اعتمر ﷺ.

وتتمة وصف عُمرتِه ﷺ، وحَجتِه وصفًا دقيقًا معلومًا، وقد صُنفت مؤلفات في تفصيل ذلك محلُّها كتب الفقه.

❁ نزولُ أواخر الآيات من القرآن يوم عرفة:

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} [المائدة: ٣]

أخرج أحمد والبخاري ومسلم [٢] عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ آيَةً فِي كِتَابِكُمْ، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ، لاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ هِيَ؟ قَالَ: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} [المائدة: ٣] قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالسَّاعَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

---

(١) كما في «صحيح البخاري» (١٥٧٤)، ومسلم(١٢٥٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٨)والبخاري (٤٥)ومسلم (٣٠١٧).

❁ خُطبةُ رسول الله ﷺ يومَ «غَدِيرِ خُمٍّ»

وهو موضعٌ بين مكةَ والمدينة،وهو قادمٌ إلى المدينة، من حجةِ الوداع، وبيانُ ما تعلق به الروافض الخُبثاء

أخرج مسلم عن يَزِيد بْن حَيَّانَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ، وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ، إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ لَقَدْ لَقِيتَ، يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي وَاللهِ لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا، وَمَا لَا، فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: **«وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»**، فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ ،أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ».[1]

---

(١) برقم (٢٤٠٨).

وأخرج النسائي في «الكبرى» (٨٠٩٢)، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَنَزَلَ غَدِيرَ خُمٍّ أَمَرَ بَدَوْحَاتٍ[1]، فَقُمِمْنَ، ثُمَّ قَالَ: « **كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ: كِتَابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا؟ فَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ مَوْلَايَ، وَأَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ**»، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ: «**مَنْ كُنْتُ وَلِيُّهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**» فَقُلْتُ لِزَيْدٍ: سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَا كَانَ فِي الدَّوْحَاتِ رَجُلٌ إِلَّا رَآهُ بِعَيْنِهِ وَسَمِعَ بِأُذُنِهِ»[2].

❁ سببُ خُطبة رسول الله ﷺ في «غَدِيرِ خُمٍّ».

خَطَبَ رسول الله ﷺ بِمَكَانٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ مَرْجِعَهُ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ قَرِيبٍ مِنَ الْجُحْفَةِ، يُقَالُ لَهُ: غَدِيرُ خُمٍّ. فَبَيَّنَ فِيهَا فَضْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، وَبَرَاءَةَ عِرْضِهِ مِمَّا كَانَ تَكَلَّمَ فِيهِ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ بِأَرْضِ الْيَمَنِ، بِسَبَبِ مَا كَانَ صَدَرَ مِنْهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَعْدِلَةِ الَّتِي ظَنَّهَا بَعْضُهُمْ جَوْرًا وَتَضْيِيقًا وَبُخْلًا، وَالصَّوَابُ كَانَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ، وَلِهَذَا لَمَّا تَفَرَّغَ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مِنْ بَيَانِ الْمَنَاسِكِ وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، فَخَطَبَ خُطْبَةً عَظِيمَةً فِي الْيَوْمِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ عَامَئِذٍ، وَكَانَ يَوْمَ الْأَحَدِ بِغَدِيرِ خُمٍّ تَحْتَ شَجَرَةٍ هُنَاكَ، فَبَيَّنَ فِيهَا أَشْيَاءَ، وَذَكَرَ مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ رضي الله عنه وَأَمَانَتِهِ وَعَدْلِهِ وَقُرْبِهِ إِلَيْهِ، مَا

---

(١) الدَّوْحَات: الشَّجَر الْعَظِيم أَيَّ مفردها : شَجَرَةٍ ، شجر عظيم متشعب له فروع ممتدَّة

(٢)وحكى ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣١١) عن الذهبي قوله: «وهذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

أَزَاحَ بِهِ مَا كَانَ فِي نُفُوسِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْهُ...[١]

و أخرج أحمد[٢]، بسندٍ صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ:

«غَزَوْتُ مَعَ عَلِيٍّ الْيَمَنَ فَرَأَيْتُ مِنْهُ جَفْوَةً، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَكَرْتُ عَلِيًّا فَتَنَقَّصْتُهُ، فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَغَيَّرُ فَقَالَ: «**يَا بُرَيْدَةُ أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**».

وهناك سياقٌ آخر:[٣] عن عَبْدِ اللهِ بن بُرَيْدَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: «لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى أَحْبَبْتُ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ

---

(١) قاله الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٠٩).

(٢) في «المسند» برقم (٢٢٩٤٥)، وجود سنده الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية» (٥/ ٣١٠)، وذكر له طرقاً أخرىٰ هناك.

وفي « السنن الكبرىٰ» للنسائي (٨٤٢٩)، بسندٍ جوَّدَه ابن كثير، عن سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: «قَالَ عَلِيٌّ ﷺ فِي الرَّحْبَةِ: أَنْشُدُ بِاللهِ مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ**».

فدلَّ قوله: «**في الرحبة** »علىٰ أن ذلك قاله عليٌّ ﷺ يوم الكوفة، يوم كان يناجز أهل الشام ليكونوا معه علىٰ طائفة معاوية، لا ليُقَدَّم علىٰ أبي بكرٍ وعمر، وحاشاه ، فتنبه! واطعن به في أقفية ووجوه الروافض الكذَّابين الضُّلَّال القائلين بأن علي هو وصيّ رسول الله ﷺ من بعده ، فهو تفسيره عن إمامهم زعموا. فهو من أقوىٰ الحجج عليهم .

(٣)أخرجه أحمد (٢٢٩٦٧)، والنسائي في «الكبرىٰ » (٨٤٢٨)، بسندٍ حسن

لَا أُحِبُّهُ إِلَّا عَلَى بَغْضَاءِ عَلِيٍّ، فَبُعِثَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى خَيْلٍ، فَصَحِبْتُهُ، وَمَا أَصْحَبَهُ إِلَّا عَلَى بَغْضَاءِ عَلِيٍّ، فَأَصَابَ سَبْيًا، فَكَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ مَنْ يُخَمِّسُهُ، فَبَعَثَ إِلَيْنَا عَلِيًّا، وَفِي السَّبْيِ وَصِيفَةٌ مِنْ أَفْضَلِ السَّبْيِ، فَلَمَّا خَمَّسَهُ صَارَتِ الْوَصِيفَةُ فِي الْخُمُسِ، ثُمَّ خَمَّسَ فَصَارَتْ فِي أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ خَمَّسَ فَصَارَتْ فِي آلِ عَلِيٍّ، فَأَتَانَا وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ فَقُلْنَا: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا الْوَصِيفَةَ؟ صَارَتْ فِي الْخُمُسِ، ثُمَّ صَارَتْ فِي أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ صَارَتْ فِي آلِ عَلِيٍّ، فَوَقَعْتُ عَلَيْهَا، فَكَتَبَ وَبَعَثَنِي مُصَدِّقًا لِكِتَابِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مُصَدِّقًا»، لِمَا قَالَ عَلِيٌّ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ عَلَيْهِ: وَيَقُولُ: «**صَدَقَ**» وَأَقُولُ: وَيَقُولُ: «**صَدَقَ**»، فَأَمْسَكَ بِيَدِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**أَتَبْغَضُ عَلِيًّا؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ فَقَالَ: «**لَا تُبْغَضْهُ، وَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّهُ فَازْدَدْ لَهُ حُبًّا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَنَصِيبُ آلِ عَلِيٍّ فِي الْخُمُسِ أَفْضَلُ مِنْ وَصِيفَةٍ**»، فَمَا كَانَ أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَلِيٍّ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ: وَاللهِ مَا فِي الْحَدِيثِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ أَبِي».

فالروايات بيَّنت سبب ورود قوله ﷺ، فكيف يُعرَض عن سببِ الورود في التفسير ؟ ولكن من الناس مَن أَلِفَ اللَّعب، نعوذُ بالله من الهوي!!

❁ **ولأجل مثل هذا الذي وقع في النفوس أراد رسول الله ﷺ بخطبته إزالته فخطب خطبة غدير خُمٍّ؛** لأن عليـًا رضي الله عنه كان أميراً، وكان مُحقًّا مُبَجَّلاً، فحقُّه أن يُنزَّل منزلته، فخَطبَ النبيُّ ﷺ، لإزالة ما وقع في بعضِ نفوس القوم، والله أعلم.

وأخرج أحمد[١] قال: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَأَبُو نُعَيْمٍ الْمَعْنَى، قَالَا: حَدَّثَنَا فِطْرٌ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: جَمَعَ عَلِيٌّ رضي الله عنه النَّاسَ فِي الرَّحَبَةِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَنْشُدُ اللهَ كُلَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ مَا سَمِعَ، لَمَّا قَامَ فَقَامَ ثَلَاثُونَ مِنَ النَّاسِ، وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ: فَقَامَ نَاسٌ كَثِيرٌ فَشَهِدُوا حِينَ أَخَذَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: « **أَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟**» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: « **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ** »قَالَ: فَخَرَجْتُ وَكَأَنَّ فِي نَفْسِي شَيْئًا، فَلَقِيتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه، يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَمَا تُنْكِرُ؟ قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ لَهُ.

وقد أورد ابن كثير النصوص الواردة في هذا الباب يَوْمَ «غَدِيرِ خُمٍّ »، وزيَّف الزائف وبين أن بعض أهلِّ السنة جمعَ الوارد في هذه الخُطبة، وقال: «وَنَحْنُ نُورِدُ عُيُونَ مَا رُوِيَ فِي ذَلِكَ، مَعَ إِعْلَامِنَا أَنَّهُ لَا حَظَّ لِلشِّيعَةِ فِيهِ، وَلَا مُتَمَسَّكَ لَهُمْ وَلَا دَلِيلَ، لِمَا سَنُبَيِّنُهُ وَنُنَبِّهُ عَلَيْهِ».[٢]

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية »:

«فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ ضَمْرَةُ عَنِ ابْنِ شَوْذَبٍ، عَنْ مَطَرٍ الورَّاق، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِ عَلِيٍّ قَالَ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**

---

(١) برقم (١٩٣٠٢).

(٢) «البداية والنهاية » (٥/ ٣١٠)، بتحقيقي.

وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} [المائدة: ٣]. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَهُوَ يَوْمُ غَدِيرِ خُمٍّ مَنْ صَامَ يَوْمَ ثَمَانَ عَشْرَةَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ كُتِبَ لَهُ صِيَامُ سِتِّينَ شَهْرًا.

فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ جِدًّا، بَلْ كَذِبٌ؛ لِمُخَالَفَتِهِ لِمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاقِفٌ بِهَا.

وَقَدْ قَالَ الذَّهَبِيُّ بَعْدَ إِيرَادِهِ هَذَا الْحَدِيثَ المتقدم:« هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ جِدًّا ».

فلم تكن هذه الخُطبة لتنصيبِ علي رضي الله عنه من بعده ﷺ كما يزعم الروافض قبَّحهم الله.

فلو كانت خُطبتُه يوم الغدير مقصوداً بها إبرام الإمامة لعلي رضي الله عنه من بعده ﷺ مباشرةً، لكان الأولى أن يقول ذلك في الحج، لاجتماع الناس عليه حتى يشهد الجميع لعلي ولا يُنازَع بعد؛ لأنه أمرٌ- أعني تنصيب على رضي الله عنه - يتعلَّق بهم جميعـًا، لا يَتعلَّقُ بأهلِّ المدينة فحسب حتى يخُصَّهم به وهو راجع من الحج في «غدير خم».

ولو كانت الخطبة لتنصيبِ علي رضي الله عنه والوصيَّة له، ومبايعة الناس له من أصول الدين كما يدَّعي المنحرفون لذُكر ذلك في كتاب الله،وقد ذُكر فيه مثل آداب الإستئذان، وطريقة إصلاح الزوجة لزوجها.

والروافض–أخزاهم الله- يزعمون أن ذلك أصل من أصول الدين، أفيذكر الله البيعة للنساء في كتابه، وبعض آداب المنازل، وهي ليست من أصول الدين، ولا يذكر البيعة لعلي رضي الله عنه وهي من أصول الدين عندهم؟

وعندهم- أعني الروافض- أن النبيَّ ﷺ عَلِمَ أن هناك مَن لا يَرضى بتقديم علي رضي الله عنه فكيف أخل بالتنبيه عليه؟.

ولو كانت الخُطبة لتنصيب علي رضي الله عنه من بعده لما كانت بعد نزول قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} [المائدة: ٣] ،التي نزلت بعرفة ، فالخطبة كانت وهو راجع إلى المدينة يوم الغدير.

وفي الصحيح أن الآية نزلت بمِنى في حَجَّة الوداع.

-**وقد ذكر ذلك عُمر** رضي الله عنه على الملأ ،أن المعترض علي إمامة أبي بكر وعمر أراد أن يسلب الناس حقوقم كما في رواية البخاري[١]قال عمر «...إِنِّي إِنْ شَاءَ اللهُ لَقَائِمٌ العَشِيَّةَ فِي النَّاسِ، فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ...»،قال هذا رداً على من قال إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ولو مات عمر بايعت فلانـًا، وبالتأكيد سمعه علي رضي الله عنه وما أنكر، أفكان الروافض الخبثاء أجرأ من عليٍّ رضي الله عنه في تبيين الحق ، أم جهله عليٌّ رضي الله عنه وعلموه ؟!.

-ولو كانت الخطبة من أجلِ تنصيب علي رضي الله عنه ، لما كان علي رضي الله عنه يجزمُ بأن رسولَ الله ﷺ ما أوصى إليه، ففي «صحيح البخاري»[٢]، عن يزيد التَّيْمِيِّ النخعي، قَالَ: خَطَبَنَا عَلِيٌّ فَقَالَ: مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرَؤُهُ إِلَّا كِتَابَ اللهِ تَعَالَى، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَقَالَ: فِيهَا الجِرَاحَاتُ وَأَسْنَانُ الإِبِلِ: «وَالـمَدِينَةُ حَرَمٌ....» إلخ، فمن الأصدق عليّ أم الروافض ؟!

(١) برقم (٦٨٣٠).

(٢) برقم (٣١٧٢).

وفي « صحيح البخاري » [١] عن طَلْحَة بْن مُصَرِّفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْصَى؟ فَقَالَ: لاَ، فَقُلْتُ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الوَصِيَّةُ أَوْ أُمِرُوا بِالوَصِيَّةِ؟ قَالَ: «أَوْصَى بِكِتَابِ اللهِ».

فهذا صحابي آخر شاهد أن رسول الله ﷺ ما أوصى إلا أن يكون كذابـًا- وحاشاه – والروافض صادقين .

ولازم هذا الطعن في عليٍّ رضي الله عنه نفسه قبَّحهم الله .

وتقدَّمت الروايات الصحيحة ، ليس فيها وصية.

وفي «صحيح البخاري [٢]، ذكر يَوْم الخَمِيس، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يحكي لما طلب منهم أن يكتب كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا، وَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ أَهَجَرَ؟ [٣] اسْتَفْهِمُوهُ، قَالَ: «**دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ، أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ ...**».

---

(١) برقم (٢٧٤٠) ومسلم (١٦٣٤).

(٢) برقم (٣٠٥٣) ومسلم (١٦٣٧).

(٣) والكذَّابون يدَّعون أن عمر رضي الله عنه هو الذي قال الكلمة ، يكذبون عليه لبغضهم له ، مع أنه لو قالها فهي منقبة له، من جهة أنه سؤال استنكاري بمعنى النفي، كأنه يقول : هل هو يهجر كغيره؟ أعطوه يكتب فلا يخرج منه إلا حقاً. فمواقفه في الغيرة على الاسلام تأبى أن يقول هذا عن نبي الاسلام ﷺ، بل كان دخول النبي ﷺ في الهجر ومقدمات الموت بعيداً عن ذهن عمر رضي الله عنه أصلاً، ولذلك أُصيب بذهول رضي الله عنه لما أُخبر بموته وحصل منه ما سيأتي في وفاته ﷺ .

فمتى أوصى رسول الله ﷺ لعلي بالخلافة، وإنما هو الكذب الصُّرَاح والدعاوى من غير بينات ،هداهم الله أو قطع الله دابرهم .

وإذا كنتم جعلتم خطبة النبي ﷺ في غدير خُم وصيةً لعلي رضي الله عنه بالخلافة، فلماذا – من باب الأولى- ما جعلتم خطبته ﷺ في مرض موته التي في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَهُوَ عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ، فَقَعَدَ عَلَى المِنْبَرِ ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا المَسْجِدِ، غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ**»؟ خطبة تنصيب؟. وسيأتي

وكان ذلك في مرض موته- لا تنس- مع أن هناك أدلة أصرح باستحقاق أبي بكر رضي الله عنه للإمارة،ويكفيه اعتراف علي رضي الله عنه بذلك على ملأ ، فماذا ؟!

مرضُ النبي ﷺ ووفاتُه

عليه الصلاة والسلام

❁ **بين يدي مرضه ﷺ:**

اختلف في مدة مرضه ﷺ، والأكثر على أنها ثلاثة عشر يومـًا.

وثمّ أقوال أخرى.

وكانت وفاته يوم الإثنين من ربيع الأول بلا خلافٍ أعلمه بل كاد يكون

إجماعاً.[١]

الجمهور أنها في الثاني عشر من رمضان.

وقيل عاش بعد حجته ثمانين يوماً، وقيل غير ذلك.[٢]

❁ الآياتُ والأحاديثُ المنذرة بوفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وذكرُ مرضه ﷺ

أولا: الآيات المنذرة بذلك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ الزمر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنبياء. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ آل عمران وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الَّتِي تَلَاهَا الصِّدِّيقُ رضي الله عنه يَوْمَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا سَمِعَهَا النَّاسُ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهَا قَبْلَ ذَلِكَ.

---

(١) وفي ذلك أدلة يأتي بعضها.

(٢) انظر «فتح الباري» (٨/ ١٦١-١٦٢).

❁ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ النصر وأقرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ وَابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ في تفسيرها أنه أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ نُعِيَ إِلَيْهِ.(١)

ثانيا: الأحاديث المنذرة بذلك:

قد قال رسول الله ﷺ وهو عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، يَقُولُ: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ**».(٢)

٢- **وأخرج البخاري**(٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: «كَانَ يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ القُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ عَامٍ عَشْرًا، فَاعْتَكَفَ عِشْرِينَ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ».

٣- **وأخرج البخاري**(٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ**»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ اللهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ العَبْدَ، وَكَانَ أَبُو

---

(١) كذا فسَّرها ابن عباس ﷺ وأقرّه عمرُ ﷺ على ملأٍ من الصحابة ﷺ، ولم يُنكر أحد، وهذا في «صحيح البخاري» (٣٦٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٢٩٧).

(٣) برقم (٤٩٩٨).

(٤) برقم (٤٦٦).

بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الـمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ**».

٤ـ وثبت في «الصحيحين»[(١)]، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ امْرَأَةً، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**»، فَأَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ فَاطِمَةُ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّهَا فَضَحِكَتْ أَيْضًا، فَقُلْتُ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَقُلْتُ لَهَا حِينَ بَكَتْ: أَخَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بِحَدِيثِهِ دُونَنَا، ثُمَّ تَبْكِينَ؟ وَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ:

فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا قُبِضَ سَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ حَدَّثَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ بِهِ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ، فَبَكَيْتُ لِذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّنِي، فَقَالَ: «**أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»، **فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ**».

٥ - **وَقَالَتْ عَائِشَةُ**: «لَدَدْنَاهُ فِي مَرَضِهِ فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا: «**أَنْ لاَ تَلُدُّونِي**»، فَقُلْنَا: كَرَاهِيَةُ الـمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: «**أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي**؟» قُلْنَا:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٣) ومسلم (٢٤٥٠).

كَرَاهِيَةَ الـمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: «**لاَ يَبْقَى فِي البَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَّا العَبَّاسَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ**». (١)

٦- **أخرج البخاري** قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «**يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ**». (٢)

ومعنى انْقِطَاعَ أَبْهَرِي:

أي قرب انقطاعه، وهو عرقٌ مرتبطٌ بالقلبِ، إذا انقطع مات الإنسان.

أي: ما زال يجد الألم في جوفه بسبب الطعام المذكور.

وقد أخرجه أحمد(١)، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أُمِّهِ، أَنَّ أُمَّ مُبَشِّرٍ دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَقَالَتْ:

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٥٧١٢) ومسلم (٢٢١٣).

تنبيه: قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٨٣)، عن ابن الْعَرَبِيِّ قَالَ: «وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ تَأْدِيبَهُمْ لِئَلَّا يَعُودُوا فَكَانَ ذَلِكَ تَأْدِيبًا لَا قِصَاصًا وَلَا انْتِقَامًا قِيلَ وَإِنَّمَا كَرِهَ اللَّدَّ مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَتَدَاوَى؛ لِأَنَّهُ تَحَقَّقَ أَنَّهُ يَمُوتُ فِي مَرَضِهِ وَمَنْ حَقَّقَ ذَلِكَ كُرِهَ لَهُ التَّدَاوِي قُلْتُ: وَفِيهِ نَظَرٌ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ التَّخْيِيرِ وَالتَّحَقُّقِ وَإِنَّمَا أَنْكَرَ التَّدَاوِي؛ لِأَنَّهُ كَانَ غَيْرَ مُلَائِمٍ لِدَائِهِ، لِأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ بِهِ ذَاتَ الْجَنْبِ فَدَاوَوْهُ بِمَا يُلَائِمُهَا وَلَمْ يَكُنْ بِهِ ذَلِكَ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ فِي سِيَاقِ الْخَبَرِ كَمَا تَرَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ».

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٢٨) مُعلقاً مجزوماً به، ووصله البزار في «البحر الزخار» (١١٥)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٩).

بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تَتَّهِمُ بِنَفْسِكَ؟ فَإِنِّي لَا أَتَّهِمُ إِلَّا الطَّعَامَ الَّذِي أَكَلَ مَعَكَ بِخَيْبَرَ، وَكَانَ ابْنُهَا مَاتَ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **وَأَنَا لَا أَتَّهِمُ غَيْرَهُ، هَذَا أَوَانُ قَطْعِ أَبْهَرِي** »وتقدم ذكر هذا الحديث في قصة غزوة خيبر.

وابن أم بشر هو بشر بن البراء بن معرور الأنصاري رضي الله عنه.

وعند الدارمي وغيره(٢) بسند صحيح عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ، فَأَهْدَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ يَهُودِ خَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً، فَتَنَاوَلَ مِنْهَا، وَتَنَاوَلَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ، ثُمَّ رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ تُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ، فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ...»، الحديث.

٧- أخرج البخاري(٣) أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا حَسَنٍ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ

=

(١) برقم (٢٣٩٣٣)، وأبو داود (٤٥١٣) وعبد الرزاق (١٩٨١٥)، من طريق معمر عن الزهري عن عبد الرحمن به. وله شاهدٌ أخرجه أحمد (٣٨٧٣) والحاكم(٣/ ٦٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٧٢)، عن عَبْد الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: «لَأَنْ أَحْلِفَ تِسْعًا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قُتِلَ قَتْلًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ وَاحِدَةً أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ،وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ نَبِيًّا،وَاتَّخَذَهُ شَهِيدًا، قَالَ الْأَعْمَشُ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ:« كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْيَهُودَ سَمُّوهُ ».

وإسناده صحيحٌ، ثابتٌ على شرطِ مسلم.

(٢) برقم (٧٣) أبي داود (٤٥١٢).

(٣) برقم (٤٤٤٧).

ﷺ؟، فَقَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئًا، فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ وَاللهِ بَعْدَ ثَلاَثٍ عَبْدُ العَصَا، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَرَى رَسُولَ اللهِ ﷺ سَوْفَ يُتَوَفَّى مِنْ وَجَعِهِ هَذَا، إِنِّي لَأَعْرِفُ وُجُوهَ بَنِي عَبْدِ الـمُطَّلِبِ عِنْدَ الـمَوْتِ، اذْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلْنَسْأَلْهُ فِيمَنْ هَذَا الأَمْرُ، إِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا عَلِمْنَاهُ، فَأَوْصَى بِنَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّا وَاللهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَمَنَعَنَاهَا لاَ يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ، وَإِنِّي وَاللهِ لاَ أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ».

٨- أخرج البخاري[١]، عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «وَا ثُكْلِيَاهْ، وَاللهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي، وَلَوْ كَانَ ذَاكَ، لَظَلَلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرِّسًا بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ، لَقَدْ هَمَمْتُ - أَوْ أَرَدْتُ - أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ فَأَعْهَدَ، أَنْ يَقُولَ: القَائِلُونَ [٢]، أَوْ يَتَمَنَّى الـمُتَمَنُّونَ [٣]، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللهُ [٤]، وَيَدْفَعُ الـمُؤْمِنُونَ [٥] أَوْ يَدْفَعُ اللهُ وَيَأْبَى الـمُؤْمِنُونَ**».

ومعنى أَعْهَدَ: أي أوصي بالخلافة.

---

(١) برقم (٧٢١٧).

(٢) القَائِلُونَ: أي كراهة أن يقول أحد الخلافة لفلان، أو لفلان.

(٣) الْمُتَمَنُّونَ: أي المتمنون للخلافة، فأعينها قطعاً للنزاع.

(٤) يَأْبَى اللهُ: من لا يستحقها.

(٥) وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ: أي يدفع المؤمنون عنها من هو أقل جدارةً لها.

٩- وأخرج البخاري ومسلم [١]، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ: الـمَوْتَ، قَالَ ﷺ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**».

قال الحافظ ابن كثير [٢]: «وَالظَّاهِرُ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّهَا إِنَّمَا قالت ذلك له فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ».

قلتُ (محمد): هو المؤكَّد، لقولِ الراوي [٣]:«..**فَلَمْ أَجِدْكَ؟**» قَالَ الراوي: كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ....الحديث».

وكذلك بقولِه ﷺ «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»[٤]، وإلى غير ذلك مما فيه إشارة إلى انقضاء أجله ﷺ.

مرضُ مَوتِه ﷺ

قد وردت في ذلك أحاديث:

١- ما أخرجه ابن إسحاق بسندٍ حسن، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْبَقِيعِ فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي وَأَنَا أَقُولُ: وَارَأْسَاهْ، فَقَالَ: «**بَلْ أَنَا وَاللهِ يَا عَائِشَةُ وَارَأْسَاهْ**» قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: «**وَمَا ضَرَّكِ لَوْ مُتِّ قَبْلِي فَقُمْتُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٩) ومسلم (٢٣٨٦).

(٢) «البداية والنهاية» (٥/ ٣٣٢).

(٣) في رواية مسلم (٢٣٨٦).

(٤) أخرجه مسلم (٤١٨).

عَلَيْكِ وَكَفَّنْتُكِ وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَنْتُكِ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكَ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي فَأَعْرَسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ! قَالَتْ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ونام بِهِ وَجَعُهُ، وَهُوَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ حَتَّى اسْتُعِزَّ بِهِ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ، فَدَعَا نِسَاءَهُ فَاسْتَأْذَنَهُنَّ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ.

قَالَت: فَخرج رَسُول الله بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِهِ أَحَدُهُمَا الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وَرَجُلٌ آخَرُ عَاصِبًا رَأْسَهُ تَخُطُّ قَدَمَاهُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتِي.

قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَحَدَّثْتُ بِهِ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: أَتَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الْآخَرُ؟ هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ».[1]

٢-وتقدم أنهم لدُّوا رسول الله ﷺ، تقدم الحديث بذلك.

٣- **أخرج البخاري**[2] أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلاَهُ فِي الأَرْضِ، بَيْنَ عَبَّاسٍ وَآخَرَ، فَأَخْبَرْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: هُوَ عَلِيٌّ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ مَا دَخَلَ بَيْتَهَا، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ: «**هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ**

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما قال ابن كثير في «تاريخه» (٥/ ٣٢٨)، وأخرجه أحمد (٢٥٩٠٨)، بإسنادٍ حسن من طريق محمد بن إسحاق أيضاً، لكنه بأخصر من متن رواية ابن إسحاق.

(٢) برقم (٥٧١٤)، ورواه مسلم (٤١٨) مطولاً وفيه الأمر بصلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس.

قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ[١]، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ» قَالَتْ: فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ القِرَبِ، حَتَّى جَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا: «أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ» قَالَتْ: وَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَصَلَّى لَهُمْ وَخَطَبَهُمْ».

٤- وأخرج البخاري[٢]، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، يَقُولُ: «أَيْنَ أَنَا غَدًا، أَيْنَ أَنَا غَدًا»، يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَاتَ فِي اليَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ، فِي بَيْتِي، فَقَبَضَهُ اللهُ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي، وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي، ثُمَّ قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: أَعْطِنِي هَذَا السِّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَأَعْطَانِيهِ، فَقَضِمْتُهُ، ثُمَّ مَضَغْتُهُ، فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ، وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى صَدْرِي».

٥- وعنها رضي الله عنها، قَالَتْ: «مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي، فَلاَ أَكْرَهُ شِدَّةَ المَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا، بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ».[٣]

٦- وأخرج البخاري[٤]، عن عُرْوَة، أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَخْبَرَتْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا اشْتَكَى

---

(١) والحكمة في هذا العدد؛ أن له خاصيَّة في دفع ضَرر السُّم والسِّحر، والله أعلم.

(٢) برقم (٤٤٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٤٦).

(٤) برقم (٤٤٣٩) ومسلم (٢١٩٢).

وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، طَفِقْتُ أَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهُ».

٧- **أخرج البخاري** (١)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَفِي البَيْتِ رِجَالٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ**» (٢)، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَدْ غَلَبَهُ الوَجَعُ، وَعِنْدَكُمُ القُرْآنُ حَسْبُنَا، كِتَابُ اللهِ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ البَيْتِ وَاخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلاَفَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا**» (٣)، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ، فَكَانَ يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ، مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الكِتَابَ، لِاخْتِلاَفِهِمْ وَلَغَطِهِمْ (٤)».

---

(١) برقم (٤٤٣٢) ومسلم (١٦٣٧).

(٢) وفي رواية البخاري (١٤٤)، «**ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ**».

(٣) وفي رواية البخاري (٣٠٥٣)، (٤٤٣١)، وغيره، «دَعُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ».

(٤) **قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٣١/ ٣٣٢)**: « هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا قَدْ تَوَهَّمَ بِهِ بَعْضُ الْأَغْبِيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ مِنَ الشِّيعَةِ وَغَيْرِهِمْ، كُلٌّ يَدَّعِي أَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَكْتُبَ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ مَا يَرْمُزُونَ إِلَيْهِ مِنْ مَقَالَاتِهِمْ، وَهَذَا هُوَ التَّمَسُّكُ بِالْمُتَشَابِهِ وَتَرْكُ الْمُحْكَمِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَأْخُذُونَ بِالْمُحْكَمِ وَيَرُدُّونَ مَا تَشَابَهَ إِلَيْهِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فِي كِتَابِهِ، وَهَذَا الْمَوْضِعُ مِمَّا زَلَّ فِيهِ أَقْدَامُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَاتِ، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَلَيْسَ لَهُمْ مَذْهَبٌ إِلَّا اتِّبَاعُ الْحَقِّ يَدُورُونَ مَعَهُ كَيْفَمَا دَارَ، وَهَذَا الَّذِي كَانَ يُرِيدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يَكْتُبَهُ قَدْ جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ التَّصْرِيحُ بِكَشْفِ الْمُرَادِ مِنْه ».

خُطبته ﷺ في مرض موته التي عرَّض فيها بتأمير أبي بكر رضي الله عنه

أخرج الإمام البخاري (١)، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ، فَقَعَدَ عَلَى الـمِنْبَرِ، ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الـمَسْجِدِ، غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ**». يشير ﷺ إلى الخلافة.

وفي رواية(٢) يَقُولُ: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ مُتَعَطِّفًا بِهَا عَلَى مَنْكِبَيْهِ، وَعَلَيْهِ عِصَابَةٌ دَسْمَاءُ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الـمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ، وَتَقِلُّ الأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أَمْرًا يَضُرُّ فِيهِ أَحَدًا، أَوْ يَنْفَعُهُ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ». (٣)

من أواخرِ ما قال رسولُ الله ﷺ.

أخرج مسلم (٤)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ النَّجْرَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي جُنْدَبٌ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى**

(١) برقم (٤٦٧).

(٢) في «صحيح البخاري» (٣٨٠٠).

(٣) وفي رواية البخاري (٣٦٢٨)، زيادة: «فَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ».

(٤) برقم (٥٣٢).

اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهِ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

وعَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَيَّ ظَهْرَهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ».(١)

وأخرج البخاري(٢) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: «لَوْلاَ ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا». يُحذِّرُ ﷺ ما صنعوا.

❁ أَمرُ النبيِّ ﷺ أبا بكرٍ رضي الله عنه، بالصلاةِ مع حضورِ الصحابةِ رضي الله عنهم جميعًا

أخرج أبو داود(٣)، بإسنادٍ حسن، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ زَمْعَةَ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ: صَوْتَ عُمَرَ قَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَطْلَعَ رَأْسَهُ مِنْ حُجْرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «لَا لَا لَا لِيُصَلِّ لِلنَّاسِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ» يَقُولُ ذَلِكَ مُغْضَبًا».

وذلك؛ لأنه ﷺ...يومئ إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه لا إلى الصلاة، كما سيأتي

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٠، ٥٦٧٤) ومسلم (٢٤٤٤).

(٢) برقم (٤٤٤١).

(٣) برقم (٤٦٦١).

ذلك صريحاً.

وأخرج البخاري[١]، عَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَذَكَرْنَا الـمُوَاظَبَةَ عَلَى الصَّلاَةِ وَالتَّعْظِيمَ لَهَا، قَالَتْ: لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ، فَأُذِّنَ فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى فَوَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الوَجَعِ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ، قِيلَ لِلْأَعْمَشِ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلاَتِهِ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: بِرَأْسِهِ نَعَمْ..».

وأخرج البخاري[٢]، عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ**»، قَالَتْ عَائِشَةُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَهْ إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ، فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ**»، قَالَتْ حَفْصَةُ

---

(١) برقم (٦٦٤) ومسلم (٤١٨).

(٢) برقم (٧١٦).

لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا».[١] ومعنى«**إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ**»: أي فِي التَّظَاهُرِ عَلَى مَا تُرِدْنَ وَكَثْرَةِ إِلْحَاحِكُنَّ فِي طَلَبِ مَا تُرِدْنَهُ وَتَمِلْنَ إِلَيْهِ.

❁ وقد صلى رسولُ اللهِ ﷺ، خلفَ أبي بكرٍ رضي الله عنه، في مرضِ مَوتِه.

وأخرج البخاري ومسلم[٢] عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها فَقُلْتُ: أَلاَ تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: بَلَى، ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**أَصَلَّى النَّاسُ؟**» قُلْنَا: لاَ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، قَالَ: «**ضَعُوا لِي مَاءً فِي الـمِخْضَبِ**».

قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، فَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ ﷺ: «**أَصَلَّى النَّاسُ؟**» قُلْنَا: لاَ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**ضَعُوا لِي مَاءً فِي الـمِخْضَبِ**»، قَالَتْ: فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «**أَصَلَّى النَّاسُ؟**» .

---

(١) تقول رضي الله عنها، كما في رواية ابن حبان (٦٨٧٤)، بسندٍ صحيح..«لَقَدْ عَاوَدْتُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ عَلَىٰ ذلك، وحملني عَلَىٰ مُعَاوَدَتِهِ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ يَتَشَاءَمَ النَّاسُ بِأَبِي بَكْرٍ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ أَحَدٌ إِلَّا تَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَعْدِلَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ عن أبي بكر» =

وفي «صحيح مسلم» (٤١٨)، قولها: « وَاللهِ، مَا بِي إِلَّا كَرَاهِيَةُ أَنْ يَتَشَاءَمَ النَّاسُ، بِأَوَّلِ مَنْ يَقُومُ فِي مَقَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: فَرَاجَعْتُهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: «لِيُصَلِّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ».

(٢) صحيح البخاري(٦٨٧) ومسلم (٤١٨).

قُلْنَا: لاَ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**ضَعُوا لِي مَاءً فِي الـمِخْضَبِ**»، فَقَعَدَ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «**أَصَلَّى النَّاسُ؟**»، فَقُلْنَا: لاَ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي المَسْجِدِ، يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ لِصَلاَةِ العِشَاءِ الآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، - وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا -: يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الأَيَّامَ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا العَبَّاسُ لِصَلاَةِ الظُّهْرِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لاَ يَتَأَخَّرَ، قَالَ: أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ، فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ:

فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصَلاَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّاسُ بِصَلاَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ لَهُ: أَلاَ أَعْرِضُ عَلَيْكَ مَا حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ رضي الله عنها عَنْ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: هَاتِ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَدِيثَهَا، فَمَا أَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: أَسَمَّتْ لَكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مَعَ العَبَّاسِ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه».

❁آخر صلاةٍ صلاها رسولُ اللهِ ﷺ.

أخرج البيهقي[1] بإسنادٍ جيد[1] عن أَنَس رضي الله عنه قال: «آخِرُ صَلَاةٍ صَلَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ مَعَ الْقَوْمِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ مُلْتَحِفًا بِهِ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ».

(١) في «دلائل النبوة» (٧/ ١٩٢).

فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَالَ: «**ادْعُ لِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَجَاءَ فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى نَحْرِهِ. فَكَانَتْ آخِرَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا..**»، كما في رواية البيهقي.

وتعقبه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» معترضًا عليه؛ لكونه أخذ هذا مِنْ « مَغَازِي مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ » مُسَلِّمًا.

وقال: إن هَذِهِ آخَرُ صَلَاةٍ صَلَّاهَا مَعَ الْقَوْمِ؛ لكونه صلى في بيته لما اشتد به المرض.

واستدل بما أخرجه البخاري(٢)، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه - وَكَانَ تَبِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَخَدَمَهُ وَصَحِبَهُ - أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلاَةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَارِجٌ إِلَى الصَّلاَةِ، فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ وَأَرْخَى السِّتْرَ فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ».

وأخرج البخاري(٣)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمْ يَخْرُجِ النَّبِيُّ ﷺ

=

(١) كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٤٠)، قال: «وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ وَلَمْ يُخَرِّجُوهُ».

(٢) برقم (٦٨٠) ومسلم (٤١٩).

(٣) برقم (٦٨١) ومسلم (٤١٩).

ثَلاَثًا، فَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَقَدَّمُ، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: بِالحِجَابِ فَرَفَعَهُ، فَلَمَّا وَضَحَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ، مَا نَظَرْنَا مَنْظَرًا كَانَ أَعْجَبَ إِلَيْنَا مِنْ وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ وَضَحَ لَنَا، فَأَوْمَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَتَقَدَّمَ، وَأَرْخَى النَّبِيُّ ﷺ الحِجَابَ، فَلَمْ يُقْدَرْ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ.

فَهَذَا أَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَمْ يُصَلِّ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّاسِ، وَأَنَّهُ كَانَ قَدِ انْقَطَعَ عَنْهُمْ؛ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ ثَلَاثًا.

فَعَلَى هَذَا يَكُونُ آخِرُ صَلَاةٍ صَلَّاهَا مَعَهُمُ الظُّهْرَ، كَمَا جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ الْمُتَقَدِّمِ[1]، وَيَكُونُ ذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لَا يَوْمَ السَّبْتِ، وَلَا يَوْمَ الْأَحَدِ كَمَا حَكَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ «مَغَازِي مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ»، وَهُوَ ضَعِيفٌ؛ لِمَا قَدَّمْنَا مِنْ خُطْبَتِهِ بَعْدَهَا، وَلِأَنَّهُ انْقَطَعَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةَ، وَالسَّبْتِ، وَالْأَحَدِ، وَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ كَوَامِلُ.[2]

تنبيه:

تقديم النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه في الصلاة، يدل على أنه أعلم الصحابة رضي الله عنهم، وأقرؤهم، وذلك لما ثبت أنه ﷺ قال: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ**..

---

(١) والذي أخرجه البخاري (٦٨٧) ومسلم (٤١٨)، عنها رضي الله عنها فيه: «.ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا العَبَّاسُ لِصَلاَةِ الظُّهْرِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ...»، وقد تقدم قريباً.

(٢) «البداية والنهاية» (٥/ ٣٤١).

....»[١].

واستنبط هذا أبو الحسن الأشعري، فقال ابن كثير[٢]: «وَهَذَا مِنْ كَلَامِ الْأَشْعَرِيِّ، مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُكْتَبَ بِمَاءِ الذَّهَبِ، ثُمَّ قَدِ اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ كُلُّهَا فِي الصِّدِّيقِ رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ، ثم زاد وجهاً آخر: وَصَلَاةُ الرَّسُولِ ﷺ خَلْفَهُ فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ.

قلتُ «محمد»:

إذا انضاف إلى ذلك تصحيحه آية المائدة، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ المائدة. وقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ... وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وتصحيحه لهم مفهومها على ملأ[٣].

ثم قيامه في وفاة رسول الله ﷺ، وقوله: «..فَمَنْ كَانَ يَعْبُدَ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ..» الحديث.[٤]

وقيامه في حروب الردة[٥].

---

(١) كما في «صحيح مسلم» (٦٧٣).

(٢) في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٤١).

(٣) كما في مسند أحمد(١٥).

(٤) وتخريج الحديث بذلك عنه، في كتابي «الفوائد النيرة» (١٢٦٤).

(٥) هذا معلوم بالتواتر أنه قاد حروب أهل الردة .

وفي يوم ثقيفة بني ساعدة[١] وإنفاذ بعث أسامة بن زيد رضي الله عنه[٢]، وغير ذلك مما يُرجح عِلمه وفِقهه وحفظه ومن ثَمَ تقدُّمه على غيرِه من الصحابة رضي الله عنهم.

كلُّ هذا، وغيرِه فهمه الصحابة رضي الله عنهم ومنهم آل البيت عنه ﷺ فقدَّمه للصلاة منوِّهـًا إلى اختيارهم إياه لأمر دنياهم، وقد اختاره ﷺ لدينهم، والله الموفق.

❁ كيفية احتضاره ووفاته ﷺ وشدَّة ما ألمَّ به من مَرض

أخرج البخاري[٣]، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ، وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قُلْتُ: إِنَّ ذَاكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى إِلَّا حَاتَّ اللهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ**».

وتقدم أن رجلي النبي ﷺ كانتا تَخُطَّانِ فِي الأَرضِ وهو مستند على بعض الصحابة من الوجعِ.

وعمومـًا:

---

(١) كما سيأتي إن شاء الله في بيان القصة التي كانت.

(٢) هذا معلوم لما أنفذ بعث أسامة بن زيد رضي الله عنهما في «صحيح مسلم» (٢٣٩٢)، أن أَبَا هُرَيْرَةَ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ، عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ضَعْفٌ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ**».

(٣) برقم (٥٦٤٧) ومسلم (٢٥٧١).

قالت عَائِشَةَ رضي الله عنها: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ».[١]

وخصوصاً:

وقالت رضي الله عنها: «مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي، فَلاَ أَكْرَهُ شِدَّةَ المَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا، بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ».[٢]

وعموماً أشد الناس بلاءً في الدنيا: «..**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**..».[٣]

وأخرج الترمذي[٤]، بإسنادٍ حسن عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: «لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَبَطْتُ وَهَبَطَ النَّاسُ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ أَصْمَتَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَيَّ وَيَرْفَعُهُمَا فَأَعْرِفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي».

وأخرج البخاري[٥]، أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالاَ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٥٦٤٦) ومسلم (٢٥٧٠).

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤٤٤٦) ومسلم (٢٤٤٣).

(٣) وهو صحيح أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)وقد بوب البخاري لغيره«بَابٌ: أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ»، وراجع تخريجي له في «الفوائد النيرة» برقم (٦٤).

(٤) برقم (٣٨١٧).

(٥) برقم (٤٣٥) ومسلم (٥٣١).

وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.

وأخرج أبو داود[١]، بإسنادٍ صحيحٍ على شرطِ مسلم، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ: قَالَ: «**لَا يَمُوتُ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ**».

وفي رواية[٢] عنه، قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ يَقُولُ: «**أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِاللهِ**».

❁ وقد ورد في آخرما قاله ﷺ لما حضره الموت:

«**الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**» حَتَّى جَعَلَ يُلَجْلِجُهَا فِي صَدْرِهِ وَمَا يُفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ».[٣]

وفي الباب- باب شدة الألم على النبيِّ ﷺ- :

وأُنبِّه على الوارد عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيُهَوَّنُ عَلَيَّ أَنِّي رَأَيْتُ بَيَاضَ كَفِّ عَائِشَةَ، فِي الْجَنَّةِ**».

إلا أنه لا يثبت سنده،وإن قال الحافظ ابن كثير عنه: «وَإِسْنَادُهُ لَا بَأْسَ بِهِ».[١]

---

(١) برقم (٣١١٣).

(٢) أخرجها ابن الأعرابي في «المعجم» (٨٦٣)، بإسنادٍ صحيح.

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (٧٠٦١) وابن ماجه (١٦٢٥) وله إسنادٌ رجاله ثقات، وفي إسناده اختلاف، وله طرق وشواهد يصح بها.

وأخرج البخاري[٢]، أَنَّ عَائِشَةَ ﵂ كَانَتْ تَقُولُ: «إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «**أَنْ نَعَمْ**»، فتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: « **أَنْ نَعَمْ** » فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ - يَشُكُّ عُمَرُ - فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: « **لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**»، حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ.

وأخرج عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: «تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَكَانَتْ إِحْدَانَا تُعَوِّذُهُ بِدُعَاءٍ إِذَا مَرِضَ، فَذَهَبْتُ أُعَوِّذُهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى، فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**»، وَمَرَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَفِي يَدِهِ جَرِيدَةٌ رَطْبَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ بِهَا حَاجَةً، فَأَخَذْتُهَا، فَمَضَغْتُ رَأْسَهَا، وَنَفَضْتُهَا، فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ، فَاسْتَنَّ بِهَا كَأَحْسَنِ مَا

=

(١) في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٤٣-٣٤٤)، وكيف يكون هذا، في هذا الموطن؟

على كلٍّ حتى لو قيل دليلٌ على شدة حبه لها، فالمحبةُ الشديدة منه ﷺ لعائشة ﵂ ثابته بغير هذا، لكن لم يثبت في سندٍ أنه قال هذا، في هذا المقام، والله أعلم.

(٢) برقم (٤٤٤٩).

كَانَ مُسْتَنًّا، ثُمَّ نَاوَلَنِيهَا، فَسَقَطَتْ يَدُهُ، أَوْ: سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ، فَجَمَعَ اللهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الآخِرَةِ». (١)

وفي رواية مسلم (٢) عنها رضي الله عنها، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَى صَدْرِهَا وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ**».

وأخرج الطيالسي وأبو عوانة (٣)، بإسنادٍ صحيح، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَمُوتُ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ مَرَضُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَرَضَتْ لَهُ بُحَّةٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: « **{مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ}** [النساء: ٦٩] **الْآيَةَ**، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَلِمْنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُخَيَّرُ.

فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرَ »، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى سَقْفِ البَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى**». فَقُلْتُ: إِذًا لاَ يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «**اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى**». (٤)

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٤٥١).

(٢) برقم (٢٤٤٤).

(٣) «مسند الطيالسي» (١٥٥٩) و«المسند» أبي عوانة (١٠٤٢٣).

(٤) صحيح أخرجه البخاري (٤٤٦٣) ومسلم (٢٤٤٤).

❁ مسحها ﵂ وجهه الشريف ﷺ، ودُعاؤها له بالشفاء

أخرج النسائي [١] وغيره بإسنادٍ حسن، عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: أُغْمِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ فِي حِجْرِي فَجَعَلْتُ أَمْسَحُهُ وَأَدْعُو لَهُ بِالشِّفَاءِ فَأَفَاقَ فَقَالَ: «**بَلْ أَسْأَلُ اللهَ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى الْأَسْعَدَ مَعَ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ**».

وفي رواية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت وهو مستند إلى صدرها، وأصغت إليه: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق**» [٢].

❁ ومما فعلته عائشة ﵂:

أخرج ابن إسحاق قَالَ: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عَبَّادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ ﵂ تَقُولُ: «مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَفِي دَوْلَتِي، لَمْ أَظْلِمْ فِيهِ أَحَدًا، فَمِنْ سَفَهِي وَحَدَاثَةِ سِنِّي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُبِضَ وَهُوَ فِي حِجْرِي، ثُمَّ وَضَعْتُ رَأْسَهُ عَلَى وِسَادَةٍ، وَقُمْتُ أَلْتَدِمُ مَعَ النِّسَاءِ، وَأَضْرِبُ وَجْهِي». [٣]

ولكن قولها ﵂: «وَقُمْتُ أَلْتَدِمُ مَعَ النِّسَاءِ، وَأَضْرِبُ وَجْهِي»، فيها نكارة، وإن كان الإسنادُ حسنـًا. فإن ضرب الخدود من أعمال الجاهلية التي نهى عنها رسول الله ﷺ وهذا في غير حديث. قال: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ...**».

---

(١) أخرجه النسائي (٧٠٦٧) وأحمد (٢٤٨٩١)، وغيرهما.

(٢) كما في رواية أبي عوانة (١٠٧٦٧).

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» و«ومسند أحمد» (٢٦٣٤٨).

وكيف تفعل النسوةُ أيضـًا هذا؟

ويَبعدُ أن يخفى هذا على مثل عائشة رضي الله عنها، ففي النفس من ثبوته شيء.

إلا أن يكون الحُزْن أذهب الوعي، والمصيبة ألمَّت بها حتى كانت لا تدري ما تفعل، فأغلق على العقل كما يغلق على عقل الغضبان أو السكران، فإذا كانت الحالة هكذا فلا تثريب عليها، فالقلم مرفوع - والحالة هذه - فقد قال ﷺ:«**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبَرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ، أَوْ يُفِيقَ**» **فلا ذنب ولا لوم عليها** رضي الله عنها.

ثم إنها سَفَّهَت نفسها،والندم توبة كما قال ﷺ.

وقد نسبَت ذلك لحداثة السنِّ بعد، فلا متعلّق لأحدٍ به إن سلم السند، وبالله التوفيق، والله أعلم.

وإلا فقد أخرج أحمد والنسائي في «الكبرى »[(١)]، بإسنادٍ حسن إن شاء الله، عن قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ رضي الله عنه، قَالَ في وصيته: «..وَإِذَا مُتُّ فَلَا تَنُوحُوا عَلَيَّ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يُنَحْ عَلَيْهِ».

فهذا الصحابي جزَم أن النبي ﷺ لم يُنَح عليه.

وله شاهد عن أبي هُرَيرة رضي الله عنه، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يُنَحْ عَلَيْهِ».[(٢)]

---

(١) «مسند أحمد »(٢٠٦١٢)، وسنن النسائي «الكبرى» (١٩٩٠).

(٢) أخرجه البزار في «البحر الزخار» (٨٠١٨)، والحاكم (١/ ٥٣٤)من طريق عقبة بن سنان البصري، قَال: حَدَّثنا عُثمان بن عُثمان الْغَطَفَانِيِّ، قَال: حَدَّثنا مُحَمد بن عَمْرو، عَن أبي سَلَمَة، عَن

ففي هذين النصين- أنه ﷺ لم ينح عليه - وهو اللائق بالصحابة رضي الله عنهم أن يفعلوه، وقد نهى ﷺ عن النياحة، ونبَّه على أنها من أعمال الجاهلية كما بينت ذلك للنساء في كتابي «تبصير النساء» المجلَّد الثاني.

❁ الرائحةُ التي خرجت منه ﷺ

أخرج أحمد[١]، بإسنادٍ صحيح على شرط الشيخين[٢] عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَأْسُهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، قَالَتْ: فَلَمَّا خَرَجَتْ نَفْسُهُ، لَمْ أَجِدْ رِيحًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْهَا».

❁ الثياب التي قبض فيها ﷺ:

أخرج مسلم[٣]، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَأَخْرَجَتْ إِلَيْنَا إِزَارًا غَلِيظًا مِمَّا يُصْنَعُ بِالْيَمَنِ، وَكِسَاءً مِنَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا الْمُلَبَّدَةَ، قَالَ: فَأَقْسَمَتْ بِاللهِ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُبِضَ فِي هَذَيْنِ الثَّوْبَيْنِ».

وسيأتي أنه ﷺ سُجّي ببردة حبرة ثياب بيضاء ﷺ.

تنبيه:

= أبي هُرَيرة رضي الله عنه، وإسناده حسن، ورجاله مُعَدّلون إسناده صحيح لولا أن عقبة بن سنان، قال عنه أبو حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٥٠): «صدوق». والله أعلم.

(١) برقم (٢٤٩٠٥)، وأبي عوانة.

(٢) كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٤٨).

(٣) برقم (٢٠٨٠)، وهو في «صحيح البخاري» (٣١٠٨).

قد أورد الْوَاقِدِيُّ عَنْ شُيُوخِهِ، قَالُوا: وَلَمَّا شُكَّ فِي مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَاتَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يَمُتْ. وَضَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ يَدَهَا بَيْنَ كَتِفَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَتْ: قَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ رُفِعَ الْخَاتَمُ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ. فَكَانَ هَذَا الَّذِي قَدْ عُرِفَ بِهِ مَوْتُهُ.

هَكَذَا رَوَاهُ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ (دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ) مِنْ طَرِيقِ الْوَاقِدِيِّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَشُيُوخُهُ لَمْ يُسَمَّوْا، ثُمَّ هُوَ مُنْقَطِعٌ بِكُلِّ حَالٍ، وَمُخَالِفٌ لِمَا صَحَّ، وَفِيهِ غَرَابَةٌ شَدِيدَةٌ، وَهُوَ رَفْعُ الْخَاتَمِ. فَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ فِي الْوَفَاةِ أَخْبَارًا كَثِيرَةً فِيهَا نَكَارَاتٌ وَغَرَابَةٌ شَدِيدَةٌ، أَضْرَبْنَا عَنْ أَكْثَرِهَا صَفْحًا؛ لِضَعْفِ أَسَانِيدِهَا وَنَكَارَةِ مُتُونِهَا، وَلَا سِيَّمَا مَا يُورِدُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْقُصَّاصِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَغَيْرُهُمْ، فَكَثِيرٌ مِنْهُ مَوْضُوعٌ لَا مَحَالَةَ، وَفِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَالْحَسَنَةِ وَالْمَرْوِيَّةِ فِي الْكُتُبِ الْمَشْهُورَةِ غُنْيَةٌ عَنِ الْأَكَاذِيبِ وَمَا لَا يُعْرَفُ سَنَدُهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.[1]

تنبيهات:

* تقدم تحرير أنه ﷺ توفي، وهو ابن ثلاثة وستين عاماً.

* تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ».[1]

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (٥/ ٣٥١).

* اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ أُسَامَةَ، فَقَالُوا فِيهِ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ قُلْتُمْ فِي أُسَامَةَ وَإِنَّهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ». (٢)

وفي رواية(٣)، «..فَطَعَنَ النَّاسُ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ».

وتقدم ذكر عدد غزواته ﷺ، أنها تِسْعَ عَشْرَةَ غزوة كما قال زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ رضي الله عنه. (٤)

بعد وفاته ﷺ

أخرج البخاري عن أَبي سَلَمَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَخْبَرَتْهُ: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ، حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ الـمَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَتَيَمَّمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُغَشًّى بِثَوْبِ حِبَرَةٍ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَاللهِ لاَ يَجْمَعُ اللهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ أَمَّا الـمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ، فَقَدْ مُتَّهَا».

=

(١) أخرجه «البخاري»(٢٩١٦).

(٢) أخرجه «البخاري» (٤٤٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٦٩). كما في «صحيح البخاري» (٤٤٧١)، وانظر ما بعده.

(٤) كما في «صحيح البخاري» (٤٤٧١)، وانظر ما بعده.

قَالَ الزُّهْرِيُّ[١]: وَحَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَالَ اللهُ:

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} إِلَى قَوْلِهِ {الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٤]، وَقَالَ: وَاللهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلاَهَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا».[٢]

قال الزهري فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الـمُسَيِّبِ[٣]، أَنَّ عُمَرَ قَالَ: «وَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاَهَا فَعَقِرْتُ، حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلاَيَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلاَهَا، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ».

أعظم الأمور المهمة التي كانت بعد وفاته ﷺ

تلخيصُ ذلك:

---

(١) بالإسناد السالف في رواية البخاري.

(٢) أنظر صحيح البخاري (٤٤٥٢/ ٤٤٥٤/ ١٢٤١).

(٣) فيما أخرجه البخاري (٤٤٥٤)معلقاً قال الزهري: فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الـمُسَيِّبِ، أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه..»، فذكره.

أن مِنْ أَعْظَمِهَا وَأَجَلِّهَا وَأَيْمَنِهَا بَرَكَةً عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَمَّا مَاتَ كَانَ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، قَدْ صَلَّى بِالْمُسْلِمِينَ صَلَاةَ الصُّبْحِ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ قَدْ أَفَاقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِفَاقَةً مِنْ غَمْرَةِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْوَجَعِ، وَكَشَفَ سِتْرَ الْحُجْرَةِ، وَنَظَرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَتَبَسَّمَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، حَتَّى هَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَتْرُكُوا مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ؛ لِفَرَحِهِمْ بِهِ، وَحَتَّى أَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ؛ لِيَصِلَ الصَّفَّ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَمْكُثُوا كَمَا هُمْ، وَأَرْخَى السِّتَارَةَ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، مِنَ الصَّلَاةِ دَخَلَ عَلَيْهِ، وَقَالَ لِعَائِشَةَ: مَا أَرَى رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَّا قَدْ أَقْلَعَ عَنْهُ مِنَ الْوَجَعِ، وَهَذَا يَوْمُ بِنْتِ خَارِجَةَ. يَعْنِي إِحْدَى زَوْجَتَيْهِ، وَكَانَتْ سَاكِنَةً بِالسُّنْحِ شَرْقِيِّ الْمَدِينَةِ فَرَكِبَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ وَذَهَبَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ اشْتَدَّ الضُّحَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَقِيلَ: عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

فَلَمَّا مَاتَ وَاخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ: مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. وَمِنْ قَائِلٍ: لَمْ يَمُتْ. فَذَهَبَ سَالِمُ بْنُ عُبَيْدٍ وَرَاءَ الصِّدِّيقِ إِلَى السُّنْحِ، فَأَعْلَمَهُ بِمَوْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ الصِّدِّيقُ مِنْ مَنْزِلِهِ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ، فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَنْزِلَهُ وَكَشَفَ الْغِطَاءَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَبَّلَهُ، وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَخَطَبَهُمْ إِلَى جَانِبِ الْمِنْبَرِ، وَبَيَّنَ لَهُمْ وَفَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا قَدَّمْنَا، وَأَزَاحَ الْجِدَالَ، وَأَزَالَ الْإِشْكَالَ، وَرَجَعَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَيْهِ، وَبَايَعَهُ فِي الْمَسْجِدِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَوَقَعَتْ شُبْهَةٌ لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ، وَقَامَ فِي أَذْهَانِ بَعْضِهِمْ جَوَازُ اسْتِخْلَافِ خَلِيفَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَتَوَسَّطَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ أَمِيرٌ

مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَأَمِيرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، حَتَّى بَيَّنَ لَهُمُ الصِّدِّيقُ أَنَّ الْخِلَافَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي قُرَيْشٍ، فَرَجَعُوا إِلَيْهِ، وَأَجْمَعُوا عَلَيْهِ، كَمَا سَنُبَيِّنُهُ وَنُنَبِّهُ عَلَيْهِ.(١)

قصةُ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ

أخرج البخاري(٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمِنًى، وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا، إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اليَوْمَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ لَكَ فِي فُلاَنٍ؟ يَقُولُ: لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلاَنًا، فَوَاللهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَةً فَتَمَّتْ، فَغَضِبَ عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنْ شَاءَ اللهُ لَقَائِمٌ العَشِيَّةَ فِي النَّاسِ، فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَفْعَلْ، فَإِنَّ المَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ، وَأَنْ لاَ يَعُوهَا، وَأَنْ لاَ يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ المَدِينَةَ، فَإِنَّهَا دَارُ الهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ، فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا، فَيَعِي أَهْلُ العِلْمِ مَقَالَتَكَ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا. فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا وَاللهِ - إِنْ شَاءَ اللهُ - لَأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ فِي عُقْبِ ذِي الحَجَّةِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ عَجَّلْتُ، الرَّوَاحَ حِينَ

---

(١) من كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٥١-٣٥٢).

(٢) برقم (٦٨٣٠).

زَاغَتِ الشَّمْسُ، حَتَّى أَجِدَ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ جَالِسًا إِلَى رُكْنِ الـمِنْبَرِ، فَجَلَسْتُ حَوْلَهُ تَمَسُّ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ مُقْبِلًا، قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ:

لَيَقُولَنَّ العَشِيَّةَ مَقَالَةً لَمْ يَقُلْهَا مُنْذُ اسْتُخْلِفَ، فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ: مَا عَسَيْتَ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَقُلْ قَبْلَهُ، فَجَلَسَ عُمَرُ عَلَى الـمِنْبَرِ، فَلَمَّا سَكَتَ الـمُؤَذِّنُونَ قَامَ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ مَقَالَةً قَدْ قُدِّرَ لِي أَنْ أَقُولَهَا، لاَ أَدْرِي لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِي، فَمَنْ عَقَلَهَا وَوَعَاهَا فَلْيُحَدِّثْ بِهَا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لاَ يَعْقِلَهَا فَلاَ أُحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ: إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، رَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللهُ، وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتِ البَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الحَبَلُ أَوِ الِاعْتِرَافُ، ثُمَّ إِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ فِيمَا نَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللهِ: أَنْ لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، أَوْ إِنَّ كُفْرًا بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ.

أَلاَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أُطْرِيَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»، ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ: وَاللهِ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلاَنًا، فَلاَ يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ، أَلاَ وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ

إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُبَايَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ خَبَرِنَا حِينَ تَوَفَّى اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّ الأَنْصَارَ خَالَفُونَا، وَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَخَالَفَ عَنَّا عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَمَنْ مَعَهُمَا، وَاجْتَمَعَ الـمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْطَلَقْنَا نُرِيدُهُمْ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُمْ، لَقِيَنَا مِنْهُمْ رَجُلاَنِ صَالِحَانِ، فَذَكَرَا مَا تَمَالَأَ عَلَيْهِ القَوْمُ، فَقَالاَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ الـمُهَاجِرِينَ؟

فَقُلْنَا: نُرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالاَ: لاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَقْرَبُوهُمْ، اقْضُوا أَمْرَكُمْ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ مُزَمَّلٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقُلْتُ: مَا لَهُ؟ قَالُوا: يُوعَكُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا قَلِيلًا تَشَهَّدَ خَطِيبُهُمْ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ وَكَتِيبَةُ الإِسْلاَمِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الـمُهَاجِرِينَ رَهْطٌ، وَقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ، فَإِذَا هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَزِلُونَا مِنْ أَصْلِنَا، وَأَنْ يَحْضُنُونَا مِنَ الأَمْرِ. فَلَمَّا سَكَتَ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، وَكُنْتُ قَدْ زَوَّرْتُ مَقَالَةً أَعْجَبَتْنِي أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ، وَكُنْتُ أُدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الحَدِّ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ:

عَلَى رِسْلِكَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ، وَاللهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِي فِي تَزْوِيرِي، إِلَّا قَالَ فِي بَدِيهَتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا حَتَّى سَكَتَ، فَقَالَ: مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا

الأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايِعُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ، وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا، فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا، كَانَ وَاللهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي، لاَ يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تُسَوِّلَ إِلَيَّ نَفْسِي عِنْدَ المَوْتِ شَيْئًا لاَ أَجِدُهُ الآنَ.

فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ، وَعُذَيْقُهَا المُرَجَّبُ، مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ. فَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ، حَتَّى فَرِقْتُ مِنَ الِاخْتِلاَفِ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ، وَبَايَعَهُ المُهَاجِرُونَ ثُمَّ بَايَعَتْهُ الأَنْصَارُ. وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَقُلْتُ: قَتَلَ اللهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ(١)، قَالَ عُمَرُ: وَإِنَّا وَاللهِ مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا مِنْ أَمْرٍ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ، خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا القَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ: أَنْ يُبَايِعُوا رَجُلًا مِنْهُمْ بَعْدَنَا، فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَى مَا لاَ نَرْضَى، وَإِمَّا نُخَالِفُهُمْ فَيَكُونُ فَسَادٌ، فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَلاَ يُتَابَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ».

❁ من أقوال عمر رضي الله عنه يوم السَقِيفَةِ، وفعله:

---

(١) ومعنىٰ قتلتم سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ....إلخ: أي خَذَلتموه، وأعرضتم عنه، لا بمعنىٰ أنهم قتلوه القتل المعروف، فإنه ما قتل رضي الله عنه.

ومعنىٰ قتل الله سعداً: أي إن الله هو الذي قدَّر ما حصل، أي إن كان قُتل فالله هو الذي قتله، هذا هو المعنىٰ.

أخرج أحمد[١]، بإسنادٍ حسن عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَتِ الْأَنْصَارُ: مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ. فَأَتَاهُمْ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَؤُمَّ النَّاسَ؟ فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: نَعُوذُ بِاللهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ».

وأخرج ابن أبي شيبة[٢]، وَجَاءَ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِأَمْرِ نَبِيِّ اللهِ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ؛ أَبُو بَكْرٍ السَّبَّاقُ الْمُبِينُ. ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَبِدَرَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ[٣]، فَضَرَبَ عَلَى يَدِهِ قَبْلَ أَنْ أَضْرِبَ عَلَى يَدِهِ، ثُمَّ ضَرَبْتُ عَلَى يَدِهِ وَتَتَابَعَ النَّاسُ».

وقد تقدم ضمن الحديث الطويل في السَقِيفَةِ.

❁ سببُ قبولِ أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه الإمارة

---

(١) في «المسند» (١٣٣).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣١) برقم (٣٧٠٤٣)، والضياء في «المختارة»(١٧٨) وإسناده جيد من هذا الوجه كما قال الحافظ ابن كثير في «مسند الفاروق» (٢/ ٤١٢).

(٣) وأورد ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٥٤)، إسناداً لابن سعد فَذَكَرَ نَحْوًا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَسَمَّى هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي بَايَعَ الصِّدِّيقَ قَبْلَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: هُوَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ وَالِدُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه.

الصحابةُ ﷺ يهربون من مثل هذه الأمور، لا سيما أعلمهم، وأفقههم، وأكبرهم، وأفضلهم ﷺ، ولكنه ﷺ خشي إن تركها أن تكون فتنة بعدها ردَّة.

أخرج أحمد، من طريق يَزِيد بْن سَعِيدِ بْنِ ذِي عَصْوَانَ الْعَنْسِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّخْمِيِّ، عَنْ رَافِعٍ الطَّائِيِّ رَفِيقِ أَبِي بَكْرٍ فِي غَزْوَةِ السُّلاسِلِ، قَالَ: «وَسَأَلْتُهُ عَمَّا قِيلَ مِنْ بَيْعَتِهِمْ، فَقَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُهُ عَمَّا تَكَلَّمَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ وَمَا كَلَّمَهُمْ بِهِ، وَمَا كَلَّمَ بِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْأَنْصَارَ، وَمَا ذَكَّرَهُمْ بِهِ مِنْ إِمَامَتِي إِيَّاهُمْ بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ: فَبَايَعُونِي لِذَلِكَ، وَقَبِلْتُهَا مِنْهُمْ، وَتَخَوَّفْتُ أَنْ تَكُونَ فِتْنَةٌ، وتَكُونُ بَعْدَهَا رِدَّةٌ». (١)

قال الحافظ ابن كثير:

«وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ ﷺ إِنَّمَا قَبِلَ الْإِمَامَةَ؛ تَخَوُّفًا أَنْ تَقَعَ فِتْنَةٌ أَرْبَى مِنْ تَرْكِهِ قَبُولَهَا ﷺ وَأَرْضَاهُ».

❁ خُطبةُ عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر من الغدِ يوم توفي رسولُ الله ﷺ

«كَانَ هَذَا فِي بَقِيَّةِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ صَبِيحَةَ يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ فَتُمِّمَتِ الْبَيْعَةُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ قَاطِبَةً، وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ تَجْهِيزِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا».

---

(١) أخرجه أحمد (٤٢)، والضياء في «المختارة» (٤٧)، بإسنادٍ جيد، كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٥٥): «إِسْنَادٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ».

أخرج البخاري[١] من طريق الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ الآخِرَةَ حِينَ جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ، وَذَلِكَ الغَدَ مِنْ يَوْمٍ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَتَشَهَّدَ وَأَبُو بَكْرٍ صَامِتٌ لاَ يَتَكَلَّمُ، قَالَ: «كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى يَدْبُرَنَا، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ آخِرَهُمْ، فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ، هَدَى اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثَانِيَ اثْنَيْنِ، فَإِنَّهُ أَوْلَى المُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ، فَقُومُوا فَبَايِعُوهُ»، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ العَامَّةِ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ الزُّهْرِيُّ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، سَمِعْتُ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ لِأَبِي بَكْرٍ ﷺ يَوْمَئِذٍ: «اصْعَدِ المِنْبَرَ»، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى صَعِدَ المِنْبَرَ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَامَّةً».

وقد رواه ابن إسحاق[٢] بسياقٍ أطول، قَالَ:وَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ ابْنُ مَالِكٍ، قَالَ: «لَمَّا بُويِعَ أَبُو بَكْرٍ فِي السَّقِيفَةِ وَكَانَ الْغَدُ، جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَامَ عُمَرُ، فَتَكَلَّمَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ بِالْأَمْسِ مَقَالَةً مَا كَانَتْ مِمَّا وَجَدْتهَا فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَا كَانَتْ عَهْدًا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَكِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرَى أَنَّ

---

(١) برقم (٧٢١٩).

(٢) كما في «السيرة»لابن هشام (٢/ ٦٦١)، وإسناده صحيح، كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٥٦)، وذكر سنده وهو على شرط الشيخين، وله طريق آخر أخرجه معمر في «الجامع» (٢٠٧٠٢)، عن بَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، قَالَ:«خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ..»، فذكره بمثله.

رَسُولَ اللهِ ﷺ سَيُدَبِّرُ أَمْرَنَا، يَقُولُ: يَكُونُ آخِرُنَا وَإِنَّ اللهَ قَدْ أَبْقَى فِيكُمْ كِتَابَهُ الَّذِي بِهِ هَدَى اللهُ رَسُولَهُ ﷺ، فَإِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ هَدَاكُمْ اللهُ لِمَا كَانَ هَدَاهُ لَهُ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ جَمَعَ أَمْرَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ، صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ، فَقُومُوا فَبَايِعُوهُ، فَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ بَيْعَةَ الْعَامَّةِ، بَعْدَ بَيْعَةِ السَّقِيفَةِ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ

بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي، الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللهُ، لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا ضَرَبَهُمْ اللهُ بِالذُّلِّ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمْ اللهُ بِالْبَلَاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمْ اللهُ».

وقولُه: « وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ».

وهذا من هضمه لحق نفسه قاله تواضعًا، وإلا فهو خير الصحابة رضي الله عنهم بلا خلاف.

تنبيه:

اشتهر في هذا الموطن أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما مدحه بعض الصحابة، قام، وقال: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ ولا تؤاخذني

بما يقولون»، وهذا لم أقف عليه يصح عن أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه على شهرته على ألسنة من لم يحرر سنده ، أو من القُصَّاص.

والمعروف عَنْ عَدِيِّ بْنِ أَرْطَأَةَ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا زُكِّيَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ».(١)

وأما سكوت أبي بكرٍ رضي الله عنه عن زجرٍ من مدحه، أو حثي التراب في وجهه؛ لأن المقام ربما احتاج مثل ذلك المدح له،كما احتاج الموقف ما صنعوه مع النبي ﷺ يوم الحديبية مما لم يكن لهم عادة معه عليه الصلاة والسلام، فلم يكونوا على الدوام إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ،والله أعلم.

وهذا سياقٌ آخر:

أخرجه الحاكم والبيهقي(٢) بإسنادٍ ثابت، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ:

قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فِي دَارِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. قَالَ: فَقَامَ خَطِيبُ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَخَلِيفَتُهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَنَحْنُ كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ أَنْصَارُ خَلِيفَتِهِ كَمَا كُنَّا أَنْصَارَهُ.

---

(١) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٧٦١) وابن أبي شيبة (٧/ ٢٤٢)، برقم (٣٥٧٠٣) بسندٍ حسن إن شاء الله، إلى عَدِيِّ بْنِ أَرْطَأَةَ التابعي.

وقد ورد عن عمر مولى غفرة بنحوه، أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١٤).

(٢) وقد خرجته في كتابي «التوضيحات الجلية».

قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: صَدَقَ قَائِلُكُمْ. أَمَا لَوْ قُلْتُمْ غَيْرَ هَذَا لَمْ نُتَابِعْكُمْ. وَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ وَقَالَ: هَذَا صَاحِبُكُمْ فَبَايِعُوهُ. فَبَايَعَهُ عُمَرُ، وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ. قَالَ: فَصَعِدَ أَبُو بَكْرٍ الْمِنْبَرَ، فَنَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَلَمْ يَرَ الزُّبَيْرَ.

قَالَ: فَدَعَا بِالزُّبَيْرِ فَجَاءَ، فَقَالَ: قُلْتُ: ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحَوَارِيُّهُ، أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ؟! فَقَالَ: لَا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ. فَقَامَ فَبَايَعَهُ ثُمَّ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَلَمْ يَرَ عَلِيًّا فَدَعَا بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَجَاءَ. فَقَالَ: قُلْتُ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَتَنُهُ عَلَى ابْنَتِهِ أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ؟! قَالَ: لَا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ. فَبَايَعَهُ. هَذَا أَوْ مَعْنَاهُ.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ يَقُولُ: جَاءَنِي مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ، فَسَأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَكَتَبْتُهُ لَهُ فِي رُقْعَةٍ، وَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ يَسْوَى بَدَنَةً، فَقُلْتُ: يَسْوَى بَدَنَةً؟! بَلْ يَسْوَى بَدْرَةً».[1]

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٥٧): «وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ مَحْفُوظٌ...».

وَفِيهِ فَائِدَةٌ جَلِيلَةٌ: «وَهِيَ مُبَايَعَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه إِمَّا فِي أَوَّلِ يَوْمٍ أَوْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنَ الْوَفَاةِ. وَهَذَا حَقٌّ فَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه لَمْ يُفَارِقِ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَلَمْ يَنْقَطِعْ فِي صَلَاةٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ خَلْفَهُ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ وَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى ذِي الْقَصَّةِ، لَمَّا خَرَجَ الصِّدِّيقُ شَاهِرًا سَيْفَهُ يُرِيدُ قِتَالَ أَهْلِ الرِّدَّةِ كَمَا سَنُبَيِّنُهُ قَرِيبًا، وَلَكِنْ لَمَّا حَصَلَ مِنْ فَاطِمَةَ رضي الله عنها عَتْبٌ عَلَى الصِّدِّيقِ بِسَبَبِ مَا كَانَتْ مُتَوَهِّمَةً مِنْ أَنَّهَا تَسْتَحِقُّ مِيرَاثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ تَعْلَمْ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»، فَحَجَبَهَا وَغَيْرَهَا مِنْ أَزْوَاجِهِ وَعَمَّهُ

تنبيه:

وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا ذَكَرْنَاهُ ظَهَرَ لَهُ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ ﷺ - الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ وَالْأَنْصَارِ - عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ، وَظَهَرَ بُرْهَانُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ».(١) وَظَهَرَ لَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَنُصَّ عَلَى الْخِلَافَةِ عَيْنًا لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، لَا لِأَبِي بَكْرٍ كَمَا قَدْ زَعَمَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَا لَعَلِّي

=

عَنِ الْمِيرَاثِ بِهَذَا النَّصِّ الصَّرِيحِ، كَمَا سَنُبَيِّنُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ، فَسَأَلَتْهُ أَنْ يَنْظُرَ عَلِيٌّ زَوْجُهَا فِي صَدَقَةِ الْأَرْضِ الَّتِي بِخَيْبَرَ وَفَدَكَ، فَلَمْ يُجِبْهَا إِلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ فِي جَمِيعِ مَا كَانَ يَتَوَلَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ الرَّاشِدُ التَّابِعُ لِلْحَقِّ ﷺ فَحَصَلَ لَهَا - وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنَ الْبَشَرِ لَيْسَتْ بِوَاجِبَةِ الْعِصْمَةِ - عَتْبٌ وَتَغَضُّبٌ، وَلَمْ تُكَلِّمِ الصِّدِّيقَ حَتَّى مَاتَتْ ﷺ، وَاحْتَاجَ عَلِيٌّ أَنْ يُرَاعِيَ خَاطِرَهَا بَعْضَ الشَّيْءِ، فَلَمَّا مَاتَتْ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَفَاةِ أَبِيهَا ﷺ رَأَى عَلِيٌّ ﷺ أَنْ يُجَدِّدَ الْبَيْعَةَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، ﷺ كَمَا سَنَذْكُرُهُ مِنْ «الصَّحِيحَيْنِ» وَغَيْرِهِمَا فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، مَعَ مَا تَقَدَّمَ لَهُ مِنَ الْبَيْعَةِ قَبْلَ دَفْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَيَزِيدُ ذَلِكَ صِحَّةً قَوْلُ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ فِي «مَغَازِيهِ»، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ أَبَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ كَانَ مَعَ عُمَرَ، وَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ كَسَرَ سَيْفَ الزُّبَيْرِ ثُمَّ خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ، وَاعْتَذَرَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ: وَاللهِ مَا كُنْتُ حَرِيصًا عَلَى الْإِمَارَةِ يَوْمًا وَلَا لَيْلَةً، وَلَا سَأَلْتُهَا اللهَ فِي سِرٍّ وَلَا عَلَانِيَةٍ. فَقَبِلَ الْمُهَاجِرُونَ مَقَالَتَهُ، وَقَالَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ: مَا غَضِبْنَا إِلَّا لِأَنَّا أُخِّرْنَا عَنِ الْمُشُورَةِ، وَإِنَّا نَرَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا، إِنَّهُ لَصَاحِبُ الْغَارِ وَإِنَّا لَنَعْرِفُ شَرَفَهُ وَخَبَرَهُ، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ وَهُوَ حَيٌّ. إِسْنَادٌ جَيِّدٌ، وَاللهِ الْحَمْدُ».

(١) كما في «صحيح البخاري» (٧٢١٧)، ومسلم (٢٣٨٧).

كَمَا يَقُولُهُ طَائِفَةُ الرَّافِضَةِ، وَلَكِنْ أَشَارَ إِشَارَةً قَوِيَّةً يَفْهَمُهَا كُلُّ ذِي لُبٍّ وَعَقْلٍ إِلَى الصِّدِّيقِ، كَمَا قَدَّمْنَا وَكَمَا سَنَذْكُرُهُ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمَّا طُعِنَ قِيلَ لَهُ: «أَلَا تَسْتَخْلِفُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي - يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ - وَإِنْ أَتْرُكْ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي. يَعْنِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَعَرَفْتُ حِينَ ذَكَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ».(١)

بيانُ أن الرسولَ اللهﷺ لم يُوصِ لأحدٍ بالخلافة

أخرج البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ ذَلِكَ الْكِتَابَ. وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَانَ طَلَبَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ كِتَابًا لَنْ يَضِلُّوا بَعْدَهُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَالِاخْتِلَافَ عِنْدَهُ قَالَ: «**قُومُوا عَنِّي فَمَا أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**»(٢)، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: «**يَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**».

---

(١) كما في «صحيح البخاري»(٧٢١٨) ومسلم (١٨٢٣).

تنبيه: لما أَثْنَوْا عَلَيْهِ، رضي الله عنه قَالَ: «رَاغِبٌ وَرَاهِبٌ، وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافاً، لا لي وَلا عَلَيَّ، لا أَتَحَمَّلُهَا حَياً وَمَيتاً».

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٦٦) ومسلم وقد تقدم.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»، عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: قِيلَ لِعَائِشَةَ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَوْصَى إِلَى عَلِيٍّ. فَقَالَتْ: بِمَ أَوْصَى إِلَى عَلِيٍّ؟ ! لَقَدْ دَعَا بِطَسْتٍ لِيَبُولَ فِيهَا وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي، فَانْخَنَثَ، فَمَاتَ وَمَا شَعَرْتُ؛ فِيمَ يَقُولُ هَؤُلَاءِ إِنَّهُ أَوْصَى إِلَى عَلِيٍّ؟!.(١)

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ قَالَ: «سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى: هَلْ أَوْصَى رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: فَلِمَ أُمِرْنَا بِالْوَصِيَّةِ؟ قَالَ: أَوْصَى بِكِتَابِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ».(٢)

قَالَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ: وَقَالَ هُزَيْلُ بْنُ شُرَحْبِيلَ: أَبُو بَكْرٍ يَتَأَمَّرُ عَلَى وَصِيِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟!

وَدَّ أَبُو بَكْرٍ أَنَّهُ وَجَدَ عَهْدًا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَخَزَمَ أَنْفَهُ بِخِزَامَةٍ.(٣)

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٤) أَيْضًا، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَطَبَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، فَقَالَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِنْدَنَا شَيْئًا نَقْرَؤُهُ لَيْسَ كِتَابَ اللهِ وَهَذِهِ الصَّحِيفَةَ - لِصَحِيفَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي سَيْفِهِ فِيهَا أَسْنَانُ الْإِبِلِ وَأَشْيَاءُ مِنَ الْجِرَاحَاتِ - فَقَدْ كَذَبَ. وَفِيهَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، مَنْ أَحْدَثَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٥٩) ومسلم (١٦٣٦).

(٢) إلى هنا أخرجه البخاري (٢٧٤٠) ومسلم (١٦٣٤) مختصراً.

(٣) أخرج هذه الزيادة الدارمي (٣٤٧٩)، عقب الحديث السالف بإسنادٍ صحيح.

(٤) وهو صحيح أخرجه البخاري (١٨٧٠) ومسلم (١٣٧٠).

فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، وَمَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنَّ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا».

قال الحافظ ابن كثير [1]:

«وَهَذَا الْحَدِيثُ الثَّابِتُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَغَيْرِهِمَا، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، يَرُدُّ عَلَى فِرْقَةِ الرَّافِضَةِ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَوْصَى إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا لَمَا رَدَّ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَطْوَعَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ مِنْ أَنْ يَفْتَاتُوا عَلَيْهِ، فَيُقَدِّمُوا غَيْرَ مَنْ قَدَّمَهُ، وَيُؤَخِّرُوا مَنْ قَدَّمَهُ بِنَصِّهِ، حَاشَا وَكَلَّا وَلَمَّا، وَمَنْ ظَنَّ بِالصَّحَابَةِ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فَقَدْ نَسَبَهُمْ بِأَجْمَعِهِمْ إِلَى الْفُجُورِ وَالتَّوَاطِئِ عَلَى مُعَانَدَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَمُضَادَّتِهِمْ فِي حُكْمِهِ وَنَصِّهِ، وَمَنْ وَصَلَ مِنَ النَّاسِ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ، وَكَفَرَ بِإِجْمَاعِ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ، وَكَانَ إِرَاقَةُ دَمِهِ أَحَلَّ مِنْ إِرَاقَةِ الْمُدَامِ. ثُمَّ لَوْ كَانَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، نَصٌّ فَلِمَ لَا كَانَ يَحْتَجُّ بِهِ عَلَى الصَّحَابَةِ عَلَى إِثْبَاتِ إِمَارَتِهِ عَلَيْهِمْ وَإِمَامَتِهِ لَهُمْ؟ فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَنْفِيذِ مَا مَعَهُ مِنَ النَّصِّ فَهُوَ عَاجِزٌ، وَالْعَاجِزُ لَا يَصْلُحُ لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ يَقْدِرُ وَلَمْ يَفْعَلْهُ فَهُوَ خَائِنٌ، وَالْخَائِنُ الْفَاسِقُ مَسْلُوبٌ مَعْزُولٌ عَنِ الْإِمَارَةِ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ بِوُجُودِ النَّصِّ فَهُوَ جَاهِلٌ، ثُمَّ وَقَدْ

(١) في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٦٠).

عَرَفَهُ وَعَلِمَهُ مَنْ بَعْدَهُ فَهَذَا مُحَالٌ وَافْتِرَاءٌ وَجَهْلٌ وَضَلَالٌ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ هَذَا فِي أَذْهَانِ الْجَهَلَةِ الطَّغَامِ وَالْمُغْتَرِّينَ مِنَ الْأَنَامِ، يُزَيِّنُهُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ، بَلْ بِمُجَرَّدِ التَّحَكُّمِ وَالْهَذَيَانِ وَالْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ عِيَاذًا بِاللهِ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ التَّخْلِيطِ، وَالْخِذْلَانِ، وَالتَّخْبِيطِ، وَالْكُفْرَانِ، وَمَلَاذًا بِاللهِ بِالتَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ، وَالْوَفَاةِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، وَالْمُوَافَاةِ عَلَى الثَّبَاتِ وَالْإِيقَانِ وَتَثْقِيلِ الْمِيزَانِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النِّيرَانِ وَالْفَوْزِ بِالْجِنَانِ، إِنَّهُ كَرِيمٌ مَنَّانٌ رَحِيمٌ رَحْمَنٌ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الثَّابِتِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَلِيٍّ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ رَدٌّ عَلَى مُتَقَوِّلَةٍ كَثِيرٍ مِنَ الطَّرْقِيَّةِ، وَالْقُصَّاصِ الْجَهَلَةِ فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْصَى إِلَى عَلِيٍّ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ يَسُوقُونَهَا مُطَوَّلَةً: يَا عَلِيُّ افْعَلْ كَذَا، يَا عَلِيُّ لَا تَفْعَلْ كَذَا، يَا عَلِيُّ، مَنْ فَعَلَ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا. بِأَلْفَاظٍ رَكِيكَةٍ، وَمَعَانِيَ أَكْثَرُهَا سَخِيفَةٌ، وَكَثِيرٌ مِنْهَا ضَعِيفَةٌ لَا تُسَاوِي تَسْوِيدَ الصَّحِيفَةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ».

❁ بيانُ اليوم الذي تُوفي فيه رسولُ الله ﷺ والوقت:

أخرج البخاري ومسلم [1]، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيّ رضي الله عنه، وهو يحكي قال: «..حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلاَةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَارِجٌ إِلَى الصَّلاَةِ، فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ وَأَرْخَى السِّتْرَ فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ».

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٦٨٠) ومسلم (٤١٩).

وعن أنس رضي الله عنه قال: « آخِرُ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الاَثْنَيْنِ، كَشَفَ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، فَأَرَادَ النَّاسُ أَنْ يَتَحَرَّكُوا، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ: أَنِ امْكُثُوا، وَأَلْقَى السِّجْفَ، وَتُوُفِّيَ فِي آخِرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ»(١).

قال ابن كثير: «وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَفَاةَ وَقَعَتْ بَعْدَ الزَّوَالِ. وَاللهُ أَعْلَمُ».(٢)

وأما عمره يوم وفاته، فقد تكلمنا عليه قبل عند الكلام عن المدة التي قضاها في مكة وفي المدينة ﷺ.

❁ صِفَةُ غَسْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

قد تقدم أَنَّهُمْ رضي الله عنهم اشْتَغَلُوا بِبَيْعَةِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه بَقِيَّةَ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ وَبَعْضَ يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ، فَلَمَّا تَمَهَّدَتْ وَتَوَطَّدَتْ وَتَمَّتْ، شَرَعُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي تَجْهِيزِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مُقْتَدِينَ فِي كُلِّ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رضي الله عنه.

من أمر تغسيله وتكفينه ودفنه ﷺ، ولذا تأخر دفنه ﷺ من يوم الإثنين إلى ليلة الأربعاء بسبب اشتغال الصحابة بالأمور العظام، كالبيعة التي خافوا الفتن بتأخيرها.

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٣٥٤٨)، وهو عند النسائي (١٨٣١) وفي الكبرى (١٩٧٠، ٧٠٧٠)، (٧٠٧٢)، والحميدي (١٢٢٢) وأحمد (١٢٠٧٢)، واللفظ لأبي يعلى.

(٢) في «البداية والنهاية»(٥/ ٣٦٣)، وأصله في الصحيح.

وقد أخرج أحمد[١] من طريق ابْن إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَدُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ».

وإسناده يُحسن[٢].

وأخرج ابن حبان[٣]، بإسنادٍ حسن، عن ابن عباس رضي الله عنه مطولاً، وفيه: «...ثمَّ دفن ﷺ لَيْلَة الْأَرْبَعَاء حِين زاغت الشَّمْس..».

وأخرج ابن المنذر[٤] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «مَا عَلِمْنَا بِدَفْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتَ الْمَسَاحِي مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ».

والخلاف هل دفن ﷺ يوم الثلاثاء أو ليلة الأربعاء؟

مع اتفاقهم على التأخير بدفنه ﷺ وإثبات أنه دُفن ليلة الأربعاء إنما لعِدة مراسيل ذكرتها في كتابي «جامع أحكام الميت»[٥].

❁ **صفة تغسيله ﷺ :**

---

(١) برقم (٢٤٧٩٠).

(٢) رجاله معدلون ليس فيه إلا أن ابن إسحاق مدلّس، وقد عنعن، ولكن ماذا عساه أن يدلّس إذا روىٰ عن الصحابية بواسطة اثنين، وقد صرح جمهور العلماء أنه قد تأخر دفنه حتى يوم الأربعاء.

(٣) في «الثقات» (٢/ ١٥٨-١٥٩).

(٤) في «الأوسط» (٥/ ٤٥٩)، (٣٢١٣).

(٥) (١/ ١٣٣، وما بعدها).

فلم يُجَرَّد من ثيابه ﷺ كما كانوا يجرِّدون الموتى:

فأخرج ابن إسحاق وأحمد، بإسنادٍ حسن عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: «لَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: مَا نَدْرِي أَنُجَرِّدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا، أَمْ نُغَسِّلُهُ، وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَذَقَنُهُ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لَا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ، أَنْ غَسِّلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ. فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَغَسَّلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ، يَصُبُّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ فَيُدَلِّكُونَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ»، فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: «لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَّلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَّا نِسَاؤُهُ»[(١)].

وقد أخرج البزار والبيهقي[(٢)]، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «لَمَّا غَسَّلْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَهَبْتُ لِأَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّتِ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، فَقُلْتُ: كَانَ طَيِّبًا حَيًّا وَمَيِّتًا».

❁ صفةُ كَفَنِهِ ﷺ

أخرج البخاري[(٣)]، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما قال ابن كثير في «تاريخه» (٥/ ٣٧١) وأحمد (٢٦٣٠٦).

(٢) «مسند البزار (٥١٩) و«السنن الكبرى» للبيهقي (٣/ ٥٤٥).

وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه. وَقَدْ رَوَاهُ بَعْضُ أَصْحَابِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه، لَمَّا غَسَّلَ النَّبِيَّ ﷺ، وَلَمْ يَقُلْ: عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه.

(٣) برقم (١٢٧٣).

أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ.

وفي لفظ مسلم[١]، «...أَمَّا الْحُلَّةُ، فَإِنَّمَا شُبِّهَ عَلَى النَّاسِ فِيهَا، أَنَّهَا اشْتُرِيَتْ لَهُ لِيُكَفَّنَ فِيهَا، فَتُرِكَتِ الْحُلَّةُ، وَكُفِّنَ فِي ثَلاَثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ، فَأَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: لَأَحْبِسَنَّهَا حَتَّى أُكَفِّنَ فِيهَا نَفْسِي، ثُمَّ قَالَ: لَوْ رَضِيَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ لَكَفَّنَهُ فِيهَا، فَبَاعَهَا وَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهَا».

وأخرج أحمد[٢]، بإسنادٍ صحيح، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «أُدْرِجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ثَوْبٍ حِبَرَةٍ، ثُمَّ أُخِذَ عَنْهُ، قَالَ الْقَاسِمُ: إِنَّ بَقَايَا ذَلِكَ الثَّوْبِ لَعِنْدَنَا بَعْدُ».

❁ الصلاةُ عليه ﷺ

أخرج أحمد[٣]، بإسنادٍ صحيح، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ يَعْنِي الْجَوْنِيَّ، عَنْ أَبِي عَسِيبٍ، أَوْ أَبِي عَسِيمٍ، قَالَ بَهْزٌ: «إِنَّهُ شَهِدَ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالُوا: كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْهِ؟ قَالَ: «ادْخُلُوا أَرْسَالًا أَرْسَالًا»، قَالَ: فَكَانُوا يَدْخُلُونَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ، قَالَ: فَلَمَّا وُضِعَ فِي لَحْدِهِ ﷺ، قَالَ الْمُغِيرَةُ: قَدْ بَقِيَ مِنْ رِجْلَيْهِ شَيْءٌ لَمْ يُصْلِحُوهُ، قَالُوا: فَادْخُلْ فَأَصْلِحْهُ، فَدَخَلَ، وَأَدْخَلَ يَدَهُ فَمَسَّ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: أَهِيلُوا عَلَيَّ التُّرَابَ، فَأَهَالُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ،

---

(١) برقم (٩٤١).

(٢) برقم (٢٥٢٨٠)، وأخرجه أبو داود (٣١٤٩، مختصراً).

(٣) برقم (٢٠٧٦٦).

حَتَّى بَلَغَ أَنْصَافَ سَاقَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَكَانَ يَقُولُ أَنَا أَحْدَثُكُمْ عَهْدًا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ».

❁ دَفنُهُ ﷺ

الْأَنْبِيَاءَ يُدْفَنُونَ حَيْثُ يموتون، هذا صريح قوله ﷺ.

قد ورد في الباب حديث: «**اللَّحْدُ لَنَا، وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا**»،

ولكن في سنده نظر، طرقه ضعيفة حرَّرتها في كتابي «جامع أحكام الميت»،

ولو صحّ لما اختلف الصحابة ولا استخَاروا في أيهما: الشق أم اللحد؟

ففي سنن ابن ماجة بإسنادٍ حسن، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَلْحَدُ، وَآخَرُ يَضْرَحُ، فَقَالُوا: نَسْتَخِيرُ رَبَّنَا، وَنَبْعَثُ إِلَيْهِمَا، فَأَيُّهُمَا سُبِقَ تَرَكْنَاهُ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِمَا، فَسَبَقَ صَاحِبُ اللَّحْدِ، فَلَحَدُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ».(١)

❁ وضعه ﷺ في قبره

أخرج مسلم(٢)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «جُعِلَ فِي قَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَطِيفَةٌ حَمْرَاءُ».

وهذا خاص برسول الله ﷺ كما قال بعض أهل العلم.

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٤١٥) وابن ماجة (١٥٥٧).

(٢) برقم (٩٦٧).

وأخرج أبو داود[١] بإسنادٍ قوَّاه ابن كثير رضي الله عنه، عَنْ عَامِرٍ الشعبي رحمه الله، قَالَ: «غَسَّلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلِيٌّ، وَالْفَضْلُ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَهُمْ أَدْخَلُوهُ قَبْرَهُ»، قَالَ: حَدَّثَنَا مُرَحَّبٌ أَوْ أَبُو مُرَحَّبٍ، أَنَّهُمْ أَدْخَلُوا مَعَهُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، فَلَمَّا فَرَغَ عَلِيٌّ قَالَ: «إِنَّمَا يَلِي الرَّجُلَ أَهْلُهُ».

قال ابن سعد :

«وَالثَّبْتُ عِنْدَنَا وَعِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا مَا حَدَّثَنِي مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: هُمْ أَرْبَعَةٌ الَّذِينَ وَلُوا غُسْلَهُ وَإِجْنَانَهُ. صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلامُهُ وَرَحْمَتُهُ: الْعَبَّاسُ وَعَلِيٌّ وَالْفَضْلُ وَشُقْرَانُ. رَحِمَهُمُ اللهُ وَرَضِيَ عَنْهُمْ».[٢]

❁ آخر الناس به عهداً

أخرج ابن إسحاق وأحمد[٣] بإسنادٍ حسن، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: «اعْتَمَرْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فِي زَمَانِ عُمَرَ، أَوْ زَمَانِ عُثْمَانَ، فَنَزَلَ عَلَى أُخْتِهِ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ عُمْرَتِهِ رَجَعَ، فَسُكِبَ لَهُ غُسْلٌ فَاغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ دَخَلَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا حَسَنٍ، جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ أَمْرٍ نُحِبُّ أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ، قَالَ: أَظُنُّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يُحَدِّثُكُمْ أَنَّهُ كَانَ

---

(١) برقم (٣٢٠٩)، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٨٢): «وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ»، يعني إلى الشعبي، ولعله سمعه من بعض الصحابة والله أعلم.

(٢) «الطبقات الكبرى» (٦/ ١٢٧).

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة »لابن هشام (٥/ ٦٠٣، وما بعدها) وأحمد برقم (٧٨٧)، والضياء في «المختارة» (٥٦٥)، وغيرهم.

أَحْدَثَ النَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالُوا: أَجَلْ، عَنْ ذَلِكَ جِئْنَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: « أَحْدَثُ النَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ قُثَمُ بْنُ الْعَبَّاسِ».

❁ مكانُ دَفنِه ﷺ:

الْأَنْبِيَاءَ لهم خاصيَّة في هذا ، فإنهم يُدْفَنُونَ حَيْثُ يموتون.

وقد قال ابن كثير:

قَدْ عُلِمَ بِالتَّوَاتُرِ أَنَّهُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، دُفِنَ فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ الَّتِي كَانَتْ تَخْتَصُّ بِهَا شَرْقِيَّ مَسْجِدِهِ فِي الزَّاوِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْقِبْلِيَّةِ مِنَ الْحُجْرَةِ، ثُمَّ دُفِنَ بَعْدَهُ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، رضي الله عنهما.[1]

وَقَدْ أخرج البخاري[2]، عَنْ سُفْيَانَ التَّمَّارِ، أَنَّهُ حَدَّثَ: أَنَّهُ رَأَى قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ مُسَنَّمًا.

وأخرج[3]، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قال: «لَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِمُ الحَائِطُ فِي زَمَانِ الوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ، أَخَذُوا فِي بِنَائِهِ فَبَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ، فَفَزِعُوا وَظَنُّوا أَنَّهَا قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ فَمَا وَجَدُوا أَحَدًا يَعْلَمُ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ لَهُمْ عُرْوَةُ: لاَ وَاللهِ مَا هِيَ قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ، مَا هِيَ إِلَّا قَدَمُ عُمَرَ رضي الله عنه».

قال ابن كثير :

---

(١) قاله ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٨٦).

(٢) عقب رقم (١٣٩٠).

(٣) عقب السالف.

«كَانَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ حِينَ وَلِيَ الْإِمَارَةَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ، قَدْ شَرَعَ فِي بِنَاءِ جَامِعِ دِمَشْقَ، وَكَتَبَ إِلَى نَائِبِهِ بِالْمَدِينَةِ، ابْنِ عَمِّهِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، أَنْ يُوَسِّعَ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فَوَسَّعَهُ حَتَّى مِنْ نَاحِيَةِ الشَّرْقِ، فَدَخَلَتِ الْحُجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ فِيهِ». (١)

❁ ما أصابَ المسلمين من المصيبةِ العظيمة بوفاتِه ﷺ

أخرج البخاري (٢) أَنَّ عَائِشَةَ، رضي الله عنها، كَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ - أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، يَشُكُّ عُمَرُ - فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ.

وأي حزن يصيب من سمع بهذا عن صاحب النور المبين للبشرية جمعاء، فضلًا عن إصابة من يراه هكذا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام بأبي هو وأمي ﷺ.

وقد ورد أخرجه ابن ماجة (٣) ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُّمَا أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ، أَوْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ، أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنْ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي، فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي**».

---

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٣٨٧).

(٢) برقم (٦٥١٠).

(٣) برقم (١٥٩٩) والبيهقي في «الشعب» عقب (٩٦٧٨).

ولا يصح سنده كما تقدم .

لكن صحيح بل شك أن مصيبة فقده ﷺ هي أم المصائب وأعظمها وأكبرها على هذه الأمة عمومًا، فكيف يكون وقعها على من رآه بعيني رأسه وسمع صوته وخالطت حكم قوله مع صوته بشاشة قلبه، وأحبه الحب الصادق؟!

وإذا كان بكاؤهم حزنًا بعد موته بزمن كما يأتي في فعل أم أيمن مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فما بالك وقت موته ﷺ ؟

اللهم اجمعنا به وبأصحابه رضي الله عنهم في الجنة بلا مناقشة حساب ولا سابقة عذاب.

وأخرج البخاري(١)، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: « لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: وَا كَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «**لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ** »، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ، مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ ، يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ، فَلَمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرَابَ ».

وأخرج أحمد(٢) بسندٍ صحيح، عن أَنَس رضي الله عنه قال: « فَلَمَّا دَفَنَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَرَجَعْنَا قَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ دَفَنْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فِي التُّرَابِ وَرَجَعْتُمْ».

---

(١) برقم (٤٤٦٢).

(٢) برقم (١٣١١٧).

وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجة مُخْتَصَرًا مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ بِهِ. وَعِنْدَهُ: قَالَ حَمَّادٌ: «فَكَانَ ثَابِتٌ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَكَى حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ».(١)

وَهَذَا لَا يُعَدُّ نِيَاحَةً بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ ذِكْرِ فَضَائِلِهِ الْحَقِّ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ النِّيَاحَةِ.(٢)

قلت«محمد»: مما ورد من أحاديث النهي عن النياحة:

قولِه ﷺ: «**المَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ**».(٣)

وقد عَدّ رسول الله ﷺ النياحةَ من عاداتِ الجاهلية.(٤)

والنياحة: هي رفع الصوت بالبكاءِ على الميتِ مع التكلمِ أو الفعل بما يدل على الجزع.

وقد أخرج أحمد والترمذي وابن ماجة من طريق جَعْفَر بْن سُلَيْمَانَ الضُّبَعِيِّ، عن ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، أَضَاءَ مِنَ الْمَدِينَةِ كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَظْلَمَ مِنَ الْمَدِينَةِ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا فَرَغْنَا مِنْ دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا».

وهو حديث يُحسن إن شاء الله(١)، وقد تحمل الظلمة هنا على المعنوية.

---

(١) في «سننه» (١٦٣٠) وهو صحيح .

(٢) من كلام ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٢) وهو في «صحيح مسلم» (٩٢٧) عن عمر.

(٤) كما في «صحيح البخاري » (٣٨٥٠)، وغيره.

تنبيه: لكن الغريب ما رواه الطيالسي عن جَعْفَر الضُّبَعِيِّ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَظْلَمَتِ الْمَدِينَةُ حَتَّى لَمْ يَنْظُرْ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، وَكَانَ أَحَدُنَا يَبْسُطُ يَدَهُ فَلَا يَرَاهَا أَوْ لَا يُبْصِرُهَا، وَمَا فَرَغْنَا مِنْ دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا».

أخرجه البيهقي[٢] من طريق الطيالسي ،واستغربه ابن كثير وقال[٣]:

=

(١) أخرجه أحمد (١٣٣١٢) والترمذي (٣٦١٨) وابن ماجة (١٦٣١)، وإسناده وإن كان على رسم مسلم، إلا أن في رواية جعفر عن ثابت ضعف ،وقد قال البزار في «البحر الزخار» عقب (٦٨٧١): «وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ، عَنْ ثابتٍ إلاَّ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ». وقد استُنكر على مسلم بعض الروايات له عنه ، فراجع ترجمته من «الميزان» للذهبي.

وقد ثبَّته ابن كثير رحمه الله، فقال في «البداية والنهاية » (٥/ ٣٨٨): « وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحَيْنِ، وَمَحْفُوظٌ مِنْ حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَقَدْ أَخْرَجَ لَهُ الْجَمَاعَةُ، رَوَاهُ النَّاسُ عَنْهُ كَذَلِكَ».اهـ

قلت« محمد» في قوله على شرط الصحيحين تسامح، وإنما يمكن أن يقال: على شرط مسلم فلم يروي البخاري لجعفر أصلاً، فكيف يُقال على شرطه؟ لولا أن ابن عدي أورد الحديث في مناكير جعفر ابن سليمان (٢/ ٣٨٨) من الكامل في «الضعفاء »، وقد عُلم أن ابن عدي إنما يورد في ترجمة الراوي الأحاديث المستنكرة عليه، لذا قدَّمت المشيئة في الحكم عليه بالحسن، ولمضعِّفه وجهة نظر والله أعلم .

(٢)في «الدلائل» (٧/ ٢٦٥).

(٣)في«تاريخه » (٥/ ٣٨٨).

«قَدْ رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ غَيْرِهِ مِنَ الْحُفَّاظِ عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيِّ كَمَا قَدَّمْنَا وَهُوَ الْمَحْفُوظُ وَاللهُ أَعْلَمُ».

تنبيه:

النور في حديث أنس رضي الله عنه، إنما هو إضاءة معنوية، كناية عن استنارة نور الإسلام، فإن عائشة رضي الله عنها تقول: «كُنْتُ أَنَامُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرِجْلاَيَ، فِي قِبْلَتِهِ فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي، فَقَبَضْتُ رِجْلَيَّ، فَإِذَا قَامَ بَسَطْتُهُمَا، قَالَتْ: وَالبُيُوتُ يَوْمَئِذٍ لَيْسَ فِيهَا مَصَابِيحُ» (١). تعني أن الجو مُظلمٌ، وهو يجاورها يصلي، فلو كانت المدينة تضئ إضاءة كالكهرباء، والشمس مثلاً كما يتبادر إلى الذهن، لأضاء رسول الله ﷺ الحجرة النبوية على الأقل ،والله أعلم!

بل هي أخذت تبحث عنه في الليل، يومـًا والجو مظلم ،قالت : فَوَقَعَتْ يَدِيها عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**». (٢)

❁ بكاءُ الصحابة بل الصحابيات رضي الله عنهن على انقطاعِ الوحي

أخرج مسلم (١)، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا،

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٨٢) ومسلم (٥١٢).

(٢) صحيح أخرجه مسلم(٤٨٦).

فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ. فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا .

نعم قد كان يَنزل الوحي كل يوم لكلِّ حدث يَستضيئون به فالآن انقطع، ورفع.الى هنا الى هنا

وهذا يدل على يقظة النساء يومها ، ومعرفتهن بقيمة العلم، لم يكُنَّ كالسلبيات من نساء المسلمين اليوم ،وكأنهنَّ اليوم ألفنَ الجهل والخلود للراحة ، إلا من ندر منهن بارك الله في المسلمات ورفع همَّتهن لطلب العلم.

❁ إرادةُ اللّهِ الرحمة لهذه الأمة

وأخرج مسلم، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ**».(٢)

❁ التعزيةُ به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

قد ورد هنا خبر:

=

(١) برقم (٢٤٥٤).

(٢) برقم (٢٢٨٨).

أخرجه ابن ماجة[١]، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «فَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، أَوْ كَشَفَ سِتْرًا، فَإِذَا النَّاسُ يُصَلُّونَ وَرَاءَ أَبِي بَكْرٍ، فَحَمِدَ اللهَ عَلَى مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ حَالِهِمْ، ورَجَا أَنْ يَخْلُفَهُ اللهُ فِيهِمْ بِالَّذِي رَآهُمْ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُّمَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي، فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي»، وهو متن غريب.

لكن هذا الخبر مع شهرته، وحُسن توجيهه، إلا أن سندَه لا يصح، ففيه مُوسَى بنُ عُبَيْدَةَ ضعيف، وقد توبع من عبد الله بن جعفر عند الطبراني،[٢] لكن عبد الله بن جعفر ضعيف أيضاً، فأردت التنبيه على ذلك، إذ لو صح ما حصل ما حصل من عمر لما مات ﷺ.

وكذلك ما ورد من أن الملائكةَ عَزَّت الصحابة يَسمَعُونَ الحِسَّ وَلَا يَرَونَ الشَّخصَ...، هذا لا يصح منه شيء، وإنما نبَّهت على ضعف ذلك لعدم الاغترار به، والله أعلم.

❁ إخبار حبرٍ من أحبارِ اليهود بأن النبيَّ ﷺ يموتُ يومَ الإثنين

---

(١) برقم (١٥٩٩) والبيهقي في «الشعب» عقب (٩٦٧٨).

(٢) في «الكبير» (١/ ٣٦٦) برقم (٦١٢) و«الأوسط» (٤٤٤٨).

أخرج أحمد[١]، بإسنادٍ صحيح، عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: «قَالَ لِي حَبْرٌ بِالْيَمَنِ: إِنْ كَانَ صَاحِبُكُمْ نَبِيًّا فَقَدْ مَاتَ الْيَوْمَ. قَالَ جَرِيرٌ: « فَمَاتَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ﷺ». ولعل هذا الحبر كان ينظر في النجوم، ويُخبر بصدقٍ، وكذب، كما كَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ....» الحديث.[٢]

ولا إشكال في إخبار الحبر بذلك، والله أعلم.

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: أَنْبَأَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بِشْرَانَ الْمُعَدَّلُ بِبَغْدَادَ، أَنْبَأَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْهَيْثَمِ، ثَنَا سَعِيدُ بْنُ كَثِيرِ بْنِ عُفَيْرٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ كَعْبِ بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَدِيٍّ التَّنُوخِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ نَاعِمِ بْنِ أُجَيْلٍ، عَنْ كَعْبِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: أَقْبَلْتُ فِي وَفْدٍ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَعَرَضَ عَلَيْنَا الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمْنَا، ثُمَّ انْصَرَفْنَا إِلَى الْحِيرَةِ فَلَمْ نَلْبَثْ أَنْ جَاءَتْنَا وَفَاةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَارْتَابَ أَصْحَابِي، وَقَالُوا: لَوْ كَانَ نَبِيًّا لَمْ يَمُتْ. فَقُلْتُ: قَدْ مَاتَ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ. وَثَبَتُّ عَلَى إِسْلَامِي، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ الْمَدِينَةَ فَمَرَرْتُ بِرَاهِبٍ كُنَّا لَا نُقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَمْرٍ أَرَدْتُهُ لَقِحَ فِي صَدْرِي مِنْهُ شَيْءٌ. فَقَالَ: ائْتِ بِاسْمٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ. فَأَتَيْتُهُ بِكَعْبٍ، فَقَالَ: أَلْقِهِ فِي هَذَا السِّفْرِ. لِسِفْرٍ أَخْرَجَهُ، فَأَلْقَيْتُ الْكَعْبَ فِيهِ فَصَفَحَ فِيهِ، فَإِذَا بِصِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا رَأَيْتُهُ، وَإِذَا هُوَ يَمُوتُ فِي الْحِينِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، قَالَ: فَاشْتَدَّتْ بَصِيرَتِي فِي إِيمَانِي، وَقَدِمْتُ

---

(١) برقم (١٩٢٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧).

عَلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ، فَأَعْلَمْتُهُ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَّهَنِي إِلَى الْمُقَوْقِسِ فَرَجَعْتُ، وَوَجَّهَنِي أَيْضًا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ بِكِتَابِهِ، فَأَتَيْتُهُ وَقْعَةَ الْيَرْمُوكِ وَلَمْ أَعْلَمْ بِهَا، فَقَالَ: لِي: أَعَلِمْتَ أَنَّ الرُّومَ قَتَلَتِ الْعَرَبَ وَهَزَمَتْهُمْ؟ فَقُلْتُ: كَلَّا. قَالَ: وَلِمَ؟ قُلْتُ: إِنَّ اللهَ وَعَدَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَيْسَ بِمُخْلِفٍ الْمِيعَادَ. قَالَ فَإِنَّ نَبِيَّكُمْ قَدْ صَدَقَكُمْ؛ قُتِلَتِ الرُّومُ وَاللهِ قَتْلَ عَادٍ. قَالَ: ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ وُجُوهِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَأَهْدَى إِلَى عُمَرَ وَإِلَيْهِمْ. وَكَانَ مِمَّنْ أَهْدَى إِلَيْهِ عَلِيٌّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَالزُّبَيْرُ. وَأَحْسَبُهُ ذَكَرَ الْعَبَّاسَ، قَالَ كَعْبٌ: وَكُنْتُ شَرِيكًا لِعُمَرَ فِي الْبَزِّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا أَنْ فَرَضَ الدِّيوَانَ فَرَضَ لِي فِي بَنِي عَدِيِّ ابْنِ كَعْبٍ». (١)

❁ ثباتُ أقوام بعدَ موتِ النبيِّ ﷺ

معلوم أن جماعةً ارتدوا وامتنعوا من دفعِ الزكاةِ لأبي بكرٍ ﷺ، فجمعَ الصحابة ﷺ وقاتَلهم، وكانت حرب المرتدين، وهي مشهورةٌ جداً معروفة، ولعل هؤلاء من بعض الأعراب أو المنافقين ، وهم قلائل جداً ، وقد سمَّاهم النبي ﷺ في بعض الأحاديث :«أُصَيحابي»، وهذا كناية عن قلَّتهم .

لكن جماعة من أهلِ الحِيرة لم يرتدوا، كما تقدم في «وفد أهل الحيرة »، والله الموفق.

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٧/ ٢٧١)، وقال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٩٤) : «وَهَذَا أَثَرٌ غَرِيبٌ، وَفِيهِ نَبَأٌ عَجِيبٌ وَهُوَ صَحِيحٌ ».

والصحابةُ ﷺ ثبتُوا على إسلامهم، لم يرتدوا، كما يقول الروافض - قبحهم الله.

وأما قول النبي ﷺ يوم القيامة، وهو يدعوا الناس للشرب من الحوض، ويؤخذُ بهم جهة الشمال... «..**إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى**..»[١].

هذا محمولٌ على من كان في زمنه- وهم قلَّة- وارتدُّوا بعده ﷺ ، لا على الصحابة ﷺ حملة الوحي، والله أعلم.

وأخيراً :

الإكثارُ من الصلاةِ على النبيِّ ﷺ لا سيما يوم الجمعة

أخرج ابن أبي عاصم والنسائي وغيرهما، عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ يَقُولُ: بَلِيتَ. قَالَ:« إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»[٢].

هذا والله أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٦)، وغيره، والله أعلم.

(٢) وهو حديثٌ ثابت صحيح، خرجتُه وتكلمت على أسانيده في كتابي «الفوائد النيره » (٣٨٧)، فليراجعه هناك من أراد.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بجمعنا، ويُعظم البركة فيه بركة تليق بسعة كرمه وجود عطائه ، وعظيم إحسانه وامتنانه.

وأن يجعله خالصـًا صوابـًا، وأن ينفعنا به، والقارئين، والدارسين، والناشرين ، في يوم لا ينفع فيه إلا الصدق، ولا يجعل لأحد فيه شيئـًا.

هذا آخر ما تيسر جمعه.

تم الكتاب وربنا محمود ... وله المكارم والعلا والجود

وعلى النبي محمد صلواته ... ما ناح قمري وأورق عود

ونسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يتوفانا مسلمين، وأن يُلحقنا بالشهداء والصالحين، وأن يجعَلَنَا من عباده المتقين الفائزين، ويجعل ما كتبته خالصـًا لوجهه الكريم، بمنه وكرمه، وأن ينفعنا به ووالدينا، وغفر الله لصاحب .هذا الكتاب، ولوالديه، ولسائر المسلمين أجمعين ،آمين يا رب العالمين

وصل اللهم وسلم، وبارك على محمد ﷺ، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.وسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، والحمد لله أولاً، وآخراً.

❁ كـــتبـه ❁

أبو يحيى محمد بن عبده

بلطيم - كفر الشيخ – مصر

الفهرس

مقدمة ٣
نقد الألباني رحمة الله عدم اشتراط الصحيح في تحرير التاريخ الاسلامي ٧
كلام المعلمي اليماني رحمه الله في ذلك ٨
التعريف بالنبي ﷺ وشرف نسبه ١٣
وقوف النسابين عند عدنان..... ١٥
بيان منزلة صاحب السيرة ﷺ **من بين الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام** ١٦
كثرة معجزاته ﷺ وكراماته أكثر عنهم جميعاً..... ١٧
مباركة الله له ﷺ في الماء وغيره من الأطعمة ٢١
منزلة عظيمة له ﷺ ولأمته ٢٤
إظلال الملائكة لبعض أصحابه وهو يقرأ القرآن. ٣٣
تعليم الله له ﷺ لغة الحيوان والجن ٣٤
مخاطبتة الجماد الحجر والشجر وأمره فيستجيب..... ٣٧
إثبات تفضيله ﷺ على الأنبياء جميعاً بإطلاق..... ٤٨
قصة حفر زمزم وتشريف جدِّه عبد المطلب بذلك ٤٩
قصة نذر عبد المطلب ذبح أحد أبنائه ٥٢
البشارة بالنبي ﷺ في الكتب السالفة..... ٥٤
إخبار الجن الكهان بمبعث النبي ﷺ..... ٥٩

تكذيب الخبر المشهور عن شقّ وسطيح الكاهنين ٦١
بشارة عيسى ﷺ بالنبي محمد ﷺ ٦٣
حال المجتمع قبل بعثة رسول الله ﷺ ٦٧
من أمور الجاهلية – التي كانوا عليها – عبادتهم الأصنام من دون الله ٦٨
صور من أنكحتهم الخسيسة الفاسدة..... ٧٠
تقربهم إلى الأصنام بعادات جاهلية اخترعوها ٧١
طواف النساء بالكعبة :..... ٧٣
تتمة ما كان عليه أهل الجاهلية من مساوئ..... ٧٤
بعض ما كان عليه أهل الجاهلية من محاسن ٨١
عدد الذين كانوا على الملة الصحيحة **قبل مبعثه** ﷺ..... ٨٢
عدُّ الذين كانوا على الدين الحق ومن كان يبحث عنه في تلك الفترة..... ٨٢
زَيْد بْن عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وفيه عدة أحاديث:..... ٨٢
سلمان الفارسي رضي الله عنه صاحب الهمة العالية ٨٥
مقولة عظيمة من النبي ﷺ في أهل فارس ٩٢
عمرو بن عبسة رضي الله عنه ٩٢
تعليقة على الباحثين عن الحقيقة في تلك الفترة ٩٤
تحديد مولده ﷺ ٩٤
تعليقة على ما وقع من الآيات ليلة مولده ﷺ..... ٩٦
مرضعاته وحواضنه ﷺ..... ٩٧
هل من مُرضعاته ﷺ «حليمة السعدية» ؟. ٩٩
قصَّة شق صدره ﷺ وهو صغير ١٠١

وفاة أمه، وجده ﷺ ١٠٣
صيانة الله تعالى لرسوله ﷺ من الزلل في صغره..... ١٠٤
قصة بُحيرا الراهب..... ١١٢
شهوده ﷺ حلف المطيبين مع عمومته وهو غلام ١١٤
إقرار الصحابة بهذا الحلف بعد وفاة النبي ﷺ ١١٦
زواجه ﷺ من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ١١٦
قصة تزويجه لها ﷺ، لم أقف لها على شيءٍ صحيح في تفاصيلها..... ١١٩
تشريفه ﷺ ببناء الكعبة..... ١٢٣
مكانة النبي ﷺ في كفار قريش وعند أهل الكتاب قبل البعثة ١٢١
وهذا حوار بين سعد بن معاذ وأبي صفوان أمية بن خلف الكافر..... ١٣١
البعثة النبوية..... ١٣٣
بداية نزول الوحي على رسول الله ﷺ ١٣٤
فترة الوحي ١٣٥
كيفية إتيان الوحي لرسول الله ﷺ ١٣٩
معالجة النبي ﷺ شدة الوحي ١٤٤
أول من أسلم معه ﷺ ١٤٥
إسلام خديجة رضي الله عنها مبكراً..... ١٥٢
ما حصل من الجن في هذه الفترة ١٥٤
ما حصل للجن بعد مبعثه ﷺ..... ١٥٦
جهر النبي ﷺ بالدعوة إلى الله..... ١٥٧
مواقف كفار قريش وأهل مكة من دعوته ﷺ..... ١٥٩

موقف أبي لهب لعنه الله ١٥٩
موقف أبي جهل- لعنه الله -..... ١٦٠
وهذا إقراره قبَّحه الله بنبوَّة رسول الله ﷺ لكن منعه الكبر والحسد ١٦٢
وموقف كفار قريش وسبِّهم – قبَّحهم الله- القرآن ١٦٣
مِنْ حِكْمَةِ اللهَّ تعَالَى، الحسنة لنبيه ﷺ ١٦٥
ومن إيذاء قومه الكفار وهم مُجتمعون على ذلك..... ١٦٦
موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه..... ١٧٠
ومن الشدائد التي مر بها رسول الله ﷺ في تلك الفترة ١٧٥
موقف يُسَلِّي رسول الله ﷺ أثناء هروبه من الكفار وذلك قبل الهجرة ١٧٦
موقف آخر من هذه المواقف المُسَلِّية ١٧٧
ومن الشدائد ماأشار إليه المقداد بن الأسود رضي الله عنه..... ١٧٨
ضَعْفُ خَبَر عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ المشهور **الذي فيه أنه بصق في وجه رسول الله ﷺ** ١٧٩
كفاية الله لنبيه بالانتقام له من عدوه ١٨٠
وهذا بلال وإخوانه رضي الله عنهم يعذبون في الله كذلك ١٨٢
ابتلاءت مادية ومعنوية: ١٨٤
وقد أعتق أبو بكر عدداً ممن كانوا يعذبون في سبيل الله منهم بلال ١٨٥
المنع من تعرض المسلمين لإهانة الأصنام..... ١٨٦
تعنُّت كفار قريش مع النبي ﷺ..... ١٨٨
كذب مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ القصَّاص مِنْ أنَّ الْقَمَرَ سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ حتَّى دَخَلَ فِي كُمِّ النَّبِيِّ ﷺ..... ١٩٢
ومن استهزائهم بالمستضعفين وتعنُّتهم..... ١٩٢

تعنت الكفار في طلب المعجزات من النبي ﷺ ١٩٣
سؤالهم النبي ﷺ عن الروح ١٩٣
نزول آية أخرىٰ للكفار فلم ينتفعوا بها ١٩٤
من تلبيسهم ودعواهم الكاذبة: إنما يعلمه بشر. ١٩٦
من أشد الأيام التي مرت علىٰ النبي ﷺ ١٩٧
تفاصيل في قصة إسلام حمزة رضي الله عنه ولا تصح ١٩٨
إسلام جماعة من الأوائل في هذه الفترة العصيبة ٢٠٣
منهم أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ٢٠٣
ومنهم ضماد الأذدي رضي الله عنه ٢٠٤
ومنهم: عمرو بن عبسة رضي الله عنه ٢٠٥
جَلَدُ من أسلم مع رسول الله ﷺ وعدم رجوعهم ٢٠٨
أساليب مجابهة الكفار لدعوة رسول الله ﷺ ٢١٠
محاولة من نوع آخر لصدِّ رسول ﷺ عن دعوته ٢١٢
من استهزائهم برسول الله ﷺ ٢١٤
اجتماع النبي ﷺ بأصحابه وصلاته بهم في تلك الفترة ٢١٤
من مواقف بعض كفار قريش التي فيها غباوة ٢١٥
الهجرة الأولىٰ إلىٰ الحبشة ٢١٦
وهذا سياق آخر لهجرتهم ٢٢٣
ومن المِحن تأتي المنح – أحياناً – ٢٢٧
عزم أبي بكر الصديق رضي الله عنه علىٰ الهجرة إلىٰ الحبشة وموقف ابن الدَّغنة ٢٣٢
قصة رجوع من رجع من الحبشة إلىٰ مكة ٢٣٥

المقاطعة الظالمة ٢٣٧
نقض الصحيفة الظالمة ٢٣٨
عدم صحة قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ ٢٤٠
الهموم تتوالى على رسول الله ﷺ ٢٤٤
وفاة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين ﷺ في نفس العام ٢٤٦
وفاة أبي طالب الذي كان يحوط رسول الله ﷺ ويمنعه من أذى المشركين. ٢٤٧
ذهاب النبي ﷺ إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام ٢٥٣
إنصراف النبي ﷺ من الطائف ٢٥٥
تزوج النبي ﷺ عائشة ثم سودة بنت زمعة ٢٥٨
طلب النبي ﷺ من أبي بكر ﷺ الزواج من عائشة ٢٦٣
المدة التي مكثها رسول الله ﷺ بعد موت خديجة ثم تزوج عائشة ٢٦٣
تزوَّج النبي ﷺ سودة بعد عائشة ٢٦٥
رحلة الإسراء والمعراج ٢٦٧
رؤية النبي لربه لربه سبحانه وتعالى ليلة المعراج ٢٧٤
حصول الآية على صدقه وتبرئة ساحته ﷺ ٢٧٦
انطلاق النبي ﷺ بعد الطائف إلى سوق عُكاظ ١٥٣
تتابع عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل ٢٧٨
موقف آخر ٢٨٢
مرة أخرى في موقف عرفات ٢٨٣
إتيان وفد الأنصاروعرض رسول الله ﷺ الإسلام عليهم ٢٨٤
لقاء وفد بني الأشهل برسول الله ﷺ ٢٨٥

بداية إسلام الأنصار رضي الله عنهم ٢٨٦
بيعة العقبة الأولى ٢٨٧
أول من جمَّع من الصحابة بالمدينة ٢٨٨
أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ ٢٩٠
قصة إسلام أُسيد بن حضير رضي الله عنه ٢٩٠
قصة أمر بيعة العقبة الثانية ٢٩٤
تفصيل بيعة العقبة الثانية بسياق أطول ٢٩٦
الفرق بين بيعة العقبة الأولى والثانية ٣٠٠
طريقة مبايعة النبي ﷺ للنساء ٣٠١
هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ٣٠٣
تفاصيل أحداث الهجرة الثانية ٣٠٦
ما أصاب أبو بكر في الغار ٣٠٩
قصة أم معبد أثناء الهجرة مع رسول الله ﷺ ٣١٠
قصة شبيهة بقصة أم معبد ٣١٣
سياق آخر لحادث الهجرة مع بيان ما حصل لسُرَاقة بن مالك وهو يتبعهم ٣١٤
سِنُّ النبي ﷺ يومَ هاجر إلى المدينةِ ٣١٩
سياق آخر لقصة سراقة يحكيها بنفسه ٣٢٠
سياق آخر لحادث الهجرة لما وصلا إلى المدينة ٣٢٢
قصة حجز أم سلمة عن زوجها ٣٢٦

قصة هجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعياش بن أبي ربيعة المخزومي وهشام بن العاص ابن وائلي إلى
المدينة.....٣٢٣٢٨٣٢٨
خروج أبي بكر رضي الله عنه بماله كله.....٣٣١
أخبار مشتهرة غير صحيحة في حادث الهجرة.....٣٣٢
بناء المسجد إثر وصول النبي ﷺ المدينة.....٣٤٠
وصف أنس ليوم مَقدَمِه ﷺ المدينة ويوم قَبضِه.....٣٤١
مواقف أبي أيوب رضي الله عنه وإجلاله لرسول الله ﷺ.....٣٤٢
مدح دور الأنصار.....٣٤٣
تفاصيل بناء مسجده الشريف ﷺ.....٣٤٥
بناء بيت النبي ﷺ.....٣٤٨
ما أصاب المسلمين المهاجرين من حُمى المدينة.....٣٤٨
رؤيا النبي ﷺ التي فيهاالفرج بنقل الحمى من المدينة.....٣٥٣
فَصْلٌ فِي عَقْدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الأُلفة بين المهاجرين والأنصار.....٣٥٣
وهذا بعض ما رُوي في كيفية المؤاخاة وما كان فيها.....٣٥٤
مشروعية الآذان بعد مقدم النبي ﷺ المدينة.....٣٥٦
تسلُّل من أسلم من أهل مكة إلى المدينة، وتضحية صهيب الرومي رضي الله عنه من أجل هجرته إلى المدينةالنبوية.....٣٥٨
إذن الله تعالى للمؤمنين بالقتال.....٣٦٠
سرايا رسول الله ﷺ وغزواته.....٣٦١
وتلخيص عدد الغزوت.....٣٦٢

غزوة بدر الأولى ٣٦٤
سرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه لساحل البحر ٣٦٨
قصة تحويل القبلة ٣٧١
بلوغ أهل قباء تحويل القبلة وسرعة استجابتهم وقبولهم لخبر الآحاد ٣٧٢
وسبب وقوع اليهود في مثل هذه الزلَّة وهو الحسد ٣٧٥
فرضية الصيام في السنة الثانية من الهجرة ٣٧٥
تمهيد بين يدي غزواته ﷺ ٣٧٧
غزوة بواط أو بطن بواط ٣٧٨
غَزْوَة العُشَيْرَةِ أَوِ العُسَيْرَةِ ٣٨٤
غزوة بدر الكبرى الكبري ٣٨٤
وأما عن موعد تاريخ غزوة بدر تحديداً ٣٨٧
أحداث غزوة بدر الكبري ٣٨٨
رأت عاتكة بنت عبد المطلب رؤيا حاصل تأويلها أن بعد ثلاث يصاب كفار قريش فلا ينجو بيت من مصيبة تُحِلّ به ٣٨٩
خروج أعداد الكفار لغزوة بدر ٣٩٠
استشارة النبي ﷺ للمسلمين قبل الغزوة ٣٩١
موقف عظيم للمقداد بن الأسود اقبل موقعة بدر ٣٩٤
ماكان قُبيل المعركة وما أمر به ﷺ ٣٩٥
عدد المسلمين يوم بدر ٣٩٦
استنباط من رسول الله ﷺ في ذكر عدد الكفار ٣٩٧
هتاف رسول الله ﷺ بربه وتضرعه ٤٠١

ومع هذه القلة والضعف فلم يستعن ﷺ بمشرك ٤٠٢
إعذار بعض الصحابة في عدم شهودهم بدر ٤٠٢
تهيئة الله تعالى لرسوله والمؤمنين الجو ٤٠٦
ليتهيئوا للقتال ،ودعائه ﷺ ٤٠٦
ومن تهيئة الله تعالى للأمر ٤٠٧
صفوف المسلمين يوم بدر..... ٤٠٩
الأمر النبوي بعدم البداءة حتي يغشاهم الكفار..... ٤١٠
عدم ثبوت أنه كان لرسول الله ﷺ عريش يوم بدر خوفاً من أن يداهمه العدو ... ٤١١
تضحيات الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر: ٤١٢
استفتاح أبي جهل بالدعاء..... ٤١٢
قصة بعث عمير بن وهب الجمحي رضي الله عنه ٤١٤
المبارزة يوم بدر بين الصفين..... ٤١٦
نزول الملائكة للحرب في هذه الغزوة..... ٤٢٠
ورود أخبار لاتصح في هذاالمقام يجدر بنا التنبيه عليها..... ٤٢٣
الحكمة من قتال الملائكة مع المؤمنين مع قدرة على نصرهم بغير الملائكة: ٤٢٤
بيان ضعف خبر أن رسول الله ﷺ نهاهم أن يقتلوا أحداً من بني هاشم ٤٢٥
حمي الوطيس واشتداد القتال بين المسلمين والكفار يوم بدر..... ٤٢٧
ضرب الزبير رضي الله عنه علي عاتقه يوم بدر..... ٤٢٨
مقتل صناديد الكفر من أعداء الله تعالى ٤٢٩
قتل صفوان بن أمية **لعنه الله**..... ٤٣١
مقتل أبي جهل لعنه الله..... ٤٣٣

قتل عبيدة بن سعيد بن العاص..... ٤٣٥
قتل الحارث بن عامر الكافر..... ٤٣٧
عدد القتلي والأسري من كفار قريش علي الإجمالي يوم بدر ٤٣٨
مصير جثث الكفار في هذه الغزوة..... ٤٣٨
توجُّع أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة رضي الله عنه على أبيه ٤٤٠
خصوصية النبي ﷺ بحلِّ الغنائم له ٤٤١
الخلاف الذي كان بين المسلمين في أمر الغنائم ٤٤٣
سياق آخر لما حصَل بعد الغنائم..... ٤٤٤
إرسال النبي ﷺ إلي المدينة مَن يبشِّرهم بالنصر..... ٤٤٥
الأسري يوم بدر وما فُعِل بالعباس عم النبي ﷺ..... ٤٤٦
حقارة أسري بدر وما آلو إليه من ذُلٍّ..... ٤٥٠
سياق آخر لحال الأساري يوم بدر..... ٤٥١
بعض من قُتل من المسلمين في هذه الغزوة: ٤٥٣
تنبيهات على أخبار لا تصح في الباب يجدر بنا التنبيه عليها:..... ٤٥٦
الوارد من أنه خُفِّفَ عن أبي لهب بعتاقته ثويبة ٤٦٠
خبر ضعيف في تجلُّد أحياء قريش مع حسرتهم وعذابهم..... ٤٦١
قتل بعض الأسري ٤٦٢
قُرب الفترة بين نزول آية المزمل ووقوع الكارثة يوم بدر..... ٤٦٤
ضعف قصة العفو عن أبي عزة الشاعر المشهور ٤٦٦
قصة عمير بن وهب الجُمَحي المشهورة وإخبار النبي ﷺ بما كان بينه وبين صفوان بن أمية في الحِجر..... ٤٦٨

مقدار الفداء للأسري لكل كافر يوم بدر ٤٧٠
ردّ النبي ﷺ الأسير أبا العاص بن الربيع ٤٧١
نهي النبي ﷺ عن ندب من مات من المسلمين يوم بدر ٤٧٤
من نتائج غزوة بدر: ٤٧٥
قدوم زينب بنت رسول الله ﷺ مهاجرة من مكة إلي المدينة ٤٨٧
سياق الروايات في إسلام أبي العاص بن الربيع ٤٨٨
غزوة السويق في ذي الحجة من هذه السنة ٤٩٤
الضعيف الذي اشتهر في هذا المقام ٤٩٩
قصة قتل كعب بن الأشرف اليهودي..... ٥٠٢
طريقة قتله لعنه الله ٥٠٥
وهذا سياق آخر لقصة قتل ابن الأشرف ٥٠٦
تلخيص حال الكفار في المدينة ٥٠٨
قصة بني النضير..... ٥٠٩
محل إنفاق النبي ﷺ الفيء الذي أفاء الله عليه..... ٥١٦
ذم الله تعالي للمنافقين الذين مالوا لبني النضير في الباطن ووعدوهم بالنصر..... ٥١٧
غزوة أحد..... ٥١٧
رؤيا النبي ﷺ بشأن غزوة أحد ٥١٩
مشاورة رسول الله ﷺ قبل غزوة أحد..... ٥٢٠
رجوع المنافقين عن رسول الله ﷺ..... ٥٢٢
وضوح موقف المنافقين..... ٥٢٦
رد النبي ﷺ صغار السن في هذه الغزوة..... ٥٢٩

وقد تخلَّف بعض الصحابة عن هذه الغزوة بغير قصد ٥٣٠
تهيئة النبي ﷺ مقاعد للمؤمنين ٥٣٢
قتال الملائكة مع الصحابة رضي الله عنهم ورؤية بعضهم لهم ٥٣٢
في ساحة الوغى { بداية غزوة أحد} ٥٣٣
تفصيل ماحصل من الرُّماة ٥٣٧
مقتل حمزة أسد الله رضي الله عنه ٥٣٨
التمثيل بجُثث بعض المسلمين غير حمزة رضي الله عنه ٥٤٤
موقف أبي دجانة رضي الله عنه في غزوة أحد ٥٤٦
حكايةغسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه ٥٤٩
ما أصيب به النبي ﷺ يوم أُحد يوم البلاء والتمحيص ٥٥٠
طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في يوم أحد(يوم طلحة) ٥٥٥
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يوم أحد..... ٥٥٨
أوجه التشابه بين غزوتي بدر وأحد..... ٥٥٩
ضعف خبر ابن قمئة المشهور ٥٦٥
فرار بعض الصحابة رضي الله عنهم من شدَّة ما جرىٰ في ذلك اليوم..... ٥٦٥
الموقف العظيم لأنس بن النضر عمِّ أنس بن مالك ا في هذه الغزوة..... ٥٦٨
تسلية الله تعالي للمؤمنين علي تقدير وقوع ما أُشيع أن رسول الله ﷺ ٥٦٩
ضعف خبر سعد بن الربيع الأنصاري الخزرجي العقبي البدري..... ٥٧٠
قتل أُبي بنِ خلفٍ لعنَه اللهّ..... ٥٧٢
عبد الله بن حرام الأنصاري رضي الله عنه في غزوة أحد..... ٥٧٤
مصعب بن عمير رضي الله عنه في غزوة أحد..... ٥٧٦

علي بن أبي طالب ﷺ وسهل بن حنيف ٥٧٧
وعاصم بن ثابت وجماعة من الصحابة ﷺ..... ٥٧٧
اليمان والد حذيفة ﷺ ٥٧٨
الأصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن أقيش أو وقش ٥٨٠
عمرو بن الجموح ﷺ ٥٨٣
جماعة أثني عليهم رسول الله ﷺ يوم أحد..... ٥٨٥
خبر تسوية النبي ﷺ صفوف المؤمنين يدعو ربه ٥٨٥
قول أبي سفيان بن حرب للمسلمين بعد الغزوة..... ٥٨٦
ما بعد الحرب وما فعلت صفية عمة النبي ﷺ..... ٥٨٨
دفن رسول الله ﷺ شهداء أحد (أصحاب المناقب العالية) ﷺ جميعاً..... ٥٨٩
وقد حاول بعض الصحابة نقل موتاهم إلي المدينة..... ٥٩١
خبر أن رسول الله ﷺ صلي علي بعض من شهداء غزوة أحد ٥٩٢
عدد قتلي المسلمين في غزوة أحد..... ٥٩٣
بكاء النساء في المدينة علي قتلي المسلمين..... ٥٩٤
عتاب الله للمؤمنين إذا تسبَّبوا فيما حصلت ٥٩٥
تسلية الله تعالىٰ المؤمنين وحثَّهم علي الاستغفار رحمة بهم..... ٥٩٦
قول المنافقين في هذه الغزوة ٥٩٦
الفوائد والحكم الربانية في قصة أحد وإصابة المسلمين ٥٩٦
مسير النبي ﷺ والصحابة ﷺ إلي حمراء الأسد ٦٠٦
وفي غزوة حمراء الأسد من الفوائد والدروس:..... ٦١٠
غزوة الرجيع..... ٦١٢

في هذه القصة من الفوائد: ٦١٤
موقعة بئر معونة ٦١٧
مناقب القراء وحزن النبي ﷺ عليهم ٦١٧
ذكر بعض من قُتل في يوم بئر معونة ٦٢٠
ومن فوائد قصة بئرمعونة ٦٢١
وفاة أبي سلمة رضي الله عنه في العام الرابع من الهجرة ٦٢٤
تنبيه : هل تعلم زيد بن ثابت رضي الله عنه لغة اليهود في هذا التوقيت ٦٢٥
غزوة بني النضير ٦٢٧
وفي غزوة بني النضير من الفوائد..... ٦٢٩
غزوة الأحزاب..... ٦٣٠
كرامة للنبي ﷺ أثناء حفر الخندق..... ٦٣٣
قلة الطعام والفقر الشديد في هذه الغزوة ٦٣٧
وكان طعامهم- في هذه الأيام- رديئاً جداً ٦٣٨
إصابة الصحابة رضي الله عنهم في أيام الخندق بشدَّة البرد ٦٣٩
ومن الشدة التي أصابتهم خيانة يهود بني قريظة ٦٤٠
عدم تخلِّي الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ..... ٦٤١
بشارات بشر بها رسول الله ﷺ أثناء حفر الخندق..... ٦٤١
ما نزل من الآيات بشأن العاملين في الخندق ٦٤٣
من الضعيف الوارد أيضاً ٦٤٥
توقع النبي ﷺ خيانة بني قريظة..... ٦٤٧
نصر الله تعالي..... ٦٤٨

وما يعلم جنود ربك إلا هو ٦٤٨
موقف الزبير ﷺ في حصار الأحزاب ٦٥٣
موقف حذيفة بن اليمان ﷺ يوم الأحزاب أثناء الحصار ٦٥٤
موقف لصفية ﷺ عمة النبي ﷺ ٦٥٧
المدة التي حاصر الكفار المدينة ودعاؤه علي المشركين ٦٥٨
سياق أحوال الأحزاب والمنافقين ويهود بني قريظة ٦٦٠
موقف مشركي غطفان مع رسول الله ﷺ ومحاولته ٦٦٢
دعاء النبي ﷺ على الكفار يوم الأحزاب ٦٦٣
شعار الصحابة ي يوم الأحزاب ٦٦٤
ضعف قصة مبارزة علي ﷺ المشهورة لعمرو بن ودٍّ العامري الكافر ٦٦٥
القصة التي فيها خديعة نُعَيْم بْن مَسْعُودِ للكفار ٦٦٨
سياق ماحصل مِن بعث الله الريح ٦٧١
ذكر النبي ﷺ بعد غزوة الأحزاب ٦٧٤
بشارات من النبي ﷺ حين أجلي اللهُ الأحزاب ٦٧٥
من الفوائد المأخوذة من غزوة الأحزاب: ٦٧٥
يهود بني قريظة في المدينة وما آل أمرهم إليه بعد ٦٨١
سياق الآيات في متابعة غزوة قريظة بعد كفاية الله المؤمنين الأحزاب ٦٨٢
حكم سعد ﷺ فيهم بحكم الملك وما حصل له بعد ٦٨٢
الإسراع إلى بني قريظة ٦٨٤
خروج الملائكة للقتال مع المسلمين حين ذهبوا إلي بني قريظة ٦٨٥
وهذا سياق آخر لإصابة سعد ﷺ ودعائه علي بني قريظة وذكر عددهم ٦٨٥

شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه يوم بني قريظة ٦٨٦
حصر النبي ﷺ بني قريظة وماذا صنع بهم..... ٦٨٧
عدد المقاتلين من بني قريظة يوم ذاك..... ٦٨٩
فتح الله علي المسلمين بعد افتتاح قريظة والنضير ٦٩٠
وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه..... ٦٩١
بشارات وكرامات ومنازل لسعد بن معاذ رضي الله عنه ٦٩٢
قتل امرأة من بني قريظة **والتعليق عليها** ٦٩٨
الفوائد والدروس من غزوة بني قريظة..... ٦٩٩
قتل أبي رافع عبد الله بن الحقيق اليهودي ٧٠٣
وفي قصة أبي رافع من الفوائد..... ٧٠٨
تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة رضي الله عنها..... ٧٠٩
اختلف في وقت إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه وهجرته: ٧١١
تزوج النبي ﷺ بزينب بنت جحش ٧١٢
قصة زواجه ﷺ من زينب ٧١٣
ومن مناقبها رضي الله عنه..... ٧١٥
غزوة بني لِحيان ﷺ ٧١٦
ماحصل في هذه الغزوة..... ٧١٩
سبب خوف الصحابةعلي أهليهم في المدينة..... ٧٢٠
هجمة من هجمات المشركين علي المدينة..... ٧٢٠
غزوة بني المصطلق وهي غزوة المرسيع..... ٧٢٢
وفي غزوة بني المصطلق من الفوائد والدروس..... ٧٢٧

طعن ابن سلول في النبي ﷺ ورميه ومن معه ٧٢٨
وفي حدث فعل ابن سلول هذا من الفوائد والدروس ٧٣١
نزول آية التيمم ٧٣٤
وفي حادثة الإفك فوائد ودروس ٧٤١
بعث النبي ﷺ بعثاً لقتل بعض كفار قريش ٧٤٨
غزوة الحديبية ٧٥٣
عدد الذين كانوا مع النبي ﷺ في عمرة الحديبية ٧٥٥
اصطياد الحمار الوحشي وهُم في الطريق ٧٥٨
تزكية الصحابة ﷺ الذين كانوا في الحديبية جميعاً ٧٥٩
بيعة الرضوان ٧٦٠
وقت بيعة الرضوان تحديداً ٧٦٢
فضل من شهد بيعة الرضوان ٧٦٣
مسألة تخلُّف عثمان ﷺ عن البيعة ٧٦٥
تحبيش كفار قريش لرسول الله ﷺ والمؤمنين ٧٦٦
الطريق الذي سار فيه النبي ﷺ والصحابة ﷺ يوم الحديبية ٧٦٧
سياق قصة الحديبة بطولها كما في «الصحيح» ٧٦٨
موقف فاشل من مواقف كفار قريش المخزية الخائبة ٧٨٢
مبحث مهمٌ في اهتمام النبي ﷺ بتعليم التوحيد وأبواب من العلم ٧٨٣
تسديد الله لنبيِّه ﷺ والصحابة ﷺ ٧٨٨
الكرامات التي أجراها الله لنبيه ﷺ في صلح الحديبية ٧٨٩
كرامات للنبي ﷺ في هذه الغزوة وإطلَاع الله نبيَّه على سلوك الطريق الأكثر أمناً .. ٧٩١

سبب عدم إسراع الصحابة في تنفيذ أمره ﷺ حينما قال:« قُومُوا فَانْحَرُوا ٧٩٢
ما حدث بعد إبرام الصلح ٧٩٣
من فوائد هذا الصلح - صلح الحديبية - للمسلمين ٧٩٤
ومن الفوائد والدروس المستفادة من صلح الحديبية.....٧٩٥
غَزْوَةِ ذِي قرد.....٧٩٩
غَزْوَةِ خَيْبَرَ ٨٠٥
انصراف النبي ﷺ من الحديبية إلى خيبر.....٨٠٦
استخلاف النبي ﷺ رجلاً على المدينة.....٨٠٧
فقر الصحابة رضي الله عنهم وقلة ما في اليد من الطعام ٨٠٨
إشراف النبي ﷺ على خيبر ٨١١
سياق الأحداث التي حصلت يوم خيبر ٨١٢
خروج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ٨١٥
هذا هو المشهور وعليه أكثر العلماء أن قاتل مرحب هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ..٨١٧
علي بن أبي طالب رضي الله عنه حامل الراية في غزوة خيبر.....٨١٨
قدوم أبي هريرة االمدينة في رهط من قومه ٨٢٨
ما فتح الله به على المؤمنين في غزوة خيبر.....٨٣١
من كرامات رسول الله ﷺ يوم خيبر.....٨٣٢
قصة رجل قتل نفسه في هذه الغزوة ٨٣٤
زواج النبي ﷺ من صفية بنت حيي رضي الله عنها ٨٣٤
سياق آخر لزواجه ﷺ من صفية رضي الله عنها مع ذكر الأحداث.....٨٣٥
نهي النبي ﷺ وطء النساء حتى تُستبرأ.....٨٣٨

منزلة صفية بمن السبي ٨٣٨
تنبيه بشأن أخذ رسول الله ﷺ صفيَّة دون غيره..... ٨٣٩
ومن وجه الحكمة في أخذها..... ٨٤٠
كيفية تقسيم أرض خيبر بين الغانمين..... ٨٤٣
عدم الإسهام لمن شهد خيبر..... ٨٤٤
كيفية الإسهام من غنائم خيبر ٨٤٥
وأعطى رسول الله ﷺ لأصحاب السفينة الذين أتوا من الحبشة ٨٤٥
إستعمال النبي ﷺ رجلاً يباشر إنتاج خيبر ٨٤٦
في الطريق من الانصراف عن خيبر ٨٤٨
فوائد ودروس من غزوة خيبر..... ٨٥٠
خبر الشاة المسمومة..... ٨٥٩
انصراف النبي ﷺ من خيبر إلى وادي القرى..... ٨٦٣
ما حصل في أرض فدك بعد خيبر ٨٦٤
قدوم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وأخيه..... ٨٦٥
في بضع وخمسين من الحبشة..... ٨٦٥
حادث آخر في الطريق ٨٦٧
قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه..... ٨٦٨
مجالسة النبي ﷺ لوفد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه..... ٨٧١
خبر الحجاج بن عِلاط السُّلمي البَهري ا..... ٨٧٢
قصة قتيل من المسلمين في خيبر..... ٨٧٤
عدَّة سرايا أخرى عقب ذلك..... ٨٧٦

سرية إلى ذي الحُرَقة من جهينة ٨٧٦
سَرِيَّةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ مُجَزِّزٍ الْمُدْلِجِيِّ ٨٧٧
إجلاء الرسول ﷺ لليهود كلهم من المدينة ٨٧٩
خبر إجلاء اليهود ٨٨١
عمرة القضاة ٨٨٢
اهتمام الصحابة ﷺ في هذه العمرة ٨٨٤
زواج النبي ﷺ من ميمونة بنت الحارث ﷺ ٨٨٦
وهذا سياق آخر للأحداث أثناء هذه العمرة بزيادة تعليق ٨٨٨
إرسال كفار قريش لرسول الله ﷺ ٨٨٩
سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة ٨٩١
إسلام عمرو بن العاص ﷺ ٨٩٤
وأصح الروايات في باب إسلام عمرو بن العاص ﷺ ٨٩٧
سياق مغاير بعض الشيء لقصة إسلامه ٨٩٩
عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ﷺ ٨٩٩
غزوة ذات الرقاع ٩٠١
قصة الذي اخترق سيف رسول الله ﷺ وهو نائم ليفتِك به ٩٠٢
ضعف قصة المرأة التي أصيبت في هذه الغزوة ٩٠٥
قصة جمل جابر ﷺ في هذه الغزوة ٩٠٦
وعن سبب الغزوة ٩١٣
تنبيه مهم ٩١٦
فضائل الأئمة الثلاثة – أمراء غزوة مؤتة – ﷺ ٩١٧

حَدِيثٌ فِيهِ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ لِأُمَرَاءِ هَذِهِ السَّرِيَّةِ ٩٢٣
أمر النبي ﷺ للسرية..... ٩٢٥
في ساحة المعركة..... ٩٢٥
والجواب أن لا إشكال مطلقاً..... ٩٢٨
قتال خالد بن الوليد رضي الله عنه ٩٣٠
ما حصل لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وما قيل عن أهله بعد موته..... ٩٣٣
سبب تسميته رضي الله عنه بذي الجناحين..... ٩٣٣
إخباره ﷺ الصحابة بما حصل مع الأمراء قبل أن يأتي الخبر..... ٩٣٥
وهذا سياق آخر فيه دعاء النبي ﷺ لآل جعفر ٩٣٧
رجوع الصحابة رضي الله عنهم من غزوة مؤتة وإقبالهم علي المدينة ٩٣٨
أمر النبي ﷺ لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ زوجة جعفر فقالأَتَانَا النَّبِيُّ فَقَالَ: «تَسَلَّبِي ثَلَاثًا ثُمَّ اصْنَعِي مَا شِئْتِ»..... ٩٤٠
الفوائد والدروس المستنبطة من غزوة مؤتة..... ٩٤١
بعث النبي ﷺ السرايا إلى ملوك الآفاق..... ٩٤٦
وصول خطاب رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم..... ٩٤٨
كتاب رسول الله إلى كسرى ملك الفرس ٩٥٥
بداية تمزيق ملكه- قبحه الله - ولله الحمد ٩٥٥
تنبؤات النبي ﷺ بشأن كسري..... ٩٥٦
بَعْثُهُ ﷺ إِلَى المقوقس صَاحِبِ مَدِينَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ..... ٩٥٨
رسالة رسول الله ﷺ إلى بكر بن وائل {بني الكاتب } ٩٦٠
غزوة ذات السلاسل ٩٦١

وتأمير عمرو بن العاص افيها من بداية إسلامه ٩٦١
اشتهر عن هذه الغزوة ٩٦١
بعض ما حصل في هذه الغزوة ٩٦٣
ومما ورد ذكره في هذه الغزوة..... ٩٦٤
رجوع عمرو بن العاص رضي الله عنه من الغزوة بالجنود..... ٩٦٦
وفي هذه الغزوة فوائد كثيرة ٩٦٦
موت النجاشي رضي الله عنه صاحب الحبشة صاحب المنقبة العظمي ٩٦٨
غزوة ابن أبي حدرد بطن إضم ٩٦٩
الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن ٩٧٠
غزوة الفتح..... ٩٧٢
{ فتح مكة }..... ٩٧٢
سبب غزوة الفتح بعد هدنة الحديبية..... ٩٧٣
قصة منع أم حبيبة والدها أبا سفيان من الجلوس على فراش رسول الله ﷺ..... ٩٧٦
إخفاء النبي ﷺ جهة غزوه لكفار مكة لفتحها..... ٩٧٧
قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه في إرساله..... ٩٧٨
تحرُّك النبيق بالجيش نحو مكة..... ٩٨١
بيان أن الإفطار في هذه الغزوة كان بأمر النبي ﷺ..... ٩٨٢
قراءة النبي ﷺ يوم الفتح أثناء مسيره إلى مكة..... ٩٨٤
مرور النبي ﷺ والصحابة ﷺ في طريقهم إلى مكة بمَرِّ الظَّهرَان..... ٩٨٥
إسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
وعبد الله بن أبي المغيرة أخي أم سلمة أم المؤمنين من الرضاعة ٩٨٦

صفة دخول رسول الله ﷺ مكة وأوامره لأصحابه رضي الله عنهم وأقواله وأفعاله..... ٩٩٤
ثيابه ﷺ وما كان يركبه..... ٩٩٤
أوامره ﷺ بعدم قتل القرشي صبراً، ثم أمره بعد ذلك بالكف عن قريش تماماً إلا الأربعة الذين أهدر دماءهم..... ٩٩٧
أسماء من أهدَر رسول الله ﷺ دماء هم من كفار مكة..... ٩٩٨
تأمين بعض المسلمين لآحاد الناس وإمضاء النبي ﷺ ذلك..... ١٠٠٠
طواف النبي ﷺ بالبيت..... ١٠٠١
إتيان أبي بكر رضي الله عنه بأبيه للنبي ﷺ يبايعه على الإسلام وما حصل لأخته..... ١٠٠٢
إمتناع النبي ﷺ من دخول الكعبة حتى تُمحي الصور..... ١٠٠٤
ما صنعه رسول الله ﷺ حينما دخل الكعبة..... ١٠٠٥
صلاة رسول الله ﷺ في الكعبة..... ١٠٠٦
قصة إخباره ﷺ أبا سفيان بن حرب بما في نفسه..... ١٠٠٧
تخصيص حلِّ مكة لرسول الله ﷺ ساعة من نهار ثم عودة تحريمها مكة..... ١٠٠٨
أمر النبي ﷺ بكف السلاح إلا خزاعة عن بكر وسبب ذلك..... ١٠١١
مقولة الأنصار رضي الله عنهم ضَنَّاً برسول الله ﷺ..... ١٠١٢
نهيه ﷺ عن قتل القرشي صبراً بعد فتح مكة..... ١٠١٥
صلاة النبي ﷺ في الكعبة..... ١٠١٦
قتل خزاعة رجلاً من هذيل..... ١٠١٧
تسمية مَسلمة الفتح بالطُلقاء..... ١٠١٧
استقرار الأمر بمكة وتحكيم الشريعة وإقامة الحدود فيهم..... ١٠١٩
ثناء الله على من أسلم (من قبل الفتح ومن أسلم بعد الفتح)..... ١٠١٩

قوله ﷺ « لا هجرة بعد الفتح » ١٠٢٠
المدة التي أقامهارسول اللهق بمكة بعد غزوة الفتح ١٠٢٠
وهكذا تحقَّقت رؤيةُ رسول الله ق: ١٠٢١
تلخيص ماحكم به ق بمكة من الأحكام والأقضية ١٠٢٢
ومنها :تحريم نكاح المتعة ١٠٢٣
مبايعة بعض مَن كان بمكة رسول الله ﷺعلى الإسلام وموقف هند بنت عتبة. ١٠٢٥
انقطاع أجر الهجرة الكاملة لأهلها ١٠٢٧
تتابع الناس من أهل مكة يتوالون لا سيما الكبار لمبايعة النبي ﷺ ١٠٢٧
ومنهم :صفوان بن أمية ١٠٢٧
تأويل قَوْلِ اللهَّ تَعَالَىٰ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهَّ وَالفَتْحُ} ١٠٢٩
قول عامة العرب قبل فتح مكة وتَلَوُّمهم بإسلامهم الفتح ١٠٣٠
سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جذيمة ١٠٣٤
سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى العُزى ١٠٣٥
قصة عجيبة وقوله ﷺ : «**أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَحِيمٌ**» ١٠٣٧
إرساله ﷺ العيون بين يديه ١٠٤٤
جمع هوازن النساء والصبيان والإبل والغنم يتكثَّرون بها على رسول الله ﷺ ١٠٤٥
في الطريق إلى هَوَازن (حُنين) وأمرُ ذاتِ أنواطٍ ١٠٤٧
إرسال كفار هوازن أيضاً عيوناً لهم للتجسس على رسول الله ﷺ والمسلمين ١٠٤٨
لقاء هوازن وثبات النبي ﷺ ١٠٤٩
دعاء رسول الله ﷺ يوم حنين وتضرُّعه لربه وشجاعته وصلابته ١٠٥٢
حمي الوطيس في هذه الحرب بين الفريقين وظهور بطولات الصحابة رضي الله عنهم ١٠٥٥

مواقف أخرىٰ من داخل المعركة. ١٠٥٨
موقف آخر: ١٠٥٩
وصف أنس رضي الله عنه لحمل الكفار عليهم في غزوة حنين ١٠٦١
قدوم وفد هوازن مسلمين إلىٰ النبي ﷺ ١٠٦٣
وهذا سياق آخر للقصَّة ١٠٦٤
نزول المطر في غزوة حُنين وقوله ﷺ «صلوا في رحالكم» ١٠٦٦
سرية أوطاس ١٠٦٦
ومقتل دَريد بن الصِّمة وهزيمةأصحابه ١٠٦٦
أمر سبي أوطاس ١٠٦٨
غزوة الطائف ١٠٦٩
قصة قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ وقول النبي ﷺ بشأنه.. ..... ١٠٧٠
غزوة الطائف وحصار النبي ﷺ وأصحابه للطائف ١٠٧١
حضُّ النبي ﷺ علىٰ رميهم بالسهام ١٠٧٢
إصرار الصحابة رضي الله عنهم علىٰ فتح الطائف ١٠٧٣
مدة الحصار وما كان من الأنصار ي..... ١٠٧٤
من أظهر فوائد غزوة الطائف ١٠٧٧
بيان حكمة النبي ﷺ في العطاء لقوم دون آخرين ١٠٧٧
من أجمع الأحاديث في ذلك ١٠٧٩
بعض ما حصل لرسول الله ﷺ من الأعراب بسبب العطاء ١٠٨١
من أثر عطاء رسول الله ﷺ في الناس ١٠٨٣
قدوم مالك بن عوف النصري إلىٰ النبي ﷺ مسلماً ١٠٨٣

تطييب النبي ﷺ خواطر من لم يعطهم..... ١٠٨٥
إعتراض بعض الجهلة-سلف الخوارج- من أهل الشقاق **على عطائه واتهام الرسول ﷺ بالجور وعدم العدل في العطية** ١٠٨٨
عمرةالجعرانة ١٠٩٢
مما أفتى به ﷺ في عمرته تلك ١٠٩٣
تلخيص الحوادث الكثيرة في السنة الثامنة للهجرة..... ١٠٩٦
الدروس والفوائد المستفادة من غزوة حنين ١٠٩٧
غزوة تبوك ١١٠٥
وأما عن توقيتها : فقد كانت في العام التاسع للهجرة بعد رجوعه إلى المدينة.... ١١٠٦
مناداة النبي ﷺ بالغزو..... ١١٠٧
تجهيز الجيش واستنفار الناس ١١٠٨
قلةُ الظهر للصحابةِ رضي الله عنهم في جيشِ العسرة..... ١١١٠
إستخلاف النبي ﷺ علياً على المدينةِ عند خُروجه لغزوةِ تبوك ١١١١
عددُ المسلمين في هذه الغزوةِ..... ١١١٣
خروج النبيّ ﷺ يومَ الخميس ١١١٤
قصةُ تأخر أبي خيثمة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ١١١٤
ضعفُ قصة تخلف أبي ذر رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ عن الركبِ في غزوةِ تبوك..... ١١١٥
كرامات لرسولِه ﷺ أثناء سيرِهم إلى تبوك..... ١١١٦
من مواقفِ المنافقين في هذه الغزوةِ..... ١١١٨
موقفٌ آخر لمنافق آخر من المنافقين ١١١٩
موقفٌ ثالث، ورابع، لبعض المنافقين في غزوةِ تبوك ١١١٩

موقفٌ خامس لهمأ وهو لمزهم المطوعين من المؤمنين في الصدقات ١١٢١
مرور النبي ق، والصحابةُ ي عند سيرهم إلى تبوك بمساكن قوم صالح وثمود، الذين ظلموا أنفسهم فأهلكهم الله ١١٢٢
تنبيه: على ضعف سياق حديث مشهور في الباب. ١١٢٣
إخبار النبي ﷺ بخبر ناقة، قوم صالح عند مرورهم بالحِجْرِ..... ١١٢٤
إخبار رسولُ الله ﷺ بهبوبِ ريح في تبوك قبل أن تَهب..... ١١٢٤
حراسةُ الصحابةِ رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ..... ١١٢٦
معجزةٌ من معجزات النبيِّ ﷺ أخبر بها وهي من المغيبات يوم تبوك ١١٢٧
قصة إرسال قيصر الروم رسولاً إلى النبي ﷺ ١١٢٨
بعثه ﷺ خالد بن الوليد ا إلى أُكَيْدِرِ دَوْمَةَ ١١٣١
إرسال النبي ﷺ جيشاً إلى أُكَيْدِرِ دَوْمَةَ: ١١٣٤
إهداء ملك أَيْلَة لرسولِّ الله ﷺ بغلةً بيضاء وكساه برداً..... ١١٣٤
المدةُ التي قضاها رسول الله ﷺ بتبوك ١١٣٥
إعداد خباء من أدم لرسول الله ﷺ بتبوك وهو مع ذلك بتعليم الصحابة..... ١١٣٦
قصرُ الصلاة في تبوك ١١٣٧
قُفولُ النبيّ ﷺ راجعاً إلى المدينةِ لم يلق كيداً ١١٣٧
قصة أبي رهم مع النبي ﷺ..... ١١٣٨
محاولةٌ من المنافقين الفتك برسول الله ﷺ وهو راجع من تبوك ١١٣٩
دنوه ﷺ من المدينة قافلاً وصلاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه برسول الله ﷺ... ١١٤١
من أقولِه ﷺ عند دنوه من المدينة..... ١١٤٣
ومن أقواله ﷺ عند رجوعه من غزوة تبوك..... ١١٤٦

حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ١١٤٦
تلخيصُ أحوالِ من تخلَّفوا عن رسولِ ﷺ في غزوةِ تبوك ١١٥٣
الْمُتَخَلِّفُونَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ: ١١٥٣
الدروسُ المستفادةُ كثيرة من غزوةِ تبوك ١١٥٦
خبرُ مسجد الضرار الذي بُني للكفر والتفريق بين المسلمين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله ﷺ ١١٦١
قدوم الوفود على رسول الله ﷺ ١١٦٥
قدوم وفد ثقيف سنة تسع للهجرة ١١٦٥
قدوم عُرْوَةُ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ١١٦٥
قدوم وفد ثقيف ١١٦٧
ونوعٌ آخر من التعليم له ١١٧٠
ونوعٌ آخر من التعليم ١١٧١
موت عَبْد الله بْن أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ - قبَّحه الله - ١١٧٢
بعثُ النبيُّ ﷺ أبا بكرٍ الصديقَ ا أميراً على الحجِ ١١٧٥
تلخيصُ ما حصلَ في السنةِ التاسعةِ للهجرةِ ١١٧٧
مبادرةُ الناس بإسلامِهم وقدومُ وفود العرب يَفدون على رسول الله ﷺ ١١٧٩
وفد بني تميم وأهل اليمن ١١٨٠
قدوم رجلين من المشرق ١١٨٠
وقد ورد في فضل تميم أحاديث ١١٨١
قدومُ وفد عبد القيس على النبيِّ ﷺ ١١٨١
قدوم ضِمَام بْن ثَعْلَبَة أَخي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ رسولُ من وراءه ١١٨٣

قدوم وفد مسيلمة الكذَّاب على رسول الله ﷺ ١١٨٥
قدوم وفد نجران على النبيِّ ﷺ ١١٨٨
قدوم بعض قوم طَيِّئٍ ١١٨٩
قصة إسلام عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ الطائي رضي الله عنه ١١٨٩
قدومُ الأشعريين وأهل اليمن ١١٩٢
من فضائل أهلِ اليمن ١١٩٢
قدوم الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ رضي الله عنه في وفد كِنْدَةَ: ١١٩٢
قدوم جَرِيْر بن عَبْدِ الله البَجَلِيُّ على النبي ﷺ ١١٩٣
قُدومُ وَائِلِ بنِ حُجْرٍ رضي الله عنه أحدُ ملوك اليمن على رسولِ الله ﷺ ١١٩٦
وفادةُ الحَارِث بن حَسَّانَ البَكْرِيِّ رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ ١١٩٦
قدوم وفد تَمِيمٌ بن أوس الدَّارِيُّ رضي الله عنه ١١٩٨
وهذا وافدٌ على النبي ﷺ بسبب كلام السبُع له ١١٩٩
بعثَ النبيُّ ﷺ البعوث أمراء ودعاة ١٢٠٢
بعث معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنه ١٢٠٢
تَنْبِيهٌ: ١٢٠٣
وصيَّته ﷺ لمن يرسله للبلاد ١٢٠٤
ظهور علامة من علامة النبوة في وصيته ﷺ لمعاذ رضي الله عنه ١٢٠٥
بعثَ النبيُّ ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٢٠٧
وهذا من سيرةِ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيمن أمَّره رسولُ الله ﷺ عليهم ١٢٠٩
من سيرته رضي الله عنه ١٢١١
أقضيةٌ، تدلُ على تضلّعِه رضي الله عنه وأهليته في باب القضاء بين الناس ١٢١١

حجةُ الوداع ١٢١٢
تاريخُ خروج النبي ﷺ إلى مكةَ لحجةِ الوداع ١٢١٣
صفةُ خروجه ﷺ من المدينةِ إلى مكة للحجِ ١٢١٥
ومن تواضعه ﷺ أنه حج على راحلة عليها طعامه وشرابه ١٢١٥
لم يثبت حديث فيما أعلم أن رسولَ الله ﷺ حج أو اعتمر ماشياً ١٢١٦
في طريقه ﷺ للحج عند مروره بـ «وادي العقيق» ١٢١٦
وعند لبسه ﷺ الإحرام تطيب ١٢١٧
تلبـيّدَ رَأسـهُ ﷺ ١٢١٨
صورة التَّلْبِيدُ ١٢١٩
وساق ﷺ معه الهدي من ذي الحليفة ١٢١٩
بدايةُ إهلاله ﷺ من ذي الحليفة ١٢٢٠
ذكر تلبية رسول ﷺ في الحج ١٢٢٢
حديثُ جابر رضي الله عنه في صفةِ حجةِ النبي ﷺ ١٢٢٢
الأماكنُ التي صلّى فيها رسولُ الله ﷺ وهو ذاهبٌ من المدينةِ إلى مكةَ في حجتِه . ١٢٢٧
دُخول النبيّ ﷺ مكةَ ١٢٣١
نزولُ أواخر الآيات من القرآن يوم عرفة ١٢٣١
خُطبةُ رسول الله ﷺ يومَ «غَدِيرِ خُمٍّ» ١٢٣٢
سببُ خُطبة رسول الله ﷺ في «غَدِيرِ خُمٍّ» ١٢٣٣
فلم تكن هذه الخُطبة لتنصيبِ علي ا من بعده ق كما يزعم الروافض قبَّحهم الله. . ١٢٣٧
مرضُ النبي ﷺ ووفاتُه ١٢٤١
الآياتُ والأحاديثُ المنذرة بوفاةِ رسولِّ اللهِ ﷺ وذكرُ مرضـه ١٢٤١

الأحاديث المنذرة بذلك: ١٢٤٢
معنى انْقِطَاعَ أَبْهَرِي: ١٢٤٥
مرضُ مَوتِه ﷺ ١٢٤٨
خُطبته ﷺ في مرض موته التي عرَّض فيها بتأمير أبي بكر رضي الله عنه ١٢٥١
من أواخرِ ما قال رسولُ الله ﷺ ١٢٥٢
أَمرُ النبيِّ ق أبا بكرٍ رضي الله عنه بالصلاةِ مع حضورِ الصحابةِ رضي الله عنهم جميعاً ١٢٥٣
صلاة رسولُّ الله ﷺ خلفَ أبي بكرٍ رضي الله عنه في مرضِ مَوتِـه. ١٢٥٥
وهي آخر صلاةٍ صلاها رسولُّ الله ﷺ ١٢٥٦
الدليل على أن أبا بكر أقرأ الصحابة رضي الله عنهم بإطلاق..... ١٢٥٨
احتضاره ووفاته ﷺ وشدَّة ما ألمَّ به من مَرض..... ١٢٦٠
ما ورد في آخرما قاله ﷺ لما حضره الموت ١٢٦٢
وفي الباب- باب شدة الألم على النبيِّ ﷺ..... ١٢٦٢
مسحها لوجهه الشريف ﷺ ودُعائها له بالشفاء..... ١٢٦٤
ومما فعلته عائشة رضي الله عنها ١٢٦٥
الرائحةُ التي خرجت منه ﷺ..... ١٢٦٧
الثياب التي قبض فيها ﷺ..... ١٢٦٧
تنبيهات..... ١٢٦٨
بعد وفاته ﷺ..... ١٢٦٩
أعظم الأمور المهمة التي كانت بعد وفاته ﷺ ١٢٧٠
من أقوال عمر رضي الله عنه يوم السَقِيفَةِ، وفعله:..... ١٢٧٥
سببُ قبول أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه الإمارة..... ١٢٧٦

خُطبةُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر من الغدِ يوم توفي رسولُ الله ﷺ ١٢٧٧
مقولُة:أبي بكر :« وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ..»..... ١٢٧٩
تحرير صحة الوارد عن أبي بكر رضي الله عنه : «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ ولا تؤاخذني بما يقولون»..... ١٢٧٩
وهذا سياقٌ آخر: ١٢٨٠
بيانُ أن الرسولَ الله ﷺ لم يُوصي لأحدٍ بالخلافة ١٢٨٣
بيانُ الوقتِ الذي تُوفي فيه رسولُ الله ﷺ توفي يوم الاثنين ١٢٨٦
صِفَةُ غَسْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..... ١٢٨٧
والخلاف هل دفن ق يوم الثلاثاء أو ليلة الأربعاء؟..... ١٢٨٨
وأما صفة تغسيله ﷺ..... ١٢٨٨
صفةُ كَفَنِهِ ﷺ ١٢٨٩
الصلاةُ عَليهِ ﷺ ١٢٩٠
دَفنُهُ ﷺ..... ١٢٩٠
وضعه ﷺ في قبره..... ١٢٩١
آخر الناس به ﷺ عهداً..... ١٢٩٢
مكانُ دَفنِهِ ﷺ ١٢٩٢
ما أصابَ المسلمين من المصيبةِ العظيمة بوفاتِه ﷺ..... ١٢٩٣
تحرير صحة قول أنس رضي الله عنه :«لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهَّ ق أَظْلَمَتِ الْمَدِينَةُ حَتَّى لَمْ يَنْظُرْ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، وَكَانَ أَحَدُنَا يَبْسُطُ يَدَهُ فَلَا يَرَاهَا أَوْ لَا يُبْصِرُهَا، وَمَا فَرَغْنَا مِنْ دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا». ١٢٩٧
بكاءُ الصحابة رضي الله عنه بل الصحابيات على انقطاعِ الوحي ١٢٩٨

إرادةُ الله الرحمة لهذه الأمة ١٢٩٩
التعزيةُ به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..... ١٢٩٩
إخبار حبرٍ من أحبارِ اليهود بأن النبيَّ ﷺ يموتُ يومَ الإثنين..... ١٣٠٠
ثباتُ أقوام بعدَ موتِ النبيِّ ﷺ ١٣٠٢
الإكثارُ من الصلاةِ على النبيِّ ﷺ لا سيما يوم الجمعة ١٣٠٣
الفهرس .....